Top
Front!

البيان والتبيين

حققه وشرحه

حسن السندوبي

البيان والتبيين

لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الجاحظ

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا
والأدب ثانيا
ابن العميد

حققه وشرحه

حسن السندوبى

الجزء الأول

الطبعة الثانية

وهي تمتاز عن سابقتها بدقة التحقيق والضبط والتهذيب وزيادة الشرح

القاهرة فى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر
بشارع الخرنفش رقم ٣٥

ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ



ابتدع الشارح هذه الصورة وتخيلها لكتابه . أدب الجاحظ .

الجـــــاحظ*

تحليل أدبه وعلمه ونفسيته

١

كان الكُتّابُ ، إلى ما قبل ظهور الجاحظ ، يتمايزون متقاربين ، في ضروب من العلوم ، وصنوف من الآداب ، وألوان من المعارف ؛ فكان كل واحد منهم يصرف همته وَكَدْهَ ، ويبذُل قوته وجُهده ، في الاختصاص بالضرب الواحد أو الضربين من أنواع العلوم . أو يقف نفسه على الصنف أو الصنفين من طرائق الآداب ، أو يتجه نحو الشُّعبة وما يماثلها من ألوان المعارف . كأن يعد نفسه لأن يكون كاتباً في ديوان الخراج ، أو مترسلا في ديوان الإنشاء ، أو يقوم بحجابة بعض الأمراء ، أو يكون في أسباب أحد الوزراء . على أن يمازج هذه المؤهلات التي أعد نفسه بها ، شيء مما يدور حول عمله أو يتصل به من المعارف العامة . وكان إذا سمت همة أحدهم به إلى التطلع إلى شيء من العلوم والتوسع في بعض الفهوم ، مما يكون كالشِّيةِ والحلية إلى جانب صناعته التي اتسم بها ، فلا يكاد يعدو في ذلك حد الشَّدْوِ ، وتناول الأطراف ، دون التعمق والتحقق والنفوذ . اللهم إلا القليل منهم ممن كانوا يتسامون إلى الوزارة ، ويتطلعون إلى الصدارة ، أو مَن يرون الزيادة في العرفان زيادة في القدر والجاه ، وفي استتمام آلة التجمل والتثقف سبباً إلى الكمال . وكانت المادة التي يكوِّنون بها معارفهم ، ويَرُبُّونَ بها معلوماتهم لا تكاد تخرج عن حد الحفظ لكتاب الله الكريم ، وما ثبت لديهم من أحاديث

* لم نر وجها لاعادة ترجمة الجاحظ هنا كما كانت في الطبعة الاولى لأننا أفردنا بذلك كتابا باسم «أدب الجاحظ» فمن أرادها فعليه به . أما هذا الفصل فقد صدرنا به هذه الطبعة وفيه الابانة الكافية عن تحليل الجاحظ وأدبه وعلمه وفلسفته

الرسول ، صلوات الله عليه ، واستظهار الجيد من كلام الخلفاء الراشدين وخطبهم الجامعة ، ولا سيما خطب الإمام على ورسائله البليغة وكلماته البارعة . مضافاً إلى ذلك القطعة الصالحة من الشعر الجاهلى ، وكلام الأعراب فى بواديهم ، والإلمام بفطنهم ومقاولاتهم فى نواديهم . بعد أن يكونوا أحكموا أبواب النحو والصرف ، وعرفوا أساليب اللغة واشتقاق ألفاظها وإجادة التعبير بها . أما إذا أضاف أحـدهم إلى ذلك كله شيئاً من العلوم والآداب التى استُحْدِثَتْ فى المعارف العربية : كالمنطق والفلسفة ، ووقف على حركات الفلك وأصول الهندسة ، وعلم من الطب ووظائف الأعضاء كفايته ، وشدا من الموسيقى وضوابط النغم غايته ، عُدّ غُرَّة شادخة فى جبين أهل الصناعة ، وصار إماماً يُرجع إليه فى عظائم الأمور ، ويُعتمد عليه فى تصريف جلائل الشؤون . أما الحساب والجبر وما إليهما فكان لابد منهما لـكاتب الخراج وعامل الصدقات ، وصاحب ديوان الضياع والنفقات ، وللقائم على المظالم والمؤامرات

٢

فلما ظهر الجاحظ واستحكمت له مواهبه ، لم تقف به همته عند إحدى تلك الغايات التى بلغ إليها أكابر الـكتاب ممن تقدمه أو عاصره . فلم يشأ أن يتخصص كما تخصصوا ، ولم يُرِد أن يتميز بالأنواع التى بها تميزوا ، بل حمل نفسه على أن يبزهم جميعاً ، وأن يجعلهم يشتدون وراء خطوه إذ يمشى على مهل . فشاء أن يكون صدره دائرة معارف تحيط بأكثر ما عرف من علوم الانسانية وآدابها حتى عهده . وأنت إذا رَدَّدْتَ نظرك فى ثَبَتِ ما خلّف من مصنفات ؛ أخذك الدَّهَشُ ، وتملكك العجب ؟ ! لأنك تراه لم يكد يترك علماً معروفاً فى زمنه لم يضع فيه مؤلفاً . ولم يدع فناً لم يكتب فيه مصنفاً ، وقد يكون هذا المصنف أو ذاك المؤلف ، رسالة موجزة ، وقد يكون سفراً متعدد المصاحف والأجزاء . على أنك إذا قرأت له كتاباً ، أو تصفحت له رسالة ، فيما أجرى فيه قلمه من شُعب العرفان ، حسبت

أنه الواضع لهذا العلم أو ذاك الفن الذى تردد نظرك فيه ، وخرجت منه مملوء النفس قوى اليقين بأنه قد لايحسن سواه . وقديلمزه بعضهم بأنه كان كثير الاستطرادات كبير التهافت على الاستشهادات ، يحشد بها كتبه ، ويفخم بها أسفاره ، ولولا هذا لـكانت أقل مما هى عليه . ! وليس الحال كذلك ، ولا الأمر على ما ذهب اليه ذلك اللامز ، ولـكن هـذا الحال ، إن دل على شىء ، فانما يدل على سعة اطلاع الجاحظ ، وعلى تبحره فى معارفه ، وعلى حفول صدره بشتى المسائل والمعلومات على أن هذا النوع من مؤلفاته الـكبار إنما وضعه ليكون مدرسة للطالبين ، ومَعْلمَةً للدارسين ، وهل كان العالم الاسلامى ، بسائر أقطاره ونواحيه ، إلا جامعة يُلقى فيها الجاحظ دروسه وثقافاته على طلابها بواسطة مؤلفاته ! ! ولهذا ما كان يَطْلُعُ له كتابٌ ، على أى بلد فى أى صُقع ، إلا بادر العلماء إلى نَسخهِ ومُناقلته ، وعقد المجالس لتفهمه ومدارسته . وإلا تقدم الملوك والأمراء إلى تزيين محافلهم بالنظر فيه ، وترديد عباراته ومعانيه ، وتجميل خزائنهم بحفظه وَالتَّحَفِّى به . ولقد حاول كثير من العلماء وأهل الأدب تلخيص بعض كتب الجاحظ وتجريدها مما بها من الاستطرادات ، ومما حوت من الاستشهادات ، فكانت تذهب منها تلك الروح التى يحسها القارىء متلألئة من تحت كل كلمة ، وفى خلال كل فقرة ، وكانت تتلاشى تلك اللطيفة الجاحظية الساحرة التى يستشعرها الناظر المتصفح متجلية متوثبة فى اطراد المعانى وتسلسل الأفكار . فمنهم من كان يعدل عن التلخيص غيرة على هذه اللطيفة ، واستبقاء لتلك الروح . ومنهم من كان يمضى فى تلخيصه ، فيخرج وإذا بالملخص فى يده جثة هامدة

٣

وهل وقفت عبقرية الجاحظ عند حد إتقان المعارف العامة والثقافات الشائعة على تنوعها حتى عهده ؟ كلا ، فما كانت همته تعرف شيئا من الحدود فى العرفان ؟ ! من أجل هذا عَرَضَ لـكثير من المسائل التى لم يفكر فيها أحد غيره ، وفتح للناس

أبواباً كثيرة فى أمور شتى لم يكن من تقدمه من العلماء والكتاب وأهل الأدب يحسبونها مما يدخل فى صنوف الآداب . فكان من بين كتاب العربية أول من بحث فى طبائع الأشياء كالحيوان والنبات والمعادن ، وأقام أركان بحثه واستقرائه على المشاهدة والتجربة والاختبار . ورحل فى سبيل تحقيقه العلمى والطبيعى إلى كثير من الأقاليم والأقطار . وهذه الطريقة هى مفخرة علماء أوربا وأمريكا وانجلترا فى هذا العصر . وهو أول من كتب رسالة مِلؤها السخرية والاستخفاف، وحشوها الجد الممزوج بالهزل ، وسداها الافتنان فى الأسئلة المبهتة ، ولحمتها التعجيز فى المحن المسكتة ، كرسالته إلى صديقه أحمد بن عبد الوهاب البجلى التى دعاها « التربيع والتدوير » فهى بكر فى شأنها ، فريدة فى بابها . وقد حذا الكتاب من بعده حذوه فيها، وترسموا خطاه فى أغراضها ومعانيها : فوضع أبو بكر الخوارزمى الكاتب رسالته إلى أبى الحسن البديهى ، ووضع أبو الحسين أحمد بن فارس على ضوئها أصول فن المقامات ، وعنه أخذه أبو الفضل بديع الزمان الهمذانى ، ثم توسع فيه أبو القاسم الحريرى وذهب فيه كل مذهب ، كما أنشأ ابن زيدون بعض رسائله على هذا النهج . ودرج الكتاب من بعدهم فى هذا الباب .

٤

وهو أول من شفَّ له الحجاب فرأى فى مخالقات العامة وعاداتهم ، وفى تقاليدهم ومعاملاتهم ، وفى أحاديثهم وأسمارهم ، فنا يستروح الخاصة به ، ويرى العِلْيَةُ فيه جِماما من كدهم فى جدهم ، كما رأى فيما تصالحوا عليه من التعبير عن خوالج نفوسهم وما تنبض به قلوبهم من الأمانى والآمال ، مايصح تقييده والتفكه به ، والاعتبار بوجوه العبرة فيه ، والاستفادة مما قد يفيد من نواحيه . وهو أول من استباح لنفسه التندر بالأصدقاء والإخوان ، تارة بالتلميح وذكر الصفات ، وأخرى بالتصريح وإبانة السِّمات ، فقيد عليهم أنفاسهم ، وخلد غرائب أطوارهم وعجائب تصرفاتهم ، وشواذ أغراضهم ، وعرض لأخذهم بأغلاطهم وفلتات ألسنتهم ومساوى أعمالهم ، وقد يجابه

من شاء منهم بالنقد واللذع والتجريح ، غير عابىء بعتبهم ، ولا معتد بلائمتهم ، وماذا كان يبلغ منه هذا العتب ، أو يصيبه من هذا اللوم ؟ إن ما أوتيه من قوة الحجة ، وما اختص به من براعة البيان وعزة البرهان وشدة اللسن كفيل برد عادية العادى وسطوة المتهجم . وهو أول من وضع كتابا فى فكرة من الفكر أو فى رأى من الآراء ثم نقضه بكتاب آخر ، توسعا منه فى البلاغة ، وتفننا فى البراعة أو رجوعا إلى مظنة الحقيقة التى قد يكون استبهم عليه سبيلها فى أول الأمر ، وإيثاراً للصواب ، ولم يكن هذا النوع من المؤلفات التى يراجع نفسه فيها ، يعدو صنف الآراء والنحل والأهواء . وهو أول من ألف فى الأمور المتناقضة ، وأقام سوق الجدل بين الأشياء والحالات المتعارضة ، وابتدع من المعانى مالا يُظن أن يَحتمل إلا المعنى الواحد ، فقد قالوا إنه صنع رسالة فى « مفاخرة المسك والرّماد » وأنت تسائل نفسك : ماذا عسى أن يكون فى الرماد من معانى الافتخار حتى يُدل بها على المسك ، وينافره ببيناتها وشواهدها ؟ ! ! وهو أول من وضع الكتب والرسائل فى المعانى والاغراض الغريبة عن متناول أفكار الكتاب . كقوله فى طبائع « البخلاء » وفى « حيل اللصوص » وفى أحوال « المُكدِّيْنَ » وفى أصحاب العاهات الخَلْقِيَّة : كالحُول والعُور ، والعُرجان ، والبُرصان ، وكذلك فى ذوى العاهات الخُلُقِيَّة : كالسكيرين ، والزناة ، والطفيليين ، والقحاب ، وفتيان السوء .

٥

وقد عَزُبَ الرأى عن بعضهم حينما اطلع للجاحظ على بعض هذه الكتب فغمزه فى دينه ، ورماه فى اعتقاده ويقينه ، وظنه رجلا متساهلا فى حقوق الله قبله متسامحا فى أوامر ربه ونواهيه ، وربما أجراه بعض خصومه مُجرى الزنادقة وأهل الإلحاد ، حتى تقولوا عليه أقاويل فيما لم يخطر له ببال ولا ورد منه فى خاطر ، وكيف يصدق فيه قول هؤلاء الخصوم الذين لا يريدون وجه الله فى خصومتهم ، وهو أول

من وضع كتابا أقام فيه الحجة التى لاتدفع ، والبرهان الذى لايرد ، على أن نظم القرآن معجز ؟ حتى صار هو بوضعه هذا الكتاب إماما فى أمر الدين وفى صحة العقيدة ، وحتى قال بعض الأفاضل : إن الدليل على إعجاز القرآن إيمان الجاحظ به . . ! ! والحق الذي لامراء فيه هو أن الجاحظ كان قوى الايمان ، ولكن إيمان الراسخين فى العلم ، الثابتين فى الفهم ، وكان شديد الاعتقاد ، ولكن اعتقاد الخاصة من العارفين . فما كان يرى فى السلف ما يراه غيره من التقديس . ولا يعتقد فيهم ما يعتقده العامة وأشباه العامة من العصمة والتنزيه . فليس عنده ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الصحابة والتابعين ومن تلاهم ، مَن تجب له العصمة من الخطأ والزلل ، أو مَن بَعُدَ به طبعه عن مواطن الخطل ، وماهم فى الحق والواقع إلا من أبناء آدم ، ركب فى طبائعهم ماركب فى طبائع أبناء هذا الشيخ كافة ، من المطامع والشهوات . فجائز عليهم كل ما يجوز على الناس جميعا من نوازع الشر ، وفواعل الخير ، ودوافع الفضل ، وعوامل النقص ، وكل ما تعتلج به النفس البشرية من مطالب هذه الحياة .

٦

ومن أخص مميزات الجاحظ وأقوى سماته ، تلك الشخصية التى تراها بارزة فى كل ما أجرى به قلمه ونضحت به قريحته ؛ فاذا تناولت له أى كتاب أو أية رسالة وأخذت فى القراءة والمذاكرة والتصفح ، لاتلبث أن ترى هذه الشخصية القوية مطلة عليك من خلال السطور ، ومن بين حروف الكلمات . فلا تزال معها فى سمر مطرب ، وحديث معجب ؛ حتى تضع الكتاب من يدك . ومن مزاياه فى أسلوبه الذى تفرد به ، ذلك الطابع الخاص الذى استأثر بكل كلمة من كلماته ، وشاع فى كل جملة من جمله وعباراته ، وذلك أنه يبسط لك العبارة ويرقق من حواشيها حتى لتظن أنه قد أسف بها ، وأنه هبط عن مستوى البلغاء فى تعبيرها ، فاذا تأملتها فضل تأمل ، ثم حاولت احتذاءه فيها ، رأيته منك فى ذؤابة الثريا وفى

مناط العَيُّوق . وهذه ميزة قد اختص بها من بين جميع الكتاب ، حتى إنه صار بها رأس مذهب فى الأدب ، كما هو رأس مذهب فى العقائد ، فيقال فى الأساليب العربية ، إذا كانت قد بلغت أعلى طبقات البلاغة ، وأسمى منازل البيان ، وكانت واضحة المعانى ، سهلة الألفاظ ، نقية الكلمات : هذه عبارة جاحظية . ويقال فى الرسالة جمعت حُر الكلام إلى التبسط فى المعانى ، وكانت كثيرة الافتنان ، آخذة فيها الموضوعات بعضها بذوائب بعض ، يتنقل فيها القارىء من فن إلى فن ، ومن لون إلى لون ، ومن معنى مولد إلى معنى مبتكر : هذا أدب جاحظى . وله فى هذا المذهب أنصار وأتباع ، وتلاميذ وأشياع ، ظهر منهم رجال كانوا فى أعصارهم أئمة البلاغة وزعماء الفصاحة ، وفحول البيان . وكان منهم الأمراء والوزراء ، والسادة والكبراء ، والساسة والرؤساء ، وما من كاتب منذ عهد الجاحظ إلى الآن إلا وللجاحظ فى عنقه مِنَّةٌ معقودةٌ ، أو يد مبسوطة ، أو نعمة سابغة . ولقد صدق القاضى الفاضل فى قوله : « ما منا معاشر الكتاب إلا مَن دخل مِن كتب الجاحظ الحاره ، وشن عليها الغاره ، وخرج وعلى كتفه منها كاره »

٧

أما خصائصه النفسية ووجهات نظره فى الحياة ، فقد كان على ماظهر منه ميالا بطبعه إلى التحلل من القيود التى تقف بأمثاله ونظرائه من معاصريه عند مقتضيات التقاليد وموجبات العادات . فهو لم يشأ اتخاذ زوجة تشاركه بأساء الحياة وضرائها ، بل انصرف الى اتخاذ الجوارى والفتيات يتسرى منهن بما تطيب بها نفسه ، ويصبو إليها حسه ، يمسكها ما استقام أمرها معه ثم هو فى حل من أن يتركها فى خدمته وقضاء إربته ، أو إذا شاء دفع بها إلى السوق وجاء بغيرها ، والسوق بهن زاخرة ، والأموال لديه حاضرة . وقد كان عقيما ، فلم يعرف أنه ولد له ولد ، أو أعقب ذرية مدى حياته الطويلة

ولست على رأى القائلين بأن العباقرة من أصحاب الدعوات العامة أو الخاصة

وزعماء الأمم وعظماء الناس من القادة والرؤساء ، والفلاسفة والحكماء ، وأكابر أهل الأدب وفحول العلماء — ممن صرفوا جهودهم الجبارة وتفوقوا على من عداهم فى القيام على ما اختصوا به ووقفوا قواهم ومواهبهم عليه من جلائل الأعمال وعظائم الأمور فى الحياة العاملة أو المفكرة — قلما ولدوا الأولاد أو أعقبوا الذرية . وإن جاء أحد من هؤلاء بأولاد أو أعقب له أخلافا فقلما جاؤوا صالحين للحياة

ويذهب أصحاب هذا الرأى فى تأييد رأيهم إلى ضرب الأمثال والاستشهاد بأسماء بعض هؤلاء العظماء ، حتى ليكادون يجعلون العُقم طِباعاً فى هذا النوع الممتاز من الناس . ولكنى أحسب أن العقم لم تختص به طائفة من الناس دون غيرها رَقَت هذه الطائفة أو دنت ، سمت على سائر الطوائف الانسانية أو حبت معها فى مدارج الحياة . ولا هو طبيعة فى طبقة منهم عارض فى سواها . وما هو إلا أمر شائع فيهم على السواء . وأنت إذا لمسته فى العلية والخاصة ، وجدته ظاهر الأثر فى السّفلة والعامة ، مقيساً بنسبه ومقاديره . والأصل فى الإنسان أن يكون ولوداً ، ما استوى خلقه وحسن تقويمه وتم تركيبه . وما العُقم إلا عارض يحدثه النقص فى تركيب بعض الأعضاء وعدم انتظامها فى تأدية وظائفها .

وقد يكون هذا النقص حاصلا فى الخلق والتكوين . وقد يأتى حادثاً لسبب من الأسباب الظاهرة أو الباطنة ، والناس فى هذا سواسية لا يمتاز منهم فيه عظيم على حقير ، ولا يختص به كبير دون صغير . والقائلون باختصاص العباقرة به من بين الناس كافة ، حينما رأوا العقم ظاهراً فيهم ، ظنوه وقفاً عليهم وحسبوه من دلائل بطولتهم ، ومن علامات نبوغهم ، ومن آيات ظهور العبقرية فى مواهبهم ، مع أنه لا صلة هناك بين العقم و بين السمو فى معارج الكمال البشرى ، وما الأمر فى واقعه إلا أن العظماء من ذوى المواهب والأخطار فى كل أمة وفى كل جيل ما هم إلا أفراد ظاهرون ، وشرذمة قليلون

وما مثل العظماء فى أممهم وأجيالهم إلا كالمنارة فى وسط المحيط العظَم تترامى

أشعتها اللامعة إلى الآماد فتجذب إليها أنظار السفار من كل صوب لتكون لهم أماناً من غوائل الأقدار، وما تكاد تقع العيون على أضوائها أو تطلع هى على الحائرين بلألائها حتى تشيع منها فى النفوس شائعة الطمأنينة والأمن والسلام، ولا تلبث أخيلة التفكير أن تتجه نحو عد خيوط النور المسترسلة من ذوائبها بمختلف الألوان الآخذة بمعاقد الأبصار. فاذا افتقدوها فى ليلة دامسة، وقد أصابها شىء من العطب الذى لا يسلم عليه شىء فى الوجود، دفعهم ما فى صدورهم لها من إعجاب وإجلال، إلى التظنى بأن هذا الضرب من المعاطب قلما أصاب إلا نوع المنار، وأنه من علائم ما فيها من رفعة وهداية وازدهار. ومع هذا فماذا يكون قدر هذه المشكاة إذا هى قيست بما يكتنفها من أمواج كالجبال، وأثباج كالهضاب؟ لا شك أنها فى جانب ذلك كله لا تكاد تعد شيئا مذكورا. على هذا ترى العظيم فى أمته وكل حالة من حالاته الطبيعية أو العارضة تعلن عن نفسها حتى لتوهم بعض ذوى التفكير أنها خاصة به وبكل عظيم مثله، وأنها علامة عظمتهم وامتيازهم على الناس، وذلك بخلاف ما إذا بدت تلك الحالات فى عوام الناس وأغمارهم، فهى على كثرتها فيهم وارتفاع نسبتها بينهم، لا يكاد يُعنى بها، ولا يعمل حساب لشأنها ولا يلتفت إلى ما تحدث فيهم من آثار.

من أجل ذلك لا أرى مانعا من القول بأن الجاحظ لم يلد لنقص كان به كما يعرو هذا النقص العقماء من الناس كافة، وذلك بالرغم مما كان معروفا به من قوة البنية وتماسك الخلق وشدة المنّة، حتى إن الفالج حينما وقع به لم يحل بينه وبين التفكير والكتابة والتأليف . . ! ! على أننى لم أقف له على رأى فى علة إعراضه عن التزوج واكتفائه بالتسرى. وهل كان يوجب الزواج أو كان يذهب إلى الامتناع عنه! غير أن حالته التى درج عليها طوال أيام حياته تُبِينُ عن أنه كان يؤثر التسرى ويرى فيه متعة كما يُخال أنه كان يرى فى الزواج ربقة.

٨

وكان الجاحظ يرى الاستمتاع بملاذ الحياة وأطايبها ، ويطمع فى أن ينال منها ما يمكن أن تصبو إليه أوسع النفوس البشرية أملا وغاية ، على أن يكون ذلك فى حدود التعقل والاتزان ، مع التحفظ والتستر والابتعاد عن مواطن الشبه ، حتى لا تُهمز المروءة ولا تغمز الكرامة . ولهذا لم يُرو أن أحداً من خصومه استطاع أن ينال من سمعته أو يطعن فيه بما يحط من قدره وكرامته . وقد كان خصومه من قوة اللَّسن وشدة اللَّدَد واضطغان الحفيظة على أقوي جانب وأعظم منعة . فما قيل عنه أنه قارف إثما أو ارتكب جرماً أو اجترح ذنباً . ولقد كان يعجب بأبى نواس ويرى فيه قدوة فى تناول متع العيش ، وفى مباشرة أسباب العبث والمجون ، إلا أنه كان يأخذ فى أسمحها ، ويترك له أسمجها ، ويتقلب من أفضلها فى أعطاف النعم

والحق أن عصر الجاحظ كان عصر الاستمتاع بكل ما تعتلج به النفس الانسانية من أمانى وآمال ، ومن خير وشر ، ومن نقص وفضل ، ومن علم وجهل ، ومن استقامة واستهتار ، ومن نسك وفتك ، ومن تَقيةٍ واسترسال ، ومن إيمان وإلحاد ، ومن خطل وسداد ؛ فكانت بغداد فى ذلك الدهر ، أشبه بلندن و باريس ونيو يورك وبرلين وروما مجتمعة فى هذا العصر ، فيها نزعات العقول ، ومراح الأرواح ، ومراد العيون ، وشهوات النفوس ، وخلجات القلوب . غير أن الجاحظ كان يتناول شهوات نفسه ونزعات عقله ، ولذائذ قلبه ، فى تعقل وتلطف واتزان

٩

وكانت بالجاحظ أنانية ، فكان يرى نفسه حقيقا بأن يستأثر بكل ما فى الحياة من مُتع وجاه عريض ، ولا يرى غيره أحق بشىء منها ، فما لجأ إليه ذو حاجة إلا جعل لسانه حائلا دون قضائها ، ولا استعان به مستعين إلا كوى قلبه بجمر الخذلان . حتى لقد هُجى من خاصة أصدقائه على هذه الحالة شر هجاء . ولا أدرى كيف كان كذلك وهو الذى ملأ كتبه بذكر الأجواد والسمحاء ؟ وهلا كانت

له قدوة حسنة بأحمد بن أبى دؤاد ومكارمه التى غمرت كل رائح وغاد ؟ والتى روى هو منها ما يجعله فوق أنداده ممن حضر وباد ؟ ! الظاهر أن تتبعه حركات البخلاء واستطلاعه طبائعهم ، واستقصاءه أعمالهم وأقوالهم قد أثر فيه ذلك الأثر ، والنفوس بفطرتها نزاعة إلى النقائص ، سريعة إلى اكتساب الرذائل .

١٠

وكان على ما يظهر ميالا إلى المصانعة والمداراة ، فكان يرى إرضاء العامة وأشباه العامة بما لا كلفة عليه فيه ؟ وإلا فما هذه الأحاديث التى ملأ بها كتبه ، والتى لا يمكن أن يظن ظان أن مثل عقل الجاحظ فى قوة تركيبه وصحة تكوينه يتقبلها على أنها سليمة من الشوائب بعيدة من الأكدار ؟ أنا لا أرى لذلك من تعليل إلا انه ربما كان يرمى بروايتها وحشد كتبه بها إلى مصانعة العامة وترضيتهم عنه . لعله كان يقصد بروايتها إلى جانب أبحاثه الفائقة فى العلوم والمذاهب والآداب ، أن تكون وسيلة إلى جذب النفوس إلى هذه الأبحاث والاستفادة منها فى ظلها وتحت كنفها . وكلا الرأيين جائز ومقبول حتى يقوم الدليل على صحة أحدهما ونفى الآخر .

هذا ما ارتأينا من خصائص الجاحظ ، وهى بلا شك شذور من مزاياه . أما الالمام بما له من صفات ، أو استيعاب ماله من مناقب وسمات ، فأمر فوق متناول الأيدى والأقلام .

حسن السندوبى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وسلم

عونك اللهم وتيسيرك

اللهم إنَّا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل [١] ونعوذ بك من التكلُّف لما لا نُحسِن كما نعوذُ بك من العُجْبِ بما نُحسن . ونعوذ بك من السَّلاطة والهَذَر [٢] كما نعوذ بك من العِيِّ والحصَر [٣] وقديماً ما تعوَّذوا بالله من شرهما ، وتضرعوا إلى الله فى السلامة منهما . وقد قال النَّمِرُ بن تَوْلَب [٤] :

أعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وعِيٍّ ... ومِن نَفْسٍ أُعالِجُها عِلاجا

(١) يستعيذ من فتنة القول والعمل لأن المرء إذا فتنه شيء من قوله أو عمله جن به جنونا وملك عليه حواسه فيصبح فى حالة لا يستطيع معها أن يميز خبيثه من طيبه ولا خطأه من صوابه

(٢) السلاطة : البذاءة . والهذر : الاكثار من فضول الكلام الذى لا خير فيه

(٣) العى : فقدان الابانة عما يخالج النفس . والحصر : محاولة التعبير وانعقاد اللسان عن المراد

(٤) هو النمر بن تولب العكلى ، شاعر جواد مخضرم نشأ فى الجاهلية وأدرك الاسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم، وهو من المعدودين فى الصحابة وكان من أجواد العرب المذكورين وفرسانهم المشهورين ، وكان شاعرا فصيحا وشجاعا باسلا . وكان أبو عمرو بن العلاء يلقبه « الكيس » لجودة شعره وسلامة عبارته . وكان حماد الراوية يقول : انه كثير البيت السائر والمتمثل به . عاش حتى خرف وزعموا انه عمر مائتى سنة وكان هجيراه فى خرفه : أصبحوا الضيف ، أغبقوا الضيف ، اعطوا السائل . وهذا البيت الذى تمثل به الجاحظ فى الاصل أحد أبيات هو أولها وبعده

ومن حاجات نفسى فاعصمنى ... فإن لمضمرات النفس حاجا

فأنت وليها وبرئت منها ... إليك فما قضيت فلا خلاجا

وأنت وهبتها كوما جلادا ... أرجي النسل منها والنتاجا

ونافرنى ربيعة كل يوم ... لأشربها وأقتنى الدجاجا

وما تغنى الدجاج الضيف عنى ... وليس بنافعي إلا انضاجا

أأهلكها وقد لاقيت فيها ... مرار الطعن والضرب الثجاجا

وتذهب باطلا غدوات صحبى ... على الأعداء تختلج اختلاجا

جموم الشد شائلة الذنابا ... تخال بياض غرتها سراجا

وشد فى الكريهة كل يوم ... إذا الاصوات خالطت العجاجا

وقال الهُذَلِيُّ : (١)

ولا حَصِرٌ بخطبتهِ   إذَا ماعَزَّتِ الخُطَبُ

وقال مكِّيُّ بنُ سوادة:

حَصِرٌ مُسْهِبٌ جَرِىءٌ جبانٌ   خيرُ عِىِّ الرجالِ عِىِّ سُكُوتُ (٢)

وقال الآخر:

مَلِىءٌ بِبُهْرٍ والْتفاتٍ وسُعْلَةٍ   وَمَسْحَةِ عثْنُونٍ وَفَتْلِ الأَصابعِ (٣)

ومما ذموا به العِي قوله :

ومالىَ من عِيٍّ ولا أنطِقُ الخَنَى   إذاجمعَ الأقوامَ فى الخطْبِ مَحْفِلُ (٤)

وقال الراجز وهو يمتح بدلوه (٥)

عَلِقَتْ ياحارِثُ عِندَ الوِرْدِ   بجابىءٍ لا رَفِلِ التَّرَدِّى (٦)

ولا عَيِيّ بابْتِنَاءِ المجد

(١) هو أبو العيال بن أبي عيثر ، من سعد هذيل . كان شاعرا مجيدا نشأ فى الجاهلية وادرك الاسلام وأسلم فيمن أسلم من قومه . وكان فارسا غزاء غزا فى خلافة عمر فدخل مصر . ثم غزا الروم فى عهد معاوية وبعث اليه بقصيدة يصف فيها قتالهم مع الروم قال فيها :

أبلغ معاوية بن صخر انه   يهوى اليه مع البريد الاعجل
أنا لقينا بعدكم فى غزونا   من جانب الابراج يوما يقسل
أمر تضيق به الصدور ودونه   مهج النفوس وليس عنه معدل

وهذا البيت الذى استشهد به الجاحظ هو من قصيدة يرثي بها اخاه عبد بن زهرة لامه يقول فيها :

ألا لله درك من   فتى قوم اذا رهبوا
وقالوا من فتى للحر   ب يرقبنا ويرتقب
فكنت فتاهم فيها   اذا يدعى لها يثب

توفى فى اواخر خلافة معاوية

(٢) يعنى ان احسن ما يكون عليه الرجل العيى ان يكثر من صمته وسكونه ففى ذلك سلامته وامنه

(٣) البهر تتابع النفس وهو الربو . والالتفات يراد به الاستنجاد والاستعانة ، وهو لما به كثير السعال لا يفتر عن مسح لحيته بيده ولا عن فتل اصابعه

(٤) لاينطق الخنى : لايقول الفحش . الخطب : الامر العظيم والحادث الجلل

(٥) يمتح ، يستقى

(٦) الجابىء : القادم المفاجىء . لارفل التردى : غير جاهل بخطر السقوط

وهذا كقول بَشّار الأعمى (١)

وعِيُّ الفِعالِ كَعِيِّ المَقالِ ... وفى الصَّمْتِ عِىٌّ كَعِىِّ الكَلِمْ

وهذا المذهب شبيه بما ذهب اليه شُتَيْم بنُ خوَيْلد الفزارى فى قوله :

ولا يَشْعَبُون الصَّدْعَ بعد تفاقمٍ ... وَفى رِفقِ أيديكم لِذِى الصَّدْعِ شاعِبُ (٢)

وهذا كقول زَبّانِ بنِ سَيّارٍ (٣)

وَلَسْنَا كَأَقْوامٍ أَجَدُّوا رِياسَةً ... يُرَى مالُها وَلا يُحَسُّ فِعالُها (٤)

يُرِيغون فى الخِصْبِ الأُمورَ وَنفعُهم ... قَليلٌ إذِ الأَموالُ طَال هُزالُها (٥)

وقُلنا بلا عِيٍّ وسُسْنَا بِطَاقَةٍ ... إذِ النّارُ نارُ الحرب طَال اشتعالُها

لأنهم يجعلون العجز والعى من الخرق ، كانا فى الجوارح أو فى الألسنة .

وقال ابن أحمر الباهلى (٦)

لو كنتُ ذا عِلمٍ عَلِمْتُ وكيفَ لِى ... بالعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الأَمْرِ (٧)

وقالوا فى الصمت كقولهم فى النطق . قال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلاحِ (٨)

---

(١) هو بشار بن برد : ومحله فى الشعر وتقدمه فى الابداع اشهر من ان يدل عليه . وهو زعيم الشعراء المحدثين بلا منازع . شاع ذكره وذاع امره فى الدولتين الاموية والعباسية ، واخذ سنى الجوائز من خلفائهما ، وكان مرهوب الجانب مخشي اللسان . ولد سنة ٧٦ هـ ٦٩٥ م ومات تحت سياط المهدي سنة ١٦٨ هـ ٧٨٤ م

(٢) شعب الصدع . لأمه . وتفاقم الامر : جل الخطر واتسع الخرق على الراقع . يقول : إن اعداءكم لا يصلحون فاسدا أما أنتم فنى أيديكم صلاح كل فاسد ورأب كل متصدع

(٣) هو زبان بن سيار بن عمرو بن جابر أحد بنى مازن بن فزارة وكان نافر عيينة بن حصن

(٤) أجدوا رياسة : استحدثوا لانفسهم مجدا أو رفعتهم الأقدار من الحضيض إلى مقام الآمرين الناهين فهم يدلون على الناس بوفرة أموالهم دون أن يكون لهم في البر والخير واسداء المعروف يد

(٥) يريغون : يطلبون خلسة . الاموال هنا : الابل

(٦) هو عمرو بن احمر بن العمرد الباهلى . قال محمد بن سلام : كان صحيح الكلام كثير الغريب

(٧) بعد تدبر الامر : بعد فواته . يقال : عرف الأمر تدبرا أى بآخرة . قال أكثم بن صيفى لبنيه لا تدبروا اعجاز امور قد ولت صدورها

(٨) هو ابو عمرو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبي سيد الأوس وأعز اهل يثرب فى الجاهلية وكان من فرسان العرب وقرومهم واجوادهم . وكان شاعرا مفوها . وله أحداث وخطوب مع تبع ابن حسان ملك اليمن ، ومع الحرث بن ظالم المرى . مما هو معروف مشهور

وَالصَّمْتُ أَحْسَنُ بِالْفَتَى ... مَالَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُه
وَالقولُ ذُو خَطَلٍ إِذَا ... مَالَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُه

وقال مُحْرِزُ بنُ عَلْقَمَةَ :

لَقَدْ وَارَى الْمَقَابِرُ مِنْ شَرِيكٍ ... كَثِيرَ تَحَلُّمٍ وَقَلِيلَ عَابِ
صَمُوتاً فِي الْمَجَالِسِ غَيْرَ عَيٍّ ... جَدِيراً حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ

وقال مَكِّيُّ بنُ سَوَادَةَ :

تَسَلَّمَ بِالسُّكُوتِ مِنَ الْعُيُوبِ ... فَكَانَ السَّكْتُ أَجْلَبَ لِلْعُيُوبِ
وَيَرْتَجِلُ الْكَلَامَ وَلَيْسَ فِيهِ ... سِوَى الْهَذَيَانِ مِنْ حَشَدِ الْخَطِيبِ (١)

وقال آخر :

جَمَعْتَ صُنُوفَ الْعِيِّ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... وَكُنْتَ حَرِيًّا بِالْبَلَاغَةِ مِنْ كَثَبْ (٢)
أَبُوكَ مُعِمٌّ فِي الْكَلَامِ وَمُخْوِلٌ ... وَخَالُكَ وَثَّابُ الْجَرَائِمِ فِي الْخُطَبْ (٣)

وقال حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ الْهِلَالِيُّ (٤)

أَتَانَا وَلَمْ يَعْدِلْهُ سَحْبَانُ وَائِلٍ ... بَيَاناً وَعِلْماً بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَأَنَّهُ ... مِنَ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بَاقِلُ (٥)

---

(١) الحشد : الاستعداد، ومعنى البيت ظاهر

(٢) يعنى وقد كنت جديرا بأن تتناول البلاغة من قرب لأنك من صميم أهلها

(٣) ولأنك كريم العم والخال . وثاب : قفاز مساور . الجرائم . الاصول والاجذام

(٤) هو أبوالمثنى حميد بن ثور بن حزن الهلالى شاعر مخضرم فصيح . يعد من شعراء الصحابة ، وكان عمر بن الخطاب تقدم إلى الشعراء أن لا يشبب رجل بامرأة فقال حميد بن ثور، وكنى عن صاحبته بالسرحة :

أبى الله إلا أن سرحة مالك ... على كل أفنان العضاه تروق
وهل أنا إن علت نفسى بسرحة ... من السرح موجود على طريق

والظاهر أنه توفى فى عهد معاوية بن أبى سفيان

(٥) اللقم ، تتابع ملء الفم باللقم عند الطعام ، قال الجاحظ . سحبان مثل فى البيان ، وباقل مثل فى العى ولهما أخبار ، قلت : وهو سحبان بن زفر بن إياس ، كان من ألسنة العرب فى الجاهلية وخطباء الناس فى الاسلام ، وكان يضرب بفصاحته المثل فيقال : أخطب من سحبان وائل . خطب بين يدى معاوية فى وفود خراسان من صلاة الظهر إلى صلاة العصر ما توقف ولا تنحنح ولا سعل . مات سنة ٥٤ هـ ٦٧٣ م وباقل هو ابن عمرو بن ثعلبة الايادى . قال أبو عبيدة ، بلغ من عى باقل أنه

وقال آخر :

مَاذَا رُزِئْنا مِنْكِ أَمَّ الأَسْوَدِ ... مِن رَحَبِ الصَّدْرِ وَعَقْلٍ مُتْلِدِ
وَهْيَ صَنَاعٌ بِاللِّسَانِ وَاليَدِ (١)

وقال آخر :

لَوْ صُحِبتَ شَهْرَيْنِ دَأْبَاً لَمْ نَمَلّْ ... وَجَعَلَتْ تُكْثِرُ قولَ : لَا ، و : بَلْ
حُبُّكَ لِلْبَاطِلِ قِدْمَاً قَدْ شَغَلْ ... كَسْبَكَ عَنْ عِيَالِنَا قُلْتُ : أَجَلْ
تَضَجُّراً مني وَعِيّاً بِالحِيَلْ

قال : وقيل لِبَزَرْجُمهرَ بن البَخْتِكَان الفارسيّ (٢) أيّ شيء أستر للعي ؟ قال : عقلٌ يُجمِّلُه . قالوا : فان لم يكن له عقل ؟ قال : فمالٌ يستره . قالوا : فان لم يكن له مال ؟ قال: فإخوان يُعَبِّرونَ عنه . قالوا : فان لم يكن له إخوان يعبرون عنه؟ قال : فيكون ذا صمت . قالوا : فإن لم يكن ذا صمت ؟ قال : فموت وَحِيٌّ (٣) خير له من أن يكون فى دار الحياة

وسأل الله موسى (عليه السلام) حين بعثه إلى فرعون بابلاغ رسالته ، والإبانة عن حجته ، والإفصاح عن أدلته ، فقال حين ذكر العُقْدَةَ التى كانت فى لسانه ، والحُبْسة (٤) التى كانت فى بيانه « واحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يفقهُوا قولِي » وأنبأنا

اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فلقيه شخص فقال : بكم اشتريته فتح كفيه وقرن أصابعه وأخرج لسانه. يشير بذلك إلى أحد عشر . فهرب الظبي من يده فضربوا به المثل فى العى

(١) يصف هذه المرأة بالحذق والمهارة فى كثير من الصفات الجيدة

(٢) هو بزرجمهر بن البختكان حكيم الفرس المشهور ووزير الملك العادل فيهم كسرى أنوشروان. كان فيما قيل راجح العقل سديد الرأى قويم الطبع . وقد روى عنه كلام كثير نراه منثورا فى شتى الكتب والأسفار . وأرى أن أكثر ما نسب اليه منحول . وقد أخذ المبرد هذه الجملة فسخها ورواها هكذا وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته . ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فان عدمه ؟ قال : فادب يتحلى به . قال : فان عدمه ؟ قال . فمال يستره . قال : فان عدمه ؟ قال : فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد

(٣) وحى : سريع عاجل

(٤) الحبسة : هى توقف اللسان عن الانطلاق فى الكلام

الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب، واستراحته إلى كل شَغَب، ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحد معاند، وعلى كل مختال مكايد، حين خبرنا بقوله: «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الذى هو مَهِينٌ ولا يَكادُ يُبِينُ» وقال موسى عليه السلام: «وأَخِي هرونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسانًا فأَرْسِلْهُ مَعِى رِدْءًا يُصَدِّقُنِى» وقال: «وَيَضِيقُ صَدْرِى ولا يَنْطَلِقُ لِسانِى» رغبة منه فى غاية الافصاح بالحجة، والمبالغة فى وضوح الدّلالة، لتكون الاعناق إليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس إليه أسرع، وان كان قد يأتى من وراء الحاجة، ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة، ولله عز وجل أن يمتحن عباده بما يشاء من التخفيف والتثقيل، ويبلو أخبارهم كيف أحب من المكروه والمحبوب، ولكل زمان ضرب من المصلحة، ونوع من المحنة وشكل من العبادة. ومن الدليل على أن الله عز وجل حل تلك العقدة، وأطلق ذلك التعقيد والحُبسة، قوله «رَبِّ اشْرَحْ لى صدْرِى ويَسِّرْ لى أَمْرِى وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِى يَفْقَهُوا قَوْلِى وَاجْعَلْ لى وَزِيرًا مِنْ أَهْلِى هَرونَ أَخِى اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فى أَمْرِى» إلى قوله «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ ياموسى» فلم تقع الاستجابة على شيء من دعائه دون شيء، لعموم الخبر.

وسنقول فى شأن موسى عليه السلام ومسألته فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وذكر الله تعالى جميل بلائه فى تعليمه البيان، وعظيم نعمته فى تقويم اللسان، فقال: «الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ» وقال: «هذَا بَيانٌ لِلنَّاسِ» ومدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام، وحكمة الإبلاغ، وسماه فرقانًا، وقال: «عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» وقال: «وَكَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» وقال: «وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شيءٍ» وقال: «وكلَّ شيءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا»

وذكر الله تعالى لنبيه حال قريش فى بلاغة المنطق، ورجاحة الأحلام،

وصحة العقول ، وذكر العرب وما فيها من الدهاء ، والنَّكْرَاءِ والمكر ، ومن بلاغة الألسنة ، واللَّدَدَ عند الخصومة ، فقال : « إذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ » وقال : « لِتُنْذِرَ بهِ قَوْمًا لُدًّا » وقال : « وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ » وقال : « أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ » ثم ذكر خلابة ألسنتهم ، واستمالتهم الاسماع بحسن منطقهم فقال : « وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ » ثم قال : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا » مع قوله : « وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فيها وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ »

وقال الشاعر فى قوم يحسنون فى القول ويسيئون فى العمل ، قال أبو حَفْص أنشدنى الأصْمعىُّ لِلمُكَعْبَرِ الضَّبِّىِّ (١) :

كُسَالَى إذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ المَحْرُوبُ وَهْوَ عَناءُ

وقيل لِدَوْهَان : ما تقول فى خُزَاعَةَ ؟ قال : جوعٌ وأحاديثُ . وفى شبيه بهذا المعنى قال أُفْنُونُ بنُ صُرَيْمٍ التَّغْلِبِىُّ (٢)

(١) المكعبر الضبي إسمه حريث بن عفوظ . ويروى أن هذا البيت من قصيدة قالها محرز بن المكعبر الضبي وهو جاهلي ، وكان قد نزل ببنى عدى بن جندب فأغار على إبله بنو عمرو بن كلاب فاستغاث ببنى عدى فتباطأوا عنه وأغاثه مخارق ومساحق ابنا شهاب المازنى فردا عليه إبله فقال يهجو بنى عدى ويمدح بنى مازن :

أبلغ عديا حيث شطت بها النوى ... فليس لدهر الطالبين فناء
أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ... ولو شئت قال المخبرون اساؤا
لهم ريثة تعلو صريمة أمرهم ... وللأمر يوما راحة فقضاء
كسالى إذا لاقيتهم غير منطق ... يلهى به المحروب وهو عناء
وإنى لأرجوكم على بطء سعيكم ... كما فى بطون الحاملات رجاء
فهلا سعيتم سعى أسرة مازن ... وهل كفلائى فى الوفاء سواء
كأن دنانيرا على قسماتهم ... وإن كان قد شف الوجوه لقاء
لهم أذرع باد نواشر لحمها ... وبعض الرجال فى الحروب غثاء

(٢) أفنون : إسمه صريم بن معشر وهو شاعر جاهلى قديم ، زعموا أنه لقى بعض الكهان فأنذره بأن هلاكه سيكون من لدغة تصيبه ، فكان لاينام إلا على ظهر راحلته ، فبينا هو ذات ليلة على ناقته وهى ترعى تعلقت حية بمشفرها فاضطربت ورمت بها إليه فلدغته فلما أحس الموت قال :

لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمٍ ... غَذِيَّ قَيْلٍ وَلُقْمَانٍ وَذِي جَدَنِ
لَمَا وَقَوْا بِأَخِيهِمْ مِنْ مُهَوَّلَةٍ ... أَخَا السُّكُونِ وَلا حَادُوا عَنِ السَّنَنِ
أَنَّى جَزَوْا عَامِراً سُوءاً بِفِعْلِهِمِ ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوآى مِنَ الْحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَاتُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ ... رِئْمَانَ أَنْفٍ إِذَا مَاضُنَّ بِاللَّبَنِ (١)

ولأن العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القِرى ومن تمام الاكرام. وقالوا: تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المؤاكلة. وقال شاعرهم وهو حَاتِمُ الطَّائِيُّ (٢):

سَلِي الْجَائِعَ الْغَرْثَانَ يَا أُمَّ مُنْذِرٍ ... إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا

م خر صريعاً لساعته وذلك حوالي سنة ٥٦٧ م وهذه الأبيات التى استشهد بها الجاحظ هى من كلمة موجزة قالها فى قومه يشكوهم وكانوا قد تبرؤا منه لكثرة جرائره. وهى برواية أخرى:

أبلغ حبيبا وخلل فى سراتهم ... أن الفؤاد انطوى منهم على حزن
قد كنت أسبق من جاروا على مهل ... من ولد آدم مالم يخلعوا رسنى
قالوا علي ولم أملك فيالتهم ... حتى انتحيت على الأرساغ والثنن
لو أننى كنت من عاد ومن إرم ... غذى بهم ولقمانا وذا جدن
لما فدوا بأخيهم من مهولة ... أخا السكون ولا حازوا على السنن
سألت قومى وقد سدت أباعرهم ... مابين رحبة ذات العيص أو عدن
إذ قربوا لابن سرار أباعرهم ... لله در عطاء كان ذا غبن
أنى جزوا عامرا سوآى بفعلهم ... أم كيف يجزوننى السوآى من الحسن
أم كيف ينفع ماتعطى العلوق به ... رئمان أنف إذا ماضن باللبن

(١) قال الجاحظ: ورئمان أصله الرقة والرحمة، والرؤم أرق من الرؤف، فقال «رئمان أنف» كأنها تبر ولدها بأنفها وتمنعه اللبن. قلت: والبيت مثل يضرب لمن يعد بالجميل وهو مضمر عدم الوفاء

(٢) هو حاتم بن عبد الله الطائى الفارس الجواد الشاعر المشهور، وهو مضرب المثل فى الجود والسخاء. وهذان البيتان اللذان أوردهما الجاحظ ليسا من شعر حاتم ولكنهما بشعر عروة بن الورد أشبه. لأن حاتم لاعلاقة له بأم منذر وأم منذر هى زوج عروة بن الورد. وفيها يقول:

أقلى على اللوم يابنت منذر ... ونامي وإن لم تشتهى النوم فاسهري
ذرينى أطوف فى البلاد لعلنى ... اخليك او اغنيك عن سوء محضرى
فان فاز سهم للمنية لم اكن ... جزوعا وهل عن ذاك من متأخر
وإن فاز سهمى كفكم عن مقاعد ... لكم خلف ادبار البيوت ومنظر

هل أبسطُ وجهي ؟ انهُ أولُ القِرَى   وأبذلُ معروفي له دون مُنكَرِي ؟

وقال الآخر (١)

إنكَ يا ابنَ جعفرٍ خيرُ فتَى   وخيرُهم لطارقٍ إذا أتَى
ورُبَّ نِضْوٍ طَرَقَ الحيَّ سُرَى   صادَفَ زاداً وحديثاً ما اشتهَى
إن الحديثَ جانِبٌ من القِرَى

وقال الآخر (٢)

لِحَافي لِحَافُ الضَّيْفِ والبيتُ بيتهُ   ولم يُلْهِني عنهُ غَزالٌ مقنَّعُ
أُحدِّثه إن الحديثَ منَ القِرَى   وتعلم نفسي أنهُ سوفَ يهجَعُ

ولذلك قال عَمْرُو بنُ الأَهْتَم: (٣)

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرْحباً   فهذا مَبيتٌ صالحٌ وصَدِيق

(١) هو الشماخ بن ضرار يقوله فى عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وتروى هكذا :
إنك يا ابن جعفر نعم الفتى   ونعم مأوى طارق إذا أتى
وجار ضيف طرق الحى سرى   صادف زادا وحديثا مااشتهى
إن الحديث طرف من القرى
وكان عبد الله بن جعفر من اجود الناس وأسخاهم أنشد يوما قول الشاعر :
إن الصنيعة لاتكون صنيعة   حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا صنعت صنيعة فاعمد بها   لله او لذوى القرائب او دع
فقال : هذا رجل يريد ان يبخل الناس ؟ امطر المعروف مطرا فان صادف موضعا فهو الذى قصدت له وإلا كنت احق به .
(٢) هو عروة بن الورد العبسى وكان من الاجواد الفرسان الصعاليك فى الجاهلية . ويروى : فراشى فراش الضيف .
(٣) هو عمرو بن الأهتم بن سنان المنقرى التميمي . وكان من سادات تميم وخطبائهم وشعرائهم وذوى اللسن والفصاحة وقوة البيان فى الجاهلية والاسلام وهو صاحب الحديث المشهور مع الزبرقان بن بدر بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم . وله مواقف مشهورة وكلام مروى مذكور . توفى سنة ٥٧ هـ ٦٧٦ م
وهذا البيت من قصيدة طويلة رواها المفضل الضبي وأولها
ألا طرقت أسماء وهي طروق   وبانت على أن الخيال يشوق
وفيها يقول :
ومستنبح بعد الهدوء دعوته   وقد حان من نجم السماء خفوق
يعالج عرنينا من الليل باردا   تلف رياح ثوبه وبروق
تألق فى عين من المزن وادق   له هيدب دانى السحاب دفوق

وقال الآخر :

أضاحِكُ ضَيفِي قَبلَ إنْزالِ رَحْلِه ويخصبُ عندى والمحلُّ جَديبُ
وما الخِصبُ للأضيافِ أن يَكثُرَ القِرى ولكِنَّما وجهُ الكريم خَصِيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب « أم تأمُرُهم أحْلامُهُمْ بِهذَا » وقال : « فَاعْتبِروا يا أُولى الأَلْبَاب » وقال : « أُنظُرْ كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثَالَ » وقال : « وإنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتزُولَ مِنهُ الجِبالُ » وعلى هذا المذهب قال : « وَإن يَكاد الذين كفروا لَيُزلِقونك بأبصارهم » وقد قال الشاعر :

يتقارضُونَ إذَا الْتَقَوْا فى مَوْقِفٍ نَظراً يُزيلُ مَواقِعَ الأقدامِ

وقال تبارك وتعالى « وَمَا أرسلنا من رسولٍ إلا بِلسان قومه لِيُبيِّنَ لَهم » لأن مدار الأمر على البيان والتبيين ، وعلى الإفهام والتفهيم . وكلما كان اللسان أبينَ كان أحمدَ ، كما أنه كلما كان القلب أشدَّ استِبانة كان أحمدَ . والمفهم لك والمتفهِّم عنك شريكان فى الفضل إلا أن المُفهِّم أفضل من المتفهم ، وكذلك المعلم والمتعلم

هكذا ظاهر هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة ، إلا فى الخاص الذى لا يذكر ، والقليل الذى لا يشهر

وضرب الله مثلا لعيّ اللسان و رداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان وقال تعالى « أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ » ولذلك قال النّمر بن تولب :

أضفت فلم أفحش عليه ولم أقل لأحرمه إن المكان مضيق
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا فهذا صبوح راهن وصديق

هكذا رواية المفضل فى هذا البيت حيث يقول : فهذا صبوح . ورواية الجاحظ فى الأصل أليق وأحكم لاطراد المعنى . راجع القصيدة فى المفضليات بشرحنا

وَكلُّ خَليلٍ عليهِ الرِّعَاثُ　　والحَبلاتُ ضَعِيفٌ مَلِق (١)

وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسقطات الخطل (٢) يوم إطالة الخطبة ، بأعظم مما يحدث عن العى من اختلال الحجة ، وعن الحصر من فوت درك الحاجة ، والناس لا يعيِّرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحَصِر ، ويؤنبون (٣) العَيِيَّ . فان تكلفا مقامات الخطباء ، وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم ، وترادف عليهما التأنيب . ومماتنة العَيِّ الحَصِر للبليغ المصقع (٤) فى سبيل مماتنة المنقطع المفحَم (٥) للشاعر المفلق . وأحدهما ألوم من صاحبه ، والألسنة اليه أسرع . وليس اللَّجْلاج والتمْتَام ، والألْثغ والفأْفاء وذ الحبْسة ، والحُكلة ، والرُّتَّة وذو اللَّفف (٦) والعجلة فى سبيل الحصر فى خطبته ، والعى فى مناضلة خصومه ، كما أن سبيل المفحم عند الشعراء ، والبكيء عند الخطباء ، خلاف سبيل المسهب الثرثار ، والخطِل المكثار

ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التَّشْديق والتَّقْعير والتَّقْعيب (٧) من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف ، وشُنعة التَّزيُّد أعذر من عيّ يتكلف الخطابة ، ومن

---

(١) هذا البيت من كلمة قالها النمر بن تولب حين فركته زوجه جمرة بنت نوفل وتركته ذاهبة إلى زوجها الأول وبعد هذا البيت يقول :

وقامت إلىّ فأحلفتها　　بهدى قلائده تختنق

بأن لا أخونك فيما علمت　　فإن الخيانة شر خلق

والرعاث : الأقراط . والحبلات واحدتها حبلة وهى جنس من الحلى قدر ثمر الطلح

(٢) يعنى الاكثار من الكلام الفاسد .

(٣) التأنيب : اللوم والتعنيف

(٤) المصقع : الجهير الصوت بالخطاب المتدفق بلا تلعثم

(٥) المفحم : هو الذى لا يكاد يندفع في القول حتى يصاب بالبهر والانخام . والمفلق الذي يندفع كالسيل الدافق لايرده شئ

(٦) اللجلاج : الذى يتلجلج فى الكلام . والتمتام الذى يردد لسانه حرفى التاء والميم . والألثغ هو الذى لايستطيع لسانه أن يلفظ حرفى السين والراء وغيرهما . والفأفاء الذى يردد حرف الفاء فى كلامه عيا وحصرا . وكل هذا وما بعده من عيوب المنطق

(٧) التشديق : تكلف البلاغة . والتقعير : تكلف الكلام على مذهب الأعراب : والتقعيب : أن يخرج الكلام وقد جعل فمه كالقعب

حصر يتعرض لأهل الاعتياد والدُّربة . ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف ، وبيانا يمازجه التزيد ، إلا أن تعاطي الحصر المنقوص مقام الدَّرِب التام ، أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ، ومن تشادق الأعرابي القح وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ ، وفي التحبير والارتجال ، انه البحر الذي لا ينزح ، والغمر الذي لا يسبر ، أيسر من انتحال الحصر المنخوب[١] أنه في مِسلاخ[٢] التام الموفر ، والجامع المحكك ، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : « إيَّايَ والتَّشادُقَ » وقال : « أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ الثَّرثارُون المُتَفَيْهِقُونَ » وقال « مَن بدا جَفا » وعاب الفدادين[٣] والمتزيدين في جهارة الصوت ، وانتحال سَعة الأشداق ، ورَحب الغلاصم ، وهَدَل الشفاه . وأعلمنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر ، وفي أهل المدر أقل . فاذا عاب المدريّ بأكثر مما عاب به الوبري ، فما ظنك بالمولد القروي والمتكلف البلدي ؟ فالحصر المتكلف والعيي المتزيد ، ألوم من البليغ المتكلف لأكثر مما عنده ، وهو أعذر ، لأن الشبهة الداخلة عليه أقوى . فمَن أسوأ حالا — أبقاك الله — ممن يكون ألوم من المتشدقين ومن الثرثارين المتفيهقين ، وممن ذكره النبي صلى الله عليه وسلم نصاً ، وجعل النهي عن مذهبه مفسراً ، وذكر مقته له وبغضه إياه ؟ !

ولما علم واصلُ بنُ عَطاءٍ[٤] أنه ألثغ فاحش اللَّثغ ، وأن مُخرج ذلك منه

---

(١) المنخوب : الذي يصاب بالرعدة والبهر حين الكلام .

(٢) في مسلاخ : المسلاخ الجلد . يعني في ثياب التام الموفر وفي زيه

(٣) الفدادون : أصحاب الاصوات المزعجة

(٤) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء ، ويلقب الغزال لجلوسه في سوق الغزالين عند رضيع له يعرف بأبي عبد الله الملالي ، وما كان لزومه لسوق الغزالين إلا ليتصدق على من يغشاه من النساء المتعففات ، وكانت به لثغة في الراء قبيحة . فكان يتجنب الراء في كلامه وخطبه ومحاوراته ، وكان احد شيخي المعتزلة ، وعلماً من اعلامهم ، مدحه بشار بن برد كثيراً ، ثم هجاه لاختلافهما في الرأى . وكانت بينه وبين عمرو بن عبيد احد شيخي المعتزلة في مجلس الحسن البصري مناظرة هامة في مرتكب الكبيرة ، هل هو كافر او فاسق ؟ اخذ عمرو بقول واصل ، وهو المنزلة بين المنزلتين . ولد سنة ٦٩٩ م وتوفي سنة ١٣١ هـ ٧٤٨ م وقد فصلنا مذاهب الاعتزال في كتاب دعوناه « شيوخ المعتزلة ومذاهبهم » ستطبعه قريباً ان شاء الله تعالى

شنيع ، وأنه إذ كان داعية مقالة ، ورئيس نِحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النِّحل ، وزعماء الملل ، وأنه لا بد من مقارعة الأبطال ، ومن الخطب الطوال ، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة ، وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف ، وإقامة الوزن ، وأن حاجة المنطق إلى الطلاوة والحلاوة كحاجته إلى الجلالة والفخامة ، وأن ذلك من أكبر ما تُستمال به القلوب ، وتنثني إليه الأعناق ، وتزين به المعاني .

وعلم وَاصلٌ أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام ، واللسان المتمكن ، والقوة المتصرفة ، كنحو ما أعطى الله نبيه موسى صلوات الله عليه من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابَع النبوة ، ومع المحبة والاتساع فى المعرفة ، ومع هَدْى النبيين وسَمت المرسلين وما يَغْشَيهِمُ الله به من القبول والمهابة ، ولذلك قال بعض شعراء النبي صلى الله عليه وسلم

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدَاهَتُهُ تُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ

ومع ما أعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة ، ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة ، إلى أن حل الله تلك العقدة ، ورفع تلك الحُبسة ، وأسقط تلك المحنة ، ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان ، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حُذيفة — إسقاط الراء من كلامه ، وإخراجها من حروف منطقه ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، ويتأتى لستره والراحة من هُجنته ، حتى انتظم له ما حاول ، واتسق له ما أمل ، ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا ، ولطرافته معلما ، لمَا استجزنا الاقرار به والتأكيد له ، ولست أعنى خطبه المحفوظة ، ورسائله المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيت مُحاجة الخصوم ، ومُناقلة الأكفاء ، ومفاوضة الاخوان

واللثغة بالراء تكون بالغين والذال والياء ، والغين أقلها قبحاً ، وأوجدها فى كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم .

وكانت لثغة محمد بن شَبيب المتكلم بالغين ، فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه خرج الراء . وقد ذكر في ذلك أبو الطروق الضبي فقال :

عَلِيمٌ بإبْدالِ الحُرُوفِ وَقَامِعٌ لِكُلِّ خَطِيبٍ يَغْلِبُ الحقَّ باطله

*وكان وَاصلُ بنُ عطاء قبيحَ اللثغة شنيعها ، وكان طويل العنق جدا ، وفيه قال بشار الأعمى :

مَالِي أُشَايِعُ غَزَّالاً لَهُ عُنُقٌ كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إن وَلَّى وَإنْ مَثَلا (١)

عُنقَ الزَّرَافَةِ مَابَالِي وَبَالُكُمُ أَتُكْفِرُونَ رِجَالاً أكْفَرُوا رَجُلاَ ؟

فلما هجا وَاصلا وصوَّب رأى إبليس في تقديم النار على الطين وقال :

الأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

وكان واصل بن عطاء عزّالا

* هذه الجملة التي وضعتها بين هذين النجمين مضطربة في الأصل وفيها بعض اللبس . لذلك رأيت أن أرويها هنا نقلا عن الأغاني وقد نقلها صاحب الأغاني عن نسخة من كتاب البيان والتبيين . قال : قال الجاحظ : وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة ، ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين ، وذكر ذلك في شعره فقال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

قال : وبلغه عن أبي حذيفة واصل بن عطاء إنكار لقوله وهتف به ، فقال يهجوه :

مالى أشايع غزالا له عنق كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا

عنق الزرافة مابالى وبالكم تكفرون رجالا كفروا رجلا !

قال : فلما تتابع على واصل منه مايشهد على إلحاده خطب به واصل ، وكان ألثغ على الراء فكان يجتنبها في كلامه ، فقال : أما لهذا الأعمى الملحد ، أما لهذا المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في حفله ، ثم كان لايتولى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي

(١) النقنق : الظليم وهو ذكر النعام . والدو : الفلاة . والرجعة : الاعتقاد بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت . وكان في العرب من يرى ذلك المذهب وهو يماثل مذهب قدماء المصريين . وأما البيت الذى قال إن بشارا انشده متمثلا فهو من قصيدة عمرو بن كلثوم التى اولها :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الاندرينا

ومعنى قوله : وما شر الثلاثة . البيت . اي انه ليس هو بشر الثلاثة . ولكن الشاعر المتمثل اراد انه شر الثلاثة .

وزعم ان جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل وعلىٌّ أيضا؟ فأنشد:

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذِى لَا تَصبحِينا

قال وَاصِلُ بنُ عَطاء عند ذلك «أمَا لِهذَا المُلْحِدِ المُشَنَّفِ المكتنى بأبى مَعاذ من يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلَةَ سجية من سجايا الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله فى جوف منزله، وفى يوم حفله، ثم كان لايتولى ذلك منه إلا عُقيلى أو سَدوسى» *

قال أبو حفص عمر بن عثمان الشمَّرى: ألا تريان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا؟ وأنتما للذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه، لاتظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران فى الكلام — ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار، وابن برد، والمُرَعَّث، جعل المُشَنَّفَ بدلا من المرعث، والملحد بدلا من الكافر؟، وقال: إن الغيلَةَ سجية من سجايا الغالية، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية[(١)] لمكان الراء؟ وقال ابعثت إليه من يبعج بطنه، ولم يقل لأرسلت اليه؟ وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه

وكان اذا أراد أن يذكر البُر قال: القمح والحِنطة. والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية. هذا وهو يعلم أن لغة من قال بُر أفصح من لغة من قال قمح أو حِنطة

قال المتنخل الهذلى[(٢)]

لادَرَّ دَرِّىَ إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ قِرْفَ الحَتِيِّ وَعِندِى البُرُّ مَكنُوزُ[(٣)]

(١) المنصورية: هى فرقة من فرق الضلال منسوبة إلى أبى منصور العجلى، وقد شبه نفسه بربه وكان يزعم انه صعد إلى السماء وان الله تعالى مسح بده على رأسه وقال له: يابنى بلغ عنى، ثم أهبطه إلى الأرض على انه الكسف الساقط من السماء. والمغيرية فرقة اخرى منسوبة إلى المغيرة ابن سعيد العجلى. وكان يزعم أن معبوده ذو أعضاء. وان أعضاءه على صور حروف الهجاء
(٢) هو مالك بن عويمر الهذلى، يكنى أبا أثيلة ويلقب المتنخل. كان من فحول شعراء هذيل وفصحائهم
(٣) قرف الحتى: قشر سويق المقل وهو (الدوم)

وقال أمية بن أبي الصلت (١) فى مديح عبد الله بن جُدْعان (٢)

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّ وَآخَرُ فَوْقَ دَارَتِهِ يُنَادِي
إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى عليها لُبَابُ البُرِّ يُلْبَكُ بِالشِّهَادِ (٣)

وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معد يكرب ومقدمه مكة فى كلمة له:

قَيْسٌ أبو الأشعثِ بِطْرِيقُ اليمنْ لايسألُ السائلُ عنه: إبْنُ مَنْ
أشبعَ آلَ اللهِ من بُرٍّ عَدَنْ

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أترون أنى لا أعرف رقيق العيش؟ لُباب البُر بصغار المعزى! وسمع الحسن (٤) رجلا يعيب الفالوذق فقال: لُباب البر بلعاب النحل بخالص السمن؟ ماعاب هذا مسلم! وقالت عائشة رضى الله عنها: ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه البُرَّة السمراء حتى فارق الدنيا

وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب. ولذلك تجد

(١) هو أمية بن أبى الصلت الثقفى. كان على عهد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم. وكان قد نظر فى كتب الأوائل وتعبد لا له ابرهيم واسماعيل وحرم الخمر وشك فى الأوثان والتمس الدين وطمع فى النبوة. فلما بعث الله رسوله بالهدى حسده وبلغ به الحسد إلى الجحود. وكان شاعراً مفوها قال عنه الرواة: انه أشعر اهل المدر. ولما وقعت وقعة بدر طفق يحرض قريشا ويرثى قتلاها المشركين. وهذان البيتان من قصيدة قالها فى عبد الله بن جدعان وقبلهما:

ومالى لا احييه وعندى مواهب يطلعن على النجاد
لابيض من بنى تيم بن كعب وهم كالمشرفيات الحداد
لكل قبيلة هاد ورأس وانت الرأس تقدم كل هاد
له بالخيف قد علمت معد وان البيت يرفع بالعماد

له داع، الخ، مات على غير دين سنة ٢ او ٩ هجرية

(٢) هو عبدالله بن جدعان التيمى القرشى، كان من مشاهير الأجواد، وكان يلقب: حاسى الذهب. لانه كان يشرب فى إناء من الذهب، وكان مبدا امره صعلوكا شريرا فاتكا. فنفاه اهله لكثرة جرائره، فهام فى شعاب مكة فعثر بقبر قديم فيه من الذهب والاحجار الكريمة شيء كثير فنقله الى منزله وصار يبذله فى صالح الاعمال حتى ضرب به المثل فى الجود والسخاء فقيل «اقرى من حاسى الذهب»

(٣) الردح: الجفان الواسعة. الشيزى: نوع من الخشب الأسود تصنع منه الجفان، ولعله النوع الذي تتخذ منه القصاع فى بلادنا. عليها. ويروى بدل: عليها. ملاء. لباب البر: خالصه، وهو الحواري. يلبك بالشهاد: يخلط بالعسل

(٤) هو الحسن البصرى. وقد كتبنا له ترجمة صالحة ستراها فى كتابنا، شيوخ المعتزلة ومذاهبهم.

الاختلاف فى ألفاظ أهل الكوفة والبصره والشام ومصر

وقال : قال أهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر[١] : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم : أنتم تسمون القِدْرَ بُرْمَةً ، وتجمعون البرمة على بِرام ، ونحن نقول: قِدْر ونجمعها على قُدور . وقال الله عز وجل « وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ » وأنتم تسمون البيت عُلِّيَّةً ، وتجمعون هذا الاسم على عَلالى ونحن نسميه غُرفة ؛ ونجمعها على غُرُفَاتٍ وَغُرَف ، وقال الله تبارك وتعالى « غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ » وقال : « وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » وأنتم تسمون الطَّلْعَ الكافور ، والإغْريض ، ونحن نسميه الطلع ، وقال الله عز وجل « وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ » فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا

ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر عَلِقوا بألفاظ من ألفاظهم ؟ ولذلك يسمون البطيخ الخربز ، ويسمون السَّميط[٢] الرودق ويسمون المصوص [٣] المزوز ، ويسمون الشِّطرنج الاشترنج ، الى غير ذلك من الأسماء ؟

وكذا أهل الكوفة فانهم يسمون المِسْحاة [٤] : بال ، و بال بالفارسية ولو علق ذلك لغة أهل البصرة — اذا نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النَّبَطِ وأقصى بلا

(١) هو أبو جعفر محمد بن مناذر ، كان من الموالى : وكان شاعراً فصيحاً مقدماً فى العلم باللغة إماما فيها ، أخذ عنه أكابر أهلها ، وكان فى اول امره يتأله ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف اعراض اهل البصرة حتى نفى عنها إلى الحجاز فمات هناك فى ايام المأمون

(٢) السميط : هو ان يلقى بالحيوان بعد ذبحه فى الماء الحار ثم ينتف عنه صوفه او ريشه او شعره

(٣) المصوص : طعام يتخذ من اللحم فيطبخ ثم ينقع فى الخل

(٤) المسحاة : المجرفة التى يجرف بها الطين والأوحال

العرب ، ويسمى أهل الكوفة الحوك (١) باذروج ، والباذروج بالفارسية ، والحوك كلمة عربية .

وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مَرْبَعَةً ، ويسميها أهل الكوفة الجهارسو ، والجهارسو بالفارسية . ويسمون السوق أو السويقة وازار ، والوازار بالفارسية . ويسمون القِثَّاء خياراً ، والخيار فارسية . ويسمون المجزوم ويذى بالفارسية

وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع إلا فى موضع العقاب ، أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ؟ والناس لايذكرون السغب ، ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر لأنك لاتجد القرآن يلفظ به إلا فى موضع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصة لايفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث . ولفظ القرآن الذى عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الاسماع ، واذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين ، ألا تراه لايجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعا ؟ والجارى على أفواه العامة غير ذلك ، لايتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح فى القرآن إلا فى موضع التزويج .

والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ما هو أقل فى أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر . ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه . وكذلك المثل السائر . وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية فى الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أن العامة إبْنُ القِرِّيَّةِ (٢) أشهر عندها فى الخطابة من سحبان وائل .

(١) الحوك : البقلة الحمقاء (الرجلة)

(٢) ابن القرية هو ايوب بن زيد ، والقرية امه . كان خطيبا لسناً وبينا بليغاً . خرج مع ابن الأشعث وكان يحرض الناس على قتال الحجاج بقوة فصاحته ومتانة بلاغته . ثم اسر وقدم إلى الحجاج فناظره وقتله سنة ٨٤ هـ ٧٠٣ م

وعبيد الله بن الحر(١) أذكر عندهم فى الفروسية ، من زُهَيْرِ بن ذُوَيْبٍ ؟ وكذلك مذهبهم فى عَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادٍ وعُتَيْبَةَ بْنِ الحارِثِ بْنِ شِهَابٍ ، وهم يضربون المثل بِعَمْرِو بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ ولا يعرفون بَسْطامَ بْنَ قَيْسٍ .

وفى القرآن معان لاتكاد تفترق مثل : الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والانس .

قال قُطْرُبٌ : أنشدنى ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو قول الشاعر فى واصل :

وَيَجْعَلُ البُرَّ قَمْحًا فِى تَصَرُّفِهِ ... وَجَانَبَ الرَّاءَ حَتَّى احْتَالَ لِلشِّعَرِ
وَلَمْ يُطِقْ مَطَراً وَالقَوْلُ يُعْجِلُهُ ... فَعَاذَ بِالغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطَرِ

قال : وسألت عُثْمانَ البَرِّىَّ : كيف كان واصل يصنع فى العدد ؟ وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؟ وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان ؟ وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجُمادَى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه قول إلا ما قال صفوانٌ :

مُلَقَّنٌ مُلْهَمٌ فِيمَا يُحَاوِلُهُ ... جَمٌّ خَوَاطِرُهُ جَوَّابُ آفَاقِ

وأنشد أبو محمد اليزيدىُّ :

وَخَلَّةُ اللَّفظِ فى اليَاآتِ إِنْ فُقِدَتْ ... كَخَلَّةِ اللَّفْظِ فِى اللَّامَاتِ وَالأَلِفِ
وَخَصْلَةُ الرَّاءِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ ... فَاعْرِفْ مَوَاقِعَهَا فِى القَوْلِ وَالصُّحُفِ

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها ، والحاجة إليها أشد . واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة ، علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد .

(١) هو ابو الأبرش عبيد الله بن الحر ، كان من اشجع اهل زمانه وكان يضرب به المثل فى القوة وشدة الاسر ، ومع هذا فربما رمى بالحمق .

ذكر ما جاء فى تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه

قال أبو عثمان . فمن ذلك ما أخبرنا به الأصمعى قال : أنشدنى المُعْتَمِرُ بنُ سُلَيمانَ لإسحقَ بنِ سُوَيْدٍ العَدَوِىِّ :

بَرِئْتُ مِنَ الْخَوارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ ... مِنَ الْغَزَّالِ مِنْهُمْ وَابْنِ بَابِ (١)
وَمِنْ قَوْمٍ إذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا ... يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ (٢)
ولَكِنِّى أُحِبُّ بِكُلِّ قَلْبِي ... وأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
رَسُولَ اللهِ وَالصِّدِّيقَ حُبًّا ... بِهِ أَرْجُو غَدًا حُسْنَ المَآبِ (٣)

وفى ذلك قال بشار :

مَالِى أُشَايِعُ غَزَّالًا لَهُ عُنُقٌ ... كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وَإنْ مَثَلا

ومن ذلك قول مَعْدَانَ السُّمَيْطِىِّ :

يَوْمَ تَشْفِى النُّفُوسُ مِنْ يَعْصُرِ اللُّؤْ ... مِ وَيُثْنَى بِسَامَةَ الرَّحَّالِ
وَعَدِىٍّ وَتَيْمِهَا وَثَقِيفٍ ... وَأُمَىٍّ وَتَغْلِبٍ وَهِلَالِ
لَا حَرُورٌ وَلَا النَّوَائِبُ تَنْجُو ... لَا وَلَا صَحْبُ وَاصِلِ الغَزَّالِ

وكان بشار كثير المديح لواصلِ بنِ عَطاء قبل أن يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة (٤) وكان قد قال فى تفضيله على خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة (٥)

---

(١) إبن باب : هو عمرو بن عبيد بن باب احد شيخي المعتزلة وقد كتبنا له ترجمة فى كتابنا شيوخ المعتزلة ومذاهبهم ،

(٢) هؤلاء قوم من الشيعة

(٣) وفى رواية : حسن الثواب

(٤) يعنى ان بشارا هو الذى كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأئمة على مايقال

(٥) كان خالد بن صفوان بن عبد الله بن الاهتم خطيبا بليغا ولسنا مبينا حسن السمر جيد المنادمة ، وكان مبخلا مطلاقا ، كان يقول : اربعة لايطمع فيهن عندى : القرض والفرض والمرس ، وأن أسعى مع أحد فى حاجة ، قيل له : وما يصنع بك بعد هذه ! فقال : الماء البارد وحديث لايناديي وليده ، وقيل له : من احب إخوانك إليك ؟ قال : من سد خللى وغفر زللى وقبل عللى ، وكان يقول : مامن ليلة احب إلي من ليلة قد طلقت فيها نسائي فأرجع والستور قد قلعت ومتاع البيت قد نقل

والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله بن عُمر بن عبد العزيز والى العراق :

أَبَا حُذَيفَةَ قَدْ أُوتِيتَ مُعْجِبَةً ... مِنْ خُطْبَةٍ بَدَهَتْ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرِ

وَإِنَّ قَوْلاً يَرُوقُ الْخَالِدَيْنِ مَعاً ... لَمُسْكِتٌ مُخْرِسٌ عَنْ كُلِّ تَحْبِيرِ (١)

لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم . وقال بشار :

تَكَلَّفُوا الْقَوْلَ وَالأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا ... وَحَبَّرُوا خُطَبًا نَاهِيكَ مِنْ خُطَبِ

فَقَامَ مُرْتَجِلاً تَغْلِى بَدَاهَتُهُ ... كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ لَمَّا حُفَّ بِاللَّهَبِ (٢)

وَجَانَبَ الرَّاءَ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ ... قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالإِغْرَاقِ فِى الطَّلَبِ

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فَهٰذَا بَدِيهٌ لاَ كَتَحْبِيرِ قَائِلٍ ... إِذَا مَا أَرَادَ الْقَوْلَ زَوَّرَهُ شَهْرَا

فلما انقلب عليهم بشار ، ومقاتله لهم بادية ، هجوه ونفوه ، فما زال غائبا حتى مات عَمْرُو بنُ عُبيد . وقال صفوانُ الانصارى :

مَتَى كَانَ غَزَّالٌ لَهُ يَا ابْنَ حَوْشَبٍ ... غُلَامٌ كَعَمْرٍو أَوْ كَعِيسَى بْنِ حَاضِرِ (٣)

فبعث إلىّ بنى بسلة فيها طعامى وبعث إلىّ الاخرى بفراش انام عليه . وقال لبعض الولاة : قدمت فأعطيت كلا بقسط من وجهك وكرامتك حتى كأنك لست من احد او حتى كأنك من كل احد . وسأل عبد الملك الحجاج عن عيبه فتلكأ عليه فأبى إلا ان يخبره فقال : أنا حديد حسود حقود لجوج ذو قسوة . فبلغ هذا الكلام خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشر بحذافيره والمروق من جميع الخير بزوبره ولقد تأنق فى ذم نفسه وتجود فى الدلالة على لؤم طبعه وفى إقامة البرهان على إفراط كفره وشدة المشاكلة لشيطانه الذى اغواه . مات فى عهد السفاح سنة ١٣٣ هـ ٧٥٠ م . واما شبيب ابن شيبة فهو ابو معمر البصرى وكان من بابة خالد بن صفوان فى الفصاحة والبلاغة وقوة العارضة وهو من رهطه . والفضل بن عيسى . هو رأس الفضلية . وهم موالى الرقاشيين . واصلهم من بلاد الفرس وكان اجدادهم خطباء الاكاسرة . وكان الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى خطيباً بليغاً ومتكلما حاذقاً وقاصا بارعا ومفسرا ماهرا ، وكان يحضر مجلسه جماعة من العلماء والفقهاء والمتكلمين واهل الرأى ، وكان المعتمر بن سليمان ولد ابنه سوادة بنت الفضل

(١) الخالدان : يريد بهما خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه . وقد استعمل التغليب على سنة العرب كما يقولون عن ابى بكر وعمر العمران ، وعلى الشمس والقمر القمران

(٢) المرجل : القدر توقد تحتها النار فيكون لها غليان وفوران . والقين : الحداد

(٣) عمرو بن عبيد وابن حاضر : من المتكلمين المعتزلة

أَمَا كَانَ عُثْمَانُ الطَّوِيلُ بْنُ خَالِدٍ … أَوِ القَرْمُ حَفْصٌ نُهْيَةً لِلْمُخَاطِرِ (١)

لَهُ خَلْفَ شَعْبِ الصِّينِ فِي كُلِّ ثُغْرَةٍ … إِلَى سُوسِهَا الأَقْصَى وَخَلْفَ البَرَابِرِ

رِجَالٌ دُعَاةٌ لَا يَفُلُّ عَزِيمَهُمْ … تَهَكُّمُ جَبَّارٍ وَلَا كَيْدُ مَاكِرِ

إِذَا قَالَ: مُرُّوا فِي الشِّتَاءِ، تَطَاوَعُوا … وَإِنْ كَانَ صَيْفًا لَمْ يُخَفْ شَهْرُ نَاجِرِ (٢)

بِهِجْرَةِ أَوْطَانٍ وَبَذْلٍ وَكُلْفَةٍ … وَشِدَّةِ أَخْطَارٍ وَكَدِّ المُسَافِرِ

فَأَنْجَحَ مَسْعَاهُمْ وَأَثْقَبَ زَنْدَهُمْ … وَأَوْرَى بِفَلْجٍ لِلْمُخَاصِمِ قَاهِرِ (٣)

وَأَوْتَادُ أَرْضِ اللهِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ … وَمَوْضِعُ فُتْيَاهَا وَعِلْمِ التَّشَاجُرِ

وَمَا كَانَ سَحْبَانٌ يَشُقُّ غُبَارَهُمْ … وَلَا الشُّدْقُ مِنْ حَيَّيْ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ (٤)

وَلَا النَّاطِقُ النَّخَّارُ وَالشَّيْخُ دَغْفَلٌ … إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالمَخَاصِرِ (٥)

وَلَا القَالَةُ الأَعْلَوْنَ رَهْطُ مُكَحَّلٍ … إِذَا نَطَقُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ العَشَائِرِ (٦)

بِجَمْعٍ مِنَ الجُفَّيْنِ رَاضٍ وَسَاخِطٍ … وَقَدْ زَحَفَتْ بَرّاوُهُمْ لِلْمَحَاضِرِ (٧)

تَلَقَّبَ بِالغَزَّالِ وَاحِدُ عَصْرِهِ … فَمَنْ لِلْيَتَامَى وَالقَبِيلِ المُكَاثِرِ (٨)

وَمَنْ لِحَرُورِيٍّ وَآخَرَ رَافِضٍ … وَآخَرَ مُرْجِيٍّ وَآخَرَ حَائِرِ (٩)

وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْكَارِ مُنْكَرٍ … وَتَحْصِينِ دِينِ اللهِ مِنْ كُلِّ كَافِرِ

---

(١) عثمان الطويل وحفص الفرد : من المتكلمين المعتزلة

(٢) شهر ناجر هو من شهور قلب الصيف عند العرب

(٣) أورى بفلج : اضاء بالظفر والغلب وبلوغ القصد

(٤) الشدق جمع اشدق : يريد بهم فصحاء هذين الحيين وخطباءهم

(٥) النخار بن اوس العذري ودغفل بن حنظلة السدوسي كانا من أشهر نسابي العرب وخطبائهم وكانا اذا قبضا على عصيهما وقاما للخطاب أفحما كل ناطق

(٦) القالة الأعلون : الخطباء فى الشؤون الرفيعة ولا سيما فى الصلح بين العشائر

(٧) قال الجاحظ : الجفان : بكر وتميم . والروقان : بكر وتغلب . والفاران : الأزد وتميم ، قيل ذلك لكل عمارة من الناس ، وهى جمع . والعمائر ايضا : غار . والجف أيضا : قشر الطلعة .

(٨) القبيل المكاثر : يريد به من كاثر بعياله وليس له مال

(٩) الحروري من الحرورية وهم فرقة من الخوارج . والرافض من الشيعة . والمرجئ من المرجئة وهم فرقة من فرق الاسلام

يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ فِي كُلِّ مَنْطِقٍ كَمَا طَبَّقَتْ فِي العَظْمِ مُدْيَةُ جَازِرِ
تَرَاهُمْ كَأَنَّ الطَّيْرَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ عَلَى عِمَّةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي المَعَاشِرِ
وَسِيمَاهُمُ مَعْرُوفَةٌ فِي وُجُوهِهِمْ وَفِي المَشْيِ حجَّاجًا وَفَوْقَ الأَبَاعِرِ
وَفِي رَكْعَةٍ تَأْتِي عَلَى اللَّيْلِ كُلِّهِ وَظَاهِرِ قَوْلٍ فِي مِثَالِ الضَّمَائِرِ
وَفِي قَصِّ هُدَّابٍ وَإِحْفَاءِ شَارِبٍ وَكَوْرٍ عَلَى شَيْبٍ يُضِيءُ لِنَاظِرِ
وَعَنْفَقَةٍ مَصْلُومَةٍ وَلِنَعْلِهِ قِبَالَانِ فِي رُدْنٍ رَحِيبِ الخَوَاطِرِ
فَتِلْكَ عَلَامَاتٌ تُحِيطُ بِوَصْفِهِمْ وَلَيْسَ جَهُولُ القَوْمِ فِي جِرْمِ خَابِرِ

وفى واصل يقول صفوانُ :

فَمَا مَسَّ دِينَارًا وَلَا صَرَّ دِرْهَمًا وَلَا عَرَفَ الثَّوْبَ الَّذِي هُوَ قَاطِعُهْ

وفيه يقول إسباطُ بنُ واصل الشيبانى :

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ سَمَّاكَ وَاصِلًا وَأَنَّكَ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ وَالشِّيَمْ

ولما قام بشار يعذر إبليس فى أن النار خير من الارض ، وذكر واصلا بما ذكره قال صفوان :

زَعَمْتَ بِأَنَّ النَّارَ أَكْرَمُ عُنْصُرًا وَفِي الأَرْضِ تَحْيَا بِالحِجَارَةِ وَالزَّنْدِ (١)
وَيُخْلَقُ فِي أَرْحَامِهَا وَأُرُومِهَا أَعَاجِيبُ لَا تُحْصَى بِخَطٍّ وَلَا عَقْدِ (٢)
وَفِي القَعْرِ مِنْ لُجِّ البِحَارِ مَنَافِعٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ وَالعَنْبَرِ الوَرْدِ
كَذَلِكَ سِرُّ الأَرْضِ فِي البَحْرِ كُلُّهُ وَفِي الغَيْضَةِ الغَنَّاءِ وَالجَبَلِ الصَّلْدِ
وَلَا بُدَّ مِنْ أَرْضٍ لِكُلِّ مُطَيَّرٍ وَكُلِّ سَبُوحٍ فِي الغَمَائِرِ مِنْ جُدِّ (٣)
كَذَاكَ وَمَا يَنْسَاحُ فِي الأَرْضِ مَاشِيًا عَلَى بَطْنِهِ مَشْيَ المُجَانِبِ لِلْقَصْدِ

(١) الزند : العود الذي تقدح به النار
(٢) الأروم : أصول الغابات
(٣) كان فى الأصل : لكل مطهر ، وقد وقفت على رواية تقول : لكل مطير ، فآثرتها لاستقامة المعنى عليها واطراد النسق بها . الغمائر : المياه يعلو بعضها بعضا . من جد . وفى رواية : من خد

وَيَسْرِى عَلَى جِلْدٍ يُقِيمُ حُزُوزَهُ — تَعَمُّجَ ماءِ السيلِ فى صَبَبٍ حَرِدِ (١)

وَفى قُلَلِ الأجْبالِ خَلْفَ مُقَطَّمٍ — زَبَرْجَدُ أَمْلاكِ الوَرَى ساعةَ الحَشْدِ

وَفى الحَرَّةِ الرَّجْلاءِ تَلْقَى مَعادِنًا — لَهُنَّ مَغاراتٌ تَبَجَّسُ بالنَّقْدِ (٢)

مِنَ الذَّهَبِ الإبْرِيزِ وَالفِضَّةِ التى — تَرُوقُ وتُصْبِى ذا القَناعةِ والزُّهْدِ

وَكُلُّ فِلِزٍّ مِن نُحاسٍ وَآنُكٍ — وَمِنْ زِئْبَقٍ حَىٍّ وَنُوشادِرٍ يَسْدِى (٣)

وَفيها زَرانيخٌ وَمَكْرٌ وَمَرْتَكٌ — وَمِن مَرْقَشِيشا غَيْرِ كابٍ وَلا مُكْدِى (٤)

وَفيها ضُرُوبُ القارِ وَالشَّبِّ وَالنُّهَى — وَأَصْنافُ كِبْرِيتٍ مُطاوِلَةِ الوَقْدِ (٥)

تَرَى العِرْقَ مِنْها فى المَقاطِعِ لائِحًا — كَما قَدَّتِ الحَسْناءُ حاشِيَةَ البُرْدِ (٦)

وَمِنْ إِثْمِدٍ جَوْنٍ وَكِلْسٍ وَفِضَّةٍ — وَمِنْ تُوتِياءٍ فى مَعادِنِهِ هِنْدِى (٧)

وَفى كُلِّ أَغْوارِ البِلادِ مَعادِنٌ — وَفى ظاهِرِ البَيْداءِ مِنْ مُسْتَوَى نَجْدِ

وَكُلُّ يَواقيتِ الأَنامِ وَحَلْيِها — مِنَ الأَرْضِ وَالأَحْجارِ فاخِرَةِ المَجْدِ

وَفيها مَقامُ الخِلِّ والرُّكْنُ وَالصَّفا — وَمُسْتَلَمُ الحُجّاجِ مِنْ جَنَّةِ الخُلْدِ

وَفى صَخْرَةِ الخِضْرِ التى عِنْدَ حُوتِها — وَفى الحَجَرِ المُهْمِى لِمُوسَى عَلَى عَمْدِ (٨)

وَفى الصَّخْرَةِ الصَّمّاءِ تَصْدَعُ آيَةٌ — لِأُمِّ فَصيلٍ ذى رُغاءٍ وَذى وَجْدِ (٩)

---

(١) تعمج وتمعج : تلوى . حرد : غير مستقيم فى انحداره

(٢) الحرة الرجلاء : الأرض الخشنة ذات الحجارة السود البركانية . تبجس بالنقد : تتفجر بمعدنى النقد وهما الذهب والفضة .

(٣) الفلز : نحاس أبيض تجعل منه القدور ، وقد يطلق على جواهر الأرض كلها . الآنك : الاسرب

(٤) المكر : طين احمر يصبغ به او هو المغرة . المرتك : الحجر المحرق . ويروى : وفيها روانيخ وشب ومرتب ومن مرقشا . وهذا خطأ وتحريف

(٥) القار : الزفت . النهى . الزجاج . ويروى : وفيها ضروب القار والزفت والمها . والمها جمع مهاة ، والمهاة : البلور

(٦) العرق : اي عروق المعادن فى الارض

(٧) الاثمد الجون : الكحل الأسود . والكلس : الجيرواخلاطه . وتروى : ومن أثمد جوز . ومن تونيا فى معاربها . وكل هذا خطأ وتحريف

(٨) الحجر المهمى : الصخرة التى ضربها موسى بعصاه فهمت اي تفجرت بالماء

(٩) تصدع آية : اي الصخرة التى خرجت منها ناقة ثمود يتبعها فصيلها فى رغاء وحنين

مَفاخِرُ لِلطِّينِ الذى كانَ أَصْلَنا　　وَنَحْنُ بَنُوهُ غَيْرَ شَكٍّ وَلا جَحْدِ
فَذَلِكَ تَدْبيرٌ وَنَفْعٌ وَحِكْمَةٌ　　وأَوْضَحُ بُرْهَانٍ عَلَى الْوَاحِدِ الْفَرْدِ
أَتَجْعَلُ عمرًا وَالنِّطَاسِيَّ واصِلًا　　كَأَتْبَاعِ دَيْصَانٍ وَهُمْ قُمُشُ المَدِّ (١)
وَتَفْخَرُ بالمَيْلاء وَالْعِلْجِ عاصِمٍ　　وَتَضْحَكُ مِنْ جِيدِ الرَّئِيسِ أَبِى جَعْدِ
وَتَحْكِى لَدَى الأَقْوامِ شُنْعَةَ رَأْيِهِ　　لِتَصْرِفَ أَهْوَاءَ النُّفُوسِ إِلَى الرَّدِّ
وَسَمَّيْتَهُ الْغَزَّالَ فِى الشِّعْرِ مُطْنِبًا　　وَمَوْلاكَ عِنْدَ الظُّلْمِ قِصَّتُهُ مُرْدِى (٢)
فَيَا ابْنَ حَلِيفِ الطِّينِ وَاللُّؤْمِ وَالْعَمَى　　وَأَبْعَدَ خَلْقِ اللهِ مِنْ طُرُقِ الرُّشْدِ (٣)
أَتَهْجُو أَبَا بَكْرٍ وَتَخْلَعُ بَعْدَهُ　　عَلِيًّا وَتَعْزُو كُلَّ ذَاكَ إِلَى بُرْدِ ؟
كَأَنَّكَ غَضْبَانٌ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ　　وَطَالِبُ ذَحْلٍ لَا يَبِيتُ عَلَى حِقْدِ (٤)
رَجَعْتَ إِلَى الأَمْصَارِ مِنْ بَعْدِ وَاصِلٍ　　وَكُنْتَ شَرِيدًا فِى التَّهَائِمِ وَالنَّجْدِ
أَتَجْعَلُ لَيْلَى النَّاعِطِيَّةَ نَحْلَةً　　وَكُلَّ عَرِيقٍ فى التَّنَاسُخِ وَالرَّدِّ (٥)
عَلَيْكَ بِدَعْدٍ وَالصَّدُوفِ وَفَرْتَنَى　　وَحَاضِنَتَىْ كِشْفٍ وَزَامِلَتَىْ هِنْدِ (٦)
تُوَاثِبُ أَقْمَارًا وَأَنْتَ مُشَوَّهٌ　　وَأَقْرَبُ خَلْقِ اللهِ مِنْ شِبْهِ الْقِرْدِ

---

(١) ديصان : كان راس فرقة من المجوس يقولون بأصلين للوجود : النور والظلمة ، وان النور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلمة تفعل الشر طبعا واضطرارا . وقد انتحل هذه النحل فئة من الموالى فى الاسلام

(٢) قال الجاحظ : يقول إن مولاك ملاح ، لأن الملاحين إذا ظلموا رفعوا المدارى

(٣) حليف الطين : يقول إن بردا أبا بشار كان طيانا

(٤) الذحل : الثأر

(٥) ليلى الناعطية : امرأة من نساء الغالية كانت على عقل وتدبير وحرص شديد ولها حكايات فى البخل طريفة طالما تندر بها الجاحظ . نحلة : يعنى أتزعم يا بشار أن ليلى تحمل روح نحلة من طريق التناسخ لما عرفت فيها من التدبير والتعقل ؟ والتناسخ انتقال الروح من جسم الى جسم ، وهو مذهب براهمة الهند وقد انتحله طائفة من الموالى فى الاسلام .

(٦) دعد وأخواتها اسماء قيان من أهل الهوى

ولذلك قال فيه حمّادُ عجْرَدٍ (١) بعد ذلك :

وَيَا أقْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إذَا مَا عَمِيَ القِرْدُ

ويقال أنه لم يجزع من شيء قط جزعه من هذا البيت .

وذكره الشاعر وذكر أخويه لأمه فقال :

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الأُكَيْمِهِ أعْرَجًا وَآخَرَ مَقْطُوعَ القَفَا نَاقِصَ العَضْدِ

وكانوا ثلاثة مختلفي الآباء، والأم واحدة، وكلهم وُلِدَ زَمِناً . ولذلك قال بعض من يهجوه :

إذَا دَعَاهُ الخَالُ أقْعَى وَنَكَصْ وَهُجْنَةُ الإقْرَافِ فِيهِ بِالحَصَصْ (٢)

وقال الشاعر :

لا تَشْهَدَنَّ بِخَارِجِيٍّ مُطْرِفٍ حَتَّى تَرَى مِنْ نَجْلِهِ أفْرَاسَا (٣)

وقال صفوان الانصارى فى بشار وأخويه ، وكان يخاطب أمهم :

وَلَدْتِ خُلْدًا وَذِيخًا فِي تَشَتُّمِهِ وَبَعْدَهُ خُزَزًا يَشْتَدُّ فِي العَضْدِ (٤)

ثَلاثَةٌ مِنْ ثَلاثٍ فَرَّقُوا فِرَقًا فَاعْرِفْ بِذَلِكَ عِرْقَ الخَالِ مِنْ وَلَدِ

وقال بعد ذلك سليمان الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر ، فى اعتذار بشار لابليس ، وهو يخبر عن كرم خصال الأرض :

لا بُدَّ لِلأرْضِ إنْ طَابَتْ وَإنْ خَبُثَتْ مِنْ أنْ تُحِيلَ إلَيْهَا كُلَّ مَغْرُوسِ

وَتُرْبَةُ الأرْضِ إنْ جِيدَتْ وَإنْ قُحِطَتْ فَحَمْلُهَا أبَدًا فِي إثْرِ مَنْفُوسِ (٥)

---

(١) حماد عجرد : شاعر معروف من أهل العبث والمجون ، له فى بشار وغيره أهاج كثيرة . وكان جيد الشعر حسن التوليد فى الهجو .

(٢) أقعى : قعد على مؤخره كما يقعد الكلب . ونكص : تراجع استخذاء وخجلا لانحطاط أصله من جهة امه . وهجنة الاقراف : انحطاطه من جهة ابيه خصلة ظاهرة فيه ايضا

(٣) الخارجي من الخيل : الغير معروف نسبه . والمطرف : الكريم الأصل

(٤) قال الجاحظ : الخلد ضرب من الجرذان يولد اعمى . والذيخ ذكر الضباع وهو اعرج . والخزز ذكر الأرانب وهو قصير اليدين لايلحقه الكلب فى الصيد .

(٥) جيدت : اصابها الجود وهو الغيث . منفوس : مولود

وَبَطْنُهَا بِفِلِزِّ الأَرْضِ ذُو خَبَرٍ ... بِكُلِّ جَوْهَرَةٍ فِى الأَرْضِ مَرْمُوسِ (١)

وَكُلُّ آنِيَةٍ عَمَّتْ مَرَافِقُهَا ... وَكُلُّ مُنْتَقَدٍ فِيهَا وَمَلْبُوسِ (٢)

وَكُلُّ مَا عُونِهَا كَالْمِلْحِ مِرْفَقَةٌ ... وَكُلُّهَا مُضْحِكٌ مِنْ قَوْلِ إِبْلِيسِ

وقال بعض خلفاء بغداد :

عَجِبْتُ مِنْ إِبْلِيسَ فِى كِبْرِهِ ... وَخُبْثِ مَا أَبْدَاهُ مِنْ نِيَّتِهْ

تَاهَ عَلَى آدَمَ فِى سَجْدَةٍ ... وَصَارَ قَوَّاداً لِذُرِّيَّتِهْ

وذكره بهذا المعنى سليمان أخو مسلم الأنصارى فقال :

يَأْبَى السُّجُودَ لَهُ مِنْ فَرْطِ نَخْوَتِهِ ... وَقَدْ تَحَوَّلَ فى مِسْلَاخِ قَوَّادِ (٣)

وقال صفوان ، فى شأن واصل و بشار ، وفى شأن النار والطين ، فى كلمة له :

وَفى جَوْفِهَا لِلْعَبْدِ أَسْتَرُ مَنْزِلِ ... وَفى ظَهْرِهَا يَقْضِى فَرَائِضَهُ الْعَبْدُ

تَمُجُّ لُفَاظَ الْمِلْحِ مَجًّا وَتَصْطَفِى ... سَبَائِكَ لَا تَصْدَى وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ (٤)

وَلَيْسَ بِمُحْصٍ كُنْهَ مَافى بُطُونِهَا ... حِسَابٌ وَلَا خَطٌّ وَإِنْ بَلَغَ الْجُهْدُ

فَسَائِلْ بِعَبْدِ اللّٰهِ فى يَوْمِ حَفْلِهِ ... وَذَاكَ مَقَامٌ لَا يُشَاهِدُهُ وَغْدُ (٥)

أَقَامَ شَبِيبٌ وَابْنُ صَفْوَانَ قَبْلَهُ ... بِقَوْلِ خَطِيبٍ لَا يُجَانِبُهُ الْقَصْدُ (٦)

وَقَامَ ابْنُ عِيسَى ثُمَّ قَفَّاهُ وَاصِلٌ ... فَأَبْدَعَ قَوْلًا مَا لَهُ فى الْوَرَى نِدُّ (٧)

فَمَا نَقَصَتْهُ الرَّاءُ إِذْ كَانَ قَادِراً ... عَلَى تَرْكِهَا وَاللَّفْظُ مُطَّرِدٌ سَرْدُ

(١) قال الجاحظ : الفلز جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك • مرموس : مدفون

(٢) وكل منتقد : كل مال مسكوك من الذهب او الفضة ، وهو النقد

(٣) مسلاخ قواد : زى ربوث

(٤) تمج لفاظ الملح : ترمى به كأنه شىء لاقيمة له • وتصطفى : تختار وتمسك فى جوفها يعنى الأرض • سبائك : قطع الذهب ، والذهب لايعلوه الصدا مهما طال مكثه فى التراب

(٥) هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وكان قد ولى العراق • مات فى حبس مروان بن محمد • الوغد : الدنىء

(٦) هما شبيب بن شيبة وخالد بن صفوان • لا يجانبه القصد : بلازم الصواب •

(٧) هو الفضل بن عيسى الرقاشى

فَضَّلَ عَبْدُ اللهِ خُطْبَةَ واصِلٍ وَضُوعِفَ فى قَسْمِ الصِّلاتِ له الشُّكْدُ[1]
فأَقْنَعَ كلَّ القَوْمِ شُكْرُ حِبائِهِمْ وقَلَّلَ ذاكَ الضَّعْفَ فى عَيْنِهِ الزُّهْدُ

***

قد كتبنا احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزالا ، واحتجاج من دفع ذلك عنه . ويزعم هؤلاء أن قول الناس : واصل الغزال ، كما يقال : خالد الحذاء[2] وكما يقولون: هشام الدستوائى[3] وإنما قيل ذلك لأن الأباضية[4] كانت تبعث اليه من صدقاتها بثياب دستوانية ، فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالحباب ، فأجابوه إلى قول الاباضية ، وكانوا قبل ذلك لا يزوجون الهجناء[5] فأجابوه إلى التسوية وزوجوا هجيناً . فقال الهجينُ فى ذلك :

إنَّا وَجَدْنا دَسْتَوَانِينا أَلصَّائِمِينَ المُتَعَبِّدِينا
أفضَلَ مِنْكُمْ حَسَباً وَدِيناً أَخْزَى الإِلٰهُ المُتَكَبِّرِينا
أَفِيكُمُ مَنْ يُنْكِحُ الهَجِينا ؟

وإنما قيل ذلك لواصل لكثرة جلوسه فى سوق الغزالين إلى أبى عبد الله مولى قطَن الهلالى ، وكذلك كانت حال خالد الحذاء الفقيه ، وكما قالوا : أبو مسعود البدرى لأنه كان نازلا على ذلك الماء ، وكما قالوا : أبو مالك السُّدىّ لأنه كان يبيع الخُمُرَ[6] فى سُدَّةِ المسجد

(١) الشكد : الشكر والعطاء

(٢) هو ابو المبارك خالد بن مهران مولى آل عبد الله بن عامر . ولم يكن حذاء ولكنه كان يجلس الى الحذائين ، وقيل انه إنما لقب الحذاء لانه كان يتكلم ثم يقول احذ علي هذا الحديث لانه كان من المحدثين . مات سنة ١٤١ هـ

(٣) هو هشام بن ابى عبد الله سنبر مولى بنى سدوس . كان من افاضل القدرية . مات سنة ١٥٤ هـ

(٤) هم فرقة من الخوارج رأسهم عبد الله بن إباض ، خرج فى أيام مروان بن محمد ، ولهم آراء غريبة فى تكفير مخالفيهم من المسلمين

(٥) الهجناء جمع هجين ، والهجين من أبوه عربى وأمه أمة

(٦) الخمر جمع خمار ، وهو ما تغطى المرأة به رأسها

وهذا الباب مستقصى فى كتاب الاسماء والكنى . وقد ذكرنا جملة منه فى أبناء السرارى والمهيرات [١]

قال أبو عثمان :

ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها

وهى أربعة أحرف : ألقاف والسين واللام والراء . فأما التى هى على الشين المعجمة فذلك شيء لايصوره الخط ، لأنه ليس من الحروف المعروفة ، وإنما هو مخرج من المخارج ، والمخارج لاتحصى ولا يوقف عليها . وكذلك القول فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، وليس ذلك فى شيء أكثر منها فى لغة الخُوز. وفى سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير ، فمن يستطع أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة [وهى] الحروف التى تظهر من فم المجوسى اذا ترك الافصاح عن معانيه ، وأخذ فى باب الكناية وهو على الطعام ؟

فاللثغة التى تعرض للسين تكون ثاء ، كقوله لأبى يكسوم : أبى يكثوم ، وكما يقولون : بُثرة إذا أرادوا بسرة ، و بِاثم الله إذا أرادوا بسم الله

والثانية اللثغة التى تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاء ، فإذا أراد أن يقول: قُلت له ، قال : طُلت له . وأراد أن يقول : قال لى ، قال : طال لى

وأما اللثغة التى تقع فى اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : اعتللت ، اعتييت . و بدل جمل ، جمى . وآخرون يجعلون اللام كافا كالذى عرض لعمر أخى هلال ، فانه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة فى هذا ؟ قال ما الكِعَّةُ فى هذا ؟

فاما اللثغة التى تقع فى الراء فإن عددها يضعف على عدد لثغة اللام ، لأن الذى يعرض لها أربعة أحرف : فمنهم من إذا أراد أن يقول : عمرو ، قال : عمى ، فيجعل الراء ياء . ومنهم من إذا أراد أن يقول : عمرو ، قال : عمغ ، فيجعل الراء غينا .

---

(١) المهيرات : الجوارى الحرائر

ومنهم من إذا أراد أن يقول : عمرو ، قال : عمذ . فيجعل الراء ذالا . وإذا أنشد قول الشاعر :

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدْ[١]

قال : وَاستبدت مذة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

فمن هؤلاء على بن جنيد بن فريدى .

ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة ، فيقول إذا أنشد هذا البيت :

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

قال : واستبدت مظة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة ، فإذا أراد أن ينشد هذا البيت :

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

قال : واستبدت مغة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

كما أن الذى لثغته بالياء إذا أراد أن يقول : واستبدت مرة واحدة ، قال : واستبدت مية واحدة .

وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمان بن يزيد العدوى الشاعر ، فليس إلى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التى تعرض فى الشين كنحو ما كان لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر ، فان تلك أيضا ليس لها صورة فى الخط ترى بالعين ، وإنما يصورها اللسان وتتأدى إلى السمع . وربما اجتمعت فى الواحد لثغتان فى حرفين ، كنحو لثغة شوشى صاحب عبد الله بن خالد

---

(١) هذا البيت لعمر بن ابى ربيعة من كلمة له اولها :

ليت هندا انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد

واستبدت البيت ، وبعده :

ولقد قالت لجارات لها ذات يوم وتعرت تبترد

اكما ينعتنى تبصرننى عمركن الله ام لا يقتصد

فتهانفن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تود

حسدا حملنه من اجلها وقديما كان فى الناس الحسد

الأموى ، فانه كان يجعل اللام ياء والراء ياء ، قال مرة مَو يَاىَ وِيِ ايِّ ، يريد مولاى ولى الرى .

واللثغة فى الراء إذا كانت بالياء فهى أحقرهن وأوضعهن لذى المروءة ، ثم التى على الظاء ، ثم التى على الذال . فأما التى على الغين فهى أيسرهن . ويقال أن صاحبها لو جهد نفسه جهده وأحدّ لسانه وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها ، لم يكن بعيدا من أن تجيبه الطبيعة و يؤثر فيها ذلك التعهد أثرا حسنا. وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين ، وكان إذا شاء أن يقول : عمر ولعمرى ، وما أشبه ذلك على الصحة قاله ، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهرا واحداً إن لسانك كان يستقيم .

أما من يعتريه اللثغ فى الضاد ربما اعتراه أيضا فى الصاد والراء ، حتى إذا أراد أن يقول : مضر ، قال مضى . فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى .

وزعم ناس من العوام أن موسى صلوات الله وسلامه عليه كان ألثغ ، ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له فى شى بعينه . فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم أنه إنما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون لا تقتل طفلا لا يفرق الجمر من التمر. فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فأهوى بها إلى فيه ، فاعتراه من ذلك ما اعتراه .

وأما : اللثغة فى الراء فتكون فى الياء والذال والغين وهى أقلها قبحا وأوجدها فى ذى الشرف وكبار الناس و بلغائهم وأشرافهم وعلمائهم .. وكان الواقدى يروى عن بعض رجاله أن لسان موسى عليه السلام كانت عليه شامة فيها شعرات. وليس يدل القرآن على شىء مما قالوا ، لأنه ليس فى قوله « وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى » دليل على شيء دون شى.

قال الاصمعى : إذا تتعتع اللسان فى التاء فهو تمتام ، وإذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء ، وأنشد لرؤبة بن العجاج :

يا حَمْد ذاتِ المَنْطِقِ التِّمْتَامِ كأنَّ وَسْوَاسَكَ فى اللَّمَامِ
حَدِيثُ شيطَانِ بَنِى هَمَّامِ

وبعضهم ينشد : يا حمد ذات المنطق النمنام[١]. وليس ذلك بشىء، وإنما ذلك كما قاله أبو الزحف :

لَسْتُ بِفَأْفَاءٍ وَلاَ تَمْتَامِ وَلاَ كَثِيرِ الْهُجْرِ فى المَنَامِ[٢]

وأنشد أيضاً للخولانى فى كلمة له :

إنَّ السِّيَاطَ تَرَكْنَ لِاسْتِكَ مَنْطِقاً كمَقَالَةِ التَّمْتَامِ لَيْسَ بِمُعْرِبِ

فجعل الخولانى التمتام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته .

وقال أبو عبيدة : إذا أدخل الرجل بعض كلامه فى بعض فهو أَلَفُّ ، وقيل : بلسانه لَفَفٌ ، وأنشدنى لأبى الزحف الراجز :

كأنَّ فِيهِ لَفَفاً إذَا نَطَقْ مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وَهَمٍّ وَأرَقْ

كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف فى لسانه . وكان يزيد بن جابر قاضى الأزارقة[٣] بعد المُقَعْطَل يقال له الصموت ، لأنه لما طال صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يبين . وأخبرنى محمد بن الجهم أن مثل هذا اعتراه أيام محاربة الزُّطِّ[٤] من طول التفكر ولزوم الصمت . قال وأنشدنى الأصمعى :

حَدِيثُ بَنِى زُطٍّ إذَا مَا لَقِيتَهُمْ كنَزْوِ الدَّبَى فى العَرْفَجِ المُتَقَارِبِ[٥]

قال ذلك حين كان فى كلامهم عجلة . وقال سَلَمَةُ بنُ عَيَّاشٍ :

كأنَّ بنى رَالاَنَ إذْ جاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيجُ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيقُ

(١) النمنام : المزخرف المحسن
(٢) الهجر : الهذيان
(٣) الأزارقة : فرقة من الخوارج رأسهم نافع بن الأزرق
(٤) الزط : قوم من الهند خرجوا على الناس فى عهد الدولة العباسية
(٥) النزو : الوثب . الدبى : صغار الجراد . العرفج : شجر سهلى

فقال ذلك لرقة أصواتهم وعجلة كلامهم . وقال اللَّهبي فى اللجلاج :

لَيْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ بِاللَّجْلَاجِ   وَلَا الَّذِى يَزْحَلُ كَالْهِلْبَاجِ (١)

وَرُبَّ بَيْدَاءَ وَلَيْلٍ دَاجِ   هَتَكْتُهُ بِالنَّصِّ وَالْإِدْلَاجِ (٢)

وقال محمد بن سَلَّام الجُمَحِيُّ : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا رأى الرجل يتلجلج فى كلامه قال : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد . ويقال فى لسانه حُبْسَةٌ ، إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء . ويقال فى لسانه لُكْنَةٌ ، إذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول . فإذا قالوا فى لسانه حُكْلَةٌ فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال .

وقال رؤبة بن العجاج (٣) .

لَوْ أَنَّنِى أُوتِيتُ عِلْمَ الْحُكْلِ   عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ

وقال محمد بن ذُؤَيْبٍ (٤) فى مديح عبد الملك بن صالح :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً   تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوَادُهَا (٥)

وقال التَّيمى فى هجائه لبنى تغلب :

وَلَكِنَّ حُكْلًا لَا تُبِينُ وَدِينُهَا   عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبَرَانِسُ

قال سُحَيْمُ بنُ حَفْصٍ فى الخطيب الذى تعرض له النحنحة والسعلة ، وذلك إذا انتفخ سَحره ، وكبا زنده ، ونبا حده ، فقال :

---

(١) يزحل : يزول . الهلباج : الاحمق القدم الجامع لصنوف الشر

(٢) النص والادلاج : السير الشديد فى اول الليل .

(٣) هو رؤبة بن العجاج التميمى ، كان من رجاز الاسلام وفصحائهم والمقدمين منهم وهو من مخضرمى الدولتين نزل البصرة ومدح بنى امية وبنى العباس . واخذ عنه وجوه اهل اللغة واقتدوا به واحتجوا بشعره وجعلوه إماما . مات في عهد ابى جعفر المنصور سنة ١٤٥

(٤) هو محمد بن ذؤيب العمانى البصرى ، كان شاعراً راجزاً ، وكان لطيفاً داهيا مقبولا ، اوصله عبد الملك بن صالح إلى الرشيد فأفاد منه مالا جزيلا

(٥) الحكل : الذر . تساود : تسارر . والسواد والسرار .

نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْإِهْمَالِ وَمِنْ كَلَالِ الغَرْبِ فِى الْمَقَالِ (١)
وَمِنْ خَطِيبٍ دَائِمِ السُّعَالِ

وأنشدنى الأعرابى :

إِنَّ زِيَادًا لَيْسَ بِالْبَكِىِّ وَلَا بِهَيَّابٍ كَثِيرِ الْعِىِّ

وأنشدنى بعض أصحابنا :

نَادَيْتُ هَيْذَانَ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَمِثْلُ هَيْذَانَ سَنَّى فَتْحَةَ الْبَابِ (٢)
كَالْهِنْدُوَانِىِّ لَمْ تَفْلُلْ مَضَارِبُهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَّابِ (٣)

وقال الآخر : إِذَا اللهُ سَنَّى عَقْدَ شَىْءٍ تَيَسَّرَا

وقال بِشْرُ بن مُعْتَمِر فى مثل ذلك :

وَمِنَ الْكَبَائِرِ مِقْوَلٌ مُتَتَعْتِعٌ جَمُّ التَّنَحْنُحِ مُتْعَبٌ مَبْهُورُ (٤)

وذلك أنه شهد رِيسَانَ أبا بُجَيْر بن رِيسَانَ يخطب ، وقد شهدت أنا هذه الخطابة ولم أر جبانًا قط أجرأ منه ولا جريئًا قط أجبن منه .

وقال الأَسَلُ الأزرقُ — من بعض أخوال عِمْران بن حِطَّانَ الصُّفْرى القَعَدىّ — فى زيدِ بن جُنْدَبٍ الإيادى خطيب الأزارقة ، واجتمعا فى بعض المحافل ، فقال بعد ذلك الأَسَلُ البَكْرِىُّ :

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلْ لَمَّا رَأَى وَقْعَ الْأَسَلْ (٥)
وَيْلُمِّهِ إِذَا ارْتَجَلْ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلْ (٦)

---

(١) الغرب : الحد

(٢) سنى : يسر وسهل

(٣) الهندوانى : السيف الصقيل . لم تفلل : لم تثلم . غير وجاب : ليس بالجبان

(٤) متتعتع : ثقيل مضطرب . جم : كثير . مبهور : متحير

(٥) الأسل : الرماح

(٦) ويلمه : هى كلمة إعجاب، بمعنى ماأجوده وأدهاه

وقد ذكر الشاعر زيدُ بن جُندب الايادىّ الخطيب الأزرقى فى مرثيته لأبى دُؤادِ بن جَريرِ الإيادى حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد فقال :

كقُسِّ إيادٍ أوْ لَقيطِ بْنِ مَعْبَدٍ … وَعُذْرَةَ وَالمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدَب

وزيد بن جُندب هو الذى يقول فى الاختلاف الذى وقع بين الأزارقة :

قُلْ لِلمُحِلِّينَ قَدْ قَرَّتْ عُيُونُكُمُ … بِفُرْقَةِ القَوْمِ وَالبَغْضَاءِ وَالهَرَبِ (١)

كُنَّا أُنَاساً عَلَى دِينٍ فَفَرَّقَنَا … قَرْعُ الكَلامِ وَخَلْطُ الجِدِّ بِاللَّعِبِ (٢)

مَا كَانَ أَغْنَى رِجَالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ … عَنِ الجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الخُطَبِ

إِنّى لأَهْوَنُكُمْ فِى الأَرْضِ مُضْطَرَباً … مَالِى سِوَى فَرَسِى وَالرُّمْحِ مِنْ نَشَبِ (٣)

وأما عُذرةُ المذكور فى البيت الأول فهو عُذْرَةُ بن حُجَيْرة الخطيب الايادى ، ويدل على قدره فيهم ، وعلى قدره فى اللَّسَن والخطب ، قول شاعرهم :

وَأَىُّ فَتًى صَبْرٌ عَلَى الأَيْنِ وَالظَّمَا … إِذَا اعْتَصَرُوا لِلَّوحِ مَاءَ فَظَاظِهَا (٤)

إِذَا ضَرَّجُوهَا سَاعَةً بِدِمَائِهَا … وَحُلَّ عَنِ الكَوْمَاءِ عَقْدُ شِظَاظِهَا (٥)

فَإِنَّكَ ضَحَّاكٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ … وَأَنْطَقُ مِنْ قُسٍّ غَدَاةَ عُكَاظِهَا (٦)

إِذَا شَعَبَ المَوْلَى مَشَاعِبُ مَعْشَرٍ … فَعُذْرَةُ فِيهَا آخِذٌ بِكِظَاظِهَا (٧)

---

(١) المحلون : المتهكون للحرمات ، وكانوا يلقبون عبد الله بن الزبير وأصحابه المحلين

(٢) كان فى الأصل : فرع . ولعله تحريف قرع ، وهو قرع الكلام بعضه ببعض فى الجدل والخصومات

(٣) النشب : المال

(٤) صبر : جلد صبور . الاين : الاعياء من السير الطويل الشاق . اعتصروا . من العصر ، وهو استخراج الماء . اللوح : العطش . الفظاظ : ماء الكرش يعتصر ويشرب فى المفاوز

(٥) ضرجوها ، يعنى إذا أعياهم العطش فى المفازة ذبحوا الناقة الكوماء العظيمة لاعتصار ماء كرشها . الشظاظ : عود رقيق كانوا يضعونه فى أنف الناقة ليمنعها من الاجترار

(٦) هو قس بن ساعدة الايادى خطيب العرب ونذيرها . سمعه النبى وهو صغير يخطب فى عكاظ وروى كلامه ، وكفى بذلك شرفا . طال عمره حتى اختلف الرواة فى تحديد مدته فمنهم من جعلها ٣٨٠ ومنهم من جعلها ٧٠٠ وزعم بعضهم أنه أدرك سمعان أحد حوارى المسيح . وعندى ان كل هذا رجم بالغيب . مات سنة ٦٠٠ م . وعكاظ سوق من أسواق العرب مشهورة

(٧) شعب : فرق . آخذ بكظاظها : مالك أمرها قابض على أزمتها

فلم يضرب هذا الشاعر الايادى، المثل لهذا الخطيب الإيادى، إلا برجل من خطباء إياد، وهو قُسُّ بن سَاعِدة. ولم يضرب صاحب مرثية أبى دُؤاد بن جَرير الايادى المثل إلا بخطباء إياد فقط، ولم يفتقر إلى غيرهم..

وأول هذه المرثية قوله:

نَعى ابْنَ جَرِيرٍ جَاهِلٌ بِمُصَابِهِ ... فَعَمَّ نِزَارًا بِالْبُكَا وَالتَّحَوُّبِ (١)

نعاهُ لَنا كاللَّيْثِ يَحْمِى عَرِينَهُ ... وَ كالْبَدْرِ يَغْشَى ضَوْءُهُ كلَّ كَوْكَبِ (٢)

وَأَصْبَرَ مِنْ عَودٍ وَأَهْدَى إِذَا سَرَى ... مِنَ النَّجْمِ فى دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبِ (٣)

وَأَضْرَبُ مِنْ حَدِّ السِّنَانِ لِسانُهُ ... وَأَمْضَى مِنَ السَّيْفِ الْحُسَامِ الْمُشَطَّبِ

زَعِيمُ نِزَارٍ كلِّها وَخَطِيبُهَا ... إِذَا قَالَ طَاطَا رَأْسَهُ كلُّ مِشْغَبِ (٤)

سَلِيلُ قُرُومٍ سَادَةٍ ثُمَّ قَالَةٍ ... يَبُزُّونَ يَوْمَ الْجَمْعِ أَهْلَ الْمُحَصَّبِ (٥)

كَقُسِّ إِيَادٍ أَوْ لَقِيطِ بْنِ مَعْبَدٍ ... وَعُذْرَةَ وَالْمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدَبِ (٦)

فى كلمة له طويلة..

قال أخبرنى محمد بن عَبَّاد بن كاسب ـ كاتب زُهير ومولى بجيلة من سبى دابق ـ وكان شاعراً راوية وطلاّبة للعلم علامة ـ قال: سمعت أبا دُؤاد بن جَرير يقول ـ وقد جرى شىء من ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه (٧) وصعوبة ذلك المقام وأهواله ـ فقال «تخليص المعانى رِفق، والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق من

---

(١) التحوب: التحزن والتوجع

(٢) العرين: مأوى الليث

(٣) العود: الجمل وهو معروف بشدة الصبر على العطش وطول السير. غيهب: مظلم

(٤) مشغب: كثير الشغب

(٥) القروم: السادة العظماء. قالة: يحسنون القول ويجيدون الكلام. يبزون: يسكتون ويغلبون. المحصب: موضع رمى الجمار فى الحج.

(٦) صاحب الاغانى يسميه لقيط بن معمر. وهو شاعر جاهلى قديم عرف بقصيدته التى أنذر بها قومه غزو الفرس لهم

(٧) اقتضابه: ارتجاله وحذف فضوله

غير أهل البادية بُغض، والنظر فى عيون الناس عِى، ومس اللحية هُلك، والخروج مما بُنى عليه أول الكلام إسهاب» وسمعته يقول: رأس الخطابة الطبع وعمودها الدُّربة(١) وجناحاها رواية الكلام، وحَليها الاعراب(٢) وبهاؤها تخير اللفظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه» وأنشدني بيتاً له فى صفة خطباء إياد وهو قوله:

يَرْمُونَ بالْخُطَبِ الطِّوَالِ وَتَارَةً ... وَحْىَ المَلاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَباءِ(٣)

فذكر المبسوط فى موضعه، والمحذوف فى موضعه، والموجز، والكناية، والوحى باللحظ، ودلالة الاشارة. وأنشدنى له الثقة فى كلمة له معروفة:

أَلْجُودُ أَخْشَنُ مَسًّا يا بَنِى مَطَرٍ ... مِنْ أَنْ تَبَزَّكُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلِبِ(٤)

مَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَدْفَعَةٌ ... لِلذَّمِّ لَكِنَّهُ يَأْتِى عَلَى النَّشَبِ(٥)

قال. ثم لم يحفل بها(٦) فادعاها مسلِمُ بْنُ الوليد الأنْصارِى(٧) أو أدعيت له، وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الكلام.

وفى الخطباء من يكون شاعراً، ويكون إذا تحدّث أو وصف أو احتج بليغاً مفوَّهاً بيِّناً، وربما كان خطيباً فقط، وشاعراً فقط، وبَيِّن اللسان فقط.

ومن الشعراء الخطباء الأبيناء(٨) الحكماء: قس بن ساعدة الأيادى.

---

(١) الدربة: الممارسة والاعتياد

(٢) وحليها الاعراب: وزينتها الافصاح

(٣) الوحى: الاشارة بالمعانى الخفية

(٤) بنو مطر من شيبان، ومنهم معن بن زائدة ويزيد بن مزيد ممدوح مسلم بن الوليد. وكانا مشهورين بالشجاعة والكرم، فهو يقول لهم إن الجود صعب المنال على غيركم. تبزكموه: تنتزعه منكم

(٥) النشب المال. وهو كقول المتنبي: الجود يفقر والاقدام قتال

(٦) لم يحفل بها، لم يبل ولم يعن.

(٧) لم أرها فى ديوان مسلم

(٨) الابيناء: هم الذين يحسنون الابانة عما يخالج نفوسهم من الأغراض والمعاني ويجيدون الافصاح عن مستكنات ضمائرهم

والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم . ومن يجمع الخطابة والشعر قليل .
ومنهم عَمرُو بنُ الأهتَمِ المِنقَرِيُّ ، وهو المُكحَّلُ . قالوا : كأن شعره فى مجالس الملوك حلل منشرة . قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : قيل للأوسية [1] أىُّ منظر أحسن ؟ قالت : قُصورٌ بيضٌ فى حدائق خضر . فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب بيت عدِيِّ بن زيدٍ العِبادِى [2] .

(١) الأوسية : هي امرأة من الاوس

(٢) هو عدي بن زيد العبادي ، شاعر حضري جاهلي ، وكان كاتب النعمان بن المنذر وله معه خطوب واحداث . مات سنة ٥٨٧ م وهذا البيت من قصيدة له بعث بها الى النعمان ، وهي من غرر قصائده ولذلك اثبتناها هنا وهي :

ارواح مودع ام بكور لك فاعمد لاي حال تصير
وسطه كاليراع او سرج المجد ل حينا يخبو وحينا ينير
مثل نار الحراض يجلو ذري المز ن لمن شامه إذا يستطير
مرح وبله يسح سيوب الما ء سحا كأنه منحور
زجل عجزه يجاوبه دف لخوان مأدوبة وزمير

كدمي العاج ، البيت .

زانهن الشفوف ينضحن بالمسـ ك وعيش مفانق وحرير
ويقول العداة اودى عدي وعدي بسخط رب اسير
ايها الشامت المعير بالدهـ ر انت المبرأ الموفور
ام لديك العهد الوثيق من الايـ ام بل انت جاهل مغرور
إن يصبنى بعض الهنات فلا وا ن ضعيف ولا أكب عثور
كقصير إذ لم يجد غير أن جد ع أشرافه لمكر قصير
من رأيت المنون خلدن ام من ذا عليه من أن يضام خفير
لا تواتيك إن صحوت وإن أجهـــد في العارضين منك القتير
يوم لا ينفع الرواغ ولا يقد م إلا المشيع النحرير
أين كسرى كسرى الملوك أنو شر وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الرو م لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـــلة تجبى إليــه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد المــلك عنــه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشــرف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمــلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبــه فقال وما غبــطة حي الى الممات يصير
ثم بعــد الفلاح والملك والأمــة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

كَدُمَى العاجِ فى المَحارِيبِ أَوْ كالْ ... بَيْضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ

قال : فقال قسامةُ بن زهيرٍ : كلام عمرو بن الأهتم آنق ، وشعره أحسن . هذا وقسامةُ أحد أبيناء العرب .

ومن الخطباء الشعراء : أَلبَعِيثُ المُجَاشِعِيُّ ، واسمه خدَّاشُ بْنُ بِشْرِ ابْنِ لَبِيْدٍ (١)

ومن الخطباء الشعراء : الـكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ الْأَسَدِيُّ ، وكنيتهُ أبو المُسْتَهَلّ (٢)

ومن الخطباء الشعراء : أَلطِّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيْمٍ الطَّائِيُّ ، وكنيته أبو نفْر (٣)

قال محمد بن سهل راوية الـكميت : أنشدت الـكميت قول الطرماح :

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطِّرِمَّاحِ أَخْلَقَتْ ... عُرَى المجدِ واسترخَى عِنانُ القَصائِدِ

فقال الكميت : إِيْ وَاللهِ ، وعنان الخطابة والرواية .

قال أبو عثمان : ولم ير الناس أعجب حالا من الـكميت والطِّرِمَّاح . وكان الكميت عدنانياً عصبياً ، وكان الطرماح قحطانياً عصبياً . وكان الـكميت شيعياً من الغالية وكان الطرماح خارجياً من الصُّفْرِيّة . وكان الـكميت يتعصب لأهل الـكوفة ، وكان الطرماح لأهل الشام . وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة مالم يكن بين نفسين قط . ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض ولا شيء مما تدعو هذه الخصال إليه (٤) ولم ير الناس مثلهما إلا ما ذكروا من حال عبد الله بن

---

(١) كان البعيث شاعر : مجيداً من شعراء الدولة الاموية ، هاجى جريرا فغلبه جرير ففر الى الحجاز ، وكان سؤولا ملحا ملحفا طماعا .

(٢) كان الكميت من خيرة شعراء الدولة الأموية ، وكان عالما بلغات العرب وأيامهم . ومن خير شعره وافضله الهاشميات وهى القصائد التى ذكر فيها آل بيت الرسول بالخير . مات سنة ١٢٦ هـ

(٣) كان الطرماح من فحول الشعراء فى الدولة الأموية نشأ بالشام ثم انتقل إلى الكوفة ، ومن هناك عرف رجلا من الشراة ذا سمت وهيئة فكان يجالسه ويسمع كلامه فرسخ فى نفسه واعتنق مذهب الشراة من الخوارج وتعصب له حتى مات عليه

(٤) قيل للكميت : لانى اعجب من صفاء مابينك وبين الطرماح على تباعد مايجمعكما من النسب والمذهب والبلاد ، هو شامى قحطانى وانت كوفي نزاري شيعى . فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ فقال : اتفقنا على بغض العامة .

زيد الأباضى وهِشام بن الحكم الرافضى ، فانهما صارا إلى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة .

وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، ألحال التى تدعو إلى المفارقة بعد المنافسة والمحاسدة ، للذى اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة ، فكان يقال : لولا أنهما أحلم تميم لتباينا تباين النمر والأسد .

وكذلك كانت حال هِشام بن الحكم الرافضى وعبد الله بن زيد الأباضى إلا أنهما فُضلا على سائر المتضادين بما صارا إليه من الشركة فى جميع تجارتهما .

وذكر خالد بن صفوان شبيب من شيبة فقال : ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية . فلم يعارضه شبيب . وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب الأشراف .

ومن الخطباء الشعراء : عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ (١) وكنيته أبو شهاب ، أحد بنى عمرو بن شيبان أخوة سدوس .

فمن بنى عمرو بن شيبان ، مع قلتهم من العلماء والخطباء والشعراء :

عمران بن حِطَّان رئيس القعدة من الصُّفْرِيَّة ، وصاحب فتياهم ، ومفزعهم عند اختلافهم .

ومنهم : دَغْفَلُ بن حنظلة النسابة الخطيب العلامة .

ومنهم القعقاع بن شوْرٍ (٢)

---

(١) كان عمران من اكابر خطباء الخوارج وشعرائهم ومن افاضل فقهائهم واصحاب فتياهم ومن اشد دعاتهم ، وكان راس القعدة منهم . ادرك صدرا من الصحابة وروى عنهم وروى عنه اصحاب الحديث ، ثم صار من الشراة الخوارج . طلبه الحجاج ففر منه وله فى اختفائه وفراره خطوب واحداث ونوادر ، وكان بليغا مفوها وخطيبا مبينا

(٢) كان القعقاع من اماثل التابعين . وكان مشهورا بالجود والسخاء ، كان إذا جالسه احد وعرف قصده إليه جعل له نصيبا فى ماله واعانه على عدوه وشفع له فى حاجته ثم غدا إليه شاكراً له حتى شهر بذلك وفيه يقول الشاعر :

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

ضحوك السن إن أمروا بخير ... وعند السوء مطراق عبوس

وسنذ كر شأنهم إذا انتهينا إلى موضع ذ كرهم إن شاء الله تعالى

ومن الخطباء الشعراء · نصْرُ بن سَيّار (١) أحد بنى ليث بن بكر صاحب خُراسان. وهو يعد فى أصحاب الولايات وفى الحروب وفى التدبير وفى العقل وشدة الرأي .

ومن الخطباء الشعراء عَجلان بن سحبان الباهلى . وسحبان هذا هو سحبان وائل ، وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن قد تنافر إليه الأشراف : أعْشَى هَمْدانَ .

ومن الشعراء الخطباء : عِمْران بن عصام العَنَزِىّ (٢) وهو الذى أشار على عبد الملك بخلع أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك ، فى خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة ، وهو الذى لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال: ولم قتله ويله ؟ هلا رعى له قوله فيه :

---

(١) كان نصر بن سيار من أكابر الرجال . ولاه هشام بن عبد الملك خراسان ولم يزل بها واليا حتى قامت حركة أبى مسلم الخراسانى وأخذت الدعوة العباسية فى الظهور ، وكانت له مع أبى مسلم حروب كثيرة لأنه ظهر فى ولايته خراسان . ولما اشتد به الحال كاتب مروان بن محمد فى شأنه وأعلمه بتزايد أمر العباسية ثم ختم كتابه بهذه الأبيات :

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام
فان لم تطفؤها تجن حربا ... مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعرى ... أأيقاظ أمية أم نيام
فان يك قومنا أضحوا نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام
ففرى عن رحالك ثم قولي ... على الاسلام والعرب السلام

فلما لم ينجده مروان لانشغاله بالحروب والفتن كتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة عامل مروان على العراق يسأله النجدة على عدو الدولة وضمن كتابه هذه الأبيات :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه ... وقد تبينت أن لاخير فى الكذب
بأن أرض خراسان رأيت بها ... بيضا لو افرخ قدحدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت ... لما يطرن وقد سربلن بالزغب
فان يطرن ولم يحتل لهن بها ... يلهبن نيران حرب أيما لهب

فلما لم يجبه أحد خرج من خراسان حتى نزل ساوة من بلاد همذان فمات بها كمداً

(٢) كان عمران بن عصام شاعراً لسنا جلداً شجاعاً . أرسله الحجاج إلى عبد الملك ليحضه على خلع ولاية العهد عن عبد العزيز بن مروان وإعطائها للوليد ابنه . فأدى الرسالة وتم ما أراد الحجاج . ولما كانت فتنة ابن الاشعث خرج معه عمران فلما وقع فى يد الحجاج قتله شر قتلة

وَبَعَثْتَ مِنْ وَلَدِ الأَغَرِّ مُعَتَّبٍ ... صَقْرًا يَلُوذُ حَمَامُهُ بِالعَرْفَجِ
فإِذَا طَبَخْتَ بِنَارِهِ أَنْضَجْتَهَا ... وَإِذَا طَبَخْتَ بِغَيْرِهَا لَمْ يَنْضَجِ
وَهُوَ الهِزَبْرُ إِذَا أَرَادَ فَرِيسَةً ... لَمْ يُنْجِهَا مِنْهُ صِيَاحُ الهَجْهَجِ (١)

ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولدين منهم : بشار الأعمى . وهو بشار ابن برد وكنيته أبو معاذ . كان من أحد موالى بنى عقيل ، فان كان مولى أم ظباء — على ما يقول بنو سدوس وما ذكره حمَّادُ عَجْرَدٍ — فهو من موالى بنى سدوس ويقال إنه من أهل خراسان نازلا فى بنى عقيل . وله مديح كثير فى فرسان أهل خراسان ورجلاتهم وهو الذى يقول :

مِنْ خُرَاسَانَ وَبَيْتِى فى الذُّرَى ... وَلَدَى المَسْعَاةِ فَرْعِى قَدْ سَبَقْ
وَإِنِّى لَمِنْ قَوْمٍ خُرَاسَانُ دَارُهُمْ ... كِرَامٍ وَفَرْعِى فِيهِمُ نَاضِرٌ بَسَقْ

وكان شاعراً راجزاً سجاعاً خطيباً صاحب منثور ومزدوج ، وله رسائل معروفة . وأنشد عُقْبَةُ بنُ رُؤْبَةَ عُقْبَةَ بنَ سَلْمٍ رجزاً يمتدحه فيه ، وبشار حاضر ، فأظهر بشار استحسان الأرجوزة ، فقال عقبة بن رؤبة : هذا طراز يا أبا معاذ لا تحسنه ! فقال بشار : ألمثلى يُقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ! ثم غدا على عُقْبَةَ بْنِ سَلْمٍ بأرجوزته التى أولها (٢)

---

(١) الهجهجة : الصياح على الأسد لطرده وزجره

(٢) هذه الارجوزة من أعجب الاراجيز العربية وأبلغها ، ولذلك آثرنا نقلها هنا بأكلها وهاهى :

يا طلل الحى بذات الصمد ... بالله خبر كيف كنت بعدي
أوحشت من دعد وترب دعد ... سقيا لأسما ابنة الأشد
قامت تراءي إذ رأتنى وحدى ... كالشمس تحت الزبرج المنقد
صدت بخد وجلت عن خد ... ثم انثنت كالنفس المرتد
عهدى بها سقياله من عهد ... تخلف وعداً وتفى بوعد
فنحن من جهد الهوى فى جهد ... وزاهر من سبط وجعد
أهدى له الدهر ولم يستهد ... أفواف نور الحبر المجد
يلق الضحى ريحانه بسجد ... بدلت من ذلك بكى لا يجدي
وافق حظا من سعى بجد ... ما ضر اهل النوك ضعف الجد
الحر يلحى والعصا للعبد ... وليس للملحف مثل الرد

يا طَلَلَ الحي بِذاتِ الصَّمَدِ ... بِاللهِ خبِّرْ كَيفَ كُنتَ بَعدِي

وهى التى يقول فيها:

إسلَمْ وَحُيِيتَ أبا المِلَدِّ ... لِلّهِ أيّامُكَ فى مَعَدِّ
الحُرُّ يُلحَى وَالعَصَا لِلعَبْدِ ... وَلَيسَ لِلمُلْحِفِ مِثلُ الرَّدِّ
وَصَاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ ... حَمَلتُهُ فى رُقعَةٍ مِنْ جِلدِي
وَمَا دَرَى مَا رَغبَتِي مِنْ زُهْدِي

أى لم أره زهداً فيه ولا رغبة. ذهب إلى قول الشاعر:

لَقَدْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشِحَّةٍ ... بِنَفْسِكَ لَوْلَا أَنَّ مَنْ طَاحَ طَائِحُ
يَوَدُّونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ ... وَلَا تَدْفَعُ المَوْتَ النفوسُ الشَّحَائِحُ

والمطبوعون على الشعر من المولدين: بَشار العقيلى، والسَّيِّدُ الحِمْيَرِيُّ، وأبُو العَتَاهِيَة، وابنُ أبى عُيَيْنَةَ. وقد ذكر الناس فى هذا الباب: يَحْيَ بنَ نَوْفَلٍ،

والنصف يكفيك من التعدي ... وصاحب كالدمل الممد
حملته فى رقعة من جلدى ... ارقب منه مثل يوم الورد
حتى مضى غير فقيد الفقد ... وما درى ما رغبتى من زهدى
اسلم وحييت ابا الملد ... مفتاح باب الحدث المنسد
مشترك النيل ورى الزند ... اعز لباس ثياب الحمد
ما كان منى لك غير الود ... ثم ثناء مثل اريج الورد
نسجته فى محكمات السرد ... فالبس طرازى غير مسترد
لله ايامك فى معد ... وفى بنى قحطان غير عد
يوما بذى طخفة عند الجد ... ومثله اودعت ارض الهند
بالمرهفات والحديد السرد ... والمقربات المبعدات الجرد
إذا الحيا اكدى بها لا تكدى ... تلحم امراً واموراً تسدى
وابن حكيم إن اتاك يردى ... اصم لا يسمع صوت الرعد
حبيته بتحفة المعد ... فلهد مثل الجبل المنهد
كل امرىء رهن بما يؤدى ... ورب ذى تاج كريم الجد
كآل كسرى وكآل برد ... انكب جاف عن سبيل القصد
فصلته عن ماله والولد

وَسَلْمًا الخاسر ، وخَلَفَ بن خَلِيفَةَ . وَأَبَانُ بْنُ عَبْدِ الحَمِيدِ اللاحِقِيُّ ، أولى بالطبع من هؤلاء ، وبشار أطبعهم كلهم .

ومن الخطباء الشعراء ، وممن يؤلف الكلام الجيد ، ويصنع المناقلات الحسان ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة ، مع بيان عجيب ، ورواية كثيرة ، وحسن دَلّ وإشارة : عِيسَى بْنُ يَزِيدَ بن دَأْبٍ ، أحد بنى ليث بن بكر ، وكنيته أبو الوليد

ومن الخطباء الشعراء ، ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن : كُلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو العَتَّابِيُّ ، وكنيته أبو عمرو . وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو مَنْصُور النَّمَرِيّ ، ومُسْلِمِ بْنِ الوَلِيدِ الأنصارى ، وأشباههما . وكان العَتَّابِيُّ يحتذى حذو بَشار فى البديع . ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هَرْمَة . والعتابى من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال :

إِنِّى امْرُؤٌ هَدَمَ الإِقْتَارُ مَأْثُرَتِى ... وَاجْتَاحَ مَابَنَتِ الأَيَّامُ مِنْ خَطَرِى
أَيَّامَ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ يُسَوِّدُهُ ... حَيَّا رَبِيعَةَ وَالأَفْنَاءِ مِنْ مُضَرِ
أُرُومَةٌ عَطَّلَتْنِى مِنْ مَكَارِمِهَا ... كَالقَوْسِ عَطَّلَهَا الرَّامِى مِنَ الوَتَرِ

ودل فى هذه القصيدة على أنه كان قصيراً قوله :

نَهَى ظِرَافَ الغَوَانِي عَنْ مُوَاصَلَتِى ... مَا يَفْجَأُ العَيْنَ مِنْ شَيْبِى وَمِنْ قِصَرِى

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والأخبار المدونة : سَهْلُ بْنُ هَرُونَ بْنِ رَاهِيبُونَ (١) الكاتب صاحب كتاب « ثَعْلَةٍ وَعَفْرَةٍ » فى معارضة

(١) هو أبو عمرو سهل بن هرون . أصله من دستميسان من بلاد فارس ، انتقل إلى البصرة ولق علماءها وأفاد منهم علما وأدبا ثم اتصل بالمأمون فحظى عنده وتولى له « خزانة الحكمة » وهى دار الكتب . وكان كاتبا بليغا جمع بين الحكمة والأدب . وله شعر جيد . وكان شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب . وكان يرمى بالبخل وله فيه حكايات ونوادر . ومن شعره قوله :

كتاب « كليلة ودمنة » وكتاب « الإخوان » وكتاب « المسائل » وكتاب « المخزومى والهذلية » وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء : عَلِيُّ بْنُ إبْرَاهِيمَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ مَخْرَمَةَ ، ولا أعلمه يكنى إلا أبا الحسن .

وسنذكر كلام قُسّ بن ساعدة وشأن لَقيط بن مَعبد وهِنْد بنت الْخُسِّ وَجُمُعَةَ بنتِ حَابسٍ وخطباء إياد ، إذا صرنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله .

ولإياد وتميم فى الخطب خصلة ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته ، وهو الذى رواه لقريش والعرب ، وهو الذى عجب من حسنه وأظهر من تصويبه . وهذا إسناد تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص ، وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيب العرب قاطبة .

وكذلك ليس لأحد فى ذلك مثل الذى لبنى تميم ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل عَمْرَو بْنَ الْأَهْتَمِ عن الزِّبْرِقان بْنِ بَدْرٍ[1] قال: مَانِعٌ لحوزته

تقاسمنى همان قد كسفا بالى ... وقد تركا قلبى محلة بلبال
هما اذريا دمعى ولم تذر عبرتى ... ربيبة خدر ذات قرط وخلخال
ولا قهوة لم يبق منها على المدى ... سوى ان تحاكي النور فى رأس ذبال
ولكننى ابكى بعين سخينة ... على حدث تبكى له عين امثالى
فراق خليل مثله يبعث الأسى ... وخلة خل لايقوم لها مالى
فوا اسفا حتى متى القلب موجع ... بفقد خليل او تعذر إفضال
فما العيش إلا ان تجود بنائل ... وإلا لقاء الاخ ذا الخلق العالى

ومن شعره قوله :

إذا امرؤ ضاق عنى لم يضق خلقى ... من أن يراني غنيا عنه باليأس
فلا يرانى إذا لم يرع آصرتى ... مستمريا دررا منه بإبساس
لأطلب المال كى أغنى بفضلته ... ما كان مطلبه فقراً إلى الناس

وله كتب كثيرة ورسائل جيدة وفوائد جمة تدل على فضل كبير وحكمة بالغة . مات فى عهد المأمون

(١) هو الحصين بن بدر التميمي . ولقبه الزبرقان . وكان من سادات قومه واكابرهم ، وكان شاعراً خطيباً بيناً . وكان شاعر وفد تميم يوم الحجرات ثم اسلموا . وله مع الحطيئة وغيره من الشعراء مهاجاة

مطاع فى أذِينْهِ . فقال الزِّبْرِقانُ : أما إنه قد علم أكثر مما قال ، لكنه حسدنى شرفى . فقال عمرو : أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زمِرَ المُروءة ، لئيم الخال ، حديث الغنى . فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول ، ورأى الانكار فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله ، رَضِيتُ فقلتُ أحسنَ ماعلمتُ ، وغضبتُ فقلتُ أقبحَ ماعلمتُ ، وما كذبتُ فى الأولى ولقد صدقت فى الآخرة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « إنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْراً » .

فهاتان الخصلتان خصت بهما إياد وتميم دون سائر القبائل .

ودخل الأَحْنف بْن قيس(١) على معاوية بن أبى سفيان فأشار له إلى الوساد فقال له : اجلس . فجلس على الأرض . فقال معاوية : ما منعك يا أحنف من الجلوس على الوساد؟ فقال يا أمير المؤمنين : إن فيما أوصى به قيْسُ بْن عَاصِمٍ المنقرى ولده أن قال : لا تغش السلطان حتى يَملّكَ ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولا تجلس له على فراش ولا وساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين ، فإنه عسى أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصاً عليك . حسبى بهذا المجلس يا أمير المؤمنين لعله أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منى . فقال معاوية : لقد أُوتيتْ تميمٌ الحكمة مع رقة حواشى الكلام ، وأنشأ يقول :

وشكا الحطيئة إلى عمر بن الخطاب فحبسه ثم اطلقه وكان قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعمرو بن الاهتم وحدثت بينهما مفاخرة ثم منافرة كما هو مذكور فى الاصل

(١) هو الاحنف بن قيس ، بقال ان اسمه : الضحاك ، أو صخر . وكنيته ابو بحر ، وكان يضرب به المثل فى الحلم والسيادة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى قومه يدعوهم الى الاسلام فلما لم يجيبوا قال لهم الاحنف : إنه يدعوكم إلى الاسلام وإلى مكارم الاخلاق وينهاكم عن ملائمها . فأسلموا وأسلم . ولم يفد فيمن وفد على رسول الله ، ولكنه وفد على عمر فبعثه عمر إلى خراسان فبيتهم العدو ليلا فوثب الأحنف على فرسه وقال :

إن على كل رئيس حقا أن يخضب الصعدة أو تندقا

ثم حمل عليهم فقتل صاحب الطبل وانهزم القوم ، ومضى هو ومن معه فى آثارهم حتى فتحوا مرو الروذ فى خلافة عثمان ، ثم شهد صفين مع على بن أبى طالب ، وساد تميما فى عهد معاوية ، ثم خرج مع مصعب بن الزبير الى الكوفة فمات عن سن عالية سنة ٦٩ هـ ٦٨٨ م

يا أيُّها السَّائلُ عمَّا مَضَى ... وَعِلْمِ هَذا الزَّمَنِ الغائبِ
إنْ كُنْتَ تَبْغِي العِلْمَ أوْ أهْلَهُ ... أوْ شاهِداً يُخْبِرُ عَنْ غائبِ
فاعْتَبِرِ الأرْضَ بِسُكَّانِها ... وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بالصَّاحِبِ

وذهب الشاعر فى مرثية أبي دُؤاد فى قوله :

وأصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ وأهْدَى إذا سَرَى ... مِنَ النَّجْمِ مِنْ دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبُ

هذا شبيه بقول جبَّارِ بن سُلمان بن مَالك بن جعفر بن كِلاب حين وقف على قبر عامر بن الطُّفَيْل فقال : كان والله لا يَضِلُّ حتى يَضِلَّ النجم ، ولا يعطش حتى يعطش البعير ، ولا يهاب حتى يهاب السيل ، وكان والله خير ما يكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً .

وكان زَيْدُ بنُ جُنْدَب أشغَى أقْلَحَ[1] ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة . وقال عُبَيْدَةُ بنُ هِلالٍ اليَشْكُرِيُّ فى هجائه له :

أشْغَى عَقَنْبَاةٌ وَنابٌ ذُو عَصَلْ ... وَقَلَحٌ بادٍ وَسِنٌّ قَدْ نَصَلْ[2]

وقال عُبيدة أيضاً فيه :

ولِفُوكَ أشْنَعُ حِينَ تَنْطِقُ فاغِراً ... مِنْ فِي قَرِيحٍ قَدْ أصابَ بَرِيرَا[3]

وقال الكميت :

تُشَبَّهُ بِالْهَامِ آثارُها ... مَشافِرَ قَرْحَى أكَلْنَ البَرِيرَا

وقال أخو النمر بن تَوْلَب فى شُنعة أشداق الجمل :

كَمْ ضَرْبَةٍ لَكَ تَحْكِي فاقِرَاسِيَةً ... مِنَ المَصَاعِبِ فى أشْدَاقِهِ شَنَعُ[4]

(١) اشغى : بارز إحدى الأسنان العليا . اقلح : فى اسنانه قلح وهو صفرة تعلوها فتقبح منظرها
(٢) عقنباة : ذو مخالب حداد . ذو عصل : ذو عوج . نصل : برز من موضعه دون إخوته
(٣) فاغر : فاتح . من فى : من فم . قريح : مصاب بقروح فهو بادى التألم منها . البرير : أول مايبدو من ثمر الأراك فاذا أكلته الابل قرح مشافرها
(٤) فاقراسية : فم جمل ضخم صعب القياد . وقال الجاحظ : القراسية بعير أضجم والضجم إعوجاج فى الفم .

وفى الخطباء من كان أشغى ، ومن كان أروَق (١) ، ومن كان أشدَق (٢) ومن كان أضجم (٣) ، ومن كان أفقم (٤)

*
* *

وروى الهيثم بن عدى عن أبى يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير قال: قدم علينا الأحنف الكوفة مع مصعب بن الزبير ، فما رأيت خصلة تذم فى رجل إلا وقد رأيتها فيه . كان أصعل الرأس (٥) أحجن الأنف (٦) أغضف (٧) الأذن ، متراكب الأسنان ، أشدق ، مائل الذقن ، نائىء الوجنة (٨) باخق العين (٩) خفيف العارضين (١٠) أحنف الرجلين (١١) ولكنه إذا تكلم جلى عن نفسه (١٢)

ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضاً لمنعه ، ولولا أنه لم يجد بدا من أن يجعل له شيئا على حال لما أقر بأنه إذا تكلم جلى عن نفسه (١٣).

وقولنا فى كلمته هذه كقول هند بنت عتبة حين أتاها نعى يزيد بن أبى

(١) أروق : يعنى أن ثناياه العليا مشرفة على السفلى أى بارزة عليها
(٢) أشدق : واسع الشدق
(٣) أضجم : معوج الفم والأنف
(٤) أفقم : بارز الفك الأسفل عن الاعلى حتى لاتقع الثنايا العليا على السفلى . وقال الجاحظ : والفقم مثله (أى مثل الضجم) ، والروق ركوب السن الشفة ، وفى كل ذلك روينا الشاهد والمثل
(٥) أصعل الرأس : صغير الرأس مع دقة وطول
(٦) أحجن الأنف : معوجه
(٧) أغضف الأذن : مسترخى الآذان
(٨) نائئ الوجنة : بارز الخد
(٩) باخق العين : قبيح العور كثير الغمص
(١٠) خفيف العارضين : خفيف شعر اللحية من جانبى الوجه
(١١) أحنف الرجلين . يعنى أنه يمشى على ظهر قدميه لاعوجاج فيهما
(١٢) جلى عن نفسه : كشف عن حقيقته وأوضح عن محاسن نفسه
(١٣) يلقى الجاحظ تبعة هذا الوصف على الهيثم مع أن الهيثم سمعه من أبى يعقوب الثقفى نقلا عن عبد الملك بن عمير ؟ فهل كان الجاحظ يعرف فى الهيثم انحرافا عن الأحنف فهو يضع عليه امثال هذه الأحاديث ؟

سفيان ، وقال لها بعض المزين : إنا لنرجوا أن يكون فى معاوية خلف من يزيد فقالت هند : « ومثل معاوية لا يكون خلفا من أحد ، فوالله لو جُمعت العرب من أقطارها ثم رُمى به فيها لخرج من أى أعراضها شاء » ولكنا نقول : ألمثل الأحنف يقال : إلا أنه إذا تكلم جلى عن نفسه ؟

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول فيما يعتري اللسان من ضروب الآفات قال ابن الأعرابيُّ : طلَّق أبو رَمادة امرأته حين وجدها لَثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال :

لَثغاءُ تأتي بحَيَفْسٍ أَلثغِ ... تَميسُ في المَوْشِيِّ والمُصَبَّغِ (١)

وأنشد ابن الأعرابى كلمة جامعة لكثير من هذه المعانى وهو قول الشاعر :

أسكُتْ ولا تنطِقْ فأنتَ حَبْحابْ ... كُلُّكَ ذو عيبٍ وأنتَ عيَّابْ (٢)

إنْ صَدَقَ القومُ ، فأنتَ كذَّابْ ... أو نَطَقَ القومُ ، فأنتَ هيَّابْ

أو سكتَ القومُ فأنتَ قبقابْ ... أو أقدموا يوماً فأنتَ وجَّابْ (٣)

وأنشدنى :

ولستُ بزِمّيجةٍ فى الفراشِ ... وَجَّابةٍ يحتمى أنْ يجيبا (٤)

ولا ذى قلازمَ عندَ الحياضِ ... إذا ما الشَّريبُ أرابَ الشَّريبا (٥)

وأنشدنى :

رُبَّ غريبٍ ناصحِ الجَيْبِ ... وابنِ أبٍ متَّهمِ الغَيْبِ (٦)

ورُبَّ عيَّابٍ له منظرٌ ... مُشتمِلِ الثوبِ على العيبِ

وأنشد :

وأجرأ مَنْ رأيتُ بظهرِ غيبٍ ... على عيبِ الرِّجالِ ذوُوا العيوبِ

---

(١) قال الجاحظ : الحيفس : الولد القصير الصغير

(٢) الحبحاب : ألقمئ الدميم السيء الخلق

(٣) القبقاب : كثير الكلام الذي لامعنى له . وجاب : ضعيف القلب جبان

(٤و٥) قال الجاحظ : الزميجة الثقيل الحركة . والقلازم : كثرة الصياح

(٦) ناصح الجيب : نقى القلب والصدر

وقال سَهْل بن هٰرون : لوعرف الزنجى فرط حاجته إلى ثناياه فى اقامة الحروف وتكميل جميل البيان لما نزع ثناياه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سُهَيل بن عمرو (١) الخطيب : يارسول الله إنزع ثَنِيَّتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا . وإنما قال ذلك لأن سهيلا كان أعلم من شفته السفلى .

وخطب الجُمَحِىُّ خطبة نكاح أصاب فيها معانى الكلام ، وكان فى كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة ، فأجابه زَيْدُ بْنُ عَلِىِّ بنِ الحُسَين بكلام فى جودة كلامه إلا أنه فَضَلَهُ بحسن المخرج والسلامة من الصفير . فذكر عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد بسلامة أسنانه فقال فى كلمة له :

قَلَّتْ قَوَادِحُها وَتَمَّ عَدِيدُهَا ... فَلَهُ بِذاكَ مَزِيَّةٌ لاتُنكَرُ (٢)

ويروى : صَحَّتْ مَخارِجُها وتَمَّ حُروفُها

وقال يُونُسُ بنُ حَبيب فى تأويل قول الاحنف بن قيس :

أنا ابْنُ الزَّافِرِيَّةِ أَرْضَعَتْنِي ... بِثَدْيٍ لا أَجَدُّ وَلا وَخِيمُ (٣)

أَتَمَّتْنِي فَلَمْ تَنقُصْ عِظامِي ... ولاصَوْتِي إذَا اصْطَكَّ الخُصُومُ (٤)

قال : إنما عنى بقوله : عظامى ، أسنانه التى فى فمه . وهى التى إذا تمت تمت الحروف . وقال يُونُس : وكيف يقول مثله : أتمتنى فلم تنقص عظامى ، وهو يريد بالعظام

---

(١) كان سهيل بن عمرو رسول قريش إلى النبى فى صلح الحديبية ، وهو الذى أمضى الصحيفة عن أهل مكة وتم بها الصلح وكان فى هذه الحال من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عمر فيه لرسول الله ماقال . ثم أسلم بعد ذلك فكان من المؤلفة قلوبهم ، وكانت له يوم وفاة رسول الله واضطراب المسلمين وقفة من أجل الوقفات وأفضلها رد بها غرب الجامحين ومرضى القلوب وأقر بها الايمان فى نفوسهم وبذلك حسن إسلامه وحسن بلاؤه فى حروب أعداء الدين

(٢) قال الجاحظ : المزية : الفضيلة

(٣) الزافرية : هى أم الأحنف واسمها حبى وهى من باهلة . لاأجد : ليس باليابس . ولا وخيم : ولا ثقيل .

(٤) اصطك الخصوم : تقارعوا فيما بينهم

عظام اليدين والرجلين وهو أحنف من رجليه جميعاً مع قول الْخَتَاتِ له : والله إنك لضئيل (١) وإن أمك لورهاء ؟ وكان أعرف بمواقع العيوب وأبصر بدقيقها وجليلها؟ وكيف يقول ذلك وهو نُصب عيون الأعداء والشعراء والأكفاء ، وهو أنفُ مضر الذى تعطس عنه ، وأينَ العرب والعجم قاطبة ؟

قالوا : ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة مذ سقطت ثناياه فى الطَّست .

قال أبو الحسن وغيره : ولما شق على معاوية سقوط مقادم فمه قال له يَزيد ابن مَعن السُّلمى : والله ما بلغ أحد سنك إلا كره بعضه بعضا ، ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك . فطابت نفسه . ولما شد عبدُ الملك أسنانه بالذهب قال : لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت .

قال : وسألت مباركا الزَّنجى الْفَاشِكَارَ — ولا أعلم زنجياً بلغ فى الفشكرة مبلغه — فقلت له : لِمَ ينزع الزنجى ثناياه ؟ ولِمَ يُحدد ناس منهم أسنانهم ؟ فقال : أما أصحاب التحديد فللقتال والنهش ، ولأنهم يأكلون لحوم الناس ، ومتى حارب ملك ملكا فأخذه قتيلا أو أسيراً أكله . وكذلك إذا حارب بعضهم بعضاً أكل الغالب منهم المغلوب .

وأما أصحاب القلْع فإنهم قالوا : نظرنا إلى مقادم أفواه الغنم فكرهنا أن تشبه مقادم أفواهنا مقادم أفواه الغنم .

فكم تظنهم حفظك الله فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا ؟

وفى هذا كلام يقع فى « كتاب الحيوان » . وقال أبو الهِنْدى فى اللثغ :

سَقَيْتُ أبَا الْمُطَرَّحِ إذْ أتَانِى ... وذُو الرَّعَثَاتِ مُنْتَصِبٌ يَصِيحُ (٢)
شَرَابًا يَهْرُبُ الذِّبَّانُ عَنْهُ ... وَيَلْثَغُ حينَ يَشْرَبُهُ الْفَصِيحُ

وقال محمد بن عمرو الرومى مولى أمير المؤمنين : قد صحت التجربة وقامت

(١) كان فى الأصل : والله لأنك ضئيل . ووجه الكلام أن يقال : والله إنك لضئيل . فاستبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير

(٢) ذو الرعثات : الديك

العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح فى الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر .

وقد رأينا تصديق ذلك فى أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقط جميع أسنانهم وبعد أن بقى منها الثلث أو الربع . فممن سقط جميع أسنانه ، وكان معنى كلامه مفهوما : الوليدُ بنُ هِشَام القحذَمى صاحب الأخبار . ومنهم أبو سُفيان ، والعلاء ابن لَبيد التغلبى ، وكانَ ذا بيان ولسن . وكان عُبَيْدُ الله بن أبى غسان ظريفا يُصرِّفُ لسانه كيف أحب . وكان الاحاح على القيس (؟) قد برد أسنانه حتى كان لايرى أحد منها شيئا إلا أن تَطَلَّعَ فى لحم اللثة وفى أصول منابت الأسنان . وكان سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَد الكلبى [1] كثيرا مايجمع بين القارِّ [2] والحار فتساقطت أسنانه جميعا وكان مع ذلك خطيباً بينا .

وقال أهل التجربة : إذا كان فى اللحم الذى فيه مغارز الأسنان تشمير وقصر سَمْكٍ ، ذهبت الحروف وفسد البيان ، وإذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه ولم يمر فى هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جَوْبَةَ فمه لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المغتفَر والجزء المحتمل . ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق [3] فانه زعم فى « كتاب الحيوان » أن الطائر والسَّبُعَ والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين وأحكى لما يُلقن ولما يَسمع ، كنحو الْببَّغاء وَالعُدافِ [4] وغُراب البين ، وما أشبه ذلك ، وكالذى يتهيأ من أفواه السنانير - إذا تجاوبت - من الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف الناس . فأما الغنم فليس يمكنها أن تقول إلا « ماء » والميم والباء أول ما يتهيأ فى أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما ، و: بابا . لأنهما خارجان من عمل اللسان ، وأنهما يظهران بالتقاء الشفتين . وليس شىء من الحروف

(١) كان سفيان بن الابرد من أكابر قواد الدولة الأموية وممن أبلوا في حروب الخوارج بلاء حسنا ، وكان ذا خبرة ودهاء وتدبير

(٢) القار : البارد

(٣) صاحب المنطق : هو أرسطو

(٤) العداف : ضرب من الغربان

أدخل فى باب النقص والعجز من فم الأهتم من الفاء والسين إذا كانا فى وسط الكلمة . فأما الصاد فليس تخرج إلا من الشدق الأيمن إلا أن يكون المتكلم أعسرَ يَسَراً [١] مثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه كان يخرج الصاد من أى شدقيه شاء . فأما الأيمن والأعسر والأضبط فليس يمكنهم ذلك إلا بالإستكراه الشديد . وكذلك الأنفاس مقسومة على المَنْخِرَيْنِ ، فحالا يكون الاسترواح ودفع البخار من الجوف من الشّق الأيمن ، وحالا يكون من الشق الأيسر ،ولا يجتمعان على ذلك فى وقت إلا أن يَستكره ذلك مُستكره ، أو يتكلفه متكلف . فأما إذا ترك أنفاسه على سجيتها لم يكن إلا كما قالوا .

وقالوا : الدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عِظَمَ اللسان نافع له قول كَعْبِ بنِ جُعَيْلٍ [٢] لِيَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ حين أمره بهجاء الأنصار فقال : أرادّى أنت إلى الكفر بعد الايمان ؟ لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ، ولكنى سأدلك على غلام فى الحى كافر كأن لسانه لسان ثور . يعنى الأخطل . وجاء فى الحديث « أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَبْغَضُ الرَّجُلَ يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَاقِرَةُ الْخَلَى بلسانها » [٣] قالوا : ويدل على ذلك قول حَسَّان بن ثابت حين قال له النبى صلى الله عليه وسلم : مابقى من لسانك ؟ فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته ثم قال : والله إنى لو وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه وما يسرنى به مِقْوَلٌ من مَعَد . وَأبو السِّمط [٤] مرْوان بن أبى الْجَنوب بن مرَوان ابن أبى حَفْصَةَ وأبوه وابنه فى نسق واحد يقرعون بأطراف ألسنتهم أطراف آنفهم

وتقول الهند : لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر يتهيأ فى لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة .

---

(١) أعسر يسر : يعمل بكلتا يديه

(٢) هو كعب بن جعيل التغلبى ، كان شاعر تغلب فى الاسلام وبه كانت تعتز . أدرك الدولة الاموية ومات بالبصرة سنة ٢٣١ هـ ٨٤٦ م

(٣) الباقرة : واحدة البقر . الخلى : الرطب من الحشيش

(٤) كان فى الاصل : ابو الصمت . وهو خطأ

وقد ضرب الذين يزعمون أن ذهاب جميع الأسنان أصلح فى الإبانة عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين فى ذلك مثلا فقالوا : ألحمام المقصوص جناحاه جميعاً أجدر أن يطير من الذى يكون أحدهما وافراً والآخر مقصوصاً. قالوا : وعلة ذلك التعديل والاستواء ، وإذا لم يكن كذلك ارتفع أحدى شقّيه وانخفض الآخر فلم يجذف ولم يَطر . والقطا من الطير قد يتهيأ من أفواهها أن تقول « قطا قطا » وبذلك سميت . ويتهيأ من أفواه الكلاب العينات والفاآت والواوات ، كنحو قولها « وَوْ وَوْ » وكنحو قولها « عَفْ عَفْ » قال الهَيْثم بن عدِىّ : قيل لصبى : مَن أبوك ؟ قال « وَوْ وَوْ » لأن أباه كان يسمى كلباً.

ولكل لغة حروف تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين . واستعمال الجرامقة للعين . قال الأصْمَعىُّ : ليس للروم ضاد ولا للفُرس ثاء ولا للسريان دال .

ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تنافَرُ وإن كانت مجموعة فى بيت شعر لم يَستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قفرْ وَلَيْسَ قُرْبَ قبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

ولما رأى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، وقيل لهم : إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن ، صدقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن يَسير فى أحمد بن يوسف حين استبطأه (١)

هَلْ مُعينٌ عَلَى البُكا والعَويلِ أمْ مُعزٍّ عَلى المُصابِ الجَليلْ
مَيِّتٌ ماتَ وهْوَ فى وَرَقِ العَيْـ ـشِ مُقيمٌ بِهِ وَظِلٍّ ظَليلْ (٢)

(١) هو محمد بن يسير — وكان فى الأصل بشير وهو خطأ — الرياشى . كان شاعراً ظريفا وماجنا هجاء خبيثا ، لم يفارق البصرة ولا وفد على خليفة أو أمير . وكان مبخلا . وكان بينه وبين أحمد بن يوسف كاتب المأمون مغاضبة فتعرض له احمد وزجه بحماره عبثا به فأخذ محمد بأذن الحمار وقال له : قل لهذا الحمار الراكب فوقك لا يؤذى الناس . فضحك احمد ونزل فعانقه وصالحه

(٢) ورق العيش : رونق الصبا وغضارته

فِى عِدَادِ المَوْتَى وفى عَامِرِ الدُّنْيا ... أَبُو جَعْفَرٍ أَخِى وَخَلِيلِى
لمْ يَمُتْ مِيتَةَ الوَفاةِ ولَكِنْ ... مَاتَ مِنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيلِ
لا أُذِيلُ الآمَالَ بَعْدَكَ إنى ... بَعْدَهَا بالآمَالِ حَقُّ بَخِيلِ (١)
كَمْ لَهَا مَوْقِفاً بِبابِ صَدِيقٍ ... رَجَعَتْ مِنْ نَدَاهُ بالتَّعْطِيلِ
ثم قال: لَمْ يَضِرْهَا والحمدُ للهِ شَىْءٌ ... وانْثَنَتْ نَحْوَ عُرْفِ نَفْسٍ زَهُولِ (٢)

فتفقد النصف الأخير من هذا البيت فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض.

وأنشد خَلَفُ الأحمرُ فى هذا المعنى:

وبَعْضُ قَرِيضِ القَوْمِ أَوْلادُ عَلَّةٍ ... يُكِدُّ لِسانَ الناطِقِ المُتَحفِّظِ (٣)

وأنشد فى ذلك أبو البيداء الرِّياحيُّ:

وَشِعْرٍ كَبَعْرِ الكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ ... لِسانُ دَعِيٍّ فى القَرِيضِ دَخِيلِ

أما قول خَلَفٍ «وبعض قريض القوم أولاد علة» فانه يقول: إذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العَلاَّتِ، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقاً كان على اللسان عند أنشاد ذلك الشعر مؤنة، وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلم لذلك أنه أفرغ إفراغاً واحدا وسُبِكَ سبكا واحداً، فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان.

وأما قوله «كبعر الكبش» فانما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور، وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة سلسة (٤) ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة،

---

(١) لا أذيل: لا أمين
(٢) زهول: مترفعة
(٣) أولاد علة وأبناء العلات: هم الذين من أمهات شتى والاب واحد
(٤) كان فى الاصل: لمسا، ولم أر لها وجها

تشق على اللسان وتكده . والأخرى تراها سهلة لينة ورطبة مواتية سلسة (١) النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد .

وقالت بنت الحطيئة (٢) للحطيئة : تركت قوما كراما ونزلت في بنى كليب بعر الكبش ؟ ! فعابتهم بتفرق بيوتهم . فقيل لهم : فأنشدونا بعض مالا تتنافر أجزاؤه ولا تتباين ألفاظه ، فقالوا : قال الثقفى :

مَنْ كانَ ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامَتَهُ ... إنَّ الذَّليلَ الذى لَيْسَتْ لهُ عَضُدُ (٣)
تَنْبُو يداهُ إذا ما قلَّ ناصِرُهُ ... وَيأْنفُ الضَّيْمَ إنْ أثْرَى لهُ عَدَدُ (٤)

وأنشدوا :

رَمَتْنى وَسِتْرُ اللهِ بينى وَبَيْنَها ... عَشِيَّةَ آرامِ الكِناسِ رَمِيمُ (٥)
رَمِيمُ التى قالتْ لِجاراتِ بَيْتِها ... ضَمِنْتُ لكم أنْ لايَزالَ يَهِيمُ (٦)
ألا رُبَّ يَوْمٍ لوْرَمَتْنى رَمَيْتُها ... ولكنَّ عَهْدِى بالنِّضالِ قَدِيمُ

وأنشدوا :

وَلَسْتُ بِزُمَّيْجَةٍ فى الفِراشِ ... وَجَّابَةٍ يَحْتَمِى أنْ يَجِيبا (٧)
ولا ذِى قَلازِمَ عِندَ الحِياضِ ... إذا ما الشَّرِيبُ أرابَ الشَّرِيبا (٨)

قال نَوْفَلُ بن سالمٍ لِرُؤْبَةَ بن العَجَّاج : يا أبا الجَحَّاف ، مُت متى شئت ؟! قال : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت عقْبَةَ بن رؤبة ينشد رجزا أعجبنى . قال : إنه يقول لو كان لقوله قِرانٌ . وقال الشاعر :

(١) كان فى الأصل : متوانية سليسة . ولا وجه لها
(٢) بنت الحطيئة إسمها مليكة
(٣) عضد : قوة
(٤) يأنف الضيم : لا يقبل الظلم والذل . أثرى : كثر
(٥) الآرام : الظباء . الكناس : مأوى الآرام فى الشجر . رميم ، إسم امرأة
(٦) يهيم : يتوله ويتدله
(٧) الزميجة : الثقيل عن الحركة . وجابة : ضعيف القلب جبان
(٨) القلازم : كثرة الصياح

مَهَارِبَةٌ مَنَاجِبَةٌ قِرَانٌ مَنَادِبَةٌ كأنَّهُمُ الأُسودُ (١)

وأنشد ابن الأعرابيّ :

وَبَاتَ يَدْرُسُ شِعْراً لاقِرَانَ لَهُ قد كانَ ثَقَّفَهُ حَوْلاً فما زادا

وقال بشار :

فَهذا بَدِيهٌ لا كتَحْبِيرِ قائلٍ إذاماأرادَ القولَ زَوَّرَهُشهرا (٢)

فهذا فى افتراق الألفاظ ، فأما افتراق الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ، ولا الغين بتقديم ولا تأخير ، والزاى لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير .

وهـذا باب كثير وقد يُكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التى اليها يُجرى .

وقد يتكلم المِغْلاَقُ (٣) الذى نشأ فى سواد الكوفة بالعربية المعروفة ، ويكون لفظه متخيرا فاخرا ، ومعناه شريفا كريماً ، ويعلم مع ذلك السامعُ لِكلامه ومخارج حروفه أنه نَبَطِىٌّ . وكذلك إذا تكلم الُخراسانى على هذه الصفة فإنك تعرف مع إعرابه وتخير ألفاظه فى مُخرج كلامه أنه خراسانى . وكذلك إن كان من كتاب الأهْوَاز . ومع هذا إنا نجد الحاكية (٤) من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لايغادر من ذلك شيئا ، وكذلك تكون حكايته للخرسانى والأهوازى والزنجى والسندى والحبشى (٥) وغير ذلك . نعم حتى تجده كأنه أطبع منهم . فأما إذا حكى كلام الفأفاء فكأنما قد جُمعت كل طرفة فى كل فأفاء فى الأرض فى لسان واحد

(١) مهاربة : مسرعون . مناجبة : أبناؤهم نجباء . قران : سادة متماثلون . منادبة : مجيبون لدعوة المستغيث بهم

(٢) زوره : ردده فى نفسه ثم حسنه وقومه

(٣) المغلاق : الذى لايكاد يبين

(٤) الحاكية : هو الذي يقلد لهجات الناس بفيه على اختلافها

(٥) كان فى الاصل : والأجناس . ولم أر لها وجهاً فى هذا المقام ، ولذلك جاريت السياق ووضعت فى مكانها الحبشى

كما أنك تجده يحكى الأعمى بصور ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف أعمى واحدا يجمع ذلك كله ، فكأنه قد جمع جميع طُرَفِ[١] حركات العُميان فى أعمى واحد .

ولقد كان أبو دَبُّوبَةَ الزَّنجى مولى آل زِياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين[٢] فينهق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ولا مُتعَب بهير ، إلا نهق . وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دبوبة يحركه ، وكأنه قد جمع جميع الصور التى تجمع نهيق الحمار فجعلها فى نهيق واحد ، وكذلك فى نُباح الكلاب . ولذلك زعمت الأوائل أن الانسان إنما قيل له : العالم الصغير سليل العالم الكبير ، لأنه يصور بيده كل صورة ، ويحكى بفمه كل حكاية ، ولأنه يأكل النبات كما تأكل البهائم ، ويأكل الحيوان كما تأكل السباع ، وأن فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالا . وإنما تهيأ وأمكن الحاكية بجميع مخارج الأمم لما أعطى الله الانسان من الاستطاعة والتمكن ، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة . فبطول استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه ، ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه .

وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ وصور الحركات والسكون . فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت فى الألسنة خلاف هذا الحكم . ألا ترى أن السندىَّ إذا جُلب كبيرا فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام فى عُليا تميم وسُفلى قَيس وبين عَجُز هوازن[٣] خمسين عاما ؟ وكذلك النَّبَطِىّ القحّ خلاف المغلاق الذى نشأ فى بلاد النبط ، لأن النبطى القح يجعل الزاى سينا ، فاذا أراد أن يقول : زَورق . قال : سورق . ويجعل العين همزة ، فإذا أراد

(١) كان فى الاصل : طرق . ولم نر لها موقعاً فأبدلنا بها كلمة طرف لاقتضاء المعنى

(٢) المكارين : هم من نسميهم الحمّارة

(٣) هذه هى القبائل المشهورة بالفصاحة المعروفة بصحة الاعراب

أن يقول: مُشْمُعَلٌ ، قال: مُشمئل.والنخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول: ناعمة ، وتقول: شمس، ثلاث مرات متواليات

والذى يعترى اللسان مما يمنع من البيان أمور : منها اللثغة التى تعترى الصبيان إلى أن ينشؤا ، وهو خلاف ما يعترى الشيخ الهرم المَاجَ (١) المسترخى الحنك المرتفع اللثة ، وخلاف ما يعترى أصحاب اللُّكَن من العجم ومن نشأ من العرب مع العجم.

فمن اللُّكن، ممن كان خطيباً أو شاعراً أو كاتباً داهياً : زِيادُ بْنُ سليمان أبُو أُمَامَة ، وهو زِيادُ الأعْجَمُ (٢) قال أبُو عُبَيْدَة : كان يُنشد قوله :

فتى زَادَهُ السُّلطانُ فى الوُدِّ رِفعَةً ... إذا غيَّرَ السُّلطانُ كلَّ خليلِ (٣)

قال : كان يجعل السين شينا ، والطاء تاء ، فيقول :

فتى زَادَهُ الشُّلْتانُ فى الود رفعة

ومنهم سُحَيْم (٤) عبد بنى الْحَسْحَاس ، قال له عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأنشده قصيدته التى أولها :

---

(١) الماج : السائل اللعاب من الكبر والهرم

(٢) هو زياد بن سليمان — وفى الاصل : ابن سلمى ، وقد أصلحناه عن الاغانى — كان مولى عبد القيس ، وكان ينزل أصطخر فغلبت العجمة على لسانه . وكان شاعراً جزل الشعر فصيح العبارة . وله قصيدة فى رثاء المغيرة بن المهلب هى آية من آيات البلاغة . وهذا البيت الذى روى فى الاصل هو بيت مفرد قاله فى المهلب واستجازه عليه مالا كثيراً فأجازه

(٣) فى رواية : فى الخير رغبة ، بدل فى الود رفعة

(٤) كان سحيم عبداً أسود شديد السواد وهو من الشعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام . وكان شاعراً جيد الشعر . وهذا البيت من قصيدة طويلة هو مطلعها وفيها يقول :

جنونا بها فيما اعتشرنا علالة ... علاقة حب مستسراً وباديا
ليالى تصطاد القلوب بفاحم ... تراه اثيثا ناعم النبت عافيا
وجيد كجيد الرئم ليس بعاطل ... من الدر والياقوت والشذرحاليا
كأن الثريا علقت فوق نحرها ... وجمر غضا هبت له الريح ذاكيا
فما بيضة بات الظليم يحفها ... ويرفع عنها جؤجؤا متجافيا
ويجعلها بين الجناح وزفه ... ويفرشها وحفا من الزف واقيا
بأحسن منها يوم قالت أراحل ... مع الركب أو ثاو لدينا لياليا

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا ... كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

لو كان شعرك كله مثل هذا لَأَجَزْتُكَ (١) قال : ما سعرت. يريد ما شعرت فجعل الشين المعجمة سيناً غير معجمة .

ومنهم عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ والى العراق ، قال لِهَانِىءِ بْنِ قَبِيصَةَ : أَهَرُورِىٌّ سائر اليوم ؟ يريد : أَحَرُورِىٌّ (٢)

ومنهم صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ النَّمَرِىُّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقول : إنك لهائن . يريد : إنك لخائن. وصهيب بن سنان يرتضخ لُكنة رومية (٣) وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنة فارسية . وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء . وَأَزْدَا نقَاذَارَ لُكنته نبطية ، وكان مثلهما فى جعل الحاء هاء . وبعضهم يروى أنه أملى على كاتب له فقال: أُكتب : ألهاصل ألف كُرٍّ . (٤) فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها ، فأعاد عليه الكلام ، فأعاد عليه الكاتب . فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال : أنت لا تُهْسِن أن تكتب . وأنا لا أُهْسِنُ أن أُمْلِىَ ، فا كتب : ألجاصل ألف كر. فكتبها بالجيم معجمة .

ومنهم أَبُو مُسْلِمٍ (٥) صاحب الدعوة ، كان جيد الألفاظ جيد المعاني ، وكان

---

(١) كان فى الاصل بعد هذه الجملة هذه العبارة المعترضة وهى (هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى عنه فى غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب : لوقدمت الاسلام على الشيب لأجزتك) ولا شك فى ان هذه العبارة ليست من الكتاب ولعلها حاشية علقها بعض قدماء المطلعين فادخلها النساخ جهلا منهم فى صلب الكتاب ، ولذلك انتزعتها من الأصل

(٢) كان سبب لكنة عبيد الله بن زياد ان امه مرجانة بعد ان ولدته واخاه تزوجها شيرويه فاخذت معها عبيد الله فنشأ بين الأساورة فعرته لكنة فارسية

(٣) وكان سبب لكنة صهيب أن الروم أسرته صغيرا ونشأ فيهم فعرته هذه اللكنة

(٤) الكر : كيل يكال به الطعام ، والكر ستون قفيزا والقفيز ثمانية مكاكيك والمكوك صاع ونصف . قال الأزهرى : فالكر على هذا الحساب اثنا عشر وسقا

(٥) هو أبو مسلم الخراسانى القائم بالدعوة العباسية ، كان اسمه عبد الرحمن وفى أصله خلاف . كان شجاعا حازما وقائداً ماهراً ذا دهاء وتدبير . وهو الذى اقعد الدولة الأموية وأقام على أنقاضها الدولة العباسية . نشأ عند إدريس بن عيسى العجلى ثم اتصل بابراهيم الامام وكان أمينه على أسراره وعن ابراهيم اتصل بالسفاح رأس الدولة فرأى فيه من النجابة والرجولة وبعد الهمة ماجعله يعهد إليه فى القيام بأمر الدعوة . فلما استتب الامر لأبى جعفر المنصور رأى بعين الحزم أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فغدر به ليستقل هو بالأمر دونه فقتله سنة ١٣٧ ه

إذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : كُلت له . فشارك فى تحويل القاف كافا عُبَيْدَ الله بن زِيادٍ . كذلك خبرنا أبو عبيدة . وإنما أُتى عبيد الله بن زياد فى ذلك أنه نشأ فى الأساورة عند شِيرَوَيْهِ الأسوارى زوج أمه مَرْجانَةَ . وقد كان فى آل زياد غير واحد يسمى شِيرَوَيْهِ . قال : وفى دار شيرويه عاد عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبَ رضى الله تعالى عنه زياداً فى علة كانت به .

فهذا ماحضرنا من لُكنة البلغاء والشعراء والرؤساء ، فأما لُكنة العامة ومن لم يكن له حظ فى المنطق فمثل فِيلٍ مَوْلَى زِيادٍ ، فإنه مرة قال لِزياد : أهدوا إلينا همار وهش . يريد : حمار وحش . قال زياد : أى شيء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا إلينا أيراً . يريد : عيراً . فقال زياد : الأول أهون . وقالت أم ولد لجرير بن الخطفى لبعض ولدها : وقع الجُرْدان فى عِجان أمكم ؟ أبدلت الذال دالا من الجِرذان وضمت الجيم وجعلت العجين عجانا . قال بعض الشعراء فى أم ولد له يذكر لكنتها:

أَكْثَرُ ما أَسْمَعُ منها فى السَّمَرْ   تَذْكِيرُهَا الأُنْثَى وتأْنِيثُ الذَّكَرْ (١)
وَالسَّوْأَةُ السَّوْآءُ فى ذِكْرِ القَمَرْ (٢)

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول : القمر . قالت : الكمر . وقال ابنُ عَبادٍ : ركبت عجوز سندية جملا فلما مشى تحتها متخلعا اعتراها كهيئة حركة الجماع فقالت . هذا الذمل يذكرنا بالسّر . تريد أنه يذكرها بالوطء ، فجعلت الشين سينا والجيم ذالا . وهذا كثير .

وباب آخر من اللكنة كما قيل للنبطى (٣) : لم ابتعت هذه الأتان ؟ قال : أركبها وتلَد لى . فقد جاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ، ولكنه فتح المكسور حين قال : تلَدلى ، ولم يقل : تلِد لى . والصَّقلى (٤) يجعل الذال المعجمة دالا فى الحروف

(١) كان فى الأصل : فى السحر . فأبدلت بها : السمر . ليستقيم المعنى
(٢) السوأة السوآء : الخصلة القبيحة
(٣) النبطى : نسبة الى النبط وهم سكان سواد العراق (الفلاحون)
(٤) الصقلى هو من كان من صقلية بايطاليا

باب البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعانى: ألمعانى القائمة فى صدور العباد المتصورة فى أذهانهم، والمتخلجة فى نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم؛ مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة فى معنى معدومة، لايعرف الانسان ضمير صاحبه ولاحاجة أخيه وخليطه، ولامعنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره. وإنما تحيا تلك المعانى فى ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها. وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفى منها ظاهراً والغائب شاهداً، والبعيد قريبا. وهى التى تخلص (١) الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيداً والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشى مألوفا والغُفل (٢) موسوما والموسوم معلوما، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الاشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه. وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف الاعجام.

والبيان إسم جامع لكل شىء كشف لك قِناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يُفضى السامع إلى حقيقته ويهجُم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان

(١) كان فى الاصل: تلخص. ولا معنى لها هنا ولذلك أبدلنا بها: تخلص

(٢) الغفل: هو ماليس له شىء يميزه

ومن أى جنس كان ذلك الدليل . لأن مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأى شىء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

ثم اعلم حفظك الله أن حكم المعانى خلاف حكم الألفاظ ، لأن المعانى مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية ، وأسماء المعانى مقصورة معدودة ومحصلة محدودة . وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ ومن غير لفظ خمسة أشياء ، لا تنقص ولا تزيد ، أولها : اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العَقْدُ ، ثم الخط ، ثم الحال ، وتسمى : « نِصْبَةً » . والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات .

ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ، ثم عن حقائقها فى التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها فى السارّ والضارّ ، وعما يكون منها لغواً بهرجا (١) وساقطاً مُطرَّحا .

***

قال أبو عثمان : وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول الكتاب ، ولكنا أخرناه لبعض التدبير .

***

وقالوا : البيان بصر ، والعى عَمى ، كما أن العلم بصر ، والجهل عمى . والبيان من نتاج العلم ، والعى من نتاج الجهل . وقال سهلُ بن هارون : العقل رائد الروح والعلم رائد العقل ، والبيان تَرْجُمان العلم . وقال صاحب المنطق : حد الانسان : الحى الناطق المبين . وقالوا : حياة المُرُوءة الصدق ، وحياة الروح العفاف ، وحياة الحلم العلم ، وحياة العلم البيان . وقال يونس بنُ حَبيب : ليس لِعيى مُرُوءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو حك بيافوخه أعنان السماء (٢) . وقالوا : شعر الرجل قطعة

(١) لغواً : لاخير فيه . وبهرجا : زائفاً

(٢) أعنان السماء . كان فى الأصل : عنان السماء . وهو خطأ لأنه من تعبير العامة

من كلامه ، وظنه قطعة من علمه ، واختياره قطعة من عقله ، وقال ابنُ التوْأمِ : الروح عماد البدن والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم .

***

قد قلنا فى الدلالة باللفظ ، فأما الإشارة : فباليد و بالرأس و بالعين والحاجب والمَنكِبِ ، إذا تباعد الشخصان ، و بالثوب وبالسيف . وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجراً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً .

والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغنى عن الخط ؟

و بعد ، فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحِلية موصوفة على اختلاف فى طبقاتها ودلالاتها ؟ وفى الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مِرفق كبير ، ومعونة حاضرة فى أمور يُسرها (١) الناس من بعض ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس . ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ، ولجهلوا هذا الباب البتة . ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل فى باب صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر فى دلالات الإشارة :

أَشَارَتْ بطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِها ... إشارَةَ مَذْعُورٍ ولَمْ تَتَكَلَّمِ (٢)
فأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَرْفَ قد قالَ مَرحَباً ... وَأَهْلاً وسَهْلاً بالحَبِيبِ المُتَيَّمِ

وقال الآخر :

ولِلقَلْبِ عَلى القَلْـ ... ـبِ دَلِيلٌ حينَ يَلْقاهُ
وفى النَاسِ مِنَ النا ... سِ مَقايِيسُ وَأَشْباهُ
وفى العينِ غِنًى لِلمَرْ ... ءِ أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ

وقال الآخر :

وَمَعْشَرٍ صِيدٍ ذَوِى تَجِلَّهْ ... تَرَى عَلَيْهِم لِلنَدَى أَدِلَّهْ (٣)

---

(١) يسرها : فى بعض النسخ : يسترها . وليست بذاك

(٢) مذعور : خائف مترقب

(٣) صيد : سادة عظماء لايلتفتون يمينا ولا شمالا زهوا وكبرا

وقال الآخر :

تَرَى عَينُهَا عَيْنِي فتَعرِفُ وَحْيَها وتَعرِفُ عَيْنِي مابهِ الوَحْيُ يَرجِعُ (١)

وقال الآخر :

وَعَيْنُ الفتى تُبْدِي الذى فى ضميرهِ وَتَعرِفُ بالنَّجْوَى الحديثَ المُغَمَّسَا (٢)

وقال الآخر :

ألْعَيْنُ تُبْدِي الذى فى نفسِ صَاحِبها مِنَ المَحبَّةِ أوْ بُغضٍ إذَا كانا

والْعَيْنُ تَنطِقُ والأفْوَاهُ صامِتَةٌ حَتى تَرَى مِن ضَمِيرِ القَلْبِ تِبْيانَا

هذا ، ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت . فهذا أيضا باب تتقدم فيه الإشارةُ الصوتَ. والصوتُ هو آلة اللفظ ، وهو الجوهر الذى يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاما موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف . وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان ، مع الذى يكون مع الإشارة من الدَّلّ والشَّكل (٣) والتَّفَتل والتثنى واستدعاء الشهوة ، وغير ذلك من الأمور .

قد قلنا فى الدلاله بالإشارة ، فأما الخط ، فما ذكر الله تبارك وتعالى فى كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم « إقرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » وأقسم به فى كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم حيث قال « نُ والقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ » ولذلك قالوا : القلم أحدُ اللسانين . كما قالوا : قِلة العيال أحد اليسارين . وقالوا : ألقلم أبقى أثراً ، واللسان أكثر هَذَراً . وقال عبد الرحمن بن كَيسَان : إستعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام

(١) الوحى : الاشارة باى صورة
(٢) المغمس : الخفى
(٣) الشكل : الدلال والغنج

وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر ؛ والقلم مطلق فى الشاهد والغائب ، وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن . والكتاب يقرأ بكل مكان ، ويدرس فى كل زمان ، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره .

وأما القول فى العَقد ، وهو الحساب ، دون اللفظ والخط : فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل « فالِقُ الإصباحِ وَجاعِلُ اللَّيلِ سَكَناً والشَّمْسَ والقمرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ » وقال جل وتقدس « الرَّحْمنُ عَلَّمَ القرآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ » وقال تبارك وتعالى « هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ، مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ » وقال تبارك وتعالى « وجَعَلْنا الليْلَ والنهارَ آيتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ » والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل ذكره معنى الحساب فى الآخرة .

وفى عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فسادُ جُل النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قِواماً ومصلحة ونظاماً .

وأما النصبة فهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد . وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض ، وفى كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص . فالدلالة التى فى المَوَاتِ الجامد كالدلالة التى فى الحيوان الناطق فالصامت ناطق من جهة الدلالة ، والعجماء مُعربة من جهة البرهان . ولذلك قال الأول : سل الأرض فقل : مَن شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنَى ثمارك ؟ فإن لم تُجبك حِواراً ، أجابتك اعتبارا . وقال بعض الخطباء : أشهد أن السموات والأرض آيات دالات وشواهد قائمات ، كل يؤدى عنك الحجة ، ويعرب عنك بالربوبية ، موسومة بآثار قدرتك ومعالم تدبيرك التى تجليت بها لخلقك فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون . فهى على

اعترافها لك وذلها إليك ، شاهدة بأنك لاتحيط بك الصفات ولا تحدك الأوهام ، وأن حظ المفكر فيك الإعتراف لك . وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت : ألاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس [1] . ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه و إن كان صامتا ، وأشار إليه و إن كان ساكتا .

وهذا القول شائع فى جميع اللغات ، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات .

وأنشد أبو الرُّدَيْنِيّ العُكْلِيُّ فى تنسم الذئب للريح واستنشاقه واسترواحه :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إذَا لَمْ يَسْمَعِ ‏ ‏ ‏ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المُوَقَّعِ [2]

وقال عَنترةَ بنُ شدَّادٍ العبسيُّ ، وجعل نعيب الغراب خبرا للزاجر :

حَرِقُ الْجَنَاحِ كأَنَّ لَحْيَيْ رَأْسِهِ ‏ ‏ ‏ جَلَمَانِ بالأَخْبارِ هَشٌّ مُولَعُ [3]

وقال الرَّاعِيُّ :

إنَّ السَّماءَ وَإنَّ الريحَ شاهدَةٌ ‏ ‏ ‏ والأرْضُ تشهدُ وَالأيامُ وَالبلدُ

لَقَدْ جَزَيْتَ بَنِي بَدْرٍ بِبَغْيِهِمُ ‏ ‏ ‏ يَوْمَ الهَباءَةِ يَوماً ماله قَوَدُ [4]

---

(١) لما مات الاسكندر وقف أصحابه على تابوته يؤبنونه فقال أحدهم : كان الملك أمس أهيب منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس . وقال آخر : سكنت حركة الملك فى لذاته وقد حركنا اليوم فى سكونه جزعا لفقده . وقال آخر : قد كان سيفك لايجف وكانت مراقيك لاترام وكانت نقماتك لاتؤمن وكانت عطاياك يفرح بها وكان ضياؤك لاينكسف فأصبح ضوءك قد خمد واصبحت نقماتك لاتخشى وعطاياك لاترجى ومراقيك لا تمنع وسيفك لايقطع . وقال آخر : انظروا إلى حلم المنام كيف انجلى وإلى ظل الغمام كيف انسرى . وقال آخر : ما كان احوجه إلى هذا الحلم وإلى هذا الصبر والسكون ايام حياته . وقال آخر : القدرة العظيمة التى ملأت الدنيا العريضة الطويلة طويت فى ذراعين . وقال آخر : اصبح آسر الاسراء اسيراً وقاهر الملوك مقهوراً ، كان بالامس مالكا فصار اليوم هالكا

(٢) قال الجاحظ : المقراع : الفاس التى يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد ، يقال وقعت الحديدة إذا حددتها

(٣) قال الجاحظ : الحرق : الاسود ، شبه لحييه بالجلمين لان الغراب يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان

(٤) يوم الهباءة : يوم من ايام العرب كان لبنى عبس على بنى فزارة . القود : الاقتصاص من القاتل

وقال نُصَيْبٌ فى هذا المعنى يمدح سليمانَ بن عبد الملك :

أقولُ لِرَكْبٍ صادِرِينَ لَقِيتُهُم   قَفاذَاتِ أَوْشالٍ وَمَوْلاكَ قارِبُ (١)

قِفُوا خَبِّرونا عن سُلَيْمانَ إننى   لِمَعْرُوفِهِ مِن آلِ وَدَّانَ طالِبُ (٢)

فعاجُوا فأثْنَوْا بالذى أنتَ أهلُهُ   ولو سَكَتوا أثْنَتْ عليكَ الحقائِبُ (٣)

وهذا كثير جداً .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عَلِىُّ بنُ أبى طالبَ رضىَ الله تعالى عنه : قيمةُ كل إنسان ما يُحسن . فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية، ومُجزية مُغنية ، بل لوجدناها فاضلةً على الكفاية وغير مقصرة عن الغاية .

وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله ، فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصونا عن التكلف ، صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة ، ومتى فَصلتِ الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة .

وقد قال عامرُ بنُ عبدِ القيْس (٤) الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

---

(١) ذات أوشال : بقعة ذات مياه تسيل من اعراض الجبال . ومولاك : بنى نفسه . قارب : طالب ماء .

(٢) ودان : قرية قريبة من الجحفة

(٣) فعاجوا : عطفوا . والحقائب : اوعية الزاد تحمل خلف الرحل

(٤) هو عامر بن عبد الله بن عبد القيس العنبرى ، وكان من أفاضل الناس وخيارهم ، وكان

قال الحسنُ [1] رضى الله تعالى عنه — وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرِق عندها — : ياهذا إن بقلبك لشرا أو بقلبى ! وقال علىُّ ابنُ الحسين بن على رضى الله عنهم : لو كان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة ، وجملة الحال فى صواب التبيين ، لأعربوا عن كل ما تخلَّج فى صدورهم ولوجدوا من بَرد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم ، وعلى أن دَرَك ذلك كان لايعدمهم فى الأيام القليلة العدة ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغمور بالجهل ومفتون بالعجب ، ومعدول بالهوى عن باب التثبت ، ومصروف بسوء العادة عن تفضيل التعلم . وقد جمع محمد بنُ علىّ بن الحسين صلاح شأن الدنيا بحذافيرها فى كلمتين فقال : صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر مِلءُ مِكيال : ثلثاه فطنة ، وثلثه تغافل . فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ولا حظا فى الصلاح ، لأن الانسان لايتغافل إلا عن شىء قد فطِن له وعرفه .

وذكر هذه الثلاثة الأخبار إبراهيمُ بنُ داحة ، عن محمد بن عُمَير . وذكرها صالح بنُ علىٍّ الأفقمُ عن محمد بن عمير ، وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع ، وكان ابن عمير أغلاهم .

وقيل لعبدِ الله بن عباس : أنَّى لك هذا العلم ؟ قال : قلبٌ عَقول ، ولسان سؤولٌ . وقد رووا هذا الكلام عن دَغْفَلِ بن حَنظَلَةَ العلامة . وعبدُ الله أولَى به منه . والدليل على ذلك قول الحسن : إن أولَ مَن عُرف بالبصرة ابنُ

فصيحا مبينا ، سيره (نفاه) عبد الله بن عامر الى الشام بامر عثمان بن عفان ، وكان سبب ذلك ان حمران بن ابان كتب فيه : إنه لا ياكل اللحم ولا يغشى النساء ولا يقبل الاعمال (يعرض بانه خارجي) فكتب عثمان إلى ابن عامر باستدعائه وسؤاله عن هذه الخصال فاذا كانت فيه فسيره . فلما ساله عبد الله قال : اما اللحم فانى مررت بقصاب يذبح ولا يذكر اسم الله ، فاذا اشتهيت اللحم اشتريت شاة فذبحتها ، وأما النساء فان لى عنهن شغلا ، واما الاعمال فما اكثر من تجدونه سواى . فقال له حمران : لا اكثر الله فينا امثالك . فقال له ، بل اكثر الله فينا امثالك كساحين وحجامين ، مات عامر بالشام

[1] هو الحسن البصرى

عباس ، صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ففسرها حرفا حرفا ، وكان مِثَجًّا يسيل غَرْبا (١)

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ، إن قوما زعموا أنك تذم ابنَ عباس ! ؟ قالوا : فبكى حتى اخضلّتْ (٢) لحيته ، ثم قال : إن ابن عباس كان من الاسلام بمكان ، إن ابن عباس كان من العلم بمكان ، وكان والله له لسان سؤول ، وقلب عَقول ، وكان والله مِثَجًّا يسيل غَرْبا .

قالوا : وقال عَلِيُّ بنُ عبدِ الله بن عباس : مَن لم يجد مَسّ نقص الجهل فى عقله وذُلَّ المعصية فى قلبه ولم يَستَبِن موضع الخَلّة فى لسانه عند كَلال حدِّه عن حد خصمه ، فليس ممن يَفزع عن ريبة ولا يرغب عن حال مَعجزة ولا يكترث لفضل ما بين حُجة وشبهة . قالوا : وذكر محمد بن على بن عبد الله بن عباس بلاغة بعض أهله فقال : إنى لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا عن مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله .

وهذا كلام شريف نافع ، فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه .

ثم اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد والدنىء الساقط ، يُعشش فى القلب ثم يبيض ثم يُفرِخ ، فإذا ضرب بجِرانه ومكن لعروقه ، استفحل الفساد وبَزَلَ (٣) وتمكن الجهل وقَرَحَ (٤) فعند ذلك يقوى داؤه ، ويمتنع دواؤه ، ولأن اللفظ الهجين الردى والمستكره الغبى أعلق باللسان وآلف للسمع وأشد التحاما بالقلب ، من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم . ولو جالستَ الجهال والنَّوْكى (٥) والسخفاء والحَمْقى شهراً فقط لم تَنْقَ (٦) من أوضار كلامهم وخبال معانيهم بمجالسة أهل البيان والعقل دهراً ، لأن الفساد أسرع إلى الناس وأشد التحاما بالطبائع . والانسان

(١) قال الجاحظ : المثج : السائل الكثير وهو من الثجاج ، والغرب ههنا الدوام .
(٢) اخضلت : ابتلت
(٣) بزل : استحكمت قوته
(٤) قرح : بلغ أشده . وكان فى الأصل : فرخ ، ولم أر لها وجها والصواب ماأثبت
(٥) النوكى : الحمقى
(٦) تنق : تطهر وتنظف .

بالتعلم والتكلف و بطول الاختلاف إلى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن أدبه ، وهو لايحتاج فى الجهل إلى أكثر من ترك التعلم ، وفى فساد البيان إلى أكثر من ترك التخير .

ومما يؤكد قول محمد بن على بن عبد الله بن عباس قول بعض الحكماء حين قيل له : متى يكون الأدب شرا من عدمه ؟ قال : إذا كثر الأدب ونقصت القريحة . وقد قال بعض الأولين : من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه ، كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه . وهذا كله قريب بعضه من بعض .

وذكر المُغِيرَةُ بنُ شُعْبة (١) عُمَرَ بنَ الخطَّاب رضى الله عنه فقال : كان والله أفضل من أن يَخدع ، وأعقل من أن يُخدع . وقال محمد بن على بن عبد الله ابن عباس : كفاك من علم الدين أن تعلم مالا يسع جهله ، وكفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل . وكان الإمام إبراهيم بن محمد يقول : يكفى من حظ البلاغة أن لا يُؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع .

قال أبو عثمان : وأما أنا فأستحسن هذا القول جداً .

---

(١) هو الامير المغيرة بن شعبة الثقفى . كان فى ايام الجاهلية كثير التردد على مصر للتجارة فلما جاء الله بالاسلام صحب قوما من المشركين إلى مصر فاغتالهم ثم لحق بالنبى واسلم وشهد بيعة الرضوان كما شهد حروب اليمامة وفتوح الشام واليرموك والقادسية . وكان من الصحابة الأجلاء والأمراء النبلاء والقادة البسلاء والساسة الدهاة . ولاه عمر بن الخطاب البصرة ففتح ميسان ومنها جاء بالسبى الذى كان فيه والدا الحسن البصرى ومحمد بن سيرين . وافتتح دست ميسان وابرقباذ وسوق الاهواز وهمذان وشهد نهاوند وكان على ميسرة النعمان بن مقرن . وهو أول من وضع ديوان البصرة وأول من سلم عليه بالامرة واول من رشا فى الاسلام فقد رشا حاجب عمر ليسهل له الاذن عليه . وذهبت عينه فى إحدى الوقائع . ولما حضرته الوفاة قال : اللهم هذه يمينى بايعت بها نبيك وجاهدت بها فى سبيلك . مات وهو أمير على الكوفة بالطاعون سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله. وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى الأنبياء عامة

قيل للفارسى ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوَصل . وقيل لليونانى : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام واختيار الكلام . وقيل للرومى : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الاطالة . وقيل للهندى : ما البلاغة قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . وقال بعض أهل الهند : جِماع البلاغة البَصَرُ بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة : ثم قال: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الافصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الافصاح أوعر طريقة ، وربما كان الاضراب عنها صفحاً أبلغ فى الدرك وأحق بالنظر . وقال مرة : جِماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الخرف بما التبس من المعانى أو غمض وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر . ثم قال : وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشمائل موزونة ، والألفاظ معدلة ، واللهجة نقية ، فإن جامع[1] ذلك السنُّ والسَّمت[2] والجمال وطولُ الصمت ، فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال .

وخالف عليه سَهْلُ بنُ هٰرون — وكان سهل فى نفسه عتيق الوجه حسن الاشارة بعيداً من الفَدَامة[3] معتدل القامة مقبول الصورة ، يُقضى له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة وبدقة المذهب قبل الامتحان وبالنبل قبل التكشف . فلم يمنعه ذلك أن يقول ما هو الحق عنده ، وإن أدخل ذلك على حاله النقص — قال سهل بن هٰرون : لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلا جليلا بهياً ذا لباس[4] نبيلا وذا حسب شريفاً ، وكان الآخر

(١) جامع : وافق . وفى بعض النسخ : جاء مع . وليست بذاك

(٢) السمت : جمال الهيئة .

(٣) الفدامة : الغباوة وثقل الروح

(٤) فى الأصول : ولباساً

قليلا قميئاً وَباذَّ الهيئة دَميما[١] وخامل الذكر مجهولا ، ثم كان كلاهما فى مقدار واحد من البلاغة وفى وزن واحد من الصواب ، لَتصدع[٢] عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الدميم على النبيل الجسيم ، وللباذّ الهيئة على ذى الهيئة ، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه ، ولصار التعجب منه سبباً للعجب به ، ولكان الاكثار فى شأنه علةً للاكثار فى مدحه ، لأن النفوس كانت له أحقر ومن بيانه أيئس ومن حسده أبعد ، فإذا هجموا منه على ما لم يحتسبوه وظهر منه خلاف ما قدروه تضاعف حسن كلامه فى صدورهم وكبر فى عيونهم ، لأن الشىء من غير معدنه أغرب ، وكلما كان أغرب كان أبعد فى الوهم ، وكلما كان أبعد فى الوهم كان أطرف ، وكلما كان أطرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبدع ، وإنما ذلك كنوادر كلام الصبيان ومُلح المجانين ، فإن ضحك السامعين من ذلك أشد وتعجبهم به أكثر . والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البديع ، وليس لهم فى الموجود الراهن المقيم وفيما تحت قدرتهم من الرأى والهوى مثل الذى معهم فى الغريب القليل وفى النادر الشاذ وكل ما كان فى ملك غيرهم ، وعلى ذلك زهد الجيران فى عالمهم والأصحاب فى الفائدة من صاحبهم ، وعلى هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم ويرحلون إلى النازح عنهم ، ويتركون من هو أعم نفعاً وأكثر فى وجوه العلم تصرفا وأخف مؤنة وأكثر فائدة .

ولذلك قدّم بعض الناس الخارجى على العريق ، والطارف على التليد ، وكانوا يقولون : إذا كان الخليفة بليغاً والسيد خطيبا فإنك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين ، إما رجل يعطى كلامهما من التعظيم والتفضيل والاكبار والتبجيل على قدر حالهما فى نفسه ، وموقعهما من قلبه . وإما رجل تعرض له التُّهَمَة لنفسه فيهما والخوف من أن يعطى تعظيمه لهما يوهمه من صواب قولهما وبلاغة كلامهما ما ليس عندهما حتى يفرط فى الإشفاق ويسرف فى التهمة ، فالأول يزيد

(١) قميئاً : ضئيلا حقيرا . وباذ الهيئة رث الثياب . ودميما : مشوه الخلق
(٢) لتصدع : لتفرق

فى حقه للذى له فى نفسه ، والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه ولإشفاقه من أن يكون مخدوعا فى أمره . فاذا كان الحب يعمى عن المساوى ، فالبغض يعمى عن الحقائق والمحاسن ، وليس يعرف حقائق مقادير المعانى ومحصول حدود لطائف الأمور إلا عالم حكيم ، أو معتدل الأخلاط[(١)] عليم ، و إلا القوى المُنَّة الوثيق العقدة ، والذى لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم والسواد الأكثر .

وكان سهل بن هٰرون شديد الإطناب فى وصف المأمون فى البلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة ، وجودة اللهجة والطلاوة .

وإذا صرنا إلى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم و بلغاء رجال القبائل ،قلنا فى وصفها على حسب حالها والفرق الذى بينها ، ولأننا عسى أن نذكر جملة أسماء خطباء الجاهليين والاسلاميين والبدويين والحضريين ، و بعض ما يحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم و بالله التوفيق .

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الإشارة . وروى أبو شِمْرٍ عن معمر أبي الأشعث خلاف القول الأول فى الإشارة والحركة عند الخطبة وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء.

وكان أبو شِمْرٍ إذا نازع لم يحرك يديه ولا مَنكِبيه ، ولم يقلب عينيه ، ولم يحرك رأسه ، حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع[(٢)] صخرة ، وكان يقضى على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك والعجز عن بلوغ إرادته ، وكان يقول : ليس من المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتى كلمه إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيَّارٍ النَّظَّامُ[(٣)] عند

---

(١) معتدل الأخلاط : معتدل المزاج

(٢) الصدع : الشق

(٣) هو أبو إسحق ابراهيم بن سيار النظام أحد شيوخ المعتزلة وأستاذ الجاحظ فى علم الكلام وفى انتحال الاعتزال . وكان من أئمة البلاغة وفحول البيان . قرأ كثيراً من كتب الأوائل واستوعب ماتعلق منها بالطبيعيات والالهيات واستنبط منها مسائل مزجها بكلام المعتزلة وتفرد بها عنهم وصار رأس الفرقة النظامية . وكان جيد المنطق حاد الذهن سريع الخاطر غواصا على المعانى دقيق الاستنباط ذكي الفؤاد . وقد أداه ذلك إلى ماذهب إليه من الآراء والأفكار . ومن قوله :

أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسألة حتى حرك يديه ، وحلّ حَبْوَتَهُ (١) وحبا إليه حتى أخذ بيديه . ففى ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبى شِمر إلى قول إبراهيم .

وكان الذى غرّ أبا شِمر وموّه له هذا الرأى أن أصحابه كانوا يستمعون منه ويسلمون له ويميلون إليه ويقبلون كل ما يورده عليهم ويثبته عندهم ، فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم إياه وخفت مؤنة الكلام عليه نسى حال منازعة الأكفاء، ومجاذبة الخصوم . وكان شيخا وقوراً وزميتاً ركيناً ، وكان ذا تصرف فى العلم ، ومذكوراً بالفهم والحلم .

قال مَعْمَر أبو الأشعَثِ : قلت لِبَهْلَةَ الهندى — أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند مثل « مَنْكَةَ » و « بازيكر » و « قلبرقل » و « سندباذ » وفلان وفلان — : ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بَهْلَةُ :عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لا أُحسن ترجمتها لك ، ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسى بالقيام بخصائصها

« إن الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت » وهذا القول يقرب مما يقوله علماء الطبيعة فى هذا العصر من انه لايوجد جوهر فرد غير قابل للتجزئة . وكان من صغره يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة ويفيض بلاغة . دفعه ابوه إلى الخليل بن احمد ليعلمه فقال له الخليل ممتحنا وفى يده قدح زجاج : يابنى ، صف لى هذه الزجاجة ؟ فقال : أبمدح أم بذم ؟ فقال : بمدح . قال : نعم ، تريك القذى وتقيك الأذى ولا تستر ماورى . قال : فذمها ؟ فقال: سريع كسرها بطىء جبرها . قال : فصف هذه النخلة ، وأومأ إلى نخلة فى داره . فقال : أبمدح أم بذم ؟ قال : بمدح . فقال : حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر اعلاها . قال : فذمها ؟ فقال : صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى . فقال الخليل: يابنى نحن إلى التعلم منك أحوج . ثم اشتغل على ابى الهذيل العلاف بمذهب الكلام إلى ان برع وظهر بمذهبه فى ايام المعتصم وتبعه خلق كثير . وناظر شيخه أبا الهذيل وظهر عليه مرارا . ووصف يوماً عبد الوهاب الثقفى فقال : هو أحلى من أمن بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغنى بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم . ومن كلامه : العلم شىء لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فأنت من إعطائه لك البعض على خطر . وقال : مما يدل على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللئام ، فالشىء يصير إلى شبهه والجنسية علة الضم . وقال : إذا كان فى جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فان المصيبة عندك اكثر منها عند القوم وبيتك اولى بالمأتم . وكان كثير التطير وله فيه احداث . وله كلام رشيق وشعر رقيق . ولد بالبصرة سنة ١٨٥ وتوفى بها سنة ٢٢١ هـ

(١) حل حبوته : كناية عن انه اخرجه عن حدود تزمته ووقاره

وتخليص لطائف معانيها . قال أبو الأشعث : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فإذا فيها .

أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة . ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أوفيلسوفا عليما ومن قد تعود حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ ، وقد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح وعلى جهة الاستطراف والتظرف »

وقال مَن علم : حَقُّ المعنى أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ، ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا ، ويكون مع ذلك ذاكراً لما عقد عليه أول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره فى وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه مؤنقاً ، ولهول تلك المقامات معاوداً . ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وأن تواتيه آلته وتتصرف معه أداته ، ويكون فى التهمة لنفسة معتدلا وفى حسن الظن بها مقتصدا فانه إن تجاوز مقدار الحق فى التهمة لنفسه ظلمهافأودعها ذلة المظلومين ، وإن تجاوز الحق فى مقدار حسن الظن بها أمنها فأودعها تهاون الآمنين ؛ ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل .

وقال إبْرَاهِيمُ بْنُ هَانِىء — وكان ماجناً خليعاً ، كثير العبث متمرداً — ولولا أن كلامه هذا الذى أراد به الهزل يدخل فى باب الجد لما جعلته صلة الكلام الماضى ، وليس فى الأرض لفظ يسقط البتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من

الأماكن — قال إبراهيم بنُ هانيء: من تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى ويكون شيخاً بعيد مدى الصوت. ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء. ومن تمام آلة المغنّى أن يكون فاره[١] البرذَون براق الثنايا عظيم الكبر سيء الخلق. ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذِمياً، ويكون اسمه أذين، أو مازيار، أو أزدانقاذار أو ميشا، أو شلوما، ويكون أرقط الثياب مختوم العنق. ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابياً. ويكون الداعى إلى الله صوفياً. ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد ثقيل السمع عظيم الرأس.

ولذلك قال ابن سنان الجديدى لراشد بن سلمةَ الهُذَلى: ما أنت بعظيم الرأس ولا ثقيل السمع فتكونَ سيداً، ولا بأرسح[٢] فتكون فارسا. وقال شبيب بن شَيبة الخطيب لبعض فتيان بنى مِنقر: والله ما مطلت مطل الفرسان، ولا فتقت فتق السادة.

قال الشاعر:

فَقُلِّبَ رَأْساً لم يَكُنْ رَأْسَ سيِّدٍ ... وكَفّاً كَكَفِّ الضَّبِّ أَوْ هِيَ أَحْقَرُ

فعاب صغر رأسه وصغر كفه، كما عاب الشاعر كف عبد الله بن مُطيع العَدَوى. حين وجدها غليظة جافية فقال:

دَعا ابنُ مُطيعٍ لِلبِياعِ فَجِئتُهُ ... إلى بَيْعَةٍ قَلْبِي لها غيرُ آلِفِ

فناوَلَنى خَشْناءَ لما لَمَسْتُها ... بكفِّى لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الخَلائِفِ

وهذا باب يقع فى «كتاب الجوارح» مع ذكر البُرص والعُرج والعُسر والأُدر والفُلج والحُدب والقُرع وغير ذلك من علل الجوارح. وهو وارد عليكم بعد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وقال إبراهيم بن هانيء: ومن تمام آلة الشيعى أن يكون وافر الُجمَّة صاحب بازبكند. ومن تمام آلة الحارس أن يكون زميتاً قطوباً أبيض اللحية أقنى أجنى وصاحب تكلم بالفارسية.

---

(١) فاره: جيد السير

(٢) ارسح: قليل لحم العجز والفخذين لكثرة الركوب

وأخبرني إبراهيم بن السندىّ قال : دخل العُمانى الراجز على الرشيد لينشده شعرا وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج ، فقال : إياك أن تنشدنى إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دمالقان . قال ابراهيم قال أبو نصر : فبكر عليه من الغد وقد تزيا بزى الأعراب فأنشده ثم دنا منه فقبل يده وقال: ياأمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت يزيد بن الوليد وابراهيم ابن الوليد ورأيت وجوههما وقبلت أيديهما وأخذت جوائزهما ، وأنشدت السفّاح ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المهدى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت الهادى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، هذا إلى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء والسادة الرؤساء ، ولا والله أن رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجهاً ولا أنعم كفاً ولا أندى راحة ، منك يا أمير المؤمنين! ووالله لو ألقى فى رُوعي أنى أتحدث عنك ما قلت لك ماقلت . فأعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى والله جميع من حضر أنهم قاموا ذلك المقام .

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول . قال ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ،[1] قال مُعَاوِيَةُ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ لِصُحَارِ بْنِ عَيَّاشٍ الْعَبْدِيِّ :[2] ما هذه البلاغة التى فيكم ؟ قال: شىء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا. فقال له رجل من عرض القوم : يا أمير المؤمنين [هم] بالبُسر والرُّطب أبصر منهم بالخطب . فقال له صُحَارٌ : أجل ، والله

(١) هو ابو عبد الله محمد بن زياد — ابن الأعرابى الكوفى . كان ابوه عبداً سنديا ، وكان مولى لبنى هاشم . كان نحويا راوية ناسبا لغويا ثقة . وكان رأساً فى غريب اللغة ، ناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيراً من نقلة اللغة . وكان يزعم ان ابا عبيدة والاصمعى لايحسنان شيئاً . قال ابو العباس ثعلب : شهدت مجلسه بضع عشرة سنة وكان يحضره زهاء مائة إنسان وكان يسئل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ولم أر بيده كتابا قط ولقد املى على الناس مايحمل على اجمال ولم ير احد فى علم الشعر اغزر منه . وله تصانيف عدة . كان مولده فى سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٣١ ﻫ ٨٤٥ م

(٢) هو صحار بن عياش العبدى ، من عبد القيس . كان راوية نسابة وخطيبا بليغا ولسنا مبينا . قوي الحجة حاضر البديهة

إنا لنعلم أن الريح لتنفخه ، وأن البرد ليَعقده ،وأن القمر ليَصبغه ، وأن الحر ليُنضجه. فقال له مُعاوية : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال له مُعاوية : وما الايجاز ؟ قال له صُحار : أن تجيب فلا تُبطىء ، وأن تقول فلا تخطىء . فقال معاوية : أوَ كذلك تقول؟ قال صُحار : أقلنى يا أمير المؤمنين ، لاتبطىء ولاتخطىء .

وشأن عَبْدِ القَيْسِ عجيب ، وذلك أنهم بعد محاربة إيادٍ تفرقوا فرقتين : ففرقة وقعت بعُمَان وشق عمان ، وفيهم خطباء العرب ؛ وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين ، وهم من أشعر قبيلة فى العرب . ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سُرة البادية ، وفى معدن الفصاحة ، وهذا عجب . ومن خطبائهم المشهورين صَعْصَعَةُ بنُ صُوحَان . وَزَيدُ بن صُوحَان ، وَشَيْخَانُ بن صُوحَان[1] .ومنهم صُحَارُ ابْنُ عَيَّاشٍ . وصُحَارٌ من شيعة عثمان ، وبنو صُوحان من شيعة على . ومنهم مَصْقَلَةُ بْنُ رَقَبَة ، وَرَقَبَةُ بن مَصْقَلَة ، وكرب بن رَقَبَة .

وإذا صرنا إلى ذكر الخطباء والنسابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر ما يحضرنا وبالله التوفيق .

قال المفضل بن محمد الضبى [2] قلت لأعرابى منا : ما البلاغة ؟ قال : الايجاز فى غير عجز ،والاطناب فى غير خطل . قال ابن الأعرابى فقلت للمفضل : ماالايجاز عندك ؟ قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد . قال ابن الأعرابى : قيل لعبد الله بن عمر : لو دعوت الله لنا بدعوات ؟ فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا . فقال رجل : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : نعوذ بالله من الاسهاب .

(١) وبعضهم يسميه : سيحان

(٢) انظر ترجمة المفضل بقلمنا فى شرحنا على المفضليات المطبوع فى سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م

باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل

منهم زَيْد بن صوحَان . ومنهم أبو وَاثِلَةَ إياس بْن معاوية المُزَنِيّ[١] القاضي القائف وصاحب الزَّكَن والمعروف بجودة الفِراسة . ولكثرة كلامه قال له عَبْد الله بن شُبْرمة[٢] أنا وأنت لا نتفق ، أنت لاتشتهى أن تسكت ، وأنا لاأشتهى أن أسمع . وأتى[٣] حَلْقة من حلق قريش فى مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميما باذَّ الهيئة قشيفاً فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا : ألذنب مقسوم بيننا وبينك ، أتيتنا فى زى مِسكين تكلمنا بكلام الملوك . ورأيت ناسا يستحسنون جواب إياس حين قيل له : ما فيك عيب غير أنك معجَب بقولك . قال : أفأعجبكم قولى ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أحق بأن أُعجب بما أقول وبما يكون منى منكم

والناس حفظك الله لم يضعوا ذِكر العُجب فى هذا الموضع ، والمعيب عند الناس ليس هو الذى يعرف ما يكون من الحسن ، والمعرفة لا تدخل فى باب التسمية بالعجب ، والعجب مذموم ، وقد جاء فى الحديث « إنَّ المُؤْمِنَ مَنْ سَاءتْهُ سَيِئَتُهُ وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ » وقيل لِعمَر : فلان لا يعرف الشر . قال : ذلك أجدر أن يقع فيه . وإنما العجب إسراف الرجل فى السرور بما يكون منه والافراط فى استحسانه حتى يظهر ذلك منه فى لفظه وفى شمائله ، وهو كالذى وصف به صَعصعةُ بن صُوحَان المُنْذِرَ بْنَ الْجَارُودِ عند على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال : أما والله إنه مع ذلك لنظَّارٌ فى عِطفيه تفال فى شراكيه تعجبه حمرة برديه .

(١) هو من مزينة مضر . كان صادق الظن قوي الحدس لطيفا فى الأمور . ولاه عمر بن عبدالعزيز قضاء البصرة . مات سنة ١٢٢ هـ

(٢) هو عبد الله بن شبرمة الضبي . ولاه ابو جعفر المنصور قضاء سواد الكوفة . وكان شاعرا حسن الخلق جوادا

(٣) يعنى إياساً

قال أبو الحسن (١) : قيل لاياس : ما فيك عيب إلا كثرة الكلام . قال : فتسمعون صوابا أم خطأ ؟ قالوا : بل صوابا ؟ قال : فالزيادة من الخير خير . وليس كما قال ، للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل ، وهو الاسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه . وذكر الأصمعي أن عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ (٢) لما أراده (٣) على القضاء قال : إني لا أصلح له : قال : وكيف ذاك ؟ قال ، لأنى عيى ، ولأنى دميم ولأنى حديد . قال ابن هُبَيْرَة : أما الحدة فإن السوط يقومك ، وأما الدمامة فإنى لا أريد أن أحاسن بك أحداً ، وأما العى فقد عبرت عما تريد . فان كان إياس عند نفسه عيياً ، فذاك أجدر أن يهجر الإكثار . و بعد هذا فما نعلم أحداً رمى إياساً بالعى و إنما عابوه بالإكثار . وعن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث قال : مارأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف (٤) و إياس بن معاوية ، فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيرا . وقال قائل لإياس : لم تعجل بالقضاء ؟ فقال له إياس : كم لكفك من إصبع ؟ قال : خمس . قال : عجلت . قال : لم يعجل من قال بعد ما قتل الشيء علما و يقينا . قال إياس : فهذا

---

(١) هو ابو الحسن على بن محمد المدائنى . كان راوية إخباريا

(٢) هو ابو المثنى عمر بن هبيرة الفزازى . كان واليا على العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين، وكان عظيما جليلا . مات بالشام

(٣) يعنى إياساً

(٤) هو الأمير الكبير ابو محمد الحجاج بن يوسف الثقفى . التحق هو وابوه بخدمة الدولة الأموية فكان هو فى شرطة روح بن زنباع الجذامى فأظهر همة وبراعة وحزما وعزما فعهد إليه فى ولاية تباله فرآها دون همته فلم يرضها ثم ولى شرطة أبان بن مروان . فلما ظهر أمر عبد الله بن الزبير بعثه عبد الملك لقتاله فنهد له وقاتله أشد قتال وأحره وما زال به حتى حصره فى الكعبة ثم خرج عبد الله فقاتل حتى قتل وصلبه الحجاج سنة ٧٣ ثم ولاه عبدالملك الحجاز ثلاث سنين فكان يحج بالناس ونقض بنيان الكعبة التى كان بناه ابن الزبير وبناها على الأساس الأول . ثم تولى العراقين عشرين سنة ، وكان له فيها احداث وخطوب مع الاهلين ، كما كانت له مع الخوارج مواقف ومشاهد ووقائع ما كان لغيره انى كان شأنه أن يقوى على الاضطلاع بأعبائها ، لما اختص به من بعد الهمة ومضاء العزيمة وتمام الشجاعة ونافذ التدبير وبارع السياسة ، مع الفصاحة والبلاغة وقوة البيان وشدة العارضة . وفى الحق انه لولا الحجاج لذهب ملك بنى امية من الوجود ، او لما قامت له قائمة بعد معاوية وبنيه . وبنى الحجاج واسطا سنة ٨٣ وبها مات سنة ٩٥ هـ ٧١٣ م

هو جوابى لك . وكان كثيراً ما ينشد قول النابغة الجعدى (١)

أبى لى البلاء وأنى امرؤٌ إذا ما تبينتُ لم أرتبِ

قال : ومدح سلمة بن عياش سوار بن عبد الله (٢) بمثل ما وصف به إياسٌ نفسه حين قال :

وأوقف عند الأمر مالم يبن له وأمضى إذا ماشك ما كان ماضيا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى عدى بن أرطاة : إن قبلك رجلين من مزينة فولِّ أحدهما قضاء البصرة . يعنى بكر بن عبد الله المزنى (٣) وإياس بن معاوية . فقال بكرٌ : والله ما أحسن القضاء ، فان كنت صادقا فما يحل لك أن توليني ، وإن كنتُ كاذبا إنها لأحراهما . وكانوا إذا ذكروا البصرة قالوا شيخها الحسن (٤) وفتاها بكر . وقال إياس بن معاوية : لست بخب والخب (٥) لايخدعنى ، ولا يخدع ابن سيرين ، وهو يخدع أبى ويخدع الحسن . ودخل الشام وهو غلام فتقدم خصما له — وكان الخصم شيخا كبيراً — إلى بعض قضاة عبد الملك بن مروان ، فقال له القاضى : أتتقدم شيخا كبيرا ! ؟ قال الحق أكبر منه . قال : اسكتْ . قال : فمن ينطق بحجتى ؟ قال : لا أظنك تقول حقا حتى تقوم ؟ قال : لا إله إلا الله ، أحقا هذا أم باطلا ؟ ! فقام القاضى فدخل على عبد الملك من ساعته فخبره بالخبر ، فقال عبد الملك : إقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لايفسد علىّ الناس . فإذا كان من إياس وهو غلام يُخاف على جماعة أهل الشام فماظنك به وقد كبرت سنه ، وعض ناجذه (٦)

(١) هو ابو ليلى حسان بن قيس الجعدى . وكان اسن من النابغة الذبيانى . وهو من الشعراء المخضرمين وعمر عمراً طويلا قيل انه عاش مائتين وعشرين سنة ومات بأصبهان

(٢) هو سوار بن عبد الله العنبري احد قضاة الدولة العباسية فى بغداد . مات سنة ١٥٦ هـ

(٣) هو بكر بن عبد الله المزنى . من مزينة مضر . كان زوج امه ذا مال كثير فكان هو ينفق عن سعة ، وكان حسن اللباس كثير الانفاق عليه وكان من أفاضل التابعين صالحا تقيا . مات سنة ١٠٨ هـ

(٤) يعنى الحسن البصرى

(٥) الخب : المخادع

(٦) عض ناجذه : استحكمت سنه وكمل عقله

وجملة القول فى إياس أنه كان من مفاخر مضر ، ومن مقدمى القضاة ، وكان فقيه البدن دقيق المسلك فى الفطن ، وكان صادق الحدْس نقّابا ، وعجيب الفِراسة مُلهما ، وكان عفيف الطعم كريم المدخل والشيم وجيهاً عند الخلفاء مقدماً عند الأكفاء . وفى مُزينة خير كثير .

ثم رجعنا إلى القول الأول : ومنهم رَبيعةُ الرأْى[١] وكان لا يكاد يسكت . قالوا : وتكلم يوماً فأكثر وأعجب بالذى كان منه ، فالتفت إلى أعرابى كان عنده فقال : يا أعرابى ، ما تعدون العى فيكم ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم . وكان يقول : الساكت بين النائم والأخرس .

ومنهم عُبَيدُ الله بن محمد بن حفص التيمى ، ومحمد بن حفص هو ابن عائشة ، ثم قيل لعبيد الله : ابن أبى عائشة ، وكان كثير العلم والسماع متصرفا فى الخبر والأثر ، وكان من أجواد قريش ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو فى ذلك كثير الفوائد ، وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشان كثير العلم ، بعث إليه ميخاب خليفته فى بعض الأمر فأتاه فى حلقته فى المسجد فقال له فى بعض كلامه : أبو مَن أصلحك الله ؟ فقال له : هلا عرفت ذلك قبل مجيئك ؟ وإن كان لا بد لك من هذا فاعترض مَن شئت فاسأله ؟ فقال له : إنى أريد أن تخلينى ، قال : أفى حاجة لك أم فى حاجة لى ؟ قال : فى حاجة لى ، قال : فالقنى فى المنزل ، قال : فان الحاجة لك . قال : ما دون إخوانى ستر .

ومنهم محمد بن مِسعَرٍ العُقَيْلِىُّ ، وكان كريما كريم المجالسة يذهب مذهب النساك ، وكان جواداً . مر صديق له من بنى هاشم بقصر له و بستان نفيس فبلغه أنه استحسنه فوهبه له .

ومنهم أحمدُ بنُ المعذَّل بن غيلان ، كان يذهب مذهب مالك ، وكان ذا بيان وتبحر فى المعانى وتصرف فى الالفاظ .

---

(١) هو ابو عثمان ربيعة بن فروخ أبى عبد الرحمن من موالى التيميين . طلبه ابو العباس السفاح، ليلى قضاء الهاشمية فمات بالأنبار سنة ١٣٦ هـ

وممن كان يكثر الكلام جداً ألفضلُ بنُ سهلٍ ، ثم الحسن بنُ سهل فى أيامه . جلس الحسن بن سهل فى مُصلى الجماعة لنُعَيْم بن حازم فأقبل نعيم حافيا حاسرا وهو يقول : ذنبى أعظم من السماء ، ذنبى أعظم من الهواء ، ذنبى أعظم من الماء ! فقال الحسن بن سهل : على رِسْلِكَ ، تقدمتْ منك طاعةٌ وكان آخر أمرك إلى توبة ، وليس للذنب بينهما مكان ، وليس ذنبك فى الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو .

ومن هؤلاء عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ ، وكان لايسكت ، ولا أدرى كيف كان كلامه .

وكان مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ [1] يقول : لا تطعم طعامك من لا يشتهيه .

يقول : لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه . وقال عبدُ الله بن مسعود : حَدِّثِ الناس ما حَدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم . فاذا رأيت منهم فترة فأمسك . قال : وجعل ابن السَّمَّاك يوما يتكلم ، وجارية له حيث تسمع كلامه ، فلما انصرف إليها قال لها : كيف سمعت كلامى ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده ! فقال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه . قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه . وعن قَتَادَةَ [2] قال : مكتوب فى التوراة : لا يعاد الحديث مرتين . وعن الزُّهْرِيِّ [3] قال : إعادة الحديث أشد من نقل الصخر . وقال بعض الحكماء : من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك .

وجملة القول فى الترداد أنه ليس فيه حد ينتهى إليه ولا يؤتى إلى وصفه ، و إنما

---

(١) هو ابو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير الحريشى . كان من أفاضل التابعين . مات سنة ٨٨ ﻫ .

(٢) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسى البصرى الأكمه . كان من أفاضل التابعين ، مقصود الجناب يحمل علمه إلى الآفاق . وكان قدريا على مذهب المعتزلة ، قيل انه هو الذى سماهم بهذا الاسم . تصدر فى مجلس الحسن البصرى بعد وفاته وانتهج منهجه ، وكان على عماه يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد . مات بواسط سنة ١١٧ ﻫ .

(٣) هو محمد بن مسلم الزهرى القرشى . كان من أعلام التابعين ، رأى عشرة من الصحابة وسمع منهم . وأخذ عنه جماعة من الأئمة منهم مالك بن أنس وسفيان الثورى ، وكان إذا جلس فى بيته وضع كتبه حوله مشتغلا بها عن كل احد فقالت له زوجته : والله لهذه الكتب اشد على من ثلاث ضرائر . مات سنة ١٢٤ ﻫ .

ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص . وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وهرون وشعيب وابرهيم ولوط وعاد وثمود ، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة . لأنه خاطب جميع الامم من العرب واصناف العجم وأكثرهم غبي غافل ، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب . وأما حديث القصص والرقة فاني لم أر أحداً يعيب ذلك ، وما سمعنا باحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الالفاظ وترداد المعاني عِيّاً إلا ما كان من النَّخَّارِ بْنِ أَوْسٍ العُذْرِيّ فانه كان إذا تكلم في الحِمالات وفي الصفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفاني والبوار ، كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمي فنحر .

قال ثمامةُ بنُ أشرس [1] كان جعفر بن يحيي أنطق الناس ، قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة ، وإفهاماً يغنيه عن الاعادة ، ولو كان في الارض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة لاستغنى جعفرٌ عن الإشارة كما استغنى عن الإعادة . وقال مرة : ما رأيت أحداً كان لَا يَتَحَبَّسُ ولا يتلجلج ولا يتنحنح ولا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بُعْدٍ ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعصّى عليه طلبه ، أشد اقتداراً ولا أقل تكلفاً من جعفر بن يحيي . وقال ثمامة : قلت لجعفر بن يحيي : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويُجلّي عن مغزاك وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة ، والذي لابد منه أن يكون سليما من التكلف بعيداً من الصنعة بريئا من التعقيد غنياً عن التأويل .

وهذا هو تأويل قول الأَصْمَعِي : البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر خبرني جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال : ذكرت لِعَمْرِو

(١) هو ثمامة بن اشرس النميري مولاهم . كان من زعماء المعتزلة ورؤسائهم . وكان قوي العارضة حاضر البديهة ذا لسن وبيان ، وهو راس فرقة من فرق المعتزلة تسمى « الثمامية » قتله الخزاعيون في طريق مكة سنة ٢١٣ هـ

ابن مَسْعَدَة[١] توقيعات جعفر بن يحيى، قال: قد قرأت لأم جعفر توقيعات فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصاراً وأجمع للمعانى. قال: ووصف أعرابى أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال: كان والله يضع الْهِنَاء مواضع النُّقَب[٢] يظنون أنه نقل قول دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّة[٣] فى الخنساء بنت عمرو بن الشَّريد إلى ذلك الموضع، وكان دُرَيْدٌ قال فيها:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلا سَمِعْتُ بِهِ ... فِى النَّاسِ طَالِى أَيْنُقٍ جُرْبِ
مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُهُ ... يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ

ويقولون فى إصابة عين المعنى بالكلام الموجز: فلان يَفُلُّ المَحَزَّ ويصيب الْمَفْصِل. وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق فجعلوه مثلا للمصيب الموجز.
وأنشدني أبو قَطَن الغَنَوِىُّ. وهو الذى يقال له شهيد الكرم، وكان أبين من رأيته من أهل البدو والحضر.

فَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلَانَ لَم تَجِدْ ... عَلَىَّ لِمَخْلُوقٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمَا
وَلَكِنَّنِى مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا ... فَلَسْتُ أُبَالِى أَنْ أَدِينَ وَتَغْرَمَا
أُولَئِكَ قَوْمٌ بَارَكَ اللهُ فِيهِمُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا

(١) هو عمرو بن مسعدة احد كتاب الدولة العباسية فى عهد المأمون، وكان من اكابر البلغاء واحاسن الفصحاء. مات سنة ٢١٧ هـ

(٢) الهناء: القطران. النقب: الجرب

(٣) هو دريد بن الصمة الجشمى. كان من فرسان الجاهلية وشجعانهم، وكان شاعرا فحلا، وكان اطول الفرسان الشعراء غزوا وابعدهم اثرا واكثرهم ظفرا وايمنهم نقيبة. قيل إنه غزا نحو مائة غزاة ما اخفق في واحدة منها. وأدرك الاسلام ولم يسلم. وخرج مع قومه يوم حنين مظاهراً للمشركين وفي هذه الوقعة قتل على شركه. وهذان بيتان هما من كلمة له اولها:

حيوا تماضر واربعوا صحبى ... وقفوا فان وقوفكم حسبى
أخناس قد هام الفؤاد بكم ... واعتاده تبل من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به ... كاليوم طالى أنيق جرب
متبذلا تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب
متحسراً نضح الهناء به ... نضح العبير بريطة العصب
فسليهم عنى خناس إذا ... غض الجميع هناك ماخطبى

جُفاةُ المحزِّ لا يُصيبُونَ مَفْصِلاً ... ولا يأكُلونَ اللحْمَ إلاَّ تَخَذُّمَا (١)

يقول : هم ملوك وأشباه ملوك ، ولهم كفاة فهم لا يحسنون إصابة المفصل .

وأنشد أبو عُبيدة فى مثل ذلك :

وَصُلْعُ الرُّؤُسِ عِظامُ البُطُونِ ... جُفاةُ المَحزِّ غِلاظُ القَصَرْ (٢)

وكذلك (٣)

لَيْسَ بِرَاعِى إبِلٍ ولا غَنَمْ ... ولا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ (٤)

وقال الآخر وهو ابنُ الزِّبَعْرَى (٥)

وفِتيانِ صِدْقٍ حِسانِ الوُجُوهِ ... لا يجِدُونَ لِشَيْءٍ أَلَمْ
مِنَ آلِ المُغِيرَةِ لا يَشْهَدُونَ ... عِنْدَ المَجَازِرِ لَحْمَ الوَضَمْ

(١) التخذم : التكلف

(٢) القصر : الأعناق

(٣) قائل هذا البيت هو رشيد بن رميض « كلاهما بضم الرأى للتصغير » العنزى، وهو من أرجوزة قالها فى شريح بن ضبيعة المعروف بالحطم . وكان شريح غزا اليمن فى جموع من ربيعة فغنم وأسر وسبى، وكان من أسراه فرعان بن مهدى بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس الكندى ، فمر فى عودته بمفازة ضل فيها الدليل ومات فرعان فى أيديهم عطشا مع خلق كثير ، وجعل شريح يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى أدركوا الماء فقال رشيد عند ذلك :

هذا أوان الشد فاشتدى زيم ... نام الحداة وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم ... خدلج الساقين خفاق القدم
قد لفها الليل بسواق حطم ... ليس براعى إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم

فلقب شريح من يومئذ « بالحطم » لقول رشيد فيه . أدرك الحطم الاسلام وأسلم ولما مات النبى ارتد

(٤) الوضم والوضمة : خشبة الجزار التى يقطع عليها اللحم (الأرمة)

(٥) هو عبد الله بن الزبعري السهمى . كان من شعراء قريش المنافحين عنهم بقوة اللسان ومتانة البيان، وكان ممن هجا النبى ثم أسلم وحسن إسلامه . وله مع حسان بن ثابت حوادث وأهاج تروى . ويعجبنى من شعره قوله :

ياغراب البين أسمعت فقل ... إنما تنطق شيئا قد فعل
إن للخير وللشر مدى ... وكلا ذلك وجه وقبل
كل بؤس ونعيم زائل ... وبنات الدهر يلعبن بكل
والعطيات خساس بينهم ... وسواء قبر مثر ومقل

وقال الرّاعى[1] فى المعنى الأول :

فَطَبَّقْنَ عَرْضَ القُفِّ حَتَّى لَقِينَهُ ... كما طَبَّقَتْ فى العَظْمِ مُدْيَةُ جَازِرِ

وأنشد الأصمعىُّ :

وكَفُّ فتًى لم يَعْرِفِ السَّلْخَ قَبْلَهَا ... تَجُورُ يَدَاهُ فى الأَدِيمِ وَتَجْرَحُ

وأنشد الأصمعى :

لا يُمْسِكُ العُرْفَ إلا رَيْثَ يُرْسِلُهُ ... وَلاَ يُلاطِمُ عِنْدَ اللَّحْمِ فى السُّوقِ

وقد فسر ذلك لَبيدُ بن رَبيعةَ[2] وبيَّنه وضرب المثل به حيث قال فى الحُكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثة :

يا هَرِمَ بْنَ الأَكْرَمِينَ مَنْصِبَا ... إنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجِبَا

فَطَبِّقِ المَفْصِلَ وَاغْنَمْ طَيِّبَا

يقول : أحكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثة بكلمة فصل و بأمر قاطع فتفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين . وقد قال الشاعر فى هَرِمٍ :

قَضَى هَرِمٌ يَوْمَ المُرَيْرَةِ بَيْنَهُمْ ... قَضَاءَ امْرِئٍ بالأَوَّلِيَّةِ عَالِمِ

قَضَى ثُمَّ وَلَّى الحُكْمَ مَنْ كانَ أَهْلَهُ ... وَلَيْسَ ذُنَابَى الرِّيشِ مِثْلَ القَوَادِمِ

ويقال فى الفحل إذا لم يحسن الضراب : جمل عياياء ، وجمل طباقاء . وقالت امرأة فى الجاهلية تشكو زوجها : زوجى عياياء طباقاء ، وكل داء له دواء . حتى جعلوا ذلك مثلا للعىّ الفَدْم الذى لا يتجه للحُجة . وقال الشاعر :

طَبَاقَاءُ لم يَشْهَدْ خُصُومًا وَلَمْ يَقُدْ ... رِكَابًا إلى أَكْوَارِهَا حِينَ تُعْكَفُ

---

(١) هو عبيد بن حصين النميرى ، والراعى لقب غلب عليه لكثرة وصفه للابل . كان شاعرا فحلا ومازال مقدما مفضلا حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فأبى ان يكف فهجاه بقصيدة بائية ففضحه

(٢) هو لبيد بن ربيعة العامرى . كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم . وفد قومه على النبى فأسلم وحسن اسلامه . وكان قليل الشعر فى الاسلام . مات بالكوفة فى خلافة عثمان عن سبع وخمسين ومائة سنة .

وذكر زهيرُ بن أبي سُلمى [١] الخطَلَ فعابه فقال :

وَذِى خَطَلٍ فى القَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ ... مُصِيبٌ فَمَا يُلْمِمْ بِهِ فَهْوَ قَائِلُهْ [٢]
عَبَأْتَ لَهُ حِلْماً وَأَكْرَمْتَ غَيْرَهُ ... وَأَعْرَضْتَ عَنْهُ وَهْوَ بَادٍ مَقَاتِلُهْ [٣]

وقال الشاعر

شُمُسٌ إذا خَطِلَ الحَدِيثُ أَوَانِسٌ ... يَرْقُبْنَ كُلَّ مُجَذَّرٍ تِنْبَالِ [٤]

وقال أبو الأسْوَد الدُّؤَلى [٥] — واسم أبى الأسود ظالم بن عَمْرو — وكان من المقدمين فى العلم :

وَشَاعِرِ سُوءٍ يَهْضِبُ القَوْلَ ظَالِماً ... كَمَا اقْتَمَّ أَعْشَى مُظْلِمُ اللَّيْلِ حَاطِبُ [٦]

وأنشد :

أَعُوذُ بِاللهِ الأَعَزِّ الأَكْرَمِ ... مِنْ قَوْلِيَ الشَّيْءَ الذِى لَمْ أَعْلَمِ
تَخَبُّطَ الأَعْمَى الضَّرِيرِ الأَيْهَمِ [٧]

---

(١) هو زهير بن ابى سلمى المزنى ، كان من شعراء الجاهلية الفحول . وهذان البيتان من قصيدة يمدح بها حصن بن حذيفة الفزارى واولها :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرى افراس الصبا ورواحله

(٢) الخطل : كثرة الكلام بلا طائل . فما يلمم به : ما يحضره فى الكلام وإن كان خطلا فهو قائله

(٣) عبأت : جمعت

(٤) قال الجاحظ : الشمس ماخوذة من الخيل وهى الخيل المرحة الضاربة بأذنابها من النشاط . المجذر : القصير . والتنبال : القصير الدنىء .

(٥) هو ظالم بن عمرو ابو الأسود الدؤلى . كان شاعرا مجيدا وعاقلا حازما ، وهو اول من وضع علم العربية وهو النحو بامر على بن ابي طالب . شهد صفين مع على وولاه ابن عباس البصرة وبها فلج وقد اسن . وكان مبخلا ، كان يقول لولده : لا تجاودوا الله فانه اجود وامجد ولو شاء ان يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعل ولا تجهدوا أنفسكم في التوسعة فتهلكوا هزالا . وسمع رجلا يقول : من يعشي الجائع ؟ فعشاه ثم ذهب القائل ليخرج فقال له : هيهات على أن لا تؤذى المسلمين الليلة ووضع رجله فى الأدهم . مات بالبصرة سنة ٦٩ هـ

(٦) يهضب القول : يزيد فى الكلام زيادة تخرجه إلى الخطأ والخطل . اقتم : تقمم . يعنى كما يجمع ضعيف البصر القمامات والكناسات من الأرض فى الليلة الظلماء فربما جمع إلى حطبه حشرات الأرض فيكون فى لمسها هلاكه

(٨) الايهم : من لا يعقل ولا يفهم

وقال إبْرَاهيم بْنُ هَرْمَة (١) فى تطبيق المَفْصِلِ ، وتلحق هذه بمعانى أخواتها قبل:

وَعَمِيمَةٍ قَدْ سقْتُ فِيهَا عَاثِراً غُفْلاً وَفِيهَا عَاثِرٌ مَوْسُومُ (٢)

طَبَّقْتُ مَفْصِلَهَا بِغَيْرِ حَدِيدَةٍ فَرَأَى العَدُوُّ غِنَاىَ حَيْثُ أَقُومُ

وهذه الصفات التى ذكرها ثُمامَةُ بْنُ أَشْرَسٍ فوصف بها جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَ كان ثُمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع أهل عصره ، وما علمت أنه كان فى زمانه قَرَوِىٌّ ولا بلدى كان بلغ من حُسن الإفهام مع قِلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه . وكان لفظه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طبقة لفظه . ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك . قال بعض الكتاب : معانى ثمامة الظاهرة فى ألفاظه الواضحة فى مخارج كلامه كما وصف الخُرَيْمِىُّ (٣) شعرَ نفسه فى مديح أبى دُلَفٍ حيث يقول

لهُ كَلِمٌ فِيكَ مَعْقُولَةٌ إزاء القُلوبِ كَرَكْبٍ وُقُوفْ

وأول هذه القصيدة :

أَبَا دُلَفٍ دَلَفَتْ حاجَتِي إلَيْكَ ومَاخِلْتُهَا بالدَّلُوفْ

(١) هو ابراهيم بن على بن هرمة المذلى القرشى . كان شاعرا مجيدا . مات فى عهد الرشيد سنة ١٥٢ ه

(٢) وعميمة : ورب ناقة طويلة . العاثر : يريد به نصلا . الغفل : الذى لاريش له . والموسوم : ذو الريش .

(٣) هو أبو يعقوب اسحق بن حسان السغدى الخريمى الاعور . أصله من فارس وانتمى إلى ابن خريم الناعم فنسب اليه . كان شاعرا حسن الديباج جيد المعانى . وكان متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة وله فيه مدائح جياد ثم رثاه بعد موته باجود مما مدحه به . وكان قد عمى فقال

إذا ما مات بعضك فابك بعضا فان البعض من بعض قريب

يمنينى الطبيب شفاء عينى وهل غير الاله لها طبيب

وله فى معنى الغيرة والصيانة وهو كلام جيد .

ما أحسن الغيرة فى وقتها وأقبح الغيرة فى كل حين

من لم يزل متهما عرسه مناصبا فيها لريب الظنون

أوشك أن يغريها بالذى يخاف أن يبرزها للعيون

حسبك من تحصينها وضعها منك إلى عرض صحيح ودين

لا تطلع منك على ريبة فيتبع المقرون حبل القرين

ويظنون أن الخرَيمي إنما احتذى فى هذا البيت على أيُّوبِ بْنِ القِرِّيَّةِ حين قال له بعض السلاطين(١) ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : ثلاثة حروف ، كأنهن ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف .

وقال شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ : ألناسُ موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه . وحظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت . ثم قال شَبيب : فان ابْتُليتَ بمقام لابدَّ لك فيه من الإطالة فقدم إحكام البلوغ فى طلب السلامة من الخطل قبل التقدم فى إحكام البلوغ فى شرف التجويد ، وإياك أن تعدل بالسلامة شيئاً فان قليلا كافياً خير من كثير غير شاف .

ويقال أنهم لم يروا قط خطيباً بلديا إلا وهو فى أول تكلفه لتلك المقامات كان مُستثقلا مستصلفاً أيام رياضته كلها إلى أن يتوقح وتستجيب له المعانى ويتمكن من الألفاظ ، إلا شَبيب بن شيبة فانه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار فى كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره . قالوا : ولما مات شَبيب بن شيبة أتاهم صَالحُ المرىُّ(٢) أو بعض من أتاهم للتعزية فقال : رحمة الله على أديب الملوك وجليس الفقراء وأخى المساكين. وقال الراجز :

إِذَا غَدَتْ سَعْدٌ عَلَى شَبِيبِهَا ... عَلَى فَتَاهَا وَعَلَى خَطِيبِهَا(٣)
مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلى مَغِيبِهَا ... عَجِبْتِ مِنْ كَثْرَتِهَا وَطِيبِهَا(٤)

حدثنى صديق لى قال : قلت للعتَّابى : ما البلاغة ؟ قال : كل من أفهمك

---

(١) بعض السلاطين : يريد به الحجاج بن يوسف وله مع ابن القرية حديث
(٢) هو أبوبشر صالح المري مولى مرة من عبد القيس . كان من أهل الخير والصلاح وكان يرى رأى أهل القدر . مات بالبصرة
(٣) سعد : قبيلة شبيب بن شيبة
(٤) كثرتها وطيبها : يعنى عجبت من طول خطبته وسلامتها من العيوب

حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ . فاذا أردت اللسان الذى يروق الألسنة ويفوق كل خطيب باظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل فى صورة الحق(١) . قال : فقلت له : قد عرفت الاعادة والُحبسة فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : يا هناه ، ويا هذا ، ويا هيه ، واسمع منى ، واستمع إلىّ ، وافهم عنى ، أولست تفهم ؟ أو لست تعقل؟ فهذا كله وما أشبهه عِىٌ وفساد .

وعن عمر الشمرى قال: قيل لِعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ : ما البلاغة ؟ قال: ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار ، وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك . قال السائل : ليس هذا أريد ؟ قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول. قال : ليس هذا أريد ؟ قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَاء »(٢) قال السائل : ليس هـذا أريد ؟ قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام مالا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد؟ قال عمرو : فكأنك إنما تريد تخير اللفظ فى حسن الإفهام ؟ قال : نعم . قال: إنك إن أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة فى الآذان المقبولة عند الأذهان ، رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب .

قلت لعبد الكريم : من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال: قد سألت

---

(١) جواب الشرط غير حاصل .

(٢) قال الجاحظ : أى قليلو الكلام ، ومنه قيل رجل بكى وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله »

عن ذلك أبا حفص [1] فقال : ومن كان يجترئ عليه هذه الجراءة إلا حفص ابن سالم ؟ !

وقال عُمر الشمري : كان عمرو بنُ عبيد لا يكاد يتكلم ، فان تكلم لم يكد يطيل . وكان يقول : لا خير فى المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه ، وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ، ولا خير فى شيء يأتيك به التكلف .

وقال بعضهم — وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوّناه — لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك .

وكان مويس بن عمران يقول : لم أر أنطق من أيوب بن جعفر ويحيى بن خالد . وكان ثُمامة يقول : لم أر أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد . وكان سهل بن هٰرون يقول : لم أر أنطق من المأمون أمير المؤمنين . وقال ثمامة : سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه : إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا . وسمعت أبا العتَاهِيَة يقول : لو شئت أن يكون حديثى كله شعراً موزونا لكان . وقال إسحٰق ابن حسّان بن فوهَة : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفّع [2] أحد قط ، سئل : ما البلاغة ؟

(١) يعنى عمر الشمري

(٢) هو عبد الله بن داذويه المقفع الكاتب البليغ الذي لم يتعلق بمنزلته فى الفصاحة والبلاغة وقوة البيان متعلق . كان ابوه من خوزستان وينتحل نحلة المجوس وكان يتولى خراج فارس للحجاج . فنشأ ولده روزبة (عبد الله) على ماينشأ عليه أبناء أهل اليسار ، وربي تربية إسلامية وأولع بالعلوم والآداب فما بلغ العشرين حتى كان آية من الآيات فى الفطنة والذكاء ، وكان على ميعة شبابه لايشق له غبار في حسن البيان ومتانة التبيان . كتب لداود بن يوسف بن عمر بن هبيرة احد ولاة الدولة الأمويه ، وكتب لعيسى بن على عم السفاح وعلى يديه أسلم ، وسمى نفسه عبد الله وتكنى بأبى عمرو ، ثم كان في خدمة أخيه سليمان بن على مذ كان واليا على البصرة . وكان يصوغ الكتب التى يأمر ابو جعفر بنقلها عن الفهلوية والفارسية واليونانية والسريانية في القالب العربى المبين ، فضلا عما كان ينقله هو إلى العربية من الأسفار البديعة والكتب النافعة مثل كتاب « كليلة ودمنة » و « التاج » و « الأدب الكبير » و « الأدب الصغير » و « اليتيمة » ويقال إن كتاب كليله ودمنة من وضعه لامن نقله . وكان يرى ان العرب أعقل الأمم ، قال شبيب بن شبة : كنا وقوفا بالمربد وكان المربد مألف الأشراف إذ أقبل ابن المقفع فبشبشنا به وبدأناه بالسلام فرد علينا ثم قال : لو ملتم إلى نيروز وظلها الظليل

قال : ألبلاغة إسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون فى السكوت، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى الاشارة ، ومنها ما يكون فى الحديث، ومنها ما يكون فى الاحتجاج ، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً ، ومنها ما يكون رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب ألوحى فيها والاشارة إلى المعنى ، والإيجاز هوالبلاغة. فأما الخطب بين السماطين وفى إصلاح ذات البين فالاكثار فى غير خطل ، والاطالة فى غير إملال ، وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قافيته .

كأنه يقول : فرّق بين صدر خطبة النكاح و بين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه ، فإنه لا خير فى كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك ، وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذى إليه نزعت .

وسورها المديد ونسيمها العجيب فعودتم ابدانكم تمهيد الارض وارحتم دوابكم من جهد الثقل ، فان الذى تطلبونه لم تفلتوه ومهما قضى الله لكم من شئ تنالوه ؟ فقبلنا وملنا فلما استقر بنا المكان قال لنا : اي الامم اعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا لعله اراد اصله من فارس ، فقلنا : فارس . فقال : ليسو بذلك ، إنهم ملكوا كثيرا من الارض ووجدوا عظيما من الملك وغلبوا على كثير من الخلق ولبث فيهم عقد الامر فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ولا ابتدعوا باق حكم فى نفوسهم . فقلنا : الروم ، قال : اصحاب صنعة . قلنا : فالصين ، قال : اصحاب طرفة . قلنا : فالهند ، قال : اصحاب فلسفة . قلنا : فالسودان ، قال : شر خلق الله . قلنا : فالترك ، قال : كلاب مختلسة . قلنا : فالخزر ، قال : بقر سائمة . قلنا : فقل ؟ قال : العرب . فضحكنا ! فقال : اما إنى ماردت موافقتكم ولكن إذ فاتنى حظى من النسبة فلا يفوتنى حظى من المعرفة ، إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ولا آثار اثرت ، اصحاب إبل وغنم وسكان شعر وادم ، يجود احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشئ بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ماشاء فيحسن ، ويقبح ماشاء فيقبح ، ادبتهم انفسهم ورفعتهم هممهم وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ، فلم يزل حباء الله فيهم وحباؤهم فى انفسهم حتى رفع لهم الفخر وبلغ بهم اشرف الذكر وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر ، الخير فيهم ولهم . قال سبحانه « إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، فمن وضع حقهم خسر ومن انكر فضلهم خصم ، ودفع الحق باللسان اكبت للجنان . والظاهر انه تخرج فى البلاغة علي خطب الامام على ولذلك كان يقول : شربت من الخطب ريا ولم اضبط لها رويا ، ففاضت ثم فاضت فلا هى نظاما وليس غيرها كلاما . وقد رماه خصم لومه باندقة لضغائن معروفة فقتل سنة ١٤٢ هـ

قال : فقيل له : فان مل المستمع الاطالة التى ذكرت أنها حق ذلك الموقف ؟ قال : إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ، فانه لا يرضيهما شىء ، وأما الجاهل فلست منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شىء لا تناله ، وقد كان يقال : رضا الناس شىء لا ينال .

قال : والسُّنة فى خطبة النكاح أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب . ألا ترى إلى قَيْسِ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سِنَانٍ لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتى الحاملين فى شأن حِمالة دَاحِس والغبراء[1] وقال : مالى فيهما أيها العَشَمتان ؟[2] قالا : بل ما عندك ؟ قال : عندى قِرى كل نازل ، ورضا كل ساخط ، وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب ، آمر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع .

قالوا : فخطب يوماً إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى .

فقيل لأبى يعقوب:[3] هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهى عن التقاطع ؟ أو ليس الأمر بالصلة هو النهى عن القطيعة ؟ ! قال : أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان فى العقول عمل الافصاح والتكشف ؟

قال : وسئل ابن المقفع عن قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : مايتصعدنى كلام كما تصعدنى خطبة النكاح ؟ قال : ما أعرفه إلا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه ، ونظر الحداق من قرب فى أجواف الحداق . ولأنه إذا كان جالساً معهم كانوا كأنهم نظراء وأكفاء ، وإذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية . وقد ذهب

(١) داحس والغبراء : فرسان كانتا لقيس بن زهير العبسى راهن بهما مع حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه الخطار والحنفاء وحملا الخطر على عشرين بعيرا ايهما سبقت خيله اخذها من صاحبه . وجعلا الغاية مائة غلوة والضمار اربعين ليلة والمجري من ذات الاصاد ، وهى ماءة ، فلما اطلقت الخيل وضع بنو فزارة كمينا على الطريق ، فلما اقبلت الغبراء سابقة لطموها وردوها ، فقال قيس : سبقت الغبراء ، فدفعوه عن ذلك فوقع الشر بينهما وقتل بسبب ذلك عوف بن بدر ومالك بن زهير فحمل الديات عنهم الحارث بن عوف المري ، فى خبر طويل ، وكان ذلك من ايام العرب فى الجاهلية

(٢) العشمتان : الرجلان الفانيان

(٣) يعنى الخريمى

ذاهبون إلى أن تأويل قول عمر يرجع إلى أن الخطيب لا يجد بدا من تزكية(١) الخاطب ، فلعله كره أن يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زوراً وغر القوم من صاحبه. ولعمرى إن هذا التأويل ليجوز إذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة ، فأما عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وأشباهه من الأئمة الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك إلا فيمن يستحق المدح :

وعن الحارث الأعور قال : والله لقد رأيت علياً وإنه ليخطب قاعداً كقائم ومحارباً كمسالم . يريد بقوله قاعدا ، خطبة النكاح .

وقال الهيثم بن عدى : لم تكن الخطباء تخطب قعودا إلا فى خطبة النكاح . وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل ، وفى الكلام يوم الجمع آي من القرآن . فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع . قال الهيثم : قال عمرانُ بن حِطّان : إن أول خطبة خطبتها عند زياد — أو قال عند ابن زياد — فأعجب بها زياد وشهدها عمى وأبى ، ثم أنى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شيء من القرآن .

وأكثر الخطباء لا يتمثلون فى خطبهم الطوال بشيء من الشعر ، ولا يكرهونه فى الرسائل إلا أن تكون إلى الخلفاء . وسمعت مؤمل بن خاقان — وذكر فى خطبته تميم بن مر — فقال إن تميما لها الشرف القديم السؤدد ، والعز الأقعس ، والعدد الهيضل(٢) وهى فى الجاهلية القدّام(٣) والذروة والسنام . وقد قال الشاعر :

فَقُلْتُ له وأَنْكَرَ بَعْضَ شَأْنِى   أَلَمْ تَعْرِفْ رِقَابَ بَنِى تَمِيمِ ؟

وكان المؤمل وأهله يخالفون جمهور بنى سعد فى المقالة ، فلشدة تحدّبه(٤) على

(١) تزكيته : مدحه
(٢) الاقعس : الثابت الظاهر . الكثير .
(٣) القدام : المتقدمون على الناس
(٤) تحدبه : تعطفه

سعد وشفقته عليهم كان يناضل عند السلطان كل من سعى على أهل مقالاتهم وإن كان قوله خلاف قولهم ، حدباً عليهم.

وكان صالح المُرِّيُّ القاص العابد البليغ كثيراً ما ينشد فى قصصه وفى مواعظه هذا البيت .

فَبَاتَ يُرَوِّى أُصُولَ الفَسِيلِ فَعَاشَ الفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلْ (١)

وينشد الحسن فى مجلسه وفى قصصه وفى مواعظه :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ (٢)

وأنشد عَبْدُ الصمدِ بْنُ الفَضْلِ بْنِ عِيْسَى بْنِ أَبَانَ الرَّقَاشيُّ الخطيب القاص السجَّاع إما فى قصصه ، وإما فى خطبة من خطبه ، رحمه الله سبحانه وتعالى :

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادِ
جَرَتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
فَأَرَى النَّعِيمَ وكلَّ ما يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلًى وَنَفَادِ

وخطب عبد الله بن الحسن على مِنبر البصرة فى العيد فأنشد فى خطبته :

أَيْنَ المُلُوكُ الَّتى عَنْ حَظِّهَا غَفَلَتْ حَتَّى سقاها بِكَأْسِ المَوْتِ سَاقِيهَا
تِلْكَ المَدَائِنُ بالآفاقِ خَالِيَةٌ أَمْسَتْ خَلَاءً وَذَاقَ المَوْتَ بَانِيهَا

وكان مالك بن دينار (٣) يقول فى قصصه : ما أشد فطام الكبير ؟ وهو كما قال القائل :

---

(١) الفسيل : صغار النخل

(٢) هذا البيت الذي كان يتمثل به الحسن البصرى من كلمة لعدى بن رعلاء الغساني وهى :

ربما ضربة بسيف صقيل دون بصرى وطعنة نجلاء
وغموس تضل فيها يد الآ سى ويعيا طبيبها بالدواء
رفعوا راية الضراب والو ليذودون سامر الملحاء
فصبرنا النفوس للطعن حتى جرت الخيل بيننا فى الدماء
ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش ذليلا سيئا باله قليل الرجاء

(٣) هو ابو يحيي مالك بن دينار ، علم فاضل ، وزاهد ناسك ، مشهور بالصلاح والتقوى والورع ، كان يكتب المصاحف ويعيش منها ، مات سنة ١٣١ هـ

وَتَرُوضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَاهَرِمَتْ وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرِمِ

ومثله أيضاً قول صَالِح بْنِ عَبد القُدُّوسِ (١)

وَالشيخُ لا يَتْرُكُ أخلاقَهُ حَتَّى يُوارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ

إذا ارْعَوَى عَادَ إلى جَهْلِهِ كَذِى الضَّنَى عادَ إلى نُكْسِهِ (٢)

قال كُلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو العتَّابِىُّ (٣)

وَكُنْتَ امْرَأً لَوْشِئْتَ أَنْ تَبلُغَ المَدَى بَلَغْتَ بأَدْنَى نِعْمَةٍ تَسْتَدِيمُهَا

وَلَـكِنْ فِطَامَ النَّفْسِ أَثْقَلُ مَحْمَلاً مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ حِينَ تَرُومُهَا

وكانوا يمدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت . ولذلك تشادقوا في الـكلام ومدحوا سَعَة الفم وذموا صغر الفم. قيل لأعرابى: ما الجمال؟ قال : طول القامة ، وضخم الهامة ، ورحَب الشدق ، و بعد الصوت . وسأل جعفر بن سليمان أبا المخشّ عن ابنه المخشّ — وكان جزع عليه جزعاً شديداً — قال : صف لى المخشّ ؟ فقال كان [والله] أشدقَ خرْطُمانياً (٤) سائلا لعابه كأنما ينظرمن قَلْتَين (٥)

---

(١) هو صالح بن عبد القدوس الشاعر المتكلم البليغ . كان يذهب فى شعره مذهب الحكمة ، والظاهر أنه قرأ كتب الأوائل ومازجت نفسه مافيها من الفكر والآراء الفلسفية فكانت تظهر على كلامه . ولذلك رماه خصومه بالزندقة وبأنه كان يقول بمذهب الثنوية القائلين بمبدأ النور والظلمة. جرت بينه وبين أبي الهذيل العلاف مناظرات خذل فيها . وزعموا أنه رؤى يصلى صلاة تامة الأركان فقيل له : ماهذا ! ومذهبك معروف ؟ فقال : سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد . وشي به إلى الرشيد فقتله ظلما على أنه زنديق ، والصحيح أنه كان مستقيم الطريقة ومات على توبة

(٢) ارعوى : نزع وكف عن جهالاته

(٣) هو كلثوم بن عمرو العتابى التغلبى ، كان يقول إنه من سلالة عمرو بن كلثوم . وكان من شعراء الدولة العباسية المطبوعين ومن متقدميهم ، وكان كاتبا بليغا وخطيبا مصقعا . وكان فى أول امره منقطعاً إلى البرامكة ثم وصلوه بالرشيد فبلغ عنده كل مبلغ . قيل انه جاء إلى بشار وهو حدث فأنشده :

انصدف عن أمامة ام تقيم وعهدك بالصبا عهد قديم
اقول لمستطار القلب عف على عزماته السير العديم
أما يكفيك ان دموع عينى شآبيب يفيض بها الهموم
أشيم فلا أرد الطرف إلا على أرجائه ماء سجوم

فمد بشار إليه يده ثم قال له : أنت بصير ؟ قال : نعم . قال : عجبا لبصير أن يقول هذا الشعر ؟

(٤) أشدق : واسع الشدق . خرطمانيا : واسع الخرطوم وهو ماضممت عليه الحنكين

(٥) قلتين : نقرتين فى صخرة . يعنى واسع العينين

وكأن تَرْقُوَتَه بُوانٌ أو خالفة (١) وكأن [مُشاش] مَنكبه كِرْكِرةُ (٢) جمل ثقال ، فقأ الله عيني إن كنت رأيتُ قبله أو بعده مثله . وقيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : غؤور العينين ، وإشرافُ الحاجبين ، ورحب الشِّدقين .

قال دَغفلُ بنُ حَنظلَةَ النسَّابة والخطيب العلامة حين سأله معاوية عن قبائل قريش فلما انتهى إلى بني مخزُوم قال : مِعزى مَطيره ، عليها قشعريره ، إلا بني المغيره ، فان فيهم تشادق الكلام ، ومصاهرة الكرام . وقال الشاعر في عمرو ابن سعيد الأشدق :

تَشَادَقَ حتى مَالَ بالقَوْلِ شِدْقُهُ ... وَكلُّ خَطِيبٍ لاَ أبالَكَ أَشْدَقُ

وأنشد أبو عبيدة :

وَصُلْعُ الرُّؤسِ عِظَامُ البُطُونِ ... رِحَابُ الشِّدَاقِ طِوَالُ القَصَرْ (٣)

وتكلم يوما عند معاوية الخطباء فأحسنوا فقال : والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق ، قم يايزيد فتكلم ؟

وهذا القول وغيره من الاخبار والاشعار حجة لمن زعم أن عمرو بن سعيد لم يسم الأشدق لِلفَقَم ولا لِلقَوَة (٤) وقال يحيي بن نوفل (٥) في خالد بن عبد الله القسري (٦)

بَلَّ السَّرَاوِيلَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ ... وَاستَطْعَمَ الماءَ لمَّا جَدَّ في الهَرَبِ (٧)

---

(١) بوان أو خالفة : عمود البيت الذي يعتمد عليه

(٢) المشاش : ماأشرف من عظم المنكب . الكركرة : ماتنأ في صدر البعير يعتمد عليه إذا برك

(٣) القصر : الأعناق

(٤) الفقم : بروز الثنايا العليا عن الفك الاسفل . والقوة : نوع من الشلل يصيب الوجه فيعوج له الشدق وتجحظ العينان

(٥) هو يحيي بن نوفل . شاعر هجاء من شعراء بني أمية ، كان يعد نفسه من ثقيف ثم اعتزى إلى حمير . وكان من خبثاء الشعراء وفي ومهم

(٦) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد (القسري) كان من ولاة بني أمية وكان يرمى بالظلم والغشم . وكان خطيبا مفوها على لحن كان فيه

(٧) لما خرج المغيرة بن سعيد رأس المغيرية بالكوفة جزع خالد وهو على المنبر وزهل فقال : اطعموني ماء ، فعير بذلك وزاد الشاعر فقال إنه بال على السرير

وَأَلْحَنُ النَّاسِ كلَّ النَّاسِ قاطِبَةً   وَكَانَ يُولَعُ بالتَّشْدِيقِ فى الخُطَبِ

ويدلك على تفضيلهم سعة الاشداق وهجائهم ضيق الأفواه قول الشاعر :

لَحَا اللهُ أفْوَاهَ الدَّبَى مِنْ قَبِيلَةٍ   إذا ذُكِرَتْ فى النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا (١)

وقال الآخر :

وَأفوَاهُ الدَّبَى حَامُوا قَلِيلاً   وَلَيْسَ أخُو الحِمَايَةِ كالضَّجُورِ

وإنما شبه أفواههم بأفواه الدبى لصغر أفواههم وضيقها .

وعلى ذلك المعنى هجا عَبْدَةَ بْنُ الطَّبِيبِ (٢) حَىَّ بن هزالٍ وابنيه فقال :

تَدْعُوا بُنَيْكَ عَبَّاداً وَجَرْثَمَةً   فا فَأْرَةٍ شَجَّهَا فى الجُحْرِ مِحْفَارُ (٣)

وقد كان العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ جهيراً (٤) جهير الصوت ، وقد مُدح بذلك ، وقدنفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس . ياأصحاب سورة البقرة ، هذا رسول الله ؟ فتراجع القوم وأنزل الله عز وجل النصرة وأتى بالفتح .

وعن ابْنِ عبَّاسٍ قال : كان قَيْسُ بْنُ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِمَنَافٍ يَمكو حول البيت فيُسمع ذلك من حِراء . قال الله تعالى « وَمَا كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً » فالتَّصدية : التصفيق ، والمُكاء : التصفير ، أو شبيه بالصفير . ولذلك قال عَنترة :

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً   تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلَمِ (٥)

---

(١) أفواه الدبى : شبه أفواههم بأفواه الدبى وهو صغار الجراد لضيقها وصغرها

(٢) هو عبدة بن يزيد بن عمرو (الطبيب) كان شاعراً مجيداً مقلا أدرك الاسلام واسلم وكان فى جيش النعمان بن مقرن فى حرب الفرس . وكان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة ويرى تركه مروءة وشرفا . وله قصيدة فى رثاء قيس بن عاصم تعد من مفاخر الشعر . وله مفضليتان من احكم ماقيل

(٣) فاأرة : يعنى وهما فى صغر افواهما وضيقها كفي الفأرة أي كفمها

(٤) جهيرا : جميل المنظر حسن الهيئة .

(٥) فريصته : مكان الطعنة من جسمه . الاعلم : الجمل مشقوق الشفة العليا

وقال العُجَيْرُ السَّلُولِيُّ (١) فى شدة الصوت :

وَمِنْهُنَّ قَرْعِى كُلَّ بابٍ كَأَنَّما ... بِهِ القَوْمُ يَرْجُونَ الأَذِينَ نُسُورُ

فَجِئْتُ وَخَصْمِى يَصْرِفُونَ نُيُوبَهُمْ ... كَما قُصِبَتْ بَيْنَ الشِّفارِ جَزُورُ

لَدَى كُلِّ مَوْثُوقٍ بِهِ عِنْدَ مِثْلِها ... لَهُ قَدَمٌ فى النَّاطِقِينَ خَطِيرُ

جَهِيرٌ وَمُمْتَدُّ العِنانِ مُناقِلٌ ... بَصِيرٌ بِعَوْراتِ الكَلامِ خَبِيرُ

فَظَلَّ رِداءُ العَصْبِ مُلْقًى كَأَنَّهُ ... سَلَى فَرَسٍ تَحْتَ الرِّجالِ عَقِيرُ

لَوَ اَنَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلْقَنا ... لَرُحْنَ وَفى أَعْراضِهِنَّ فُطُورُ (٢)

وقال مُهَلْهِلٌ :

وَلَوْلا الرِّيحُ أُسْمِعَ أَهْلُ نَجْدٍ ... صَلِيلُ البِيضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ (٣)

وفى شدة الصوت يقول الأعْشَى فى وصفه الخطيب بذلك :

فِيهِمُ الخِصْبُ والسَّماحَةُ وَالنَّجْ ... دَةُ جَمْعاً وَالخاطِبُ الصَّلاَّقُ (٤)

---

(١) هو العجير بن عبد الله السلولى ، شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان جوادا متلافا . وهذه الأبيات من قصيدة انشدها بين يدى عبد الملك بن مروان وقد رواها الجاحظ مضطربة غير مستقيمة وانا ارويها على الترتيب والصحة :

ألا تلك ام الهبرزي تبينت ... عظامي ومنها ناصل وكسير
وقالت تضاءلت الغداة ومن يكن ... فتى قبل علم الماء فهو كبير
فقلت لها إن العجير تقلبت ... به ابطن ابلينه وظهور
فمنهن إدلاجي على كل كوكب ... له من عمانى النجوم نظير
ومنهن قرعى باب ملك كأنما ... به القوم يرجون الأذين نسور
ويوم تبارى ألسن القوم فيهم ... وللموت ارحاء بهن تدور
لو ان الجبال الصم يسمعن وقعها ... لعدن وقد بانت بهن فطور
فرحت جوادا والجواد مثابر ... على جريه ذو علة وبسير
وجئت وخصمى يصرفون نيوبهم ... كما قصبت بين الشفار جزور
لدى كل موثوق به عند مثلها ... له قدم فى الناطقين خطير
جهير وممتد العنان مناقل ... بصير بعورات الكلام خبير
فظل رداء العصب ملقى كأنه ... سلى فرس تحت الرجال عقير

(٢) قال الجاحظ : الصريف : صوت احتكاك الأنياب ، والصلق : شدة الصوت ، وفطور : شقوق

(٣) قال الجاحظ : الصليل : صوت الحديد ههنا

(٤) الصلاق : الشديد الصوت

وقال بَشار بن بُرد فى ذلك ويهجو بعض الخطباء :

وَمِنْ أَعْجَبِ الأَيَّامِ أَنْ قُمْتَ ناطِقاً   وَأَنْتَ ضَئِيلُ الصَّوْتِ مُنْتَفِخُ السَّحْرِ (١)

ووقع بين فتى من النصارى و بين ابنِ فِهْرِيزَ كلام ، فقال له الفتى : ما ينبغى أن يكون فى الأرض رجلٌ واحدٌ أجهل منك؟! وكان ابنُ فِهْرِيزَ فى نفسه أكثر الناس علماً وأدباً وكان حريصاً على الْجَثْلَقَة فقال للفتى : وكيف حلت عندك هذا المحل ؟ ! قال: لأنك تعلم أنا لانتخذ الْجاثَلِيقَ (٢) إلا مديد القامة ، وأنت قصيرُ القامة ، ولا نتخذه إلا جهيرَ الصوت جيدَ الحلق ، وأنت دقيقُ الصوت رديء الحلق ، ولا نتخذه إلا وهو وافرُ اللحية عظيمُها ، وأنت خفيفُ اللحية صغيرُها ، وأنت تعلم أنا لانختار للجثلقة إلا رجلاً زاهداً فى الرياسة ، وأنت أشدُّ الناس عليها كَلَباً وأظهرهم لها طلباً ؛ فكيف لا تكون أجهل الناس وخصالك هذه كلها تمنع من الجثلقة ؟ وأنت قد شغَلْت فى طلبها بالك وأسهرت فيها ليلك ؟!

وقال أَبُو مِحْجَن (٣) فى شدة الصوت :

إِنِّى إِذَا مَا زَبَّبَ الأَشْدَاقُ   وَالتَجَّ حَوْلِى النَّقْعُ وَاللَّقْلاَقُ (٤)

ثَبْتُ الجَنَانِ مِرْجَمٌ وَدَّاقُ (٥)

وجاء فى الحديث « مَنْ وُقِىَ شرَّ لَقْلَقِهِ وقَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ وُقِىَ الشرَّ » يعنى لسانه و بطنه وفرجه . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بواكى خالِدِ

---

(١) السحر : الرئة

(٢) الجاثليق : رئيس النصارى ببلاد الاسلام

(٣) أبو محجن : كان بالاصل: ابوالحجناء . وهوخطأ . والصواب ما اثبتناه ، لأن كنية نصيب الأكبر مولى عبدالعزيز بن مروان هى : ابو محجن ، وهو المراد هنا . واما ابوالحجناء فهى كنية نصيب الأصغر مولى المهدي العباسى . ولعل هذا من خلط النساخين وسوء تصرفهم ، أو من تساهل الجاحظ نفسه

(٤) زبب الأشداق : كثر ريقها وخرج منها كالزبد . والتج : زاد واختلط . والنقع : ارتفاع الصوت . واللقلاق : كثرة الكلام والجلبة

(٥) قال الجاحظ : المرجم : الحاذق بالمراجمة بالحجارة ، والوداق : الذى يسيل الحجارة كالودق من المطر ،

ابنِ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرَة : وما عليهن أن يُرِقن من دموعهن على أبي سُليمان مالم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقَةٌ ؟! وجاء في الأثر: «لَيْسَ مِنَّا مَن حَلَقَ أو صَلَقَ أو سَلَقَ أو شَقَّ» (١)

ومما مدح به العُمانيُّ هرون الرشيد بالقصيد دون الرجز قوله :

جَهِيرُ العُطَاسِ شَدِيدُ النِّيَاطِ ... جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمْ (٢)

وَيَخْطُو عَلَى الأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ ... وَيَعْلُو الرِّجَالَ بِجِسْمٍ عَمَمْ (٣)

وكان الرشيد إذا طاف بالبيت جعل لإزاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف بأوسع من خطو الظليم وأسرع من رجع يد الأرنب . وقد أخبرني إبراهيمُ بنُ السِّنديِّ بمحصول ذرع ذلك الخطو، إلا أني أحسبه فراسخ فيما رأيته يذهب إليه . قال إبراهيم — ونظر إليه أعرابي في تلك الحال والهيئة — فقال : « خَطْوَ الظَّلِيمِ رِيعَ مُمْسًى فَانْشَمَرْ » (٤)

وحدثني إبراهيم بن السندي قال لما أتى عبدَ المَلِكِ بنَ صالحٍ وفدُ الروم ، وهو في البلاد أقام على رأسه رجالا في السِّماطين لهم قَصَرٌ وهَامٌ (٥) ومَنَاكِبُ وأجسامٌ وشوارب وشعور . فبيناهم قيام يكلمونه ، ومنهم رجل وجهه في قفا البطريق إذ عطس عطسة ضئيلة فلحظه عبدُ الملك فلم يدر أيَّ شيء أنكر منه ! فلما مضى الوفد قال له : ويلك ! هلا إذ كنت ضيق المَنْخِرِ كَزَّ الخيشوم (٦) أتبعتها بصيحة تخلع بها قلب العِلج . . ؟!

وفي تفضيل الجهارة في الخطب يقول شبة بن عَقَّالٍ بعقب خطبته عند سُليمان ابن علي بن عبد الله بن عباس :

---

(١) يعني من يفعل ذلك حزنا على الميت

(٢) جهير العطاس : لسعة منخريه ، وشديد النياط : قوي القلب . والرواء : المنظر الجميل

(٣) قال الجاحظ : النياط معاليق القلب ، الأين الاعياء ، الظليم ذكر النعام ، عمم : حسن ، ومنه قيل نبت عميم أي حسن كثير ، ويقال إن جسمه لعمم وإنه لعم الجسم إذا كان تاما ،

(٤) قال الجاحظ : ريع : فزع ، ممسى : حين المساء ، إنشمر : جد في الهرب ،

(٥) قصر وهام : أعناق ضخمة ورؤس عظيمة

(٦) كز الخيشوم : ضيق المنخر

أَلَا لَيْتَ أُمَّ الْجَهْمِ وَاللهُ سَامِعٌ تَرَى حَيْثُ كانتْ بالعِرَاقِ مَقَامِى
عَشِيَّةَ بَذَّ النَّاسَ جَهْرِى وَمَنْطِقِى وَبَذَّ كَلَامَ النَّاطِقِينَ كَلَامِى (١)

وقال طَخْلاء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة (٢)

رَكُوبُ المنابرِ وَثَّابُها مِعَنٌّ بِخُطْبَتِهِ مِجْهَرُ
تَرِيعُ إليهِ هَوَادِى الْكلامِ إذَا ضَلَّ خُطْبَتَهُ المِهْذَرُ

وزعموا أن أبا عَطِيَّةَ عُفَيفاً النَّصْرِىَّ فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نصر لما رأى الخيل بعقوته يومئذ وأيس ، نادى : ياصباحاه ، أُتيتم يابنى نصر..! فألقت الْحَبالى أولادها من شدة صوته . قالوا : فقال رَبيعَةُ بْنُ مَسْعُودٍ يصف تلك الحرب وصوت عُفَيفٍ :

عُقاماً ضَرُوساً بَيْنَ عَوْفٍ وَمالِكٍ شَديداً لَظَاهَا تَتْرُكُ الطِّفْلَ أشْيَبا (٣)
وَكَانَتْ جُعَيْلٌ يَوْمَ عَمْرٍو أَرَاكَةٍ أُسُودَ الْغَضَا غَادَرْنَ لَحْماً مُتَرَّبا (٤)
وَيَوْمَ بِعَكْرُوثَاءَ شَدَّتْ مُعَتِّبٌ بِغَارَاتِها قَدْ كانَ يَوْماً عَصَبْصَبا (٥)
فَأَسْقَطَ أَحْبالَ النِّسَاءِ بِصَوْتِهِ عُفَيْفٌ وَقَدْ نادَى بِنَصْرٍ فَطَرَّبا (٦)

وكان أبو عُرْوَةَ — الذى يقال له أبو عُرْوَةَ السِّباع — يصيح بالسَّبُعِ وقد احتمل الشاة فيخليها ويذهب هاربا على وجهه . فضرب به الشاعر المثل ، وهو النَّابغة الجَعْدِى فقال :

وَأَزْجُرُ الْكاشِحَ العَدُوَّ إذا اغْتَا بَكَ عِنْدِى زَجْراً عَلَى أَضَمِ (٧)

(١) بذ : غلب وفاق

(٢) قال الجاحظ : معن : تعرض له الخطبة فيخطبها مقتضبا لها ، تريغ إليه ترجع إليه ، هوادى الكلام : أوائله . فأراد أن معاوية يخطب فى الوقت الذى يذهب فيه كلام المهذر والمهذر المكثار .

(٣) عقاما ضروسا : شديدة مهلكة

(٤) عمرو أركة : اسم مكان . مترب : عليه تراب

(٥) مكروثاء : اسم مكان . ومعتب : إسم قبيلة . وعصبصب : شديد

(٦) فطرب : فرجع بصوته

(٧) على أضم : على حقد وغضب

زَجْرَ أَبي عُرْوَةَ السِّبَاعَ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبِسْنَ بِالْغَنَمِ (١)

ولرجل من الخوارج يصف صيحة شَبِيبِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ نُعَيْمٍ (٢) وكان شبيب يصيح فى جنبات الجيش إذا أتاه فلا يلوى أحدٌ على أحدٍ . وقال الشاعر فيه :

إِنْ صاحَ يَوْماً حَسِبْتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِراً وَالرِّيحَ عاصِفَةً وَالْمَوْجَ يَلْتَطِمُ

وأنشد خلفٌ الأحمر (٣) مولى الأشعريين فى عيب التشادق :

---

(١) يلتبسن . وفى رواية يختلطن ، وكلاهما واحد

(٢) هو أبو الضحاك وأبو الصحاري شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى الخارجى ، أمير الخوارج فى عصره ومزلزل أركان الدولة الاموية أيام عبد الملك بن مروان ، صاحب الوقائع الهائلة والأحداث العظيمة والمواقف المشهورة مع شيخ العتاة وأسد الولاة الحجاج بن يوسف ، وقاتل قواده ومبيد أجناده . كان فى الشجاعة وقوة الأسر والفروسية ومضاء العزيمة فى الغاية التى ماوراءها غاية . كان مع صالح بن مسرح راس الصفرية من الخوارج فلما ادركه الموت عهد إلى شبيب ، فخرج شبيب بالموصل فى شرذمة من الرجال لا يبلغون المائتين فهم امره الحجاج فبعث اليه خمسة قواد بجيوشهم يتلو بعضهم بعضا فكان يقتلهم ويفتك بجنودهم ويشتت شملهم واحدا إثر واحد . وما من هؤلاء القواد إلا وهو شجاع بطل وقائد مدبر وفارس مغوار . ثم تجهز الحجاج للخروج إليه بجنود الدولة فلما بلغ شبيب خروجه اقبل يريد الكوفة على امل ان يلقاه قبل دخولها غير ان الحجاج اقحم خيله الكوفة فدخل قبله ، ومر شبيب بعتاب بن ورقاء وكان على احد جيوش الحجاج فقتله وفرق جنده ، ومر بعبدالرحمن ابن محمد بن الاشعث فهرب منه وتفرق جيشه . وقدم الكوفة ودخلها وهي غاصة بجند الدولة حاشدة بأبطال السلطان وعلى راسهم الحجاج ، لينيل زوجته غزالة وفاء نذرها من الصلاة فى مسجدها الجامع فأدت الصلاة واطالت ماشاءت ثم خرج يخترق بها صفوف اعدائه ولم يصب بأذى ولم ينلها مكروه . ولما دخل المسجد كانت عليه جبة طيالسية عليها نقط من أثر مطر فكان المسجد يرتج له . وكان طويلا أشمط جعد آدم . وكانت زوجته غزالة من أشجع الناس وأفرسهم وكانت تباشر الحروب بنفسها وتخوض المعامع بسيفها وتصرع الأبطال بقوة أسرها ، وهى التى نكص الحجاج عن منازلتها وقد طلبته فى إحدى الوقائع فعيره عمران بن حطان بقوله :

أسد علي وفى الحروب نعامه فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحى طائر

صدعت غزالة قلبه بفوارس تركت مدابره كأمس الدابر

ثم خرج شبيب يريد الأهواز فغرق فى نهر دجيل سنة ٧٧ هـ وكان مولده سنة ٣٥ هـ

(٣) هو أبو محرز خلف بن حيان الأحمر . كان مولى بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري وكان راوية علامة وشاعرا بليغا يصنع الشعر وينسبه إلى العرب فيشبه كلامه كلامهم . وكان هو والأصمعى على منهج واحد فى رواية المأثور عن السلف وهما اللذان فتقا المعاني وأوضحا المسالك وبينا المعالم ولم يكن لهما فى علم الشعر نظير . وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم وكانوا يقصدونه بعد حماد ولكنه فاق حمادا ثم نسك فى أواخر أيامه وترك الشعر والكلام . ولما نسك خرج إلى أهل الكوفة فعرفهم الأشعار التى أدخلها فى اشعار الناس فقالوا له : انت كنت عندنا فى ذلك الوقت اوثق منك الساعة . مات سنة ١٨٠ هـ

لهُ حَنْجَرٌ رَحْبٌ وَقَوْلٌ مُنَقَّحٌ ... وَفَصْلُ خِطابٍ لَيْسَ فيهِ تَشادُقُ
إذا كانَ صَوْتُ المَرْءِ خَلْفَ لَهاتِهِ ... وَأَنْحَى بِأَشْداقٍ لَهُنَّ شَقاشِقُ (١)
وَقَبْقَبَ يَحْكِي مُقْرَماً فِى هِبابِهِ ... فَلَيْسَ بِمَسْبوقٍ ولاهُوَ سابِقُ (٢)

وقال الفرزدق : « شقاشق بين أشداق وهام »

وأنشد خلفٌ :

وَما فى يَدَيْهِ غَيْرَ شِدْقٍ يُمِيلُهُ ... وَشَقْشِقَةٍ خَرْساءَ لَيْسَ لها نَعْبُ (٣)
مَتَى رامَ قَوْلاً خالَفَتْهُ سَجِيَّةٌ ... وَضِرْسٌ كَقَعْبِ القَيْنِ ثَلَّمَهُ الشَّعْبُ (٤)

وأنشد أبو عمرو بن العلاء (٥)

وَجاءَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشُ البِطاحِ ... هِيَ العُصَبُ الأُوَلُ الدّاخِلَهْ
يَقُودُهُمُ الفِيلُ وَالزَّنْدَبِيلُ ... وَذُو الضِّرْسِ وَالشَّفَةِ المائِلَهْ

والفيل والزنديل : أبانُ وَالحَكَمُ ابنا عَبْدِ المَلِكِ بْنِ بِشْرِ بْنِ مَرْوانَ . وذو الضرس وذو الشفة المائلة: هو خالِدُ بْنُ سَلَمَةَ المَخْزُومِىُّ الخطيب - يعنى دخولهم على ابْنِ هُبَيْرَةَ - والزنديل : الأنثى من الفِيَلَةِ فيما ذكر أبو اليَقْظانِ سُحَيم بن حَفْصٍ . وقال غيره : هو الذكر . فلم يقفوا من ذلك على شىء .

وقال الشاعر فى خالد بن سلمة المخزومى الخطيب :

فما كانَ قائِلُهُمْ دَغْفَلٌ ... وَلا الحَيْقُطانُ وَلا ذُو الشَّفَهْ (٦)

---

(١) لهاته : اقصى فمه

(٢) وقبقب : هدر بالكلام . المقرم : الجمل المتخذ للفحلة : هبابه : نشاطه .

(٣) النعب : البروز والظهور

(٤) قعب القين : قدح الحداد الذى يشرب فيه . ثلمه : فلل حده . والشعب : الصدع والشق

(٥) هو ابو عمرو بن العلاء إمام اهل البصرة فى النحو واللغة والقراءات . اخذ عن جماعة من التابعين وكان ثقة حجة صدوقا . قال ابوعبيدة : ابو عمرو اعلم الناس بالقراءات والعربية وايام العرب والشعر . ووثقه يحيى بن معين . وكان من سادات العرب ووجوههم . وعليه اخذ الأدب ابوعبيدة والاصمعى وغيرهما . مات سنة ١٥٩ ه

(٦) قال الجاحظ : يريد دغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب الناسب . والحيقطان : عبد اسود وكان خطيبا لا يجارى .

وأنشد أصحابنا :

وَقافيةٍ لجلجتُها فرددْتُها لذي الضِّرسِ لو أرسلْتُها قطرَتْ دما (١)

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر العرب ، ولربما كان نزع ضرس أيسر على من أن أقول بيت شعر . وأنشدنا منيع (٢)

فجئتُ وَوَهْبٌ كالخلاةِ تضمُّها إلى الشِّدْقِ أنيابٌ لهُنَّ صَرِيفُ (٣)
فقعقعْتُ لحْيَيْ خالدٍ واهتضمْتُهُ بحجَّةِ خصْمٍ بالخصومِ عنيفُ (٤)

وعن عبدِ الملكِ بن عُميرٍ قال : سُئل الحارث بن أبي ربيعة (٥) عن على ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ؟ فقال : كم كان له ما شئت من ضرس قاطع فى العلم بكتاب الله والفقه بالسنة والهجرة إلى الله ورسوله والبسطة فى العشيرة والنجدة فى الحرب والبذل للماعون .. !! قال الآخر :

وَلمْ تُلفِنِى فهًّا ولمْ تُلفِ حُجَّتِى مُلجلجةً أبغى لها مَنْ يُقيمُها (٦)
ولا بِتُّ أُزجِيها قضيباً وتلتوِى أُراوِغُها طوْراً وطوْراً أُضيمُها (٧)

وأنشدنى أبو الرُّدَيْنِي العُكْلِىُّ :

(١) لجلجتها : رددتها فى فمى

(٢) الظاهر انه منيع البقل وكان جارا لمحمد بن يسير الرقاشى ، وكانت له شاة فدخلت بيت محمد فأكلت قراطيسه التى كتب فيها آدابه واشعاره ، ولعله كان له حظ فى الادب والرواية

(٣) الخلاة : عود الحشيش . لهن صريف : لهن تصويت من شدة المضغ

(٤) فقعقعت : فحركت حركة ذات صوت . اهتضمته : يريد أنه غلبه بالحجة القوية

(٥) هو الحارث بن أبي ربيعة المخزومى ، كانت امه سودا حبشية وكانت نصرانية . وكان هو من سادات قريش وأشرافهم مع الكرم والدين والتقوى . قال عنه عبد الملك بن مروان : ماولدت أمة خيرا مما ولدت أمه . ولاه عبد الله بن الزبير البصرة فأتوه بمكيال لهم فقال : إن مكيالكم هذا لقباع ؟ فسمى . القباع ، وقال فيه أبو الأسود الدؤلى :

أمير المؤمنين جزيت خيرا أرحنا من قباع بنى المغيره
بلوناه ولمناه فأعيا علينا ما يمر لنا مريره
على ان الفتى نكح اكول وولاج مذاهبه كثيره

(٦) فها : عييا عاجزا عن الكلام . ملجلجة : مضطربة غير مستقيمة

(٧) ازجيها قضيبا : اسوقها غير مهذبة . اراوغها : احايلها . اضيمها : آخذها قسرا

فَتىً كانَ يَعْلُو مَفْرِقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ ... إذَا الخطباءُ الصِّيدُ أعْضَلَ قِيلُها (١)

وقال الُخرَيمىُّ فى تشادق علىّ بن الْهَيثم (٢)

يا عَلِىَّ بْنَ هَيْثَمٍ ياسُماقَا ... قَدْ مَلأْتَ الدُّنيا علينا بُقاقا (٣)

خَلِّ لَحْيَيْكَ يَسْكُنانِ وَلاَتَضْ ... رِبْ عَلَى تَغْلِبٍ بلحْيَيْكَ طَاقَا

لاَ تَشادَقْ إذَا تَكَلَّمْتَ وَاعْلَمْ ... أَنَّ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَشْداقَا

وكان على بن الهيثم جواداً بليغ اللسان والقلم .

قال لى أبو يعقوب الخريمىُّ : ما رأيت كثلاثة رجال يأكلون الناس أكلاً، حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الملح فى الماء أو الرَّصاص عند النار : كان هِشامُ بْنُ الكَلْبى (٤) علامة نسابة وراوية للمثالب عيابة، فإذا رأى الهيثم ابن عَدى ذاب كما يذوب الرَّصاص عند النار . وكان الهيثم بن عدى مُقَعِّعاً (٥) نيأً صاحب تقعيع وتقعير ويستولى على كلام أهل المجلس لا يحفل بشاعر ولا بخطيب ، فإذا رأى موسى الضبى ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان عَلُّوَيه (٦) المغنى أحد الناس فى الرواية وفى الحكاية وفى صنعة الغناء، وجودة الضرب وفى الإطراب وحسن الحلق ، فإذا رأى مُخارِقاً (٧) ذاب كما يذوب الرصاص عند النار

***

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبعد الصوت . قال أبو عبيدة : كان

(١) اعضل : صعب

(٢) هو على بن الهيثم الكاتب الانبارى ، كان يلقب ، جونقا ، وكان اديبا بارعا وكاتبا بليغاوخطيبا مقعقعا ، صاحب تشادق وتقعير كثير الاستعمال لغريب اللغة . كتب فى ديوان المأمون وغيره من الخلفاء العباسيين وكان المأمون يتحفظ في كلامه إذا كان حاضراً .

(٣) السماق : الخالص . البقاق : كثرة الكلام المفخم

(٤) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي الراوية النسابة الشهير صاحب كتاب الاصنام وغيره من الكتب الجيدة وكان كثير الرواية لشعر جرير

(٥) المقعقع : الكثير الكلام

(٦) هو ابو الحسن على بن عبد الله بن سيف ، علوية ، الاعسر ، كان من افاضل المغنين ، وله مع اسحق الموصلى احاديث واخبار

(٧) هو ابو المهنا مخارق ، كان من اكابر المغنين وله مع ابراهيم الموصلى احاديث واخبار .

عُرْوَةُ بن عُتبة بن جَعفرِ بن كِلابٍ رديفا(١) للملوك ورحالا إليهم ، وكان يقال له عُرْوَة الرَّحَّال فكان يوم أقبل مع ابن الجَوْن يريد بنى عامر ، فلما انتهى إلى وارِدَاتِ مع الصبح(٢) قال له عروة : إنك قد عرفت طول صحبتى لك ونصيحتى إياك فأذن لى أهتف بقومى هَتْفَةً . قال : نعم ، وثلاثا . فقام فنادى « يا صاحباه » ثلاث مرات . قال : فسمعنا شيوخنا يزعمون أنه أسمع أهل الشِّعب فتلببوا(٣) للحرب وعَسَبوا الرَّبايا(٤) ينظرون من أين يأتى القوم ؟!

قالوا : وتقول الروم : لولا ضِجة أهل رُومية وأصواتهم لسمع الناس جميعا صوت وجوب القُرص فى المغرب .

وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه ، وضعف قوته ، أن يعترض الخطيب البُهْر والارتعاش والرِّعدة والعرق . قال سفيان بن عُيَيْنة : تكلم صعصعة عند معاوية فعرق ، فقال معاوية : بَهَرَكَ القول ؟ فقال صعصعة : إن الجياد نضَّاحة بالماء .

والفَرَس إذا كان سريع العرق وكان هشا كان ذلك عيبا ، وكذلك هو فى الكثرة . وإذا أبطأ ذلك وكان قليلا قيل : قد كبا ، وهو فرس كاب ، وذلك عيب أيضا .

ولأبي مِسمارٍ العُكْلى فى شبيه بذلك قوله :

لِلهِ دَرُّ عامِرٍ إذَا نطَقْ ... فِى حَفْلِ إمْلاكٍ وَفِى تِلْكَ الحِلَقْ(٥)
لَيْسَ كَقَوْمٍ يُعْرَفُونَ بالشَّدَقْ ... مِنْ خَطَبِ النَّاسِ وَمِمَّا فى الْوَرَقْ

(١) رديفا : جليسا ونديما للملوك
(٢) واردات : ماءة من مياه العرب
(٣) تلببوا : تشمروا وتهيأوا
(٤) عسبوا الربايا : بثوا العيون والرقباء ونشروا الديدبانات
(٥) الاملاك : التزويج

يُلَقِّقُونَ القَوْلَ تَلْفِيقَ الخَلَقْ ‏ ‏ مِنْ كُلِّ نَضَّاحِ الذَّفَارَى بِالعَرَقْ (١)

إذا رَمَتْهُ الخُطَبَاءُ بِالحَدَقْ

وإنما ذكر خطب الإملاك لأنهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر، ولذلك قال عمر رضى الله عنه: مايتصعدنى كلام كما تتصعدنى خطبة النكاح. وقال العُمانىُّ:

لا ذَفِرٌ هَشٌّ وَلاَ بِكَابِ ‏ ‏ وَلاَ بِلَجْلاَجٍ وَلاَهَيَّابِ (٢)

وقال الكُمَيْتُ بن زيد، وكان خطيبا: إن للخطبة صُعداء، وهى على ذى اللب أرمى (٣). ولم أر الكميت أفصح عن هذا المعنى ولا تخلص إلى خاصته، وإنما يجترئ على الخطبة الغُمر الجاهل الماضى الذى لا يثنيه شىء، أو المطبوع الحاذق الواثق بغزارته واقتداره، فالثقة تنفى عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة والنحنحة والانقطاع والبهر والعرق.

قال عُبَيدُالله بن زياد، وكان خطيبا، على لُكنة فيه: نعم الشىء الإمارة لولا قعقعة البُرُد، والتشدق للخطب. وقيل لِعبدِ الملك بن مروان: عجَّل عليك الشيب يا أمير المؤمنين؟ قال: وكيف لا يعجل على وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين؟

يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور. قال بعض الكلابيين:

وَإِذَا خَطَبْتَ عَلَى الرِّجَالِ فَلاَ تَكُنْ ‏ ‏ خَطِلَ الكَلاَمِ تَقُولُهُ مُخْتَالاَ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ السُّكُوتِ إِبَانَةً ‏ ‏ وَمِنَ التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالاَ

---

(١) الخلق: الثوب البالى. وقال الجاحظ: والذفارى هنا يعنى بدن الخطيب، والذفريان للبعير وهما اللحمتان فى قفاه.

(٢) قال الجاحظ: الهش الذي يجود بعرقة سريعا، وذلك عيب. والذفر الكثير العرق، والكابى الذي لايكاد يعرق كالزند الكابي الذى لايكاد يورى، فجعل له العمانى حالا بين حالين إذا خطب وخبر انه رابط الجأش معاود لتلك المقامات.

(٣) قال الجاحظ: وقولهم ارمى واربى سواء يقال فلان قد ارمى على المائة واربى.

كلام بشر بن المعتمر

حين مر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة . فوقف بشرٌ ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظّارة[1] . فقال بشر[2] : أضربوا عما قال صفحا ، واطووا عنه كشحا ؟!

ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه ، وكان أول ذلك الكلام :

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فان قليل تلك الساعة أكرم جوهراً ، وأشرف حسباً ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرّة[3] من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً ،

(١) النظارة : الوقوف المشاهدون

(٢) هو ابو سهل بشر بن المعتمر البغدادي الابرص ، كان من وجوه المتكلمين ومن افاضل علماء المعتزلة ، وكان من اكابر بلغاء الدهر وخطبائه وكتابه وابيناته . وكان جميع معتزلة بغداد من اتباعه ومستجيبيه . وكان مولعا بأبي الهذيل العلاف كثير الوقوع فيه ورميه بالنفاق ، ومن ابلغ واظرف ماقاله فيه قوله : لان يكون ابو الهذيل لا يعلم وهو عند الناس يعلم احب اليه من ان يعلم وهو عند الناس لا يعلم ، ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية احب اليه من ان يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ، ولان يكون نبيل المنظر سخيف المخبر احب إليه من ان يكون نبيل المخبر سخيف المنظر ، وهو بالنفاق اشد عجبا منه بالاخلاص ، والباطل مقبول احب إليه من حق مدفوع . وبشر رأس فرقة « البشرية » من المعتزلة ، ولها آراء ومسائل اخذتها عنه وانفردت بها . وله اشعار كثيرة يحتج فيها على اصحاب المقالات . قال الجاحظ : لم ار احدا اقوى على المخمس والمزدوج مما قوي عليه بشر ، وانه كان في ذلك اكثر واقدر من ابان اللاحق . ومن شعره :

إن كنت تعلم ما اقو ل وما تقول فأنت عالم
او كنت تجهل ذا وذا ك فكن لأهل العلم لازم
اهل الرياسة من ينـ ـازعهم رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وانـ ـت من الذي قاسوه حالم
لانطلبن رياسة بالجهل انت لها مخاصم
لولا مقامهم رأيـ ـت الدين مضطرب الدعائم

(٣) عين الشيء وغرته : يريد به المختار المستحق منه

وخفيفاً على اللسان سهلا، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه . وإياك والتوعُّر، فان التوعر يُسلمك إلى التعقيدِ، والتعقيدُ هو الذى يستهلك معانيك ويَشين ألفاظك. ومن أراغ [١] معنى كريما فليلتمس له لفظاً كريما، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما [٢] وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما . وكن فى ثلاث منازل، فان أولى الثلاث . أن يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهراً مكشوفا وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت . والمعنى ليس يَشْرُفُ بأن يكون من معانى الخاصة، وكذلك ليس يتَّضِعُ بأن يكون من معانى العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامى والخاصى فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك أن تُفهم العامةَ معانى الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فأنت البليغ التامُّ .

فان كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك [٣] ولا تسنح لك عند أول نظرك وفى أول تكلفك، وتجد اللفظةَ لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافيةَ لم تحُل فى مركزها وفى نِصابها ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقةً فى مكانها نافرةً من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول فى غير أوطانها . فانك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يعبك بترك ذلك أحد . وإن أنت تكلفتها ولم تكن حاذقا مطبوعاً ولا محكما لسانك بصيراً بما عليك أو مالك

(١) اراغ : طلب والتمس . وفى نسخة : أراد

(٢) يهجنهما : يجعلهما مستهجنين

(٣) تعتريك : تلم بك

عابك من أنت أقل عيباً منه ورآى من هو دونك أنه فوقك · فان ابتُليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة وتَعَصَّى عليك بعدَ إجالة الفكرة ، فلا تَعْجل ولا تضجر ، ودعه بياض يومك أو سواد ليلك ، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ، إن كانت هناك طبيعة أو جَرَيت من الصناعة على عِرْقٍ · فان تَمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شُغل عَرَض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك ، فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه إلا و بينكما نسب ، والشيء لا يحن إلا إلى ما يشا كله ، وإن كانت المشا كلة قد تـكون فى طبقات ، لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع المحبة والشهوة ، فهكذا هذا »

قال بشرٌ : فلما قرئت على ابراهيم قال لى : أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان .

قال أبو عثمان : أما أنا فلم أر قوماً قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً . وإذا سمعتمونى أذ كر العوام فانى لست أعنى الفلاحين والحشوة ، والصناع والباعة ، ولست أعنى الا كراد فى الجبال ، وسكان الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الأمم مثل الببر والطيلسان ، ومثل موقان وجيلان ، ومثل الزنج وأمثال الزنج ؟ وإنما الامم المذ كورون من جميع الناس أربع : العرب ، والفرس ، والهند، والروم. والباقون همج وأشباه الهمج . وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا ، على أن الخاصة تتفاضل فى الطبقات أيضاً .

وقال: ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدارَ المعانى و يوازن بينها وبين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات ، فيجعل لـكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولـكل حالة من ذلك

مقاما ، حتى يقسم أقدارَ الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدارَ المستمعين على أقدارِ تلك الحالات ، فان كان الخطيب مُتكلما تجنب ألفاظ المتكلمين كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلا ، كان أولى الألفاظ به ألفاظَ المتكلمين ، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم وإلى تلك الألفاظ أميل وإليها أحن وبها أشغف ، ولأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء ، وأبلغ من كثير من البلغاء وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعانى ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له فى لغة العرب إسم ، فصاروا فى ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا : ألْعَرَضُ والجوهر ، وأَيْسَ ، ولَيْسَ ؛ وفرقوا بين البطلان والتلاشى ، وذكروا الهَذِيَّةَ والهُوِيَّةَ والماهية ، وأشباه ذلك. وكما وضع الخَلِيلُ بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب ، وتلك الأوزان بتلك الأسماء ، وكما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل ، وأشباه ذلك ، وكما ذكر الأوتاد والأسباب والخرم والزِّحَاف . وقد ذكرت العرب فى أشعارها السِّناد والإقواء والإكفاء ، ولم أسمع الايطاء . وقالوا فى القصيد والرجز والسجع والخطب ، وذكروا حروف الرَّوِىِّ والقوافى ، وقالوا : هذا بيت وهذا مصراعٌ . وقد قال جندَلٌ الطُّهوىُّ حين مدح شعره : « لَمْ أُقْوِ فيهِنَّ وَلَمْ أُسانِدِ » وقال ذو الرُّمَّة (١)

وَشِعْرٍ قَدْ أَرِقْتُ لَهُ غَرِيبٍ أُجانِبُهُ المَسانِدَ وَالْمُحالا (٢)

(١) هو أبو الحارث غيلان بن عقبة بن مسعود العدوى . كان من فحول الشعراء بدويا قحا وكان يأتى الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة . قالوا : وكان ذو الرمة مدور الوجه حسن الشعر جعده أقنى أنزع خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مفوها إذا كلمك كلمك أبلغ الناس يضع لسانه حيث يشاء . ومع ذلك فقد كان يرمى بالتطفيل . وكان كثير التشبيب بمية بنت عاصم . وبخرقاء . وكان حماد الراوية يقول : امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيبا وذو الرمة أحسن الاسلام تشبيبا . مات فى عهد بنى أمية عن أربعين سنة

(٢) ارقت : سهرت . المساند والمحال ، من عيوب القافية

وقال أبو حزام العكلي :

بُيُوتًا نَصَبْنَا لِتَقْوِيمِهَا ... جُذُولَ الرَّبِيئِيْنَ فِي الْمَرْبَأَه (١)

بُيُوتًا عَلَى الْهَا لَهَا سَجْحَةٌ ... بِغَيْرِ السَّنَادِ وَلَا الْمُكْفَأَه (٢)

وكما سمى النحويون فذكروا : الحال والظرف ، وما أشبه ذلك ، لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو ، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء وجعلوها علامات للتفاهم .

قالوا : وقبيح بالخطيب أن يقوم بخطبة العيد ، أو يوم السماطين ، أو على منبر جماعة ، أو فى سدّة دار الخلافة ، أو فى يوم جمع وحفل ، إما فى إصلاح بين العشائر واحتمال دماء القبائل واستلال تلك الضغائن والسخائم ، فيقول كما قال بعض من خطب على منبر ضخم الشأن رفيع المكان : ثم إن الله عز وجل بعد أن أنشأ الخلق وسواهم ومكن لهم لاشاهم فتلاشوا . ولولا أن المتكلم افتقر إلى أن يلفظ بالتلاشى لكان ينبغى أن يؤخذ فوق يده . وخطب آخر فى وسط دار الخلافة فقال فى خطبته : وأخرجه الله من باب اللَّيْسية فأدخله فى باب الأَيْسِيَة (٣) . وقال مرة أخرى فى خطبة له : هذا فرق ما بين السارّ والضارّ والدّفاع والنفاع . وقال مرة أخرى : فدل سائره على غامره ، ودل غامره على مُنْجَلِه . فكاد إبراهيم ابن السندى (٤) يطير شفقا (٥) ويتقد غيظا . هذا وإبراهيم من المتكلمين ، والخطيب لم يكن من المتكلمين .

وإنما جازت هذه الألفاظ فى صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع

(١) جذول جمع جذل : فرع الشجرة . الربيئين : المراقبين . المربأة : مكان الاستطلاع وهو المرقب

(٢) السجحة : التماثل . السناد والاكفاء من عيوب القافية

(٣) الليسية فى تعبير المتكلمين يراد بها النفي . والأيسية عندهم يراد بها الاثبات

(٤) هو ابراهيم بن السندى بن شاهك مولى بنى العباس . قال الجاحظ : كان عالما بالدولة شديد الحب لأبناء الدعوة . وكان يحوط مواليه ويحفظ أيامهم ويدعو الناس إلى طاعتهم ويدرسهم مناقبهم . وكان فخم المعانى فخم الألفاظ . لو قلت إن لسانه كان أرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهير وسنان طرير لكان ذلك قولا ومذهبا .

(٥) شفقا : حنقا

المعانى . وقد تحسن أيضا ألفاظ المتكلمين فى مثل شعر أبى نُواس ، وفى كل ماقالوه على جهة التَّظَرُّف والتَّملُّح . كقول أبى نواس :

وَذَاتِ خَدٍّ مُوَرَّدْ قُوهِيَّةِ المُتَجَرَّدْ[1]
تَأَمَّلُ العَيْنُ مِنْهَا مَحَاسِناً لَيْسَ تَنْفَدْ
فَبَعْضُهَا قَدْ «تنَاهَى» وَبَعْضُهَا «يَتَوَلَّدْ»[2]
والْحُسْنُ فى كل عُضْوٍ مِنْهَا مُعَادٌ مُرَدَّدْ

وكقوله :

يَاعَاقِدَ القَلْبِ مِنِّى هَلَّا تَذَكَّرْتَ حَلَّا
تَرَكْتَ قلبى قَلِيلًا مِنَ القَلِيلِ أقلَّا
يَكَادُ «لَايَتَجَزَّا» أقلُّ فى اللفظِ مِنْ : لَا

وقد يتملَّح الأعرابى بأن يدخل فى شعره شيئاً من كلام الفارسية كقول العُمانى للرشيد فى أُرجوزته التى مدحه فيها :

مَنْ يَلْقَهُ مِنْ بَطَلٍ مُسْرَنْدِ فِى زَغْفَةٍ مُحْكَمَةٍ بالسَّرْدِ[3]
يَجُولُ بَيْنَ رَأْسِهِ و «الْكَرْدِ»[4]

ويقول فيه أيضا :

لَمَّا هَوَى بَيْنَ غِيَاضِ الأُسْدِ وَصَارَ فى كَفِّ الْهِزَبْرِ الْوَرْدِ
آلَى يَذُوقُ الدَّهْرَ «آب سَرْدِ»[5]

---

(١) قوهية المتجرد : بيضاء الجسم بضة يشبهها بالمقانع القوهية . وهذه الأبيات قالها فى وصف جنان ، وفيها خلاف عما فى الديوان

(٢) تناهى : يعنى تمت محاسنه . يتولد : لاتزال محاسنه فى تجدد

(٣) الزغفة : الدرع الجيدة النسج .

(٤) قال الجاحظ : (الكرد) يعنى العنق .

(٥) آب سرد : يظهر أنه الماء البارد

وكقول الآخر :

وَوَلَّهَنِي وَقعُ الأَسِنَّةِ وَالقَنا   وَ« كافِر كُوبات » لهَا عجَرٌ قُفْدُ(١)

بأَيْدِي رِجَالٍ مَا كَلامِي كَلامُهُمْ   يَسُومُونَنِي « مَرْدًا » وَمَا أَنا وَالمَرْدُ(٢)

ومثل هذا موجود فى شعر العُذَافر الكندى وغيره . ويجوز أيضا أن يكون الشعر مثل شعر الحَرَوْشاذ ، وأسوَد بن أبى كَرِيمَة ، كما قال يَزيدُ بن ربيعة ابن مُفرِّغ(٣)

آبَ آسْتُ نَبيذَ آسْتُ   عُصارَاتِ زَبِيبَ آسْتُ
سُمَيَّةُ رُوسَبيذ آسْتُ(٤)

وقال أسْوَدُ بنُ أبى كَرِيمَةَ :

لَزِمَ الغُرَّامُ ثَوْبِي   بُكْرَةً فِي يَوْمِ سَبْتِ
فَتَمَايَلْتُ عَلَيْهِمْ   مَيْلَ زَنْجِيٍّ بِمَسْتِ
قَدْ حَسَا الدَّاذِيَّ صِرْفًا   أَوْ عَقَارًا بَايْخُسْتِ
ثُمَّ كَفْتُمْ دُو زِيَادٍ   وَيْحَكُمْ إِنْ خَرَّ كَفْتِ
إِنَّ جِلْدِي دَبَغَتْهُ   أَهْلُ صَنْعَاءَ بِجَفْتِ
وَأَبُو عَمْرَةَ عِنْدِي   إِنَّ كُورِ يَدْ نِمَسْتِ
جَالِسٌ أَنْدَرَ مَكْنَادٌ   أَيَا عَمْدِ بِنَهِسْتِ

وكما لا ينبغى أن يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا ، فكذلك لا ينبغى أن

(١) الكافركوبات : آلة من آلات الحرب

(٢) مردا : موتا

(٣) كان شاعرا مجيدا حسن الغزل قوى الهجاء له اشعار كثيرة فى هجاء يزيد بن معاوية وفى آل زياد . وكان سبب هذا الهجو أن عباد بن زياد لما ولى خراسان صحبه معه ثم شغل عنه بحروبه فغضب ابن مفرغ وذمه أقبح ذم وهجاه أوجع هجاء وسلقه بلسانه فحبسه ونكل به وكان له معه ومع أخيه عبيد الله بن زياد خطوب . وله فى سعيد بن عثمان وغيره ممن واساه فى نكبته مدائح جياد

(٤) سمية : هى أم زياد

يكون غريبا وحشيا ، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا ؛ فإن الوحشى من الكلام يفهمه الوحشىُّ من الناس كما يفهم السوقى رَطانة السوقى .

وكلام الناس فى طبقات ، كما أن الناس أنفسهم فى طبقات . فمن الكلام : الجزْل والسخيف والمليح والحسنُ والقبيح والسمج والخفيف والثقيل ، وكله عربى وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا . فان زعم زاعم أنه لم يكن فى كلامهم تفاضل ولا بينهم فى ذلك تفاوت ، فلم ذكروا العيىَّ والبَكِىَّ والحَصِرَ والمُفْحَم والخَطِل والمسهِب والمتشدق والمتفيهق والمهماز والثرثار والمكثار والهماز ؟ ولم ذكروا الهُجْر والهَذر والهذيان والتخليط ؟ وقالوا : رجل تِلِقّاعَة وتِلِهّاعَة[1] وفلان يَتَلَهْيَعُ فى خطبته . وقالوا : فلان يخطئ فى جوابه ويحيل فى كلامه ويناقض فى خبره . ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون فى بعضهم دون بعض لما سمى ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الأسماء .

وأنا أقول : إنه ليس فى الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق ولا ألذ فى الاسماع ولا أشدّ اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان ، من طول استماع حديث الأعراب الفُصحاء العقلاء ، والعلماء البلغاء . وقد أصاب القوم فى عامة ما وصفوا ، إلا أنى أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعانى وقد يُحتاج إلى السخيف فى بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم ومن الألفاظ الشريفة الكريمة المعانى ، كما أن النادرة الباردة جداً قد تكون أطيب من النادرة الحارة جداً ، وإنما الكرب الذى يخيم[2] على القلوب ويأخذ بالأنفاس : النادرةُ الفاترة التى لاهى حارةٌ ولا هى باردة ، وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط . وإنما الشأن فى الحارّ جداً والبارد جداً .

وكان محمد بن عَباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مُغنٍّ وسط ، وأبغض من ظريف وسط .

---

(١) تلقاعة : كثير الكلام . وتلهاعة : متشدق

(٢) يخيم : يكبس

ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فإياك وأن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها؟ فإنك إن غيرتها بأن تلحن فى إعرابها وأخرجتها مُخرج كلام المولدين والبلديين خرجتَ من تلك الحكاية وعليك فضلٌ كبير [(١)]

وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ومُلحة من مُلح الحشوة والطَّغام فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سَرِيًّا [(٢)] فان ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له ويُذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها .

ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم ، وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الأسواق . ولأهل المدينة ألسنة ذَلِقةٌ وألفاظ حسنة وعبارة جيدة واللحن فى عوامهم فاش وعلى من لم ينظر فى النحو منهم غالب .

واللحن من الجوارى الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشوابِّ الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر ، أيسر [(٣)] وربما استملح الرجل ذلك منهن مالم تكن الجارية صاحبة تكلف ، ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد . وكما يستملحون اللثغاء إذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة ، فإذا أسنت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح ، وربما كان اسم الجارية غُلَيِّمٌ وصُبَيَّةٌ ، وما أشبه ذلك ، فإذا صارت كهلة جزلة وعجوزاً شهلة وحملت اللحم وتراكم عليها الشحم ، وصار بنوها رجالا وبناتها نساء ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : ياغُلَيِّم كيف أصبحت ؟ ويا صُبَيَّة كيف أمسيت ؟ ولأمر ما كنَّت العرب البنات فقالوا : فعلت أم الفضل وقالت أم عمرو ، وذهبت أم حكيم ، نعم حتى دعاهم ذلك إلى التقدم [(٤)] فى تلك الكُنَى .

(١) يعنى أنك تخرج من هذه الحكاية خائبا غير بالغ قصدك منها

(٢) سريا : فخما شريفا

(٣) راجع ما حكيناه فى هذا الموضوع من مؤاخذة الجاحظ عليه ومن الدفاع عنه فى كتابنا « أدب الجاحظ »

(٤) التقدم معناه هنا : الاكثار من هذه الكنى حتى كادت تعمهن

وقد فسرنا ذلك كله فى «كتاب الاسماء والكنى والألقاب والأنباز»
وقد قال مالكُ بن أسماء[١] فى استملاح اللحن من بعض نسائه :

أَمُغطّىً مِنّى عَلَى بَصَرِى لِلْـ حُبّ، أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنا
وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيا نًا وَأَحْلَى الحَدِيثِ مَا كانَ لَحْنا[٢]

وهم يمدحون الحذق والرفق والتخلص إلى حبات القلوب وإلى إصابة عيون المعانى ، ويقولون : أصاب الهدف ، إذا أصاب الحق فى الجملة . ويقولون : قرْطس فلان ، وأصاب القرطاس ، إذا كان أجود إصابة من الأول ، فاذا قالوا : رمى فأصاب الغرة وأصاب عين القرطاس ! فهو الذى ليس فوقه أحد . ومن ذلك قولهم : فلان يَفُلُّ المَحزّ ويُصيب المفصلَ ويضع الهناء مواضع النقب[٣] وقال زُرارةُ ابن جَزْء حين أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتكلم عنده ورفع حاجته إليه :

أَتَيْتُ أَبَا حَفْصٍ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا كالسِّنَانِ طَرِيرُ
فَوَفّقَنِى الرَّحْمنُ لَمّا لَقِيتُهُ وَلِلْبابِ مِنْ دُونِ الخُصُومِ صَرِيرُ
قُرُومٌ غَيَارَى عِنْدَ بَابٍ مُمَنَّعٍ تُنَازِعُ مُلْكاً يَهْتَدِى وَيَجُورُ
فَقُلْتُ لهُ قَوْلاً أَصَابَ فُؤَادَهُ وَبَعْضُ كَلَامِ القَائِلِينَ غُرُورُ

وفى شبيه ذلك يقول عبد الرحمن بنُ حسَّان :

رِجَالٌ أَصِحّاءُ الجُلُودِ مِنَ الخَنَا وَأَلْسِنَةٌ مَعْرُوفَةٌ أَيْنَ تَذْهَبُ[٤]

وفى إصابة فص الشىء وعينه ، يقول ذو الرُّمة فى مديح بِلالِ بْنِ أبى بُرْدَةَ الأشْعَرِى :

---

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزارى . كانت أسرته من أمجد أسر العرب ، وكان مالك من أنبلها ولاه الحجاج أصبهان وتزوج أخته هند بنت أسماء . وكان أميرا سريا وشجاعا كريما وشاعرا بليغا إلا انه كان مولعا بالشراب . وله مع الحجاج خطوب وأحداث

(٢) المراد باللحن هنا الوحى والتورية . وقد قال ابوسعيد السيرافى : ما عرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذى هو ضده ، فان اللحن عدول عن طريق الصواب والنحو قصد الى الصواب

(٣) الهناء : القطران . النقب : قروح الجرب

(٤) أصحاء الجلود ، يعنى أنهم أطهار لم يمسهم ما يشينهم

تُنَاخِي عِنْدَ خَيْرِ فَتًى يَمَانٍ ... إِذَا النَّكْبَاءُ عَارَضَتِ الشَّمَالَا (١)
وَخَيْرِهِمِ مَآثِرَ أَهْلِ بَيْتٍ ... وَأَكْرَمِهِمْ وَإِنْ كَرُمُوا فِعَالَا
وَأَبْعَدِهِمْ مَسَافَةَ غَوْرِ عَقْلٍ ... إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الشُّبُهَاتِ عَالَا (٢)
وَلَبْسٍ بَيْنَ أَقْوَامٍ فَكُلٌّ ... أَعَدَّ لَهُ الشَّغَازِبَ وَالمِحَالَا (٣)
وَكُلُّهُمُ أَلَدُّ لَهُ كِظَاظٌ ... أَعَدَّ لِكُلِّ حَالِ الْقَوْمِ حَالَا (٤)
فَصَلْتَ بِحِكْمَةٍ فَأَصَبْتَ مِنْهَا ... فُصُوصَ الْحَقِّ فَانْفَصَلَ انْفِصَالَا

وكان أبو سَعيد الرَّأْيِ ، وهو شَرْشِيرُ المدَنيُّ ، يَعيب أبا حَنيفة (٥)، فقال الشاعر :

عِنْدِي مَسَائِلُ لَا شَرْشِيرُ يُحْسِنُهَا ... عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا أَصْحَابُ شَرْشِيرِ
وَلَا يُصِيبُ فُصُوصَ الْحَقِّ تَعْلَمُهُ ... إِلَّا حَنِيفِيَّةٌ كُوفِيَّةُ الدُّورِ (٦)

ومما قالوا فى الإيجاز و بلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة ، قال ثابتُ قُطْنَه (٧)

(١) تناخي : يقول لناقته صيدح إنك ستحطين رحالك عند بلال وهو خير فتيان اليمن ، لأن الاشعريين من اليمن . النكباء والشمال من أسماء الرياح
(٢) عال : اشتد وتفاقم
(٣) لبس : خلط . الشغازب : حركات المصارعة وتسمى الشغزبية وهي أن يعقل المصارع رجله برجل خصمه فيصرعه . والمحال : الاحتيال
(٤) له كظاظ : صاحب تجارب ومراس فى الحروب
(٥) هو الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب المذهب . وهو اشهر من أن يعرف . توفى سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م
(٦) فصوص الحق : يريد بها عين الصواب وصميم الحقيقة
(٧) هو ابو العلاء ثابت بن كعب . كان شاعرا كاتبا فارسا شجاعا وكان فى صحابة يزيد بن المهلب فكان يوليه أعمالا من اعمال الثغور فيحمد فيها مكانه لكتابته وشجاعته . ومما يحسن ذكره له انه ولى بعض اعمال خراسان فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر فقال : سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا وانتم إلي امير فعال احوج منكم إلى امير قوال :

وإلا أكن فيكم خطيبا فانني ... بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان فقال : والله ما علا ذلك المنبر اخطب منه فى كلماته هذه ، ولو ان كلاما استخفنى فأخرجنى من بلادى إلى قائله استحسانا له لاخرجتنى هذه الكلمات إلى قائلها . وهذه الابيات التى رواها الجاحظ فى الاصل هى من كلمة قالها يرثى بها المفضل بن المهلب ويعزى بها هند بنت المهلب حين دخل عليها والناس حولها جلوس يعزونها ، وانى ارويها لاختلاف الرواية فيها قال :

مَازِلْتُ بَعْدَكَ فِي هَمٍّ تَجِيشُ بِهِ ... صَدْرِي وَفِي نَصَبٍ قَدْ كَادَ يُبْلِينِي

إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلِي لَوْ شَهِدْتُهُمُ ... فِي غَمْرَةِ المَوْتِ لَمْ يَصْلَوْا بِهَا دُونِي

لَا أُكْثِرُ القَوْلَ فِيمَا يَهْضِبُونَ بِهِ ... مِنَ الكَلَامِ قَلِيلٌ مِنْهُ يَكْفِينِي (١)

وقال رجل من طيء ، ومدح كلام رجل فقال : هذا يُكتفى بأولاه ، ويُشتفى بأخراه ، وقال أبو وجزة السعدي ؛ من سعد بن بكر ، يصف كلام رجل :

يَكْفِي قَلِيلُ كَلَامِهِ وَكَثِيرُهُ ... ثَبْتٌ إِذَا طَالَ النِّضَالُ مُصِيبُ

ومن كلامهم الموجز في أشعارهم قول العُكْلِيّ في صفة قوس :

فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعُ ... مُوثَقَةٌ صَابِرَةٌ جَزُوعُ

وقال الآخر ، ووصف سهم رامٍ أصاب حِماراً ، فقال : « حتى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وما نَجَا »

وقال الآخر وهو يصف ذئباً :

أَطْلَسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ ... فِي شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ وَنَارُهُ

وَهْوَ الخَبِيثُ عَيْنُهُ فُرَارُهُ ... بَهْمٌ بَنِي مُحَارِبٍ مَزْدَارُهُ (٢)

ووصف الآخر ناقة فقال : « خَرْقَاءُ إلا أنها صَنَاعٌ »

يا هند كيف بنصب بات يبكيني ... وعائر في سواد الليل يؤذيني

كأن ليلى والأصداء هاجدة ... ليل السليم وأعيا من يداويني

لما حنى الدهر من قوسى وعذرنى ... قاسيت منه امر الغلظ واللين

إذا ذكرت ابا غسان ارقنى ... هم إذا عرس الساوون يشجيني

كان المفضل عزا فى ذوى يمن ... وعصمة وثمالا للمساكين

ما زلت بعدك فى هم تجيش به ... نفسى وفى نصب قد كاد يبليني

إنى تذكرت قتلى لو شهدتهم ... فى حومة الموت لم يصلوا بها دوني

لا خير فى العيش إن لم اجن بعدهم ... حربا نبيء بهم قتلى فيشفوني

فقالت له هند : اجلس يا ثابت فقد قضيت الحق وما من المرزئة بد . وكم من ميتة ميت اشرف من حياة حي ، وليست المصيبة فى قتل من استشهد ذابا عن دينه مطيعاً لربه ، وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته وخمل بعد موته ، وارجو ان لا يكون المفضل عند الله خاملا . وهذا كلام كاللؤلؤ المنثور وهو افضل كلام عزى به

(١) يهضبون : يسحون به سحا

(٢) عينه فراره : اي علامات الخبث ظاهرة فيه فلا تحتاج إلى استبانة

وقال الآخر ووصف سهما صارداً (١)

أَلْقَى عَلَى مَفْطُوحِهَا مَفْطُوحَا غَادَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحَا (٢)

وقال الآخر :

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ لَا تُفْلِحُ اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ

وقالوا فى المثل : الليل أخفى للويل .

وقال رؤبة يصف حمارا :

حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلاً أَوْشَهَقْ حَتَّى يُقَالَ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقْ (٣)

وقال بعض وُلْدِ العَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيِّ فى فرس أبى الأعْوَرِ السُّلَمِيِّ :

جَاءَ كَلَمْحِ الْبَرْقِ جَاشَ نَاظِرُهْ يَسْبَحُ أُولَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهْ (٤)

فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهْ

وقال الآخر : إِنْ سَرَّكَ الأَهْوَنُ فابْدَأْ بالأشَدّ

وقال العَجَّاجُ :

يُمْكِنُ السَّيْفَ إِذَا الرُّمْحُ انْأَطَرْ مِنْ هَامَةِ اللَّيْثِ إِذَا اللَّيْثُ هَتَرْ (٥)

كَجَمَلِ الْبَحْرِ إِذَا خَاضَ جَسَرْ غَوَارِبَ الْيَمِّ إِذَا الْيَمُّ هَدَرْ

حَتَّى يُقَالَ جَاسِرٌ وَمَا جَسَرْ (٦)

---

(١) صاردا : نافذا

(٢) قال الجاحظ : المفطوح الأول : القوس وهو العريض وهو ههنا موضع مقبض القوس ، والمفطوح الثانى : السهم العريض ، يعنى انه الق على مقبض القوس سهما عريضاً ،

(٣) قال الجاحظ : الحشرجة صوت الصدر والسحيل صوت الحمار إذا مده والشهيق ان يقطع الصوت ، قلت : والسحيل صوت كالبحة

(٤) قال الجاحظ : جاش ناظره : اي جاش بمائه . وناظر البرق سحابه . ويسبح : يعنى يمد ضبعيه فاذا مدهما علا كفله .

(٥) إنأطر : انثنى والتوى فى يده

(٦) قال الجاحظ : اليم معظم الماء وغوارب اليم معظمه ، جسر : قطع ، ومنه قيل للجسر جسرا لأن الناس يقطعون عليه ، وقوله : حتى يقال جاسر وما جسر اى قطع الأمر وهو بعد فيه لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه

وقال الآخر :

يَا دَارُ قَدْ غَيَّرَهَا بِلاهَا كَأَنَّمَا بِقَلَمٍ مَحَاهَا
أَخْرَبَهَا عُمْرَانُ مَنْ بَنَاهَا وَكَرُّ مُمْسَاهَا عَلَى مَغْنَاهَا (١)
وَطَفِقَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا تَبْكِى عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا (٢)

وقال غيره :

يَا عَجَّلَ الرَّحْمٰنُ بِالعَذَابِ لِعَامِرَاتِ البَيْتِ بِالخَرَابِ (٣)

يقول : هذا عمرانها ، كما يقول الرجل : ما نرى من خيرك ورفدك إلا ما يبلغنا من خطبك علينا وفَتِّكَ فى أعضادنا (٤) ؟ وقال الله عز وجل « هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ » والعذاب لا يكون نُزُلاً (٥) ولكنه لما أقام العذاب لهم فى موضع النعيم لغيرهم سمى باسمه .

وقال الآخر :

فَقُلْتُ أَطْعِمْنِى عُمَيْرُ تَمْرًا فَكَانَ تَمْرِى كَهْرَةً وَزَبْرًا (٦)

والتمر لا يكون كهرة وزبرا ، ولكنه على ذا . وقال الله عز وجل « ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا » وليس فى الجنة بُكرة ولا عَشى ، ولكن على مقدار البُكر والعشيات . وعلى هذا قول الله عز وجل « وقالَ الَّذِينَ فى النَّارِ لِخَزَنَةِ

---

(١) قال الجاحظ : أخربها عمران من بناها ، يقول : عمرها بالخراب ، وأصل العمران مأخوذ من العمر وهو البقاء فاذا بقي الرجل فى داره فقد عمرها ، فيقول إن مدة بقائه فيها أبلت منها لأن الأيام مؤثرة فى الأشياء بالنقص والبلى فلما بقي الخراب بها وقام العمران فى غيرها سمى بالعمران . قال : ممساها يعنى مساءها ، ومغناها موضعها الذى أقيم فيه ، والمغانى المنازل التى كان بها أهلوها

(٢) قال الجاحظ : وطفقت يعنى ظلت ، تبكي على عراصها عيناها : يقال لكل جوبة منفتقة ليس فيها بناء ، عرصة ، عيناها ههنا السحاب ، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه ،

(٣) عامرات البيت بالخراب ، قال الجاحظ : يعنى الفأر

(٤) فت فى عضده : أضعفه وخذله

(٥) النزل : ما يقدم للنازلين من الطعام والشراب

(٦) الكهر : الاستهانة بالانسان واستقبالك إياه بوجه عابس ، والزبر : الانتهار والمنع والرمى بما فى اليد من حجر ونحوه

جَهَنَّمَ » والخَزَنَةُ الحَفَظَةُ ، وجِئُهم لايضيع منها شيء ، فيحفظ ، ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها ؛ ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به .

وقال أبو عمرو بن العلاء : اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل : أيُّ نصف بيت شعر أحكم وأوجز ؟ فقال أحدهم : قول حُمَيْدِ بن ثَوْرٍ الهِلالِيِّ :

وَحَسْبُكَ دَاءً أنْ تَصِحَّ وَتَسْلَما

ولعل حُمَيْداً أخذه عن النَّمِرِ بْنِ تَوْلَبٍ ، قال النَّمِرُ :

يُحِبُّ الفَتَى طُولَ السَّلامَةِ وَالغِنَى ... فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلامَةِ يَفْعَلُ

وقال أبو العتاهِيَةَ : « أسرَعَ فى نَقْضِ امرِىءٍ تمامُهُ »

ذهب إلى كلام الأول : كلُّ ما أقام شَخَصَ ، وكلُّ ما ازداد نَقَص ، ولوكان الناس يُميتهم الداء إذاً لأعاشهم الدواء .

وقال الثانى من الرواة الثلاثة : بل قول أبى خِراشٍ الهُذَلِيِّ : (١)

نُوَكَّلُ بالأَدْنى وَإنْ جَلَّ مَا يَمْضِى

وقال الثالث : بل قول أبى ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيِّ : « وإذا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ » .

فقال قائل : هذا من مفاخر هُذَيل أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا فى جميع أشعار العرب إلا ثلاثة أنصاف ، إثنان منها لِهُذَيل وحدها ، فقيل لهذا القائل : إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بأنفسها ، والنصف الذى لأبى ذُؤَيْبٍ لايستغنى بنفسه ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولا بالنصف الأول ، لأنك إذا أنشدت رجلا لم يسمع بالنصف الأول وسمع

(١) هو أبو خراش خويلد بن مرة . من شعراء هذيل المذكورين وفصحائهم المعروفين . نشأ فى الجاهلية وأدرك الاسلام وأسلم . وكان من العدائين الذين يسبقون الخيل عدواً على أرجلهم . نهشته أفعى فمات وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الشعر من كلمة يرثى بها أخاه عروة ويذكر نجاة ولده خراش . وهى :

حمدت إلهى بعد عروة إذ نجا ... خراش وبعض الشر أهون من بعض
فوالله لا أنسى قتيلا رزئته ... بجانب قوسى ما حييت على الارض
بلى إنها تعفو الكلوم وإنما ... نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضى
ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... ولكنه قد سل عن ماجد محض

«وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ» قال: ومَن هذه التى تُرد إلى قليل فتقنع؟ وليس المضمن كالمطلق. وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم، وإنما الرواية قوله:

«وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ»

ومما مدحوا به الإيجاز والكلام الذى كالوحى والاشارة، قولُ أبى دُؤَاد ابنِ جَرِيرٍ الإِيادِيِّ:

يَرْمُونَ بِالخُطَبِ الطِّوَالِ وَتَارَةً ... وَحْيَ المَلَاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ

فمدح كما ترى الإطالة فى موضعها، والحذف فى موضعه.

ومما يدل على شغفهم وكلفهم وشدة حبهم للفهم والإفهام قول الأسدى فى صفة كلام رجل نعت له موضعا من تلك السباسب التى لا أمارة فيها بأقل اللفظ وأوجزه، فوصف إيجاز الناعت وسرعة فهم المنعوت له فقال:

بِضَرْبَةِ نَعْتٍ لَمْ تُعَدْ غَيْرَ أَنَّنِي ... عَقُولٌ لِأَوْصَافِ الرِّجَالِ ذَكُورُهَا

وهو كقولهم لابنِ عباس: أنّى لك هذا العلم؟ قال: قلب عَقول، ولسان سؤول. وقد قال الراجز:

وَمَهْمَهَيْنِ فَدْفَدَيْنِ مَرْتَيْنِ ... جُبْتُهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ

وقال فى التحذير من مِيْسم الشعر [١] ومن شدة وقع اللسان ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجو. قال امرُؤُ القيسِ بنُ حُجْر:

وَلَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِهِ جَاءَنِي ... وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ [٢]

وقال طَرَفَةُ [٣]

---

(١) الميسم: العلامة التى يتركها الكي بالنار

(٢) النثا: الخبر عن الغير

(٣) هو طرفة بن العبد البكرى، كان من مشاهير الشعراء فى الجاهلية. مات حدثا سنة ٥٦٤ م وهذا البيت الذي استشهد به الجاحظ فى الاصل من كلمة قالها يمدح بها قتادة بن سلمة الحنفى وكان اغاث قومه فى سنة شديدة. وهي:

إن امرأ سرف الفؤاد يرى ... عسلا بماء سحابة شتمى
وانا امرؤ اكوى من القصر البـادي ... واغشى الدهر بالدهم
واصيب شاكلة الرميـة إذ ... صدت بصفحتها عن السهم

بحُسامِ سَيفكَ أوْ لِسانِكَ والْكَلِمُ الأصِيلُ كأرْغَبِ الْكَلْمِ (١)

قال وأنشدنى محمد بنُ زِياد [ابن الاعرابى]

لَحَوْتُ شَمَّاساً كما تُلْحَى العِصِيّ ... سبّاً لوْ أنّ السّبّ يُدْمِى لَدَمِى (٢)

مِنْ نَفَرٍ كُلُّهمْ نِكْسٌ دَنِى ... مَحامِدُ الرّذْلِ مَشاتِيمُ السَّرِى (٣)

مَخابِطُ العُكْمِ مَوادِيعُ المَطِىّ ... مَتارِكُ الرَّفِيقِ بالخرْقِ النَّطِى (٤)

وأنشد محمد بن زياد [ابن الاعرابى]

تمنّى أبو العفّاقِ عِنْدِى هَجْمَةً ... تُسَهِّلُ مأْوَى لَيْلِها بالْكَلاكِل

وَلا عَقلَ عِنْدِى غيرُ طَعْنٍ نَوافِذٍ ... وَضَرْبٍ كأشْداقِ الفِصالِ الْهَوادِلِ

وَسَبٍّ يَوَدُّ المَرْءُ لوْ ماتَ قَبْلَهُ ... كَصَدْعِ الصَّفا فلَّقْتَهُ بالمَعاوِلِ (٥)

وقال طرفة :

رَأيْتُ القَوافِى يَتَلَّجْنَ مَوالِجاً ... تَضايَقُ عَنْها أنْ تَوَلَّجَها الإبَرْ (٦)

وقال الأخطل (٧)

حَتّى أقَرّوا وَهُمْ مِنِّى عَلَى مَضَضٍ ... وَالقَوْلُ يَنْفُذُ مالاَ تَنْفُذُ الإبَرُ

واحر ذا الكفل القناة على أنسائه ... فيظل يستدمى

ونصد عنك مخيلة الرجـــل العريض موضحة عن العظم

بحسام سيفك . البيت . الخ

(١) كارغب الكلم : يعنى ان من الكلام كلام يجرح جرحا هو اوسع من جرح السيف او السنان.

(٢) لحوته : قشرته ، يعنى أبنته وعنفته حتى كشفت المستور منه بسبي له

(٣) نكس : نذل لا خير فيه ، وهو موضع حمد الأراذل ومهبط لعنات السراة الاماثل .

(٤) مخابط العكم : ضرابوا الأعدال . مواديع المطى : ضعاف الركايب . الخرق النطى : المفازة البعيدة . يعنى أنهم عديموا الوفاء ولا امان لهم .

(٥) قال الجاحظ : الهجمة القطعة من النوق فيها فحل ، والكلكل الصدر ، والفصال جمع فصيل والفصيل ولد الناقة إذا فصل عنها . والهوادل العظام المشافر ، والعقل هنا الدية والعاقلة اهل القاتل الأدنون والأبعدون . والصفا جمع صفاة وهى الصخرة .

(٦) يعنى أن قوافى الشعر تنفذ فى مداخل الأشياء التى تضيق عن ان تنفذ فيها الابر . وقبل هذا البيت :

اعمرو بن هند ماترى رأى صرمة ... لها سبب ترعى به الماء والشجر

(٧) هو ابو مالك غياث بن غوث ، الأخطل التغلبى . شاعر فحل من شعراء الدولة الأموية نازع جريراً والفرزدق التقدم والتفوق . وقد فضله كثير من العلماء بالشعر عليهما . وكان نصرانيا مات.

وقال العُمانيُّ :

إذْهُنَّ فى الرَّيْطِ وَفِى المَوَادِعِ ترْمِى إليهنَّ كَبَذْرِ الزَّارِعِ (١)

وقالوا : ألحرب أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى . وكتب نصر ابن سيار إلى ابن هُبَيْرَة أيام تحرك أمر السواد بخراسان (٢)

أرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ جَمْرٍ فيُوشِكُ أنْ يكُونَ لهُ اضْطِرَامُ

فإنَّ النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى وَإنَّ الحَرْبَ أوَّلُها كَلامُ (٣)

فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ: لَيْتَ شِعْرِى أأيقاظٌ أُمَيَّةُ أمْ نِيامُ

فإنْ كَانُوا لَحِينَهِمِ نِيامًا فَقُلْ قُومُوا فقدْ حَانَ القِيامُ (٤)

وقال بعض المولدين :

إذَا نِلْتُ العَطِيَّةَ بَعْدَ مَطْلٍ فلاَ كانَتْ ، وَإنْ كانَتْ جَزِيلَهْ

وَسَقْيًا لِلْعَطِيَّةِ ثُمَّ سَقْيًا إذَا سَهُلَتْ، وَإنْ كانَتْ قَلِيلَهْ (٥)

وَلِلشُّعَرَاءِ ألْسِنَةٌ حِدَادٌ عَلَى العَوْرَاتِ مُوفِيَةٌ دَلِيلَهْ

وَمِنْ عَقْلِ الكَرِيمِ إذَا اتَّقَاهُمْ وَدَارَاهُمْ مُدَارَاةً جَمِيلَهْ

إذَا وَضَعُوا مَكَاذِبَهُمْ عَلَيْهِ وَإنْ كَذَبُوا فَلَيْسَ لَهُنَّ حِيلَهْ (٦)

وقالوا : مُذاكرة الرجال تلقيح لألبابها . ومما قالوا فى صفة اللسان قول الأسدى أنشدنيها ابنُ الأعرابى :

سنة ٩٢ هـ وهذا البيت من قصيدته المشهورة التى مدح بها عبد الملك وبنى امية وهجا بها قبائل قيس ، وهى من اجود شعره . واولها :

خف القطين فراحوا عنك أوبكروا وازعجتهم نوى فى صرفها غير

(١) قال الجاحظ : الريط الثياب واحدها ريطة ، والريطة كل ملاءة لم تكن لفقين ، والحلة لاتكون إلا ثوبين ، والموادع الثياب التى تصون غيرها ، واحدتها ، ميدعة ،

(٢) كان في الاصل : امير ، وليس هنا مكانها لمن يعرف مقامات الكلام

(٣) تذكى : تتقد

(٤) لحينهم : لهلاكهم

(٥) سقيا لها : يعنى حبذا هى

(٦) مكاذب جمع مكذبة وهى الفرية والأكذوبة

وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَاتِ ... عِرْضًا بَرِيئًا وَعَضْبًا صَقِيلَا (١)

وَوَقْعَ لِسَانٍ كَحَدِّ السِّنَانِ ... وَرُمْحًا طَوِيلَ الْقَنَاةِ عَسُولَا

وقال الأعشى :

أُدَافِعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأُعِيرُكُمْ ... لِسَانًا كَمِقْرَاضِ الْخَفَاجِيِّ مِلْحَبًا (٢)

وقال ابنُ هَرْمَةَ (٣)

قُلْ لِلَّذِي ظَلَّ ذَا لَوْنَيْنِ يَأْكُلُنِي ... لَقَدْ خَلَوْتَ بِلَحْمٍ عَارِمِ الْبَشَمِ

إِيَّاكَ لَا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ مِنْ لُجُمٍ ... نِكْلًا يُنَكِّلُ قَرَّاصًا مِنَ اللُّجُمِ

إِنِّي امْرُؤٌ لَا أَصُوغُ الْحَلْيَ تَعْمَلُهُ ... كَفَّايَ لَكِنْ لِسَانِي صَائِغُ الْكَلِمِ

وقال الراجز :

إِنِّي بَغَيْتُ الشِّعْرَ وَابْتَغَانِي ... حَتَّى وَجَدْتُ الشِّعْرَ فِي مَكَانِي

فِي عَيْبَةٍ مِفْتَاحُهَا لِسَانِي (٤)

وأنشد :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ إِزَارِي خَلَقَا ... وَبَرْنَكَانِي سَمَلًا قَدْ أَخْلَقَا (٥)

قَدْ جَعَلَ اللهُ لِسَانِي مُطْلَقَا

---

(١) العضب الصقيل : السيف البراق

(٢) المقراض : المقص . الخفاجي نسبة الى خفاجة وهو حي من بني عامر ، ولعله يقصد واحداً منهم كان حجاما . قال الجاحظ : الملحب القاطع

(٣) سبقت ترجمته فى صفحة ١٠٥ . وهذه الأبيات من كلمة قالها وقد بلغه ان المسور بن عبدالملك المخزومي يعيب شعره . وقد رويت هكذا :

إياك لاألزمن لحييك من لجمي ... نكلا ينكل قراصا من اللجم

بدق لحييك أو تنقاد متبعاً ... مشى المقيد ذي القردان والحلم

إني إذا ما أمرؤ خفت نعامته ... إلي واستحصدت منه قوي الوذم

عقدت فى ملتقى اوداج لبتـه ... طوق الحمامة لا يبلى على القدم

إني امرؤ لاأصوغ الحلي تعمله ... كفاي لكن لساني صائغ الكلم

إن الاديم الذي أمسيت تقرظه ... جهلا لذو نغل باد وذو حلم

ولا يئط بأيدي الخالقين ولا ... أيدي الخوالق إلا جيد الأدم

(٤) العيبة : زبيل من أدم اى جلد (شنطة)

(٥) وبرنكاني : هذه كلمة معربة معناها الكساء ، وهي ايضا تطلق على الثوب قد نسج من الحرير الخشن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان: والعَتَّابيُّ حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، لم يَعنِ أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصدَه ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد أن نكون قد فهمنا عنه معنى كلام النبطى الذى قيل له: لم اشتريت هذه الأتان؟ قال: أركبها وتلدُ لى، وقد علمنا أن معناه كان صحيحاً. وقد فهمنا قول الشيخ الفارسى حين قال لأهل مجلسه: ما من شر من دَين. وأنه قال حين قيل له: ولم ذاك يا أبا فلان؟ قال: من جرّى يتعلقون(١). وما نشك أنه قد ذهب مذهباً. وأنه كما قال معنى قول أبى الجُهَيْرِ الخُراسانى النخاس حين قال له الحَجّاج: أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان؟ قال. شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مداينها وكما تجىء تكون! قال الحجاج: ماتقول ويلك؟ فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العُلُوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك: يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها. وقلت لخادم لى: فى أى صناعة أُسلِمُ هذا الغلام؟ قال أصحاب سِند نِعال! يريد فى أصحاب النعال السندية(٢) وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذى دونه: أكتب لى قل حطى وريحى منه!

فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللُكْنَةَ والخطأ والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيانا. وكيف يكون ذلك كله بيانا ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه؟ ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذى فينا. وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لايستدلون على معانى هؤلاء بكلامهم كما لايعرفون رطانة

(١) يريد من أصحاب الديون لأنهم يتعلقون بغرمهم مطالبين بدينهم
(٢) خادم الجاحظ اسمه نفيس وكان الجاحظ كثير التندر به

الرومى والصقلبى ، وإن كان هذا الاسم إنما يستحقونه بأنا نفهم عنهم كثيراً من حوائجهم، فنحن قد نفهم من حمحمة الفرس كثيراً من حاجاته، ونفهم بِضُغَاءِ السِّنَّوْرِ كثيراً من إراداته ، وكذلك الكلاب والحمار والصبي الرضيع !؟ وإنما عنى العَتَّابِيُّ إفهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء ، وأصحاب هذه اللغة لايفقهون قول القائل منا « مُكْرَهٌ أخاكَ لا بطَلْ » و « إذا عَزَّ أخاكَ فَهُنْ »

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم : ذهبت إلى أبو زيد ، ورأيت أبي عمرو . ومتى وجد النحويون أعرابياً يفهم هذا وأشباهه بَهْرَجُوهُ[1]، ولم يسمعوا منه ، لأن ذلك يدل على طول إقامته فى الدار التى تُفسد اللغة وتنقص البيان ، لأن تلك اللغة إنما انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة وفى تلك الجيرة ، ولفقد الخطأ من جميع الأمم . ولقد كان بين يزيد ابن كَثْوَة[2] يوم قدم علينا البصرة و بينه يوم مات بون بعيد ، على أنه قد كان وضع منزله فى آخر موضع الفصاحة وأول موضع العُجمة ، وكان لاينفك من رواة ومذاكرين .

وزعم أصحابنا البَصْريُّونَ عن أبي عَمْرِو بْنِ العلاء ، أنه قال : لم أر قَرَوِيَّيْنِ أفصح من الحسن[3] والحجاج . وكان مازعموا لا يبرئهما من اللحن . وزعم أبو العاصى أنه لم ير قروياً قط لايلحن فى حديثه وفيما يجرى بينه وبين الناس إلا ماتفقده من أبي زَيْدٍ النحوى[4] ومن أبي سعيد المعلم .

وقد روي أصحابنا أن رجلا من البلديين قال لأعرابى . كيف أهلِك؟ قالها

---

(١) بهرجوه : زيفوه

(٢) يزيد بن كثوة : أعرابى كانت تؤخذ عنه اللغة

(٣) هو أبو سعيد الحسن البصرى . وقد كتبنا له ترجمة وافية وبحثا مستفيضا فى كتابنا « شيوخ المعتزلة ومذاهبهم » وسنطبعه قريبا إن شاء الله

(٤) هو ابو زيد سعيد بن أوس الأنصارى ، كان إماما حجة فى النحو والأدب واللغة والنوادر والغريب . أخذ عن المفضل الضبى . قال أبو عثمان المازني : رأيت الاصمعى جاء إلى حلقة أبي زيد فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : أنت سيدنا ورئيسنا منذ خمسين سنه . وله تصانيف كثيرة . ولد فى ١٢٢ وتوفى سنة ١٢٥ هـ

بكسر اللام ، قال : صَلْباً ! لأنه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله وعياله . وسمعت ابْنَ يَسِيْرٍ – وقال له المفضل العنبرى : إنى عثرت البارحة بكتاب وقد التقطته وهو عندى ، وقد ذكروا أن فيه شعراً ، فان أردته وهبته لك – قال ابن يسير[١] : أريده إن كان مقيداً ! قال : والله ما أدرى أكان مقيداً أو مغلولا ! ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته . وحكى الكِسَائى[٢] أنه قال لغلام بالبادية : من خلقْك ؟ وجزم القاف – فلم يدر ما قال ولم يجبه . فرد عليه السؤال . فقال الغلام : لعلك تريد من خَلَقَكَ ..؟ وكان بعض الأعراب إذا سمع رجلا يقول : نعم . فى الجواب . قال : نَعَمٌ وشاءٌ . لأن لغته « نَعِم » وقيل لعُمَرَ بن لجإ[٣] : قل : « إنا مِنَ المجْرِمُونَ مُنْتَقِمين » ؟ قال : « إِنَّا مِنَ المُجْرِمِين مُنْتَقِمون » وأنشد الكسائى كلاماً دار بينه و بين بعض فتيان البادية فقال :

عَجَباً مَا عَجَبٌ أَعْجَبَنِى | مِنْ غُلَامٍ حَكَمِىٍّ أُصُلَا
قُلْتُ : هَلْ أَحْسَسْتَ رَكْباً نَزَلُوا | حِضْناً مَادُونَه ؟ قالَ : هَلَا[٤]
قُلْتُ : بيِّنْ مَاهَلا ، هَلْ نَزَلُوا ؟ | قالَ : حُوباً . ثُمَّ وَلَّى عَجِلَا[٥]
لَسْتُ أدرى عِنْدَهَا مَاقَالَ لِى | أَنَعَمْ مَا قالَ لِى ؟ أَمْ قالَ : لَا
تِلْكَ مِنْهُ لُغَةٌ تُعْجِبُنِى | زَادَتِ القَلْبَ خَبَالاً خَبَلَا

قال مولى زياد لزياد : أهدوا لنا هِمار وهش . قال : أى شىء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا لنا أيْراً ، يريد أهدوا لنا عيراً . قال زياد : ويلك الأول خير . وقال الشاعر يذكر جارية له لَكْنَاء :

(١) كان فى الاصل : ابن بشير ، وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه

(٢) هو على بن حمزة الكسائى إمام الكوفيين في النحو واللغة والأدب وأحد القراء السبعة المشهورين . قال ابن الأعرابى : كان الكسائى أعلم الناس بالفقه ضابطا عالما بالعربية قارئا صدوقا إلا انه كان يديم شرب النبيذ وغيره . مات بالري سنة ١٩٢ هـ

(٣) هو عمر بن لجأ الشاعر الفحل الذي وقف يهاجى جريرا . وهو من شعراء الدولة الاموية الفصحاء البلغاء

(٤) الحضن : ماذون الابط إلى الكشح . وهلا : كلمة زجر

(٥) حوبا : إثما وعيباً

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّمَرْ تَذْكِيرُهَا الأُنْثَى وَتَأْنِيثُ الذَّكَرْ
وَالسَّوْأَةُ السَّوْآءُ فِي ذِكْرِ القَمَرْ

فزياد قد فهم عن مولاه ، وصاحب الجارية قد فهم عن جاريته . ولكنهما لم يفهما عنها من إفهامهما لها ، ولكنها لما طال مقامها فى الموضع الذى يكثر فيه سماعها لهذا الضرب صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام .

ذكر ما قالوا فى مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور

مما جاء فى الأثر وصح به الخبر

قال الشاعر :

أَرَى النَّاسَ فِي الأَخْلَاقِ أَهْلَ تَخَلُّقٍ وَأَخْبَارُهُمْ شَتَّى فَعُرْفٌ وَمُنْكَرُ(١)
قَرِيباً تَدَانِيهِمْ إِذَا مَا رَأَيْتَهُمْ وَمُخْتَلِفاً مَا بَيْنَهُمْ حِينَ تَخْبُرُ(٢)
فَلَا تَحْمَدَنَّ الدَّهْرَ ظَاهِرَ صَفْحَةٍ مِنَ المَرْءِ مَا لَمْ تَبْلُ مَا لَيْسَ يَظْهَرُ(٣)
فَمَا المَرْءُ إِلَّا الأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ وَمَعْقُولُهُ وَالجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ
وَمَا الزَّيْنُ فِي ثَوْبٍ تَرَاهُ وَإِنَّمَا يَزِينُ الفَتَى مَخْبُورُهُ حِينَ يُخْبَرُ
فَإِنْ طُرَّةٌ رَاقَتْكَ مِنْهُمْ فَرُبَّمَا أَمَرَّ مَذَاقُ العُودِ وَالعُودُ أَخْضَرُ(٤)

وقال سُوَيْدُ بنُ أبي كاهل(٥) فى ذلك :

وَدَعَتْنِي بِرُقَاهَا أَنَّهَا تُنْزِلُ الأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ اليَفَعْ(٦)

(١) أهل تخلق : يقلد بعضهم بعضا فى الاخلاق وليسو على طبع واحد

(٢) حين تخبر : حين تتكشف أحوالهم وحقائق أمورهم

(٣) ظاهر صفحة : حسن الوجه وجمال الهيئة . تبل : تخبر وتكشف

(٤) طرة : ليس بريد الطرة بعينها وهي شعر الجبهة وإنما المراد اى حالة ظاهرة خادعة يبهرجها

(٥) هو سويد بن أبي كاهل اليشكرى ، شاعر مخضرم من مقدمي الشعراء فى الجاهلية والاسلام . وهذه الابيات من قصيدته البارعة التى قال فيها الاصمعى : كانت العرب تفضلها وتعدها من حكمها وكانت تسميها في الجاهلية « اليتيمة » وهي مثبتة بكاملها بالمفضليات ومشروحة بقلمنا

(٦) الأعصم : الوعل . اليفع : أعلى مكان فى الجبل

تُسْمِعُ الْحُدَّاثَ قَوْلاً حَسَناً لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يُسْتَطَعْ (١)
وَلِسَاناً صَيْرَفِيًّا صَارِمًا كَحُسَامِ السَّيْفِ مَا مَسَّ قَطَعْ (٢)

وقال جَرِيرٌ (٣)

وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا (٤)

وقال الآخر :

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمُلُهُ فَيَبْرَى وَيَبْقَى الدَّهْرَ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقال الآخر :

أَبَا صُبَيْعَةَ لَا تَعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ أَنَا ابْنُ عَمِّكَ وَاذْكُرْهُ بِإِحْسَانِ
إِمَّا تَرَانِي وَأَثْوَابِي مُقَارِبَةٌ لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ
فَإِنَّ فِي الْمَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي عُلْوِيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانِ

وفيما مدحوا به الأعرابي إذا كان أديباً ، أنشدني ابنُ أبي كريمة ، وإسمه أسود :

أَلَا زَعَمَتْ عَفْرَاءُ بِالشَّامِ أَنَّنِي غُلَامُ جَوَارٍ لَا غُلَامُ حُرُوبِ
وَإِنِّي لَأَهْدَى بِالْأَوَانِسِ كَالدُّمَى وَإِنِّي بِأَطْرَافِ الْقَنَا لَلَعُوبُ
وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ عُنْجُهِيَّتِي وَلُوثَةِ أَعْرَابِيَّتِي لَأَدِيبُ (٥)

وقال ابنُ هَرْمَة :

(١) يعنى أنها مطبوعة على القول الحسن فلا تستطيع العدول عنه بحال
(٢) اللسان الصيرفي : الذي ينقد الكلام ويتخير أحسنه وامضاه
(٣) هو جرير بن عطية الخطفى اليربوعى . كان هو والفرزدق والأخطل المقدمين على شعراء الاسلام ، وكان جرير أكثرهم فنون شعر واسلسهم ألفاظا واقلهم تكلفا وارقهم نسيبا واسيرهم شعرا . مع عفة ودين.قال الاصمعي : كان ينهش جريرا ثلاثة واربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحدا واحدا ، ومنهم من كان ينفخه فيرمى به وثبت له الفرزدق والاخطل . كانت ولادته سنة ٢٩ وتوفي باليمامة سنة ١١١ هـ بعد وفاة الفرزدق بسنة
(٤) يعنى مع ان سيفه لايترك بقية فى العظم لشدة مضائه فان لسانه اشد مضاء من سيفه هذا
(٥) اللوثة : ضرب من الجنون او هى نوع من الرعونة

لِلّهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى فَجعَتْ بِهِ ... يَوْمَ البَقِيعِ حَوَادِثُ الأَيَّامِ
هَشٌّ إذا نَزَلَ الوُفودُ بِبَابِهِ ... سَهْلُ الحِجَابِ مُؤَدَّبُ الخُدَّامِ
فإذا رأيتَ شَقِيقَهُ وصَدِيقَهُ ... لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الأَرْحَامِ

وقال كعبُ بنُ سَعْدٍ الغنوِيُّ (١)

حَبِيبٌ إلى الزُّوَّارِ غِشْيَانُ بَيْتِهِ ... جَمِيلُ المُحَيَّا شَبَّ وَهْوَ أَدِيبُ
إذَا مَا تَرَاآهُ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا ... فلَمْ تَنْطِقِ العَوْرَاءَ وَهْوَ قَرِيبُ (٢)

وقال الحارثي:

وتَعْلَمُ أَنِّي مَاجِدٌ وتَرُوعُهَا ... بَقِيَّةُ أَعْرَابِيَّةٍ في مُهَاجِرِ (٣)

وقال الآخر:

وإنَّ امْرَأً في النَّاسِ يُعْطَى ظُلَامَةً ... ويُمْنَعُ نَصَفَ الحَقِّ مِنْهُ لَرَاضِعُ (٤)
أَلْمَوْتَ يَخْشَى أَثْكَلَ اللهُ أُمَّهُ ... أَمِ العَيْشَ يَرْجُو نَفْعَهُ وَهْوَ ضَائِعُ
وَيَطْعَمُ مَالَمْ يَنْدَفِعْ في مَرِيئِهِ ... وَيَمْسَحُ أَعْلَى بَطْنِهِ وَهْوَ جَائِعُ (٥)
وَإِنَّ العُقُولَ فَاعْلَمَنَّ أَسِنَّةٌ ... حِدَادُ النَّوَاحِي أَرْهَفَتْهَا المَوَاقِعُ (٦)

ويقول: كأن لسانه لسان ثور. وحدثني من سمع أعرابيا مدح رجلا برقة اللسان فقال: كان والله لسانه أرق من ورقه، وألين من سَرَقَه (٧). وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ثم قال: والله ما يسرني به مِقْوَلٌ من مَعَدّ، والله لو وضعته على

(١) يسميه صاحب الجمهرة « محمد بن كعب الغنوى » وهذان البيتان من قصيدة جيدة تعد من المراثي في الجمهرة

(٢) تراآه: نظروا إليه عن بعد أو لاح لهم فأبصروه. تحفظوا: احتشموا. العوراء: الكلمة الزرية

(٣) بقية أعرابية: يعني أن به بقية من طباع البدو

(٤) يعطى ظلامة: يقع عليه الظلم. نصف الحق الانصاف والعدل. لراضع. للئيم خسيس

(٥) مالا يندفع في مريئه. مالا يستطيع ازدراده وما يغص به

(٦) أرهفتها المواقع: أحدتها كثرة الأحداث

(٧) السرقة: القطعة الرقيقة من الحرير المنسوج

صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه . قال : وسمعت أعرابيا يصف لسان رجل فقال : كان يَشُولُ بلسانه شَوَلان البَرُوقِ (١) ويتخلل به تخلل الحية . وأظن هذا الأعرابي أبا وَجِيهٍ العُكْلِيّ .

وإنما سمي شوّال شوّالا لأن النوق شالت بأذنابها فيه . فان قال قائل : قد يتفق أن يكون شوال في وقت لا تشول الناقة بذنبها فيه ! فَلِمَ بقي هذا الاسم عليه وقد ينتقل ماله لزم عنه ؟ قيل له : إنما جعل هذا الإسم له سِمَةً حيث اتفق: أن شالت النوق بأذنابها فيه فبقي عليه كالسِّمَةِ ، وكذلك رمضان إنما سمي لرَمَض الماء فيه ، وإن كان قد يتفق هذا الاسم في وقت البرد والحر .

ووصف أعرابيٌّ رجلا فقال : أتيناه فأخرج لسانه كأنه مِخْراق لاعِبٍ (٢) وقال العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، فيم الجمال ؟ قال في اللسان . وكان مُجاشِعُ بنُ دَارِمٍ خطيباً سليطا ، وكان نَهْشَلُ بَكيئاً مَنزوراً (٣) فلما خرجا من عند بعض الملوك عذله مجاشع في تركه الكلام . فقال له نهشل : إني والله لا أحسن تَكْذَابَكَ ولا تأثامَكَ (٤) ، تَشُول بلسانك شَوَلانَ البَرُوقِ

وقالوا : أعْلى جميع الخلق مرتبةً الملائكةُ ، ثم الإنس ، ثم الجن . وإنما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل وبالاستطاعة على التصرف وبالمنطق .

وقال خالدُ بنُ صفوان : ما الانسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة .

وقال رجل لخالد بن صفوان : مالي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الأشعار ، وقع عليّ النوم ؟ قال : لأنك حمارٌ في مِسلاخ إنسان (٥) وقال صاحب المنطق : حد الانسان الحي الناطق المبين . وقال الأعور الشَّنِّيُّ (٦)

---

(١) قال الجاحظ : يشول يرفع . البروق الناقة إذا طلبت الفحل فلها حينئذ ترفع ذنبها

(٢) مخراق اللاعب : هو خرقة تفتل ويعرها اللاعبون مرا سريعا ، وقد تكون منديلا ، يضرب بها بعضهم بعضا

(٣) بكيئا : قليل الكلام . منزورا : لايكاد يتكلم إلا إذا ألححت عليه

(٤) تكذابك : أن أكذبك : تأثامك : ان اوثمك .

(٥) مسلاخ الانسان : جلده

(٦) هذان البيتان يرويان لزهير بن ابي سلمى وهما ضمن معلقته ، ويظهر أن هذا من تخليط الرواة وعبثهم

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ   زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِى التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ   فَلَمْ تَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

ولما دخل ضَمْرَةُ بنُ ضَمْرَةَ على النُّعْمانِ بنِ المنذرِ زَرَى عليه للذى رأى من دمامته وقصره وقلته فقال النعمان : تسمع بالمُعَيْدِىِّ لا أن تراه ؟ فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، إنَّ الرجالَ لا تُكالُ بالقُفْزانِ ولا تُوزَنُ بميزان ، وليست بمُسوكٍ (١) يُستقى بها ، وإنما المرء بأصغريه : بقلبه ولسانِه ، إن صال صال بجَنان ، وإن قال قال ببيان .

واليمانية تجعل هذا للصقْعب النهدىِّ ، فان كان ذلك كذلك فقد أقروا أن نبدأ من مَعَدٍّ .

وكان يقال : عقلُ المرءِ مدفونٌ بلسانه .

باب فى ذكر اللسان

قال الحسن : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر ، فان كان له قال ، وإن كان عليه سكت . وقلب الجاهل من وراء لسانه ، فان همَّ تكلم به ، له أو عليه .

وقال أبو الوجيه : حدثنى الفرزدق (٢) قال : كنا فى ضيافة معاوية بن أبى سفيان ومعنا كعب بن جُعَيْل التغلبى فقال له يزيد : إن ابن حسان —

---

(١) المسوك : الجلود (القرب)

(٢) هو همام بن غالب التميمى ابو فراس . وهو وجرير والاخطل الذين ذهبوا بالتقدم على شعراء الاسلام فى عهد بنى مروان . وكان شاعرا فخم العبارة شديد اسر الكلام جيد الاسلوب . وكانت بينه وبين زميليه مناقضات ومنافرات ومنافسات واهاج . مات سنة ١١٠ هـ ورثاه جرير بأبيات منها :

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل   ولا ذات بعل من نفاس تعلت
هو الوافد الميمون والراتق الثأى   إذا النعل يوما بالعشيرة زلت

يريد عبد الرحمن (١) — قد فضحنا فاهج الأنصار . قال : أرادّي أنتَ إلى الإشراكِ بعدَ الاسلام ؟ لا أهجو قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني أدلك على غلام منا نصراني كأن لسانه لسان ثور : يعني الأخطل (٢)

وقال سعدُ بن أبي وقاص لِعُمَر ابنه — حين نطق مع القوم فبذهم وقد كانوا كلموه في الرضا عنه — قال : هذا الذي أغضبني عليه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض البقرة بلسانها »

وقال معاوية لعمرو بن العاص : ياعمرو إن أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك ، وقد ضم إليك رجل طويل اللسان قصير الرأي ، فأجد الحز وطبق المفصل ، ولا تلقه برأيك كله .

والعجب من قول ابن الزبير للأعراب : سلاحكم رث ، وحديثكم غث ! ؟ وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه أحسن الناس حديثاً وأن أبا نَضْرَة وعبيد الله ابن أبي بكرة (٣) إنما كانا يحكيانه ، فلا أدري إلا أن يكون حسن حديثه

---

(١) كان السبب في ذلك ان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري احب رملة بنت معاوية فقال فيها :

رمل هل تذكرين يوم غزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمني
إذ تقولين عمرك الله هل شيء وإن جل سوف يسليك عني
ام هل اطمعت منكمو يا ابن حسان كما قد اراك اطمعت مني

(٢) فقال الأخطل في ذلك قصيدة منها :

وإذا نسبت ابن الفريعة خلته كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الاله من اليهود عصابة بالجزع بين صليصل وحرار
قوم إذا هدر العصير رأيتهم حمرا عيونهم من المسطار
خلو المكارم لستموا من اهلها وخذوا مساحيكم بني النجار
إن الفوارس يعلمون ظهوركم اولاد كل مقبح اكار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

(٣) اما ابو نضرة فهو المنذر بن مالك من العوقة وهم بطن من عبد القيس . توفي في ولاية عمر ابن هبيرة . واما عبيد الله بن ابي بكرة — كان بالأصل عبد الله بن ابي بكر وهو خطأ لأن عبد الله ابن ابي بكر مات في عهد ابيه ولم يكن ابن الزبير قد بلغ الحلم . فأصلحناه على ما نرى — كان عبيد الله هذا من اجمل الناس واشجعهم واكرمهم واحسنهم حديثا . وكان مع هذا شديد السواد . وكان عبد الملك بن مروان يقول عنه إنه سيد اهل الشرق . ولاه الحجاج سجستان سنة ثمان وسبعين فغزا

هو الذي ألقى الحسد بينه و بين كل حسن الحديث .

وقد ذكروا أن خالد بن صَفْوان تكلم فى بعض الأمر فأجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالدٌ أن الكلام كان عنده فلما طال بهما المجلس كان خالد عرّض له(١) ببعض الأمر فقال المدنى : يا أبا صفوان ، ما من ذنب إلا اتفاق الصناعتين . وقال رجل من بنى مِنقر : تكلم خالد بن صفوان فى صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله ، وإذا أعرابى فى بت(٢) ما فى رجليه حِذاء ، فأجابه بكلام وددت والله لو كنت مِتُّ وأن ذلك لم يكن ، فلما رأى خالد ما نزل بى قال : كيف نُجاريهم ؟ . وإنما نَحكيهم ، وكيف نُسابقهم ؟ ، إنما نجرى على ما سبق إلينا من أعراقهم ، وليُفْرخ رُوعك فإنه من مُقاعس(٣) ومقاعسٌ لك . فقلت يا أبا صَفوان ، والله ما ألومك على الأولى ولا أدع حَمدك على الأخرى .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما كلّمنى رجل من بنى أسد إلا تمنيت أن يُمد له فى حُجته حتى يَكثر كلامه فأسمعه . وقال يونس : ليس فى بنى أسد إلا خطيب وشاعرٌ أو قائفٌ(٤) أو زاجرٌ أو كاهنٌ أو فارس قال: وليس فى هُذَيْل إلا شاعر أو رام ٍ أو شديد العَدْو .(٥) ودُعِىَ رَقَبةُ بن مَصْقَلَةَ — أو كَرِبُ بن رقبة — إلى مجلس ليتكلم فيه فرأى مكان أعرابى فى شملة فأنكر موضعه فسأل الذى عن يمينه عنه فخبّره أنه الذى أعدوه لجوابه ، فنهض مسرعا لا يَلْوى على شىء ،

بلاد كابل والافغان ، ووقع اصحابه فى مجاعة . ومات هو وكثير من جنوده وفى ذاك يقول اعشى همدان :

اسمعت بالجيش الذين تمزقوا ... واصابهم ريب الزمان الأعوج

لبثوا بكابل ياكلون خيارهم ... فى شر منزلة وشر معرج

لم يلق جيش فى البلاد كما لقوا ... فلمثلهم قل للنوائح تنشج

(١) كان فى الأصل : اعرض . وهو خطأ . والصواب ما أثبتناه

(٢) البت هنا القباء الغليظ

(٣) الاعراق : الاصول . وليفرخ روعك : ليهدأ بالك ولتطمئن نفسك . ومقاعس : قبيلة من افصح قبائل العرب

(٤) القائف : هو الذى يقص الاثر

(٥) رام ، الرامي هو الذى يجيد الرماية . شديد العدو : هو الذى يسبق الخيل عدوا على قدميه

كراهة أن يجمع بين الديباجتين [١] فيتضع عند الجميع .

وقال خلاَّد بن يزيد : لم يكن أحد بعد أبى نَضْرة أحسن حديثاً من سَلْم بن قُتَيبَة . قال : وكان يزيد بن عمر بن هُبَيْرة يقول : إحذفوا الحديث كما يحذفه سلم بن قتيبة [٢] ويزعمون أنه لم يروا محدِّثاً قط صاحب آثار كان أجود حذفاً وأحسن اختصاراً للحديث من سُفيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ [٣] ، سألوه مرة عن قول طاوس [٤] فى زكاة الجراد فقال : ابنه عنه : زكاته أخذه .

وباب آخر

وكانوا يمدحون شدة العارضة وقوة المُنَّةِ [٥] وظهور الحجة وثبات الجنان وكثرة الرِّيق والعلو على الخصم . ويهجون بخلاف ذلك . قال الشاعر :

طَباقَاءُ لمْ يَشْهَدْ خُصُوماً وَلَمْ يَعِشْ ... حَمِيداً ولَمْ يَشْهَدْ حِلالاً ولاَ عِطْرا [٦]

قال أبو زُبَيْدٍ الطَّائى [٧]

وَخَطِيبٍ إذا تَمَغَّرَتِ الأوْ ... جُهُ يَوْماً فى مأقِطٍ مَشْهُودِ [٨]

---

(١) الديباجتان هنا الوجهان او الهيئتان

(٢) كان فى الاصل مسلم وصححته كما اثبتناه سلم . وهو سلم بن قتيبة بن مسلم . كان سيدا معظما واميرا كريما ولاه ابن هبيرة على البصرة ثم تولاها لابى جعفر . ومات بالري

(٣) هو ابو محمد سفيان بن عيينه المحدث الشهير . مات سنة ١٩٨ هـ

(٤) هو ابو عبد الرحمن طاوس بن كيسان كان من مشاهير المحدثين . مات سنة ١٠٦ هـ

(٥) كان فى الاصل : وقوة المسنة . وهو خطا . والصواب ما اثبتناه

(٦) قال الجاحظ : طباقاء . يقال للبعير إذا لم يحسن الضراب : جمل عياياء وجمل طباقاء . وهو هنا للرجل الذى لايتجه للحجة . الحلال : الجماعات . ويقال حى حلال إذا كانوا متجاورين مقيمين . والعطر ههنا العرس »

(٧) كان فى الاصل : ابو زيد . وهو خطأ . والصواب ما أثبتناه . وهو ابو زبيد حرملة بن المنذر الطائى . كان شاعرا مجيدا ادرك الجاهلية والاسلام . وظل على النصرانية الى ان أسلم على يد الوليد بن عقبة والى الكوفة وحسن إسلامه . وقد عاش على ماقيل مائة وخمسين سنة وكان لسنا فصيحا وصافا بليغا . وهو الذى وصف الاسد فى حضرة عثمان

(٨) كان فى الاصل : تموت الاوجه . وهو خطأ . والصواب ما اثبتناه . وتمغرت بعني علاها حمرة

وقال نَافع بن خَليفة الغَنَوى :

وَخَصْمٍ لَدَى بَابِ الأَمِيرِ كَأَنَّهُمْ قُرُومٌ فَشَا فِيهَا الزَّوَائِرُ وَالْهَدْرُ (١)
دَلَفْتُ لَهُمْ دُونَ المُنَى بِمُلِمَّةٍ مِنَ الدُّرِّ فى أَعْقَابِ دُرَّتِهَا شَذْرُ (٢)
إذا القَوْمُ قالُوا : أَدْنِ مِنْهَا وجَدْتَها مُطَبِّقَةً يَهْمَاءَ لَيْسَ لَهَا خَصْرُ (٣)

وقال الأَسْلع بن قِطاف الطُّهَوى :

فِدَاءٌ لِقَوْمِى كُلُّ مَعْشَرِ جَارِمٍ طَرِيدٍ وَمَخْذُولٍ بِمَا جَرَّ مُسْلَمِ (٤)
هُمُ أَفْحَمُوا الخَصْمَ الَّذِى يَسْتَقِيدُنِى وَهُمْ فَصَمُوا حِجْلِى وَهُمْ حَقَنُوا دَمِى (٥)
بِأَيْدٍ يُفَرِّجْنَ المَضِيقَ وَأَلْسُنٍ سِلَاطٍ وَجَمْعٍ ذِى زُهَاءٍ عَرَمْرَمِ (٦)
إِذَا شِئْتَ لَمْ تَعْدَمْ لَدَى البَابِ مِنْهُمُ جَمِيلَ المُحَيَّا وَاضِحًا غَيْرَ تَوْأَمِ (٧)

الحجل . وقال الجاحظ : المأقط الموضع الضيق ، والمأقط الموضع الذى يقتل فيه » . قلت : وهذا البيت من قصيدة جيدة اولها :

إن طول الحياة غير سعود وضلال تأميل طول الخلود
علل المرء بالرجاء ويضحى غرضا للمنون نصب العمود
كل يوم ترميه منها سهام فمصيب أوصاف غير بعيد
من حميم ينسى الحياة جليـــد القوم حتى تراه كالمفئود
كل ميت قد اغتفرت فلا اجـــزع من والد ولا مولود

وهى طويلة

(١) قال الجاحظ : القروم الجمال المصاعب . الزوائر الذين يزأرون ، الهدر صوته عند هيجه ، ويقال له المدير »

(٢) قال الجاحظ : دلفت : دنوت » . قلت : يريد بالملمة القصيدة التى انشدها وكأنها الدر المنثور وفى عقب كل درة شذرة اي قطعة من الذهب

(٣) قال الجاحظ : ادن منها ، اى قللها واختصرها . وجدتها مطبقة اى طبقتهم بالحجة ، اليهماء : الأرض التى لايهتدي فيها الطريق ، ويهماء ههنا يعنى التى لايهتدى إليها ويضل الخصوم عندها ، والأيهم من الرجال : الحائر الذى لايهتدى لشىء ، وأرض يهماء إذا لم تكن فيها علامة »

(٤) جارم وفى رواية : جازم ، والجارم ذو الجريمة ، مسلم من أسلم نفسه إلى عدوه

(٥) يستقيدونى : يأسرنى . والحجل : القيد .

(٦) زهاء : هيئة حسنة ، عرمرم : كثير

(٧) قال الجاحظ : التوأمان الاخوان المولودان فى بطن »

وقال التَّميمى فى ذلك :

أَمَا رَأَيْتَ الأَلْسُنَ السِّلاَطَا وَالجاهَ وَالأَقْدامَ وَالنَّشاطا (١)

إِنَّ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضِّغاطَا (٢)

ذهب فى البيت الأخير إلى قول الشاعر :

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الحَبُّ وَتُغْشَى مَنازِلُ الْكُرَماء

وإلى قول الآخر :

يَرْفَضُّ عَنْ بَيْتِ الفَقِيرِ ضُيُوفُهُ وَتَرَى الغَنِىَّ يَهْدِى لكَ الزُّوَّارَا (٣)

وأنشد فى المعنى الأول :

وَخَطِيبِ قَوْمٍ قَدَّمُوهُ أَمامَهُمْ ثِقَةً بِهِ مُتَخَمِّطٍ تَيَّاحِ (٤)

جاوَبْتُ خُطْبَتَهُ فَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمَّا خَطَبْتُ مُمَلَّحٌ بِمِلاحِ (٥)

وأنشد أيضا :

أَرِقْتُ لِضَوْءِ بَرْقٍ فى نَشاصِ تَلأْلأَ فى مُمَلَّاةٍ غِصاصِ (٦)

لَوَاقِحُ دُلَّحٌ بالماءِ سُحْمٌ تَمُجُّ الغَيْثَ مِنْ خَلَلِ الخَصاصِ (٧)

سَلِ الخُطَباءَ هَلْ سَبَحُوا كَسَبْحِى بُحُورَ القَوْلِ أَوْ غاصُوا مَغاصِى

لِسانِى بالنَّثِيرِ وَبالقَوافِى وَبالأَسْجاعِ أَمْهَرُ فى الغَواصِ (٨)

---

(١) السلاط : الطوال فى القول البليغ

(٢) الضغاط : الزحام

(٣) يرفض : يتفرق

(٤) قال الجاحظ : المتخمط المتكبر مع غضب ، التياح والمتيح الذى يعرض فى كل شىء ويدخل فيما لا يعنيه »

(٥) قال الجاحظ : مملح بملاح : اى منقبض كانه ملح من الملح ،

(٦) قال الجاحظ : النشاص السحاب الابيض المرتفع بعضه فوق بعض وليس بمنبسط ، والتلالؤ ظهور البرق فى سرعة ، مملاة بالماء ، غصاص قد غصت بالماء

(٧) قال الجاحظ : اللواقح التى قد لقحت من الريح ، والدلح الدانية الظاهرة المثقلة بالماء ، سحم سود ، الخصاص هنها خلل السحاب ،

(٨) قال الجاحظ : النثير الكلام المنثور ، القوافى خواتم ابيات الشعر ، الاسجاع الكلام المزدوج على غير وزن »

مِنَ الْحُوتِ الَّذِى فى لُجِّ بَحْرٍ ... يُجِيدُ الغوصَ فى لُجَجِ المَغَاصِ
لَعَمْرُكَ إِنَّنِى لأَعِفُّ نَفْسِى ... وَأَسْتُرُ بالتَّكَرُّمِ مِنْ خَصَاصِ (١)

وأنشد لرجل من بنى ناشب بن سليمان بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة :

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وكلُّ نَجْمٍ ... يُضِىءُ لنا إذا القَمَرانِ غَارَا (٢)
وَمَنْ يَفْخَرْ بِغَيْرِ أَبِى نِزَارٍ ... فَلَيْسَ بأَوَّلِ الخُطَبَاءِ جَارَا (٣)

وأنشد للاقرع :

إِنِّى امْرُؤٌ لاَ أُقِيلُ الخَصْمَ عَثْرَتَهُ ... عِنْدَ الأَمِيرِ إذا مَا خَصْمُهُ ظَلَعَا (٤)
يُنِيرُ وَجْهِى إِذا جَدَّ الخِصَامُ بِنَا ... وَوَجْهُ خَصْمِى تَرَاهُ الدَّهْرَ مُنْتَقِعَا (٥)

وأنشد :

تَرَاهُ بِنَصْرِى فى الحَفِيظَةِ وَاثِقًا ... وَإِنْ صَدَّ عَنِّى العَيْنَ مِنْهُ وَحَاجِبُهْ
وإِنْ خَطَرَتْ أَيْدِى الكُمَاةِ وَجَدْتَنِى ... نَصُورًا إذا مَا اسْتَيْبَسَ الرِّيقَ عَاصِبُهْ (٦)

وقال ابنُ أَحْمَرَ ، وذكر الريق والاعتصام به :

هذَا الثَّنَاءُ وَأَجْدِرْ أَنْ أُصَاحِبَهُ ... وَقَدْ يُدَوِّمُ رِيقَ الطَّامِعِ الأَمَلُ

وقال الزبير بن العوام ، وهو يُرَقِّص ابنه عُرْوَة :

أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقِ ... مُبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصِّدِّيقِ
أَلَذُّهُ كما أَلَذُّ رِيقِى

وقالت امرأةٌ من بنى أسد :

---

(١) من خصاص : من خصاصة وهى الحاجة والفقر
(٢) القمران : الشمس والقمر
(٣) جار : ظلم
(٤) أقال عثرته : غفرها له وسترها عليه
(٥) منتقع : متغير من شدة وطئى عليه
(٦) قال الجاحظ : الكماة جمع كمى والكمى الرجل المتكمى وهو المتكمى بالسلاح يعنى المتكفر به المستتر . ويقال كمى الرجل شهادته يكمها إذا كتمها وسترها ، عاصبه : يابسه يعتصم به حتى يتم كلامه ،

أَلاَ بَكَرَ النَّاعِى بِخَيْرِ بَنِى أَسَدْ ... بِعَمْرِو بنِ مَسْعُودٍ وبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ (١)

فَمَنْ كَانَ يَعْيَى بِالْجَوَابِ فَإِنَّهُ ... أَبُو مَعْقِلٍ لاَ حَجْرَ عَنْهُ وَلاَ صَدَدْ

أَثَارُوا بِصَحْرَاءِ الثُّوَيَّةِ قَبْرَهُ ... وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَنَاءَى بِهِ الْبَلَدْ (٢)

وقال أوْس بن حجر (٣) فى فَضَالة بن كَلدة :

أَبَا دُلَيْجَةَ مَنْ يُوصَى بِأَرْمَلَةٍ ؟ ... أَمْ مَنْ لِأَشْعَثَ ذِى هِدْمَيْنِ طِمْلَالِ (٤)

أَمْ مَنْ يَكُونُ خَطِيبَ الْقَوْمِ إِنْ حَفَلُوا ... لَدَى الْمُلُوكِ أُولِى كَيْدٍ وَأَقْوَالِ ؟

وقال أيضا فى فضالة بن كلدة .

أَلْهَفًا عَلَى حُسْنِ آلاَئِهِ ... عَلَى الْجَابِرِ الْحَىِّ وَالْحَارِبِ (٥)

وَرِقْبَتِهِ حَتَمَاتِ الْمُلُوكِ ... بَيْنَ السُّرَادِقِ وَالْحَاجِبِ (٦)

وَيَكْفِى الْمَقَالَةَ أَهْلَ الرِّجَا ... لِ غَيْرَ مَعِيبٍ وَلاَ عَائِبِ

وأنشد أيضا :

---

(١) بكر الناعى : جاء فى بكرة النهار أوله ، والناعى المخبر بالموت ، والصمد : الذى يصمد إليه الناس أى يقصدونه فى حوائجهم

(٢) اثاروا : حفروا . قال الجاحظ : الثوية موضع يقال له صحراء الثوية ، ومن قال الثوية فهى تصغير الثوبة . تناءى : تبعد ،

(٣) هو اوس بن حجر التميمى كان من شعراء الجاهلية وفحولها ، وكان منقطعاً إلى فضالة بن كلدة وكان فضالة كثير البر به والخير عليه فلما مات قال فيه كلمة منها البيتان الواردان فى الأصل ونحن نروى هذه الكلمة برواية اخرى :

يا عين لابد من سكب وتهمال ... على فضالة جل الرزء والعالى

ابا دليجة من توصى بأرملة ... ام من لأشعث ذى طمرين ممحال

ابا دليجة من يكفى العشيرة إذ ... امسوا من الأمر فى لبس وبلبال

لازال مسك وريحان له ارج ... على صداك بصافى اللون سلسال

(٤) قال الجاحظ : هدمين ثوبين خلقين ، يقال ثوب اهدام إذا كان خلقا ، والطملال الفقير

(٥) الحارب : طالب الأوتار

(٦) قال الجاحظ : ورقبته انتظاره إذن الملوك ، وجعله بين السرادق والحاجب ليدل على مكانته من الملك ،

وَخَصْمٍ غِضَابٍ يُنْغِضُونَ رُؤُسَهُمْ … أُولِى قَدَمٍ فِى الشَّغْبِ صُهْبٍ سِبَالُهَا(١)
ضَرَبْتُ لَهُمْ إِبْطَ الشِّمَالِ فَأَصْبَحَتْ … يَرُدُّ غُوَاةَ آخَرِينَ نَكَالُهَا(٢)

وقال شُتَيْم بن خُوَيْلد :

وَقُلْتُ لِسَيِّدِنَا : يَا حَلِيمُ … إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْوًا رَفِيقَا(٣)
أَعَنْتَ عَدِيًّا عَلَى شَأْوِهَا … تُعَادِى فَرِيقًا وَتُبْقِى فَرِيقَا(٤)
زَجَرْتُ بِهَا لَيْلَةً كُلَّهَا … فَجِئْتُ بِهَا مُؤْيِدًا خَنْفَقِيقَا(٥)

وأنشد لآدم مولى بلعنبر يقولها لابن له :

يَا بِأَبِي أَنْتَ وَيَا فَوْقَ بِأَبْ … يَا بِأَبِي خُصْيَيْكَ مِنْ خُصْىٍ وَزُبْ
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَكَذَا قَوْلُ الْمُحِبْ … جَنَّبَكَ اللهُ مَعَارِيضَ الْوَصَبْ(٦)
حَتَّى تُفِيدَ وَتُدَاوِى ذَا الْجَرَبْ … وَذَا الْجُنُونِ مِنْ سُعَارٍ وَكَلَبْ(٧)
وَالْحَذَبَ حَتَّى يَسْتَقِيمَ ذُو الْحَدَبْ … وَتَحْمِلَ الشَّاعِرَ فِى الْيَوْمِ الْعَصِبْ(٨)
عَلَى مَبَاهِيرَ كَثِيرَاتِ التَّعَبْ … وَإِنْ أَرَادَ جَدِلٌ صَعْبٌ أَرِبْ(٩)

---

(١) ينغضون رؤسهم : يحركونها تعجبا . الشغب : تهيج الشر صب سبالها : شبههم بالعجم لما بينه وبينهم من العداوة ، يعنى انهم دخلاء فى العربية

(٢) قال الجاحظ : إبط الشمال يعنى الفؤاد لأنه يكون فى تلك الناحية ،

(٣) قال الجاحظ : تأسو تداوي اسوا واسى مصدران ، والآسى الطبيب ،

(٤) قال الجاحظ : الشأو الغلوة لركض الفرس ،

(٥) قال الجاحظ : مؤيد داهية وخنفقيق داهية ايضا ،

(٦) قال الجاحظ : الوصب المرض ،

(٧) كان فى الأصل : سعال . وليس هنا مقامها . فغيرناها بسعار . والسعار اشد انواع الكلب وهو من الادواء الشديدة التى تصيب الكلاب فيعتريها جنون فلا تعض شيئاً من إنسان اوحيوان إلا واصابته عدوى هذا الداء الوبيل . قال الجاحظ . كلب اى الذى قد كلب ،

(٨) وتحمل الشاعر . اى تمنحه فى ضمن منحك له مايحمله من انواع الركاب . قال الجاحظ . العصب الشديد . يقال يوم عصب وعصيب وعصبصب اذا كان شديدا

(٩) المباهير : أى النوق التى اعياها السير . قال الجاحظ : متاعيب قد علاهم البهر . جدل : كثير الجدل شديد الخصومة صعب اللدد . قال الجاحظ : الارب يقال إنه رجل اريب وارب وله ارب اذا كان عاقلا اديباً حازماً ،

خُصُومَةً تَنْقُبُ أَوْسَاطَ الرُّكَبْ ... أَطْلَعْتُهُ مِنْ رُتَبٍ إِلَى رُتَبْ (١)
حَتَّى تَرَى الأَبْصَارَ أَمْثَالَ الشُّهُبْ ... يَرْمِى بِهَا أَشْوَسُ مِلْحَاحٌ كَلِبْ (٢)
مُجَرَّبُ الشَّدَّاتِ مَيْمُونٌ مِذَبْ (٣)

وقالت ابنة وَثِيمَةَ ترثى أباها وَثِيمَةَ بْنَ عُثْمَانَ :

أَلْوَاهِبِ الْمَالَ التِّلاَ ... دَ لَنَا وَيَكْفِينَا الْعَظِيمَهْ (٤)
وَيَكُونُ مِدْرَهَنَا إِذَا ... نَزَلَتْ مُجَلِّحَةٌ عَظِيمَهْ (٥)
وَاحْمَرَّ آفَاقُ السَّمَا ... ءِ وَلَمْ تَقَعْ فِى الأَرْضِ دِيمَهْ (٦)
وَتَعَذَّرَ الآكَالُ حَتَّى ... كَانَ أَحْمَدَهَا الْهَشِيمَهْ (٧)
لاَ ثَلَّةٌ تَرْعَى وَلاَ ... إِبِلٌ وَلاَ بَقَرٌ مُسِيمَهْ (٨)
أَلْفَيْتَهُ مَأْوَى الأَرَا ... مِلِ وَالْمُدَفَّعَةِ الْيَتِيمَهْ (٩)
وَالدَّافِعَ الْخَصْمَ الأَلَـ ... ـدَّ إِذَا تَفَوْضَحَ فِى الْخُصُومَهْ (١٠)
بِلِسَانِ لُقْمَانَ بْنِ عَا ... دٍ وَفَصْلِ خُطْبَتِهِ الْحَكِيمَهْ

(١) تنقب : تنخر العظام . قال الجاحظ : أطلعته يقال طالع الرجل إذا جمع في مشيه . الرتبة واحدة الرتب والرتبات وهى الدرج ، وهي ههنا الأشياء المختلفة ، أى تخرجه من شىء إلى شىء .
(٢) أمثال الشهب : يريد أن حججه التى يرمى بها خصمه تنقض عليه انقضاض الشهب الثواقب .
قال الجاحظ : الأشوس الذى ينظر بمؤخر عينه ، ملحاح ملح من الالحاح على الشيء .
(٣) قال الجاحظ . مذب أي يذب عن حريمه وعن نفسه .
(٤) قال الجاحظ : التلاد القديم من المال ، والطارف المستفاد .
(٥) قال الجاحظ : المدره لسان القوم المتكلم عنهم ، مجلحة أى داهية مصممة .
(٦) قال الجاحظ : احمر آفاق السماء اشتد البرد وقل المطر وكثر القحط ، ديمة واحدة الديم وهى الأمطار الدائمة مع سكون .
(٧) قال الجاحظ : تعذر تمنع ، الآكال جمع أكل وهو مايؤكل . الهشيمة مايهشم من الشجر أى يكسر .
(٨) قال الجاحظ : الثلة مابين الست إلى العشر من الغنم ، مسيمة راعية .
(٩) المدفعة : هى اليتيمة التى يتدافعها الناس فلا يقبلون إيواءها ولا القيام بأمرها لأنها لاسند لها ولا معين .
(١٠) تفوضح : فضح بعض الخصوم بعضا

أَلْجِمْتَهُمْ بَعْدَ التَّدَا فُعِ وَالتَّجَاذُبِ فِي الْحُكُومَهْ

وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الاكبر والأصغر ، ولُقيم بن لقمانَ فى النباهة والقدر وفى العلم والحكم وفى اللسان وفى الحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على ما يقول المفسرون . ولارتفاع قدره وعظم شأنه قال النمر ابن تولب :

لُقَيْمُ بْنُ لُقْمانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنَ أُخْتٍ لَهُ وَابْنَمَا
لَيَالِيَ حُمِّقَ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَغُرَّ بِهَا مُظْلِمَا
فَغُرَّ بِهَا رَجُلٌ مُحْكَمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلاً مُحْكَمَا

وذلك أن أخت لقمان قالت لامرأة لقمان : إنى امرأة مُحْمِقَةٌ ، ولقمان رجل منجب محكم ، وأنا فى ليلة طهرى ، فهَبِي لى ليلتك ؟ ففعلت . فباتت فى بيت امرأة لقمان فوقع عليها فأحبلها بلُقيم . فلذلك قال النمر بن تولب ما قال . والمرأة إذا ولدت الحمقى فهى مُحْمِقَةٌ ، ولا يُعلم ذلك حتى يُرى ولد زوجها من غيرها أكياساً . وقالت امرأة ذات بنات :

وَمَا أُبَالِي أَنْ أَكُونَ مُحْمِقَهْ إِذَا رَأَيْتُ خُصْيَةً مُعَلَّقَهْ

وقال الآخر

أَزْرَى بِسَعْيِكَ أَنْ كُنْتَ امْرَأً حَمِقاً مِنْ نَسْلِ ضَاوِيَةِ الأَعْرَاقِ مِحْمَاقِ (١)

وجاء فى الحديث « اِغْتَرِبُوا لَا تُضْوُوا » أى لا يتزوج الرجل القرابةَ القريبةَ فيجيء ولده ضاويا . والفعل من ضَوِيَ يضوى ضَوًى .

ولبعضهم فى البنات ، قالت إحدى القوابل :

---

(١) قال الجاحظ ضاوية الأعراق أي ضعيفة الأعراق نحيفتها ، يقال رجل ضاو وفيه ضاوية إذا كان نحيفا قليل الجسم . والمحماق التى عادتها أن تلد الحمقى .

أيا سحابُ طَرِّقي بخَيرِ ... وطَرِّقي بخُصْيةٍ وأَيْرِ (١)
وَلا تُرِينا طرَفَ البُظَيْرِ

وقال آخر فى إنجاب الامهات ، وهو يخاطب بنى إخوته :

عَفَارِيتاً عَلَيَّ وَأَكْلِ مَالى ... وَحِلْماً عَنْ أُنَاسِ آخَرِينا
فَهلاَّ غَيْرَ عَمِّكُمُ ظَلَمْتُمْ ... إذا مَا كُنْتُمُ مُتَظَلِّمِينا (٢)
فَلَوْ كُنْتُمْ لِكَيِّسَةٍ أَكاسَتْ ... وَكَيْسُ الأمِّ أكيَسُ لِلْبَنِينا (٣)
وَكَانَ لَنَا فَزَارَةُ عَمَّ سَوْءٍ ... وَكُنْتُ لَهُ كَشَرِّ بَنِى الأَخِينا

ولبغض البنات هجر أبو حَمْزَةَ الضَّبِّيُّ خيمة امرأته ، وكان يقيل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتاً ، فمر يوماً بخبائها واذا هى ترقصها وتقول :

مَا لِأَبِي حَمْزَةَ لاَ يَأْتِينا ... يَظَلُّ فى البَيْتِ الَّذِى يَلِينا
غَضْبَانَ أَنْ لاَ نَلِدَ الْبَنِينا ... تَاللهِ مَا ذَلِكَ فى أَيْدِينا
وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينا ... وَنَحْنُ كَالأَرْضِ لِزَارِعِينا
نُنْبِتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِينا

فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها .

وهذا الباب يقع فى كتاب الانسان من « كتاب الحيوان » وفى فضل ما بين الذكر والانثى تاماً ، وليس هذا الباب مما يدخل فى باب « البيان والتبيين » ولكن قد يجرى السبب فيُجرى معه بقدر ما يكون تنشيطاً لقارىء الكتاب ، لأن خروجه من الباب إذا طال لبعض العلم كان ذلك أروح على قلبه وأزيد فى نشاطه إن شاء الله .

وقد قال الاول فى تعظيم شأن لقيم بن لقمان

---

(١) طرق : التطريق قرب خروج الجنين من الرحم

(٢) المتظلمون : الظالمون الجائرون

(٣) الكيسة : العاقلة اللبيبة . أكاست : ولدت الكيسى

قُومِي اصْحِبِينِي فَمَا صِبْغُ الفَتَى حَجَرًا ... لَكِنْ رَهِينَةُ أَحْجَارٍ وَأَرْمَاسِ (١)
قُومِي اصْبِحِينِي فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو غِيَرٍ ... أَفْنَى لَقِيمًا وَأَفْنَى آلَ مِرْمَاسِ
أَلْيَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبَرٌ ... وَالدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ إِنْعَامٍ وَإِبْآسِ (٢)
فَاشْرَبْ عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مُرْتَفِقًا ... لَا يَصْحَبُ الْهَمُّ قَرْعَ السِّنِّ بِالْكَاسِ (٣)

وقال أبو الطَّمَحَان القَيْنِيُّ (٤) في ذكر لقمان :

إِنَّ الزَّمَانَ وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ... فِيهِ تَقَطُّعُ أُلَّافٍ وَأَقْرَانِ
أَمْسَتْ بَنُو الْقَيْنِ أَفْرَاقًا مُوَزَّعَةً ... كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا حَيِّ لُقْمَانِ (٥)

وقد ذكرت العرب هذه الامم البائدة والقرون السالفة ولبعضهم بقايا قليلة وهم أشلاء في العرب متفرقون مغمورون مثل : جُرهم وجاسِم ووبار وعِملاق وأُميم وطَسْم وجَديس ولقمان والهس ماس وبنى الناصور وقَيل بن عترٍ وذى جدَن . ويقال فى بنى الناصور أن أصلهم من الروم .

وأما ثمود فقد خبر الله عز وجل عنهم فقال : «وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى» وقال: «فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ؟» أنا أعجب من مسلم يصدق بالقرآن و يزعم أن فى قبائل العرب من بقايا ثمود !؟. وكان أبو عبيدة يتأول قوله «وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى» ان ذلك إنما وقع على الأكثر وعلى الجمهور الأكبر . وهذا التأويل أخرجه من أبي عُبيدة سوء

---

(١) قال الجاحظ : اصبحينى الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب العشي، ارماس: قال الجاحظ : الرمس القبر يقال رمست الميت ارمسه ، بالكسر ، وأرمسه ، بالضم ، إذا دفنته .

(٢) إنعام وإبآس : يوم نعيم ويوم بؤس

(٣) مرتفقا : متكئاً اى واضعاً مرفقك على وسادة

(٤) هو حنظلة بن الشرقي القينى القضاعى ، شاعر فارس خارب (لص) صعلوك ، ادرك الجاهلية والاسلام فكان خبيثا فيهما جميعاً ، وهو القائل :

إذا قيل اى الناس خير قبيلة ... وأصبر يوما لاتوارى كواكبه
فان بنى لأم بن عمرو ارومة ... علت فوق صعب لاتنال مراقبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
لهم مجالس لايحصرون عن الندى ... إذا مطلب المعروف اجدب راكبه

(٥) بنو القين : قبيلة الشاعر

الرأى فى القوم [١] وليس له أن يجيء، إلى خبر عام مرسل غير مقيد وخبر مطلق غير مستثنى منه فيجعله خاصاً كالمستثنى منه ! وأى شيء بقى لطاعن أو متأول بعد قوله تعالى : « فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِن بَاقِيَةٍ ؟ » فكيف يقول ذلك إذا كنا نحن قد نرى منهم فى كل حى باقية ؟! معاذ الله من ذلك . وَرَوَوْا أن الحجّاج قال يوماً على المنبر : يزعمون أنا من بقايا ثمود ، وقد قال الله تبارك وتعالى « وثمود فما أبقى » ؟!

فأما الأمم البائدة من العجم مثل كنعان و يونان وأشباه ذلك فكثير، ولكن العجم ليست لها عناية بحفظ شأن الأموات ولا الأحياء . . ! ؟

وقال المسيَّب بن عَلَسٍ [٢] فى ذكر لقمان :

وَإِلَيْكَ أَعْمَلْتُ الْمَطِيَّةَ مِنْ ... سَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ بِالْقَفْرِ
أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا ... وَتَوَجَّهُوا كَالْأُسْدِ وَالنُّمُرِ
لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ ... كُنْتَ الْمُنَوِّرَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
وَلَأَنْتَ أَجْوَدُ بِالْعَطَاءِ مِنَ الـ ... رَيَّانِ لَمَّا جَادَ بِالْقَطْرِ [٣]
وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ ... نَقَعَ الصُّرَاخُ وَلَجَّ فِى الذُّعْرِ [٤]
وَلَأَنْتَ أَبْيَنُ حِينَ تَنْطِقُ مِنْ ... لُقْمَانَ لَمَّا عَيَّ بِالْأَمْرِ [٥]

وقال لبيد بن ربيعة الجعفرى :

وَأَخْلُفُ قُسًّا لَيْتَنِى وَلَوَ انَّنِى ... وَأَعْيَى عَلَى لُقْمَانَ حُكْمُ التَّدَبُّرِ

(١) لأن ابا عبيدة كان شعوبيا

(٢) هو المسيب بن علس البكري . كان من شعراء الجاهلية المقلين جيد الشعر محكم القول . مات سنة ٥٨٠ م وهذه الابيات تنسب إلى الاعشى وهى فى ديوانه

(٣) الريان : جبل ببلاد طيء لايزال يسيل منه الماء فهو يشبهه فى الجود بهذا الجبل الجواد بالماء

(٤) هذا البيت مركب من بيتين اولهما للمسيب بن علس حيث يقول :

ولأنت اشجع من اسامة إذ ... نقع الصراخ ولج فى الذعر

وثانيهما لزهير بن ابي سلمى حيث يقول :

ولنعم حشو الدرع انت إذا ... دعيت نزال ولج فى الذعر

وليس من الصواب نسبة هذا البيت أو بعضه إلى الاعشى . واسامة الاسد . ونقع الصراخ ارتفع

(٥) لما عى بالأمر : لما اعياه امر احته

فَإِنْ تَسْأَلِينَا كَيْفَ نَحْنُ فَإِنَّنَا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأَنَامِ المُسَحَّرِ (١)

والمسحر المخدوع ، كما قال امرؤ القيس :

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ (٢)

وقال الفرزدق :

لَئِنْ حَوْمَتِي صَانَتْ مَعَدٌّ حِيَاضَهَا لَقَدْ كَانَ لُقْمَانُ بْنُ عَادٍ يَهَابُهَا

وقال آخر

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ (٣)

بِخُبْزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوِ الشَّيْءِ المُلَفَّفِ فِي البِجَادِ (٤)

تَرَاهُ يُطَوِّفُ الآفَاقَ حِرْصًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ (٥)

وقال أفنون التغلبي :

لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمٍ رَبِيبَ قَيْلٍ وَلُقْمَانٍ وَذِي جَدَنِ

وقال آخر

مَا لَذَّةُ العَيْشِ وَالفَتَى لِلدَّهْرِ وَالدَّهْرُ ذُو فُنُونْ (٦)

أَهْلَكَ طَسْمًا وَقَبْلَ طَسْمٍ أَهْلَكَ عَادًا وَذَا جُدُونْ (٧)

وَأَهْلَ جَاسِمٍ وَمَأْرِبْ وَحَيَّ لُقْمَانَ وَالتُّقُونْ (٨)

---

(١) قال الجاحظ : السحر : الرئة والمسحر المعلل بالطعام والشراب .

(٢) قال الجاحظ : اي نعلل فكأنما نخدع ونسحر بالطعام وبالشراب .

(٣) تميم قبيلة من أمجد قبائل العرب ، يرميها الشاعر بالشره والنهم

(٤) الشئ الملفف في البجاد : ضرب من الطعام المصنوع

(٥) رأس لقمان : يغلب على ظنى انه يريد بها رأس الكبش ، وقد كنى عن الكبش بلقمان مبالغة في التنديد ، وإشارة إلي ماحدث بين لقمان وبين اخته وان كان ذلك قد وقع بخدعة . ولا أرد قول من يفسره بغير هذا على أن يأتي ببرهان أقوى ودليل أحكم

(٦) يقول : كيف يكون للانسان في هذا الدهر لذة يستطيبها مع أنه مخنوق للدهر فالدهر هو صاحب التصرف فيه بكل انواع التصرفات وفنونها ؟

(٧و٨) كل هذه أسماء قبائل واقوام بادوا من قديم الدهر

وَالْيُسْرُ لِلعُسْرِ ، وَالتَّغَنِّى لِلفَقْرِ وَالْحَىُّ لِلْمَنُونِ (١)

قال : وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة ، والتحبير والبلاغة والتخلص والرشاقة ، فانهم كانوا يكرهون السَّلاطة والهَـذَر والتكلف والإسهاب والاكثار لما فى ذلك من التزيد والمباهاة واتباع الهوى والمنافسة فى العلو والقدر . وكانوا يكرهون الفضول فى البلاغة ، لأن ذلك يدعو إلى السلاطة ، والسلاطة تدعو إلى البَذَاء . وكلُّ مِراء فى الأرض فانما هو من نتاج الفضول ، ومَن حصل كلامه وميزه وحاسب نفسه وخاف الاثم والذم أشفق من الضراوة وسوء العادة ، وخاف ثمرة العُجب وهُجنة القبح وما فى حب السمعة من الفتنة وما فى الرياء من مجانبة الاخلاص .

ولقد دعا عُبادةُ بن الصامت (٢) بالطعام بكلام ظُن أنه ترك فيه المحاسبة ، فقال أوسُ بن شدّاد : إنه قد ترك فيه المحاسبة ، فاسترجع ثم قال : ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مَزمومة مَخطومة (٣) . وعن إبراهيم (٤) قال : إنما يهلك الناس فى فضول الكلام وفضول المال . وقال : دع المعاذر فان أكثرها مفاجر . وإنما صارت المعاذر كذلك لأنها داعية إلى التخلص بكل شىء . وقال سلاّمُ بن مُطيع : قال لى أيوب (٥) : إياك وحفظ الحديث . خوفاً عليه من العجب. وقال ابراهيم النخعى : دع الاعتذار فانه يخالط الكذب

(١) التغنى : الغنى

(٢) هو ابو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الصحابي . كان احد النقباء الاثنى عشر ، شهد بدرا والمشاهد كلها وكان أحد السبعين الذين شهدوا العقبة ، وكان جميلا طويلا جسيما شجاعا بطلا . مات بالرملة من أرض الشام سنة ٣٤ هـ عن ٧٢ سنة

(٣) مزمومة مخطومة : أى كانما عقد عليها بزمام أو خطمت بخطام ، يعنى انه منذ اسلم امسك لسانه عن الكلام فيما يضر ولا ينفع

(٤) هو ابراهيم بن يزيد النخعى ، كان من افاضل التابعين ، عالما فقيها محدثا حمل عنه العلم ولم يتجاوز الثمانى عشرة سنة . مات سنة ٩٦ هـ عن ٤٦ سنة

(٥) هو ايوب بن ابى تميمة السختياني . كان من اكابر الزهاد واماثل النساك وكان عالما فقيها محدثا . مات بالبصرة سنة ١٣١ هـ

قالوا : ونظر شاب وهو فى دار ابن سيرين[١] إلى فرش فى داره فقال : ما بال تلك الآجرة أرفع من تلك الآجرة الأخرى ؟ فقال ابن سيرين : يا ابن أخى إن فضول النظر يدعو إلى فضول القول .

وزعم إبراهيم بن السندى قال : أخبرنى من سمع عيسى بن على يقول : فضول النظر من فضول الخواطر وفضول النظر يدعو الى فضول القول وفضول القول يدعو إلى فضول العمل ، ومن تعود فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه خرج من استكراه القول ، وإن أبطأ أخرجه إبطاؤه إلى أقبح من الفضول .

قال أبو عمرو بن العلاء : أنكح ضِرارُ بن عمرو الضّبى ابنته مَعبدَ بن زُرارَة فلما أخرجها إليه قال لها : يابنية أمسكى عليك الفضلين ؟ قالت : وما الفضلان ؟ قال فضل الغُلمة وفضل الكلام .

وضِرارُ بن عمرو هو الذى قال : مَن سرّه بنوه ساءته نفسه . وهو الذى لما قال له المنذر : كيف تخلصت يوم كذا وكذا ، وما الذى نجاك ؟ قال : تأخير الأجل وإكراهى نفسى على المُقّ الطوال[٢] . وكان اخوته قد استشالوه[٣] حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعكاظ فقال : ألا إن خير حائل[٤] أمٌّ ، ألا فزوجوا الأمهات . وذلك أنه صرع بين القنا فاشتل[٥] عليه اخوته لأمه حتى أنقذوه .

---

(١) هو ابو بكر محمد بن سيرين ، كان والده سيرين عبداً لانس بن مالك فكاتبه على عشرين الفا واداها ، وكانت امه صفية مولاة ابى بكر الصديق . وكان محمد بزازا وحبس بدين كان عليه . كان من افاضل التابعين . وكان الاصمعى يقول : الحسن البصرى سيد سمح ، واذا حدثك الاصم — يعني ابن سيرين — بشيء فاشدد يديك عليه ، وقتادة حاطب ليل . وكانت ولادة ابن سيرين سنة ٣٣ هـ ومات سنة ١١٠ هـ

(٢) قال الجاحظ : المقاء المرأة الطويلة ، والمق جماعة النساء الطوال ، والمق ايضاً الخيل الطوال . قلت : والخيل هي المرادة فى هذا المقام لانها هى التى نجته

(٣) استشالوه : رفعوه بأيديهم

(٤) حائل : غير حامل

(٥) فاشتل : اسرعوا نحوه

باب الصمت*

كان أعرابي يجالس الشعبي يطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته فقال : أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم . وقالوا : لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . وقالوا : مَقتل المرء بين لَحْيَيه وفكيه . وأخذ أبو بكر الصديق رضى الله عنه بطرَف لسانه وقال : هذا الذى أوردنى الموارد . وقالوا : ليس شيء أحق أحق بطول سجن من لسان . وقالوا : اللسان سبع عقور .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِى نَارِ جَهَنَّمَ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟ » وتكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فخطل فى كلامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما أُعطِيَ العبد شراً من طلاقة اللسان » .

وعن مُطَرِّفِ بنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ عن أبيه . قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد فقلنا : يا رسول الله ، أنت سيدنا وأنت أطولنا علينا طولا ، وأنت الجفنة الغراء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلاَ يَسْتَفِزَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ . فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ »

وقال خالد بن عبد الله القسرى لعمر بن عبد العزيز رحمه الله : من كانت الخلافة زانته فقد زنتها ، ومن شرفته فقد شرفتها ، فأنت كما قال الشاعر :

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً   إِنْ تَمَسِّيهِ ، أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا
وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ   كانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْنَا

قال عمر إن صاحبكم أُعطى مقولا ولم يعط معقلا . وقال الشاعر :

لِسَانُكَ مَعْسُولٌ وَنَفْسُكَ شَحَّةٌ   وَدُونَ الثُّرَيَّا مِنْ صَدِيقِكَ مَالُكَا

وأخبرنا أن ناسا قالوا لابن عمر : أدع الله لنا بدعوات فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا . فقالوا : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : نعوذ بالله من الإسهاب .

وقال أبو الأسود الدُّؤلى فى ذكر الاسهاب — يقولها فى الحارث بن عبدالله

* من غريب أمر الجاحظ أنه لا يحسن التصنيف فانك تراه يفتح الباب فى الكتاب ثم يدخل فيه أشياء كثيرة ليست منه

ابن أبي ربيعة بن المغيرة ، والحارث هو القُباع ، وكان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم ، وإنما سمى القباع لأنه أتى بمكيال[١] لأهل المدينة فقال: إن هذا المكيال القُباعٌ . فسمى به . والقباع الواسع الرأس القصير .

— قال أبو الأسود :

أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ جُزِيتَ خَيْرًا … أَرِحْنَا مِنْ قُبَاعِ بَنِي المُغِيرَهْ

بَلَوْنَاهُ فَلُمْنَاهُ فَأَعْيَا … عَلَيْنَا مَا يُمِرُّ لَنَا مَرِيرَهْ[٢]

عَلَى أَنَّ الفَتَى نِكَحٌ أَكُولٌ … وَمِنْهَابٌ مَذَاهِبُهُ كَثِيرَهْ

وقال الفرزدق لجرير :

وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَيْتُ كَاسِرَ عَيْنِهِ … زِيَادًا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبَائِلُهْ[٢]

فَأَقْسَمْتُ لَا آتِيهِ تِسْعِينَ حِجَّةً … وَلَوْ كُسِرَتْ عُنْقُ القُبَاعِ وَكَاهِلُهْ

وقال الشاعر :

إِيَّاكَ إِيَّاكَ المِرَاءَ فَإِنَّهُ … إِلَى الشَّرِّ دَعَّاءٌ وَلِلصَّرْمِ جَالِبُ

وقال أبو العتاهية :

وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالفَتَى … مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهْ

كُلُّ امْرِئٍ فِي نَفْسِهِ … أَعْلَى وَأَشْرَفُ مِنْ قَرِينِهْ

---

(١) كان في الاصل : بمكتل . والصواب ما اثبتناه . وراجع صفحة ١٢٢

(٢) هو زياد بن أبي سفيان ، ويكنى ابا المغيرة . كان مولده بالطائف عام الفتح . وكتب للمغيرة ابن شعبة ثم لابي موسى الاشعرى ثم لابن عامر ثم لابن عباس . وكان مع على بن ابي طالب فولاه فارس فأظهر فيها حزما وعزما وتدبيرا وسياسة لم ير الفرس مثلها من ولاة العرب حتى انه لما ترك فارس اسفوا عليه اشد الاسف . وكتب اليه معاوية وهو على فارس يتهدده ويتوعده تارة ، ويعده ويمنيه اخرى . وما زال به حتى استجاب له فولاه معاوية البصرة واعطاها خراسان وسجستان وما وليهما . ولست آخذ زياداً بتركه عليا والتحاقه بمعاوية ولا أرى فى ذلك ما يطعن فى عقله وفضله وكفاياته ، لان معاوية اعترف له بأخوته من ابي سفيان وليس بعد اطمئنان الانسان على نسبه شيء . ولما مات المغيرة بن شعبة ضم إليه ولاية العراقين وهو اول من جمعا له ، وهو اول من لبس الخفاف الساذجة وثياب الكتان بالبصرة . وهو صاحب الخطبة البليغة المسماة « البتراء » وهى التى قررفيها الاحكام العرفية لاول مرة في الاسلام . وكانت ولايته ثمان سنين . وكان من نوابغ قريش . مات بالكوفة سنة ٥٣ هـ

وكان سهل بن هرون يقول : سياسة البلاغة أشد من البلاغة ، كما أن التوقى على الدواء أشد من الدواء . وكانوا يأمرون بالتبين والتثبت وبالتحرز من زلل الكلام ، ومن زلل الرأى ، ومن الرأى الدبرى . والرأى الدبرى هو الذى يعرض من الصواب بعد مضى الرأى الأول وفوت استدراكه . وكانوا يأمرون بالتحلم والتعلم وبالتقدم فى ذلك أشد التقدم . وقال الأحنفُ : قال عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا . وكان يقول رضى الله عنه : السؤدد مع السَّواد . وأنشدوا لِكُثَيِّرِ عَزَّةَ :

وفى الحِلْمِ وَالإِسْلاَمِ لِلمَرْءِ وَازِعٌ ... وَفِى تَرْكِ طَاعَاتِ الفُؤَادِ المُتَيَّمِ (١)

بَصَائِرُ رُشْدٍ لِلفَتَى مُسْتَبِينَةٌ ... وَأَخْلاقُ صِدْقٍ عِلْمُهَا بِالتَّعَلُّمِ

وقال الأفوه الأودىُّ (٢)

أضحَتْ قرينةُ قد تغيَّرَ بِشْرُهَا ... وَتَجَهَّمَتْ بِتَحِيَّةِ القَوْمِ العِدَا

أَلْوَتْ بِإِصْبَعِهَا وَقَالَتْ إِنَّمَا ... يَكْفِيكَ مِمَّا لاَ تَرَى مَا قَدْ تَرَى

وأنشد :

إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

فَهُنَاكَ تُعْذَرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى ... بِالقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ

قالوا : وكان الأحنف أشد الناس سلطانا على نفسه . وكان الحسن أترك لما نهى عنه . وقال الآخر :

لاَ تَعْذِرَانِّى فى الإِسَاءَةِ إِنَّهُ ... شَرُّ الرِّجَالِ مَنْ يُسِيءُ فَيُعْذَرُ

---

(١) قال الجاحظ : الوازع الناهى ، والوزعة جمع وازع وهم الناهون الكافون .

(٢) هو صلاءة بن عمرو بن مالك ، والأفوه لقب . كان من سادات العرب فى الجاهلية وكان شاعرا فحلا وفارسا مغوارا وذا رأى وحزم . مات سنة ٥٧٠ م وهذان البيتان من كلمة يقول فيها :

وبروضه السلان منا مشهد ... والخيل شائحه وقد عظم النبا

تحلى الجماجم والأكف سيوفنا ... ورماحنا بالطعن تنتظم الكلى

عافوا الاتاوة فاستقت اسلامهم ... حتى ارتووا عللا بأذنبة الردى

وقال الكميت بن زيد الاسديّ :

وَلَمْ يَقُلْ بَعْدَ زَلَّةٍ لَهُمُ ... عِنْدَ المَعاذِيرِ إِنَّمَا حَسِبُوا (١)

وأنشد الأحوص بن محمد (٢)

قامَتْ تُخَاصِرُنِي بِقُنَّتِها ... خَوْدٌ تَأَطَّرُ غادَةٌ بِكْرُ (٣)

كُلٌّ يَرَى أَنَّ الشَّبابَ لَهُ ... فِي كُلِّ مَبْلَغِ لَذَّةٍ عُذْرُ

وقال جرير فى فوت الرأى :

وَلا يَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ ... وَلا يَعْرِفُونَ الأَمْرَ إِلَّا تَدَبُّرَا

ومدح النابغة ناسا بخلاف هذه الصفة فقال :

وَلا يَحْسَبُونَ الخَيْرَ لا شَرَّ بَعْدَهُ ... وَلا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ (٤)

وأنشد :

هَفَا هَفْوَةً كانَتْ مِنَ المَرْءِ بِدْعَةً ... وَمَا مِثْلُهُ عَنْ مِثْلِها بِسَلِيمِ

فَإِنْ يَكُ أَخْطَا فِي أَخِيكُمْ فَرُبَّمَا ... أَصابَ الَّتِي فِيها صَلاحُ تَمِيمِ

وقال قائل عند يزيد بن عمر بن هُبيرة (٥) والله ما أتى الحارث بن شريح، بيوم خير قط ؟ فقال له الترجمان بن هُريم : إلا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر! وذهب الترجمان بن هُريم إلى مثل معنى قول الشاعر :

(١) الزلة : المفوة والمعاذير : الاعتذارات . وحسبوا: ظنوا من الحسبان . ويروى : كروا المعاذير . وهذا البيت من قصيدة يمدح بها آل الرسول صلوات الله عليهم فهى هاشمية

(٢) هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن عاصم ، وانما سمي الأحوص لضيق كان في مؤخرة عينيه . كان شاعرا مجيدا سمح الطبع سهل الكلام صحيح المعنى ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة ألفاظ ، ولكنه مع هذا كان دنيء الاخلاق والافعل قليل المروءة والدين هجاء للناس خبيث الداء . وكان من مقدمي الشعراء في الدولة الاموية عند الرواة وأهل الحجاز

(٣) قال الجاحظ : تخاصرني آخذ بيدها وتأخذ بيدى ، والقنة المواضع الغليظة من الارض فى صلابة . الخود الحسنة الخلق ، تأطر تنثنى ، والغادة الناعمة اللينة،

(٤) قال الجاحظ : اللازب واللازم واحد ، واللازب فى مكان آخر اليابس . قال الله عز وجل « من طين لازب » واللزبات السنون الجدبة ،

(٥) هو الترجمان بن هريم بن أبي طحمة التيمي ، كان من الشجعان الفرسان البلغاء . وكان أميرا على الاهواز ورأس بني حنظلة لبنى أمية

وَما خُلِقتْ بَنُو زِمَّانَ إلاَّ ‌ ‌ ‌ ‌ أخِيْراً بعْدَ خَلْقِ النَّاسِ طُرّاً
وَمَا فعلَتْ بَنُو زِمَّانَ خَيْراً ‌ ‌ ‌ ‌ وَلاَ فعلَتْ بَنُو زِمَّانَ شَرّاً

ومن هذا الجنس من الأحاديث — وهو يدخل فى باب المَلَح — قال الأصمعى : وصلت بالعلم ، ونلت بالملح . قال رجل مرة : أبى الذى قاد الجيوش وفتح الفتوح وخرج على الملوك واغتصب المنابر . فقال رجل من القوم : لا جرم ، لقد أُسر وقُتل وصلب ! فقال له المفتخر بأبيه : دعنى من أسر أبى وقتله وصلبه ، أبوك أنت حدث نفسه بشىء من هذا قط ؟

قد سمعنا رواية القوم واحتجاجاتهم ، وأنا أوصيك أن لا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ، وأنهما يناسبانك بعض المناسبة ويشاكلانك فى بعض المشاكلة . ولا تهمل طبيعتك فيستولى الاهمال على قوة القريحة ويستبد بها سوء العادة . وإن كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ فى الخطابة والبلاغة وبقوة المُنَّة يوم الحفل فلا تقصر فى التماس أعلاها سُورة[1] وأرفعها فى البيان منزلة ، ولا يقطعنك تهيب الجهلاء وتخويف الجبناء ، ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها والأحاديث المتناولة على أقبح مخارجها . وكيف تطيعهم بهذه الروايات المعدولة والأخبار المدخولة ، وبهذا الرأى الذى ابتدعوه من قبل أنفسهم وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر داود النبى عليه السلام فقال « وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إنه أوّاب — إلى قوله — وفَصْلَ الخطاب » فجمع له بالحكمة : البراعة فى العقل والرجاحة فى الحلم والاتساع فى العلم والصواب فى الحكم ، وجمع له بفصل الخطاب : تفصيل المجمل وتخليص الملتبس والبصر بالحز فى موضع الحز والحسم فى موضع الحسم ؟ ! وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيباً النبى عليه السلام فقال « كان شعيب خَطيب الأنبياء » وذلك عند بعض ما حكاه الله عنه فى كتابه وحلاه لأسماع عباده . فكيف تهاب منزلة الخطباء

(١) سورة : منزلة

وداود عليه السلام سلفك وشعيب إمامك مع ما تلونا عليك فى صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم والآى الكريم ؟ وهذه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدونة محفوظة ومخلدة مشهورة ، وهذه خطب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . وقد كان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره . وكان ثابتُ بن قَيْس بن الشَّماس الأنصارى خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدفع ذلك أحد .

فأما ما ذكرتم من الإسهاب والتكلف والخطل والتزيد ، فإنما يخرج إلى الاسهاب المتكلف وإلى الخطل المتزيد . فأما أرباب الكلام ورؤساء أهل البيان والمطبوعون المعاودون وأصحاب التحصيل والمحاسبة والتوقى والشفقة والذين يتكلمون فى صلاح ذات البين وفى إطفاء نائرة (١) أو حِمالة أو على مِنبر جماعة أو فى عقد إملاك بين مسلم ومسلمة ، فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو إلى السّلاطة والمراء وإلى الهذر والبذاء ، وإلى النَّفج والرياء ؟ ولو كان هذا كما يقولون لكان علىٌّ بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما أكثر الناس فيما ذكرتم . فلم خطب صَعْصَعَةُ بْنُ صُوْحانَ عند على بن أبى طالب ! ؟ وقد كان ينبغى للحسن البصرى أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم ؟ !

قال الأصمعى : قيل لسَعيدِ بنِ المُسَيَّبْ (٢) : هاهنا قومٌ نُساكٌ يعيبون إنشاد الشعر ؟ قال : نَسكوا نُسكا أعجميا .

وزعمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شُعْبَتانِ مِنْ شُعَبِ النفاقِ الْبَذَاء وَالْبيَانُ ، وشُعْبتانِ مِن شعَبِ الايمانِ : الحياء والعِيُّ »

ونحن نعوذ بالله من العى ونعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على العى ، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله

(١) نائرة : فتنة

(٢) هو ابو محمد سعيد بن المسيب بن حزن . كان من خيار التابعين وكان أفقه أهل الحجاز وأعبر الناس للرؤيا ، وقد جمع بين الحديث والفقه والنسك والتعبير . ولد سنة ١٣ ومات سنة ٩٤ هـ

صلى الله عليه وسلم بين البذاء والبيان ، وإنما وقع النهى على كل شىء جاوز المقدار، فالعى مذموم والخطل مذموم ، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصِّر والغالى .

وها هنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة . ورووا أن رجلا مدح الحياء عند الأحنف وأن الأحنف قال : ربما يعود ذلك ضعفاً . والخير لا يكون سبباً للشر ولكنا نقول : إن الحياء إسم لمقدار من المقادير ما زاد على ذلك المقدار فسَمِّه ما أحببت ، وكذلك الجود إسم لمقدار من المقادير ، فالسَّرَف إسم لما فضل عن ذلك المقدار . وللحزم مقدار ، فالجبن إسم لما فَضَل عن ذلك المقدار ، وللاقتصاد مقدار ، فالبخل إسم لما خرج عن ذلك المقدار ، وللشجاعة مقدار ، فالتهَوُّر والخَوَرُ إسم لما جاوز ذلك المقدار .

وهذه الاحاديث ليست لعامتها أسانيد متصلة ، فان وجدتها متصلة لم تجدها محمودة وأكثرها جاءت مطلقة ليس لها حامل محمود ولا مذموم ، فاذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن .

فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة وتنسب إلى هذا الأدب فقرضت قصيدة أو حبرت خطبة أو ألفت رسالة ، فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ويدعوك عجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن اعرضه على العلماء فى عُرض رسائل أو أشعار أو خطب ، فإن رأيت الأسماع تُصغِى له والعيون تَحْدِجُ اليه ، ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله ، فإن كان ذلك فى ابتداء أمرك وفى أول تكلفك فلم تر له طالبا ولا مستحسناً ، فلعله أن يكون — مادام ريضا قضيبا — تعنيسا (١) أن يحل عندهم محل المتروك ، فان عاودت أمثال ذلك مراراً فوجدت الأسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية فخذ فى غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذى لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه . وقال الشاعر :

إنَّ الحديثَ تَغرُّ القَومَ خلْوَتُه ... حتَّى يُلِجَّ بهم عِىٌّ وإكثارُ

(١) قضيبا : لم يتم كماله . تعنيسا : فات وقته

وفى المثل المضروب «كلُّ مُجْرٍ فى الخلا مُسَرٌّ» (١) ولم يقولوا مسرور. وكلٌّ صواب. فلا تثق فى كلامك برأى نفسك. فإنى ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق المتماسك حتى إذا صار إلى رأيه فى شعره وفى كلامه وفى ابنه، رأيته متهافتا وفوق المتهافت. وكان زهير بن أبي سُلمى وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده (الحوليات) وقال الحُطَيْئَةُ: خير الشعر الحولى المنقح. وقال البَعِيثُ الشاعر، وكان أخطب الناس: إنى والله ما أرسل الكلام قضيباً خشيباً وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائت المحكك.

وكنت أظن أن قولهم: محكك، كلمة مولده حتى سمعت قول الصعب بن على الكنانى: (٢)

أَبلِغْ فَزَارَةَ أَنَّ الذِّئْبَ آكِلُهَا ... وَجَائِعٌ سَغِبٌ شَرٌّ مِنَ الذِّئْبِ
أَزَلُّ أَطْلَسُ ذُو نَفْسٍ مُحَكَّكَةٍ ... قَدْ كَانَ طَارَ زَمَاناً فِي الْيَعَاسِيبِ (٣)

وتكلم يزيدُ بنُ أبانٍ الرَّقَاشِيُّ، ثم تكلم الحسن وأعرابيَّان حاضران. فقال أحدهما لصاحبه: كيف رأيت الرجلين؟ قال: أما الأول فقاصٌّ مُجيد، وأما الآخر فعربيٌّ محكك. ونظر أعرابى إلى الحسن فقال له رجل: كيف تراه؟ قال: أرى خَيْشُوم حُرٍّ. وأرادوا عبدَ اللهِ بنَ وَهْبٍ الرَّاسِبِيّ (٤) على الكلام يوم

---

(١) هذا مثل يضرب لمن يبعث خيله فى الصحراء على غير شدة من الناس فيحسبها إذا أرسلت فى ميادين السباق سبقت وفازت فيسره هذا الوهم فتكون العاقبة شرا عليه

(٢) لا أدرى إن كان فى كنانة من اسمه الصعب بن على أو هو الصعب بن على بن بكر بن وائل الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره؟ على أن الجاحظ — إذا لم يكن قد وقع خطأ فى النسبة الى كنانة من نساخي هذا الكتاب، — فيكون هناك صعب آخر كنانى والجاحظ أدرى الناس ببنى كنانة لأنهم قومه

(٣) الأزل الأرسح: الذئب يتولد بين الضبع والذئب. وكان فى الأصل: أدل وهو خطأ. والأطلس: الذئب الأمعط فى لونه غبرة إلى السواد ومحككة: قد هذبتها الأمور وشذبتها الأحداث. واليعاسيب: لعله يريد هنا أنه جرى زمنا مع زعماء اللصوص والخراب، وإلا فاليعسوب أمير النحل وقد يطلق على كل رئيس ناهض بأسباب الرئاسة

(٤) هو عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي وكانت بيعته فى ١٠ شوال سنة ٣٧ هـ

عَقدت لهالخوارج [١] الرئاسة [٢] فقال: وما أناوالرأي الفطير والـكلام القضيب؟ [٣] ولما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأى يَغِبَّ فإن غُبو به يكشف لـكم عن محضه [٤] . وقيل لابن التَّوْأم الرَّقاشِي : تكلم ؟ فقال : ماأشتهى الخبز إلا بائتا [٥] وقال عُمرُ بْنُ لجأٍ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك . قال : وبم ذاك ؟ قال : لأنى أقول البيت وأخاه ، وتقول البيت وابنَ عمه . وذكر بعضهم شعر النابغة الجعدى فقال : مُطْرَفٌ بآلافٍ وخِمَارٌ بِوَافٍ [٦] . وكان الأصمعى يفضّله من أجل ذلك ، وكان يقول : ألحطيئةُ عبدٌ لشعره .! عاب شِعرَه حين وجده كله متخيَّراً منتخباً مستوياً ، لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه . وقالوا : لو كان شعر صالح بنِ عبدِ القدُّوس وسابقٍ البَربرى كان مفرقاً فى أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هى عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادر سائرة فى الآفاق ، ولـكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تَسِر ولم تجر مجرى النوادر ، ومتى لم يخرج السامع من شىء إلى شىء لم يكن لذلك النظام عنده موقع .

وقال بعض الشعراء لرجل : أنا أقول فى كل ساعة قصيدة ، وأنت تقرضها فى كل شهر ، فلم ذلك ؟ قال : لأنى لاأقبل من شيطانى مثل الذى تقبله من شيطانك [٧]

---

(١) الخوارج جمع الخارجة وهم الطائفة نزعت أيديها عن طاعة السلطان بدعوى ضلاله وعدم التزامه جانب الحق ، ولهم فى ذاك مذاهب وآراء فيها الغث وفيها السمين ، ومع هذا فلا شك فى أنهم كانوا نوابغ الدهر ، وهم القدوة فى التمسك بالعقيدة والدفاع عنها بكل نفيس وغال من أرواح وأموال

(٢) الصحيح أنه لما عزم الخوارج على البيعة له .

(٣) ويروى انه قال : ياقوم استبيتوا الرأي . اي دعوه يغب

(٤) ويروى : فإن غبوبه يكشف للمرء عن فصه ، وازدحام الجواب مضلة للصواب ، وليس الرأي بالارتجال ولا الحزم بالاقتضاب

(٥) رفعنا من هذا المقام جملة مضطربة وهى مكررة فمن أرادها على الصحة فليطلبها من الصفحة ٧١ س ١٦

(٦) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام . والخمار : النصيف وهو الذي تغطى به المرأة رأسها ووجهها . والوافى : الدرهم ومقداره درهم وأربعة دوانق

(٧) ذكرنى هذا بما يروى عن هوميروس الشاعر اليونانى ، زعموا أن الشاعر ابرخس جاءه يوما يفاخره بكثرة شعره وسرعة عمله ويعيره بقلة شعره وبطئه ، فقال له هوميروس : بلغنى أن خنزيرة بأنطاكية عيرت لبؤة بطول زمن الحمل وقلة الولد وفاخرتها بالسرعة والكثرة فقالت لها اللبؤة : لقد صدقت ، إنى ألد الولد بعد الولد ولكن أسداً ؟!

قالوا : وأنشد عُقبةُ بن رُؤبة أباه رؤبة بن العجّاج شعراً وقال له : كيف تراه ؟ قال له : يابنى ، إن أباك ليعرض له مثل هذا يمينا وشمالا فما يلتفت اليه . وقد رووا ذلك فى زهير وابنه كعب .

وقيل لِعَقِيلِ بنِ عُلَّفَةَ : لم لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . وقيل لأبى المهوس : لم لا تطيل الهجاء ؟ قال : لم أجد المثل النادر إلا بيتاً واحداً ، ولم أجد الشعر السائر إلا بيتاً واحداً . وقال مَسْلَمَةُ بنُ عَبْدِ الملك [1] لنُصيب : يا أبا محجن [2] أما تحسن الهجاء ! ؟ قال : أما ترانى أحسن مكان عافاك الله ، لا عافاك الله .. ! ؟ ولاموا الكميتَ بن زيد على الإطالة فقال : أنا على القِصار أقدر . وقيل للعجّاج : مالك لا تحسن الهجاء ؟ قال : هل فى الأرض صانع إلا وهو على الإفساد أقدر ؟ وقال رؤبة : الهدم أسرع من البناء .

وهذه الحجج التى ذكروها عن نُصيب والكُميت والعجاج ورؤية إنما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهل إن كانت هذه الأخبار صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام ، ويكون له طبيعة فى التجارة وليس له طبيعة فى الفلاحة ، ويكون له طبيعة فى الحُداء أو فى التَّغْبِيرِ [3] أو فى القراءة بالألحان وليس له طبيعة فى الغناء . وإن كانت هذه الأنواع كلها

(١) هو ابو سعيد مسلمة بن عبد الملك بن مروان . كان من شجعان بنى امية وابطالهم وممن تعتز بهم الدول وتفخر الأمم . قاد الجيوش منذ شب عن طوقه وفتح الفتوحات العظيمة فى بلاد الروم حتى لقد اوشك ان يستولى على القسطنطينية لولا ان مات فى خلال حصارها سليمان بن عبد الملك بالشام فأمره عمر بن عبد العزيز بتركها والعودة إليه بجيوشه . وكان على جانب عظيم من السياسة والدهاء وقوة الحزم والتدبير . وكان مع هذا جوادا سمحا سخيا . وكانت تعلو وجهه صفرة فكان خصومه يلقبونه بالجرادة الصفراء . ولى العراق اشهرا ثم عزل بعمر بن هبيرة ، مات فى عهد هشام

(٢) كان بالاصل : ابو الحجناء . وهو خطأ . والصواب ما اثبتناه . ويروى ان مسلمة قال لنصيب : انت لا تحسن الهجاء ، فقال : بلى والله ، اترانى لا احسن ان اجعل مكان عافاك الله أخزاك الله ! قال : فان فلانا قد مدحته فحرمك فاهجه ؟ قال : لا والله ما ينبغي ان اهجوه وإنما ينبغى ان اهجو نفسي حين مدحته ، فقال مسلمة : هذا والله اشد من الهجاء

(٣) كان فى الاصل : التعبير « بالعين المهملة » وليس هذا مكانها . والصواب التغبير « بالغين المعجمة » . والتغبير : ترديد الصوت بالقراءة . وهذا مقامها اللائق بها

ترجع إلى تأليف الالحون . ويكون له طبيعة فى الناى وليس له طبيعة فى السرناى ،(١) ويكون له طبيعة فى قصبة الراعى ولا يكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين ، ويكون له طبع فى صناعة الالحون ولا يكون له طبع فى غيرها ، ويكون له طبع فى تأليف الرسائل والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعر . ومثل هذا كثير جداً .

وكان عَبْدُ الحَمِيدِ الأَكْبَرُ (٢) وابْنُ المُقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا ما لايذكر مثله ، وقيل لابن المقفع فى ذلك ؟ فقال : الذى أرضاه لايجيئنى والذى يجيئنى لا أرضاه . وهذا الفرزدق وكان مستهتراً (٣) بالنساء وكان زِيرَ غَوَانٍ (٤) ، وهو فى ذلك ليس له بيت واحد فى النسيب مذكور .

---

(١) الناي : المزمار . والسرناى : آلة من آلات الزمر اكبر من الناى

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى الكاتب البليغ الاشهر . وهو كاتب بني مروان وزينة ملكهم . كان من اكتب الناس وابلغهم ، وكان صنوا لابن المقفع وخدينا . كان آخر من كتب لهم مروان بن محمد آخر بنى امية . وكان ابو جعفر المنصور يحسد الامويين عليه ويقول : غلبنا بنو امية بثلاثة رجال : بالحجاج وعبدالحميد والمؤذن البعلبكى . ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه وتبددت جيوشه قال لعبد الحميد : القوم محتاجون إليك لادبك وإن إعجابهم بك يدعوهم إلى حسن الظن بك فاستأمن إليهم واظهر الغدر بي فلعلك تنفعنى فى حياتى او بعد مماتي ؛ فقال عبد الحميد :

اسر وفاء ثم اظهر غدرة فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال : ياأمير المؤمنين ، إن الذي أمرتنى به أنفع الأمرين إليك وأقبحهما بى . ولكنى أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك . وهذا أبلغ غايات الوفاء . فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد عند ابن المقفع بالجزيرة ، فغمز عليه وفاجأهما الطلب وهما فى بيت فقال الذين دخلوا : أيكما عبدالحميد؟ فقال كل واحد منهما : أنا . خوفا على صاحبه . فلما عرف عبد الحميد اخذ وسلم إلى عبد الجبار صاحب شرطة السفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ ولعبد الحميد كصاحبه ابن المقفع شعر قليل . وقد وقفت له على هذه الأبيات الجياد قال :

ترحل ماليس بالقافل واعقب ماليس بالزائل
فلهفى على الخلف النازل ولهفى على السلف الراحل
ابكى على ذا وابكى لذا بكاء موطلة ثاكل
تبكى على ابن لها قاطع وتبكى على ابن لها واصل
فليست تفتر عن عبرة لها فى الضمير وعن هامل
نقضت غوايات سكر الصبي ورد التقى عن الباطل

(٣) كان فى الأصل : مشتهراً . وليس هذا مكان هذه الكلمة . والصحيح انها مستهترا . كما اثبتناها . والمستهتر بالشىء هو المولع به لايبالى فى لزومه ما يكون

(٤) زير غوان : ملازم للنساء محب لمجالستهن ومحادثتهن . وهذا يؤيد ماذهبنا إليه

ومع حسده لجرير — وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط — وهو مع ذلك أغزل الناس شعراً . وفى الشعراء من لايستطيع مجاوزة القصيد إلى الرجز . ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد . ومنهم من يجمعهما : كجرير وعمر بن لجأ وأبى النجم وحُميد الأرقط والعُمانى ، وليس الفرزدق فى طواله بأشعر منه فى قصاره. وفى الشعراء من يخطب ، وفيهم من لايستطيع الخطابة . وكذلك حال الخطباء فى قرض الشعر . وشاعرٌ نفسه قد تختلف حالاته . وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر الناس وربما مرت علىّ ساعة ونزع ضرس أهون علىّ من أن أقول بيتا واحداً. وقال العجاج : لقد قلت أرجوزتى التى أولها :

بَكَيْتُ والمُحْتَزَنُ البكِىُّ ... وَإنّما يأْتِى الصِّبَا الصبىُّ

أطَرَباً وَأنْتَ قِنَّسْرِىُّ ... وَالدَّهْرُ بالإنْسانِ دَوَّرِىُّ(١)

وأنا بالرمل فانثالت (٢) علىّ قوافيها انثيالا وإنى لأريد اليوم دونها فى الأيام الكثيرة فما أقدر عليه . وقال لى أبو يعقوب الخريمىُّ : خرجت من منزلى أريد الشماسية فابتدأت القول فى مرثية لأبى التَّخْتاخِ فرجعت والله وما أمكننى بيت واحد . وقال الشاعر :

وَقَدْ يَقْرِضُ الشِّعْرَ البَكِىُّ لِسانُهُ ... وتَعْيِي القَوَافِي المرء وهْوَ خَطِيبُ

(١) قنسرى : كبير السن

(٢) انثالت : تتابع ورودها

بسم الله الرحمن الرحيم

باب من القول فى القوافى الظاهرة واللفظ الموجز من ملتقطات

كلام النساك

قال بعض الناس : من التَّوقِّى ترك الإفراط فى التوقى . وقال بعضهم : إذا لم يكن ماتريد فأرد ما يكون . وقال الشاعر :

قَدَرُ اللهِ وَارِدٌ حِينَ يُقضَى وُرُودُهُ
فأَرِدْ ما يكونُ إنْ لَمْ يكُنْ ماتُرِيدُهُ

وقيل لأعرابى فى شكاته : كيف تجدك ؟ قال : أجد ما لا أشتهى وأشتهى مالا أجد ، وأنا فى زمان من جاد لم يَجِد ، ومن وَجَد لم يَجُد[1] . وقال بعض النساك . أنا لما لا أرجو أرجى منى لما أرجو . وقال بعضهم : أعجب من العجب ترك التعجب من العجب . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعبد بنى مخزوم : إنى أخاف الله فيما تقلدت ؟ قال : لستُ أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك أن لا تخاف . وقال : الأحنف لمعاوية : أخافك إن صدقتك وأخاف الله إن كذَبْتُك . وقال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود بنفسه : أما ذنوبى فإنى أرجو لها مغفرة الله ولكنى أخاف على بناتى الضيعة ! فقال له صاحبه : فالذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك ؟ وقال رجل من النساك لصاحب له : مالى أراك حزينا ؟ قال : كان عندى يتيم أربيه لأُوجر فيه فمات فانقطع عنا أجره إذ بطل قيامنا بمُؤْنته ؟ فقال له صاحبه : فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الأول ؟ قال أخاف أن لا أصيب يتيما فى سوء خلقه ؟ قال له صاحبه : أما أنا فلو كنت فى

(١) يعنى إن من كان من عادته الجود والسخاء ليس عنده مايجود به ومن كان عنده مال غلب عليه الشح فلا ينفقه فى اكتساب المكرمات وفى حسن الأحدوثة

فى موضعك منه لا ذكرت سوء خُلقه ؟ وقال آخر، وسمعه أبو هريرة النحوى وهو يقول . ما يمنعنى من تعلم القرآن إلا أنى أخاف أن أضيعه ، قال: أما أنت فقد عجلت له التضييع ولعلك إذا تعلمته لم تضيعه . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل : مَن سيد قومك ؟ قال : أنا قال: لو كنت كذلك لم تقل .

باب آخر

وقالوا فى حسن البيان ، وفى التخلص من الخصم بالحق والباطل، وفى تخليص الحق من الباطل ، وفى الاقرار بالحق وفى ترك الفخر بالباطل. قال أعرابى ، وذكر حماسَ بن ثامل:

بَرِئْتُ إلى الرَّحمٰنِ مِن كُلِّ صاحِبٍ ... أُصاحِبُهُ إلاَّ حِماسَ بْنَ ثامِلِ
وظَنِّى بِهِ بَيْنَ السِّماطَيْنِ أَنَّهُ ... سَيَنْجُو بِحَقٍّ أو سَيَنْجُو بِباطِلِ

وقال العُجيرُ السلولى:

وَإنَّ ابنَ زَيدٍ لَابْنُ عَمِّى وَإنَّهُ ... لَبَلَّالُ أيدِى جِلَّةِ الشَّوْلِ بالدَّمِ (١)
طلوعُ الثَّنايا بِالمَطَايا وَإنَّهُ ... غَداةَ المَرادِى لَلخطيبُ المُقدَّمُ (٢)
يَسُرُّكَ مَظلوماً وَيُرْضِيكَ ظالِماً ... وَيَكْفِيكَ ما حُمِّلتَهُ حينَ تغرَمُ

وَقال ابنُ رِبعٍ الهُذَلِىُّ :

أَعَيْنِىَ ألا فابْكِى رُقَيْبَةَ إنَّهُ ... وَصُولٌ لِأرْحامٍ ومِعطاءُ سائِلِ
فأُقْسِمُ لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَحَمَيْتُهُ ... وإنْ كانَ لَمْ يَتْرُكْ مَقالاً لِقائِلِ

وقال الرَّبيعُ بن أبى الحُقَيق من بنى النَّضير ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فقتلوه :

---

(١) قال الجاحظ : الشول جمع شائله وهي الناقة التى جف لبنها ، وإذا شالت بذنبها بعد اللقاح فهى شائل وجمعها شول ،

(٢) قال الجاحظ : المرادي : المصادع والمقارع ، يقال رديت الحجر بصخرة او بمعول إذا ضربته بها لتكسره ، والمرداة الصخرة التى تكسر بها الحجارة ،

سَائِلْ بِنا خَابِرَ أَكْفائِنا وَالعِلْمُ قَدْ يُلْفَى لَدَى السَّائِلِ (١)
إنَّا إذَا مالَتْ دَوَاعِي الهَوَى وأَنْصَتَ السامِعُ لِلقائِلِ
واصْطَرَعَ النَّاسُ بِأَلْبابِهِمْ نَقْضِي بِحُكْمٍ عادِلٍ فاصِلِ (٢)
لا نَجْعَلُ الباطِلَ حَقًّا وَلا نُلِطُّ دُونَ الحَقِّ بالباطِلِ (٣)
نَـكْرَهُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلامُنا فَنَخْمُلَ الدَّهْرَ مَعَ الخامِلِ

وقال الآخر، وذكر حِماساً أيضاً:

أَتانِي حِماسٌ بِابْنِ مَاهِي يَسُوقُهُ لِيُبْغِيَهُ خَيْراً وَلَيْسَ بِفاعِلِ
لِيُعْطِي عَبْساً مَا لَنا، وَصُدُورُنا مِنَ الغَيْظِ تَغْلِي مِثْلَ غَلْيِ المَراجِلِ
وَقافِيَةٍ قِيلَتْ لَـكُمْ لَمْ أَجِدْ لَها جَواباً إذا لَمْ تَضْرِبُوا بالمَناصِلِ
فَأَنْطِقَ فِي حَقٍّ بِحَقٍّ وَلَمْ يَكُنْ لِيَرْحَضَ عَنْكُمْ قالَةَ الخِزْيِ باطِلِي (٤)

وَقالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ (٥)

---

(١) الخابر : العالم الواقف على حقائق الأمور
(٢) اصطرعوا بألبابهم : تصارعوا بعقولهم . تجادلوا وتخاصموا وادلى كل بحجته .
(٣) نلط : نمنع ونستر
(٤) قال الجاحظ : ليرحض أي ليغسل ، والراحض الغاسل . والمرحاض الموضع الذي يغسل فيه»
(٥) هو عمرو بن معديكرب الزبيدي فارس اليمن بلا منازع وبطل من ابطال العرب في الجاهلية والاسلام ، كان من اشجع الناس واقواهم ، له غارات في الجاهلية معروفة ، ومشاهد في الاسلام موصوفة ، شهد كثيراً من الوقائع ايام الفتوح وابلى فيها بلاءحسنا . مات غازيا بنهاوند عن سن عالية سنة ٢١ هـ وهذا البيت من كلمة له وهي من اجود الشعر ، وهي :

ولما رأيت الخيل زورا كأنها جداول زرع ارسلت فاسبطرت
فجاشت إلى النفس اول مرة فردت على مكروهها فاستقرت
هتفت نجاءت من زبيد عصابة إذا طردت فاءت قريبا فكرت
علام اقول الرمح يثقل عاتقي إذا انا لم احمل إذا الخيل كرت
لحا الله جرما كلما ذر شارق وجوه كلاب هارشت فازبأرت
فلم تغن جرم نهدها إذ تلاقيا ولكن جرما في اللقاء ابذعرت
فظلت كأني للرماح دريئة اقاتل عن ابناء جرم وفرت
فلو ان قومي . الخ البيت .

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ ... نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ (١)

وقال أبو عبيدة : صاح رُؤْبَةُ فى بعض الحروب التى بين تميم والأزد : يامعشر بنى تميم أطلقوا من لسانى . قال : أبصر رجلا منهم قد طعن فارساً طعنة فصاح : لا عِيًّا ولاشللا : والعرب تقول : عِيٌّ أبأس من شَلل . كأن العى فوق كل زمانة . وقالت الجُهَنية(٢)

أَلَا هَلَكَ الحُلْوُ الحَلَالُ الحُلَاحِلُ ... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنَائِلُ (٣)

وَذُو خُطَبٍ يَوْماً إِذَا القَوْمُ أُفْحِمُوا ... تُصِيبُ مَرَادِي قَوْلِهِ مَا يُحَاوِلُ

بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الكَلَامِ إِذَا الْتَقَى ... شَرِيجَانِ بَيْنَ القَوْمِ حَقٌّ وَبَاطِلُ (٤)

أَبِيٌّ لِمَا يَأْبَى الكَرِيمُ بِسَيْفِهِ ... وَإِنْ أَسْلَمَتْهُ جُنْدُهُ وَالقَبَائِلُ

وَلَيْسَ بِمِعْطَاءِ الظُّلَامَةِ عَنْ يَدٍ ... وَلَا دُونَ أَعْلَى سُورَةِ المَجْدِ قَابِلُ

وأنشد أبو عبيدة — فى الخطيب يطول كلامه ويكون ذكوراً لأول خطبته وللذى بنى عليه أمره ، وإن شغب شاغب فقطع عليه كلامه ، أو حدث عند ذلك حدث يحتاج فيه إلى تدبير آخر وصل الثانى من كلامه بالأول حتى لايكون أحد كلاميه أجود من الآخر :

فَإِنْ أَحْدَثُوا شَغْباً يُقَطِّعُ نَظْمَهَا ... فَإِنَّكَ وَصَّالٌ لِمَا قَطَعَ الشَّغْبُ

وَلَوْ كُنْتَ نَسَّاجاً سَدَوْتَ خِطَابَهَا ... بِقَوْلٍ كَطَعْمِ الشَّهْدِ بِالبَارِدِ العَذْبِ

وقال نُصَيْبٌ (٥)

---

(١) قال الجاحظ : الجرار عود يعرض فى فم الفصيل او يشق به لسانه لئلا يرضع ، فيقول : قومي لم يطعنوا بالرماح فأثنى عليهم ولكنهم فروا فأمسكت كالمجر الذى فى فمه جرار .

(٢) وفى نسخة : الجهضمية

(٣) قال الجاحظ : الحلاحل السيد .

(٤) عورات الكلام : عيوبه وما يحدث الضرر منه . قال الجاحظ : شريجان : جنسان ، ويقال الناس شرجان وشريجان . أي فرقتان . ومنه حديث النبى أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين . أى بعضهم صائما وبعضهم مفطرا »

(٥) هو أبو محجن نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، وهو نصيب الأكبر . قال ابن

وَمَا بَدَلْتُ ابْتِذَالَ الثَّوْبِ وُدَّكُمُ ... وَعَائِدٌ خَلَقًا مَا كَانَ يُبْتَذَلُ

وَعِلْمُكَ الشَّىءَ تَهْوَى أَنْ تُبَيِّنَهُ ... أَشْفَى بِقَلْبِكَ مِنْ أَخْبَارِ مَنْ تَسَلُ

وقال الآخر :

لَعَمْرُكَ مَا وِدُّ اللِّسَانِ بِنَافِعٍ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ أَصْلُ المَوَدَّةِ فِى الصَّدْرِ

وقال الآخر

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ المَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

وَإِنَّ كَبِيرَ القَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ إِذَا التَفَّتْ عَلَيْهِ المَحَافِلُ

وقال الآخر :

فَتًى مِثْلُ صَفْوِ المَاءِ لَيْسَ بِبَاخِلٍ ... عَلَيْكَ وَلَا مُهْدٍ مَلَامًا لِبَاخِلِ

وَلَا قَائِلٍ عَوْرَاءَ تُؤْذِى رَفِيقَهُ ... وَلَا رَافِعٍ رَأْسًا بِعَوْرَاءَ قَائِلِ

وَلَا مُسْلِمٍ مَوْلًى لِأَمْرٍ يُصِيبُهُ ... وَلَا خَالِطٍ حَقًّا مُصِيبًا بِبَاطِلِ

وَلَا رَافِعٍ أُحْدُوثَةَ السُّوءِ مُعْجَبًا ... بِهَا بَيْنَ أَيْدِى المَجْلِسِ المُتَقَابِلِ

تَرَى أَهْلَهُ فِى نِعْمَةٍ وَهْوَ شَاحِبٌ ... طَوِى البَطْنِ مِخْمَاصُ الضُّحَى وَالأَصَائِلِ

وقالت أُخت يزيد بن الطَّثَرِيَّةِ (١)

أَرَى الأَثْلَ مِنْ بَطْنِ العَقِيقِ مُجَاوِرِى ... قَرِيبًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ (٢)

دأب : كان نصيب من قضاعة ثم من بلى وكانت أمه سوداء فوقع عليها سيدها فحبلت بنصيب فوثب عليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز . إذن فنصيب عربي صليبه . كان شاعرا فحلا فصيحا مقدما فى النسيب والمديح عفيفا كريما غير ذى حظ فى الهجاء ، وكان له ولد يسمى محجن وبه كان يكنى . وله مواقف مع جرير والفرزدق . دخل يوما على عبد الملك فتغدى معه ثم قال له عبد الملك : هل لك فيما نتنادم عليه ؟ فقال : تؤمننى! فأمنه ، فقال : لونى حائل ، وشعري مفلفل ، وخلقتي مشوهة ، ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياى بشرف أب أو أم أو عشيرة ، وإنما بلغته بعقلي ولساني ، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بينى وبين مابلغت به هذه المنزلة منك ، فأعفاه

(١) هي زينب بنت الصمة أخت يزيد بن الطثرية ، والطثرية أمهما . كانت شاعرة محسنة من أبلغ شواعر الاسلام ويزيد أخوها كان من فحول الشعراء وكان فارسا مغوارا . قتل في إحدى المعارك بين قومه وبين بنى حنيفة بن لجيم ــ أيام بنى العباس فقالت ترثيه بهذه الأبيات الحسان

(٢) الأثل : شجر الطرفاء ، والعقيق : واد ببلاد بنى عقيل مما يلى اليمامة . مجاورى : مقيم على حاله مع ان يزيد غالته الغوائل

فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لَامُتَضَائِلٌ ... وَلَا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وبَآدِلُهْ (١)
فَتًى لَا يُرَى خَرْقُ القَمِيصِ بِخَصْرِهِ ... وَلٰكِنَّمَا تُوهِي القَمِيصَ كَوَاهِلُهْ (٢)
إِذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ كَانَ عَذَوَّراً ... عَلَى الحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ (٣)
مَضَى فَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ ... وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهْ (٤)
يَسُرُّكَ مَظْلُوماً وَيُرْضِيكَ ظَالِماً ... وَكُلُّ الَّذِي حُمِّلْتَهُ فَهْوَ حَامِلُه (٥)
أَخُو الجِدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَّرُوا ... وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُه (٦)

يصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع فى هذا الباب إلى الشعر الذى فى أول الفصل

باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب

قال الشاعر:

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَعِيبُونَ خُطْبَتِي ... وَمَا مِنْهُم فِى مَوْقِفٍ بِخَطِيبِ

(١) قد قد السيف: يعنى انه كان ممشوق القد امتشاق السيف. لامتضائل: ليس بالضئيل الجسم ولا النحيله . ولا رهل: يعنى ولا مترهل الجسم مسترخى اللحم من السمن. اللبات: العروق. والبآدل، جمع بأدلة، وهي لحمة بين الابط والثندوة. ويروى: واباجل، والاباجل: العروق. ومعنى هذا كله انه كان معتدل القوام ممشوق القد غير جسم ولا لحيم

(٢) خرق القميص: يعنى انه كان على يسار فلا يلبس الخلق من الثياب. توهى القميص: يعنى ان كواهله هي التى توهي القميص، ولعلها تريد بهذا القميص الذي توهيه كواهله، حمائل السيف!

(٣) العذور: السيء الخلق. يعنى انه كان حينما تنزل به الأضياف يهمه امرهم ويعمل على إكرامهم فتشتد وطأته على اهله فى تعجيل القرى وتحضير الطعام لارضاء الضيوف، فاذا بلغ امنيته من إكرام ضيوفه عاد إلى خلقه الاول من السماحة والبشاشة. والمراجل: القدور التى يهيا فيها الطعام

(٤) دريس مفاضة: درع بال. وابيض هنديا: وسيفا صقيلا. يعنى أنه أفنى ماله فى الكرم ولم يبق لنا ما نرثه عنه إلا هذه الدرع وهذا السيف

(٥) يسرك مظلوما: يعنى يسرك وان كان الظلم واقعا عليه. ويرضيك ظالما: يعنى وإن كنت أنت الظالم له. حامله: أي يحمل عنك كل مالا تقوى على حمله من المغارم وما إليها

(٦) يعنى أنه يجد في موضع الجد ويهزل فى موضع الهزل. وبعد هذه الابيات:

وقد كان يروى المشرفى بكفه ... ويبلغ اقصى حجرة الحى نائله
كريم إذا لاقيته متبسما ... وإما تولى اشعث الرأس جافله
إذا القوم اموا بيته فهو عامد ... لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله
ترى جازر به يرعدان وناره ... عليها عدا ميل الهشيم وصامله
يجران ثنيا خيرها عظم جاره ... بصيرا بها لم تعد عنها مشاغله

وقال الآخر :

إنَّ الكلامَ لَفِي الْفُؤادِ وَإنَّما ... جُعِلَ اللِّسانُ عَلَى الفُؤادِ دَلِيلا

لا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ قَوْلُه ... حتى يكونَ معَ اللِّسانِ أصِيلا

وأنشد الآخر :

أَبَرَّ فَمَا يَزْدَادُ إلَّا حَمَاقَةً ... وَنَوْكاً وَإنْ كانَتْ كَثِيراً مَخَارِجُهْ

وقد يكون ردىء العقل جيد اللسان . وكان أبو العباس الأعمى[1] يقول :

إذا وَصَفَ الإسْلامَ أَحْسَنَ وَصْفَهُ ... بِفِيهِ وَيَأْبَى قَلْبُهُ وَيُهاجِرُهْ

وَإنْ قامَ قالَ الحَقَّ مادامَ قائِماً ... تَقِيُّ اللِّسانِ كافِرٌ بَعْدُ سائِرُهْ

يقول إنه يتيه عن قوله ويأباه ويهجره ، ويقول الحق على منبره بلسانه وسائره كافر .

وقال قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِيُّ[2] يذكر ما فى بنى منقر من الخطابة :

إنِّي امْرُؤٌ لا يَعْتَرِي خُلُقِي ... دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ وَلَا أَفَنُ[3]

مِنْ مِنْقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ ... وَالْأَصْلُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُصُنُ

خُطَبَاءُ حِينَ يَقُومُ قائِلُهُمْ ... بِيضُ الْوُجُوهِ مَصَاقِعٌ لُسُنُ

لا يَفْطِنُونَ لِعَيْبِ جارِهِمِ ... وَهُمُ لِحُسْنِ جِوَارِهِمْ فُطُنُ

ومن هذا الباب ، وليس منه فى الجملة ، قول الآخر :

أشارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةَ أهْلِهَا ... إشارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

---

(١) هو السائب بن فروخ ابو العباس الاعمى مولى بنى الديل . كان شاعرا مجودا من مقدمى شعراء بنى امية ومن المتشيعين لهم الذابين عنهم ، وله فى مدحهم اشعار كثيرة

(٢) هو ابو على قيس بن عاصم بن سنان المنقرى . كان سيد بنى تميم فى عهده ، وهو شاعر فارس شجاع يضرب به المثل فى الحلم ، وكان كثير الغارات فى الجاهلية . وهو احد من وأد بناته فيها ، ادرك الاسلام واسلم وحسن إسلامه وصحب النبي حياته وعمر بعده زمنا . وكان ميمون النقيبة فى غزواته مظفرا . وله اخبار واحاديث فى المروءة والحلم تعد افضل قدوة .

(٣) الدنس : العيب الفاحش . الأفن : ضعف العقل وفساد الراي

فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً ... وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبِ الْمُسَلِّمِ

وقال نصيب :

يَقُولُ فَيُحْسِنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلَى ... وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ (١)

وقال آخر :

أَلاَ رُبَّ خَصْمٍ ذِي فُنُونٍ عَلَوْتُهُ ... وَإِنْ كَانَ أَلْوَى يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهْ (٢)

فهذا هو معنى قول العتابى : البلاغة إظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل فى صورة الحق . وقال الشاعر وهو كما قال :

عَجِبْتُ لِإِدْلاَلِ الْعَيِيِّ بِنَفْسِهِ ... وَصَمْتِ الَّذِى قَدْ كَانَ بِالْقَوْلِ أَعْلَمَا

وَفِى الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْعَيِيِّ وَإِنَّمَا ... صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان فى شعره الذى رثى به عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، يقول :

ضَحُّوا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا

وأنشد أيضاً :

تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ ... وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ

وَكُلٌّ فِى الْهَوَى لَيْثٌ ... وَفِيمَا نَابَهُ فَسْلُ (٣)

وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِى الْوَصْلِ ... وَلَكِنْ أَنْ يُرَى الْفَضْلُ

وقال كسرى أنُوشِرْوَان لِبُزُرْجُمِهْر : أى الأشياء خير للمرء العيى ؟ قال : عقل يعيش به . قال فان لم يكن له عقل ؟ قال : فإخوان يسترون عليه . قال :

---

(١) كان نصيب يرحل فى كل عام إلى عبد العزيز بن مروان بمصر مستميحا فيجيزه ويحسن صلته فقال فيه : يقول : البيت وبعده :

فتى لايرزأ الخلان إلا ... مودتهم ويرزؤه الخليل

فبشر اهل مصر فقد اتاهم ... مع النيل الذى فى مصر نيل

(٢) الوى : منافق فى كلامه مداور فى اغراضه

(٣) الفسل : النذل الجبان الدنىء

فان لم يكن له إخوان ؟ . قال: فال يتحبب به الى الناس. قال: فان لم يكن له مال ؟ قال : فعى صامت . قال : فان لم يكن ذلك ؟ قال : فموت مريح[١]

وقال مُوسى بنُ يحيى بن خالدٍ . قال أبو على : رسائل المرء فى كتبه أدل على مقدار عقله ، وأصدق شاهد على غيبه لك ومعناه فيك من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة .

وباب آخر

ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوه كبُرُود العَصْب[٢]، وكالحُلل والمعاطف والديباج والوَشْى وأشباه ذلك . وأنشدنى أبو الجماهر جُنْدَب بن مُدْرِك الهلالى :

لا يُشْتَرَى الحَمْدُ أُمْنِيَّةً ... وَلا يُشْتَرَى الحَمْدُ بالمَقصرِ[٣]
وَلٰكِنَّما يُشْتَرَى غَالِياً ... فَمَنْ يُعْطِ قِيمَتَهُ يَشْتَرِ
وَمَنْ يَعْتَطِفْهُ عَلَى مِئْزَرٍ ... فَنِعْمَ الرِّداءُ عَلَى المِئْزَرِ

وأنشدني لابن مَيَّادَة[٤]

نَعَمْ إنَّنِي مُهْدٍ ثناءً وَمِدْحَةً ... كبُرْدِ يَمَانٍ يُرْبِحُ البَيْعَ تَاجِرَهْ

وأنشدنى :

فَانْ أَهْلِكْ فَقَدْ أَبْقَيْتُ بَعْدِى ... قَوَافِيَ تُعْجِبُ المُتَمَثِّلِينا
لَذِيذَاتِ المَقَاطِعِ مُحْكَمَاتٍ ... لَوَ انَّ الشِّعْرَ يُلْبَسُ لَارْتُدِينا

وقال أبو قَرْدُودَةَ يرثى ابنَ عَمَّارٍ قتيل النُّعْمَانِ ووصف كلامه ، وقد كان نهاه عن منادمته :

---

(١) راجع هذا الكلام بصفحة ٢٠ وفيه خلاف لما ههنا

(٢) برود العصب : ثياب جيدة محكمة النسج كانت تصنع باليمن

(٣) المقصر : الخشبة التى تقصر عليها الثياب

(٤) هو الرماح بن ابرد اليربوعى ، كان شاعرا فصيحا مقدما من شعراء الدولتين ، وكان عريضا للشعراء يطلب مهاجاتهم سبابا للناس هجاء ، مات في خلافة المنصور

إِنِّى نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ ... لَا تَأْمَنَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعَرَهْ
إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ ... تَطِرْ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهْ
يَا جَفْنَةً كَإِزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا ... وَمَنْطِقًا مِثْلَ وَشْيِ الْيُمْنَةِ الْحَبِرَهْ

وقال الشاعر (١) فى مديح أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ (٢)

وَعَوِيصٍ مِنَ الْأُمُورِ بَهِيمٍ ... غَامِضِ الشَّخْصِ مُظْلِمٍ مَسْتُورِ
قَدْ تَسَنَّمْتَ مَا تَوَعَّرَ مِنْهُ ... بِلِسَانٍ يَزِينُهُ التَّحْبِيرُ
مِثْلَ وَشْيِ الْبُرُودِ هَلْهَلَهُ النَّسْـ ... ـجُ وَعِنْدَ الْحِجَاجِ دُرٌّ نَثِيرُ
حَسَنُ الصَّمْتِ وَالْمَقَاطِعِ إِمَّا ... أَنْصَتَ الْقَوْمُ وَالْحَدِيثُ يَدُورُ
ثُمَّ مِنْ بَعْدُ لَحْظَةٌ تُورِثُ الْيُسْـ ... ـرَ وَعِرْضٌ مُهَذَّبٌ مَوْفُورُ

ومما يضم إلى هذا وليس منه بعينه قول جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ (٣)

نَمَتْ فِي الرَّوَابِي مِنْ مَعَدٍّ وَأَفْلَجَتْ ... عَلَى الْخَفِرَاتِ الْغُرِّ وَهْيَ وَرِيدُ (٤)

---

(١) الشاعر هو الجاحظ نفسه ، أنظر كتابنا ، أدب الجاحظ ،

(٢) هو القاضى السرى العظيم أبو عبدالله أحمد بن أبى دؤادالايادى صاحب السطوة والجاه العريض والنفوذ الواسع فى دولة المعتصم والواثق العباسيين ، كان بعيد الهمة واسع المروءة مهيب الجانب مقيل العثرات ، وكان الخليفة المعتصم لايرد له طلبا كائنا ما كان . على أنه لم يكن يطلب منه شيئاً قط لنفسه وإنما كانت همته منصرفة إلى قضاء مصالح الناس والسعي فى خيرهم والعمل على إنقاذهم من ورطات الحياة والترفيه عنهم وحفظ ماء وجوههم وحقن دمائهم . وله فى أعمال البر وإسداء المعروف أياد لم يلحق شأوه فيها غيره . وله فى ذلك حوادث واخبار هي منتهىعجب العاجب . وكان المعتصم يقول فيه : هذا والله الذي يتزين بمثله ويبتهج بقربه ويعد به ألوف من جنسه . وقد وضع الجاحظ كتاب البيان والتبيين له وأجازه ابن أبي دؤاد عنه بخمسة آلاف دينار . على انى مع هذا لاأدرى لماذا تنكر الجاحظ نفسه فى رواية هذه الأبيات التى قالها هو فيه ! ولعل ذلك لبعض التدبير ! على مايعبر به الجاحظ . توفى بالفالج سنة ٢٤٠ ﻫ

(٣) هو جميل بن معمر العذري الشاعر الناسب البليغ . كان مقدماً على جميع أقرانه فى النسيب وكانت معشوقته بثينة . وكان في عهد بنى أمية وأخباره مستفيضة . والظاهر أن هذان البيتان ليسا لجميل لانى لم أجدهما فى قصيدته التى رواها بأكملها صاحب الامالى عن أبي بكر بن دريد ، ولعل الجاحظ إن كان واثقا من روايته ، قد بلغه مالم يبلغ ابن دريد

(٤) قال الجاحظ : نمت شبت ، الروابى من معد : البيوت الشريفة ، واصل الرابية . والرباوة مالرتفع من الارض . وأفلجت ظهرت وقهرت ، الخفرات الحييات ، قلت : وهى وريد : متوردة الخدود

أَنَاةٌ عَلَى نِيرَيْنِ أَضْحَى لِدَاتُهَا ... بَلِينَ بلاءَ الرَّيْطِ وَهْيَ جَدِيدُ (١)

ومن هذا الشكل وليس منه بعينه قول الشاعر :

عَلَى كُلِّ ذِي نِيرَيْنِ زِيدَ مَحَالُهُ ... مَحَالاً وَفِي أَضْلَاعِهِ زِيدَ أَضْلُعَا (٢)

وقال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ الأَعْوَرُ : أول شعر قلته هذان البيتان :

بِقَلْبِي سَقَامٌ لَسْتُ أُحْسِنُ وَصْفَهُ ... عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ فَهْوَ شَدِيدُ

تَمُرُّ بِهِ الأَيَّامُ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا ... فَتَبْلَى بِهِ الأَيَّامُ وَهْوَ جَدِيدُ

وقال أبو الأسود الدُّؤَلِي :

أَبَى القَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَمْرٍو وَحُبَّهَا ... عَجُوزاً وَمَنْ يُحْبِبْ عَجُوزاً يُفَنَّدِ (٣)

كَبُرْدِ اليَمَانِي قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... وَرُقْعَتُهُ مَا شِئْتَ فِي العَيْنِ وَاليَدِ

وقال ابنُ هَرْمَةَ :

إِنَّ الأَدِيمَ الَّذِي أَصْبَحْتَ تَعْرُكُهُ ... جَهْلاً لَذُو نَغَلٍ بَادٍ وَذُو حَلَمِ (٤)

وَلَنْ يَئِطَّ بِأَيْدِي الخَالِقِينَ وَلَا ... أَيْدِي الخَوَالِقِ إِلَّا جَيِّدُ الأَدَمِ (٥)

وفي غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذِي الرُّمَّةِ :

وفي قَعْرِ حَجْرٍ مِنْ ذُؤَابَةِ عَامِرٍ ... إِمَامُ هُدًى مُسْتَبْصِرُ الحُكْمِ عَادِلُهْ

كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ مَاءَ مُذْهَبٍ ... إِذَا سَمَلُ السِّرْبَالِ طَارَتْ رَعَابِلُهْ (٦)

(١) قال الجاحظ : الاناة المرأة التي فيها فتور عند القيام ، وقوله على نيرين وصفها بالقوة كالثوب الذي ينسج على نيرين وهو الثوب الذي له سديان كالديباج وما اشبه . اضحى لداتها ، اللدة القرينة في المولد والمنشأ ، فيقول إن اقرانها قد بلين وهي جديد لحسن غذائها ودوام نعمتها .

(٢) قال الجاحظ : المحال محال الظهر وهي فقاره واحدها محالة .

(٣) يفند : يكذب

(٤) ذو نغل : به فساد . والحلم : القراد . يعني فاسد ممزق

(٥) يئط : يعني له اطيط صوت لجدته وقوته

(٦) قال الجاحظ : الرعابل القطع ، وشواء مرعبل اى مقطع ، ورعبلت الشيء اي قطعته . ويقال ثوب سمل واسمال . واسمل الثوب وسمل إذا اخلق .

وهو الذي يقول :

حَوْرَاءُ فِي دَعَجٍ صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ ... كأنها فِضَّةٌ قد مَسَّهَا ذَهَبُ (١)

ولذلك قال الأعشى :

بَيْضَاءُ ضَحْوَتَهَا وَصَفْـــرَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارَهْ (٢)

وقال الآخر :

قد عَلِمَتْ بَيْضَاءُ صَفْرَاءُ الأُصُلْ ... لأُغْنِيَنَّ الْيَوْمَ ما أَغْنَى رَجُلْ (٣)

وقال بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ :

وَخُذِى مَلَابِسَ زِينَةٍ ... وَمُصَبَّغَاتٍ فَهْىَ أَفْخَرْ

وَإِذَا دَخَلْتِ تَقَنَّعِى ... بِالْحُمْرِ إِنَّ الْحُسْنَ أَحْمَرْ

وهذان أعميان(٤) قد اهتديا من هذا الأمر إلى ما لا يبلغه تمييز البصير. ولبشار خاصة فى هذا الباب ما ليس لأحد، ولولا أنه فى « كتاب الرجل والمرأة » وفى « باب القول فى الانسان » فى « كتاب الحيوان » أليق وأذكى لذكرناه فى هذا الموضع. ومما ذكروا الوزن فيه قوله :

زِنِى الْقَوْمَ حَتَّى تَعْرِفِى عِنْدَ وَزْنِهِمْ ... إِذَا رُفِعَ الْمِيزَانُ كَيْفَ أَمِيلُ

وقال ابنُ الزَّبِيرِ الأَسَدِيُّ (٥)

أَعَاذِلُ غُضِّى بَعْضَ لَوْمِكِ إِنَّنِى ... أَرَى الموتَ لا يَرْضَى بِدَيْنٍ وَلَا رَهْنِ

وَإِنِّى أَرَى دَهْراً تَغَيَّرَ صَرْفُهُ ... ودُنْيَا أَرَاهَا لا تَقُومُ على وَزْنِ

(١) قال الجاحظ : الحور شدة بياض العين . والدعج شدة بياض الحدقة ، والنعج اللين . قالوا : لأن المراة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب إلى الحمرة وبالعشى يضرب إلى الصفرة .

(٢) العرارة : نبتة ذات بهار اصفر طيب الريح

(٣) الأصل جمع اصيل وهو وقت انحدار الشمس للمغيب

(٤) الاعميان يريد بها الأعشي وبشار لان الاعشى فى حكم الأعمى

(٥) هو عبد الله بن الزبير بن الاشيم الأسدي ، شاعر بليغ من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتها واهل هواها ، نشأ بالكوفة وكان قد هجا عبد الله بن الزبير بن العوام فلما غلب مصعب على الكوفة وضع يده عليه ثم اطلقه واحسن صلته فمدحه مدائح كثيرة ، ثم لحق بالحجاج فارسله فى بعث إلى الري فمات بها . وله اخبار كثيرة وحوادث

باب آخر

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به، ويفضلون إصابة المقادير ويذمون الخروج من التبو بل . قال جعفر بن سليمان : ليس يطيب الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التوابل وإنما الشأن فى إصابة القدر . وقال الشاعر وهو عارقُ بنُ أُثالٍ الطائى(١)

مَا إِنْ يَزَالُ بِبَغْدَادٍ يُزَاحِمُنَا ... عَلَى البَرَاذِينِ أَشْبَاهُ البَرَاذِينِ (٢)

أَعْطَاهُمُ اللهُ أَمْوالاً وَمَنْزِلَةً ... مِنَ المُلُوكِ بِلا عَقْلٍ وَلا دِينِ (٣)

مَاشِئْتَ مِنْ بَغْلَةٍ شَقْرَاءَ نَاجِيَةٍ ... أَوْ مِنْ أَثَاثٍ وَقَوْلٍ غَيْرِ مَوْزُونِ (٤)

وأنشد بعض الشعراء :

رَأَتْ رَجُلاً أَوْدَى السِّفَارُ بِجِسْمِهِ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْطِقٌ وَجَنَاجِنُ (٥)

إِذَا حُسِرَتْ عَنْهُ العِمَامَةُ رَاعَهَا ... جَمِيلُ الخُفُوقِ أَغْفَلَتْهُ الدَّوَاهِنُ (٦)

فَإِنْ أَكُ مَعْرُوقَ العِظَامِ فَإِنَّنِى ... إِذَا مَا وَزَنْتُ القَوْمَ بِالقَوْمِ وَازِنُ (٧)

قال مَالِكُ ابن أسماء فى بعض نسائه ، وكانت تصيب الكلام كثيراً ، وربما لحنت(٨)

---

(١) فى الجاهليين عارق بن جروة الطائى ولم أجد فى الاسلاميين من اسمه عارف بن أثال ، فان لم يكن هناك تحريف فى الاسم فالجاحظ أدرى ولا يمكن أن تذكر بغداد فى شعر جاهلى وقد رأيت فى بعض النسخ طارق وهو خطأ ، وفي بنى طى عارق وكل هؤلاء جاهليون

(٢) البراذين : دواب كالبغال وهي دون الخيل واقدر من الحمير

(٣) هذا وصف لاتراك الدولة العباسية

(٤) الظاهر ان قائل هذا الشعر كان من عميان الشعراء فى بغداد فصدمته بغلة لاحد الاتراك فقال ماقال

(٥) قال الجاحظ : الجناجن عظام الصدر ،

(٦) جميل الخفوق : يريد به شعر رأسه . واغفلته الدواهن : تركته نساؤه بلا دهن ولا ترجيل فبان به الشعث

(٧) معروق العظام : يعنى ان عظامه عارية من اللحم ، يريد انه غير سمين الجسم

(٨) راجع صفحة ١٣٥

أمُعْطِّى مِنّى عَلَى بَصَرِى لِلْحُبِّ ... أمْ أنتِ أكْمَلُ الناسِ حُسْنَا
وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا
مَنْطِقٌ عَاقِلٌ وَتَلْحَنُ أحيا ... نًا وَخَيْرُ الحديثِ ما كانَ لَحْنَا

وقال طَرَفَة فى المقدار وإصابته :

فَسَقَى دِيارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ... صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِى

طلب الغيث على قدر الحاجة ، لأن الفاضل ضار .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقْيًا نافِعًا » لأن المطر ربما جاء فى غير إبَّان الزراعات ، وربما جاء والتمر فى الجرن والطعام فى البيادر وربما كان فى الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « اللَّهم حوالَيْنا ولا علينا »

وقال بعض الشعراء لصاحبه : أنا أشعر منك . قال : وَلِمَ ؟ قال : لأنى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه ! وعاب رؤبة شعر ابنه عُقبة فقال : ليس له قِران . وجعل البيت أخا البيت إذا أشبهه وكان حقه أن يوضع إلى جنبه ، وعلى ذلك التأويل قال الأعشى :

أبا مِسْمَعٍ أقْصِرْ فإنَّ قَصِيدَةً ... مَتَى تأْتِكُمْ تَلْحَقْ بها أخَوَاتُها

قال الله عزّ وجل « وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إلاَّ هِيَ أكْبَرُ مِنْ أخْتِهَا »

وقال عَمْرو بنُ مَعْدِيكَرِب :

وَكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أخُوهُ ... لَعَمْرُ أبِيكَ إلاَّ الفَرْقَدَانِ

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقل لفظاً ، قال الهُذَلِيُّ :

أعَامِرُ لا آلُوكَ إلاَّ مُهَنَّدًا ... وَجِلْدُ أبي عِجْلٍ وَثِيقُ القَبائِلِ (١)

وقالوا ماهو أبعد من هذا ، قال ابن عسلة الشيبانى ، واسمه عبد المسيح : (٢)

---

(١) قال الجاحظ : يعنى بأبي عجل الثور .

(٢) هذان البيتان من قصيدة جيدة تراها بالمفضليات مشروحة بقلمنا

وَسَمَاعِ مُدْجِنَةٍ تُعَلِّلُنَا ... حَتَّى نَنَامَ تَنَاوُمَ العُجْمِ (١)
فَصَحَوْتُ وَالنَّمَرِىُّ يَحْسَبُهَا ... عَمَّ السِّمَاكِ وَخَالَةَ النَّجْمِ (٢)

وقال أبو النجم (٣) فيما هو أبعد من هذا ووصف العير، والمعيوز الموضع الذى يكون فيه الأعيار :

« وَظَلَّ يُوفِى الأَكَمَ ابْنُ خَالِهَا »

فهذا مما يدل على توسعهم فى الكلام ، وحمل بعضه على بعض ، واشتقاق بعضه من بعض . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « نِعْمَتِ العمة لكم النخلة » كأن بينها و بين الانسان تشابه وتشاكل من وجوه . وقد ذكرنا ذلك فى « كتاب الزرع والنخل » وفى مثل ذلك قال بعض الفصحاء :

شَهِدْتُ بِأَنَّ التَّمْرَ بِالزُّبْدِ طَيِّبٌ ... وَأَنَّ الْحُبَارَى خَالَةُ الْكَرَوَانِ

لان الحبارى وان كانت أعظم بدنا من الكروان فان اللون وعمود الصورة واحد ، فلذلك جعلها خالته ، ورأى أن ذلك قرابة تستحق بها هذا القول .

باب آخر من الشعر

مما قالوا فى الخطب واللسن والامتداح به والمديح عليه

قال كَعْبُ الْأَشْقَرِىُّ :

إِلَّا أَكُنْ فِى الأَرْضِ أَخْطُبُ قَائِمًا ... فَإِنِى عَلَى ظَهْرِ الْكُمَيْتِ خَطِيبُ

وقال ثَابِتُ قُطْنَةَ :

فإلَّا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنَّنِى ... بِسُمْرِ الْقَنَا وَالسَّيْفِ جِدُّ خَطِيبِ (٤)

---

(١) قال الجاحظ : مدجنة أى سحابة دائمة .

(٢) قال الجاحظ : النجم واحد وجمع ، والنجم الثريا فى كلام العرب .

(٣) هو الفضل بن قدامة العجلى ، كان شاعرا راجزا فحلا من مقدمى الرجاز فى الاسلام وكان من أحسن الناس إنشادا ، وكان من المقربين عند هشام بن عبد الملك وله مدائح فى عبد الملك وعظماء بنى أمية

(٤) راجع صفحة ١٣٦

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ (١)

حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الخَمِيسِ زَعِيمَا

وقال الآخر:

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَعِيبُونَ خُطْبَتِي وَمَا مِنْهُمُ فِي مَأْقِطٍ بِخَطِيبِ

وهؤلاء يفخرون بخطبهم التي عليها يعتمدون بالسيوف والرماح ، وإن كانوا خطباء . وقال دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ :

أَبْلِغْ نُعَيْماً وَأَوْفَى إِنْ لَقِيتَهُمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمُ

فَلَا يَزَالُ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ يَهْدِي المَقَانِبَ مَا لَمْ تُهْلِكِ الصِّمَمُ (٢)

عَارِي الأَشَاجِعِ مَعْصُوبٌ بِلِمَّتِهِ أَمْرُ الزَّعَامَةِ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ (٣)

وقال أبو العباس الأعمى مولى بنى بكر بن عبد مناف ، فى بنى عبد شمس:

لَيْتَ شِعْرِي أَفَاحَ رَائِحَةُ المِسْـــكِ مَا إِنْ إِخَالُ بِالخَيْفِ أُنْسِي

حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ وَالبَهَالِيلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ

خُطَبَاءٌ عَلَى المَنَابِرِ فُرْسَا نٌ عَلَيْهَا وَقَالَةٌ غَيْرُ خُرْسِ

---

(١) هى ليلى الاخيلية صاحبة توبة بن الحمير . كانت من أفصح الشواعر وأبلغهن ، ولها مع الحجاج حديث طريف . وهذا البيت من كلمة جيدة اولها :

يا ايها السدم الملوى رأسه ليقود من اهل الحجاز بريما
اتريد عمرو بن الخليع ودونه كعب إذاً لوجدته مرؤما
إن الخليع ورهطه فى عامر كالقلب البس جؤجؤا وحزيما
لاتغزون الدهر آل مطرف لاظالما ابدا ولا مظلوما
قوم رباط الخيل وسط بيوتهم واسنة زرق تخال نجوماً
ومخرق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

(٢) قال الجاحظ : المقانب جمع مقنب والمقنب الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة ،

(٣) قال الجاحظ : الاشاجع عروق ظاهر الكف وهى مغرز الاصابع ، اللمة الشعيرة التى الت بالمنكب ، زعيم القوم رأسهم وسيدهم الذى يتكلم عنهم والزعامة مصدر الزعيم الذى يسود قومه ، وقوله معصوب بلمته اى يعصب برأسه كل امر ، عرنينه انفه ،

لَا يُعَابُونَ صَامِتِينَ وَإِنْ قَا   لُوا أَصَابُوا وَلَمْ يَقُولُوا بِلَبْسِ
بِحُلُومٍ إِذَا الْحُلُومُ اسْتُخِفَّتْ   وَوُجُوهٍ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ مُلْسِ

وقال العَجَّاجُ :

وحَاصِنٍ مِنْ حاصِناتٍ مُلْسِ   مِنَ الأَذَى وَمِنْ قِرَافِ الوَقْسِ (١)

وقال امرُؤُ القَيْسِ بن حُجر :

وَيَارُبَّ يَوْمٍ قَدْ أَرُوحُ مُرَجَّلاً   حَبِيبًا إِلَى الْبِيضِ الْكَوَاعِبِ أَمْلَسَا

وقال أبو العباس الأعمى :

وَلَمْ أَرَ حَيًّا مِثْلَ حَيٍّ تَحَمَّلُوا   إِلَى الشَّامِ مَظْلُومِينَ مُنْذُ بُرِيتُ
أَعَزَّ وَأَمْضَى حِينَ تَشْتَجِرُ الْقَنَا   وَأَعْلَمَ بِالْمِسْكِينِ حَيْثُ يَبِيتُ
وَأَرْفَقَ بِالدُّنْيَا بِأُولَى سِيَاسَةٍ   إِذَا كَادَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ يَفُوتُ
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ   بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الْكَلَامِ زَمِيتُ (٢)

وقال آخر :

لَا يُغْسَلُ الْعِرْضُ مِنْ تَدَنُّسِهِ   وَالثَّوْبُ إِنْ مَسَّ مَدْنَسًا غُسِلَا
وَزَلَّةُ الرِّجْلِ تُسْتَقَالُ وَلَا   يَكَادُ رَأْيٌ يُقِيلُكَ الزَّلَلَا

---

(١) قال الجاحظ : المحصنة ذات الزوج ، والحاصن العفيفة ، والوقس الجرب . قلت : وهذا البيت من ارجوزة انشدها العجاج بين يدي الوليد بن عبد الملك واولها :

كم قد حسرنا من علاة عنس   كبداء كالقوس وأخرى جلس

ثم قال :

إمام رغس فى نصاب رغس   ملكه الله بغير نحس
خليفة ساس بغير فجس   حتا ولا تكثر بالبخس
يقبل انس اهله بالانس   ويهرس الداء وفوق الهرس
ضياء بين قمر وشمس   ازهر لم يولد بنجم النحس
بين نجيب لم يعب بوكس   وحاصن من حاصنات ملس
من الاذى ومن قراف الوقس   من قنس مجد فوق كل قنس

(٢) زميت : وقور

وقال آخر في الزلل :

أَلَهْفِى إِذْ عَصَيْتُ أَبَا يَزِيدٍ وَلَهْفِى إِذْ أَطَعْتُ أَبَا الْعَلَاءِ
وَكَانَتْ هَفْوَةً مِنْ غَيْرِ رِيحٍ وَكَانَتْ زَلَّةً مِنْ غَيْرِ مَاءِ

وقال آخر :

فَإِنَّكَ لَمْ يُنْذِرْكَ أَمْرٌ تَخَافُهُ إِذَا كُنْتَ فِيهِ جَاهِلاً مِثْلَ خَابِرِ

وقال ابن وابصة ـ واسمه سالم ـ فى مقام قام فيه مع ناس من الخطباء :

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّى غَيْرَ شِيمَتِهِ وَمَنْ سَجِيَّتُهُ الإِكْثَارُ وَالْمَلَقُ
أَعْمِدْ إِلَى الْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ رَاكِبُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِى دُونَهُ الْخُلُقُ
صَدَّتْ هُنَيْدَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا عَنِّى بِمَطْرُوفَةٍ إِنْسَانُهَا غَرِقُ (١)
وَرَاعَهَا الشَّيْبُ فِى رَأْسِى فَقُلْتُ لَهَا كَذَاكَ يَصْفَرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ
بَلْ مَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ أَحْمِى الذِّمَارَ وَتَرْمِينِى بِهِ الْحَدَقُ
فَمَا زَلَلْتُ وَلَا أُلْفِيتُ ذَا خَطَلٍ إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلِقُوا

وأنشد أعرابى من باهلة :

سَأُعْمِلُ نَصَّ الْعِيسِ حَتَّى يَكُفَّنِى غِنَى الْمَالِ يَوْماً أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْحُرِّ بِالإِقْلَالِ وَسْمُ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمْ يُلْغَ حُكْمُ كَلَامِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغِنَى فِى أَهْلِهِ بُورِكَ الْغِنَى بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِ

وفى مثلها ، فى بعض الوجوه ، قول عُرْوَةَ بنِ الْوَرْدِ :

ذَرِينِى لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّى رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الْفَقِيرُ
وَأَهْوَنُهُمْ وَأَحْقَرُهُمْ لَدَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ نَسَبٌ وَخِيرُ

(١) هنيدة تصغير هند وهي محبوبته

وَيُقْصَى فى النَّدِىِّ وَتَزْدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَيُلْفَى ذُو الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ ... يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ ... وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورُ

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه : ألهوى إله معبود . وتلا قوله عزوجل « أفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ »

وقال أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل :

تِلْكَ عِرْسَاىَ تَنْطِقَانِ عَلَى عَمْـ ... ـدٍ لِىَ الْيَوْمَ قَوْلَ زُورٍ وَهِتْرِ
سَالَتَانِى الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَا مَا ... لِى قَلِيلًا ؟ قَدْ جِئْتُمَانِى بِنُكْرِ
فَلَعَلِّى أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِى ... وَيُعَرَّى مِنَ الْمَغَارِمِ ظَهْرِى
وَتُرَى أَعْبُدٌ لَنَا وَأَوَاقٍ ... وَمَنَاصِيفُ مِنْ خَوَادِمَ عَشْرِ (١)
وَتَجُرَّا الأَذْيَالَ فى نِعْمَةٍ زَوْ ... لٍ تَقُولَانِ : ضَعْ عَصَاكَ لِدَهْرِ (٢)
وَيْكَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ
وَيُجَنَّبْ سِرَّ النَّجِىِّ وَلَكِنَّ ... أَخَا الْمَالِ مُحْضَرٌ كُلَّ سِرِّ

وقال عَبِيدُ بْنُ الأَبْرَصِ فى نحو هذا وليس كمثله :

تِلْكَ عِرْسِى غَضْبَى تُرِيدُ زِيَالِى ... أَلِبَيْنٍ تُرِيدُ أَمْ لِدَلَالِ ؟ (٣)
إِنْ يَكُنْ طِبُّكِ الْفِرَاقُ فَلَا أَحْـ ... ـفِلُ أَنْ تَعْطِفِى صُدُورَ الْجِمَالِ (٤)
كُنْتِ بَيْضَاءَ كَالْمَهَاةِ وَإِذْ ... آتِيكِ نَشْوَانَ مُرْخِيًا أَذْيَالِى
فَاتْرُكِى مَطَّ حَاجِبَيْكِ وَعِيشِى ... مَعَنَا بِالرَّجَاءِ وَالتَّأْمَالِ

(١) قال الجاحظ : المناصيف الخدم واحدها منصف وناصف ، وقد نصف القوم ينصفهم نصافة إذا خدمهم ،
(٢) قال الجاحظ : نعمة زول حسنة ، والزول الخفيف الظريف وجمعه ازوال ،
(٣) تريد زيالى : تريد فراقى
(٤) تعطق : اى لاتهتم إذا رحلت

زَعَمتْ أنني كَبِرتُ وأني ‏ قَلَّ مالي وضَنَّ عني المَوالي

وَصحَا بَاطلي وأصبحتُ شيخاً ‏ لا يُواتي أمثالَها أمثالِي

إنْ تَريني تغيَّرَ الرَّأسُ مِنّي ‏ وَعلا الشَّيبُ مفرِقي وقذالِي

فبِما أدخُلُ الخِباءَ عَلَى مَهْ ‏ ضُومةِ الكَشْحِ طفلةٍ كالغزالِ (١)

فتَعاطيتُ جيدَها ثم مالَتْ ‏ مَيلانَ الكثيبِ بَينَ الرِّمالِ

ثمَّ قالتْ: فِدىً لنفسِكَ نَفسي ‏ وَفِداءٌ لِمالِ أهلِكَ مالِي

وخرج عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من داره يوما ، وقد جاء عامرُ بنُ عبد قيس فقعد فى دهليزه ، فلما رأى شيخاً دميماً أشغى ثَطّاً (٢) فى عباءة فأنكره وأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابى ، أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .

يقال إن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عَبْدِ قَيْسٍ . ونظر معاوية إلى النَّخَّار بن أوسٍ العُذْرِيِّ الخطيب الناسب فى عباءة فى ناحية من مجلسه فأنكره وأنكر مكانه زراية منه عليه ، فقال : من هذا ؟ فقال النخار : يا أمير المؤمنين ، إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها .

قال ونظر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى هَرِم بنِ قُطْبَةَ (٣) ملتفا فى بَتٍّ فى ناحية المسجد ورأى دمامته وقلته وعرف تقديم العرب له فى الحكم والعلم فأحب أن يكشفه و يسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا إليك اليوم أيهما كنت تُنَفِّرُ ؟ يعنى عَلْقَمَةَ بْنَ عُلَاثَةَ وَعَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ . فقال : يا أمير المؤمنين ، لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جَذَعَةً (٤) فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لهذا العقل تحاكمت إليك العرب (٥) . ونظر عمر إلى الأحنف وعنده الوفد ، والأحنف ملتف

(١) قال الجاحظ : الكشح الخصر ، وقوله مهضومة اراد لطيفة ، والطفلة الرخصة الناعمة .

(٢) قال الجاحظ : الشغى تراكب الاسنان واختلافها ، ثط : صغير اللحية .

(٣) هو هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزارى

(٤) يعنى لأعاد الفتنة بين الحيين كما كانت فى أول امرها فى الجاهلية

(٥) ويروى أن عمر قال : ياهرم اى الرجلين كنت منفرا لو فضلت ؟ فقال : لو قلت ذلك

فى بت له ، فترك جميع القوم واستنطقه ، فلما تَبعَّق منه مَا تَبعَّق ، وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب وذهب ذلك المذهب ، لم يزل عنده فى علياء ثم صار إلى أن عقد له الرياسة ثابتاً له ذلك إلى أن فارق الدنيا .

ونظر النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ إلى ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ فلما رأى دمامته وقلته قال: تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِىِّ لَا أَنْ تَرَاهُ . هكذا تقول العرب . فقال ضَمْرَةُ : أبيت اللعن ، إن الرجال لاتكال بالقُفزان، وإنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه . وكان ضمرة خطيباً ، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيداً .

وكان الرَّمِق بْنُ زَيْدٍ مدح أبا جُبَيْلَةَ الْغَسَّانِى، وكان الرَّمق دميما قصيراً ، فلما أنشده وحاوره قال : عسل طيب فى ظرف سوء .

قال وتكلم عَابَاه بْنُ الْهَيْثَمِ السَّدُوسِىُّ لدى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وكان عاباء أعور دميما ، فلما رأى براعته وسمع بيانه أقبل عمر يُصَعِّدُ فيه بصره وَيُحَدِّرُهُ ، فلما خرج قال عمر : لكل أناس فى جميلهم خبرة .

قال أبو عثمان : وأنشدت سهل بن هٰرون قول سَلَمَةَ بْنِ خُرْشُبٍ وشعره الذى أرسل به إلى سُبَيْعِ التغلبى فى شأن الرُّهُنِ التى وضعت على يديه فى قتال عبس وذبيان ، فقال سهل بن هٰرون : والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى أبى موسى الأشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم ! ؟

والقصيدة قوله :

أَبْلِغْ سُبَيْعاً وَأَنْتَ سَيِّدُنَا قِدَماً وَأَوْفَى رِجَالِنَا ذِمَمَا
أَنَّ بَغِيضاً وَأَنَّ إِخْوَتَهَا ذُبْيَانَ قَدْ ضَرَّمُوا الذى اضْطَرَمَا[1]
نُبِّئْتُ أَنْ حَكَّمُوكَ بَيْنَهُمُ فَلَا يَقُولُنَّ بِئْسَ مَا حَكَمَا
إِنْ كُنْتَ ذَا خِبْرَةٍ بِشَأْنِهِمِ تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَا

يا أمير المؤمنين لعادت جذعة ولبلغت شعاف هجر ؟ فقال عمر : نعم مستودع السر ومسند الأمر إليه انت ياهرم ، مثل هذا فليسد العشيرة ، وإلى مثلك فليستبضع القوم احكامهم

(١) بغيض وذبيان من قبائل غطفان

وَتَنْزِلُ الأَمْرَ فى مَنَازِلِهِ ... حُكْماً وَعِلْماً وَتُحْضِرُ الفَهِمَا
وَلا تُبالِي مَنِ المُحِقُّ وَلا المُبْطِلُ لَا إِلَّهَ وَلا ذِمَا (١)
فَاحْكُمْ وَأَنْتَ الحَكِيمُ بَيْنَهُمُ ... لَنْ تَعْدَمُوا الحُكْمَ ثَابِتاً صَتِمَا (٢)
وَاصْدَعْ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمُ ... عَلَى رِضَا مَنْ رَضِى وَمَنْ رَغِمَا (٣)
إِنْ كَانَ مَالاً فَفُضَّ عِدَّتَهُ ... مَالاً بِمَالٍ وَإِنْ دَماً فَدَمَا
حَتَّى تَرَى ظَاهِرَ الحُكُومَةِ مِثْلَ الصُّبْحِ جَلَّى نَهَارُهُ ظُلَمَا
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطِقْ حُكُومَتَهُمْ ... فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمَا

وقال العايشى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعلم الناس بالشعر ، ولكنه إذ ابتلى بالحكم بين النجاشى والعَجلانى (٤) وبين الحطيئة (٥) والزِّبرقان

(١) لا إِلَّة : لا عهدا ولا حلفا

(٢) قال الجاحظ : الصتم الصحيح القوي ، يقال رجل صتم إذا كان شديدا ،

(٣) الأديم : الجلد . ورغم : كره

(٤) أما النجاشى فهو قيس بن عمرو الحارثى شاعر يمى أسلم فيمن أسلم عند ما فتحت اليمن ، وكان هجاء خبيثا . وأما العجلانى فهو تميم بن أبى مقبل ، وكان بنو العجلان يفخرون بلقبهم لأنه لقب جدهم عبد الله بن كعب لقب به لتعجيله القرى لضيوفه . فلما وقع الشر بين النجاشى وتميم هجاهم النجاشى بقوله :

إذا الله جازى أهل لؤم ودقة ... فجازي بنى العجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء إلا عشية ... إذا صدر الوراد عن كل منهل
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ... وتأكل من كعب بن عوف ونهشل
وما سمى العجلان إلا لقيلهم ... خذ القعب واحلب ايها العبد واعجل
اولئك إخوان اللعين واسرة الـ ... هجين ورهط الواهن المتذلل

فلما قال ذلك استعدوا عليه عمر بن الخطاب فحبسه بعد الحكومة

(٥) الحطيئة هو جرول بن اوس العبسى شاعر مخضرم من فحول الشعراء ومقدميهم ، كان متصرفا فى فنون الشعر مجيدا فى ضروبه ، مع سلاطة ودناءة وخسة نفس ، ولم تقف به خسة نفسه عند حد أن يهجو من يحسن إليه بل تناول بالهجو اباه وامه وزوجته وحتى نفسه . وكان الزبرقان بن بدر انزله واهله فى حيه واوصاهم به خيرا فقصروا فى حقه فهجاه واقذع بشعر كثير شره قوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فرفع الزبرقان امره إلى عمر فحاكمه وحبسه فقال وهو بالحبس ووجه الكلام إلى عمر :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لاماء ولا شجر

كره أن يتعرض للشعراء ، واستشهد رجالا للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليهم سبالهم فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم ، وكان الذى ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعاً للفريقين ، ويكون هو قد تخلص بعرضه سليما ، فلما رآه من لاعلم له يسأل هذا وهذا ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره ؟ ولقد أنشدوه شعراً لزهير ، وكان لشعره مقدما ، فلما انتهوا إلى قوله :

وَإِنَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاَثٌ   يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلاَءُ

قال عمر ، كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها و إقامته أقسامها — :

وَإِنَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاَثٌ   يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلاَءُ ؟

يردد البيت من التعجب .

وأنشدوه قصيدة عَبْدَةَ بْنِ الطَّبِيبِ الطويلة التى على اللام ، فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمَرْءُ ساعٍ لأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ   وَالعَيْشُ شُحٌّ وَإِشْفاقٌ وَتأْمِيلُ (١)

قال عُمَرُ متعجباً :   وَالْعَيْشُ شُحٌّ وَإِشْفاقٌ وَتأْمِيلُ ؟

يعجبهم من حسن ما قسم وفصل .

وأنشدوه قصيدة أَبِى قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ التى على العين وهو ساكت ، فلما أنتهى المنشد الى قوله :

القيت كاسبهم فى قعر مظلمة   فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذى من بعد صاحبه   القت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها   لكن لأنفسهم كانت بك الاثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم   بين الاباطح تغشاهم بها القرر
اهلى فداؤك كم بينى وبينهم   من عرض داوية يعمى بها الخبر

فعفا عمر عنه واخذ عليه العهد ألا يعود واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم . مات سنة ٥٩ هـ

(١) هذا البيت من قصيدة جيدة انظرها مشروحة بقلمنا بالمفضليات

الـكَيْسُ وَالقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْـ   إشْفاقِ   والفَهَّةِ   وَالهاعِ (١)

أعاد عُمرُ البيت وقال :

الـكَيسُ والقوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْـ   إشفاقِ   وَالفَهَّةِ   والهاعِ

وجعل عُمرُ يردد البيت و يتعجب منه .

قال محمد بن سلام الجُمَحِيُّ عن بعض أشياخه كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لايكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر .

وقال أبُو عَمْرِو بْنِ العَلَاءِ : كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم و يفخم شأنهم و يهول على عدوهم ومن غزاهم و يهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم و يهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة و رحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الأول : ألشعر أدنى مروءة السَّرِىِّ وأسرى مروءة الدنىِّ . قال : ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ، ولو كان فى الدهر الأول مازاده ذلك إلا رفعة .

وعن الشَّعْبِيِّ (٢) قال : ما رأيت مثلى ، ما أشاء أن ألقى رجلا أعلمَ منى بشىء إلا لقيته. وقال الحسن البصرى : يكون الرجل عابداً ولا يكون عاقلا ، ويكون عابداً عاقلا ولا يكون عالمًا ، وكان مُسْلم بن يَسَار (٣) عاقلا عابدا عالما. وكان يقال : فقه الحسن وورع ابن سِيرِين وعقل مُطَرِف وحفظ قتادة. وذُكِرَتِ البَصرةُ فقيل : شيخها الحسن وفتاها بكر بن عبد الله المزنى . والذين بثوا العلم فى الدنيا أربعة :

---

(١) وهذا البيت من مفضلية ايضا انظرها مشروحة بقلمنا بالمفضليات

(٢) هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي ، اصله من حمير وعداده فى همدان . وكنيته ابوعمرو كان ضئيلا نحيفا وكانت امه من سبى جلولاء قرية بنواحى فارس . كتب لعبد الله بن مطيع العدوى ولعبد الله بن يزيد الخطمي عامل ابن الزبير على الكوفة . وكان راوية قاضيا إخباريا معروفا بالمزح . مات سنة ١٠٥ ه

(٣) هو مسلم بن يسار ، كان ابوه يسار مولى ميمونة الهلالية زوج النبي ، وكان مسلم فقيها محدثا

قَتادَةُ ، وَالزُّهرىُّ ، وَالأعمَشُ ، والكلبيُّ[١] . وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى ، فغلب قتادة الزهرى ، فقيل لسليمان فى ذلك فقال : إنه فقيه مليح. فقال القَحْذَمىُّ : لا ، ولكنه تعصب للقرشية ولانقطاعه إليهم ولروايته فضائلهم. وكان الأصمعى يقول وصلت بالعلم ، ونلتُ بالمُلَحِ . وكان سهل بن هرون يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان فى واحد ، وأعسر من ذلك أن يجتمع بلاغة الشعر و بلاغة القلم . والمسجديون[٢] يقولون : من تمنى رجلا حسن العقل وحسن اللسان وحسن القلم ، تمنى شيأ عسيراً .

باب : وكانوا يعيبون النوك والعي والحمق وأخلاق النساء والصبيان

قال الشاعر:

إذا ما كُنْتَ مُتَّخِذاً خَليلاً ... فلاَ تثِقَنْ بكُلِّ أخِي إخاءِ
فإنْ خُيِّرْتَ بينهمُ فألصِقْ ... بأهْلِ العَقْلِ مِنْهُمْ وَالحَياءِ
فإنَّ العَقْلَ ليْسَ لهُ إذا ما ... تفاضلَتِ الفضائِلُ مِنْ كِفاءِ
فإنَّ النوْكَ للأحْسابِ غَوْلٌ ... وَأهْوَنُ دائِهِ داءُ العَياءِ[٣]
وَمَنْ ترَكَ العَواقِبَ مُهْمَلاتٍ ... فأيسَرُ سَعْيِهِ سَعْيُ العَناءِ
فلاَ تثِقَنَّ بالنَّوْكَى لِشَيءٍ ... وَلَو كانُوا بَنى مَاءِ السَّماءِ[٤]
فَليْسُوا قابلِى أدَبٍ فدَعْهُمْ ... وكُنْ من ذاكَ مُنقطِعَ الرَّجاءِ

(١) الأعمش هو أبو محمد سليمان بن مهران مولى بنى كاهل من أسد . كان من خيار العلماء والمحدثين ومن أفاضل أهل الخير ، وكان على زهد وتقوى وصلاح . ولد سنة ٦١ ومات سنة ١٤٨ هـ . والكلبي هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي . كان من أوائل المفسرين وأكابر الرواة والاخباريين وافاضل النسابين . شهد وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث . ومات بالكوفة سنة ١٤٦ هـ

(٢) المسجديون قوم كانوا يلزمون مسجد البصرة كما كان اهل الصفة يلزمون مسجد المدينة . ولهم احاديث واخبار وآراء كثيرا مايرويها الجاحظ عنهم

(٣) غول : هلاك

(٤) النوكي : الحمق

وقال الآخر فى التضييع والنُّوْك :

فعِشْ فى جَدّ أنوكَ ساعدَتْهُ مقادِيرٌ يُخالِفُها الصَّوابُ (١)
ذَهَابُ المالِ فى حَمْدٍ وأجْرٍ ذَهَابٌ لا يُقالُ لهُ ذَهَابُ

وأنشد فى ذلك :

أرى زمَناً نوْكاهُ أسْعَدُ أهْلِهِ ولـكِنَّما يَشقى بهِ كلُّ عاقِلِ
مَشى فوْقَهُ رِجْلاهُ والرَّأْسُ تحْتَهُ فكبَّ الأعالِى بارْتِفاعِ الأسافِلِ

وقال الآخر :

ولَمْ أرَ مِثْلَ الفقرِ أوْضَعَ لِلفتى ولمْ أرَ مِثْلَ المالِ أرْفعَ لِلرَّذْلِ
ولَمْ أرَ عِزّاً لامْرِىءٍ كعَشِيرَةٍ ولمْ أرَ ذُلاً مِثْلَ نأْيٍ عَنِ الأهْلِ
ولَمْ أرَ مِنْ عُدْمٍ أضَرَّ عَلَى امْرِىءٍ إذا عاشَ وَسْطَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ العقلِ

وقال الآخر :

تحامَقْ معَ الحمْقى إذا ما لقيتهُمْ ولا تَلْقهُمْ بالعَقلِ إنْ كُنتَ ذا عَقلِ
فإِنِّى رَأيْتُ المرْءَ يَشقى بِعقْلِهِ كما كانَ قبلَ اليَوْمِ يَسْعَدُ بالعقلِ

وقال الآخر :

وأنزَلَنى طُولُ النَّوى دارَ غُرْبَةٍ إذا شِئْتُ لاقَيْتُ امْرأً لا أُشاكِلُهْ
فحامَقْتُهُ حتَّى يُقالَ سجيَّةٌ ولوْ كانَ ذا عَقْلٍ لـكُنْتُ أُعاقِلُهْ

وقال بِشْرُ بْنُ المُعْتَمِرِ وأنشد :

وَإذا الغَبِىُّ رَأيْتَهُ مُسْتَغْنياً أعْيا الطَّبيبَ وحِيلَةَ المُحْتالِ

وأنشدنى آخر :

وَلِلدَّهرِ أيَّامٌ فـكُنْ فى لِباسِهِ كَلِبْسَتِهِ يوْماً أجَدَّ وأخْلَقا
وَكُنْ أكْيَسَ الـكَيْسَى إذا كُنْتَ فِيهِمُ وإنْ كُنْتَ فى الحمْقى فـكُنْ أنْتَ أحْمَقا

(١) جد انوك : حظ أحمق

وأنشدني آخر

وَلاَ تقرَبي يا بِنْتَ عَمِّيَ بُوهَةً — مِنَ القَوْمِ دِفْناسًا غَبِيًّا مُفَنَّدَا (١)
وَإِنْ كانَ أَعْطَى رَأْسَ سِتِّينَ بَكْرَةً — وَحُكْمًا عَلَى حُكْمٍ وَعَبْدًا مُوَلَّدَا
أَلاَ فاحْذَرِي لا تُورِدَنَّكِ هَجْمَةٌ — طِوالُ الذُّرَى جِبْسًا مِنَ القَوْمِ قُعْدُدَا (٢)

وأنشدني آخر :

كَسَا اللهُ حَيَّيْ تَغْلِبِ ابْنَةِ وَائِلٍ — مِنَ اللُّؤْمِ أَظْفَارًا بَطِيئًا نُصُولُها (٣)
إِذَا ارْتَحَلُوا عَنْ دَارِ ضَيْمٍ تَعَاذَلُوا — عَلَيْهَا وَرَدُّوا وَفْدَهُمْ يَسْتَقِيلُهَا

وأنشدني آخر:

وَإِنْ عَنَاءً أَنْ تُفَهِّمَ جَاهِلاً — وَيَحْسَبُ جَهْلاً أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ

وقال جرير :

وَلاَ يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ — وَلاَ يَعْرِفُونَ الأَمْرَ إِلاَّ تَدَبُّرَا

وقال الأعرج المَعْنِيُّ الطائي (٤):

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنْ قَدْ قَدَرْتُمُ — وَلَمْ تَبْدَأُوهُمْ بالمَظَالِمِ أَوَّلاَ
فَكُونُوا كَدَاعِي كَرَّةٍ بَعْدَ فَرَّةٍ — أَلاَ رُبَّ مَنْ قَدْ فَرَّ ثُمَّتَ أَقْبَلاَ
فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَفْعَلُوا فَتَبَدَّلُوا — بِكُلِّ سِنَانٍ مَعْشَرَ الغُرْبِ مِغْزَلاَ
وَأَعْطُوهُمُ حُكْمَ الصَّبِيِّ بِأَهْلِهِ — وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَقُولُوا بِأَنْ: لاَ (٥)

(٦)

(١) البوهة : الأحمق الطائش . والدفناس : الدنيء البخيل

(٢) الهجمة : قطعة من الابل من الاربعين إلى المائة ، والجبس : الثقيل الروح . والقعدد : البعيد النسب من الجد الاعلى

(٣) حيا تغلب : يريد بهما بكر وتغلب ابن وائل

(٤) هوشاعر فارس من شعراء الدولتين كان من شعراء الخوارج وفرسانهم المعدودين وظل خارجيا إلى الدولة العباسية

(٥) قال الجاحظ : يقال اظلم من صبي واكذب من صبي واخرق من صبي

(٦) بياض بالأصول

وأنشد

وَلاَ تَحْكُما حُكْمَ الصَّبِىِّ فإِنَّهُ ... كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَجَاهِلُهُ

سئل دَغفل عن بنى عامر فقال : أعناق ظباء، وأعجاز نساء ! قيل : فما تقول فى أهل اليمن ؟ قال : سيِّدٌ وأَنْوَكُ .

باب فى ذكر المعلمين

من أمثال العامة . أحمق من معلم كتاب . وقد ذكرهم صِقْلاَبٌ [فقال] :

وكَيْفَ يُرَجَّى العَقْلُ وَالرَّأْىُ عِنْدَ مَنْ ... يَرُوحُ عَلَى أُنْثَى وَيَغْدُو عَلَى طِفْلِ

وفى قول بعض الحكماء : لا تستشيروا معلماً ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء . وقال : لاتدع أم صبيك تضربه ، فإنه أعقل منها وان كانت أسن منه . وقد سمعنا فى الأمثال : أحمق من راعى ضأن ثمانين .

فأما استحقاق رعاة الغنم فى الجملة ، فكيف يكون ذلك صوابا وقد رعى الغنم عدة من جلة الأنبياء عليهم السلام ؟ ولعمرى إن الفدادين (١) من أهل الوبر و رعاة الابل ليتلومون على رعاة الغنم ، ويقول أحدهم لصاحبه : ان كنت كاذبا فحلبت قاعدا . وقال الآخر :

تَرَى حَالِبَ المِعْزَى إذَا صَرَّ قَاعِدًا ... وَحَالِبُهُنَّ القَائِمُ المُتَطَاوِلُ

قالت امرأة من غامدٍ فى هزيمة ربيعة بنِ مُكَدَّم (٢) لجمع غامد وحده :

أَلاَ هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَأْيِهَا ... بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غَامِدُ

تَمَنَّيْتُمُ مِائَتَىْ فَارِسٍ ... فَرَدَّكُمُ فَارِسٌ وَاحِدُ

فَلَيْتَ لَنَا بارْتِبَاطِ الخُيُولِ ... ضَأْنًا لَهَا حَالِبٌ قَاعِدُ

---

(١) الفدادون : اصحاب الاصوات الغليظة المنكرة من الرعاة وأمثالهم

(٢) كان من فرسان العرب الانجاد وشجعانهم الابطال ، وكان شاعرا مقلا ، وله مع عمرو بن معدى كرب ودريد بن الصمة ونظرائهما احداث وخطوب فى الجاهلية ، مات فى إحدى الوقائع فى الجاهلية

وقد سمعنا قول بعضهم : أَلْحُمْقُ فى الحاكة والمعلمين والغزالين . قال: والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى ، وكذلك الغزالون ! لأن الأحمق هو الذى يتكلم بالصواب الجيد ثم يجىء بخطأ فاحش ، والحائك ليس عنده صواب جيد فى فعال ولا مقال ، الا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب ، وليس هو من هذا فى شىء .

وهذا باب آخر

ويقال : فلان أحمق . فاذا قالوا : مائق ، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه . وكذلك إذا قالوا : أَنْوَكُ . وكذلك إذا قالوا : رَقِيعٌ . ويقولون : فلان سليم الصدر . ثم يقولون : غبيٌّ . ثم يقولون : أبله وكذلك إذا قالوا : معتوه، ومسلوس، وأشباه ذلك .

قال أبُو عُبَيْدَةَ : يقال للفارس : شُجاع ، فاذا تقدم ذلك قيل : بطل ، فإذا تقدم شيئا قيل : بُهْمَة ، فإذا صار إلى الغاية قيل : أَلْيَسُ . قال العجاج : « أَلْيَسُ عَن حَوْبَائِهِ سَخِيٌّ »

وهذا المأخذ يجرى فى الصفات كلها من : جود وبخل وصلاح وفساد ونقصان ورُجحان . ومازلت أسمع هذا القول فى المعلمين . والمعلمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة ، فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل عَلِيّ بْن حَمْزَةَ الْكِسَائِىّ ومحمد بْنِ الْمُسْتَنِير الذى يقال له قُطْرُبُ [1] وأشباه هؤلاء يقال لهم حَمقَى ؟ ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ، ولا على الطبقة التى دونهم ! ! فإن ذهبوا إلى مُعلمى كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وَسِفلة ، فما هم فى ذلك إلا كغيرهم .

(١) هو محمد بن المستنير سماه سيبويه «قطرب» اخذ النحو عن سيبويه وعيسى بن عمر ، واخذ علم الكلام عن النظام ، واتصل بابى دلف العجلى وادب ولده ، وله تصانيف كثيرة ، وكان ابن السكيت لا يوثقه . مات سنة ٢٠٦ هـ

وكيف تقول مثل ذلك فى هؤلاء، وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء، مثل: كُمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ، وعبدِ الحميدِ الكاتب، وقَيْسٍ بن سَعْدٍ [(١)] وعطاء بن أبى رَبَاحٍ [(٢)]. ومثل عبد الكريم بن أبى أمية، وحُسين المعلم، وأبى سعيد المعلم؟! *ومن المعلمين: الضَّحَّاكُ بن مزاحم [(٣)] [و]معبد الجُهَنِى، [قال] عامر الشعبى، فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان، وكان معبد يعلم سعيدا* [(٤)]. ومنهم أبو سعيد المؤدب [(٥)] — وهو غير أبي سعيد المعلم — وكان يحدث عن هِشَامِ بن عُرْوَةَ وغيره؟ ومنهم عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ عَبدِ الأعلى وكان معلم وُلْد عُتْبَةَ بن أبى سُفيان. وكان إسماعيل بن على أزم بعض بنيه عبدَ الله بن المقفع ليعلمه؟ وكان أبو بكر عبد الله بن كَيْسَانَ معلما. ومنهم محمد بن السكن. وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ولا أحسن بيانا من أبي الوزير وأبى عدنان المعلمين، وحالهم من أول ما أذكر من أيام الصبا.

وقد قال الناس فى أبى البيداء وفى أبى عبد الله الكاتب وفى الحجاج بن يوسف وأبيه ما قالوا؟ وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهدا من الشعر [(٦)] على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف.؟!

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الانصارى. كان من الصحابة، ولاه على بن ابى طالب مصر ايام الفتنة بينه وبين معاوية فخافه معاوية فدس له حتى عزله على: وكان كريما جوادا شجاعا بطلا وكان جسيما طويلا جدا. توفي بالمدينة فى آخر عهد معاوية

(٢) هو عطاء بن اسلم مولى بنى فهر. كان من صلحاء التابعين. نشأ بمكة وبها علم الكتاب، وكان اسود اعور افطس اشل، ثم عمى ومات سنة ١١٥ هـ عن ٨٨ سنة

(٣) هو ابو القاسم الضحاك بن مزاحم من رهط زينب زوج النبى. قيل انه ظل في بطن امه سنتين حتى اثغر. وكان معلما رحل إلى خراسان واقام بها إلي ان مات سنة ١٠٢ هـ

(٤) ** كانت هذه الجملة مضطربة فى الاصل اضطرابا غريبا، فقد كانت هكذا: «ومن المعلمين الضحاك ابن مزاحم أبو معبد الجهنى وعامر الشعبى فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان وكان ابو معبد يعلم سعيدا». وأنت ترى أن الضحاك لم يكن يكنى بأبى معبد ولم يكن جهنيا، والحقيقة أن الضحاك رجل ومعبد الجهنى رجل آخر، وقد كان معبد الجهنى أحد رؤس القدرية، ولذلك اثبتنا فى الاصل ما رايناه صوابا، والغريب ان هذا الخطأ وقع فى جميع النسخ المطبوعة ولم يلتفت إليه أحد.

(٥) هو محمد بن مسلم بن ابى الوضاح القضاعى، ضمه المنصور إلى المهدى لادبه. وكان راوية محدثا فاضلا. روى عن سالم الافطس وهشام بن عروة والاعمش وغيرهم

(٥) ماقيل من الشعر فى الحجاج «وكان اسمه وهو صغير كليبا» وفى أبيه هو ماقاله مالك بن الريب حيث يقول:

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول . قالوا : أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل . وكتب الْحجَّاج إلى الْمُهَلَّبِ يُعجله فى حرب الأزارقة وَيُسمِعهُ (١) فكتب اليه المُهلَّب : إن البلاء كل البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره . . ! ؟

وباب آخر

قال بعض الربانيين من الأدباء وأهل المعرفة من البلغاء ، ممن يكره التشادق والتعمق ويبغض الإغراق فى القول والتكلف والاجتلاب ، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن مايقول وما يعرض للسامع من الإفتتان بما يسمع والذى يورث الإقتدار من التحكم والتسلط والذى يمكن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعانى والخلابة وحسن المنطق — قال فى بعض مواعظه : أنذركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام ، فان المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا ومنحه المتكلم قولا متعشقا،صار فى قلبك أحلى ولصدرك أملا ، والمعانى إذا كُسيت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة ، تحولت فى العيون عن مقادير صورها وأربت على حقائق أقدارها بقدر ما زُينت وعلى حسب ما زُخرفت ، فقد صارت الألفاظ فى معنى المعارض ، وصارت المعانى فى معنى الجوارى ، والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوى ومدخل خُدع الشيطان خفى .

فاذكر هذا الباب ولا تنسه ، وتأمله ولا تفرط فيه ، فإن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يقل للأحنف — بعد أن احتبسه حولا مُجَرَّما (٢) ليستكثر

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده ... إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبدا من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذله ... يراوح غلمان القرى ويغادى

وما قاله آخر فيه :

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ماترى ... وآخر كالقمر الأزهر

(١) يسمعه : يشتمه
(٢) حولا مجرما : عاماً كاملا

منه وليبالغ فى تصفح حاله ، والتنفير عن شأنه — : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان خوّفنا كل منافق عليم ، وقد خفت أن تكون منهم — إلا لِمَا كان راعه من حسن منطقه ومال إليه لِمَا رأى من رفقه وقلة تكلفه !؟ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحراً » . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن فى طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ومنطق حسن — : هذا والله السِّحر الحلال . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاَ خِلاَبَةَ » [١] فالقصد من ذلك أن تجتنب السُّوقِىَّ والوحشى ولا تجعل همك فى تهذيب الألفاظ وشغلك فى التخلص إلى غرائب المعانى ، وفى الاقتصار بلاغ وفى التوسط مجانبة للوعورة ، والخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه ، وقد قال الشاعر :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الأمُورِ فإنها ... نجاةٌ وَلا تَرْكَبْ ذَلولاً وَلاَ صَعْبَا

وقال الآخر :

لاَ تَذْهَبَنَّ فى الأُمُورِ فُرُطَا ... لاَ تَسْأَلَنَّ إِنْ سأَلْتَ شَطَطَا

وَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعاً وَسَطَا

وليكن كلامك بين المقصر والغالى ، فإنك تسلم من الهُجنة عند العلماء ، ومن فتنة الشيطان . وقال أعرابىٌّ للحسن : علمنى دينا وسطا ، لا ذاهباً شطوطا ولا هابطاً هبوطا ؟ فقال الحسن : لئن قلت ذاك إن خير الأمور أوساطها . وجاء فى الحديث « خالطوا النَّاس و زَايلوهم » [٢] وقال عبد الله بن مسعود [٣] فى خطبته : وخير الأمور أوساطها ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، نفس تنجيها خير من إمارة

(١) لاخلابة : لاخداع

(٢) زايلوهم : قاربوا فى مفارقتهم ومباعدتهم

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلى الصحابي . شهد مع رسول الله بدرا وبيعة الرضوان وجميع المشاهد . وكان على قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر بن الخطاب وصدرا من خلافة عثمان ، ثم صار إلى المدينة وبها أقام . وكان نحيفا قصيراً يكاد الجلوس يوازونه من قصره وكان مع هذا شديد الأدمة . مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة ٣٢ عن بضع وستين سنة . وستأتى خطبته فى الجزء الثاني إن شاء الله

لا تحصيها . وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : كن فى الدنيا وسطا وامش جانباً . وكانوا يقولون : إكره الغُلُوَّ كما تكره التقصير . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: «قُولوا بقولِكم ولا يَسْتَخوِذَنَّ عليكم الشيطان» وكان يقول: « وَهَل يُكِبُّ الناسَ على مَناخِرِهم فى نار جهنم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم؟»

باب من الخطب القصار

من خطب السلف ومواعظ النساك وتأديب من تأديب العلماء

قال رجل لأبى هُريرة النحوى : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه؟!قال: كفى بترك العلم إضاعة . وسمع الأحنف رجلا يقول : التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر . فقال الأحنف: الكبير أكبر الناس عقلا ولكنه أشغل قلبا . وقال أبو الدَّرْداء[(١)] : مالى أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون . . ؟!

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ الله لا يَقْبض العلمَ انتزاعاً ينتزعه من النَّاس ، ولكن يَقبضُ العلماءَ حتى إذا لم يَبْقَ عالِمٌ اتخذ الناسُ رُؤَساء جُهَّالا فَسُئلوا فأفتوا بغيرِ علم فضلُّوا وأضلوا » ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه حين دُلِّى زيدُ بنُ ثابت[(٢)] فى القبر : من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر ، فهكذا ذهابه . وقال بعض الشعراء لبعض العلماء :

أَبْعَدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا ... جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ القَدَرُ
لَوْ كانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ ... نَجَّاكَ مِمَّا أَصابَكَ الحَذَرُ
يَرْحَمُكَ اللهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... لَمْ يَكُ فى صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرُ
فَهكذا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفْنَى العِلْمُ مِنْهُ وَيَدْرُسُ الأَثَرُ

(١) هو عويمر بن مالك الخزرجى الصحابى كان قبل إسلامه تاجراً ، وكان فارساً شجاعا عفامتنسكا . قال ابن قتيبة : مات بالشام سنة ٣٢ وعقبه بالشام

(٢) هو زيد بن ثابت الأنصارى ، وكان ابن ١١ سنة حينما قدم رسول الله للدينة مهاجرا ، وهو الذى قام بكتابة المصحف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كتب لعمر بن الخطاب . وكتب مصحف عثمان . وكان يعرف اللغة العبرية ومات سنة ٤٥ هـ

وقال قَتَادة : لو كان أحدٌ مكتفياً من العلم لا كتفى نبى الله موسى عليه السلام إذ قال للعبد الصالح : « هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً » ؟

أبو العباس التميمى قال : قال طاوُس : الكلمة الصالحة صدقةٌ .

وعن عبد الله بن ثمامة بن أنس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فَضْلُ لِسانِكَ تُعَبِّرُ بِهِ عَنْ أَخِيكَ الَّذِي لَا لِسَانَ لَهُ صَدَقَةٌ »(١)

وقال الخليل : تكَثَّر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ . وقال الفُضَيل(٢) : نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه. وكان يقال : إجعل ما فى الكتب رأس مال ، وما فى قلبك للنفقة . وكان يقال : يكتب الرجل أحسن ما سمع ، ويحفظ أحسن ما كتب . وقال أعرابى : حرف فى قلبك خير من عشرة فى طومارك(٣) . وقال عمر بن عبد العزيز : ماقُرِن شيء بشيء أفضل من علم إلى حلم ومن عفو إلى قدرة . وكان مَيْمون بن سَيَاه إذا جلس الى قوم قال : إنا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتجمل بها . وفخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : أسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلسانى . وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدموا إليه رجلا ليضرب عنقه قال : والله لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو ؟ فقال الحجاج : أُفٍّ لهذه الجيف ، أما كان فيها أحد يُحسن مثل هذا ؟ وأمسك عن القتل .

وقال بشير الرَّحَّال : إنى لأجد فى قلبى حرًّا لا يذهبه إلا برد العدل أو حر السنان(٤) وقدموا رجلا من الخوارج إلى عبد الملك بن مروان لتضرب عنقه — ودخل على عبد الملك ابن صغير له قد ضربه المعلم وهو يبكى — فهمّ عبد الملك

(١) هذا نص شرعي فى اباحة التوكيل فى القضايا فليغتبط به المحامون وليرعوا حق الله فى حقوق المتقاضين

(٢) هو الفضيل بن عياض يكنى أبا على أصله من تميم ومولده بأبيورد من خراسان . قدم الكوفة كبيراً وسمع من منصور بن المعتمر وغيره ثم رحل إلى مكة وبها اقام . كان من أكابر الزهاد وأماثل النساك كثير العبادة . مات بمكة سنة ١٨٧ هـ

(٣) الطومار : الصحيفة

(٤) أو حر السنان : أو القتال دون العدل حتى يقر فى نصابه

بالمعلم فقال(١) : دعه يبكى فإنه أفتح لجِرْمِهِ وأصح لبصره وأذهب لصوته ؟ فقال له عبد الملك : أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ قال : ما ينبغى للمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء ..؟! فأمر بتخلية سبيله . وقال إبراهيم بن أدهم(٢) : أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفا ، ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا . وأنشد :

نُرَقِّعُ دُنْيانا بِتَمزيقِ دِينِنَا   فلا دِينُنا يَبْقَى ولا ما نُرَقِّعُ

وقال زياد على المنبر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يقطع بها ذَنَبَ عنزٍ مَصور(٣) لو بلغت إمامه سفك بها دمه . وعزل عُمرُ زياداً عن كتابة أبى موسى(٤) فى بعض قدْماته فقال له زياد : أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكن أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك . وبلغ الحجاج موت أسماء بن خارجة فقال : هل سمعتم بالذى عاش ما شاء ، ومات حين شاء ..؟!

وكان يقال : كدر الجماعة خير من صَفْوِ الفُرْقة . قال أبو الحسن : مر عُمَر بن ذَرٍّ بعبد الله بن عيَّاش المنتوف ، وقد كان سفه عليه ثم أعرض عنه فتعلق بثوبه فقال : يا هناه(٥) ، إنا لم نجد لك إذا عصيت الله فينا خيراً من أن نطيع الله فيك !

وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين قال عمر : إنى والله لا أدع حقا لله لشكاية تظهر ولا لغضب يحتمل ولا لمحاباة بشر ، وإنك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . وكتب عمر بن

(١) فقال : يعنى الخارجي

(٢) هو ابراهيم بن أدهم كان من اكابر النساك وافاضل الزهاد وكان غزاء

(٣) عنز مصور : يريد صورة عنز لا حقيقتها

(٤) هو ابو موسى عبد الله بن قيس الأشعرى قدم على رسول الله فى وفد من اخوته وقومه فأسلموا جميعاً وشهد مع رسول الله خيبراً وما بعدها من المشاهد . وكان خفيف الجسم قصيراً ثطاحسن الصوت بالقراءة ، ولى القضاء لعمر وشهد مع على صفين واختير محكما عن على فأضاع صاحبه بسلامة صدره وتغلب عمرو بن العاص عليه بدهائه . وقد روى ابن قتيبة فى المعارف أن أبا موسى عثر بقبر دانيال النبى بناحية السوس فأخرج رفاته وكفنه وصلى عليه ثم قبره . توفى سنة ٥٢ هـ

(٥) ياهناه : هذا حرف نداء خاصة

الخطاب إلى سَعد ابن أبي وَقّاص[١] : يا سعد سعد بنى أهيب ، إن الله إذا أحب عبداحببه إلى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن مالك عند الله مثل الذى لله عندك .

ومات لعمر بن ذر ابنٌ فقال : أى بنى شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك !
وقال رجل من مُجَاشع : كان الحسن يخطب فى دم فينا فأجابه رجل فقال : وقد تركت ذلك لله ولوجوهكم ! فقال الحسن : لا تقل هكذا بل قل : لله ثم لوجوهكم ، وآجرك الله .

ومر رجل بأبى بكر رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل : لا ، وعافاك الله !

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا عن شىء فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شَقِينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم ، إذا سُئل أحدكم عن شىء لا يعلمه فليقل : لا علم لى . وكان أبو الدرداء يقول : أبغض الناس إلىَّ أن أظلمه من لا يستعين على بأحد إلا بالله .

وذكر ابن ذَر الدنيا فقال : كأنكم إنما زادكم فى حرصكم عليها ذم الله عز وجل لها . ونظر أعرابى إلى مال له كثير من الماشية وغيرها فقال : ينُعةٌ[٢] ، ولكل ينُعةٍ استحشاف . فباع ما هنالك من ماله ثم لزم ثغرا من ثغور المسلمين حتى مات فيه . وتمنى قوم عند يَزِيد الرَّقاشى فقال : أتمنى كما تمنيتم ؟ قالوا : تمنه .

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص الزهرى الصحابى الجليل والفاتح العظيم . كان أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد أصحاب الشورى . وكان أرمى الناس ودعا له النبي فقال : اللهم استجب دعوته وسدد رميته . ولاه عمر الكوفة وقاد الجيوش فى حرب القادسية . ثم ولى الكوفة لعثمان ثم عزله بالوليد ابن عقبة فلما قدم عليه قال سعد للوليد : يا أبا وهب ، أكست بعدنا أم حمقنا بعدك ؟ فقال : ما كسنا ولا حمقت ، ولكن القوم استأثروا . وكان لسعد قصر بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فلما مات به حمل على رقاب الناس إلى المدينة ، وهو آخر العشرة موتا . وكان أسلم وهو ابن تسع عشرة سنة . ومات سنة ٥٥ هـ

(٢) ينعة : يعنى أنها كالزهرة النضرة التى غايتها إلى ذبول

قال : ليتنا لم نخلق ، وليتنا إذ خلقنا لم نعص ، وليتنا إذ عصينا لم نمت ، وليتنا إذ متنا لم نبعث ، وليتنا إذ بعثنا لم نحاسب ، وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب ، وليتنا إذ عذبنا لم نخلد .

وقال الحجاج : ليت الله إذ خلقنا للآخرة كفانا أمر الدنيا فرفع عنا الهمّ بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح ، أو ليته إذ وقعنا في هذه الدار كفانا أمر الآخرة فرفع عنا الاهتمام بما ينجي من عذابه . فبلغ كلامهما[١] عبدَ الله بنَ حَسن بن حسن ، أو عَليّ بن الحُسَين ، فقال . ما علما شيئًا في التمنى ، ما اختار الله فهو خير . قال أبو الدّرْداء : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ماعنده إلا بتركها . قال شُريح[٢] : الحدة كناية عن الجهل . وقال أبو عبيدة : العارضة كناية عن البذاء .

وإذا قالوا : فلان مقتصد ، فتلك كناية عن البخل ، وإذا قالوا للعامل مستقص ، فهو كناية عن الجوْر . وقال حبيب بن أوس الشاعر أبو تمّام الطائي[٣]

---

(١) يعني كلام يزيد الرقاشي والحجاج

(٢) هو شريح بن الحارث الكندى . كان من أفاضل القضاة وأماثل الحكام ولاه عمر بن الخطاب قضاء الكوفة فظل عليها ٧٥ سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير فاستعفى الحجاج فأعفاه . وكان كثير الترويح عن نفسه في مجلس القضاء بالمزح مع المتقاضين . مات عن ١٢٠ سنة في سنة ٨٠ هـ

(٣) هو ابو تمام حبيب بن اوس الطائى الشاعر المبدع المشهور . مات سنة ٢٣٠ هـ وهذه الأبيات من كلمة يهجو بها عياش بن لهيعة ارويها هنا لاختلاف روايتها عما رواه الجاحظ في الأصل . قال :

النار والعار والمكروه والعطب والقتل والصلب والمران والخشب
بنى لهيعة ما بالى وبالكم وفى التلاد مناديح ومضطرب
لحاجة بي فيكم ليس يشبهها إلا لحاجتكم فى انكم عرب
اشكيتمونى فلما ان شكوتكم غضبتم دام ذاك السخط والغضب
كذبتم ليس يزهى من له حسب ومن له نسب عمن له ادب
إني لذو عجب منكم اكرره فيكم وفى عجبي من لؤمكم عجب
عياش مالك فى اكرومة أرب ولا لأكرومة من ساقط ارب
يا اكثر الناس وعداحشوه خلف واكثر الناس قولا كله كذب

كَذَبْتُمْ لَيْسَ يُزْهَى مَنْ لَهُ حَسَبٌ ... وَمَنْ لَهُ نَسَبٌ عَمَّنْ لَهُ أَدَبُ
إِنِّى لَذُو عَجَبٍ مِنْكُمْ أُرَدِّدُهُ ... فِيكُمْ وَفِى عَجَبِى مِنْ زَهْوِكُمْ عَجَبُ
لَجَاجَةٌ بِىَ فِيكُمْ لَيْسَ يُشْبِهُهَا ... إِلَّا لَجَاجَتُكُمْ فِى أَنَّكُمْ عَرَبُ

وقيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءك عن ابنك ؟ قالت : إن مصيبته أمنتني من المصائب بعده . وقال سعيد بن عثمان بن عفان لِطوَيس المغنى : أينا أسن؟ أنا أو أنت ياطُوَيس ؟ فقال : بأبى أنت وأمى ، لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب ! فانظر إلى حذقه وإلى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل : بزفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك ؟ وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى .

وقال رجل من أهل الشام : كنت فى حلقة أبى مُسْهِر فى مسجد دمشق فذكرنا الكلام و براعته والصمت ونبالته ، قال : كلا إن النجم ليس كالقمر ، إنك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام بالصمت . وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيبا : يابنى ، إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب وإذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب ، قال : يا أبه ، فان أنا أكثرت وأكثرت ؟ ! يعنى كلاما وصوابا ، قال : يابنى ، مارأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك !

وقال ابن عباس : لولا الوسواس ماباليت أن لا أكلم الناس .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما تستبقوا من الدنيا تجدوه فى الآخرة . وقال رجل للحسن : إنى أكره الموت . قال : ذلك لأنك أخرت مالك ولو قدمته لسرك أن تلحق به . وقال عامر بن الظَّرِب العَدْوَانِىُّ (١) : الرأى نائم

---

(١) هو عامر بن الظرب العدوانى . كان من حكام العرب فى الجاهلية يعنى أن العرب كانت تحتكم إليه عند النوازل فكان عندهم مرضى الحكم . وهو من المعمرين . فلما تقدمت به السن قال له أحد أولاده : إنك كبرت وربما أخطأت فى الحكم فيحمل عنك ؟ قال : فاجعلوا لى أمارة أعرفها فاذا زغت فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب . فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه فى البيت ومعه العصا فاذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فرجع إلى الصواب . فقيل فيه « إن العصا قرعت لذى الحلم » ويروى له شعر جيد وكلام مسدد

والهوى يقظان ، فمن هنا يغلب الهوى الرأى . وقال : مكتوب فى الحكمة : إشكر لمن أنعم عليك ، وانعم على من شكر لك . وقال أبو الدرداء: أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ماتعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا .

وقال عبد الملك على المنبر : ألا تنصفوننا يامعشر الرعية ؟ تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر ولم تسيروا فى أنفسكم ولا فينا سيرة رعية أبى بكر وعمر ؟! نسأل الله أن يعين كلا على كل . وقال رجل من العرب : أربع لا يشبعن من أربع : أنثى من ذكر ، وعين من نظر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر (١)

وقال موسى عليه السلام لأهله « امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ » فقال بعض المعترضين : فقد قال « أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ » قال أبو عُقيل : لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ، ومن الجائع المقرور . وقال لَبِيدُ بْنُ رَبيعة :

وَمَقَامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ ... بِبَيَانٍ وَلِسَانٍ وَجَدَلْ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ ... زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِى وَزَحَلْ (٢)
وَلَدَى النُّعْمَانِ مِنِّى مَوْطِنٌ ... بَيْنَ فَاثُورِ أُفَاقٍ فَالدَّحَلْ (٣)
إِذْ دَعَتْنِى عَامِرٌ أَنْصُرُهَا ... فَالْتَقَى الأَلْسُنَ كَالنَّبْلِ الدُّوَلْ (٤)
فَرَمَيْتُ القَوْمَ رِشْقاً صَائِباً ... لَيْسَ بِالْعُصْلِ وَلَا بِالْمُقْتَعَلْ (٥)
وَانْتَضَلْنَا وَابْنُ سَلْمَى قَاعِدٌ ... كَعَتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضِى وَيُجَلْ (٦)

(١) وعلى ذكر هذه الاربع أذكر للمقتدر الخليفة العباسى أربعا من أظرف ماقيل ، وهى : اربع من لذات الدنيا : النظر إلى الوجوه الصبيحة الجميله ، وشم الأرواح الثقيلة البغيضه ، وصفع الأقفية اللحيمة الشحيمه ، وحلق اللحى الطويلة العريضه .

(٢) زحل : زل عن مكانه وتحول

(٣) فاثور أفاق والدحل : اسما موضعين

(٤) الدول : المتداول

(٥) الرشق : السهم . العصل « بكسر الصاد » المعوج ، والمقتعل : الذى لم يبر بريا جيدا ، فهو ينفى عن السهم هذه الصفات

(٦) انتضلنا : ناضل بعضنا بعضا بالنبال والمراد هنا القول الصائب

وَقَبِيلٌ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ رَهْطُ مَرْجُومٍ وَرَهْطُ ابْنِ الْمُعَلْ

وقال :

وَأَبْيَضَ يَجْتَابُ الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجَى خَطِيبًا إِذَا الْتَفَّ الْمَجَامِعُ فَاصِلَا (١)

وقال لبيدٌ :

لَوْ كَانَ حَيٌّ فِى الْحَيَاةِ مُخَلَّدًا فِى الدَّهْرِ أَدْرَكَهُ أَبُو يَكْسُومِ (٢)

بِكَتَائِبٍ خُرْسٍ تَعَوَّدَ كَبْشُهَا نَطْحَ الْكِبَاشِ شَبِيهَةٍ بِنُجُومِ (٣)

وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتَ خَلِيقَتِى وَلَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِى تَعْلِيمِى

وقال لَبِيدٌ :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِى أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِى خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ

يَتَأَكَّلُونَ مَغَالَةً وَخِيَانَةً وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ (٤)

وقال زَيْدُ بن جُنْدَب (٥) فى ذكر الشغب :

مَا كَانَ أَغْنَى رِجَالًا ضَلَّ سَعْيُهُمْ عَنِ الْجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الشَّغَبِ

وقال آخر فى الشغب :

إِنِّى إِذَا عَاقَبْتُ ذُو عِقَابِ وَإِنْ تُشَاغِبْنِى فَذُو شِغَابِ

وقال ابن أحمرُ بن العَمَرد :

وَكَمْ حَلَّهَا مِنْ تَيِّحَانٍ سَمَيْذَعٍ مُصَافِى النَّدَى سَاقٍ بِسَهْمَاءَ مُطْعِمِ (٦)

---

(١) يجتاب الخروق : يقطع الفاوز . الوجى : الحفا وهو مرض يعتري القدمين من كثرة المشي . الفاصل : القاطع

(٢) ابو يكسوم : هو قائد جيوش الحبشة التى جاءت لغزو بلاد العرب وامتلاك الكعبة ، ومعها الفيل

(٣) الخرس : التى لاصوت لها . والكبش هنا هو قائد الجيش

(٤) مغالة : سرقة واغتيالا

(٥) هو زيد بن جندب الايادى خطيب الازارقة . وانظر صفحات ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و٦٢

(٦) التيحان : الكثير الحركة العريض « بكسر العين وتشديد الراى » للأمور . السميذع : السيد الكريم . والسهماء : السنة الشديدة التى تسهم معها الاجسام اى تذهب اللحم وتدع الجلد على العظم

طَوِى الْبَطْنِ مِتْلَافٍ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا ... عَلَى الأَمْرِ غَوَّاصٍ وَفِى الحَىِّ شَيْظَمُ (١)

وقال :

هَلْ لَامَنِى قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ ... أَوْ فِى مُخَاصَمَةِ اللَّجُوجِ الأَصْيَدِ (٢)

وقال فى التطبيق :

فَلَمَّا أَنْ بَدَا القَعْقَاعُ لَجَّتْ ... عَلَى شَرَكٍ تُنَاقِلُهُ نِقَالَا

تَعَاوَرْنَا الحَدِيثَ وَطَبَّقَتْهُ ... كَمَا طَبَّقْتَ بِالنَّعْلِ المِثَالَا

وهذا التطبيق غير التطبيق الأول :

وقال آخر :

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِى ... بِالعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الأَمْرِ

وقال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة :

قال لقمان لابنه : يابنى ، إنى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت ،

وقال الشاعر :

مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِى مَرَّةً ... وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الكَلَامِ مِرَارَا

وقال آخر .

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ ... وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ

إِنَّمَا المُسْلِمُ مَنْ ... أَلْجَمَ فَاهُ بِلِجَامِ

وقال آخر فى التحذير والاحتراس .

أَخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ ... وَالْتَفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الكَلَامِ

(١) شيظم : طويل فتى لحيم

(٢) الاصيد : المتكبر

وقال فى مثل ذلك .

لاأسألُ النَّاسَ عمَّا فى ضمائرِهِمْ ... مَافِى ضَمِيرِى لَهُمْ مِنِّى سَيَكْفِينِى

وقال حمزة بن بيض (١)

لَمْ يَكُنْ عَنْ جِنَايَةٍ لحِقَتْنِى ... لا يَسَارِى وَلاَ يَمِينِى جَنَتْنِى

بَلْ جَنَاهَا أَخٌ عَلَىَّ كَرِيمٌ ... وَعلى أَهْلِهَا بَرَاقِشُ تجْنِى

لأن هذه الكلبة — وهى براقش — إنما نبحت غزيا وقد مروا من ورائهم وقد رجعوا خائبين مخفقين ، فلما نبحتهم استدلوا بنباحها على أهلها فاستباحوهم ولو سكتت كانوا قد سلموا ، فضرب ابن بيض بها المثل . وقال الأخطل :

تَنِقُّ بلاَ شَىْءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ ... وَمَاخِلْتُهَا كانَتْ تَرِيشُ وَلاَ تَبْرِى (٢)

ضَفَادِعُ فى ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تجاوَبَتْ ... فَدَلَّ عليْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ النَّهْرِ

وقالوا : ألصمت حكم وقليل فاعله . وقالوا . إستكثر من الهيبة صامت . وقيل لرجل من كلب طويل الصمت . : بحق ماسمتكم العلماء خُرس العرب ! فقال : أسكت فأسلم وأسمع فأعلم . وكانوا يقولون : لا تعدلوا بالسلامة شيئاً ، [فإنك] لا تسمع الناس يقولون : جلد فلان حين صمت ولا قتل حين سكت ، وتسمعهم يقولون : جُلد فلان ين قال كذا وكذا وقُتل حين قال كذا وكذا . وفى الحديث المأثور : رحم الله من سكت فسلم أو قل خيراً فغنم . والسلامة فوق الغنيمة لأن السلامة أصل والغنيمة فرع .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللهَ يبغضُ الْبَلِيغَ الَّذِى يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا »

---

(١) هو حمزة بن بيض الكوفى شاعر من شعراء الدولة الأموية وبليغ من بلغائها . وكان خليعا ماجنا يعد من فحول طبقة الخلعاء المجان . وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وفى حاشيته ثم التحق بأبان بن الوليد وبلال بن أبى بردة الأشعري . وافاد منهم مالا جزيلا . ولم يدرك الدولة العباسية

(٢) قال الجاحظ . النقيق صياح الضفادع ،

وقيل . إن كان الـكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين : إنما عاب النبي صلى الله عليه وسلم المتشادقين والثرثارين والذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها ، والاعرابى المتشادق ، وهو الذى يصنع بفكيه وشدقيه مالا يستجيزه أهل الأدب من خطباء أهل المدر، فمن تـكلف ذلك منهم فهو أعيب والذم له ألزم . وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ، ولم يكن الناس جميعا يتمثلون بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع . ومدار العلم على الشاهد والمثل . وإنما حثوا على الصمت لان العامة إلى معرفة خطأ القول أسرع منهم إلى معرفة خطأ الصمت ، ومعنى الصامت فى صمته أخفى من معنى القائل فى قوله ، وإلا فالسكوت عن قول الحق فى معنى النطق بالباطل . ولعمرى إن الناس إلى الـكلام لأسرع ، لأن فى أصل التركيب أن الحاجة إلى القول والعمل أكثر من الحاجة إلى ترك العمل والسكوت عن جميع القول. وليس الصمت كله أفضل من الـكلام كله ولا الـكلام كله أفضل من السكوت كله ، بل قد علمنا أن عامة الـكلام أفضل من عامة السكوت . وقد قال الله عزوجل « سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ » فجعل سمعه وكذبه سواء. وقال الشاعر:

بَنِى عَدِيٍّ أَلَا يُنْهَى سَفِيهُكُمُ ... إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورُ

وقال آخر :

فإِنْ أَنَا لَمْ آمُرْ وَلَمْ أَنْهَ عَنْكُمَا ... ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلِجَّ وَيَسْتَشْرِى (١)

وكيف يكون الصمت أنفع والإيثار له أفضل ، ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه ، ونفع الـكلام يعم ويخص! والرواة لم يرووا سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين . وبالـكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت . ومواضع الصمت المحمودة قليلة ومواضع الـكلام المحمودة كثيرة . وطول الصمت يفسد البيان . وقال بكر بن عبد الله المزنى : طول الصمت حُبْسَةٌ كما قال عمر : ترك الحركة

(١) يلج من اللجاج . ويستشرى : ويتفاقم أمره ويتزايد لجاجه

عُقْلَة (١) . وإذا ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه وفسد حسه .
وكانوا يُروون صبيانهم الأرجاز ويعلمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت
وتحقيق الإعراب لأن ذلك يفتق اللَّهاة ويفتح الجرم . واللسان إذا أكثرت
تحريكه رق ولان وإذا أقللت تقليبه وأطلت إسكاته جسا (٢) وغلظ . وقال عُبَابة
الْجُعْفِيُّ : لولا الدُّربة وسوء العادة لأمرت فتياننا أن يماري بعضهم بعضا . وأية جارحة
منعتها الحركة ولم تمرنها على الأعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع .

فلِمَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي : « لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ »
ولِمَ قال لكعب بن مالك : « مَا نَسِيَ اللهُ لَكَ مَقَالَكَ ذَلِكَ » ولم قال لهيذان
ابن شيخ : « رُبَّ خَطِيبٍ من عَبْسٍ » ؟ ولم قال لحسَّان لما هيج الغطاريف على
بنى عَبْدِ مَنَافٍ : « واللهِ لَشِعْرُكَ أَشَدُّ عَلَيْهِم مِنْ وَقْعِ السِّهَامِ فِي غَبَشِ الظَّلَامِ » ؟

وما نشك أنه صلى الله عليه وسلم قد نهى عن المراء ، وعن التزيد والتكلف
وعن كل ما ضارع الرياء أو السمعة والتفيج والبذخ (٣) وعن التهاتر والتشاغب وعن
المغالبة والمماتنة . فأما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبين الكلام كلام الله وهو
الذي مدح التبيين وأهل التفصيل ! ؟ وفى هذا كفاية إن شاء الله .

قال دَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ : إن للعلم أربعا : آفة ونكدا وإضاعة واستجاعة ،
فآفته النسيان ونكده الكذب وإضاعته وضعه فى غير موضعه واستجاعته
أنك لا تشبع منه . وإنما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء ، ولخرق سياسة
أكثر الرواة ، لأن الرواة إذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ماقد حصلوه
وتدبر ماقد دونوه كان ذلك الازدياد داعيا إلى النقصان ، وذلك الربح سببا للخسران
وقد جاء فى الحديث « مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ مَنْهُومٌ فِي الْعِلْمِ وَمَنْهُومٌ فِي الْمَالِ »
وقالوا : علم علمك وتعلم علم غيرك ، فاذا أنت قد علمت ماجهلت وحفظت ماعلمت

(١) العقلة : احتباس الأعضاء عن التصرف واعتقالها عن اداء وظائفها .
(٢) جسا : صلب
(٣) التفيج والبذخ : التكبر والتبذخ والذهاب بالنفس

وقال الخَليلُ بْنُ أَحْمد(١) : إجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيها لك على ماليس عندك . وقال بعضهم ، وأظنه بَكْر بن عبد الله المزَنى : لاتكدوا هذه القلوب ولا تُهملوها فخير الكلام ما كان عقب الجِمَام(٢) ومن أكره بصره عَشى وعاودوا الفكر عند نَبَوات القلوب(٣) واشحذوها بالمذاكرة ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا امْتُحِنتم ببعض الإستغلاق فإن من أدام قرع الباب ولَج . وقال الشاعر :

إذَا المَرْءُ أعْيَتْهُ المُرُوءَةُ نَاشِئاً ... فَمَطْلَبُها كَهْلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ(٤)

وقال الأحنف : السُؤدد مع السواد(٥) . وتقول الحكماء : من لم ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها . وأنشد :

وَدُونَ النَّدَى فى كل قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ ... لهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنحَدَرٌ سَهْلُ(٦)

وَوَدَّ الفَتَى فى كل نَيْلٍ يُنِيلُهُ ... إذا مَا انقضى لَوْ أَنَّ نائِلَهُ جَزْلُ(٧)

وقال الهذَلىُّ :

وَإنَّ سِيَادَةَ الأقْوَامِ فاعْلَمْ ... لَهَا صُعَدَاءُ مَطْلَبُها طَوِيلُ

أتَرْجُو أنْ تَسُودَ وَلَنْ تَعَنَّى ... وَكَيفَ يَسُودُ ذُو الدَّعَةِ البَخِيلُ(٨)

وعن عُتْبَةَ بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشام قال : ما رأيت

(١) هو الخليل بن احمد الفراهيدى الازدى ، كان إماماً فى اللغة والنحو والادب واخبار العرب ، وهو اول من اخترع علم العروض ووضع قواعده واحكم اساسه ، واول من صنف فى علم اللغة حين وضع كتابه « العين » ولم يتمه . وكان على تعفف وتزهد وصلاح . وله شعر قليل إلا انه حسن فى شعر العلماء . وله كتب كثيرة جارعليها المؤلفون من بعده . ولد بالبصرة سنة ١٠٠ وتوفى سنة ١٦٠ هـ

(٢) عقب الجمام ، بعد الاستراحة من النصب والتعب

(٣) نبوات القلوب : نفورها

(٤) ناشئاً : صغيراً

(٥) سبق ان رويت هذه العبارة لعمر بن الخطاب

(٦) الثنية : العقبة فى الجبل

(٧) جزل : كثير

(٨) تعنى : تلقى العناء فى سبيل السيادة

عقول الناس إلا قريبا بعضها من بعض ، إلا ما كان من الحجاج و إياس بن معاوية، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس. أبو الحسن قال : سمعت أبا الضمرى الحارثى (؟) يقول : كان الحجاج أحمق بنى مدينة واسط فى بادية النَّبَطِ ثم قال لهم : لا تدخلوها ، فلما مات دَلَفوا [١] إليها من قريب. سمعت قَحْطَبَةَ الجُشَمِىَّ يقول : كان أهل البصرة لا يشكُّون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عُبيد الله ابن الحسن وعبيد الله بن سالم. وقال معاوية لِعَمْرو بن العاص : إن أهل العراق قد قرنوا بك رجلا [٢] طويل اللسان قصير الرأى ، فأجد الحز وطبق المفصل و إياك أن تلقاه برأيك كله ؟

باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول

قال الشاعر :

لها بَشَرٌ مِثْلُ الحريرِ وَمَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الحَوَاشِي لاهُرَاءٌ وَلا نَزْرُ [٣]

وقال ابنُ أحْمرَ :

تضعُ الحديثَ على مَواضعِهِ ... وكلامُها مِنْ بَعْدِهِ نَزْرُ

وقال الآخر :

حَدِيثٌ كَطَعْمِ الشَّهْدِ حُلْوٌ صُدُورُهُ ... وَأَعْجازُهُ الخُطْبَانُ دُونَ المَحَارِمِ [٤]

وقال بَشَّارٌ :

أُنُسٌ غَرائِرُ ما هَمَمْنَ بِرِيبَةٍ ... كظباءِ مكةَ صَيْدُهُنَّ حَرامُ [٥]

يُحْسَبْنَ مِنْ أُنْسِ الحَدِيثِ زَوَانِياً ... وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الخَنا الإسْلامُ

وقال بَشَّارٌ

فَنَعِمْنا وَالعَيْنُ حيٌّ كَمَيْتٍ ... بِحَدِيثٍ كَنَشْوَةِ الخَنْدَرِيسِ [٦]

---

(١) دلفوا : مالوا وزحفوا

(٢) يريد ابا موسى الاشعرى

(٣) الهراء : الكثير الذي لاخير فيه . والنزر : القليل

(٤) الخطبان : نبت كالهليون

(٥) أنس جمع آنسة وهي الفتاة تأنس بحديثها . غرائر جمع غريرة وهى الفتاة التى لم تستحكم بعد

(٦) العين : الرقيب . الخندريس : الخمر

وقال بشارٌ (١)

وَكأَنَّ رَفْضَ حَدِيثِهَا قِطَعُ الرِّيَاضِ كُسِينَ زَهْرَا
وَتَخَالُ مَا جُمِعَتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهَا ذَهَباً وَعِطْرَا
وَكأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرَا

وقال بَشَّارُ العُقَيْلِيُّ :

وَفَتَاةٍ صَبَّ الجَمَالُ عَلَيْهَا بِحَدِيثٍ كَلَذَّةِ النَّشْوَانِ

وقال بشار :

وَبِكْرٍ كَنُوَّارِ الرِّيَاضِ حَدِيثُهَا تَرُوقُ بِوَجْهٍ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

وقال بَشَّارٌ :

وَحَدِيثٍ كَأَنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ضِ وَفِيهِ الصَّفْرَاءُ وَالحَمْرَاءُ

وقال الأخطل :

فَأَسْرَيْنَ خَمْساً ثُمَّ أَصْبَحْنَ غُدْوَةً يُخَبِّرْنَ أَخْبَاراً أَلَذَّ مِنَ الخَمْرِ

أخبرنا عامر بن صالح أن عبد الله (٢) بن عمر بن عبد العزيز كتب الى امرأته وعند اخوان له :

---

(١) كان بشار يهوى امرأة من اهل البصرة فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك ثم اخلفته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى اصبح فلما لم تأته ارسل إليها يعاتبها فاعتذرت بمرض اصابها ، فكتب إليها بهذه الأبيات نرويها كاملة لما بينها وبين رواية الجاحظ من الخلاف :

ياليلتي تزداد نكرا من حب من احببت بكرا
حوراء إن نظرت إليك سقتك بالعينين خمرا
وكأنك رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا
وتخال ماجمعت عليه ثيابها ذهبا وعطرا
وكأنها برد الشرا ب صفا ووافق منك فطرا
جنية إنسية أو بين ذاك أجل أمرا
وكفاك أني لم احط بشكاة من أحببت خبرا
إلا مقالة زائر نثرت لى الاحزان نثرا
متخشعا تحت الهوى عشرا وتحت الموت عشرا

(٢) كان بالأصل عبد العزيز ، والصواب ما اثبتناه

إن عِنْدِى أبقاكَ رَبُّكَ ضَيْفاً   وَاجِباً حَقُّهُمْ كُهُولاً وَمُرْدَا
طَرَقُوا جَارَكَ الَّذِى كَانَ قِدْماً   لاَيَرَى مِنْ كَرَامَةِ الضَّيْفِ بُدّاً
فَلَدَيْهِ أَضْيَافُهُ قَدْ قَرَاهُمْ   وَهُمُ يَشْتَهُونَ تَمْراً وَزُبْدَا
فَلِهَذَا جَرَى الحَدِيثُ وَلَكِنْ   قَدْ جَعَلْنَا بَعْضَ المزَاحَةِ جِدّاً

وأنشد الهُذَلِىُّ :

كُرُّوا الأَحَادِيثَ عَنْ لَيْلَى إِذَا بَعُدَتْ   إِنَّ الأَحَادِيثَ عَنْ لَيْلَى لَتُلْهِينِى

وقال الهُذَلِىُّ فى حلاوة الحديث :

وَإِنَّ حَدِيثاً مِنْكِ لَوْ تَبْذُلِينَهُ   جَنَى النَّحْلِ أَوْأَلْبَانُ عُوذٍ مَطَافِلِ (١)
مَطَافِيلُ أَبْكَارٌ حَدِيثٌ نِتَاجُهَا   تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ المَفَاصِلِ (٢)

وفى الكلام الموزون يقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر (٣)

فالْزَمِ الصَّمْتَ إِنَّ فى الصَّمْتِ حُكْماً   وَإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلاً فَزِنْهُ

(١) قال الجاحظ : العوذ جمع عائذ وهى الناقة إذا وضعت ، فاذا مشى ولدها فهى مرشح ، فاذا تبعها فهى متلية لانه يتلوها ، وهى فى هذا كله مطفل ، فان كان أول ولد لها ولدته فهى بكر »

(٢) قال الجاحظ : ماء المفاصل فيه قولان ، أحدهما أن المفاصل ما بين الجبلين واحدها مفصل ، وإنما اراد صفاء الماء لانه ينحدر عن الجبال ولا يمر بطين ولا تراب ، ويقال : مفاصل البعير وذكروا أن فيها ماء له صفاء وعذوبة»

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب . كان من فتيان بنى هاشم وأجوادهم وشعرائهم . وزعموا أنه كان يتزندق . وكان ورد الكوفة زائرا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز فتزوج بها فلما وقعت العصبية قال له أهل الكوفة : اخرج فأنت احق بهذا الامر من غيرك ! واجتمعت له جماعة فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه ، فلما خرج دعا إلى الرضا من آل محمد ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فبايعه بعض أهل الكوفة ثم اشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق . ثم قاتل عبدالله بن عمر ، غير ان جنوده تفرقت عنه فانهزم ثم جمع جموعا وتغلب بها على ماه الكوفة وماه البصرة وهمذان وقم والرى وقومس واصبهان وفارس . فلما قوي امره كتب إلى الامصار يدعو إلى نفسه . ثم إن مروان بن محمد جهز إليه الجيوش فلما راى ان لاقبل له بها قصد خراسان ومعه اخوته وهناك اخذه ابو مسلم وحبسه وفي حبسه كتب رسالته المشهورة إلى ابى مسلم وهى من اجود ما كتب فى مثل حاله . ثم خافه ابو مسلم فدس إليه من سمه فى الحبس

وقال أبو ذُؤَيْبٍ :

وَسِرْبٍ يُطَلَّى بالعَبِيرِ كَأَنَّهُ ... دِمَاءُ ظِبَاءٍ بالنُّحُورِ ذَبِيحِ (١)
بَذَلْتَ لَهُنَّ القَوْلَ إِنَّكَ وَاجِدٌ ... لِمَا شِئْتَ مِنْ حُلْوِ الكَلَامِ فَصِيحِ

وأنشد للحكم بن رَيْحَان من بنى عمرو بن كلاب :

يا أَجْدَلَ النَّاسِ إِنْ جَادَلْتَهُ جَدَلاً ... وَأَكْثَرَ النَّاسِ إِنْ عَاتَبْتَهُ عِلَلاَ
كَأَنَّمَا عَسَلٌ رُجْعَانُ مَنْطِقِهَا ... إِنْ كَانَ رَجْعُ الكَلَامِ يُشْبِهُ العَسَلاَ

وقال القَطَامِىُّ (٢) :

وَفِى الخُدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا ... حَتَّى تَصَيَّدْنَنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادِ
فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ ... مَوَاقِعَ المَاءِ مِنْ ذِى الغُلَّةِ الصَّادِى (٣)

وقال الأَخْطَلُ :

شُمُسٌ إِذَا خَطِلَ الحَدِيثُ أَوَانِسٌ ... يَرْقُبْنَ كُلَّ مُجَذَّرٍ تِنْبَالِ (٤)
أُنُفٌ كَأَنَّ حَدِيثَهُنَّ تَنَادُمٌ ... بِالْكَأْسِ كُلُّ عَقِيلَةٍ مِكْسَالِ (٥)

وقال أبو العَمَيْثَلِ (٦) .

لَقِيتُ ابْنَةَ السَّهْمِىِّ زَيْنَبَ مِنْ عُفْرٍ ... وَنَحْنُ حَرَامٌ مُسْىَ عَاشِرَةِ العَشْرِ (٧)

---

(١) قال الجاحظ : السرب « بكسر السين » الجماعة من النساء والبقر والطير والظباء . ويقال فلان آمن السرب « بفتح السين » وخلى السرب ، اى المسالك والمذاهب . وإنما هو مثل مضروب للصدر والقلب ، وعن الاصمعي : فلان واسع السرب « بكسر السين » اى واسع الصدر بطىء التأنيب »

(٢) هو عمير بن شييم القطامى ، شاعر فحل مقل مجيد نصرانى من شعراء الاسلام فى الدولة الأموية . ويروى انه اسلم . مات سنة ١٠١ هـ

(٣) قال الجاحظ : ينبذن يلقين ، الغلة الغليل العطش الشديد ، والصادى العطشان ايضا والاسم الصدى »

(٤) قال الجاحظ : الشمس النوافر ، التنبال القصير ، والمجذر مثله »

(٥) قال الجاحظ : الأنف جمع الانفة « بكسر النون » وهي المنكرة للشىء غير راضية عنه ، العقيلة المصونة فى اهلها وعقيلة كل شىء خيرته ، والمكسال ذات الكسل عن الحركة »

(٦) كان ابو العميثل من الشعراء الفحول ذوى الفصاحة والبلاغة واللسن ، وكان فخم العبارة بدوي الشارة ، وكان فى خاصة الامير طاهر بن الحسين وولده

(٧) قال الجاحظ : تقول مايلقانا فلان إلا عن عفر اي بعد مدة »

وإنّي وإيّاها لَحَتْمٌ مَبِيتُنا ... جميعاً ومسرانا مُغِذٌّ وذو فَتْرِ (١)
فكلّمتُها ثِنْتَينِ كالثلجِ منهما ... على اللَّوحِ والأخرى أحرُّ من الجمرِ (٢)

وأنشد :

وإنّا لَنَجْرِي بيننا حين نلتقي ... حديثاً له وَشْيٌ كوَشْيِ المطارفِ (٣)
حديثٌ كطعمِ القطرِ في المَحْلِ يُشْتَفَى ... به من جَوًى في داخلِ القلبِ لاطفِ (٤)

وقال الشمّاخُ بنُ ضِرار الغطفاني (٥)

يَقَرُّ بعيني أن أُنبَّأَ أنّها ... وإن لم أنلها أيِّمٌ لم تَزَوَّجِ (٦)
وكنتُ إذا لاقيتُها كان سِرُّنا ... وما بيننا مثلَ الشِّواءِ المُلَهْوَجِ (٧)

---

(١) قال الجاحظ : ويقال أغذ السير إذا جد فيه وأسرع »
(٢) قال الجاحظ : اللوح بالفتح العطش ، يقال لاح الرجل يلوح لوحا والتاح يلتاح التياحا إذا عطش ، واللوح أيضا الذى يكتب فيه ، واللوح بالضم الهواء ، يقال لاأفعل ذلك ولو نزوت في اللوح أو حتى تنزو في اللوح »
(٣) له وشى : يعنى مزخرف محسن جميل الحواشى
(٤) القطر : المطر ، المحل : الشدة والجدب ، جوي لاطف : خفي دقيق
(٥) كان في الأصل : التغلبي ، والصواب ما اثبتناه ، وهذان البيتان من قصيدة جيدة اولها ،

ألا ناديا أظعان ليلى تعرج ... فقد هجن شوقا ليته لم يهيج

وفيها يقول :

كنانية إن لم أنلها فانها ... على النأى من أهل الدلال المولج
وسيطة قوم صالحين يكنها ... من الحر في دار النوى ظل هودج
منعمة لم تلق بؤس معيشة ... ولم تغتزل يوما على عود عوسج
هضيم الحشا لايملأ الكف خصرها ... ويملأ منها كل حجل ودملج
تميح بمسواك الأراك بنانها ... رضاب الندي عن اقحوان مفلج
وإن مر من تخشى اتقته بمعصم ... وسب بنضح الزعفران مضرج
وترفع جلبابا بعبل موشم ... بكن جبينا كان غير مشجج
تخامص عن برد الوشاح إذا مشت ... تخامص حاق الخيل في الأمعز الوجي

يقر بعينى ، البيت . وبعده :

ولو تطلب المعروف عندى رددتها ... بحاجة لا القالى ولا المتلجلج

(٦) الايم : التى لازوج لها
(٧) الشواء : اللحم ، والملهوج : الذى لم ينضج ، قال الجاحظ : الملهوج المعجل الذى لم ينتظر به النضج ، يريد انهما من خوف الرقباء كانا على عجلة »

وقال جِرَانُ العَوْدِ (١)

فَنِلْنَا سِقَاطاً مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ … جَنَى النَّحْلِ أَوْ أَبْكَارُ كَرْمٍ يُقَطَّفُ (٢)

حَدِيثاً لَوَ أَنَّ البَقْلَ يُولَى بِمِثْلِهِ … زَهَا البَقْلُ وَاخْضَرَّ العِضَاهُ المُصَيِّفُ

وقال الكُمَيْتُ :

وَحَدِيثُهُنَّ إِذَا الْتَقَيْنَ … تَهَانُفُ البِيضِ الغَرَائِرْ (٣)

فَإِذَا ضَحِكْنَ عَنِ العِذَابِ … لَنَا المُسِفَّاتِ الثَّوَاغِرْ (٤)

كَانَ التَّهَلُّلُ بِالتَّبَسُّمِ … لَا الفَهَاهَةُ بِالقَرَاقِرْ (٥)

وقال الآخر [هو ذو الرمة]

وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا جَرَى مِنْ عُيُونِنَا … دُمُوعٌ كَفَفْنَا غَرْبَهَا بِالأَصَابِعِ

وَنِلْنَا سِقَاطاً مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ … جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجاً بِمَاءِ الوَقَائِعِ (٦)

وقال الأَشْعَثُ بنُ سُمَيٍّ :

هَلْ تَعْرِفُ المَبْدَا إِلَى السَّنَامِ … نَاطَ بِهِ سَوَاحِرُ الكَلَامِ

كَلَامُهُنَّ بُرْءُ ذِي السَّقَامِ

---

(١) هو عامر بن الحارث بن كلفة النميري شاعر فحل فصيح من شعراء العرب . وهذان البيتان من قصيدة جيدة اولها :

ذكرت الصبا فانهلت العين تذرف … وراجعك الشوق الذي كنت تعرف

(٢) لم اجد هذا البيت فى القصيدة ولكنى رايته يقول :

ينازعننا لذا رخيا كأنه … عوائر من قطر حداهن صيف

رقيق الحواشي لو تسمع راهب … ببطنان قولا مثله ظل يرجف

حديث لو ان البقل يولى بنفضه … نما البقل واخضر العضاه المصيف

هو الخلد فى الدنيا لمن يستطيعه … وقتل لاصحاب الصبابة مذعف

اما هذا البيت فهو للفرزدق وهو هكذا

إذا هن ساقطن الحديث كأنه … جنى النحل او ابكار كرم يقطف

ومما يلاحظ أن الجاحظ لا يدقق كثيرا فى رواية الشعر ولا يتحرى قائله وإنما كان على مايظهر يستملى من حافظته وكثيرا ما تخون الحافظة . وعندى ان اختياره فى البيت الثانى لكلمة « زها » ارق والطف فى كلمة « نما » التى في الرواية

(٣) التهانف : التضاحك بدل

(٤) العذاب : الثنايا التى حلا ريقها وعذب . المسفات الثواغر : الثغور اللطاف

(٥) القراقر : الضحك المسموع

(٦) ماء الوقائع : ماء المنابع العذبة

وقال الراجز، ووصف عيون الظباء بالسحر، وذكر قوسًا صفراء، فقال:

صَفْرَاءُ فَرْعٌ خَطَمُوهَا بِوَتَرْ ... لَأْمٍ مُمَرٍّ مِثْلِ حُلْقُومِ النُّغَرْ (١)

حَدَتْ ظُبَاتِ أَسْهُمٍ مِثْلِ الشَّرَرْ ... فَصَرَّعَتْهُنَّ بِأَكْنَافِ الْحُفَرْ (٢)

حُورَ الْعُيُونِ بَابِلِيَّاتِ النَّظَرْ ... يَحْسَبُهَا النَّاظِرُ مِنْ وَحْشِ الْبَشَرْ (٣)

باب آخر من الأسجاع فى الكلام

قال عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ: الله المستعان على ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخلف. ولما مدح عُتَيْبَةُ بْنُ مَرْدَاس عبد الله بن عباس قال: لا أعطى من يعصى الرحمن ويطيع الشيطان ويقول البهتان. وفى الحديث المأثور: «يقول العبدُ: مالى مالى؟؟ وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو أعطيت فأمضيت أو لبِست فأبليت»

وقال النَّمِرُ بْنُ تَوْلَبٍ:

أَعَاذِلُ إِنْ يُصْبِحْ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ ... بَعِيدًا فَآتِى صَاحِبِى وَقَرِيبِى (٤)

تَرَىْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبَّهُ ... وَأَنَّ الَّذِى أَنْفَقْتُ كَانَ نَصِيبِى

ووصف أعرابى رجلا فقال: صغير القدر قصيرُ الشِّبْرِ ضيق الصدر لئيم النَّجْرِ (٥) عظيم الكِبر كثير الفخر.

ووصف بعض الخطباء رجلا فقال: ما رأيت أضربَ لِمَثَلٍ ولا أركبَ لجمل ولا أصعدَ فى قُلَلٍ (٦) منه. وسأل بعض الأمراء رسولا قدم من جهة السند: كيف

(١) صفراء فرع: قوس غير مشقوقه. خطموها بوتر: ربطوا طرفيها بوتر. لأم ممر: يعنى ان الوتر مزدوج قد أمر فتله. والنغر: البلبل وقد شبه الوتر بحلقوم البلبل

(٢) الظبات: نصول السهام

(٣) حور العين: واسعو الحدقات. بابليات النظر. ينظرن بفتور كأنه السحر. ويروى: من وحش البقر

(٤) قال الجاحظ: الصدى طائر يخرج من قبر الميت فينعى إليه ضعف وليه وعجزه: وهذا كانت العرب تقوله فى الجاهلية، وهو هنا مستعار، اي إن اصبحت انا»

(٥) قال الجاحظ: الشبر القامة. والنجر الطباع»

(٦) القلل: هي رؤس الجبال

رأيتم البلاد ؟ فقال : ماؤها وَشَل (١) ولِصُّها بَطَل وتمرها دَقَل (٢) ، إن كثر الجند بها جاعوا ، وإن قلوا بها ضاعوا . وقيل لصَعْصَعة بن معاوية : من أين أقبلت ؟ قال : من الفجّ العميق ؟ (٣) قيل : فأين تريد ؟ قال : البيت العتيق (٤) . قيل : هل من مَطر ؟ قال : نعم ، حتى عفا الأثر وأنضر الشجر ودَهْدَه الحجر (٥) . واستجار عوْنُ بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بمحمد بن مرْوان بنصيبين وتزوج بها امرأة ، فقال محمد : كيف ترى نصِيبين ؟ قال : كثيرة العقارب قليلة الأقارب . !!

يريد بقوله : قليلة ، كقول القائل : فلان قليل الحياء ، ليس يريد أن هنالك حياء وإن قل . يضعون قليلا فى موضع ليس .

وَوَلِيَ علاء الكلابي عملا خسيساً بعد أن كان على عمل جسيم ، فقال : أَلْعَنوق (٦) بعد النوق !؟ قال : ونظر رجل من العباد إلى باب بعض الملوك فقال : باب جديد وموت عتيد ونَزْع شديد وسفر بعيد . وقيل لبعض العرب : أى شىء تَمَنّى وأي شىء أحب إليك ؟ قال : لواء منشور والجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لآخر وصلى ركعتين وأطال فيهما وقد كان أمر بقتله : أجَزِعت من الموت ؟ فقال : إن أجزع فقد أرى كفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً وقبرَ محفوراً (٧) وقال عبد الملك بن مَرْوان لأعرابى : ما أطيب الطعام ؟ قال : بَكْرَةٌ

(١) الوشل : القليل الآسن

(٢) الدقل : الردئ

(٣) الفج العميق : المكان البعيد

(٤) البيت العتيق : الحرم المكى

(٥) دهده الحجر : حركه واكتسحه

(٦) العنوق : الاناث من صغار المعزى

(٧) قائل هذا هو حجر بن عدى الكندى كان من أماثل الصحابة وكان ينكر على بنى أمية سب على على المنبر وكان بيته فى الكوفة مثابة للشيعة فكانوا يجاهرون بسب معاوية فأخذه زياد وهو أمير العراق فحبسه مع اثنى عشر رجلا من خاصة اصحابه ثم كتب إلى معاوية فى شأنه وبعث الكتاب وحجرا واصحابه إليه فلما قربوا من دمشق حبسوا في مكان وقتل منهم فيه ستة منهم حجر واطلق سبيل الباقين. وبعده : ولست ادري ايؤدبنى إلى جنة ام إلى نار

سَنِمَةٌ مُعْتَبَطة غير ضَمِنه فى قدور رَذِمه بشفار خَذِمه فى غداة شَبِمه ..!؟
فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطبت .. !! (١)

وقالوا : لا تغتر بمناصحة الأمير إذا غشك الوزير : وقالوا: مَن صادَق الكتاب أغنوه ومن عاداهم أفقروه . وقالوا : إجعل قول الكذاب ريحاً (٢) تكن مستريحا

وقيل لِعَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ عِيْسَى الرَّقاشى : لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى و إقامة الوزن ؟ قال : إن كلامى لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لَقَلّ خلافى عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد و بقلة التفلت . وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عُشره ولا ضاع من الموزون عشره . قالوا : فقد قيل للذى قال : يا رسول الله ، أرَأيت من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل ، أليس مثل ذلك يِطَلّ؟ (٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسجعٌ كسجع الجاهلية » ؟ قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالا لحق فتشادق فى كلامه .

وقال غير عبد الصمد : وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالوا شعراً قليلا كان ذلك أم كثيراً ، وسمعوا واستنشدوا ، فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز ، فكيف يحل ما هو أكثر و يحرم ما هو أقل . !؟
وقال غيرهما : إذا لم يطل ذلك ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلبة أو ملتمسة متكلفة وكان ذلك كقول الأعرابى لعامل الماء : حَلبت رِكابى (٤) وحرقت ثيابى وضربت

(١) البكرة السنمة : الناقة ذات السنام الجيد . معتبطة غير ضمنة : نحرت لغير علة ولا زمانة ولا ضعف . فى قدور رذمة : فى قصاع ممتلئة . بشفار خذمة : بسكاكين حادة قاطعة . فى غداة شبمة : فى صبيحة باردة لينة . قال الجاحظ : الشبم البارد »
(٢) ريحا : يريد به الضراط
(٣) يريد السؤال عن المولود المخدج الذى نزل سقطا بلا روح ولا نفس هل له دية ام دمه مطلول لادية له ولا فداء ! والظاهر ان امه كانت اجهضت
(٤) قال الجاحظ : الركاب ماركب من الابل»

صحابى ومنعت إبلى من الماء والـكلأ ؟ ! قال : أوَسجعٌ أيضا ؟ فقال الأعرابى : فـكيف أقول ؟ ؟

لأنه لو قال : حلبت إبلى أو جمالى أو نوقى أو بُعرانى أو صِرمتى لـكان لم يعبر عن حق معناه ، وإنما حُلبت ركابه ، فكيف يدع الركاب إلى غير الركاب ؟ وكذا قوله : حرقت ثيابى وضربت صحابى ، لأن الـكلام إذا قل وقع وقوعاً لا يجوز تغييره ، وإذا طال وجدت فى القوافى ما يكون مجتلباً ومطلوباً مستكرها

وفى الحديث المأثور — ويدخل على من طعن فى قوله تعالى « تَبَّتْ يدَا أَبِى لَهَب » وزعم أنه شعر لأنه فى تقدير : «ستفعلن مفاعلن — وطعن فى قوله عليه السلام « هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيْتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيْتِ »[1] فيقال له : إعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل : مستفعلن فاعلن كثيراً ، وليس أحد فى الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً ، ولو أن رجلا من الباعة صاح : مَنْ يشترى باذِنْجَان ؟ لقد كان تكلم بكلام فى وزن : مستفعلن مَفعولان ! فـكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الـكلام . وإذا جاء المقدار الذى يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرا . وهـذا قريب ، والجواب فيه سهل بحمد الله . وسمعت غلاماً لصديق لى وكان قد سَقِىَ بَطنُه[2] يقول لغلمان مولاه : إذهبوا بى إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى . وهذا الـكلام يخرج وزنه : فاعلاتن مفاعلن ، مرتين . وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول بيت شعر أبدا ، ومثل هذا كثير لو تتبعته فى كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته .

وكان الذى كرّه الأسجاع بعينها ـ وان كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة ـ أن كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون اليهم وكانوا يدعون الـكهانة وأن مع كل واحد منهم رَئِيًّا من الجن مثل : حَازِى جُهَينة ، ومثل شِقّ ،

(١) وقد زعم بعضهم ان هذا بيت من الشعر قاله النبي إنشادا لا إنشاء .

(٢) سقي بطنه : يعني أصابه مرض بالاستسقاء

وسَطِيحٍ ، وعُزى سلمة ، وأشباههم كانوا يتكهنون ويحكمون بالاسجاع ، كقوله : والأرض والسماء ، والعقاب والصقعاء ، واقعة ببقعاء ، لقد نفر المجد بنى العشراء ، للمجد والسناء . وهذا الباب كثير . ألا ترى أن ضَمْرَةَ بْنَ ضَمْرَةَ وَهَرِمَ بنَ قُطْبَةَ والأقرع بن حابسٍ ونُفَيْلَ بن عبدالعزَّى كانوا يحكمون و ينفرون بالأسجاع؟ وكذلك ربيعةُ بْنُ حُذَارٍ ، فوقع النهى فى ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفى صدور كثير منهم ؟ فلما زالت العلة زال التحريم . وقد كان الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون فى تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينهوا منهم أحدا .

وكان الفضلُ بنُ عيسى الرَّقاشى سجاعاً فى قصصه ، وكان عمرو بن عُبيد وهِشَام بن حَسان وَأبَانُ بن أبى عَيَّاش يأتون مجلسه . قال له داود بن أبى هند : لولا أنك تفسر القرآن برأيك لأتيناك فى مجلسك ! قال : فهل ترانى أحرم حلالا وأحل حراما ..!؟ وانما كان يتلو الآية التى فيها ذكر النار والجنة والحشر والموت وأشباه ذلك .

وقد كان عبدُ الصمد بن الفضل وأبوالعباس القاسم بن يحيى ، وعامة قُصاص البصرة ، وهم أخطب من الخطباء ، بمجلس إليهم عامة الفقهاء .

وقد كان النهى ظاهراً عن مرثية أُمية بنِ أبى الصَّلْتِ لقتلى أهل بدر[١] كقوله :

هَلاَّ بَكَيْتَ عَلَى الكِرَامِ ... بَنِى الْكِرَامِ أُولِى المَمَادِحْ

(١) قلت : فلما زالت العلة زال النهى . والدليل على ذلك ان ابن اسحق صاحب السير والمغازى المتوفى ببغداد سنة ١٥١ ﻫ قد روي هذه المرثية وغيرها من المراثى ولم ير فى ذلك مانعا . ورواية ابن اسحق هكذا

الا بكيت على الكرا ... م بنى الكرام اولى الممادح
كبكا الحمام على فرو ... ع الأيك فى الغصن الجوانح
يبكين حرى مستكنـات ... يرحن مع الروائح
امثالهن الباكيا ... ت المعولات من النوائح
من يبكهم ... يبكى على حزن ويصدق كل مادح

وهى طويلة وثقيلة

وروى ناس شبيها بذلك فى هجاء الأعشى (١) لِعلقمةَ بنِ عَلاثةَ . فلما زالت العلة زال النهى .

وقال أبو وائلةَ بنِ خليفة فى عبدِ الملكِ بْنِ المُهلَّبِ :

لقدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أعْوادُ مِنْبَرٍ … تقومُ عَلَيْهـا فى يَدَيْكَ قَضِيبُ
بكى المِنْبرُ الغَرْبِىُّ إذ قُمْتَ فَوْقَهُ … فكَادَتْ مَسَامِيرُ الحَدِيدِ تَذُوبُ
رَأَيْتُكَ لَمَّا شِبْتَ أدْرَكَكَ الَّذِى … يُصِيبُ سَرَاةَ الْأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ
سَفَاهَةُ أحْلامٍ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ … وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ المَزُونَ عُيُوبُ

وخطب الوليدُ بنُ عبد الملك فقال: إن أمير المؤمنين عبدَ الملك كان يقول: إن الحجاجَ جِلدةُ ما بين عينى ، ألاَ وانه جلدةُ وجهى كله . وخطب الوليدُ بعد وفاة الحجاج وتوليته يَزِيدَ بنِ أبى مُسلم فقال : إنما مثلى ومثل يَزِيد بن أبى مُسلم بعد الحجاج كمن سقط منه دِرْهم فأصاب ديناراً .

شَبِيبُ بنُ شَيْبةَ قال: حدثنى خَالِدُ بْنُ صفوان قال : خطبنا يَزِيدُ بْنُ المُهَلَّبِ بواسطَ فقال: إنى قد أسمع قول الرعاع : قد جاء مَسْلَمَةُ ، وقد جاء العباسُ ، وقد جاء أهل الشام ؛ وما أهل الشام الا تسعة أسياف : سبعةٌ منها معى واثنان علىّ ، وأما مَسلَمَة فجرادةٌ صفراء ، وأما العباس فنسطوس بن نسطوس (٢) ، أتاكم فى برابرة وصقالبة وجَرامِقة وجَراجِمة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس ، إنما أقبل اليكم

(١) كان الأعشى اتى الاسود العنسى وامتدحه فأعطاه عطاء جزيلا فلما مر ببلاد بنى عامر خافهم على ما معه من المال فأتى علقمة بن علاثة مستجيرا به فقال قد اجرتك من الجن والانس ، قال : ومن الموت ؟ قال : لا . فأتى عامر بن الطفيل فأجاره حتى من الموت ، فقال الاعشى: وكيف تجيرنى من الموت ؟ قال : إن مت وانت فى جوارى بعثت إلى اهلك الدية ! فمدح عامرا وهجا علقمة ، ومما قاله فيه:

علقم ما انت إلى عامر … الناقض الاوتار والواتر
إن تسد الحوص فلم تعدهم … وعامر ساد بنى عامر

ولم يهج علقمة بشىء اشد عليه من قوله :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم … وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

(٢) العباس بن الوليد بن عبد الملك كان من أشجع الناس وكان يقال له « فارس بنى امية » اما قول يزيد أنه نسطوس بن نسطوس ، فانه يعرض بعربيته ويصفه بأنه رومي ، لان أم العباس كانت رومية نصرانية

الفلاحون والأوباش كأشلاء اللحم ، والله ما لقوا أقواما قط كحدّكم وحديدكم وعدكم وعديدكم ، أعيرونى سواعدكم ساعة من نهار تصفقون بها طراطيمهم ، فإنما هى غَدوة أو رَوحة حتى يحكم الله بيننا و بين القوم الفاسقين .

ومدح بشار هزارَ مرْدَ العتكى (١) بالخطب وركوبه المنابر، بل رثاه وأبنَّه فقال:

مَا بالُ عَينكَ دَمعُها مَسكُوبُ ... سَهِرَتْ فأَنتَ بِنَومِها مَحْرُوبُ (٢)

وكَذاكَ مَنْ صَحِبَ الحَوادِثَ لَم يَزَلْ ... تأتى عَلَيهِ سَلامَةٌ وَنُكُوبُ (٣)

يا أرضُ وَيحَكِ أكرِميهِ فإنَّهُ ... لَم يَبقَ لِلعَتَكِى فِيكِ ضَرِيبُ (٤)

أبهَى على خَشَبِ المَنابِرِ قائِمًا ... يَومًا وأَحزَمُ إذ تَشُبُّ حُرُوبُ

خطباء البصرة

قال : كان سوَّارُ بنُ عبد الله أول تميمى خطب على منبر البصرة، ثم خطب عبيد الله بن الحسن . وولى منبر البصرة أربعة من القضاة ، فكانوا قضاةً أمراء : بلال (٥) ، وسوَّار ، وعُبيد الله ، وأحمد بن رَباح . وكان بلالٌ قاضيا بن قاض ابن قاض ، وقال رؤبة :

فأنتَ يا ابنَ القاضيينِ قاضِ ... مُعتزِمٌ على الطَّرِيقِ ماضِ

قال أبو الحسن المدائنى : كان عُبيد الله بن الحسن حيث وفد على المهدى معزيا أعد له كلاما ، فبلغه أن الناس أعجبهم كلامه فقال لشبيب بن شيبة : إنى والله ما ألتفت إلى هؤلاء ، ولكن سل لى عنها أبا عُبيد الله الكاتب ؟ فسأله فقال :

---

(١) هو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن ابي صفرة الازدي العتكى . وهزار مرد معناه « الف رجل » كان شجاعا بطلا وفارسا مغوارا وخطيبا بليغا ، وكان جوادا سخيا كثير البذل والعطاء . وستأتى بقية هذه الأبيات فى الجزء الثانى إن شاء الله

(٢) محروب : مسلوب

(٣) النكوب :النكبات

(٤) الضريب : المثيل والنظير

(٥) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى ، كان قاضيا واميرا ، وكان ابو بردة واسمه عامر بن عبد الله قاضيا توفى سنة ١٠٣ أعنى أبا بردة

ما أحسن ما تكلم به ؟ على أنه أخذ مواعظ الحسن ورسائل غَيْلانَ (١) فلقح بينهما كلاما. فأخبره بذلك شبيب فقال عبيد الله : لا والله أن أخطأ حرفا واحداً.

وكان محمد بن سليمان له خطبة لا يغيرها ، وكان يقول : إن الله وملائكتُه فكان يرفع الملائكة ، فقيل له [في] ذلك فقال: خَرَّجُوا لها وجها! ولم يكن يدع الرفع.

قال : وصلى بنا خُزَيْمَةُ يوم النحر فخطب فلم يسمع من كلامه إلا ذكر أمير المؤمنين الرشيد وولى عهده محمد . قال : وكان زُهَيْرُ بْنُ محمد الضَّبِّيُّ يدار به إذا قرع المنبر . وقال الشاعر .

أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نَشْكُو ... وإِنْ كُنَّا نَقُومُ بِغَيْرِ عُذْرِ
غَفَرْتَ ذُنُوبَنَا وَعَفَوْتَ عَنَّا ... وَلَيْسَتْ مِنْكَ أَنْ تَعفُو بِبِكْرِ (٢)
فإِنَّ المِنْبَرَ البَصْرِيَّ يَشْكُو ... على العِلَّاتِ إِسْحَقَ بْنَ شِمْرِ
أَضَبُّ على خَشَبَاتِ مُلْكٍ ... كَمَرْكَبِ ثَعْلَبٍ ظَهْرَ الهِزَبْرِ (٣)

وقال بعض شعراء العسكر يهجو رجلا من أهل العسكر :

مَازِلْتَ تَرْكَبُ كلَّ شيءٍ قائِمٍ ... حَتى اجْتَرَأْتَ على رُكُوبِ المِنْبَرِ
مَازَالَ مِنْبَرُكَ الَّذِي دَنَّسْتَهُ ... بالأَمْسِ مِنْكَ كَحَائِضٍ لَمْ تَطْهُرِ

وقال آخر :

فَمَا مِنْبَرٌ دَنَّسْتَهُ باسْتِ أَفْكَلٍ ... بِزَاكٍ وَلَوْ طَهَّرْتَهُ بابْنِ طَاهِرِ (٤)

باب السجاع

عن الشعبي قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام « ألبر ثلاثة : ألمنطق

---

(١) هو غيلان الدمشقي القبطي ، كان هو ومعبد الجهني اول من تكلم في القدر ودعا إليه ، وكان معبد قبله ، فهما رأسا القدرية على الاطلاق، ولما ظهرت نحلته اخذه هشام بن عبد الملك وصلبه بباب دمشق . وكان كاتبا بليغا ومتكلما فصيحا وخطيبا مفوها

(٢) يعني ليست أول مراتك التي تعفو فيها عن الذنوب

(٣) الهزبر : الاسد

(٤) الافكل : الرعديد الجبان

والمنظر والصمت . فمن كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها » وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج . وقال يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبَ وهو فى الحبس : والهفاه على طِلْبَةٍ بمائة ألف وفَرَجٍ فى جبهة الأسد ؟ ! وقال عمر رضى الله تعالى عنه : استغزروا الدموع بالتذكر .

وقال عيسى بن عمر : سمعنا الحسن يقول : إقْدَعُوا هذه النفوس فإنها طُلَعَةٌ واعصوها فإنكم إن أطعتموها تنزع بكم إلى شر غاية ، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور (١) قال : فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بنِ الْعَلَاءِ فتعجب من كلامه . وقال الشاعر :

سَمِعْنَا بِهِيجاً أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتُهُ ... وَلَا يَبْعَثُ الأَحْزانَ مِثْلُ التَّذَكُّرُ (٢)

ومن الأسجاع قول أيوب بن القِرِّيَّةِ ، وقد كان دُعِى لكلام فاحتبس القول عليه فقال : قد طال السمر وسقط القمر واشتد المطر ، فماذا ينتظر ؟ فأجابه فتى من عبد القَيْسِ فقال : قد طال الأرق وسقط الشفق وكثر اللَّثَقْ (٣) ، فلينطق من نطق . وقال أعرابى لرجل : نحن والله آكل منكم للمأدوم وأكسب منكم للمعدوم وأعطى منكم للمحروم . ووصف أعرابى رجلا فقال : إنَّ رِفدَكَ لنجيح وإن خيرك لسريح ، وإن منعك لمريح (٤) .

وسئل أعرابى فقيل له : ما أشد البرد ؟ فقال . ريح جِرْبِياء ، فى ظلٍّ عماء فى غِب سماء (٥) ودعا أعرابى فقال : اللهم إنى أسألك البقاء والنماء وطيب

(١) قال الجاحظ : إقدعوا كفوا ، طلعة اي تطلع إلى كل شيء ، حادثوا اي اجلوا واشحذوا ، والدثور الدروس ، يقال دثر اثر فلان اى ذهب ، كما يقال درس وعفا »

(٢) قال الجاحظ : الوجيف السير الشديد ، يقال وجف الفرس والبعير واوجفته ، ومثله الايضاع وهو الاسراع ، اراد بهيجاء اقبلت مسرعة »

(٣) قال الجاحظ : اللثق الندى الوحل »

(٤) قال الجاحظ : سريح عجل ، مريح من كد الطلب »

(٥) الريح الجربياء : هي التى تهب بين الصبا والجنوب ، والظل العماء : هو البخار المالىء للأفق حتى لا تكاد ترى السماء من خلفه ، وغب سماء : بعد مطر

الإناء[1] وحط الأعداء، ورفع الأولياء. وقال إبراهيم النَّخَعى لمنصور بن المعتمر:[2] سل مسألة الحمق واحفظ حفظ الكَيْسى. ووصفت عمة حاجز اللص[3] حاجزا بفضلته وقالت: كان حاجز لا يشبع ليلة يُضاف ولا ينام ليلة يخاف. ووصف بعضهم فرسا فقال: أقبل بزُبْرَة الأسد[4] وأدبر بعجُز الذئب.

ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة قام رجل يقال له يزيد بن المُقْنَّع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال: هذا أمير المؤمنين — وأشار بيده إلى معاوية — فان مات فهذا — وأشار بيده إلى يزيد — فمن أبى فهذا — وأشار بيده إلى سيفه. فقال معاوية: أنت سيد الخطباء..؟!

ولما قامت خطباء نزار عند معاوية فذهبت فى الخطب كل مذهب قام صَبِرَة ابن شَيْمان[5] فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا حى فعال ولسنا حى مقال، ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا[6]

ولما وفد الأحنف فى وجوه أهل البصرة إلى عبد الله بن الزُّبير تكلم أبو حاضر الأُسَيْدِى — وكان خطيبا جميلا — فقال له عبد الله بن الزُّبير: أسكت فوالله لوددت أن لى بكل عشرة من أهل العراق رجلا من أهل الشام، صرف الدينار بالدرهم. قال: يا أمير المؤمنين، إن لنا ولك مثلا أفتأذن فى ذكره؟ قال: نعم. قال: مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الأعشى حيث يقول:

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غَيْرِى وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَها الرَّجُلُ

(١) قال الجاحظ: الاناء الرزق.

(٢) هو منصور بن المعتمر السلمى يكنى أبا عتاب، كان أصله من الحبشة، وكان من خيار التابعين متزهدا متنسكا صواما بكاء، ولاه يزيد بن عمر بن هبيرة القضاء فلم يقض فى شىء فعزله. مات سنة ١٣٢هـ

(٣) هو حاجز بن عوف الازدي شاعر مقل صعلوك. وكان من العدائين الذين يسبقون الخيل عدوا على أقدامهم. وكان كثير الغارة على القبائل والأحياء. لقد كان من شياطين العرب

(٤) قال الجاحظ: الزبرة مغرز العنق، ويقال الشعر الذى بين كتفيه، ووصفه بأنه محطوط الكفل.

(٥) هو صبرة بن شيمان الحدانى. كان من خيار التابعين وكان فى صف عائشة يوم الجمل

(٦) ويروى أنه قال: إنا حي فعال ولسنا بحى مقال، ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم.

أحبكَ أهلُ العراق وأحببت أهلَ الشام وأحب أهلُ الشام عبد الملك ابن مرْوَان .

عن حُميد بن أبي البَخْتَرى قال : ذكر معاويةُ لابن الزبير بيعةَ يزيد فقال ابن الزبير : إنى أناديك ولا أناجيك ، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تُقدِم وتفكر قبل أن تندم ، فان النظر قبل التقدم ، والتفكر قبل التندم . ! ؟ فضحك معاوية ثم قال : تعلمت أبا بكر السّجاعة عند الكبر ؟ إن فى دون ماسجعت به على أخيك ما يكفيك ! ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير .

أخبرنا ثُمامة بن أشْرَسٍ قال : لما صرفت اليمانية — من أهل مُزَّةَ[(١)] — الماء عن أهل دمشق ووجهوه إلى الصحارى كتب إليهم أبو الهَيْذَام :[(٢)] الى بنى استها أهل مُزَّة ، لَيمَسّيَنّنى الماء أو لَتُصَبِّحَنّكم الخيل ؟ قال : فوافاهم الماء قبل أن يُعتموا .[(٣)] فقال أبو الهَيْذَام : ألصدق يُنْبي عَنكَ لا الوَعيدُ .

وحدثنى ثمامة عمن قدم عليه من أهل الشام قال : لما بايع الناس يزيد بن الوليد وأتاه الخبر عن مروان بن محمد ببعض التلكّؤ والتحبّس كتب اليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد إلى مروان ابن محمد ، أما بعد فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ؟ فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام .

---

(١) هي مزة كلب قرية من أرباض دمشق

(٢) هو أبو الهيذام بن عامر الخريمي المرى ، كان من فرسان العرب المعروفين وشجعانهم الموصوفين ، وكان جواد سمحا سخيا . وكان من قواد الرشيد على بعض جيوشه ، ولما مات رثاه أبو يعقوب الخريمي الشاعر بهذه الأبيات الجيدة وهى قوله :

تذكرني شمس الضحى نور وجهه ... ولى لحظات نحوها حين تطلع
واعددته ذخرا لكل ملمة ... وسهم المنايا بالذخائر مولع
وإني وإن أظهرت فى جلادة ... وصانعت أعدائى عليه لموجع
ملكت دموع العين حتى رددتها ... إلى ناظرى وأعين القلب تدمع
ولو شئت أن أبكى دما لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

(٣) قال الجاحظ : أى يصيرون فى وقت عتمة الليل وعتمته ظلمته ، يقال عتم الليل يعتم إذا اظلم ، وأعتم الناس صاروا فى وقت العتمة .

وهاهنا مذاهب تدل على أصالة الرأى ، ومذاهب تدل على تمام النفس ، وعلى الصلاح والكمال ، لا أرى كثيرا من الناس يقفون عليها .

واستعمل عبدُ الملك بنُ مروان نافعَ بنَ عَلْقَمَةَ بنِ نضلة بن صفوان بن مُحرث خال مروان على مكة فخطب ذات يوم ـ وأبانُ بن عثمان بحذاء المنبر ـ فشتم طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ ، فلما نزل قال لأبَانٍ : أرضيتك من المُدْهِنَيْنِ فى أمير المؤمنين !؟ (١) قال : لا والله ، ولكن سُؤْتَنى ، حسبى أن يكونا شركاء فى أمره . فما أدرى أيهما أحسن : كلام أبان بن عثمان هذا أم إسحق بن عيسى ؟ فإنه قال: أُعيذ علياً بالله أن يكون قتل عُثمان ، وأعيذ عثمان بالله أن يقتله على . فمدح علياً بكلام سديد غير نافر ومقبول غير وحشى ، وذهب إلى معنى الحديث فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشَدُّ أهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ قتلَ نَبِياً أوْ قتلهُ نَبِىٌّ » يقول : لايتفق أن يقتله نبى بنفسه إلا وهو أشد خلق الله معاندة وأجراهم على معصيته . فيقول : لا يجوز أن يقتله علىّ إلا وهو مستحق للقتل .

خطبة من خطب النبى ﷺ

خطب النبى صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات . حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، إن لكم مَعَالِمَ فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم . إنّ المؤمن بين مخافتين : بين عاجل قد مَضى لايدرى ما الله صانعٌ به ، و بين آجل قد بَقِىَ لايدرى ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبدمن نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشَّبيبة قبل الكِبْرَةِ ،ومن الحياة قبل الموت .فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مُستعتَب ، ولا بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة أو النار » .

أبو الحسن المدائنى قال : تكلم عَمَّارُ بْنُ ياسِرٍ يوماً فأوجز فقيل له :لوزدتنا ؟

---

(١) المدهنان : المصانعان . ويريد بأمير المؤمنين : عثمان بن عفان

قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باطالة الصلاة وقَصر الخطبة .

وعن شيخ من الأنصار من بنى زُرَيْقٍ أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أُتى بسيف النُّعْمانِ بن المُنْذِرِ دعا جُبَيْرَ بن مُطْعِم فسلَّحه إياه ثم قال : ياجُبير ، ممن كان النعمان ؟ قال : من أشْلاَء قَنَصِ بْن مَعدٍّ .(١) وكان جُبير أنسب العرب ، وكان أخذ النسب عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ،وعن جُبير أخذ سَعيدُ بنُ المُسَيَّب . ورُوِى عن بعض وُلد طلحة قال : قلت لسَعيد ابن المسيب : عَلمني النسب ؟ قال : أنت رجل تريد أن تُسابّ الناس .؟ وثلاثة فى نسق واحد كانوا أصحاب نسب : عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، أخذ ذلك عن الخطاب ، وكان كثيراً ما يقول : سمعت ذلك عن الخطاب ، ولم أسمع ذلك من الخطاب . والخَطَّابُ بنُ نُفَيْلٍ ،ونُفَيلُ بنُ عبدِ العُزَّى ،تنافر إليه عبدُ المطلب وحربُ بن أمية فنفرَ عبدَ المطلب . أى حكم لعبد المطلب . والمنافرة المحاكمة .

والنُّسَّاب أربعة : دَغْفَلُ بْنُ حَنظَلَة ، وَعُمَيْرُ بن ضَمْضَم(٢) وَصُبْحُ الحَنَفِى(٣) ؛ وَابْنُ الكَيِّسِ النَّمَرِىُّ . قال الاصمعى : دَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَة ،وَالنَّسابَةُ البَكْرِىُّ وكان نصرانياً ، ولم يُسمه .

خطب سليمان بن عبد الملك فقال : اتخذوا كتاب الله إماماً وارضوا به حكما واجعلوه قائداً ، فإنه ناسخ لما قبله ، ولم ينسخه كتاب بعده . وأول كلام بارع سمعوه منه : ألكلام فيما يعنيك خير من السكوت عما يضرك ، والسكوت عما لا يعنيك خير من الكلام فيما يضرك .

خَلاَّدُ بْنُ يَزِيدَ الأَرْقَطُ قال : سمعت من يخبرنا عن الشَّعبى قال : ماسمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا تمنيت أن يسكت خوفاً من أن يسىء ، إلا زِيَاداً ، فإنه كلما كان أكثر كان أجود كلاما . وكان نَوْفَلُ بنُ مساحقٍ إذا

(١) من أشلاء قنص بن معد : يعنى من بقايا سلالته

(٢) كان فى الأصل : وعميرة ابو ضمضام . وهو خطأ . والصواب ماأثبتناه عن ابن قتيبة ،ويؤخذ من عبارته أنه ناقل عن نسخة من البيان والتبيين ، فهذه بضاعتنا ردت إلينا

(٣) وسماه ابن قتيبة وابن النديم : صالح الحنفي

دخل على امرأته صمت و إذا خرج من عندها تكلم ، فرأته يوماً كذلك فقالت : أما عندى فتَطْرِقُ وأما عند الناس فتَنْطِقُ ؟ ! قال : لأنى أدِق عن جليلك وتَجِلِينَ عن دقيقى .

قال أبو الحسن : قادعَيَّاشُ بن الزِّبْرِقان بن بَدْرٍ إلى عبد الملك بن مروان خمساً وعشر بن فرساً ، فلما جلس لينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع آبائه وأمهاته ، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التى حلف بها على الفرس الآخر ! فقال عبد الملك بن مروان : عجبى من اختلاف أيمانه أشد من عجبى من معرفته بأنساب الخيل . وقال : كان للزِّبْرِقان بن بدر ثلاثة أسماء : ألقمر والزِّبرقان والحصين، وكانت له ثلاث كنى : أبو شَذْرَةَ وأبو عَيَّاش وأبو عباس . وكان عَيَّاش ابنه خطيباً مارداً شديد العارضة شديد الشكيمة وجيهاً ، وله يقول جرير :

أعَيَّاشُ قَدْ ذَاقَ القُيُونُ مَرَارَتِى وَأَوْقَدْتُ نارًا فادْنُ دُونَكَ فاصْطَلِ (١)

فقال عياش : إنى إذاً لمغرور ؟ قالوا : فغلب عليه .

باب أسماء الخطباء والبلغاء والأبيناء وذكر قبائلهم وأنسابهم

كان التدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الإسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء، ونقسم أمورهم باباً باباً على حدته ، ونقدم من قدمه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فى النسب ، وفضله فى الحسب . ولكنى لما عجزت عن نظمه وتنضيده تكلفت ذكرهم فى الجملة ، والله المستعان و به التوفيق . ولا حول ولا قوة الا به.

كان الفَضْلُ بن عيسى الرَّقَاشِىُّ من أخطب الناس وكان متكلما وكان قاصاً مجيداً ، وكان يجلس إليه عَمْرو بْنُ عُبَيْدٍ وَهِشَامُ بْنُ حَسَّانٍ وَأَبَانُ بْنُ أبى

(١) هذا البيت من قصيدة له مطلعها :

امن عهد ذى عهد تفيض دموعنا كان قذى العينين من حب فلفل

وهى طويلة ومثبتة فى ديوانه الذى جمع وطبع سنة ١٣١٣ هـ بحالة سيئة جداً

عَيَّاشٍ وكثير من الفقهاء ، وهو رئيس الفضيلية واليه ينسبون . وخطب إليه ابنته سَوَادَةَ بنتَ الفضل سُلَيْمَانُ بْنُ طَرْخَانَ التَّيْمِيُّ (١) فولدت له المُعْتَمِرَ ابْنَ سُلَيْمَان ، (٢) وكان سليمان مباينًا للفضل فى المقاله ، فلما ماتت سَوَادَةُ شهد الجنازة المعتمر وأبوه فقدما الفضل . وكان الفضل لايركب إلا الحمير ، فقال له عيسى بْنُ حاضر : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب فلم ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع ! قال : مثل أى شىء ؟ قال : لاتستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان ، ثم هى أقلها داء وأيسرها دواء ، وأسلم صريعًا ، وأكثر تصريفًا ، وأسهل مرتقى ، وأخفض مهوى ، وأقل جماحًا ، وأشهر فارهًا ، وأقل نظيرًا ، يُزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويكون مقتصدًا وقد أسرف فى ثمنه ..!؟ قال : ونظر يوما إلى حمـار فاره تحت مسلم بن قتيبة فقال : قعدة نبى و بذلة جبار ! قال عيسى ابن حاضر : ذهب الى حِمار عُزير والى حمار مَسيح الدجال ، والى حمار بَلْعَمْ . وكان يقول : لو أراد أبو سَيَّارَةَ عُمَيلَةُ بنُ الأعزل (٣) أن يدفع بالموسم على فرس عربى أو جمل مُهرى لفعل ، ولـكنه ركب عَيرًا أربعين عامًا لأنه كان يتألّه. وقد ضرب به المثل فقالوا : أصح من عير [أبى] سَيَّارَة .

(١) هو ابو المعتمر ، وكان مولى لبنى مرة . كان من خيار التابعين ومن اهل النسك والورع ، مات بالبصرة سنة ١٤٣ هـ

(٢) هو ابن سليمان المار ذكره ، وكان من الزهاد والعباد . مات بالبصرة سنة ١٨٧ هـ

(٣) كان بالأصل : ابن اعزلة . والصواب ماأثبتناه عن ابن اسحق . وكان ابو سيارة العدواني يدفع بالناس فى مواسم الحج ايام الجاهلية وعليه قام الاسلام . قالوا : وكانت له اتان سوداء عوراء خطامها ليف ، وفيه يقول احد شعراء العرب :

نحن دفعنا عن ابى سياره وعن مواليه بنى فزاره
حتى اجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره

وكان أبو سيارة يقول

لاهم مالى فى الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أحسد
فق أبا سيارة المحسد من شر كل حاسد إذ يحسد

ثم يقول : اللهم بغض بين رعائنا وحبب بين نسائنا واجعل المال فى سمحائنا ، أشرق ثبير كيما نغير . وزعموا انه اول من جعل الدية مائة من الابل . فيكون على ذلك أحد حكام العرب

والفضل هو الذى يقول فى قصصه : سل الأرض فقل : مَن شق أنهارك وغرس أشجارك وجَنى ثِمارك ؟ فان لم تجبك حِواراً ، أجابتك اعتباراً .

وكان عبدُ الصمدِ بنُ الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأبين وأخطب . وحدثنى أبو جعفر الصوفى القاصّ قال : تكلم عبدُ الصمد فى خلق البعوضة وفى جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة .

وكان يزيدُ بنُ أبانٍ عم الفضلِ بنِ عيسى بن أبَان الرَّقاشىّ من أصحاب أنسٍ [1] والحسن ، كان يتكلم فى مجلس الحسن وكان زاهداً عابداً وعالما فاضلا ، وكان قاصّاً مجيداً . قال أبو عُبيدة : وكان أبوهم خطيباً وكذلك جدهم ، وكانوا خطباء الأكاسرة فلما سُبُوا وولد لهم الأولاد فى بلاد الاسلام وفى جزيرة العرب نزَعَهُمْ ذلك العِرقُ فقاموا فى أهل هذه اللغة كمقامهم فى أهل تلك اللغة ، وفيهم شعر وخطب ، وما زالوا كذلك حتى أصهر الغرباء إليهم ففسد ذلك العِرقُ ودخله الخَوَرُ .

ومن خطباء إياد : قُسُّ بنُ ساعِدَةَ ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم « رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت » وهو القائل : فى هذه آيات محكمات مطر ونبات وآباء وأمهات وذاهب وآت ، ونجوم تمور ، وبحور لا تغور ، وسقف مرفوع ومهاد موضوع ، وليل داج وسماء ذات أبراج ، مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا أم حُبسوا فناموا ؟ وهو القائل : يامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ، أين المعروف الذى لم يُشكر والظلم الذى لم ينكر ، أقسم قسٌّ قسما بالله أن لله دينا هو أرضى له من دينكم هذا .

وأنشدوا له هذه :

---

(١) هو انس بن مالك الانصارى الصحابى المحدث المشهور . لما قدم النبى المدينة جاءت به امه إليه وهو ابن ثمان سنين ، فكان فى خدمة النبى إلى ان اختاره الله إليه ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد دعا له فقال : اللهم ارزقه مالا وولداً وبارك له . قال انس : فانى لمن اكثر الانصار مالا وولداً . وعمر انس عمرا طويلا وروى الحديث وكان إماماً فيه ، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة ٩٣هـ .

فى الذَّاهِبِينَ الأَوَّلِين ... مِنَ القُرُونِ لَنا بَصَائِرْ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا ... لِلمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا ... تَمضِي الأَكَابِرُ وَالأَصَاغِرْ
لَا يَرْجِعُ المَاضِي وَلَا ... يَبْقَى مِنَ البَاقِينَ غَابِرْ
أَيْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَالَةَ ... حَيْثُ صَارَ القَوْمُ صَائِرْ

ومن الخطباء: زيدُ بنُ عليٍّ بن الحسين. وكان خالد بن عبد الله [١] أقرَّ على زيد بن على وداود بن على وأيوب بن سلمة المخزومى وعلى بن محمد بن عمر ابن على وعلى بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فسأل هِشامٌ زيداً عن ذلك فقال: أحلف لك؟ قال: وإذا حلفت أصدقك؟ قال زيد: إتق الله؟ قال: أوَمثلك يا زيد يأمر مثلى بتقوى الله؟ قال زيد: لا أحد فوق أن يُوصَى بتقوى الله ولا دون أن يُوصِي بتقوى الله! قال هشام: بلغنى أنك تريد الخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة؟ قال زيد: فقد كان اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليه ابن أمة، واسحق عليه السلام ابن حرة، فأخرج الله عز وجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمدا صلى الله عليه وسلم؟ فعندها قال له: قُم. قال: إذاً لا ترانى إلا حيث تكره. ولما خرج من الدار قال: ما أحبَّ أحدٌ الحياة قط إلا ذل. فقال له سالم مولى هِشام: لا يسمعن هذا الكلام منك أحد.؟

وقال محمدُ بنُ عُمَيْرٍ: إن زيداً لما رأى الأرض قد طبقت جوراً ورأى قلة الأعوان ورأى تخاذل الناس، كانت الشهادة أحب المنيات اليه. وكان زيد كثيراً ما ينشد:

شَرَّدَهُ الخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ ... كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلَادْ [٢]
مُنْخَرِقُ الخُفَّيْنِ يَشْكُو الوَجَى ... تَنْكُبُهُ أَطْرَافُ مَرْوٍ حِدَادْ [٣]

(١) هو خالد بن عبد الله القسرى. مرت ترجمته ص ١١٤ وأقر عليهم: أى قال فيهم لهشام أنهم يعملون على الخروج على الدولة ونفض أيديهم من طاعة السلطان

(٢) حر الجلاد: نار الحرب

(٣) الوجى: الحفا يصيب القدمين. المرو الحداد: الحجارة الصلبة المحددة الأطراف

قَدْ كَانَ فِى المَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ وَالمَوْتُ حَتْمٌ فِى رِقَابِ العِبَادْ

قال : وكثيرا ماينشد شعر العبْسى فى ذلك :

إِنَّ المُحكَّمَ مَنْ لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً أَوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أَوْ حَدَّ القَنَا جَنَفَا

مَنْ عَاذَ بِالسَّيْفِ لَاقَى فُرْصَةً عَجَباً مَوْتاً عَلَى عَجَلٍ أَوْ عَاشَ مُنْتَصِفَا

ولما بعث يوسف بن عمر [١] برأس زيد ونصر بن خُزيمة مع شيبة بن عَقَّال وكلف آل أبى طالب أن يبرأوا من زيد ويقوم خطباؤهم بذالك ، فأول من قام عبد الله بن الحسن فأوجز فى كلامه ثم جلس . ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فأطنب فى كلامه وكان شاعراً بيناً وخطيباً لسناً ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابنُ الطيار أخطب الناس . فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك فقال : لوشئت أن أقول لقلت ، ولكن لم يكن مقام سرور ! فأعجب الناس ذلك منه .

ومن أهل الدهاء والنكراء [٢] ومن أهل اللسن واللَّقَن والجواب العجيب والكلام الصحيح والامثال السائرة والمخارج العجيبة : هند بنت الْخُسِّ وهى الزرقاء ، وجُمَعَة بنت حابس [٣] ويقال أن حابساً من إياد . وقال عامر بن عبد الله الفزارى : جمع بين هند وجمعة ، فقيل لجمعة : أى الرجال أحب إليك ؟ قالت : الشَّنِقُ [٤] الكبد الظاهر الجلد الشديد الجذب بالمسد . فقيل لهند : أى الرجال أحب إليك ؟ قالت : القريب الأمد الواسع البلد الذى يوفد إليه ولا يَفِدْ . وقد سئلت هند عن حر الصيف

(١) هو يوسف بن عمر الثقفى ، وهو ابن عم الحجاج . كان من جبابرة الولاة . ولى اليمن لهشام فلما غضب هشام على خالد بن عبد الله القسرى والى العراق عزله وولى يوسف بن عمر مكانه وامره بمحاسبة خالد وعماله فعذبهم حتى مات خالد بين يديه كما مات بلال بن ابى بردة فى عذابه . فلما مات الوليد بن يزيد هرب عمر إلى الشام فأخذ هناك وحبس ثم دخل عليه يزيد بن خالد فى محبسه فقتله بأبيه

(٢) النكراء : الفطنة بدهاء .

(٣) كان فى الاصول التى بين ايدينا : جمعة بنت حابس . وقد أصلحناه كما هنا وفى صفحة ٦٠ حيث لم تمكن فى التنبيه على هذا الاصلاح هناك . وقد ذكر اسمها خمعة صاحب العباب والمحكم وابن الشجرى فى كتابه ماتفق لفظه واختلف معناه ، وكذلك رواه القاضى عياض فى شرحه لحديث ام زرع ، والمعروف انها بنت الخس اخت هند . والمسألة روايات تختلف او تصحيفات تقع من النساخ

(٤) الشنق : الشديد الشوق . انظر صفحة ٣١

و برد الشتاء. فقالت: من جمل بؤسا كأذى! وقد ضرب بها المثل، فمن ذلك قول ليلى بنت النَّضْر الشاعرة:

وَكُنْتُ ابْنُ جُدْعَانٍ دَلَالَةُ أُمِّهِ   وَكَانَتْ كَبِنْتِ الخُسِّ أَوْهِيَ أَكْبَرُ

وقال ابن الاعرابي: يقال: بنت الخس وبنت الخص وهى الزرقاء، وبنت الخسف. وقال يونس: لايقال إلا بنت الأخس وهى الزرقاء. وقال أبو عَمْرِو ابْنِ العَلَاءِ: داهيتا نساء العرب: هند الزَّرقاء، وعنزُ الزرقاء وهى زرقاء اليمامة.

قال الْيَقْطُرِىُّ: قيل لعبد الله بن الحسن: ماتقول فى المراء؟ قال: ماعسى أن أقول فى شىء يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة؟ وإن كان لأقل مافيه أن يكون دُربة للمغالبة، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتاه السائب بن صيفى فقال: أتعرفنى يا رسول الله؟ قال: كيف لاأعرف شريكي الذى كان لايشارينى ولايمارينى؟! قال: فتحولت الى زيد بن على فقلت له: ألصمت خير أم الكلام؟ قال: أخزى الله المساكتة فما أفسدها للبيان وأجلبها للحصر، والله للمماراة أسرع فى هدم العى من النار فى يَبَسِ العَرْفَجِ [1] ومن السيل فى الحُدور.

وقد عرَف زيد أن المماراة مذمومة ولكنه قال المماراة على ما فيها أقل ضرراً من المساكتة التى تورث البَلْدَة [2] وتحل العقدة وتفسد المُنة وتورث عللا وتولد أدواء أيسرها العى، فإلى هذا المعنى ذهب زيد. ومن الخطباء: خالد بن سلمة المخزومى من قريش وأبو حاضر وسالم، وقد تكلم عند الخلفاء. ومن خطباء بنى أسيد: الحَكَمُ بن يزيد بن عُمير، وقد رأس. ومن أهل اللسن منهم والبيان: ألحجاج بن عُمير بن زيد. ومن الخطباء: سعيد بن العاص [3] بن سعيد بن العاص بن أمية.

(١) العرفج: شجر سهلى

(٢) البلدة: البلادة والعجز

(٣) هو ابو عثمان سعيد بن العاص، كان سيدا من سادات بنى اميه، قتل ابوه العاص بن سعيد

وقيل لِسعيد بن المُسَيَّبِ : مَن أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل له : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه(١) وما كان ابنُ الزُّبَيرِ بدونهم ولكن لم يكن لكلامه طلاوة مقبولة .

فمن العجب أن ابنَ الزُّبير ملأ دفاتر العلماء كلاما ، وهم لا يحفظون لسعيد ابن العاص وابنه من الكلام إلا مالابال له . وكان سعيد جواداً ولم ينزع قميصه قط ، وكان أسود نحيفاً ، وكان يقال له : عُكَّةُ العسل ، وقال الحُطَيْئَةُ :

سَعِيدٌ فلاَ يَغرُرْكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ ... تَخَدَّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ وَهُوَ صَلِيبُ

وكان أول من خَشَّ الإبل فى نفس عظم الأنف ، وكان فى تدبيره اضطراب . وقال قائل من أهل الكوفة :

يَاوَيْلَنا قَدْ ذَهَبَ الْوَلِيدُ ... وَجَاءَنَا مُجَوَّعاً سَعِيدُ

يَنقُصُ فى الصَّاعِ وَلاَ يَزِيدُ

والأمراء تتحبب إلى الرعية بزيادة المكاييل ، ولو كان المذهب فى الزيادة فى الأوزان كالمذهب فى الزيادة فى المكاييل ما قصروا ، كما سأل الأحنف عُمَرَ بنَ

مشركا بوم بدر ، وكان سعيد إذ ذاك غلاما حدثا فقدم إلى النبي فكساه جبة ، وكان شجاعا باسلا ، وهو اول من خش الابل اى وضع لها الخشاش فى عظم الانف ، والخشاش عود يبرى حتى يصير كالمسلة فاذا وضع فى انف البعير الصعب القياد ذل واستكان . وإليه تنسب الثياب السعيدية ، وكانت تصنع من الكتان . وكان عثمان بن عفان ولاه الكوفة فأساء إلى اهلها فشكوه إلى عثمان فعزله وولى مكانه ابا موسى الاشعري . مات سنة ٥٩ هـ

(٢) هو عمرو بن سعيد الاشدق : كان من اكابر بنى امية واماثلهم وامجادهم . وكان فارسا شجاعا بطلا مغوارا ، وعلى يديه استتب الامر لمروان بن الحكم ، وكان مروان وعده بالامر من بعده ، تطمينا له وشحذا لعزيمته على تأييده ، فلما مات مروان وثب عبد الملك على الامر وحاط نفسه بكل مايثبت قدمه ، غير انه كان على حذر شديد من عمرو وكان عمرو يتربص به الفرص ، ولما سار عبد الملك لقتال مصعب بن الزبير اخذ معه عمرا فقال له عمرو : إن اباك قد وعدني هذا الامر من بعده ، وقد كان من بلائى معه مالم يخف عليك ، فاجعل لى هذا الامر من بعدك ! فلما لم يجبه عبد الملك انسل عمرو إلى دمشق فغلب عليها وبلغ خبره عبد الملك فرجع الى دمشق وحاربه اياماً ثم اصطلحا وكتبا بذلك كتاباً ، ثم دعاه عبد الملك فأجلسه على سريره وهو يحادثه ثم قال له : ياابا امية إنى قد آليت إن انا ملأت عينى منك أن أجمعك فى جامعة ، فقال : قد أبر الله قسمك ! فلما وضع يديه ورجليه فى الحديد امر فصرع وجلس على صدره وذبحه .

الخطاب رضى الله تعالى عنه الزيادة فى المكاييل . ولذلك اختلفت أسماء المكاييل كالزيادى والفالج والخالدى ، حتى صرنا إلى هذا المُلجَم اليوم .

ثم من الخطباء : عَمْرُو بنُ سعيدٍ وهو الأشدق ، يقال إن ذلك إنما قيل له لتشادقه فى الكلام ، وقال آخرون بل كان أفقم مائل الذَّقنِ ، ولذلك قال عبيد الله بنُ زِياد حين أهوى إلى عبد الله بن معاوية : يدك عنه يالطيم الشيطان ويا عاصى الرحمن ! وقال الشاعر :

وَعَمْرُو لَطِيمُ الجِنّ وَابْنُ مُحمّدٍ ... بِأسْوأَ هَذَا الأمْرِ مُلْتَبِسانِ

ذكر ذلك عن عوانة ، وهذا خلاف قول الشاعر:

تَشادَقَ حَتّى مَالَ بالقَوْلِ شِدْقُهُ ... وكلُّ خَطِيبٍ لا أبالَكَ أشْدَقُ

وكان معاويةُ قد دعا به فى غِلمة من قريش ، فلما استنطقه قال : إن أول كل مَركب صعب و إن مع اليوم غداً . وقال له : إلى مَن أوصى بك أبوك ؟ قال : إن أبى أوصى إلىَّ ولم يُوص بى ! قال : و بأى شىء أوصاك ؟ قال : بأن لا يفقد إخوانه منه إلا شخصه . ؟ فقال معاوية عند ذلك : إن ابن سَعيد هذا لأشدق . فهذا يدل عندهم على أنه إنما سمى بالأشدق لمكان التشادق .

ثم كان بعد عمرو بن سعيد : سعيد بن عمرو بن سعيد ، وكان ناسباً خطيباً وأعظم الناس كبرا ، وقيل له عند الموت : إن المريض ليستريح إلى الأنين والى أن يصف مابه إلى الطبيب . فقال :

أجَالِيدُ مِنْ رَيْبِ المَنُونِ فلاَ تَرَى ... عَلَى هَالِكٍ عَيْناً لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ

ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم ، فتكلموا من قيام وتكلم وهو جالس ، فتبسم عبدُ الملك وقال: لقد رجوت عثرته ، ولقد أحسن حتى خِفت عَثرته . فسعيد بن عَمرو بنِ سَعيد خطيبٌ ابن خطيب ابن خطيب .

ومن الخطباء: سُهَيْلُ بْنُ عَمْرو الأَعْلَمُ [1] أحد بنى حِسْل بْن مَعِيص، وكان يكنى أبا يزيد، وكان عظيم القدر شريف النفس صحيح الاسلام، وكان عمر رضى الله تعالى عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إنزع ثنيتيه السفليين حتى يَدْلَعَ لسانُه، فلا يقوم عليك خطيبا أبدا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أُمَثِّلُ فيُمَثِّلُ اللهُ بى وإنْ كُنْتُ نَبِيًّا، دَعْهُ يا عُمَرُ فعسى أنْ يَقُومَ مَقامًا تَحْمَدُهُ» فلما هاج أهل مكة عند الذى بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال: أيها الناس، إن يكن محمد قد مات فان الله حى لم يمت، وقد علمتم أنى أكثركم قتباً فى بر وجاريةً فى بحر، [2] فأقروا أميركم وأنا ضامن إن لم يتم الأمر أن أردها عليكم. فسكن الناس. وهو الذى قال يوم خرج إذنُ عُمَرَ وهو بالباب وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ والأقرعُ بنُ حابسٍ وفلان وفلان. فقال الآذن: أين بِلال، أين صُهيب، أين سَلْمان، أين عَمار.؟ فتمعَّرت [3] وجوه القوم، فقال سُهَيْلٌ: لِمَ تتمعَّر وجوهكم! دُعوا ودُعينا، فأسرعوا وأبطأنا، ولئن حسدتموهم على باب عُمَرَ لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر.

ومن الخطباء: عبد الله بن عروة بن الزبير. قالوا: كان خالد بن صفوان يشبه به! وما علمت أنه كان فى الخطباء أحد أجود خطباً من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة للذى يحفظ الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما، وما علمنا أن أحداً ولَّدَ لهما حرفاً واحداً.

ومن النسابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر: الْخَتْف بن زَيْدِ بن جَعْوَنَةَ، وهو الذى تعرض له دَغفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ العلامة عند ابن عامر [4] بالبصرة فقال

(١) راجع صفحة ٦٥

(٢) يريد بالقتب الابل ويريد بالجارية السفينة. يعنى انه كان واسع التجارة ذا مال عظيم

(٣) فتمعرت: تغيرت من الغيظ والحنق

(٤) هو عبد الله بن عامر بن كريز القرشى الصحابي، كان من اكابر الشجعان وأماثل الفرسان، وكان جوادا سمحاً معطاء، قال على بن أبى طالب: عبد الله بن عامر فتى قريش. ولاه عثمان بن عفان البصرة فاحتفر بها نهرين وحفر نهر الأبلة، وكان قائداً عظيما ذا تدبير وسياسة، فتح عامة فارس

له : متى عهدك بِسَجاحِ أم صادرٍ ؟ فقال له : مالى بها عهد منذ أضلت أُم حِلس ! وهى بعض أمهات دَغفل ، فقال له : نَشدتك بالله ، أنحن كنا لكم أكثر غَزواً فى الجاهلية أم أنتم لنا ؟ قال : بل أنتم فلم تُفلحوا ولم تنجحوا ، غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم فهزمناه مرة وأسرناه مرة وقتلناه مرة وأخذنا فى فدائه خدر أمه ، وغزانا أكثركم غزواً وأنبهكم فى ذلك ذكراً فأعرجناه ثم أرجلناه ! فقال ابن عامر : أسألكما بالله لما كففتما .

وكان عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ ومُصْعَبُ بنُ الزُّبيْر [1] يُحبان أن يعرفا حالات الناس ، فكانا يُغريان بين الوجوه و بين العلماء ، فلا جرم أنهما كانا إذا سبا أوجعا .

وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنسب هذه الأمة ، ثم عُمر ، ثم جُبير بن مُطعم [2] ثم سَعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمد هو الذى نفى إلى عنكة المخزوميين فرفع ذلك الى والى المدينة فجلده الحد . وكان ينشد :

ويَرْبُوعُ بْنُ عَنكةَ ابنُ أرْضٍ   وَأعتقهُ هُبيْرَةُ بَعْدَ حِين

يعنى هبيرة بن أبى وهب المخزومى . ومن النسابين العلماء : عُتبة بن عمرو ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشام ، وكان من ذوى الرأى والدهاء ، وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف ، وعمرو بن عبد الرحمن خامس خمسة فى الشرف . وكان هو الساعى بين الأزد وتميم فى الصلح .

وخراسان وسجستان وكابل ، افغان استان ، وكان مولعاً بالعمارة فاتخذ النباج وغرس فيها الأشجار وبنى بها السور فهى تدعى نباج ابن عامر ، واتخذ القريتين وغرس بها الغراس ، وانبط عيون ابن عامر وبينها وبين النباج ليلة على طريق المدينة ، وحفر الحفير ثم حفر السمينة ، وشاد له قصرا بقرب قباء وجعل فيه زنوجاً ليعملوا فيه فماتوا فتركه . واتخذ بعرفات حياضاً ونخيلا . ولما عزل عن البصرة قال: لو تركت لخرجت المرأة فى حداجتها على دابتها ترد كل يوم ماء وسوقا حتى توافى مكة . مات سنة ٥٩ هـ

(٢) هو مصعب بن الزبير بن العوام . كان فارساً شجاعاً بطلا جواد . ولاه اخوه عبدالله بن الزبير على العراقين فوطد الأمر فيها وازال فتنة المختار بن ابي عبيد الثقفى وبدد جموعه ، غير ان عبدالملك لم يتركه يستقر بعد طول ماعانى فوجه إليه جيوشه وعليها اخوه محمد بن مروان فقادوه القتال وراوحوه حتى خر صريعا فى المعركة . قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان

(٣) هو جبير بن مطعم القرشى الصحابى ، اسلم علم الفتح بالمدينة وكان من سادات مسلمى الفتح ، وروى عن النبى احاديث كثيرة . مات سنة ٥٩ هـ

ومن بنى الحرقوس : شُعبَةُ بنُ القَلْعَمْ ، وكان ذا لسان وجواب وعارضة وكان وصافاً فصيحا ، و بنوه : عبد الله وعمر وخالد ، كلهم كانوا فى هذه الصفة ، غير أن خالدا كان قد جمع مع بلاغة اللسان : العلم والحلاوة والظرف . وكان الحجاج لايصبر عنه .

ومن بنى أسيد بن عمرو بن تميم : أبو بكر بن الحَكَم ، كان ناسباً راوية شاعراً ، وكان أحلى الناس لساناً وأحسنهم منطقا وأكثرهم تصرفا ، وهو الذى يقول له رُؤْبة :

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِراً رَاوِيَةً طَوْراً وَطَوْراً شَاعِراً

ومنهم : مُغَلَّلُ بْنُ خَالِدٍ أحد بنى أنمار بن الهُجَيْم ، وكان نسابة علامة راوية صدوقا مقلدا ، وذُكِرَ للمُنْتَجِع بن نَبْهانَ فقال : كان لا يُجارى ولايُمارى .

ومنهم من بنى العنبر ثم من بنى عَمرو بن جُندَب : أبو الخنساء عَبَّادُ بْنُ كُسَيْب ، وكان شاعرا علامة وراوية نسابة ، وكانت له حرمة بأبى جعفر المنصور .

ومنهم عَمْرو بن خَوْلة ، كان ناسبا خطيباً وراوية فصيحا ، من وُلْدِ سعيد ابن العاص .

والذى أتى سعيد بن المسيب ليعلمه النسب هو إسحق بن يحيىٰ بن طلحة .

وكان يحيىٰ بن عُرْوة بن الزبير ناسبا عالما ، ضربه إبراهيم بن هِشام المخزومى والى المدينة حتى مات لبعض القول .

وكان مُصْعب بنُ عبد الله بن ثابت ناسبا عالما ، ومن وُلْده : الزُّبيرى عامل الرشيد على المدينة واليمن .

ومنهم ثم من قريش : محمد بن جعفر بن حفص ، وهو ابن عائشة ويكنى أبا بكر ، وابنه عبيد الله كان يجرى مجراه ، يكنى أبا عبد الرحمن .

ومن خُزاعة بن مازن : أبو عَمْرو وأبو سُفيان ابنا العلاء بن عمار بن العُريان ، فاما أبو عمرو فكان أعلم الناس بأمور العرب مع صحة سماع وصدق لسان . وحدثنى

الأصمعي قال : جلست إلى أبي عَمرو عشر حِجَج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي .
وقال مرة : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت أن آمر فتياننا بروايته . . ؟
يعني شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وحدثني أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعلم
الناس بالعرب والعربية ، وبالقراءة والشعر وأيام الناس ، وكانت داره خلف دار
جعفر بن سليمان ، وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له
إلى قريب من السقف ثم إنه تقرأ فأحرقها كلها ، فلما رجع بعد إلى علمه الأول
لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه ، وكان عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية .
وفي أبي عَمْرو بن العلاء ، يقول الفرزدق :

مَازِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَاباً وَأُغْلِقُهَا   حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرِو بْنِ عَمَّارِ

فإذا كان الفرزدق ، وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم ، يقول فيه
مثل هذا القول ، فهو الذي لا يشك في خطابته وبلاغته . وقال يُونُس : لولا شعر
الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس . وقال في أبي عمرو مكيُّ بنُ سَوَادَةَ :

أَلْجَامِعُ الْعِلْمَ نَنْسَاهُ وَيَحْفَظُهُ   وَالصَّادِقُ القَوْلَ إِنْ أَنْدَادُهُ كَذَبُوا

وكان أبو سفيان بن العلاء ناسبا ، وكلاهما كُناهما أسماؤُهما . وكذلك أبو عمرو
ابن لبيد وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبي خليفة عيسى بن شبيب المازني
على شرط البصرة .

وكان عَقيلُ بن أبي طالب ناسبا عالما بالأمهات ، بين اللسان شديد الجواب
لا يقوم له أحد .

وكان أبو الجَهْم بن حُذيفة العدوي ناسبا شديد العارضة كثير الذكر
للأمهات بالمثالب .

ورؤساء النسابين : دَغفل بنُ حَنْظلة أحد بني عمرو بن شيبان ، لم يدرك
الناس مثله لسانا وعلما وحفظاً . ومن هذه الطبقة : زيْدُ بن الكَيِّسِ النَّمَري ، ومن
نسابي كلب : محمد بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ، وشرقي بن القطامي ،

وكان أعلاهم فى العلم ومن ضرب به المثل: حماد بن بشر(١) قال سِماكُ العُكْلىُّ:

فَسائِلْ دَغْفَلاً وَأخا هِلالٍ ... وَنَخّاراً يُنَبِّئْكَ اليَقينا

وقد ذكرنا دغفلا. وأخوهلال هو زَيْدُ بْنُ الكَيِّسِ، و بنوهلال حى من النمر ابن قاسط. وقال مِسْكينُ بْنُ أُنَيفٍ الدَّارمىُّ(٢) فى ذلك:

وعِنْدَ الكَيِّسِ النَّمرِىِّ عِلْمٌ ... وَلَوْ أَمْسى بِمُنْخَرَقِ الشَّمالِ

وقال ثابت قُطنة:

فَمَا العَضّانِ لَوْ سُئِلا جَميعاً ... أَخُو بَكْرٍ وَزَيْدُ بَنى هِلالِ

ولا الْكَلْبِىُّ حَمَّادُ بن بِشْرٍ ... وَلا مَنْ قادَ فى الزَّمَنِ الْخَوالى

وقال زِيادُ الأَعْجَمُ:

بَلْ لو سأَلْتَ أَخا رَبيعَةَ دَغْفَلاً ... لَوَجَدْتَ فى شَيْبانَ نِسْبَةَ دَغْفَلِ

إنَّ الأحاينَ والذينَ يَلونَهُمْ ... شَرُّ الأنامِ ونَسْلُ عبدِ الأعْزَلِ

يهجو فيها بنى الخنساء. ومنهم: إيَاسُ النصرى، كان أنسب الناس، وهو الذى قال: كانوايقولون: أشعر العرب أبو دُوَادٍ الإيادى وَعَدِىُّ بْنُ زَيْدٍ العِبادى. وكان أبو نَوْفَلِ بْنُ أَبِى عَقْرَبٍ علامة ناسباً خطيباً فصيحاً، وهو رجل من كنانة أحد بنى عُرَيج. ومن بنى كنانة ثم من بنى الشُّدَّاخ: يَزِيدُ بْنُ بَكْرِ بنِ دَأْبٍ، وكان يزيد عالماً ناسباً وراوية شاعراً وهو القائل:

---

(١) هو حماد بن ميسرة أو ابن سابور المعروف بحماد الراوية. كان واحد عصره فى الحفظ والرواية والشعر والانساب والادب، وكان يقول الشعر الجيد وينسبه الى الشعراء الاقدمين ويدخل عليهم منه ما ليس لهم، أصله من الديلم أسر اباه عروة بن زيد الخيل، وعاش حتى ادرك المهدي العباسى وجالسه وانشده الاشعار، وكان مولده سنة ٧٥ ومات سنة ١٥٦ هـ

(٢) هو ربيعة بن عامر بن انيف وإنما لقب مسكيناً لشعر قاله. وهو شاعر اسلامى شريف ظهر فى عهد بنى أمية وساد قومه، وقع بينه وبين الفرزدق تهاج ثم تكافا فكان الفرزدق بعد ذلك يقول: نجوت من ثلاثة أشياء لا اخاف بعدها شيئاً، نجوت من زياد حين طلبنى، ونجوت من ابنى رميلة وقد نذرا دمى وما فاتهما أحد طلباه، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمى لأنى لو طاولته الهجاء لاضطرنى ان اهدم شطر حسبى وفخرى لأنه من بحبوحة نسبى واشراف عشيرتى

أَللهُ يعلمُ فى عَلِيٍّ عِلْمَهُ   وَكَذَاكَ عِلْمُ اللهِ فى عثمانِ

ووَلَدَ يزيدُ : يحيى وعيسى [وعيسى] هو الذى يعرف فى العامة « بابن دأب » وكان من أحسن الناس حديثاً و بياناً ، وكان شاعراً راويةً وصاحب رسائل وخطب وكان يجيدها جداً . ومن آل دأب : حُذيفة بنُ دأب ، و كان عالماً ناسباً . وفي آل دأب علم بالنسب والخبر .

وكان أبو الأسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ — واسمه ظالم بن عمرو بن جَندل بن سفيان — خطيباً عالماً وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأى وجودة اللسان وقول الشعر والظرف ، وهو يُعد فى هذه الأصناف وفى الشيعة وفى العُرجان وفى المفاليج . وعلى كل شىء من هذا شاهد سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى.

وقال الُخسّ لابنته هند : أريد شراء فحل لإبلى ؟ قالت إن اشتريته فاشتره أسجح الخدين غائر العينين أرقب أخرم أعكى أكوم ، إن عُصى غشم وإن أُطيع تَجرْثم (١) . وهى التى قالت — لما قيل لها ما الذى حملك على أن زنيت بعبدك — ؟ قالت : طول السِّواد (٢) وقرب الوساد . وقال الشاعر فى السِّواد (٣)

وَيَفْهم قولَ الُحكْلِ لو أنّ ذرّةً   تُساوِدُ أُخرى لم يَفُتْهُ سِوادُها

قالوا : وعاتب هِشام بن عبد الملك زَيْدَ بن على فقال له : بلغنى عنك شيء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أحلف لك ! قال : و إذا حلفت لى أصدقك ؟ قال نعم ، إن الله لم يرفع أحدا فوق إلاّ يرضى به ، ولم يضع أحدا دون الاّ يرضى منه به (٤).

وكان زِيادُ بن ظَبْيانَ التيمى العايشى خطيباً فدخل عليه ابنه عُبَيْدُ الله وهو

(١) قل الجاحظ : اسجح سهل واسع ، يقال ملكت فأسجح ، ارقب غليظ الرقبة ، اخرم متنفخ موضع الخرم ، اعكى العكوة مغرز الوركين فى المؤخر ، تصفه بشدة الوركين ، اكوم عظيم السنام ، إن عصي غشم إن عصته الناقة غصبها نفسها ، تجرثم اى بقى ، مأخوذ من الجرثومة وهى الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها ، تصفه بالصبر والقوة على الضراب.

(٢) قال الجاحظ : السواد السرار.

(٣) راجع صفحة ٤٨

(٤) راجع صفحة ٢٤٨

يكيد بنفسه(١)، قال: ألا أوصى بك الأمير زيادا؟ قال: لا! قال: ولم؟ قال: إذا لم يكن للحيّ إلا وصية الميت، فالحي هو الميت..!؟ وكان عُبيد الله أفتك الناس وأخطب الناس، وهو الذى أتى باب مالك بن مِسْمَعٍ ومعه نار ليحرق عليه داره — وقد كان نابه أمر فلم يرسل اليه قبل الناس — فأشرف عليه مالك فقال: مهلا يا أبا مطر، فوالله إن فى كنانتى سهما أنا به أوثق منى بك! قال: وإنك لتعدنى فى كنانتك! فوالله لو أن قمت فيها لطلتها ولو قعدت فيها لخرقتها! قال مالك: مهلا، أكثر الله فى العشيرة مثلك! قال: لقد سألت الله شططا. ودخل عبيد الله على عبد الملك بن مروان بعد أن أتاه برأس مُصْعَبِ بْنِ الزُّبير، ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل، فأراد أن يقعد معه على سريره، فقال له عبد الملك: ما بال الناس يزعمون أنك لا تشبه أباك؟ قال: والله لأنا أشبه بأبى من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه! قال: ومن ذاك؟ قال: من لم يولد لتمام ولم تنضجه الأرحام ولم يشبه الأخوال والأعمام! قال: ومن ذاك؟ قال: ابن عمى سُوَيْدُ بْنُ مَنْجُوفٍ!(٢) قال عبد الملك: أوكذلك أنت يا سويد؟ قال: نعم..!؟ فلما خرج من عنده أقبل عليه سويد فقال: وَرِيَتْ بك زنادى، والله ما يسرنى أنك نقصته حرفاً واحداً مما قلته وأن لى حُمر النَّعم(٣) قال: وأنا والله ما يسرنى بحلمك اليوم عنى سود النَّعم. وأتى عُبيدُ الله عتَّابَ بن وَرْقاء، وعتابٌ على أصبهان، فأعطاه عشرين ألف درهم، فقال: والله ما أحسنت فأحمدك ولا أسأت فأذمك،

(١) يكيد بنفسه: يقاسى المشقة فى سياقه عند الاحتضار

(٢) هو سويد بن منجوف السدوسي، كان من سادات قومه ومن رجالات الدولة فى بنى امية، وكان مع هذا غير حسن المنظر، ضئيلا قميئاً، غير انه كان شجاعا باسلا وجوادا كريما. وفيه يقول عبد الله بن الزبير الاسدى، وكان قد استجار به فأجاره:

اليس ورائى إن بلاد تجهمت ... سويد بن منجوف وبكر بن وائل
حصون براها الله لم ير مثلها ... طوال اعاليها شداد الاسافل
هم اصبحوا كنزى الذى لست تاركا ... ونبلى التى اعددتها للمناضل

(٣) لان هذه الصفات التى قالها عبيد الله إنما قصد بها عبد الملك ولكنه خاف الشر فصرفها الى سويد ابن منجوف.

وانى لأقرب البعداء، وأبعد القرباء. وقال أَشْيَمُ بْنُ شَقِيق بن ثَوْر لعُبَيد الله بن زياد ابن ظبيان : ما أنت قائل لربك وقد حملت رأس مُصعب بن الزُّبير إلى عبد الملك ابن مروان ؟ قال: أسكت فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صُوحان إذا تكلمت الخوارج .!؟

فما ظنك ببلاغة رجل عُبَيْدُ الله بنُ زِيَادٍ[1] يضرب به المثل ؟ وانما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالة على تقديم صعصعة بن صُوحان فى الخطب ، وأولى من كل دلالة إستنطاق عليّ له.

وكان عثمان بن عُروة أخطب الناس ، وهو الذى قال : والشكر وإن قل ثمن لكل نوال وإن جل .

وكان ثابت بنُ عبد الله بن الزُّبير من أبين الناس ولم يكن خطيبا .

وكان قَسَامَةُ بْنُ زُهَيْرٍ أحد بني رِزام بن مازن مع زهده ونسكه ومنطقه من أبين الناس ، وكان يَعدل بعامر بن عَبد قَيس فى زهده ومنطقه ، وهو الذى قال : رَوّحوا هذه القلوب تعى الذكر . وهو الذى قال : يا معشر الناس إن كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر . وهو الذى كان رسول عمر فى البحث عن شأن المُغِيرَةِ وشهادة أبى بَكْرة .

وكان خَالِدُ بْنُ يَزِيْدَ بن مُعَاوِيَةَ خطيباً شاعراً وفصيحا جامعا وجيد الرأى كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء .

(١) هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، كان شجاعاً باسلا وفاتكا جريئاً وخطيبا مبينا ومنطيقا بليغاً . كان على جند العراق يوم البشر وكان رأس بكر بن وائل فيه ، قتل مصعب بن الزبير اخاه النابى بن زياد الحرب التى كانت بينه وبين عبد الملك ، فحقد عليه عبيدالله فلما كان مصعب على العراق لاخيه عبد الله وسير عبد الملك إليه الجيوش كان ابن ظبيان على راس فرقة منها ، فلما انهزم الجند عن مصعب ولم يبق معه اكثر من سبعة رجال تقدم اليه عبيد الله ودعاه إلى المبارزة فاحتقره مصعب وضربه على البيضة فهمشها وجرحه . فعصب راسه ثم عاد إليه وحمل عليه حملة منكرة فصرع مصعب واحتز راسه . قال عبيدالله : فلما وضع راس مصعب بين يدى عبد الملك سجد فهممت والله ان اقتله فاكون افتك العرب لقتل ملكين من قريش فى يوم واحد ، ثم وجدت نفسى تنازعنى إلى الحياة فأمسكت . وقيل له : بماذا تحتج عند الله من قتلك مصعبا ؟ فقال : إن تركت احتج رجوت ان اكون اخطب من صعصعة بن صوحان . وقيل إن ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لم ينتفع بنفسه فى نومة او يقظة ، كان يهول عليه فى منامه فلا ينام حتى كل جسمه ونهك . فلم يزل كذلك حتى مات

ومن خطباء قريش: خَالِدُ بْنُ سَلَمَةَ المخزومى وهو ذو الشفة . وقال الشاعر فى ذلك :

فَمَا كَانَ قَائِلُهُمْ دَغْفَلٌ   وَلاَ الْحَيْقُطَانُ وَلاَ ذُوالشَّفَهْ(١)

ومن خطباء العرب : عُطَارِدُ بْنُ حَاجب بن زُرارة ، وهو كان الخطيب عند النبي صلى الله عليه وسلم . وقال فيه الفرزدق بن غالب :

وَمِنَّا خَطِيبٌ لاَ يُعَابُ وَحَامِلٌ   أَغَرُّ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَجَامِعُ

ومن الخطباء عَوْنُ بْنُ عَبْدِ الله بنِ عُتبة بن مَسعود ، وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعرا ، ولما رجع عن قول الْمُرْجِئَةِ إلى قول الشيعة قال :

وَأَوَّلُ مَا نُفَارِقُ غَيْرَ شَكٍّ   نُفَارِقُ مَا يَقُولُ الْمُرْجِئُونَا

وَقَالُوا مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ جَوْرٍ   وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينَا

وَقَالُوا مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلاَلٌ   وَقَدْ حَرُمَتْ دِمَاءُ الْمُؤْمِنِينَا

وكان حين هرب إلى محمد بن مَرْوَانَ فى فَلِّ(٢) ابن الأشعث(٣) ألزمه ابنه يؤدبه ويقومه فقال له يوما : كيف ترى ابن أخيك ؟ قال : ألزمتنى رجلا إن غبت عنه عتب وإن أتيته حُجب وإن عاتبته غضب ! ثم لزم عُمَرَ بن عبد العزيز وكان ذا منزلة منه . قالوا : وله يقول جرير :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرْخِي عِمَامَتَهُ   هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي

أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لاَقِيَهُ   أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَشْدُودِ فِي قَرَنِ

(١) قال الجاحظ فى رسالة فخر السودان على البيضان : ومنهم (من السودان) الحيقطان الشاعر كان يفضل فى رأيه وعقله وهمته ، وهو الذي يقول فى الاخوان : لا تعرف الاخ حتى ترافقه فى الحضر وتزامله في السفر . وروى له قصيدة يحتج بها اليمانية على قريش ومضر ويحتج بها العجم على العرب . ولا اظنها له .

(٢) الفل : بقية الجيش المهزوم .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث . كان شجاعا بطلا وخطيبا بليغا وفارسا مغوارا ، حارب الخوارج وأبلى فيهم بلاء حسنا . وكان تقيا غيورا هاله مارآى من تصرف الحجاج وكثرة سفكه للدماء بالظلم والجور فخرج عليه وتبعه العلماء والمحدثون والقراء وكانت له مع جيوشه وقائع هائلة كوقعة الاهواز ووقعة الزاوية ووقعة دير الجماجم ووقعة دجيل . قتل سنة ٨٣ هـ

وَقَدْ زَارَكَ وُفُودُ الخَافِقَيْنِ مَعًا   وَمُذْ وَلِيتَ أُمُورَ النَّاسِ لمْ تَرَنِى

• كان الجَارُودُ بن أَبِي سَبْرَةَ — ويكنى أبا نوفل — من أبين الناس وأحسنهم حديثًا، وكان راوية علامة شاعرا مفلقا، وكان من رجال الشيعة، ولما استنطقه الحجاج قال: ما ظننت أن بالعراق مثل هذا؟ وكان يقول: ما أمكننى والٍ قط من أذنه الا غلبت عليه ما خلا هذا اليهودى — يعنى بلال بن أبى بردة — وكان عليه متحاملا، فلما بلغه أنه دُهق حتى دقت ساقه وجُمل الوتر فى خصيته أنشأ يقول:

لَقَدْ قَرَّ عَيْنِي أنَّ سَاقَيْهِ دُقَّتَا   وَأنَّ قُوَى الأَوْتَارِ فِي البَيْضَةِ الْيُسْرَى

بَخِلْتَ وَرَاجَعْتَ الخِيَانَةَ وَالْخَنَا   فَيَسَّرَكَ اللهُ المُقَدَّسُ لِلعُسْرَى

فَمَا جِذْعُ سُوءٍ خَرَّبَ السُّوسُ جَوْفَهُ   يُعَالِجُهُ النَّجَّارُ يُبْرَى كَمَا تُبْرَى

وإنما ذكر الخصية اليسرى لأن العامة تقول: إن الولد منها يكون.

ومن الخطباء الذين لا يضاهون ولا يجارون: عبد الله بن عباس، قالوا: خطبنا بمكة — وعثمان رضى الله تعالى عنه محاصراً — خطبة لو شهدتها الترك والديلم لأسلمتا[1] وذكره حسان بن ثابت فقال[2]:

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ   بِمُلْتَقِطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلاَ[3]

كَفَى وَشَفَى مَافِى النُّفُوسِ وَلَمْ يَدَعْ   لِذِى إِرْبَةٍ فِى القَوْلِ جِدًّا وَلاَ هَزْلاَ[4]

سَمَوْتَ إِلَى العَلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ   فَنِلْتَ ذُرَاهَا لَا دَنِيًّا وَلاَ وَغْلاَ[5]

وقال الحسن: كان عبد الله بن عباس أول من عرف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا وكان والله مثجا يسيل غَرْبا، وكان يسمى

---

(١) وروى عن ابى وائل انه قال: خطبنا ابن عباس وهو على الوسم فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر فجعلت اقول: مارايت ولا سمعت كلام رجل مثله، ولو سمعته فارس والروم والترك لاسلمت

(٢) كان ابن عباس ذكر الانصار فى حضرة عمر بن الخطاب وذكر عظيم بلائهم فى الاسلام وشاد بفضلهم واثنى على حسان فى نضاله عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال فيه حسان هذه الابيات

(٣) بملتقطات: بكلمات متخيرات

(٤) الاربة والمأربه: الحاجة

(٥) الوغل: النذل الدنئ الساقط

البحر وحَبْر قريش. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهُمّ فقِّهْهُ في الدين وعلمه التأويل»، وقال عمر غُصْ غوَّاص. ونظر إليه يتكلم فقال: «شِنْشِنَةٌ أعرفُها مِن أخْزَمِ» الشعر لأبي أخزم الطائي وهو جد أبي حاتم طي، أو جد جده، وكان له ابن يقال له أخزم، فمات وترك بنين فوثبوا يوما على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال:

إنَّ بَنيَّ زمَّلُونِي بالدَّمِ　　شِنْشِنَةٌ أعرِفُها مِن أخْزَمِ (١)

أي أنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه، وأحسبه كان به عاقا. فهكذا ذكر ابن الكلبي. فأراد عمر رضي الله تعالى عنه: إني أعرف فيك مشابهة في أبيك في رأيه وعقله. ويقال إنه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس.

ومن خطباء بني هاشم أيضا: دَاوُد بنُ علي. وكان يكنى أبا سليمان، وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالا واقتضابا للقول، ويقال إنه لم يتقدم في تحبير خطبة قط، وله كلام كثير معروف محفوظ، فمن ذلك خطبته على أهل مكة:

شكراً شكراً، أما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهراً ولا لنبني فيكم قصرا أظن عدوُّ الله (٢) — ان لم نظفر به — أن أرخي له في زمامه حتى عَثر في فضل خطامه؟ فالآن عاد الأمر في نصابه وطلعت الشمس من مطلعها وأخذ القوسَ باريها وعاد النَّبلُ إلى النزعة ورجع الأمر إلى مستقره في أهل بيت نبيكم، أهل بيت الرأفة والرحمة.

ومن خطباء بني هاشم عبد الله بن الحسن، وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد أي بُنيَّ، إني مؤد[إليك] حق الله في تأديبك فأد إلى حق الله في حسن الاستماع، أي بني كف الأذى وارفض البذاء واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها إلى القول، فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل إذا

(١) زملوني: ضرجوني. قال الجاحظ: والشنشنة مثل الطبيعة والسجية»

(٢) يريد به مروان بن محمد آخر ملوك بني امية

كان غاشا ، يوشك أن يورّطاك بمشورتهما فيسبق إليك مكر العاقل وغرارة الجاهل .

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد استثقل سهل بن هرون فدخل عليه سهل يوما والناس عنده على منازلهم ، فتكلم المأمون بكلام فذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هرون على ذلك الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفهمون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتنظرون ولا تبصرون ! والله إنه ليفعل ويقول فى اليوم القصير مثل ما فعل بنو مَرْوان وقالوا فى الدهر الطويل ، عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم ، ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء ..!؟ قال : فرجع له المأمون بعد ذلك إلى الرأى الأول .

ومن خطباء بنى هاشم ، ثم من وُلد جعفر بن سليمان : سُليمان بن جعفر والى مكة ، قال المكى : سمعت مشايخنا من أهل مكة يقولون : إنه لم يرد عليهم أمير منذ عقلوا الكلام إلا وسليمان أبين منه قاعدا وأخطب منه قائما .

وكان داود بن جعفر إذا خطب اسْحَنْفَرَ(١) فلم يرده شىء ، وكان فى لسانه شبيه بالرُّتّة.(٢) وكان أيوب فوق داود فى الكلام والبيان ، ولم يكن له مقامات داود فى الخطب . قال عيسى بن إسحق لداود بن جعفر : بلغنى أن معاوية قال للنخّار بن أوْس : أبغى محدثا ؟ قال : ومعى ياأمير المؤمنين تريد محدثا ؟ قال نعم ، أستريح منك اليه ومنه إليك . وأنا لا أستريح لغير حديثك ، ولا يكون صمتك فى حال من الحالات أوفق لى من كلامك . وكان إسماعيل بن جعفر من أرق الناس لسانا وأحسنهم بيانا .

ومن خطباء بنى هاشم : جعفر بن حسن بن الحسين بن على ، وكان أحد من ينازع زيدا فى الوصية ، فكان الناس يجتمعون ليسمعوا مجاوباتهم فقط .

---

(١) إسحنفر : مضى فى قوله مسرعا

(٢) الرتة من عيوب اللسان

وجماعة من وُلد العباس في عصر واحد لم يكن لهم نظراء، في أصالة الرأي وفي الكمال والجلالة وفي العلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة، مع البيان العجيب والغور البعيد والنفوس الشريفة والاقدار الرفيعة، وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الأخبار، وكانوا يجلون عن هذه الاسماء، إلا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك. منهم عَبْدُ المَلِكِ بن صَالِحٍ(١) سأله الرشيد — وسليمان بن أبي جعفر وعيسي بن جعفر شاهدان — فقال له: كيف رأيت أرض كذا وكذا؟ قال: مسافي ريح ومنابت شيح قال: فأرض كذا وكذا؟ قال: هضاب حُمْر، وبُراتٌ عُفر(٢) حتى أتى على

(١) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، كان من عظماء العباسيين ومن أكابر رجالاتهم، وكان نادر المثال في جلالته وعظيم قدره وفائق نبله، مع الفصاحة والبلاغة وقوة اللسن وشدة العارضة. ولاه الرشيد المدينة فقيل ليحيي بن خالد البرمكي: كيف ولاه المدينة من بين عماله؟ فقال: أحب ان يباهي به قريشاً ويعلمهم أن في بني العباس مثله. ثم ولاه الرشيد قيادة الصوائف، ثم ولاه الأمين الشام والجزيرة. وكان الرشيد قد جعل ولده القاسم في حجره، فلما عهد إلى الأمين والمأمون بالولاية من بعده قال عبد الملك يحضه على العهد للقاسم معهما:

يا أيها الملك الذي لو كان نجما كان سعدا
للقاسم اعقد بيعة واوقد له في الملك زندا
الله فرد واحد فاجعل ولاة العهد فردا

فعهد الرشيد إليه معهما. ثم وشى به إلى الرشيد فتنكر له ثم رضي عنه في خطب طويل. ثم غضب عليه وتنكر له فحبسه عند الفضل بن الربيع فكتب إليه يقول:

أخلاي لي شجو وليس لكم شجو وكل امرئ من شجو صاحبه خلو
من اي نواحي الأرض أبغي رضاكم وأنتم اناس ما لرضاكم نحو
فلا حسن نأتي به تعرفونه ولا إن أسأنا كان عندكم عفو

فلما وقف عليها الرشيد قال: والله إن كان قالها فقد أحسن وإن كان رواها فقد احسن. وكتب إليه غير ذلك شعراً كثيراً، ولما مات الرشيد اطلقه الأمين وولاه الشام. وقد مدح الحقد بكلام عجيب، قيل له: إن اخاك عبد الله يزعم انك حقود! فقال: إن كان الحقد بقاء الشر والخير لأهلهما إنهما عندي لباقيان:

إذا ما امرؤ لم يحقد الوتر لم تجد لديه لدى النعماء حمداً ولا شكر

وهو اول من ذم الشورى واحتج للاستبداد، قال: مااستشرت احدا قط إلا تكبر عليك وتصاغرت لديه، وداخلته العزة وداخلتك الذلة. فعليك بالاستبداد فان صاحبه مبجل في العيون مهيب في الصدور وإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فيتضع شأنك وتخف بك اركانك ويستحقرك الصغير ويستخف بك الكبير. مات سنة ١٩٦ ه

(٢) قال الجاحظ: الهضبة الجبل ينبسط على الارض وجمعها هضاب. والبرات الاماكن اللينة السهلة واحدها برث، وقوله عفر اي حمرتها كحمرة التراب، والظبي الاعفر الاحمر لان حمرته كذلك والعفر والعفر التراب، «يعني بفتح الفاء وسكونها»، ومنه قيل ضربه حتى عفره اي الحقه بالتراب.

جميع ماأراد . فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغى لنا أن نرضى لأنفسنا بالدون من الـكلام. ومن هؤلاء عَبْدُالله بْن صَالح، والعباس بن محمد، واسحق بن عيسى، واسحق ابن سليمان ، وأيوب بن جعفر ، هؤلاء أعلم بقريش وبالدولة و برجال الدعوة من المعروفين برواية الاخبار .

وكان ابراهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشىء هو خلاف مافى كتب الهيثم بن عدى وابن الـكلبى ، وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور .

وكان عَبْدُ الله بن على ، وداود بن على ، يَعدلان بأُمة من الأمم .

ومن مواليهم : ابراهيم ونصر أبنا السندى ، فأما نصر فـكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لايعدو حديث ابن الـكلبى والهيثم . وأما ابراهيم فإنه كان رجلا لانظير له ، وكان خطيبا وكان ناسبا وكان فقيها وكان نحويا عروضيا وحافظا للحديث راوية للشعر شاعرا ، وكان فخم الألفاظ شريف المعانى ، وكان كاتب القلم كاتب العمل ، وكان يتكلم بكلام رؤبة ويعمل فى الخارج بعمل زاذان فروخ الأعور ، [1] وكان منجما طبيبا ، وكان من رؤساء المتكلمين وعالما بالدولة و برجال الدعوة ، وكان أحفظ الناس لما سمع وأقلهم نوما وأصبرهم على السهر .

ومن خطباء تميم : جَحْدَبٌ ، وكان خطيبا راوية ، وكان قضى على جرير فى بعض مذاهبه فقال جرير :

قَبَحَ الإلهُ وَلا يُقبِّحُ غيرُهُ بَظْرًا تَفَلَّقَ عَنْ مَفارِقِ جَحْدَبِ

(١) كانت الدواوين فى العراق إلى عهد عبد الملك يقوم عليها جماعة من كتاب الفرس فكانت حسابات الخراج وما إليها تكتب باللغة الفارسية فلما ولى الحجاج العراقين زابه أمر من كتاب الخراج فقال : ألا يوجد من ينقل لنا أعمال الدواوين إلى العربية ؟ فقال له زاذان فروخ الاعور – وكان من الكتاب فيها – أنا أقوم بذلك ! وعمل امامه أنموذجا فسر به الحجاج وأمره باجراء النقل . فلما بلغ ذلك رؤس الكتاب من الفرس جن جنونهم وذهبوا إلى زاذان ووعدوه ومنوه بالأموال الـكثيرة إذا هو أظهر العجز حتى يعدل الحجاج عن طلبه ، ثم هددوه بكل أنواع التنكيل إذا هو أقدم . فلم يأبه لهم وتم النقل وقضى الأمر . وبهذا أسدى إلى الدولة العربية وإلى اللسان العربى يدا لاتنسى

وهو الذى كان لقيه خَالِدُ بن سَلَمَةَ المخزومى الخطيب الناسب فقال : والله ما أنت من حَنظَلَةَ الأكرمين ولا سعد الأكثرين ولا عمرو الأسدِّين، وما فى تميم خير بعد هؤلاء ! فقال له جَحْدَب : والله إنك لمن قريش ، وما أنت من بيتها ولا من ثبوتها ولا من شُوراها [(١)] وخلافتها ولا من أهل سدانتها وسقايتها !

وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان لِلعبدَرى [(٢)] ، فإنه قال له : هَشَمَتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ومنتهى عارها ، تفتح لها الأبواب إذا أقبلت وتغلقها إذا أدبرت .

ومن وُلْد المنذر : عبد الله بن شُبرُمَة بن طُفيل بن هُبيرة بن المنذر ، وكان فقيها عالما قاضياً وكان راوية شاعراً وكان خطيباً ناسبا وكان حاضر الجواب مفوها ، وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يشبه بعامر الشعبي ، وكان يُكنى أبا شبرمة . وقال يَحيى بن نَوْفَل :

لَمَّا سأَلْتُ النَّاسَ أَيْنَ المَكْرُمَهْ ... وَالْعِزُّ وَالْجُرْثومَةُ المُقَدَّمَهْ
وَأَيْنَ فارُوقُ الأُمُورِ المُحْكَمَهْ ... تَتابَعَ النَّاسُ على ابْنِ شُبْرُمَهْ

وابن شبرمة الذى يقول فى ابن أبى ليلى :

وَكَيفَ تُرَجَّى لِفَصْلِ القَضاءِ ... وَلَمْ تُصِبِ الْحُكْمَ فِى نَفْسِكا
فتَزْعُمُ أَنَّكَ لابْنِ الْجُلاحِ ... وَهَيْهاكَ دَعْواكَ مِنْ أَصْلِكا

وقال رجل من فقهاء المدينة : من عندنا خرج العلم . فقال ابن شُبرمة : نعم ، ثم لم يرجع اليكم . وقال عيسى بن موسى [(٣)] : دلونى على رجل أوليه كذا وكذا؟ فقال ابن شبرمة : أصلح الله الأمير ، هل لك فى رجل إن دعوتموه أجابكم وإن تركتموه لم يأتكم، ليس بالمُلِحّ طلبا ولا بالممعن هربا . .!؟ وسئل عن رجل فقال : إن له شرفا وبيتا وقَدَما ! ونظروا فإذا هو ساقط من السَّفِلَة ، فقيل له فى

(١) فى الأصول : ولا من شوارها ، ولا معنى لها هنا ، والصواب ما أثبتناه . يعنى ولا أنت من أهل شوراها ، ولم يكن أحد من بنى مخزوم فى أهل الشورى الستة

(٢) العبدري نسبة إلى عبد الدار

(٣) هو من أمراء بنى العباس

ذلك ؟ فقال : ما كذبتُ ، شرفه أذناه وقدمه التي يمشي عليها ولابد من أن يكون له بيت يأوى إليه .

قال أبو اسحق[١] : بل كذبت ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمة عن رجل فقال : هو يبيع الدواب ! فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ؟ فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبت ، لأن السنور دابة . قال أبو اسحق : بل لعمرى لقد كذب . وهـذا مثل القائل حين سئل عن رجل فى تزويج امرأة فقال : رزين المجلس نافذ الطعنة ، فحسبوه سيدا فارسا ! فنظروا فوجدوه خياطا ! فسئل عن ذلك فقال : ما كذبت ، إنه لطويل الجلوس جيد الطعن بالابرة ! فقال أبو اسحق : بل لعمرى لقد كذب ، لأنه قد غرهم منه ، وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يسلفه مالا عظيما فقال : هو يملك مالا كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف ! فلما بايعه الرجل وجده معدما ضعيف الحيلة ! فلما قيل له فى ذلك قال : ما كذبت لأنه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه حتى عد جميع أعضائه وجوارحه. ومن قال للمستشير هذا القول فقد غره ، وذلك مما لا يحل فى دين ولا يحسن فى الحرية ، وهذا القول معصية لله تعالى والمعصية لا تكون صدقا ، وأدنى منازل هذا الخبر لا يسمى صدقا . فأما التسمية له بالكذب فان فيها كلاما يطول.

ومن الخطباء المشهورين فى العوام والمقدمين فى الخواص : خالد بن صفوان الأهتمى ، زعموا جميعا أنه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين وكان من سماره وأهل المنزله عنده ، ففخر عليه ناس من بَلحارث بن كعب وأ كثروا فى القول ، فقال أبو العباس : لم لا تتكلم يا خالد ؟ فقال : أخوال أمير المؤمنين وعصبته ؟ قال : فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته ؟ قال خالد : وماعسى أن أقول ليقوم كانوا بين ناسج بُرد ودابغ جِلد وسائس قرد وراكب عردٍ ، [٢] دل عليهم هُدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة . . ؟ ! [٣]

(١) هو ابراهيم بن سيار النظام
(٢) العرد : الحمار
(٣) وملكتهم امرأة : يريد بها بلقيس

فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام ، إنه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد ، ولئن كان هذا شيئا حضره حين حُرك و بسط ، فماله نظير فى الدنيا ! فتأمل هذا الكلام فإنك ستجده مليحا مقبولا وعظيم القدر جليلا ، ولو خطب اليمانى بلسان سحبان وائل حولا كريتا [١] ثم صُك بهذه الفقرة ماقامت له قائمة .

وكان أذكر الناس لأول كلامه وأحفظهم لكل شيء سلف من منطقة. قال مكى بن سوادة فى صفته له :

عَلِيمٌ بِتَنْزِيلِ الْكَلَامِ مُلَقَّنٌ ... ذَكُورٌ لِمَا سَدَّاهُ أَوَّلَ أَوَّلَا [٢]

يَبُذُّ قَرِيعَ الْقَوْمِ فى كلِّ مَحْفِلٍ ... وَإِنْ كانَ سَحْبَانَ الْخَطِيبَ وَدَغْفَلا [٣]

تَرَى خُطَبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ارْتِجَالِهِ ... كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ عَايَنَ أَجْدَلَا [٤]

وكان يعارض شبيب بن شيبة لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة ، فذُكر شبيب عنده مرة فقال: ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية ؟

وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون فى الصناعه .

وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل ، فقالت له امرأة : انك لجميل يا أبا صفوان ؟ قال: وكيف تقولين هذا وما فىَّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا بُرْنُسُهُ ؟ فقيل له : ما عمود الجمال ؟ قال الطول ، ولست بطويل ! ورداؤه البياض ولست بأبيض ! و برنسه سواد الشعر ، وأنا أشمط ! ولكن قولى . إنك لمليح ظريف . وخالد يعد فى الصُلعان . ولكلام خالد كتاب يدور فى أيدى الوراقين . وكان الأزهر بن عبد الحارث بن ضرار بن عمرو الضبى ، عالماً ناسبا . ومن خطباء بني ضبة حنظلة بن ضرار ، وقد أدرك الاسلام وطال عمره حتى أدرك يوم الجمل ، وقيل له :

---

(١) الحول الكريت : العام التام

(٢) ملقن : ملهم حاضر الجواب

(٣) قريع القوم : سيدهم

(٤) قال الجاحظ : الكروان جمع كروان « بفتح الكاف » وهو ذكر الحبارى ، والاجدل الصقر »

ما بقى منك ؟ قال : أذكر القديم وأنسى الحديث وآرق بالليل وأنام وسط القوم . ومن خطباء بنى ضَبة وعلمائهم : مَنْجُورُ بنُ غَيْلانَ بن خَرشة ، وكان مقدماً فى المنطق وهو الذى كتب الى الحجاج : إنهم قد عرضوا على الذهب والفضة ، فما ترى أن آخذ ؟ قال : أرى أن تأخذ الذهب ! فذهب عنه هاربا ، ثم قتله بعد. وذكره القُلاخُ بنُ حَزْنٍ المنقرى فقال :

مِثَالُ مَنْجُورٍ قَلِيلٌ وَمِثْلُهُ فَتَى الصِّدْقِ إنْ صَفَّقْتَهُ كلَّ مُصَفَّقِ (١)
وَمَا كُنْتُ أَشْرِيهِ بِدُنْيَا عَرِيضَةٍ وَلَا بِابْنِ خَالٍ بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ (٢)
إذا قالَ بَذَّ القائِلِينَ مَقَالُهُ وَيَأْخُذُ مِنْ أَكْفَائِهِ بِالْمُخَنَّقِ

ومن خطباء الخوارج : قَطَرِىُّ بن الفُجَاءة ، (٣) له خطبة طويلة مشهورة وكلام كثير محفوظ ، وكانت له كنيتان : كنية فى السلم وهو : أبو محمد ، وكنية فى الحرب وهو : أبو نعامة . وكانت كنية عامر بنِ الطُّفَيْلِ فى الحرب غير كنيته فى السلم ، كان يكنى فى الحرب بأبى عقيل ، وفى السلم : بأبى على . وكان يَزِيدُ بن مَزْيَدَ (٤) يكنى فى السلم بأبى خالد ، وفى الحرب بأبى الزبير . وقال مُسْلم بنُ الوليدِ الأنصارِى :

لَوْلَا سُيُوفُ أَبِى الزُّبَيْرِ وَخَيْلُهُ بَشَرَ الْوَلِيدُ لِسَيْفِهِ الضَّحَّاكَا

(١) صفقته : خبرت أموره وقلبته على الشؤون وجدته مصفقا اى حولا قلبا
(٢) أشريه : أبيعه
(٣) هو قطرى بن الفجاءة المازنى احد زعماء الخوارج ، كان من الشجاعة والفروسية والتدبير على جانب عظيم ، بايعته الخوارج بعد مقتل رئيسهم الزبير بن على . وجرت بينه وبين المهلب بن ابى صفرة حروب وخطوب يطول شرحها ، وظل عشرين سنة يسلم عليه الخوارج بالخلافة وهو يقودهم فى الحروب افضل قيادة إلى أن سير اليه الحجاج جيشا بقيادة سفيان بن الأبرد ففرق شمله ، وقتله سودة ابن ابجر الدارمي . وكان خطيبا بليغا وشاعرا مجيدا .
(٤) هو يزيد بن مزيد الشيبانى . كان من القواد العظام في عهد الرشيد ، ولي ارمينية وحارب الوليد ابن طريف الشيبانى الخارجي وقتله . كما حارب خراشة الخارجي وقتله . وكان شهما هماما فارسا جوادا . وشاعره مسلم بن الوليد

وفيه يقول :

لَوْلاَ يَزِيدٌ وَمِقْدَارٌ لهُ سَبَبٌ عَاشَ الْوَلِيدُ مَعَ الْغَاوِينَ أعْوَامَا(١)

سَلَّ الخَلِيفَةُ سَيفاً مِنْ بَنِي مَطَرٍ يَمْضِي فَيَخْتَرِقُ الأَرْوَاحَ وَالْهَامَا

إذا الخِلاَفَةُ عُدَّتْ كُنْتَ أَنْتَ لَهَا عِزّاً وكَانَ بَنُو العَبَّاسِ حُكَّامَا

ألا تراه قد ذكر قتل الوليد . وقد كان خالدُ بنُ يَزِيدَ اكتفى بها فى الحرب فى بعض أيامه بمصر .

وهذا الباب مستقصى مع غيره فى أبواب الكنى والاسماء وهو وارد عليكم إن شاء الله تعالى .

ومن خطباء الخوارج : إبنُ صِدِّيقَةٍ ، وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة وكان صُفريا خطيباً ناسباً ويشو به بعض الظرف والهزل .

ومن علماء الخوارج : شُبَيْلُ بنُ عَزْرة الضُّبَعِيُّ صاحب الغريب ، وكان راوية خطيبا وشاعرا ناسباً ، وكان سبعين سنة رافضياً ثم انتقل خارجياً صفريا .

ومن علماء الخوارج : الضَّحَّاكُ بنُ قَيْسٍ الشَّيْبَانِيُّ (٢) ويكنى أبا سعيد ، وهو الذى ملك العراق وسار فى خمسين ألفاً وبايعه عبدُ الله بن عمر بنِ عبدالعزيز وسُليمان بنُ هِشام بن عبد الملك وصليا خلفه . وقال شاعرهم .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ

وكان ابنُ عَطاءِ اللَّيْثِيُّ يسامر الرشيد ، وكان صاحب أخبار وأسمار وعلم بالانساب وكان أظرف الناس وأحلاهم .

وكان عبدُ العزيزِ بنُ عبد اللهِ بنِ عامر بنْ كُرَيْزٍ ، راوية ناسبا وعالما بالعربية

---

(١) الوليد : هو الوليد بن طريف الشيبانى ، وكان خرج بالجزيرة وكثرت جموعه واستفحل امره فسير إليه الرشيد الجيوش يتلو بعضها بعضا وهو يفتك بها ويبدد شملها إلي ان سار اليه يزيد فقتله واستباح جيوشه

(٢) هو الضحاك بن قيس الشيبانى خرج بالجزيرة فى جموع كثيرة من الخوارج وانتزع الكوفة من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز اميرها بعد حرب شديدة ، ثم سار إليه مروان بن محمد فى سنة ١٢٨ فقتله .

فصيحاً . وكان عبدُ الأعلى بنُ عَبد الله بن عامر من أبين الناس وأفصحهم ، وكان مَسْلَمَةُ بنُ عَبد الملك يقول . إنى لأنَحّى كور العمامة عن أُذنى لأسمع كلام عبد الاعلى بن عبد الله . وقال بعض الأمراء — وأظنه بلال بن أبى بُردة — لأبى نَوفَلٍ الجارُودِ بْنِ أبى سَبْرَةَ : ماذا تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عنده ؟ قال : يشاهدنا بأحسن استماع وأحسن حديث ، ثم يأتى الطباخ فيمثل بين عينيه فيقول : ماعندك ؟ فيقول عندى لون كذا وجدى كذا ودجاجة كذا ومن الحلو كذا ! قال . ولم يسأل عن ذلك ؟ قال : ليُقْصِرَ كل رجل عما لايشتهى حتى يأتيه مايشتهى ، ثم يأتون بالخوان فيتضايق ونتسع وَيُقصِّرُ ونجتهد فإذا شبعنا خَوَى تخوية الظليم ثم أقبل يأ كل أ كل الجائع المقرور . والجارود هو الذى قال : سوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخل العسل ، وهو الذى قال: عليكم بالمر بد فانه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر .

وصعد عثمان المنبر فارتج عليه فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب ، وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون إن شاء الله تعالى .

وشخص يَزِيدُ بنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ (١) إلى هِشام بن عبد الملك فتكلم ، فقال هِشام : مامات من خلف مثل هذا ! فقال الأبرش الكلبى : ليس هناك ، أما تراه يرشح جبينه لضيق صدره ؟ قال يزيد : مالذلك رشح ، ولكن لجلوسك فى هذا الموضع .

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى . كان اميراً جليلا وسيداً شريفاً وقائداً مدرا ، وكان شجاعا باسلا وجواداً كريماً واسع المروءة عظيم الخطر : كان يقسم على زواره فى كل شهر خمسمائة الف درهم ويعشى كل ليلة من شهر رمضان ثم يقضى للناس حوائجهم . ولاه مروان بن محمد العراقين فظل فيها خمس سنين . ولما ظهرت الدعوة العباسية صمد لها وحاول مقاومتها فهاجمه قحطبة بن شبيب الطائى بجموعه والجأه إلى التحصن بواسط فيمن بقى معه ، ولما تمت البيعة لأبي العباس السفاح وولى اخاه ابا جعفر على واسط حاصره بها تسعة اشهر ثم صالحه وافتتحها على عهد الامان ليزيد فخرج واهله إليه يزيد فى ركب من آل بيته فكان ابو جعفر يقول : لايعز ملك هذا فيه . وبعد مدة غدر به وقتله هو وولده داود بن يزيد سنة ١٣٢ هـ

وكان الأبرش ثلابة نسابة ، وكان مصاحبا لهشام بن عبد الملك فلما أفضت إليه الخلافة سجد وسجد من كان عنده من جلسائه ، والأبرش شاهد لم يسجد، فقال له هشام : مامنعك أن تسجد يا أبرش؟ قال : ولم أسجد وأنت اليوم معى ماشيا وغدا فوقى طائرا ! قال : فان طرت بك معى ؟ قال : أتراك فاعلا ! ؟ قال : نعم قال: فالآن طاب السجود .

ودخل يَزِيدُ بنُ عُمَرٍ على المنصور — وهو يومئذ أمير — فقال: أيها الامير، إن عهد الله لاينكث وعقده لايحل ، وإن إمارتكم بكر فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها .

قال سهل بن هرون . دخل قُطْرُبٌ النحوى على المخلوع (١) فقال: ياأمير المؤمنين كانت عِدَتُكَ أرفع من جائزتك ! وهو يتبسم ، قال سهل : فاغتاظ الفضل بن الربيع فقلت له : إن هذا من الحصر والضعف وليس هذا من الجلد والقوة ، أماتراه يفتل أصابعه و يرشح جبينه ..!؟

وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومى . مَن أخطب الناس ؟ قال : أنا . قال: ثم مَن ؟ قال : سيد جُذام ، يعنى رَوْح بن زِنْباع (٢) قال : ثم من ؟ قال : أُخَيفِشُ ثقيف ، يعنى الحجاج . قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين ! ؟ قال: ويحك ! جعلتنى رابع أربعة ! قال : نعم هو ما سمعت . !

ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم فى الفُتيا وشعرائهم ورؤساء قعَدِهِمْ : عِمْرانُ بْنُ حِطَّان ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم : حَبِيْبُ بْنُ خُدْرَةَ الهِلالِىُّ ، وعداده فى بنى شيبان . وممن كان يرى رأي الخوارج : أَبُو عُبَيْدَةَ النحوى مَعْمَرُ

(١) المخلوع : محمد الأمين بن زبيدة

(٢) هو روح بن زنباع الجذامى ، كان من رجال الدولة الأموية ومن اكابر سراتها والمقدمين فيها ، وكان شجاعا باسلا وكريما جوادا مضيافا ، مع البلاغة والفصاحة واللسن وقوة العارضة ، وله فى شؤون الدولة رأى نافذ وبلاء حسن

ابن المثنى مولى تيم بن مرة ولم يكن فى الأرض خارجى ولا جَمَاعِىٌّ أعلم بجميع العلم منه . وممن كان يرى رأى الخوارج : الْهيثم بن عدى الطائى ثم البحترى .

وممن كان يرى رأى الخوارج : شُعَيْبُ بْنُ رَبَابٍ الحنفى أبو بكار صاحب أحمد ابن أبي خالد ومحمد بن حسان السكسكى . ومن الخوارج من علمائهم ورواتهم: مُسْلِمُ ابْنُ كَرْزِين ، وكنيته أبا عبيدة، وكان إباضيا . ومن علمائهم الصُّفْرِيَّةِ وممن كان مقنعا فى الأخبار لأصحاب الخوارج والجماعة جميعا : مُلَيْلٌ ،وأظنه من بنى ثعلبة . ومن أهل هذه الطبقة (١) : أَصْفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، من أخوال طوق بن مالك . ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم : الْمُقَعْطِلُ ،قاضى عسكر الأزارقة أيام قَطَرِيّ . ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم : عُبَيْدَةُ بْنُ هِلَالٍ الْيَشْكُرِيُّ ، (٢) وكان فى بنى السمين ، ومن بنى شيبان خطباء العرب ، وكان فيهم ذاك فاشياً ، ولذلك قال الْأَخْطَلُ :

فَأَيْنَ السَّمِينُ لَا يَقُومُ خَطِيبُهَا ۝ وَأَيْنَ ابْنُ ذِى الجَدَّيْنِ لَا يَتَكَلَّمُ

وقال سُحَيْمُ بْنُ حَفْصٍ : كان يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رُؤْبَةَ الشيبانى من أخطب الناس عند يزيد بن الوليد ، فأمر للناس بعطاءين . ومن الخطباء: مَعْبَدُ بْنُ طَوْقٍ الْعَنْبَرِيُّ ، دخل على بعض الأمراء فتكلم وهو قائم فأحسن ، فلما جلس تَلَهْيَعَ (٣) فى كلامه ، فقال له : ما أظرفك قائما وأموقك قاعدا !؟ قال : إنى إذا قمت جددت وإذا قعدت هزلت ! قال : ما أحسن ما خرجت منها . ومن خطباء عبد القيس : مَصقلةُ بن رَقَبة ، وكرِب بن رقبة .

والعرب قد ذكروا من خطب العرب « العجوز » وهى خطبة لآل رقبة . ومتى تكلموا فلا بد لهم منها أو من بعضها . و « العذراء » وهى خطبة قَيْسِ بْنِ

(١) كان بالأصل : ومن أهل هذه الصفة . وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه

(٢) هو عبيدة بن هلال اليشكري ، كان من زعماء الخوارج وأبطالهم وأهل النجدة منهم . وكان فاتكا لايبالي ماصنع . وكان مع هذا ذا رأي وحزم وتدبير . اراد الخوارج ان يولوه عليهم فابى واشار عليهم باختيار قطرى بن الفجاءة

(٣) تلهيع : تكلف الكلام

خارجة، لأنه كان أبا عُذْرِهَا. و« الشوهاء » وهي خطبة سَحْبَانِ بْنِ وَائِلٍ، وقيل لها ذلك من حسنها، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب

وكان ابنُ عَمَّارٍ الطائي خطيب مَذْحِجٍ كلها، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته، وكان النعمان أحمر العينين أحمر الجلد أحمر الشعر، وكان شديد العربدة قتالا للندماء، فنهاه أبو قُرْدُودَةَ الطائي عن منادمته، فلما قتله رثاه فقال:(١)

إني نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ ... لا تأمَنَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعَرَهْ

إنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ ... تَطِرْ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهْ

يا جَفْنَةً كَإِزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا ... وَمَنْطِقاً مِثْلَ وَشْيِ الْيُمْنَةِ الْحِبَرَهْ

وقال الأصمعي: هو كقوله:

وَمَنْطِقٌ خُرِّقَ بِالْعَوَاسِلِ ... لَذٌّ كَوَشْيِ الْيُمْنَةِ الْمَرَاجِلِ.

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرَو بْنَ الْأَهْتَمِ عن الزِّبْرِقَانِ بن بدر فقال: إنه لمانع لحوزته مطاع في أذينه!(٢) قال الزبرقان: يا رسول الله، إنه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني يا رسول الله في شرفي فقصر بي! فقال عمرو: هو والله زَمِرُ الْمُرُوءَةِ ضيق العطن لئيم الخال! فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه!؟ فقال: يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الآخرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً »

وتكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبد العزيز — وكانت حاجته في قضائها مشقة — فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز وتأتى لها، فقال عُمَرُ: والله إن هذا للسحر الحلال!

ومن أصحاب الأخبار والآثار: أبو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ،

(١) راجع صفحة ١٨٩
(٢) أذينه: أذين الرجل قومه الذين يقوم عليهم زعيما

وكان القاضى قبل أبي يوسف . ومن أصحاب الأخبار والآثار : أبو هُنَيْدَةَ، وأبو نعامَةَ العدويان . ومن الخطباء : أَيُّوب بن القِرِّيَّةِ وهو الذى لما دخل على الحجاج قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : ثلاثة حروف كأنهن ركب وقوف دنيا وآخرة ومعروف . ثم قال له فى بعض ما يقول : أقلنى عثرتى وأسغنى ريقى فإنه لا بد للجواد من كبوة وللسيف من نبوة وللحليم من هفوة ؟ قال : كلا والله حتى أوردك جهنم ! ألست القائل برستاقاباذ : تعدو الجدى قبل أن يتعشا كم..؟ !

ومن خطباء غَطَفَان فى الجاهلية : خُوَيْلِدُ بْنُ عَمْرٍو ، والعشراء بن جابر ابن عقيل بن هلال بن سمى بن مازن بن فزارة وخويلد خطيب يوم الفِجَارِ . ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب وأهل البيان : الْوَضَّاحُ بْنُ خَيْثَمَةَ . ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب والحكام عند أصحاب النفورات : بَنُو الْكَوَّاء ، وإياهم يعنى مِسْكِينُ بْنُ أُنَيْفٍ الدَّارِمِىُّ حين ذكر أهل هذه الطبقة فقال :

كِلا نَاشَاعِرٌ مِنْ حَيِّ صِدقٍ ... وَلكِنَّ الرَّحَى فَوْقَ الثِفَالِ (١)

وَحَكَمٌ دَغْفَلاً وَارْحَلْ إِلَيْهِ ... وَلاَ تَرْحِ المَطِيَّ مِنَ الكَلاَلِ

تَعالَ إِلَى بَنِي الكَوَّاءِ يَقْضُوا ... بِعِلْمِهِمِ بِأَنْسَابِ الرِّجَالِ

تَعالَ إِلَى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهَابٍ ... يُنَبِّى بِالسَّوَافِلِ وَالعَوَالِى

وَعِندَ الكَيِّسِ النَّمَرِىِّ عِلْمٌ ... وَلَوْ أَضْحَى بِمُنْخَرَقِ الشَّمَالِ

ومن الخطباء القدماء : كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ ، وكان يخطب على العرب عامة ، ويحض كنانة خاصة على البر ، فلما مات أكبروا موته فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لؤى إلى عام الفيل .

ومن الخطباء الأبيناء العلماء الذين جروا من الخطبة على أعراق قديمة : شَبِيبُ ابن شيبة ، وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور — وقد كان المنصور

(١) الثفال : رقعة من الجلد تفرش تحت الرحى

أقام صالحا فتكلم — فقال شبيب : ما رأيت كاليوم أبين بيانا ولا أجود لسانا ولا أربط جنانا ولا أبل ريقا ولا أحسن طريقا ولا اغمض عروقا ، من صالح ! وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه والمهدى أخاه أن يكون كما قال زُهَيْرٌ :

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَيْنِ قَدَّمَا حَسَنًا ... نَالاَ الْمُلُوكَ وَبَذَّا هَذِهِ السُّوَقَا(١)

هُوَ الْجَوادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَأْوِهِمَا ... عَلَى تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقَا

أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ ... فَمِثْلُ مَا قَدَّمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

وخرج شبيب من دار الخلافة يوماً فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال: رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا . وقال خالد بن صفوان : إتقوا مجانيق الضعفاء ! يريد الدعاء . وقال شبيب : أطلب الأدب فانه دليل على المروءة وزيادة فى العقل وصاحب فى الغربة وصلة فى المجلس . وقال شبيب المهدى يوما : أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ماأراك فى أبيك .

وقال أبو الحسن:قال زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بن الحسين : أطلب ما يعنيك وأترك مالا يعنيك ، فان فى طلب مالا يعنيك دركا لما يعنيك ، وإنما تقدم على ما قدمت ولست تقدم على ما أخرت ، فآثر ما تلقاه غدا على مالا تراه أبدا . أبو الحسن عن ابراهيم بن سعد قال : قال خَالد بنُ صَفوان : ما الانسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهمله . أبو الحسن قال : كان أبو بكر خطيبا ، وكان عُمرُ خطيبا ، وكان عثمان خطيبا ، وكان على خطيبا. وكان من الخطباء: معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك، ومعاوية بن يزيد، ومروان، وسليمان، ويزيد بن الوليد ، والوليد بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز . ومن خطباء بنى هاشم: زيد بن على، وعبد الله بن حسن، وعبد الله بن معاوية ، خطباء، لا يجارون . ومن خطباء النساك والعباد : الحسن بن أبى الحسن البصرى، ومُطَرِّفُ بنُ عبد الله الحرشى، ومؤرق العجلى، وبكر بن عبد الله المزنى ، ومحمد بن واسع الازدى(٢) ويزيد بن أبان الرقاشى، ومالك بن دينار السامى

(١) الشأو : الغاية

(٢) هو ابو بكر محمد بن واسع بن جابر الازدى . كان عالما زاهدا ناسكا مجاهدا غزاء، مات سنة ١٢٧هـ

وليس الأمر كما قال ، فى هؤلاء القاص المجيد والواعظ البليغ وذو المنطق الوجيز ، فأما الخطب فانا لا نعلم أحدا يتقدم الحسن البصرى فيها ، وهؤلاء وإن لم يسموا خطباء فان الخطيب لم يكن يشق غبارهم .

أبو الحسن قال : حدثنى أبو سليمان الحميرى قال : كان هشام بن عبد الملك يقول : إنى لأستصفق العمامة الرقيقة أن تكون على أذني إذا كان عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر يتكلم مخافة أن يسقط عنى من حديثه شيء. ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان : أبو البلاد ، وكان راوية ناسبا . ومنهم : هاشم بن عبد الاعلى الفزارى . ومن الخطباء: حَفْصُ بنُ مُعاوية الغلابى، وكان خطيبا وهو الذى قال — حين أشرك سليمان بن على بينه و بين مولى له على دارة القتب — : أشركت بينى و بين غير الكفى ووليتنى غير السنى ؟ ! ومن بنى هلال بن عامر : زُرْعَةُ بنُ ضَمْرَةَ ، وهو الذى قيل : لولا غلوفيه ما كان كلامه إلا الذهب ! وقام عند معاوية بالشام خطيبا فقال معاوية : ياأهل الشام،هذا خالى فأتونى بخال مثله؟! وكان ابنه النُّعمان بن زُرعة بن ضَمرة من أخطب الناس وهو أحد من كان تخلص من الحجاج من فَلِّ ابن الأشعث بالكلام اللطيف .

قال سُحَيمُ بنُ حَفْصٍ : ومن الخطباء : عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى، تكلم هو وعبد الله بن الاهتم عند عمر بن هبيرة يفضل عاصما عليه ، فقال قائل يومئذ الخل الحامض ما لم يكن ماء . ومن خطباء بنى تميم : عَمْرُو بن الاهتم ، وكان يدعى المُكَحَّلُ لجماله ، وهو الذى قيل فيه : انما شعره حُلل مُنشرة بين أيدى الملوك تأخذ منه ماشاءت ،ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطب منه . ومن بنى منقر : عبد الله بن الاهتم ، وكان خطيبا ذا مقامات ووفادات .ومن الخطباء :صفوان ابن عبد الله بن الاهتم ، وكان خطيبا رئيسا ، وابنه خالد بن صفوان ، وقد وفد إلى هشام وكان من سمار أبى العباس . ومنهم : عبد الله بن عبد الله بن الاهتم ، قد ولى خراسان ووفد على الخلفاء، وخطب عند الملوك . ومن ولده : شبيب بن

شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم ، وعبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم ، وخاقان بن الاهتم وهو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم . ومن خطبائهم : محمد الاحول بن خاقان ، وكان خطيب بنى تميم ، وقد رأيته وسمعت كلامه. ومن خطبائهم: مُعَمَّرُ بنُ خاقانٍ ، وقد وفد . ومن خُطبائهم : مؤمل بن خاقان ، وقال أبو الزبير الثقفى : ما رأيت خطيبا من خطباء الامصار أشبه بخطباء البادية من المؤَمَّل بن خاقان . ومن خطبائهم : خَاقانُ بنُ المُؤمل بن خَاقان . وكان صباح ابن خاقان ذا علم وبيان ومعرفة وشدة عارضة وكثرة رواية ، مع سخاء واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصديق وقيام بحق الجار . ومن بنى منقر : الحكم بن النضر وهو أبو العلاء المنقرى ، وكان يصرف لسانه حيث شاء مع جهارة واقتدار . ومن خطباء بنى صُريم بن الحارث : الخزرج بن الصَّدي . ومن خطباء بنى تميم ثم من مقاعس : عمارة بن أبى سليمان . ومن ولد مالك بن سعيد : عبد الله وخير ابنا حبيب ، كانا ناسبين عالمين أديبين دينين . ومن وِلد مالك بن سعيد : عبد الله والعباس ابنا رؤبة ، وكان العباس علامة ناسبا راوية ، وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم ، ويكنى أبا الشعثاء ، وهو العجاج .

ومن أصحاب الأخبار والنسب : أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم جُبَيْرُ ابنُ مُطْعِمٍ ، ثم سَعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيب ، ثم قتادة ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة المسعودى[(١)] الذى قال فى كلمة له فى عمر بن عبد العزيز وعبد الله ابن عثمان بن عفان رضى الله عنهما :

فَمَسَّا تُرابَ الأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا ... وَفِيهِ المَعادُ وَالمَصِيرُ إِلَى الحَشْرِ
وَلاَ تأْنَفا أَنْ تَرْجِعا فَتُسَلِّمَا ... فَمَا حُشِيَ الإِنْسانُ شَرًّا مِنَ الكِبْرِ
فَلَوْ شِئْتُ أَدْلَى فِيكُما غَيْرُ وَاحِدٍ ... عَلاَنِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي سِرِّ

(١) كان عالما فقيها محدثا شاعرا راوية، وهو من شيوخ الزهرى فى الحديث والرواية ، وكان الزهرى يقوم له إذا خرج فلما ظن انه استنفد ما عنده لم يقم له ، فقال له : إنك فى العزاز فقم . والعزاز ما غلظ من الأرض . يقول له إنك ما زلت بعد فى الاطراف . مات سنة ٩٨ هـ

فإنْ أنا لمْ آمرْ ولمْ أنْهَ عنكما ضَحِكْتُ له حتّى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِي

وهو الذي قيل له : كيف تقول الشعر مع النُّسك والفقه ؟ فقال : إن المصدور لا يملك أن ينفُث . وقد ذكر المصدور أبو زُبيدٍ الطائي في صفة الأسد فقال :

لِلصَّدْرِ مِنْهُ عَوِيلٌ فيه حَشْرَجَةٌ كأنّما هُوَ مِنْ أحْشَاءِ مَصْدُورِ

ومن خطباء هُذَيل : أبو المليح الهُذلي أُسامة بن عمير . ومنهم : أبُو بكر الهذلي ، كان خطيبا قاصاً وعالما بينا وعالما بالأخبار والآثار ، وهو الذي لما فاخر أهل الكوفة قال : لنا الساج والعاج والديباج والخراج والنهر العجاج .

باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا : أكهن العرب وأسجعهم : سَلَمَةُ بنُ أبي حَيَّةَ وهو الذي يقال له عُزَى سلمة . ومنهم ومن خُطباء عُمان : مُرة بن فَهْم التَلِيدِ ، وهو الخطيب الذي أوفده المهلب إلى الحجاج . ومن العَتِيك : بِشْرُ بنُ المُغِيرَةِ بن أبي صُفرة ، وهو الذي قال لبني المهلب : يابني عمي ، إني والله قد قصرت عن شَكاة العاتب وجاوزت شَكاة المُستعتب حتى كأني لست موصولا ولا محروماً ، فعدُوني امرأ خفتم لسانه أو رجوتم شكره ، وإني وإن قلت هذا فلَمَا أبلاني الله بكم أعظم مما أبلاكم بي .

ومن خطباء اليمن ثم من حِميرَ الصَّبَّاحُ بنُ شَفِيّ الحِمْيَرِيُّ ، كان أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار : قَيْسُ بنُ الشماس ، ومنهم : ثابت بن قيس بن الشماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم . ومنهم : رَوْحُ بنُ زِنْبَاعٍ ، وهو الذي لما هم به معاوية قال : لاتُشمتن بي عدواً أنت وقمته ولا تسوءن بي صديقا أنت سررته ولا تهدمن مني ركنا أنت بنيته ، هلا أتى حلمك وإحسانك على جهلي وإساءتي . . ؟ ومن خطبائهم : الأسودُ الكذابُ بنُ كعب العَنسي . وكان طُلَيْحَةُ خطيبا وشاعرا وسجاعا كاهنا ناسبا . وكان مُسيلِمَةُ الكذاب بعيدا من ذلك كله . وثابتُ ابن قيس بن شماس هو الذي قال لِعَامِرٍ حين قال : أما والله لئن تعرضت لِعَنّي وفَنّي

وذكا. سنى لتوَلين عنى! فقال له ثابت : أما والله ائن تعرضت لِسبابى وشبا أنيابى وسرعة جوابى اتكرهن جنابى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «يكفيكَ اللهُ وأبناءَ قَيْلَة»[(١)]. وأخذت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فأنا أتهمه . ومن خطباء الأنصار : بشرُ بنُ عمرو بن محصن ، وهو أبو عمرة الخطيب . ومن خطباء الانصار : سعدُ بن الرَّبيع ، وهو الذى اعترضت ابنته النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها: من أنت ؟ فقالت : ابنة الخطيب النقيب الشهيد ؛ سعد بن الربيع . ومنهم : خال حسان بن ثابت ، وفيه يقول حسان :

إنَّ خالى خَطِيبُ جَابِيَةَ الجوْ   لَانَ عِنْدَ النُّعْمَانِ حَيْثُ يَقُومُ

وإياه يعنى حسان بقوله :

رُبَّ خَالٍ لِيَ لَوْ أَبْصَرْتَهُ   سَبِطِ المِشْيَةِ فى اليَوْمِ الخَصِرْ

ومنهم من الرواة والنسابين والعلماء : شَرْقِىُّ بنُ القطامى الكَلْبِىُّ ، ومحمد بن السائب الكلبى ، وعبدُ الله بن عياش الهَمْدَانِىُّ ، وهِشَامُ بنُ مُحمد بن السائب الكلبى ، والهيثَمَ بنُ عَدى الطائى ، وأبو رَوق الهَمْدَانى واسمه عطية بن الحارث ، وأبو مِخْنَفٍ لُوطُ بنُ يحيَى الأزدى ، ومحمد بن عمر الأسلمى الواقدى ، وعوانة الكلبى ، وابن عُيينة المهلبى ، والخليل بن احمد الفراهيدى ، وخلف بن حيان الأحمر الأشعرى . قالوا : ومنا فى الجاهلية : عُبَيْدُ بنُ شَرِيَّةَ[(٢)] ومنا : شِقٌّ بن الصعب ، ومنا : ربيع بن ربيعة السطيح الذئبى ، ومنا : المأمور الحارثى ، والديان بن عبد المدان الحارثى ، الشريفان الكاهنان. ومنهم : عَمْرُو بنُ حَنْظَلَةَ بن نَهْدٍ الحكم ، وله يقول القائل : حنظلة بن نهد ، خير ناس من معد .

---

(١) ابناء قيلة : الاوس والخزرج .

(٢) هو عبيد بن شرية الجرهمى ، ادرك عهد النبى ولم يلقه ولم يسمع منه شيئاً وزعم ابن الكلبى انه عاش ثلاثمائة سنة وادرك معاوية وانشده اشعارا وروى له اخبارا . استقدمه معاوية من صنعاء اليمن وسأله عن اخبار المتقدمين من ملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الالسنة وتفرق الناس فى البلاد . فلما اجابه امر معاوية بتدوين ماقال معزوا إليه . وعاش عبيد إلى عهد عبدالملك . وله كتب .

ومنهم : أبو الشَّطَّاح اللَّخمِيُّ ، وجمع مُعاويةُ بينه و بين دَغْفَلِ بن حنظلة البكري . ومنهم : أبو الكناس الكندي ، ومنهم : أبو مخوس الكندى ، وكانا ناسبين عالمين . ومن أصحاب الأخبار والآثار : عبدُ الله بن عُتْبة بن لهيعة ، ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن القدماء في الحكمة والخطابة والرياسة : عُبَيْدُ بن شَرِيَّةَ الْجُرْهمِى ، وأسقف نجران ، وأُكَيْدِرُ صاحبُ دومة الجندل ، وَأَفْعَى نجران ، وذَرِبُ بن حَوْطٍ ، وَعُلَيْمُ بن جناب ، وعمرو بن ربيعة ، وهو لُحَيُّ بن حارثة بن عمرو مزيقيا ، وجذيمة بن مالك الأبرش ، وهو أول من أسرج الشمع ورمى بالمنجنيق .

باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان

عامر بن عبد قيس ، وَصِلَةُ بن أَشْيَمٍ ، وعثمان بن أدهم ، وصفوان بن محرز ، والأسود بن كلثوم ، والربيع بن خثيم ، وعمرو بن عتبة بن فرقد ، وهَرِمُ بْن حيان (١) ، ومؤرق العجلى (٢) وبكر بن عبد الله بن الشخير الحرشي . وبعد هؤلاء : مالك بن دينار ، وحبيب أبو محمد ، ويزيد الرقاشي ، وصالح المرى ، وأبو حازم الأعرج (٣) ، وزياد مولى عياش بن أبي ربيعة ، وعبد الواحد بن زياد (٤) وحيان أبو الأسود ، ودهثم أبو العلاء . ومن النساء : رَابِعَةُ القَيْسِيَّةُ ، ومعاذة العدوية

---

(١) هو هرم بن حيان من عبد القيس ، كان من خيار الناس وأماثلهم ، وكان من ولاة عمر بن الخطاب ، وكان يلي قيادة عبد القيس يوم فتح توج .

(٢) هو أبو المعتمر مورق بن المشمرج العجلي ، كان من العباد الزهاد ، وكان جوادا كريما ، ربما دخل على بعض إخوانه فوضع عندهم الدراهم ويقول امسكوها حتى أعود إليكم فاذا خرج قال أنتم في حل منها ، توفي في ولاية عمر بن هبيرة على العراق

(٣) هو سلمة بن دينار أبو حازم المدني الأعرج ، كان عابداً صالحاً زاهدا ، وكان له حمار يركبه إلى مسجد المدينة حيث كان يقص فيه ، مات ١٤١ هـ

(٤) هو عبد الواحد بن زياد الثقفي ، كان مولى لعبد القيس ، وكان على صلاح وتقوى وورع ، مات سنة ١٩٧ هـ

امرأة صِلَة بن أَشْيَم (١) ، وأم الدرداء . ومن نساء الخوارج : أَلْبَلْجاء ، وَغَزَالَةُ ، وَقَطَام ، وَحَمَّادَةُ ، وَكَحِيلَة (٢) . ومن نساء الغالية ليلى الناعطية ، والصَّدوف ، وهند . وممن كان من النساك ممن أدركناه : أبو الوليد وهو الحكم الكندى ، ومحمد بن محمد بن الحمرانى . ومن القدماء ممن كان يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء : لقمان بن عاد ، ولقيم بن لقمان ، ومجاشع بن دارم ، وسليط بن كعب بن يربوع ، سموه بذلك لسلاطة لسانه ، وقال جرير : « إن سليطاً كاسمه سليطا » . ولؤى بن غالب ، وقس بن ساعدة ، وقصى بن كلاب . ومن الخطباء البلغاء الحكام الرؤساء : أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ ، وربيعة بن حُذار ، وهَرِمُ بن قُطبة ، وعامر ابن الظرب ، ولبيد بن ربيعة وكان من الشعراء . وأسماء الصوفية من النساك ممن يجيد الكلام : كلاب ، وكليب ، وهاشم الأوقص ، وأبو هاشم الصوفى ، وصالح ابن عبد الجليل . ومن القدماء العلماء بالنسب وبالغريب : أَلْخَطَفَى ، وهو جد جرير بن عطية بن الخطفى ، وهو حُذيفة بن بَدر بن سَلمة بن عُوف بن كُليب ابن يربوع ، وإنما سمى الخطفى لأبيات قالها :

يَرْفَعْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا   أَعْنَاقَ جِنَّانٍ وَهَامًا رُجَّفَا

وَعَنَقًا بَاقِيَ الرَّسِيمِ خَيْطَفَا (٣)

---

(١) اما رابعة القيسية فهى رابعة بنت اسماعيل العدوية ، كانت من افاضل الزهاد ، ولها كلام جيد بدور على السنة اهل الورع . ماتت سنة ١٣٥ واما معاذة فهى بنت عبد الله العدوى وكانت تكنى ام الصهباء . روت عن على وعائشة وروى عنها الشيوخ ، وكان ابن معين يوثقها . ماتت سنة ٨٣ هـ

(٢) اما البلجاء فهى امراة من بنى حرام ، كانت من القانتات المجتهدات من نساء الخوارج اخرجت فى ولاية عبيد الله بن زياد على البصرة فاخذها وقطع يديها ورجليها ورمى بها فى السوق . واما غزالة فهى زوجة شبيب الخارجي وكانت من اشجع الناس وافرسهم . وردت الكوفة وهى غاصة بجيوش الدولة وطلبت الحجاج إلى المبارزة فاحتجب عنها فعير بذلك . قتلت فى احدي المعارك . واما قطام وكحيلة فهما من بابة البلجاء فى التمسك بالعقيدة والدفاع عنها ، خرجتا مع الخوارج فى ولاية ابن عامر البصرة ، فعير الناس الخوارج من اجلهما . وحمادة كذلك

(٣) قال الجاحظ : العنق ضرب من السير وهو المنبطر ، فاذا ارتفع عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو التميل ، والرسيم فوق التميل . والخيطف السريع أى يخطف كما يختطف البرق ، وخيطف من الخطف والياء زائدة فى خيطف ، كما قالوا رجل صيرف من الصرف ، ورجل حيدر من الحدر وهو القصر ، وأصل الخطف الأخذ فى سرعة ثم استعير لكل سريع .

ذكر القصاص

قص الأسود بن سريع ، وهو الذي قال :

فإنْ تَنْجُ منها تنجُ من ذِي عَظِيمَةٍ وإلَّا فإنِّي لا إخَالُكَ ناجِيا

وقص الحسن ، وسعيد بن الحسن . وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ فى مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن [فيها] وقص إبراهيم التيمى ، وقص عبيد الله بن عمير الليثى وجلس إليه عبد الله بن عمر ، حدثنى بذلك عمرو بن قائد باسناد له . ومن القصاص : أبو بكر الهذلى وهو عبد الله بن أبى سليمان وكان خطيبا بينا صاحب أخبار وآثار . وقص ابنه مُطَرف بن عبد الله بن الشخير فى مكان أبيه . ومن كبار القصاص ثم من هذيل : مسلم بن جُندَب ، وكان قاص مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان إمامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز : من سره أن يسمع القرآن غضاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب . ومن القصاص : عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوَضين ، وله مسجد فى بنى شيبان . ومن القصاص : موسى الأسوارى ، وكان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يُدرَى بأى لسان هو أبين . واللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها ، إلا ماذكروا من لسان موسى بن سيار الأسوارى ، ولم يكن فى هذه الأمة بعد أبى موسى الأشعرى أقرأ فى محراب من موسى بن سيار ، ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ، ثم يونس النحوى ، ثم المعلى . ثم قص فى مسجده : أبو على الاسوارى وهو عمرو بن قائد ستا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات ، لأنه كان حافظا للسير ولوجوه التأويلات فكان ربما يفسر آية واحدة فى عدة أسابيع ، كأن الآية ذكر فيها يوم بدر . وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق

فى ذلك من الأحاديث الكثيرة، وكان يقص فى فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك ، وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به ، وخصاله المحمودة كثيرة . ثم قص من بعده : ألقاسم بن يحيى ، وهو أبو العباس الضرير ، لم يدرك فى القصاص مثله . وكان يقص معهما وبعدهما : مالك بن عبد الحميد المكفوف ، ويزعمون أن أبا على لم يسمع منه كلمة غيبة قط ولا عارض أحدا من المخالفين والحساد والبغاة بشيء من المكافأة . فأما صالح المرى فإنه كان يكنى أبا بشر وكان صحيح الكلام رقيق المجلس ، فذكر أصحابنا أن سفيان بن حبيب لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار قال له مرحوم : هل لك أن تأتى قاصا عندنا فتتفرج بالخروج والنظر إلى الناس والاستماع منه ؟ فأتاه على تكره كأنه ظنه كبعض من يبلغه شأنه ، فلما أتاه وسمع منطقه وسمع تلاوته للقرآن وسمعه يقول: حدثنا سعيد عن قتادة ، وحدثنا قتادة عن الحسن ، رأى بيانا لم يحتسبه ومذهبا لم يكن يدانيه ، فأقبل سفيان على مرحوم فقال : هذا ليس قاصا ، هذا نذير .!

باب ما قيل فى المخاصر والعصى وغيرهما

كانت العرب تخطب بالمخاصر وتعتمد على الأرض بالقسى وتشير بالعصى والقنا نعم حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدى الملوك فى مجالسها ولذلك قال الشاعر :(١)

(١) هذا الشاعر مختلف فيه وفى هذه الأبيات فمن الناس من يرويها للفرزدق فى على بن الحسين ، ومنهم من يرويها لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، ومنهم من يرويها للحزين فى عبد الله بن عبد الملك وهو عند عبد العزيز بن مروان فى مصر ، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه . والذى صح عند أبى الفرج أن الحزين قال فى عبد الله بن عبد الملك :

الله يعلم أن قد جئت ذا يمن ... ثم العراقين لا يثنيني السأم
ثم الجزيرة أعلاها وأسفلها ... كذاك تسرى على الأهوال بي القدم
ثم المواسم قد أوطأتها زمنا ... وحيث تحلق عند الجمرة اللمم
قالوا دمشق ينبيك الخبير بها ... ثم ائت مصر فثم النائل العمم
لما وقفت عليه فى الجموع ضحى ... وقد تعرضت الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق ... وضجة القوم عند الباب تزدحم
فى كفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع فى عرنينه شمم

فى كفه خيزرانٌ ريحها عبقٌ ... بكفّ أروعَ فى عرنينه شممُ
يُغضِى حياءً ويُغضَى من مهابته ... فما يُكلَّمُ إلاّ حينَ يبتسمُ
إنْ قالَ قالَ بما يهوَى جميعهمُ ... وإن تكلَّمَ يوماً ساختِ الكلِمُ
يكادُ يُمسكهُ عرفانَ راحته ... رُكنُ الحطيمِ إذا ماجاءَ يستلِمُ
كمْ هاتفٍ لكَ مِنْ داعٍ وداعيةٍ ... يدعونَ ياقثمَ الخيراتِ ياقثمُ

وقال الشاعر قولا فسر فيه ما قلنا قال:

مجالسهمْ خفضُ الحديثِ وقولُهم ... إذا ماقضَوا فى الأمرِ وحْيُ المخاصرِ

وقال الكُمَيتُ بن زيد:

ونزورُ مسلمةَ المهذّ ... بَ بالمؤبَّدةِ السوائرْ (١)
بالمذهباتِ المعجبا ... تِ لمُفحَمٍ مِنّا وشاعرْ
أهلِ التّجاوبِ والمحا ... فلِ والمقاولِ بالمخاصرْ
فهمُ كذلكَ فى المجا ... لسِ والمحافلِ والمشاعرْ

وكما قال الأنصارى فى المجامع حيث يقول:

وسارتْ بنا سيّارةٌ ذاتُ سورةٍ ... بكُومِ المطايا والخيولِ الجماهرِ (٢)
يؤمُّون مُلكَ الشامِ حتّى تمكّنوا ... ملوكاً بأرضِ الشامِ فوقَ المنابرِ

يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم
ترى رؤس بنى مروان خاضعة ... يمشون حول ركابيه وما ظلموا
إن هش هشوا له واستبشروا جذلا ... وإن هم آنسوا إعراضه وجموا
كلتا يديه ربيع عند ذى خلف ... بحر يفيض وهذى عارض هزم

ويروون هذين البيتين لداود بن سلم في قثم بن العباس ، وهما :

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ماجاء يستلم
كم صارخ بك من راج وراجية ... في الناس : ياقثم الخيرات ياقثم

فأنت ترى أن رواية الجاحظ خليط من الروايات فى هذه الأبيات .

(١) هو مسلمة بن عبد الملك . كان بالاصل : بالمؤبده السرائر ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه . والمؤبدة السوائر : قصائد الشعر

(٢) الكوم جمع كوماء ، وهى الناقة العظيمة السنام

يُصِيبُونَ فَصْلَ الْقَوْلِ فِى كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُـمْ بِالمَخَاصِرِ

وفى المخاصر والعصى ، وفى خدّ وجه الأرض بأطراف القِسِىِّ ، قال الحطيئة :

أَمْ مَنْ لِخَصْمٍ مُضْجِعِينَ قِسِيَّهُمْ صُعْرٍ خُدُودُهُمُ عِظَامِ المَفْخَرِ

وقال لبيد بن ربيعة فى الإشارة :

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بِالدُّخُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ البَدِىِّ رَوَاسِياً أَقْدَامُهَا

وقال فى خد وجه الأرض بالعصى والقسى :

يَشِينَ صِحَاحَ البِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِعُوجِ السَّرَاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّبِ (١)

وفى مثله يقول الشاعر :

إِذَا اقْتَسَمَ النَّاسُ فَضْلَ الْفَخَارِ أَطَلْنَا عَلَى الْأَرْضِ مَيْلَ الْعَصَا

وقال الآخر :

كَتَبَتْ لَنَا فِى الْأَرْضِ يَوْمَ مُحَرِّقٍ أَيَّامُنَا فِى الْأَرْضِ يَوْماً فَيْصَلَا

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسى :

مَا إِنْ أَهَابُ إِذَا السُّرَادِقُ غَمَّهُ قَرْعُ الْقِسِىِّ وَأَرْعَشَ الرِّعْدِيدُ

وقال مَعْنُ بنُ أَوْسٍ المزنى :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى رَسُولاً عُبَيْدَ اللهِ إِذْ عَجِلَ الرِّسَالَا
تَعَاقَلَ دُونَنَا أَبْنَاءُ ثَوْرٍ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصًى وَمَالَا (٢)
إِذَا اجْتَمَعَ الْقَبَائِلُ جِئْتَ رِدْفاً أَمَامَ الْمَاسِحِينَ لَكَ السِّبَالَا (٣)
فَلَا تُعْطَى عَصَا الْخُطَبَاءِ فِيهِمْ وَقَدْ تُكْفَى الْمَقَادَةَ وَالْمَقَالَا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله :

إِلَى امْرِىءٍ لَا تَخَطَّاهُ الرِّقَابُ وَلَا حُدْبُ الْحَوَانِ إِذَا مَا اسْتُنْشِىَ الْعَرَقُ
صُلْبُ الْحَيَازِيمِ لَا هَذْرُ الْكَلَامِ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ وَلَا مُسْتَعْجِلٌ زَهِقُ

(١) قال الجاحظ : عوج جمع عوجاء وهى ههنا القوس . والسراء شجر يعمل منه القوس .
(٢) كان بالأصل : تعافل ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه . والتعاقل : الدية
(٣) ويروى : إذا اجتمعوا حضرت فجئت ردفا وراء الماسحين لك السبالا

وكما قال جرير الخطفي :

مَنْ لِلقَنَاةِ إِذَا مَاعَيَّ قَائِلُهَا   أَمْ لِلأَعِنَّةِ يَاشَيْبُ بْنُ عَمَّارِ

قال : ومثل هذا قول أبي المجيب الرَّبَعِيِّ : ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة ، فعند ذلك يفضحك أو يسرك . يقول : إذا قام يخطب . وفي كتاب جبل ابن يزيد : إحفظ أخاك إلا من نفسه . وقال عبد الله بن رؤبة : سأل رجل رؤبة عن أخطب بني تميم ! فقال : خَدَّاشُ بْنُ بِشْرِ بْنِ لَبِيْدٍ — يعني البُعَيْث — وإنما قيل له البعيث لقوله :

تُبُعِّثَتْ مِنِّي مَا تُبُعِّثُ بَعْدَ مَا   أُمِرَّتْ حِبَالِي كُلَّ مِرَّتِهَا شَزْرَا

وزعم سُحَيْمُ بْنُ حَفْصٍ أنه كان يقال : أخطب بني تميم البعيث إذا أخذ القناة . وقال يونس : لعمري لئن كان مغلبا في الشعر لقد كان غَلَبَ في الخطب . ومن الشعراء من يغلب شيء قاله في شعره على اسمه وكنيته فيسمى به [وهم] كثير فمنهم « البعيث » هذا . ومنهم : عوف بن حصن[1] بن حذيفة بن بدر ، غلب عليه « عويف القوافي » لقوله :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّنِي   إِذَا قُلْتُ شِعْرًا لَا أُجِيدُ القَوَافِيَا

فسمي « عويف القوافي » ومنهم : يزيد بن ضرار الغطفاني[2] غلب عليه « المزرد » لقوله :

فَقُلْتُ تَزَرَّدْهَا عُبَيْدُ فَإِنَّنِي   لِدُرْدِ المَوَالِي فِي السِّنِينَ مُزَرِّدُ

فسمي « المزرد » ومنهم : عمرو بن سعيد بن مالك ، غلب عليه « المرقش » وذلك لقوله :

الدَّارُ قَفْرٌ وَالرُّسُومُ كَمَا   رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

(١) كان في الأصل : عوف بن حصين ، وهو خطأ ، والصواب ماأثبتناه . وهو عوف بن معاوية ابن عقبة بن عينة بن حصن الفزاري ،شاعر مخل من شعراء الدولة الاموية ، ومن ساكني الكوفة . وهو من احد بيوت العرب المقدمة الفاخرة .

(٢) كان في الاصل : التغلبي ، وهو خطأ والصواب ماأثبتناه . وهو اخو الشماخ بن ضرار

فسمى « مرقشا » ومنهم : شاس بن نهار العبدى ، غلب عليه « الممزق » لقوله :

فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ ... وإلاَّ فأدْرِكْنى ولمَّا أُمَزَّقِ

فسمى « الممزق » ومنهم : جرير بن عبدالمسيح الضبعى ، غلب عليه «المتلمس» لقوله :

فهذا أوانُ العِرْضِ طَنَّ ذُبابُهُ ... زَنابِرُهُ وَالأَزْرَقُ المُتَلَمِّسُ

ومنهم : عمرو بن رباح بن عمرو السلمى أبوخنساء ، بنت عمرو ، غلب «الشريد» على اسمه لقوله :

تولَّى إخوَتى وبقيْتُ فرْدًا ... وَحِيداً فى دِيارِهِمُ شَرِيداً

فسمى « الشريد » وهذا كثير .

ودخل رجل من قيْسِ عَيْلانَ على عبد الملك بن مروان ، فقال : زبيرى عُميرى ! والله لا يحبك قلبى أبدا ! قال : ياأمير المؤمنين ، انما يجزع من فِقدان الحب المرأة ، ولـكن عدل وانصاف . ؟

قال عُمَرُ لأبى مريم الحنفى السلولى قاتل زيد بن الخطاب : لا يحبك قلبى أبدا حتى تحب الأرض الدم المسفوح . . ! ؟

وهذا مثل قول الحجاج : والله لأقلعنك قلع الصمغة. لأن الصمغة اليابسة إذا نزقت عن الشجرة انقلعت انقلاع الجلبة ، والارض لاتنشف الدم المسفوح ولا تمصه فتى جف الدم وتجلب لم تره أخذ من الأرض شيئا .

ومن الخطباء : الْغضْبَان بْنُ الْقَبَعْثَرَى(١) وكان محبوسا فى سجن الحجاج فدعا به يوما فلما رآه قال: إنك لسمين! قال: ألقيد والرُّتْعةُ ومن يكن ضيفا للأمير يسمن !

وقال يزيد بن عياض . لما نقم الناس على عثمان خرج يتوكأ على مروان وهو يقول : لكل أمة آفة ولـكل نعمة عاهة ، وإن آفة هذه الأمة عيابون طعانون يظهرون لكم ماتحبون ويسرون ماتكرهون ، طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق ، لقد

(١) هوالغضبان بن القبعثرى الشيبانى . كان من سادات قومه وأهل الجاه فيهم ، وكان فارساً شجاعا وكريما جواداً ، صاحب فصاحة وبلاغة وبيان ، والظاهر أنه كان فى صف الخارجين على الدولة فأسر ثم سجن فى سجن الحجاج

نقموا على ما نقموه على عمر ، ولكن قمعَهُمْ وَوَقَمَهُمْ [١] ، والله إني لأقرب ناصرا وأعز نفرا ، فَضَلٌ من مالى ، فمالى لا أفعل فى الفضل ما أشاء . ! ؟ [٢]

ورأيت الناس يتداولون رسالة يحيي بن يعمر على لسان يزيد بن المهلب [٣] : إنا لقينا العدو فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة بعرأر الأودية وأهضام الغيطان وبتنا بعُرْعُرَةِ الجبل [٤] وبات العدو بحضيض ؟ فقال الحجاج : ما يزيد بأبى عذرة هذا الكلام ..! فقيل له : إن معه يحيي بن يعمر ؟ فحمل إليه فلما أتاه قال : أين ولدت ؟ قال : بالاهواز ! قال : فأنَّى لك هذه الفصاحة ؟ قال : أخذتها عن أبى . ورأيتهم يديرون فى كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيي بن يعمر فانتهرها مرارا ، فقال له يحيي : إن سألتكَ ثمن شَكْرِهَا وَشَبْرِكَ أنشأت تطلها وتضهلها !؟ [٥]
فان كانوا إنما رووا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ، وإن كانوا إنما دونوه فى الكتب وتذاكروه فى المجالس لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج أو شعر الطرماح أو أشعار هذيل تأتى لهم مع حسن الوصف على أكثر مما ذكروا ، ولو خاطب بقوله : إن سألتك ثمن شكرها

(١) قمعهم : قهرهم . ووقمهم : أذلهم
(٢) يشير إلى المال الذى آثر به عثمان مروان بن الحكم وكان مما اوخذ عليه
(٣) هو يزيد بن المهلب بن ابى صفرة ، كان من اكابر الفرسان واماثل الشجعان وكان اميرا من امراء الدولة الأموية وقائدا من خيرة قوادها . ابلى مع ابيه المهلب في حروب الخوارج بلاء حسناً . ولى خراسان بعد ابيه وسنه ثلاثون سنة ، وكان الحجاج له مبغضاً ومنه خائفاً فأشار على عبد الملك بعزله فعزله ثم حبسه الحجاج وعذبه فهرب من محبسه ومضي إلى الشام مستشفعاً بسليمان بن عبدالملك فشفع له إلى الوليد فأمنه وكف عنه ، ولما أفضت الخلافة إلى سليمان ولاه خراسان فافتتح جرجان ودهستان ثم أقبل بالغنائم يريد العراق فعلم بموت سليمان فمال إلى البصرة مستأثرا بما معه فخادعه عدى ابن أرطاة الوالي عليها من قبل عمر بن عبد العزيز ثم اوثقه وبعث به إلى عمر فحبسه فهرب من محبسه ، ثم جمع جموعا وخرج على يزيد بن عبد الملك فوجه إليه مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فى جيش كثيف فقاتلوه قتالا شديداً ثم التقوا بالعقر من ارض بابل ونشبت بينهما حرب هائلة خر فيها يزيد صريعاً بالمعركة مختنقا بالتراب وذلك سنة ١٠٢ هـ
(٤) قال الجاحظ : عرائر الأودية أسافلها ، واهضام الغيطان مداخلها ، والغيطان جمع غائط وهو الحائط ذو الشجر ، وعراعر الجبال اعاليها .
(٥) قال الجاحظ : قالوا : الضهل القليل ، ويقال بئر ضهول اى قليلة الماء ، والشكر الجماع والشبر البضع ، تطلها تذهب بحقها . يقال : دم مطلول .

وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها الأصمعىّ لظننت أنه سيجهل بعض ذلك ، فهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم .

أبو الحسن : كان غلام يقعر فى كلامه فأتى أبا الاسود الدؤلى يلتمس بعض ما عنده فقال أبوالاسود : ما فعل أبوك ؟ قال : أخذته الحمى فطبخته طبخا وفتختته فتخا وفضخته فضخا (١) فتركته فرخا ! فقال أبو الأسود : فما فعلت امرأته التى كانت تُشاره وتُماره وتُهاره وتُزاره؟ قال : طلقها وتزوجت غيره فرضيت وحظيت وبَظِيَتْ ! قال أبو الأسود : قد علمنا : رضيت وحظيت ، فما بَظيت ؟ قال : بظيت حرف من الغريب لم يبلغك ! قال أبو الأسود : يابنى كل كلمة لايعرفها عمك فاسترها كما تستر السِّنَّوْرُ خُرْؤَها .

قال أبو الحسن : مر أبُو عَلْقَمَةَ النَّحوى ببعض طرق البصرة وهاجت به مِرَّةٌ (٢) فوثب عليه قوم منهم فأقبلوا يعضون إبهامه ويؤذنون فى أذنه ، فأفلت من أيديهم فقال : ما لكم تتكأكأون علىَّ كأنكم تتكأكأون على ذى جِنَّةٍ ! إفرَنْقِعُوا عنى ؟ ! (٣) قالوا : دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية. وقال أبو الحسن : هاج بأبى عَلْقَمَةَ الدم فأتى بحجام فقال للحجام : أشدُد قصب الملازم وأرهف ظُبات المشارط وأسرع الوضع وعجل النزع ، وليكن شرطك وَخْزا ومصك نَهْزًا ولا تكرهن أبِيا ولا تَرُدن أتيا ؟ فوضع الحجام محاجمه فى جُونته وانصرف .

فحديث أبى علقمة فيه غريب ، وفيه أنه لوكان حجاما مرة مازاد على ماقال. وليس فى كلام يحيى بن يعمر شىء من الدنيا إلا أنه غريب ، وهو أيضا من الغريب بغيض .

وذكروا عن محمد بن اسحٰق قال : لما جاء ابْنَ الزُّبير ـ وهو بمكة ـ قتلُ

(١) قال الجاحظ : فتخته اضعفته والفتيخ الرخو الضعيف ، وفضخته دققه ،

(٢) هاجت به مرة : صرعته المرة الصفراء او السوداء

(٣) تتكأكأون : تتجمعون . ذوجنة : المصاب بضرب من الجنون . افرنقعوا : تفرقوا

مروانِ الضَّحَّاكَ (١) بمرج راهط قام فينا خطيبا فقال : إن ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة فأخطأت استه الحفرة ، وآلَهْفَ أُمٍّ لم تلدنى على رجل محارب كان يرعى فى جبل مكة فيأتى بالشربة من اللبن فيبيعها بالقبضة من الدقيق فيرى ذلك سِداداً من عيش ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوة .. ! ؟ (٢)

وأول هذا الكلام مستكره ، وهو موجود فى كل كتاب وجار على لسان كل صاحب خبر ، وقد سمعت لابن الزبير كلاماً كثيراً ليس هذا فى سبيله ولا يتعلق به

وقال أبو يَعْقُوبِ الْأَعْوَرِ الخريمى : (٣)

وَخَلْجَةِ ظَنٍّ يَسْبِقُ الطَّرْفَ حَزْمُهَا ... تُشِيفُ عَلَى غَيْمٍ وَتُمْكِنُ مِنْ زَحْلِ (٤)
صَدَعْتُ بِهَا وَالقَوْمُ فَوْضَى كَأَنَّهُمْ ... بَكَارَةُ مِرْبَاعٍ تُبَصْبِصُ لِلْفَحْلِ (٥)

والمرباع : ربع الغنيمة فى الجاهلية لصاحب الجيش . قال ابن عَنَمَةَ : (٦)

لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا ... وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالفُضُولُ

وقال رجل من بنى يَرْبُوعٍ :

إِلَى اللهِ أَشْكُو ثُمَّ أَشْكُو إِلَيْكُمَا ... وَهَلْ تَنْفَعُ الشَّكْوَى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا
حَزَازَاتِ حُبٍّ فِى الفُؤَادِ وَعَبْرَةً ... أَظَلُّ بِأَطْرَافِ البَنَانِ أَذُودُهَا (٧)
يَحِنُّ فُؤَادِى مِنْ مَخَافَةِ بَيْنِكُمْ ... حَنِينَ المُزَجَّى وِجْهَةً لَا يُرِيدُهَا (٨)

(١) هو الضحاك بن قيس الفهري ، كان من الشجعان الابطال والفرسان الامجاد ، وكان من اهل الثقة عند معاوية المخلصين له الذابين عنه . ولاه معاوية على الكوفة بعد زياد ، فلما مات معاوية بن يزيد ابن معاوية وتوثب مروان بن الحكم على الملك والخلافة واخذ فى الاستعداد للتغلب على الدولة ثار فى وجهه الضحاك بن قيس وجمع له جموعا من قيس ودعا إلى عبد الله بن الزبير ، غير ان مروان قصد إليه فى رجالات بنى امية وعلى رأسهم عمرو بن سعيد الاشدق ، واطاعته اليمانية فأصلاه حربا عوانا والتقى به فى مرج راهط وما زال به حتى قتله وفرق جموعه سنة ٦٥ هـ

(٢) فى كلام ابن الزبير تعريض بمروان بن الحكم

(٣) كان فى الأصل : السلمى ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) قال الجاحظ : خلجة ظن أي ظن سريع . تشيف تشرف ، قلت : الزحل : الثأر .

(٥) قال الجاحظ : بكارة مرباع أى نوق صغار قد أذلت للفحل ، مرباع أى نوق ربيع .

(٦) كان بالأصل : ابن عثمة ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وهو عبد الله بن عنمة الضبي

(٧) أذودها : أدفعها

(٨) المزجى : المدفوع إلى وجهة لا يريدها

وقد أحسن الآخر حيث يقول :

وَأُكْرِمُ نَفْسِي عَنْ مَنَاكِحَ جَمَّةٍ وَيَقْصُرُ مَالِي أَنْ أَنَالَ الغَوَالِيَا

وقال الآخر :

وَإِذَا العَبْدُ أَغْلَقَ البَابَ دُونِي لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيَّ مَتْنُ الطَّرِيقِ

وقال الخَلِيعُ العُطَارِدِيُّ : كنا بالبادية إذ نشأ عارض وما في السماء قزعة معلقة (١) وجاء السيل فاكتسح أبياتاً من بني سعد فقلت :

فَرِحْنَا بِوَسْمِيٍّ تَأَلَّقَ وَدْقُهُ عِشَاءً فَأَبْكَانَا صَبَاحاً فَأَسْرَعَا (٢)

لَهُ ظُلَّةٌ كَأَنَّ رَيِّقَ وَبْلِهَا عَجَاجَةُ صَيْفٍ أَوْ دُخَانٌ تَرَفَّعَا (٣)

فَكَانَ عَلَى قَوْمٍ سَلَاماً وَنِعْمَةً وَأَلْحَقَ عَاداً آخَرِينَ وَتُبَّعَا (٤)

وقال أبو عطاءِ السِّنْدِي (٥) لِعُبَيْدِ الله بن عباس الكِنْدِي :

إِلَى مَعْشَرٍ أَرْدَوْا أَخَاكَ وَكَفَّرُوا أَبَاكَ فَمَاذَا بَعْدَ ذَاكَ تَقُولُ

وَقُلْ لِعُبَيْدِ اللهِ : لَوْ كَانَ جَعْفَرٌ هُوَ الحَيَّ لَمْ يَرْجِعْ وَأَنْتَ قَتِيلُ

فقال عبيدالله : أقول ، عض أبو عطاء بِبَظْرِ أمه ! فغلب عليه . قال أبوعبيدة : قال أبو البصير في أبي رُهْمٍ السدُّسِي ـ وكان يلي الأعمال لأبي جعفر :

رَأَيْتُ أَبَا رُهْمٍ يُقَرِّبُ مُنْجِحاً غُلَامَ أَبِي بِشْرٍ وَيَجْفُو أَبَا بِشْرِ

فَقُلْتُ لِيَحْيَى : كَيْفَ قَرَّبَ مُنْجِحاً فَقَالَ لَهُ أَيْرٌ يَزِيدُ عَلَى شِبْرِ

* * *

(١) العارض : السحاب الحافل بالماء . قزعة : سحاب متقطع .

(٢) الوسمي : المطر الخفيف الذي يسم الأرض . تألق ودقه : لمع ماؤه

(٣) له ظلة : له غمام معلق كالظلة

(٤) يعني أنه أحيا قوما وأهلك آخرين

(٥) هو أفلح بن يسار أبو عطاء السندي مولى بني أسد ، كان شاعرا من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وله في رجال كل من الدولتين مدائح ، وكان ألثغ الكن لا يكاد يبين مع بديهة جيدة وعارضة قوية ، وكان له غلام فصيح سماه عطاء وتكنى به فكان يرويه الأشعار فينشدها بين يدي من يمتدحه . مات سنة ١٦٨ هـ

قال أبو عثمان : وقد طعنت الشُّعوبية على أخـذ العرب المِخْصَرَة فى خطبها والقنا والقضيب والاتكاء والاعتماد على القوس والخد فى الارض والإشارة بالقضيب بكلام مستكره نذكره إن شاء الله تعالى فى الجزء الثالث . ولا بد من أن نذكر فيه بعض كلام مُعاوية ويزيد وعَبد الملك وابن الزبير وسليمان وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد ، لأن الباقين من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذى يلحق بالخطب و بصناعة المنطق إلا اليسير . ولا بد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منثور غيرُ مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج . ولا بد من أن يكون فيه ذكر شأن إسماعيل على نبينا وعليه السلام وانقلاب لغته و بيانه بعد أربع عشرة سنة، وكيف نسى لغته التى رُبى فيها وجرى على أعراقها وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية عن غير تلقين ولا ترتيب وحتى لم تدخله عُجمة ولا لكنة ولا حُبسة ، ولا تعلق بلسانه شىء من تلك العادة . ولا بد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه و بعض ما يحضرنى من كلام آبائه وجلة رهطة . ولا بد أيضاً من ذكر من صعد المِنبر فحُصر وخلط أو قال فأحسن ليكون الكتاب أكمل إن شاء الله تعالى . ولا بد من ذكر المنابر ولم اتخذت وكيف كانت الخطباء من العرب فى الجاهلية وفى صدور الاسلام وهل كانت المنابر لأمة غير أمتنا وكيف كانت الحال فى ذلك؟ وقد ذكرنا أن الامم التى فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم أربع، وهى : العرب والهند وفارس والروم . وقال حَكِيمُ بْنُ عَيَّاشٍ الكلبى :

أَلَمْ يَكُ مُلْكُ أَرْضِ اللهِ طُرًّا ... لِأَرْبَعَـةٍ لهُ مُتَمَيِّزِينَا ؟
لِحِمْيَرَ وَالنَّجَاشِى وَابْنِ كِسْرَى ... وَقَيْصَرَ غَيْرَ قَوْلِ المُمْتَرِينَا

فما أدرى بأى سبب وضع الحبشة فى هذا الموضع ! وأما ذكره لحمير فإن كان ذهب إلى تُبَّع نفسه فى الملوك فهذا له وجه ، وأما النَّجَاشى فليس هو عند الملوك

فى هذا المكان ، ولو كان النجاشى فى نفسه فوق تُبَّع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبش فى هذا الموضع ، وهو لم يفضل النجاشى لمكان إسلامه ، يدل على ذلك تفضيله لكسرى وقيصر ، وكان وضعُ كلامه على ذكر الممالك ثم ترك الممالك وأخذ فى ذكر الملوك .

والدليل على أن العرب أنطق وأن لغتها أوسع وأن لفظها أدل وأن أقسام تأليف كلامها أكثر والأمثال التى ضربت أجود وأسير . والدليل على أن البديهة مقصورة عليها وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها وما الفرق بين أشعارهم و بين الكلام الذى تسميه الفرس والروم شعراً ؟ وكيف صار النسيب فى أشعارهم وفى كلامهم الذى أدخلوه فى غنائهم وفى ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم؟ وهذا لا يصاب فى العرب إلا القليل اليسير ، وكيف صارت العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة فتضع موزوناً على موزون ، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل فى وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون .

وسنذكر فى الجزء الثانى من أبواب اللّحن والعِى والغلط والغفلة أبواباً ظريفة ونذكر فيه النَّوْكى من الوجوه ومجانين العرب ومن ضُرب به المثل منهم ونوادر من كلامهم ومجانين الشعراء ، لست أعنى مثل « مجنون بنى عامر » و « مجنون بنى جعدة » ! و إنما أعنى مثل « أبى حَيَّةَ » فى أهل البادية ومثل « جُعَيفِرَان » فى أهل الأمصار ومثل « أرسيموس » اليونانى . وسنذكر أيضا بقية أسماء الخطباء والنساك وأسماء الظرفاء والملحاء إن شاء الله سبحانه وتعالى . وسنذكر من كلام الحجّاج وغيره ما أمكننا فى بقية هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

* * *

وقال أبو الحسن المدائنى : قال الحجّاج لِأنسِ بن مالكٍ حين دخل عليه فى شأن ابنه عبد الله — وكان خرج مع ابن الأشعث — : لا مرحباً بك ولا أهلا لعنة الله عليك من شيخ جوَّال فى الفتنة ، مرة مع أبى تراب[1] ومرة مع ابن

(١) ابو تراب : هو الامام على كرم الله وجهه

الأشعث ، والله لأقلعنك قلع الصمغة ولأعصبنك عصب السلمة[(١)] ولأجردنك تجريد الضب ![(٢)] قال أنس: من يعني الأمير أبقاه الله ؟ قال : إياك أعنى ، أصم الله صداك ..! قال : فكتب أنس بذلك إلى عبد الملك فكتب عبد الملك إلى الحجاج : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب ،والله لقد هممت أن أركلك برجلي ركلة تهوى بها فى نار جهنم ! قاتلك الله أخيفش العينين أصك الرجلين[(٣)] أسود الجاعرتين ، والسلام .

وكان الحجاج أخيفش مسلق الأجفان ، ولذلك قال إمام بن أرقم النميري - وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال :—

طَلِيقُ اللهِ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيْهِ ... أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي كَثِيرِ
وَلَا الْحَجَّاجُ عَيْنَيْ بِنْتِ مَاءٍ ... تُقَلِّبُ طَرْفَهَا حَذَرَ الصُّقُورِ[(٤)]

وخطب الحجاج يوما فقال فى خطبته : والله ما بقى من الدنيا إلا مثل ما مضى ولهو أشبه به من الماء بالماء ، والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعمامتى هذه .

المفضل بن محمد الضبي قال : كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم[(٥)] أن ابعث

(١) قال الجاحظ : العصب ان تعصب الشجرة ذات الشوك بالعصاب .

(٢) تجريد الضب : سلخه

(٣) قال الجاحظ : الخفش دون العمش ، واصك الرجلين تصك إحداهما الأخرى .

(٤) بنت ماء ، قال الجاحظ : لأن طير الماء لايكون ابدا إلا منسلق الأجفان.

(٥) هو ابو حفص قتيبة بن مسلم الباهلى ، القائد العظيم صاحب الفتوحات الجليلة بالمشرق ، كان من اكابر القواد وافاضل الرؤساء ، وكان شجاعا باسلا وفارساً مغوارا وكريما جوادا ، مع الفصاحة والبلاغة والحكمة والسياسة والدهاء . ولاه عبد الملك على الرى ، ثم اشار عليه الحجاج فولاه خراسان واعمالها بعد أبناء المهلب . فما هو ان استقر بها حتى جمع إليه الجند وعرضهم فى اسلحتهم ونظم شأنهم وخطب فيهم يحثهم على الغزو والفتوح ونشر دعوة الاسلام وإعلاء كلمة الله وذكرهم ما اعد الله للمجاهدين من عظيم الثواب وما ادخره لهم من جليل الأجر . ثم سار بهم فأدب العصاة ورد الخارجين وفتح خوارزم وبخارى وسمرقند وبيكند . وله فى فتح بخارى حديث : هو انه لما قصد فتح بخاري لقيته جموع كثيرة فقاتلهم وهزمهم ولما وصل إليها استعد ملكها للدفاع عنها فلم ينل منها مأرباً فكتب إلى الحجاج فى أمرها فكتب إليه الحجاج : أن صورها لى ؟ فبعث إليه بصورتها ، خارتها ، الحربية فأرسل إليه الحجاج برأيه فقصد إليها ، وكان ملكها قد استنصر بالسند وبالترك وبكل من حولها من اهل القتال، غير ان قتيبة كان قد سبق إليها وحاصرها وفى اثناء الحصار جاءت الامداد لأهل بخارى من كل فج

إلى بالآدم الجعدى الذى يفهمنى ويفهم عنى . فبعث إليه غُدام بن شُتير . فقال الحجاج : لله دره ، ما كتبت إليه فى أمر قط إلا فهم عنى وعرف ما أريد !.

قال أبو الحسن وغيره : أراد الحجاج الحج فخطب الناس فقال : أيها الناس إنى أريد الحج وقد استخلفت عليكم إبنى محمدا هذا ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأنصار ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، ألا وإنى قد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا وإنكم ستقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى ؟ ألا وإنكم ستقولون بعدى : لا أحسن الله له الصحابة ، ألا وإنى معجل لكم الإجابة : لا أحسن الله الخلافة عليكم . ثم نزل . وكان يقول فى خطبته : أيها الناس إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله.

وقال عَمْرُو بن عُبَيْد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها : « إن الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله عليه ، ومسيء بخذلان الله إياه ، ولله النعمة على المحسن والحجة على المسيء ، فما أولى من تمت عليه النعمة فى نفسه ورأى العبرة فى غيره بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله ، فيعطى ما عليه منها ويتكثّر بما ليس له منها ، فإن الدنيا دار فناء ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بد من لقاء الله ؛ فأحذركم الله الذى حذّركم نفسه وأوصيكم بتعجيل ما أخرته

فقاتلوا المسلمين حتى هزموهم فثار نساء المسلمين في وجوه الرجال وضربن وجوه الخيل وصرخن فى وجوههم فكر المسلمون وحملوا على الأعداء حملات صادقة حتى ردوهم إلى مواقفهم . فوقف الترك امامهم على نشز ، ثم إن قتيبة نادى : من يزيلهم لنا عن هذا الموضع ؟ فلم يجبه احد . فمشى إلى صفوف بنى تميم وقال : يوم كأيامكم يابنى تميم ابى لكم الفداء ! فاخذ وكيع بن ابى سود اللواء وقال : يابنى تميم ، اتسلمونى اليوم ؟ قالوا : لا . فدفع الراية إلى هريم بن ابى طحمة وكان على الخيل وقال له قدم خيلك ؟ ودب هو فى الرجال حتى اعترضهم النهر فاقحمه الخيل وعبر معه كل محب للموت فكانوا ٨٠٠ رجل ثم حمل بهم حملة الموت فاجلا الترك عن مواقفهم وهزمهم شر هزيمة فكان الفتح . ثم إن قتيبة فتح فتوحا اخرى إلى ان بلغ كاشغر من بلاد الصين ففتحها . وظل فى ولايته ثلاث عشرة سنة . ثم عزل وثار به وكيع بن ابى سود فى رجاله منتقماً منه لبعض الامر فخر صريعاً وهو ابن خمس واربعين سنة وذلك في سنة ٩٧ ه

العَجَزَةُ قبل أن تصيروا إلى الدار التى صاروا إليها فلا تقدرون على توبة ، وليس لكم منها أوبة ، وأنا أستخلف الله عليكم وأستخلفه منكم .

وقد رُوى هذا الكلام عن الحجاج ، وزياد أحق به منه .

باب ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام

قال جرير :

يُكَلِّفُنِى رَدَّ العَوَاقِبِ بَعْدَ مَا   سَبَقْنَ كَسَبْقِ السَّيْفِ مَاقَالَ عَاذِلُهُ

وقال الكُمَيْتُ بْنُ معروف :(١)

خُذُوا العَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمُ العَقْلَ قَوْمُكُمْ   وَكُونُوا كَمَنْ سِيمَ الهَوَانَ فَأَرْبَعَا(٢)

وَلَا تُكْثِرُوا فِيهِ الضِّجَاجَ فَإِنَّهُ   مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا(٣)

والمثل السائر من قبل هذا : سَبَقَ السَّيفُ العَذْلَ .

ومن أهل الأدب : زكريا بن دِرْهَمٍ مولى بنى سليم بن منصور صاحب سعيد ابن عمرو الحرشى ، وزكريا هو الذى يقول :

لا تُنْكِرُوا لِسَعِيدٍ فَضْلَ نِعْمَتِهِ   لَايَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَايَشْكُرُ النَّاسَا

ومن أهل الأدب ممن وجهه هشام إلى الحرشى : السرادق بن عبد الله السدوسى الفارسى . ولما ظفر مسلم بْن قتيبة بالأزد كان من الجند فى دور الأزد انتهاب وإحراق وآثار قبيحة ، فقام شبيب بن شيبة إلى مسلم بن قتيبة فقال : أيها الأمير ، إن هُرَيْم بْن عَدِى بن أبى طَحْمَة(٤) — وكان غير منطيق — قال ليزيد بن عبد الملك

(١) هو الكميت بن معروف الفقعسى الأسدى شاعر بدوى من شعراء الاسلام فى عهد بنى أمية ، وهو من أسرة معرقة فى الشعر من الآباء والأخوال

(٢) العقل : الدية . فأربع : تمكث وانتظر

(٣) ابن داره : هو سالم بن مسافع بن داره الجشمى شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام

(٤) كان فى الأصل : طلحة ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وهو هريم بن عدى بن أبى طحمة المجاشعى التميمى ، كان من الشجعان أهل النجدة والبسالة ، أبلى مع المهلب فى حروب الازارقة بلاء حسنا ، وكان فى صف عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب لما أظهر العصيان ، وفى هذه الوقعة أخذ هريم اللواء فى خمسة فوارس وحمل على يزيد حملة نكراء فانهزم يزيد عنه . وكان على خيل بنى تميم مع قتيبة بن مسلم فى حروب الترك يوم فتح بخارى . وكان لا يحسن القراءة ولا الكتابة فقيل له فى ذلك فقال : إنى لا أكتب أ فاني محو الصحف . يعنى بالسيف .

فى شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إنّا والله ما رأينا أحدا ظُلم ظلمك ولا نُصر نصرك ، فافعل الثالثة نقلها(١) . قال الهيثم بن عدى : قام عبد الله بن الحجاج الثعلبى(٢) إلى عبد الملك بن مروان ، — وقد كان أراد الاتصال به ، وقد كان عبد الملك حنقا عليه ، فأقام ببابه حولا لا يصل [إليه] ثم ثار فى وجهه فى بعض ركباته فقال — :

أَدْنُو لِتَرْحَمَنِى وَتَرْتُقَ خَلَّتِى ... وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِى فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ

فقال عبد الملك : إلى النار ! فقال :

وَلَقَدْ أَذَقْتُ بَنِى سَعِيدٍ حَرَّهَا ... وَابْنَ الزُّبَيْرِ فَرَأْسُهُ مُتَضَعْضِعُ

فقال عبد الملك : قد كان بعض ذاك ، وأنا أستغفر الله .

وقال أبو عبدة : كان بين الحجاج و بين العُدَيْلِ بنِ فَرْخ العجلى بعض الامر فتوعده الحجاج بالقتل فقال العُدَيْلُ :

أُخَوَّفُ بِالْحَجَّاجِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يُحَرِّكُ عَظْمٌ فى الفُؤَادِ مَهِيضُ

وَدُونَ يَدَا الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَنِى ... بِسَاطٌ لِأَيْدِى الْيَعْمَلَاتِ عَرِيضُ

---

(١) فافعل الثالثة نقلها : يريد أن يعفو حتى يتم الكلام فيقال : ولا عفا عفوك .

(٢) كان بالأصل : التغلبى ، وهو خطأ . وهو عبد الله بن الحجاج بن محصن ، كان شاعراً فاتكا شجاعا من فرسان مضر المعدودين فى ذوى النجدة والبأس . وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك ، ثم خرج مع نجدة بن عامر الحنفي ، ثم كان مع ابن الزبير فلما انتهى امره جاء الى عبد الملك متنكراً وهو يطعم الناس فدخل حجرة فقال له عبد الملك : لم لا تاكل يا هذا ؟ فقال : لا استحل ان آكل حتى تاذن لى ؟ قال : انى قد اذنت للناس جميعا ! قال : لم اعلم فآكل بامرك . فقال له : كل . فجعل يا كل وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعاله ، فلما جلس عبد الملك فى مجلسه وقف ابن حجاج بين يديه ثم استاذنه فى الانشاد فاذن له فقال :

ابلغ امير المؤمنين فاننى ... مما لقيت من الحوادث موجع
منع القرار فجئت نحوك هاربا ... جيش يجر ومقنب يتلمع

فقال له عبد الملك : وما خوفك لا ام لك لولا انك مريب ! فاي الاخابيث انت ؟ فقال :

ان البلاد على وهى عريضة ... وعرت مذاهبها وسد المطلع

فقال عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك وما الله بظلام للعبيد . فقال :

كنا تنحلنا البصائر مرة ... وإليك إذ عمى البصائر نرجع
إن الذي يعصيك منا بعدها ... من دينه وحياته متودع
ولقد وطئت بنى سعيد وطأة ... وابن الزبير فعرشه متضعضع

الى آخر ما قال . فقال له عبد الملك : اولى لك والله لقد طاولتك طمعاً في ان يقوم بعض هؤلاء فيقتلك فأبي الله ذلك فلا تجاورنى فى بلد وانصرف آمنا حيث شئت

مَهَامِهُ أشْبَاهُ كَأَنَّ سَرَابَهَا مُلَاءٌ بِأَيْدِى الغَاسِلَاتِ رَحِيضُ

ثم ظفر به الحجاج فقال له : ياعُدَيْلُ ، هل نجاك بساطك العريض ؟ فقال : أيها الأمير ، أنا الذى أقول فيك :

وَلَوْ كُنْتُ بِالعَنْقَاءِ أَوْ بِأَسُومِهَا لَـكَانَ لَحجَّاجٍ عَلَىَّ دَلِيلُ(١)

خَلِيلُ أَمِيرِ المُؤْمِنِـينَ وَسَيْفُهُ لِكُلِّ إِمَامٍ مُصْطَفَى وَخَلِيـلُ

بَنَى قُبَّةَ الإِسْلَامِ حَتَّى كَأَنَّمَا هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ

فقال له الحجاج : إربح نفسك واحقن دمك و إياك واختها ، فقد كان الذى بينى و بين قتلك أقصر من إبهام الحُبارى .

قال أبو الحسن : وقام الوليدُ بنُ عتبة بن أبى سفيان خطيباً بالمدينة ، وكان واليها ، ينعى معاوية ويدعو إلى بيعة يزيد ، فلما رأى رَوحَ بنَ زِنْبَاعٍ إبطاءهم قال : أيها الناس ، إنا لاندعوكم إلى لَخْمٍ وجُذَامٍ وكلب ، ولكنا ندعوكم إلى قريش ، ومن جعل الله له هذا الامر واختصه به ، وهو يَزيدُ بن معاوية ، ونحن أبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت ، وعندنا إن أجبتم وأطعتم من المعونة والفائدة ما شئتم. فبايع الناس. قال: وخطب ابراهيم بن اسماعيل من وُلد المغيرة المخزومى فقال :

أنا ابنُ الوَغَى مَنْ شَاءَ أَحْرَزَ نَفْسَهُ (صَقْرًا يَلُوذُ حَمَامُهُ بِالعَرْفَجِ)

ثم قال :

إستوثقى أخمرة الوجين سمعن حس أسدٍ حَرُون

فَهُنَّ يَضْرِطْنَ وَيَنْتَزِين

ثم قال : والله إنى لأبغض القرشى أن يكون فظا ، ياعجباً لقوم يقال لهم : من أبوكم ؟ فيقولون : أمنا من قُريش ..! فتكلم رجل من عرض الناس وهو يخطب ، فقال له غيره : صهْ ، فإن الامام يخطب . فقال : إنما أمرنا بالإنصات عند قراءة القرآن لاعند ضراط أحمرة الوجين . . ؟ ! وقال آخر :سمعت ابنَ هُبَيْرَةَ على هذه

(١) العنقاء : هضبة ببلاد العرب

الأعواد وهو يقول فى دعائه : أللهم إنى أعوذ بك من عدوّ يَسري ومن جليس يَفرى ومن صديق يطرى .

قال أبو الحسن: كان نافِع بْنُ عَلقَمة بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان ، واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهراً سيفه لايغمده ، و بلغه أن فتى من سهم يذكره بكلا قبيح فلما أُتى به وأمر بضرب عنقه قال له الفتى : لا تعجل علىّ ودعنى أتكلم ! قال : أوَبِكَ كلام ؟ قال : نعم وأزيد : يانافع وُليت الحرمين تحكم فى دمائنا وأموالنا وعندك أربع عقائل من العرب ، و بنيت ياقوتة بين الصفا والمروة - يعنى داره - وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث أحسن الناس وجهاً وأكرمهم حسبا ، وليس لنا من ذلك إلا التراب فلم نحسدك على شىء منه ولم نَنْفِسه عليك ، ونَفِسْتَ علينا أن نتكلم! فقال : تكلم حتى ينفك فكاك .

قال صَعْصعة بن صُوحان : ما أعيانى جواب أحد ما أعيانى جواب عثمان ، دخلت عليه فقلت له : أُخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ! قال : نحن الذين أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ! فمنا من مات بأرض الحبشة ومنا من مات بالمدينة ..؟!

وقال الحجاج على منبره : والله لألْحُونَّكم لحو العصا[1] ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل،[2] يا أهل العراق، ياأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، إنى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب ، ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب ، وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قَصْفُ فتنة ! أى بنى اللكيعة وعبيد العصا و بنى الاماء ، والله لئن قرعت عصا لأتركنكم كأمس الدابر .

مالك بن دينار قال : ربما سمعت الحجاج يخطب ويذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم ، فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه وأنه صادق ، لبيانه وحسن تخلصه بالحجج . وقسم الحجاج مالا فأعطى منه مالكَ بنَ دينار فقبل وأراد أن

(١) لحو العصا : نزع قشرها عنها ، يهددهم بسلخ جلودهم عن أجسادهم

(٢) كان غدير الماء إذا كان لحى من احياء العرب خاصة ثم وردعليه يوم السقى ابل غرائب من حى آخر قام الرعاة فى وجوه الابل يضربونها ضربا شديدا لردها عن الماء

يدفع منه إلى حبيب أبي محمد فأبى أن يقبل منه شيأ ، ثم مر حبيب بمالك واذا هو يقسم ذلك المال ، فقال له مالك : أبا محمد ، لهذا قبلناه ! فقال له حبيب : دعني مما هناك أسألك بالله : ألحجاج اليوم أحب اليك أم قبل اليوم ؟ قال : بل اليوم ! فقال حبيب : فلا خير في شيء حبب اليك الحجاج .

ومر غَيْلَانُ بْنُ خَرَشَةَ الضبيُّ مع عبدِ الله بن عامر على نهر عبد الله الذي يشق البصرة فقال عبدُ الله : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر ! فقال غيلان : أجل أيها الأمير ، يُعلِّم القومُ فيه صِبيانهم السِّباحة ويكون لشفاههم ومسيل مياههم وتأتيهم فيه مِيرَتُهم. قالوا : ثم مر غيلان يُساير زِياداً على ذلك النهر ، وكان قد عادى ابن عامر فقال زيادٌ : ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر ! فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير ، تَنِزُّ منه دُورهم ويغرق فيه صبيانهم ، ومن أجله تكثر بعوضهم !

فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب ، فأما نفس حسن البيان فليس يذمه الا من عجز عنه ، ومن ذم البيان مدح العِيَّ وكفى بذلك جهلا وخبالا. ولخالد بن صفوان في الجبن المأكول كلام ذهب فيه شبيها بهذا المذهب . ورجع طاوُس عن مجلس محمد بن يوسف[1] — وهو يومئذ والى اليمن — فقال : ماظننت أن قول « سُبْحَانَ اللهِ » يكون معصية لله حتى كان اليوم ، سمعت رجلا أبلغ ابنَ يوسف عن رجل كلاما فقال له رجل في المجلس : « سبحان الله » ! كالمستعظم لذلك الكلام ، فغضب ابنُ يوسف .

قال أبو الحسن وغيره : دخل يزيدُ بْنُ أبي مُسْلِم على سُليمان بنِ عبد الملك — وكان دميما — فلما رآه قال : على رجل أجَرَّكَ رَسَنَكَ[2] وسَلَّطَكَ على المسلمين لعنةُ الله ! فقال . يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني والأمر عني مُدْبِرٌ ولو رأيتني والأمر عليَّ مقبل لا استعظمتَ من أمري ما استصغرت ! فقال سليمان : أفترى الحجاجَ بلغ قعر جهنم بعدُ ؟ فقال يزيد : يا أمير المؤمنين . يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك قابضاً على يمين أبيك وشمال أخيك ، فضعه من النار حيث شئت !

(١) هو اخو الحجاج بن يوسف الثقفي

(٢) اجرك رسنك : اطلق لك من زمام الامر والنهي

قال: وذكر يزيدُ بنُ عبدِ الملك (١) يزيدَ بنَ أبي مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم وهمَّ أن يستكفيه مُهماً من أمره. فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ألا أدلك على من هو أزهد في الدينار والدرهم منه، وهو شر الخلق؟ قال: بلى! قال. إبليس.

قال: وقال أُسَيْلِمُ بن الأحنف للوليد بن عبدالملك قبل أن يُستخلف: أصلح الله الأمير، إذا ظننت ظناً فلا تحققه، وإذا سألت الرجال فسلهم عما تعلم فاذا رأوا سرعة فهمك لما تعلم ظنوا بك ذلك فيما لا تعلم، ودُس من يسأل لك عما لا تعلم. وكان أُسَيْلِم بن الأحنف الأسدي ذا بيان وأدب وعقل وجاه. وهو الذي يقول فيه الشاعر.

أَلاَ أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ ... بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّامِ تَحْبُوا وَتَرْجِعُوا (٢)

أُسَيْلِمُ ذَاكُمْ لاَ خَفَا بِمَكَانِهِ ... لِعَيْنٍ تَدَجَّا أَوْ لِأُذْنٍ تَسَمَّعُ

مِنَ النَّفَرِ البِيضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوا ... وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ البَابِ قَعْقَعُوا (٣)

جَلاَ الأَذْفَرُ الأَحْوَى مِنَ المِسْكِ فَرْقَهُ ... وَطِيبُ الدِّهَانِ رَأْسَهُ فَهْوَ أَنْزَعُ (٤)

إِذَا النَّفَرُ السُّودُ اليَمَانُونَ حَاوَلُوا ... لَهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَرَقُّوا وَأَوْسَعُوا (٥)

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة.

الهيثم بن عدي قال: قدمت وُفود العراق على سُليمان بن عبد الملك بعد ما استُخلف فأمرهم بشتم الحجاج فقاموا يشتمونه فقال بعضهم: إن عدوَّ الله الحجاج كان عبداً زَبابا قَنوَّر بن قَنوَّر (٦) لا نسب له في العرب. قال سليمان: أيُّ شتم هذا.!؟ إن عدو الله الحجاج كتب إليَّ: إنما أنت نقطةٌ من مِداد فان رأيت فيَّ ما رأى أبوك وأخوك كنتُ لك كما كنتُ لهما وإلا فأنا الحجاج وأنت النقطة

(١) كان بالاصل: يزيد بن المهلب، وهو خطأ، والصواب ما اثبتناه. لأن عمر بن عبد العزيز لايجلس في حضرة يزيد بن المهلب ولا يكون مستشاره.
(٢) تحبوا: تاخذون الحباء وهو المال الذي يبذل جودا وكرماً
(٣) قعقعوا: دقوا ابواب الملوك على غير هيبة ولا وجل
(٤) فرقه: شعر ناصيته. انزع: منحسر شعر الجبهة
(٥) النفر اليمانون: لان الحياكة الجيدة كانت في اهل اليمن
(٦) القنور: السيء الخلق الشديد الغضب

فان شئت محوتك وان شئت أثبتك . فالعنوه لعنه الله . فأقبل الناس يلعنونه . فقام ابن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعرى فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا نخبرك عن عدو الله بعلم ! قال : هاتِ ؟ قال : كان عدو الله يتزين تزين المومسة ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الأخيار فإذا نزل عَمِلَ عَمَلَ الفراعنة ، وأكذب فى حديثه من الدجال . فقال سليمان لرجاء بن حيوة[1] : هذا وأبيك الشم ، لا ماتأتى به السَّفلة .

وعن عوانة قال : قطع ناس من عمرو بن تميم وحنظلة[2] على الحجاج بن يوسف فكتب إليهم : من الحجاج بن يوسف ، أما بعد فإنكم استخلصتم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون ، وأيم الله إنى لأهم أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلى خيل تنسف الطارف والتالد وتدع النساء أيامى والأبناء يتامى والديار خرابا والسواد بياضا ، فأيما رُفقة مرت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير إلى الماء الذى يليه ، تقدمة منى اليكم والسعيد من وعظ بغيره والسلام . مسلمة بن محارب قال : كان الحجاج يقول : أخطب الناس صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، إذا شاء خطب وإذا شاء سكت . يعنى الحسن ، يقول إنه لم ينصب نفسه للخطبة .

ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية فى شأن يزيد ، وفيهم الأحنف ، قام رجل من حمير فقال : إنا لا نطيق أفواه الكِمَالِ — يريد الجمال — عليهم المقال وعلينا الفعال . وهذا من الحميرى يدل على تشادق خطباء نزار .

سفيان بن عيينة قال : قال ابن عباس : إذا ترك العالم قول : لا أدرى ، أصيبت مقاتله . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله . من قال : لا أدرى ؟ فقد أحرز نصف العلم . لأن الذى له على نفسه هذه القوة فقد دلنا على جودة التثبت وكثرة الطلب وقوة المنة .

---

(١) هو رجاء بن حيوة الكندي ، كان من فضلاء التابعين حسن الكلام جيد المنطق خطيباً بليغاً ، وكان محبباً إلى بنى أمية فكانوا يقربون مجلسه منهم ، وكان أحمر الوجه أبيض اللحية ، مات سنة ١١٢ هـ

(٢) قطعوا : يعنى أنهم قطعوا الطريق على الناس وأخافوا السابلة

وقيل للمسيح بن مريم عليه السلام : من نُجالس ؟ قال : من يزيد فى علمكم منطقه وتذكركم اللهَ رؤيته ويرغبكم فى الآخرة عمله ، ومر المسيح بقوم يبكون فقال : ما لهؤلاء يبكون ؟ قالوا : يخافون ذنوبهم . قال : اتركوها يُغفر لكم.

قال الوصافى : دخل الهيثم بنُ الأسود بن العُريان — وكان شاعراً خطيباً — على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يَسودّ ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيضّ ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولانَ منى ما كنت أحب أن يشتد . ثم أنشد :

إسْمَعْ أُنَبِّئْكَ بِآيَاتِ الْكِبَرْ ... نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسُعَالٌ بِالسَّحَرْ

وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ ... وَقِلَّةُ الطُّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرْ (١)

وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجُ النَّظَرْ ... وَحَذَرًا أَزْدَادُهُ إِلَى حَذَرْ

وَتَرْكِيَ الْحَسْنَاءَ فِى قُبْلِ الطُّهُرْ ... وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرْ

وقالوا: مُرُوا الأحداثَ بالمِراء والكهولَ بالفكر . وقال عبد الله بن الحسين : المراء رائد الغضب ، فأخزى الله عقلا يأتيك به الغضب . وقالوا : أربعة تشتد معاشرتهم : الرجل المتوانى والرجل العالم والفرس المرِحُ والملك الشديد المملكة . وقال غاز أبو مجاهد يعارضه : أربعة تشتد مؤنتهم : النديم المُعربد والجليس الأحمق والمغنى التائه والسِّفلة إذا نفروا . وقال أبو شِمر الغسانى : أقبل على فلان باللحظ واللفظ ، وما الكلام إلا زجر أو وعيد . قال عُمَيْرُ بن الحُباب — وروى ذلك عنه مِسْعَرٌ — : ما أغرت على حى فى الجاهلية أحزم امرأة ولا أعجز رجلا من كلب ، وأحزم رجلا وأعجز امرأة من تغلب . وقامت امرأة من تغلب إلى الجحّاف بن حكيم — حين أوقع بالبِشْر فقتل الرجال وبقر بطون النساء — فقالت له : فض الله فاك وأصمك وأعماك وأطال سُهادك وأقل رُقادك ، فوالله إن قتلت إلا نساء

(١) اعتكر : أظلم

أسافلهن دُمًى وأعاليهن ثُدى ! فقال الجحاف لمن حوله : لولا أن تَلِدَ مِثلها لخليت سبيلها . ! فبلغ ذلك الحسن فقال : إنما الجحَّاف جَذْوَة من نار جهنم . وكانَ عامر ابنُ الظَّرِبِ العَدْوَانيُّ حكيما وكان خطيباً رئيساً وهو القائل : يامعشر عدوان ، إن الخير ألوف عزُوف ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنى لم أكن حكيما حتى اتبعتُ الحكماء ولم أكُ سيدكم حتى تعبدت لكم . وقال أعشى بنى شيبان (١) :

وَلاَ أَنَا فى أَمْرِى وَلاَ فِى خَلِيقَتِى ... بِمُهْتَضَمٍ حَقِّى وَلاَ قَارِعٍ سِنِّى (٢)

وَلاَ مُسْلِمٍ مَوْلاَىَ مِنْ شَرِّ مَاجَنَى ... وَلاَ خَائِفٍ مَوْلاَىَ مِنْ شَرِّ مَاأَجْنِى (٣)

وَإِنَّ فُؤَاداً بَيْنَ جَنْبَىَّ عَالِمٌ ... بِمَا أَبْصَرَتْ عَيْنِى وَمَا سَمِعَتْ أُذْنِى

وَفَضَّلَنِى فِى الْقَوْلِ وَالشِّعْرِ أَنَّنِى ... أَقُولُ بِمَا أَهْوَى وَأَعْرِفُ مَاأَعْنِى (٤)

وقال رجل من بنى العباس : ليس ينبغى للقرشى أن يستغرق فى شىء من العلم إلا علم الأخبار ، فأما غير ذلك فالنُّتف والشُّذَر من القول ، وقال آخر :

---

(١) هو عبد الله بن خارجة ، من ذهل بن شيبان . ويقال له : أعشى بنى ربيعة . دخل على عبد الملك وهو يتردد فى الخروج لقتال ابن الزبير ولا يجد ، فقال له : ياأمير المؤمنين ، مالى أراك متلوما ينهضك الحزم ويقعدك العزم وتهم بالاقدام وتجنح إلى الاحجام ، انفذ لبصرتك وأمض رأيك وتوجه إلى عدوك ، فجدك مقبل وجده مدبر ، وأصحابه له ماقتون ونحن لك محبون ، وكلمتهم متفرقة وكلمتنا عليك مجتمعة ، والله ماتؤتى من ضعف جنان وقلة أعوان ، ولا يثبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش ، وقد قلت فى ذلك أبياتا ! فقال عبد الملك : هاتها فانك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح . فقال :

آل الزبير من الخلافة كالتى ... عجل النتاج بحملها فأحالها

أو كالضعاف من الحمولة حملت ... مالا تطيق فضيعت احمالها

قوموا إليهم لا تناموا عنهم ... كم للغواة أطلتمو إمهالها

إن الخلافة فيكمو لا فيهم ... مازلتمو أركانها وثمالها

أمسوا على الخيرات قفلا مغلقا ... فانهض بيمنك فافتح أقفالها

فضحك عبد الملك وقال : صدقت ياأبا عبد الله ، إن أبا خبيب لقفل دون كل خير ولا تتأخر عن مناجزته إن شاء الله . وله حوادث وأخبار مع عبد الملك ومع الحجاج من اطرف مايروى .

(٢) ويروى : ولا فى خصومتى

(٣) ويروى : عند جناية

(٤) ويروى : والرأى . وبعد هذا :

وأصبحت إذ فضلت مروان وابنه ... على الناس قد فضلت خير اب وابن

وَصَافِيَةٍ تُغْشِي الْعُيُونَ رَقِيقَةٍ رَهِينَةِ عَامٍ فِي الدِّنَانِ وَعَامِ
أَدَرْنَا بِهَا الْكَأْسَ الرَّوِيَّةَ بَيْنَنَا مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ كُلُّ ظَلَامِ
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّنَا مِنَ الْعِيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامِ (١)

ومر رجل من قريش بفتى من ولد عتَّاب بن أسيدوهو يقرأ كتاب سيبويه فقال : أف لكم ! علم المؤدبين وهمة المحتاجين ؟ وقال ابن عتاب : يكون الرجل نحويا عروضياً وقساما فرضياً وحسنَ الكتابة جيدَ الحساب حافظا للقرآن راوية للشعر وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهماً ، ولو أن رجلا كان حسن البيان حسن التخريج للمعانى ليس عنده غير ذلك ، لم يرض بألف درهم .

لأن النحوى ، الذى لا إمتاع عنده كالنجار الذى يُدعى ليعلق باباوهوأحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له : انصرف . وصاحب الامتاع يراد فى الحالات كلها .

وقال عبدُ الله بن يَزيد السُّفيانى : عَوِّد نفسك الصبر على جليس السوء

(١) كان احمد بن هشام من سراة الدولة العباسية ووجوهها ، دخل عليه محمد بن وهيب يوماً وقد مدحه فرأى بين يديه غلماناً روقة مردا وخدما بيضا فرهة فى نهاية الحسن والكمال والنظافة فدهش لما رأى وبقى متبلدا لاينطق حرفا ، فضحك احمد منه وقال له : مالك ويحك ! تكلم بما تريد ؟ فقال :

قد كانت الأصنام وهى قديمة كسرت وجدعهن إبراهيم
ولديك اصنام سلمن من الأذى وصفت لمن غضارة ونعيم
وبنا إلى صنم نلوذ بركنه فقر وانت إذا هززت كريم

فقال له : اختر من شئت ؟ فاختار واحدا منهم فأعطاه إياه فقال يمدحه :

فضلت مكارمه على الأقوام وعلا فحاز مكارم الأيام
وعلته أبهة الجلال كأنه قمر بدا لك من خلال غمام
إن الأمير على البرية كلها بعد الخليفة احمد بن هشام

وبعث احمد بن هشام إلى اسحاق الموصلى بزعفران رطب وكتب إليه :

إشرب على الزعفران الرطب متكئاً وأنعم نعمت بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس بين الناس واجبة كحرمة الود والأرحام والأدب

فكتب إليه اسحاق :

أذكر أبا جعفر حقا أمت به ، وإياك مشغوفان بالأدب
وانا قد رضعنا الكأس درتها والكأس حرمتها اولى النسب

فليس بعد هذا سبيل إلى وصف ابن هشام بالعى إلا ان يكون الشاعر اراد التعريض به لأمر فى نفسه

فانه لا يكاد يخطئك . وقال سهل بن عبد العزيز : من ثقل عليك بنفسه وغمك في سؤاله فألزمه أذنا صماء وعينا عمياء . سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال : كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا قال : اللهم اغفر له وارحنا منه . وقال ابنُ أبي أُمية شهدت الرَّقاشيَّ في مجلس وكان إليَّ بغيضا مقيتا:

فَقَالَ اقْتَرِحْ كُلَّ مَاتَشْتَهِي فَقُلْتُ اقْتَرَحْتُ عَلَيْكَ السُّكُوتَا

وقال ابن عباس : العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه .

المدائني عن العباس بن عامر قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عُمر ابن عبد العزيز رحمه الله أخته فقال : الحمد لله رب العزة والكبرياء ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد فقد أحسن بك ظنا من أودعك حرمته واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوجناك على ما في كتاب الله : إمساك بمعروف أو تسريح باحسان .

وخطب اعرابي وأعجله القول وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد فقال : الحمد لله غير ملال لذكر الله ولا إيثار غيره عليه . ثم ابتدأ القول في حاجته. وسأل أعرابي ناسا فقال : جعل الله حظكم في الخير ولا جعل حظ السائل منكم عُذرة صادقة .

وكتب إبراهيم بن سَبَّابة إلى صديق له كثير المال كثير الدخل كثير النض، إما مستسلفا و إما سائلا ، فكتب اليه الرجل : العيال كثير والدين ثقيل والدخل قليل والمال مكذوب عليه ! فكتب إليه إبراهيم : إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا و إن كنت محجوجا فجعلك الله معذورا . وقال الشاعر :

لَعَلَّ مُفِيدَاتِ الزَّمَانِ يُفِدْنَنِي بَنِي صَامِتٍ فِي غَيْرِ شَيْءٍ يَضِيرُهَا

وقال أعرابي : اللهم لا تُنزلني ماء سوء فأكون امرأ سوء . وقال أعرابي : اللهم قنا عثرات الكرام . وسمع مجاشع الربعي رجلا يقول : الشحيح أعذر من الظالم ! فقال : أخزى الله شيئين خيرهما الشح . وأنشدنا أبو فروة :

إنّي مَدَحْتُكَ كَاذِباً فَأَثَبْتَنِي ... لما مَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِبُ

وأنشد على بن مَعاذ:

ثَالَبَنِي عَمْرُو وَثَالَبْتُهُ ... فَأَثِمَ الْمَثْلُوبُ وَالثَّالِبُ

قُلْتُ لَهُ خَيْراً وَقَالَ الْخَنَا ... كُلٌّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبُ

أبو معشر قال: لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبدِ الملك بن مروان عمرو ابن سعيد قام خطيبا فقال: إن أبا ذِبَّان قتل لطيم الشيطان «كَذَلِكَ نُوَلِّي بعضَ الظَّالمين بعضا بما كانوا يكسبون»

ولما جلس عثمان بن عفان رضى الله عنه على المنبر قال: يا أيها الناس، إن الله قد فتح عليكم أفريقية وقد بعث اليكم ابن أبي سَرْحٍ عَبْدَ الله بن الزُّبير بالفتح، قم يا ابن الزُّبير؟ قال: فقمت وخطبت، فلما نزلت قال: يا أيها الناس، أنكحوا النساء على آبائهن وإخوانهن، فإني لم أر لأبي بكر الصديق ولداً أشبه به من هذا.

وقال الخريمى: (١)

وَأَعْدَدْتُهُ ذُخْراً لِكُلِّ مُلِمَّةٍ ... وَسَهْمُ الْمَنَايَا بِالذَّخَائِرِ مُولَعُ

وذكر أبو العيزار (٢) جماعة من الخوارج بالأدب والخطب:

وَمُسَوَّمٍ لِلْمَوْتِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ... بَيْنَ الْقَوَاضِبِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ (٣)

يَدْنُو وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ ... شِلْوٌ تَنَشَّبَ فِي مَخَالِبِ ضَارِ (٤)

فَثَوَى صَرِيعاً وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ ... إِنَّ الشُّرَاةَ قَصِيرَةُ الأَعْمَارِ (٥)

أُدَبَاءُ إِمَّا جِئْتَهُمْ خُطَبَاءُ ... ضُمَنَاءُ كُلِّ كَتِيبَةٍ جَرَّارِ

---

(١) راجع صفحة ١٠٥ و ٢٤٢

(٢) يؤخذ من سياق عبارة للمبرد أن قائل هذا الشعر هو عبيدة بن هلال اليشكرى احد زعماء الخوارج

(٣) كان بالأصول: يركب درعه، وهو خطأ والصواب ما اثبتناه. ويركب ردعه معناه يخر بوجهه على دمه

(٤) ويروى: يهوى بدل يدنو. والشلو: العضو والقطعة من اللحم

(٥) فثوى: خر إلى الارض. تنوشه: تأخذه وتتناوله من كل جانب. والشراة: الخوارج

ولما خطب سفيان بن الأبرد الأصم الكلبي ، فبلغ في الترغيب والترهيب المبالغ ، ورأى عبيدة بن هلال اليشكري (١) أن ذلك قدفت في أعضاد أصحابه (٢) أنشأ يقول :

لَعَمْرِى لَقَدْ قَامَ الأَصَمُّ بِخُطْبَةٍ لَهَا فِي صُدُورِ الْمُسْلِمِينَ غَلِيلُ
لَعَمْرِى لَئِنْ أَعْطَيْتُ سُفْيَانَ بَيْعَتِى وَفَارَقْتُ دِينِى إِنَّنِى لَجَهُولُ

وقال أحد الخطباء الذين تكلموا عند الإسكندر ميتا : كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس (٣) فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال :

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَرِّ عَيْنِى فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيَّا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْرًا وَطَيَّا
كَفَى حُزْنًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَنِّى نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية لابنها حين خاصمته إلى عامل الماء : أما كان بطني لك وعاء ، أما كان حجري لك فناء ، أما كان ثديي لك سقاء ؟ فقال ابنها : أصبحت خطيبة ، رضى الله تعالى عنك . لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته . وقال النمر بن تولب :

وَقَالَتْ أَلَا فَاسْمَعْ لِلَفْظِى وَخُطْبَتِى فَقُلْتُ سَمِعْنَا فَانْطِقِى وَأَصِيبِى
فَلَمْ تَنْطِقِى حَقًّا وَلَسْتِ بِأَهْلِهِ فَقُبِّحْتِ مِنْ قَائِلٍ وَخَطِيبِ

وقال أبو عباد كاتب أبي خالد : ما جلس أحد قط بين يديَّ إلا تمثل لى أني ساجلس بين يديه .

قال الله عز وجل : « وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا » ليس يريد بلاغة

(١) كان بالاصول : عبد الله ، والصواب ما اثبتناه
(٢) قال الجاحظ : فت في عضدى اى غرني وخوفني .
(٣) راجع صفحة ٨٢

اللسان وإن كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد إلا بالبلاغة .

وكانت خِطبة قريش فى الجاهلية ـ يعنى خطبة النساء ـ : باسمك اللهم ، ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف ، باسمك اللهم لك ما سألت ولنا ما أعطيت .

ولما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر الوليدُ ابنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لم أر مثلها مصيبة ولم أر مثلها ثوابًا ؛ موت أمير المؤمنين والخلافة بعده ، إنا لله وإنا اليه راجعون على المصيبة ، والحمد لله على النعمة ، إنهضوا فبايعوا على بركة الله رحمكم الله . فقام إليه عبدُ اللهِ بنُ هَمّامٍ (١) فقال :

أَللهُ أَعْطَاكَ الَّتِى لَا فَوْقَهَا   وَقَدْ أَرَادَ الْمُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا سَوْقَهَا   إِلَيْكَ حَتَّى قَلَّدُوكَ طَوْقَهَا

فبايع الناس

وقيلَ لِعمرو بنِ العاص فى مرضه الذى مات فيه ـ : كيف تجدك ؟ قال أجدنى أذوب ولا أثوب وأجد نجوى (٢) أكثر من رُزئى ، فما بقاء الشيخ على ذلك ؟

وقيل لأعرابى كانت به أمراض عدة : كيف تجدك ؟ قال : أما الذى يعمدنى فحَصَرٌ وأُسْرٌ .

وقال مقاتل : سمعت يزيد بنَ المهلب يخطب بواسط فقال : يا أهل العراق يا أهل السبق والسباق ومكارم الأخلاق ، إن أهل الشام فى أفواههم لُقمة دسمة قد رتبت (٣) لها الأشداق وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال فالبسوا لهم جلود النمور (٤)

(١) هو عبد الله بن همام المري السلولى . كان شاعرا من اكابر الشعراء الذين لهم قول فى سياسة الدولة ، وكان مباينا لسياسة آل الزبير ومؤيدا لسياسة بنى مروان ، وعداده فى اهل الكوفة
(٢) النجو : مايقذف به الانسان من جوفه
(٣) رتبت لها الاشداق : أعدت لازدرادها
(٤) البسوا جلود النمور : غاضبوهم وثوروا بهم وخذوهم بالشدة واشربوا دماءهم فهي لكم سائغة .

(انتهى الجزء الأول ويتلوه الجزء الثانى إن شاء الله تعالى)

فهرس الجزء الاول

من كتاب البيان والتبيين وشرحه

تصحيح لا بد منه

وقعت بعض أغلاط مطبعية فى أثناء الكتاب لايعتد بها ، ولكن رجائى إلى القارىء الكريم أن ينظر فى الصفحة ٨١ سطر ٧ ويضبط بقلمه فيها هذه الآيه هكذا :

« الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ »

البيان والتبيين

حققه وشرحه

حسن السندوبي

البيان والتبيين

لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الجاحظ

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا — ابن العميد

حققه وشرحه

حسن السندوبى

الجزء الثانى

الطبعة الثانية

وهي تمتاز عن سابقتها بدقة التحقيق والضبط والتهذيب وزيادة الشرح

القاهرة فى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

(٢)

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها: مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر

بالخرنفش رقم ٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان الجاحظ :

الحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة.

أردنا أبقاك الله أن نبتدئ صدر هذا الجزء من « البيان والتبيين » بالرد على الشُّعوبيَّة [(١)] في طعنهم على خطباء العرب ، إذا وصلوا إيمانهم بالمخاصر ، واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القِسِيِّ والعُصِيِّ ، وأشاروا عند ذلك بالقضبان والقنا ، وفي كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق ، والمثل السائر .

ولكنا أحببنا أن نُصدِّرَ هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلة من التابعين ، الذين كانوا مصابيح الظلام ، وقادة هذا الأنام ، ومِلْحَ الأرض ، وحِلَى الدنيا ، والنجوم التي لا يضل معها السارى ، والمنار الذى إليه يرجع الباغى ، والحزب الذى كثَّرَ الله به القليل ، وأعزَّ به الذليل ، وزاد الكثير فى عدده ، والعزيز فى ارتفاع قدره . وهم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحذوا بمنطقهم الأذهان الكليلة ، فنبهوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها من سوء عادتها ، وشفوها من داء القسوة وغباوة الغفلة ، وداوَوْا من العِيِّ الفاضح

(١) الشعوبية جمع شعوبي ، والشعوبي هو كل من يحقر من شأن العرب ولا يعترف لهم بفضيلة تميزهم عن غيرهم من الأمم ، وقد كان هناك قوم من الموالي ونفاضات الأمم رأوا أن لا شيء يرفع من قدرهم إلا الطعن على العرب وإنكار كل فضل لهم لتكون لهم ميزة يعرفون بها ولكنهم سقطوا من حيث أرادوا الارتفاع . ومن الأسف أنه يوجد الآن بيننا خشارة من هذا النوع جهلوا ما للعرب من فضل وراعتهم المدنية الأوربية فقلدوا أسلافهم من الشعوبيين فى الطعن على العرب وأدبهم ولغتهم وأنكروا كل فضل لهم ورأوا الفضل كل الفضل للاوربيين . وجعلوا ذلك سمتهم التى تميزهم عن كتاب العربية وأدباء العربية ولكنهم ولله الحمد موضع سخرية الساخرين حتى من الأوربيين أنفسهم . وستكون عاقبتهم عاقبة أسلافهم إن شاء الله

ونهجوا الطريق الواضح . ولولا الذى أملت فى تقديم ذلك وتعجيله من العمل بالصواب ، وجزيل الثواب ، لقد كنت بدأت بالرد عليهم ، وبكشف قناع دعاويهم . على أنا سنقول فى ذلك بعد الفراغ مما هو أولى بنا وأوجب علينا ، والله الموفق والمستعان .

وعلى أن خطباء السلف الطيِّب وأهل البيان من التابعين باحسان ، مازالوا يُسَمون الخطبة التى لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد : « البتراء » ويسمون التى لم تُوَشَّح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم « الشَّوْهاء » .

وقال عِمْرانُ بنُ حِطَّانٍ : خطبت عند زِيادٍ خطبة ظننت أنى لم أُقَصِّر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن عِلّةً ، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن .

وخطب أعرابى فلما أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : أما بعد ، بغير ملال لذكر الله ولا إيثار غيره عليه ، فإنا نقول كذا ، ونسأل كذا . فراراً من أن تكون خطبته بَتراء ، أو شَوها . وقال شَبيبُ بنُ شَيْبَةَ : الحمد لله وصلى الله على رسوله . أما بعد ، فإنا نسأل كذا ، ونُبذل كذا .

وَبِنا حفظك الله أشد الحاجة إلى أن يسلم كتابنا هذا من البتر القبيح ، واللقب السميج المعيب ، بل قد نحب أن نزيد فى بهائه ، ونستَميل القلوب إلى اجتبائه ، إذ كان الأمل فيه بعيداً ، وكان معناه شريفاً ثميناً .

ثم اعلم بعد ذلك أن جميع خطاب العرب ، من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار . ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه . ومن الطوال ما يكون مستوياً فى الجودة ومُشاكلا فى استواء الصنعة ومنها ذات الفِقَر الحسان والنُّتَف الجياد ، وليس فيها بعد ذلك شىء يستحق

الحفظ ، وإنما حظّها التخليد فى بطون الصحف . ووجدنا عدد القِصار أكثرَ ورُواة العلم إلى حفظها أسرع ، وقد أعطينا كل شكل من ذلك قِسطَهُ من الاختيار ووفينا حقه من التمييز ، ونرجو أن لا نكون قصرنا فى ذلك والله الموفق .

هذا سوى ما رسمناه فى كتابنا هذا من مُقطّعات كلام العرب الفُصَحاء ، وجُمل كلام الاعراب الخُلَّصِ ، وأهل اللَّسَنِ من رجالات قريش والعرب أهل الخطابة من أهل الحجاز ، ونتفٍ من كلام النُّسَّاك ومواعظ من كلام الزهاد ، مع قلة كلامهم وشدة تَوَقّيهم ، ورُب قليل يُغنى عن الكثير ، كما أن رُبّ كثير لايتعلق به صاحب القليل ، بل رُبّ كلة تُغنى عن خطبة وتنوب عن رسالة ، بل رُب كناية تُرْبِى على إفصاح ولحظ يدل على ضمير ، وإن كان ذلك الضمير بعيدَ الغاية على النهاية .

ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وِفقاً ، ولذلك القدر لِفقاً ، وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع ، وأجدرَ أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحمى عِرضه من اعتراض العيَّابين ، ولاتزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة .

ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً فى نفسه متخيَّراً فى جنسه ، وكان سالما من الفضول بريئا من التعقيد ، حُبب إلى النفوس ، واتصل بالأذهان والْتَحَمَ بالعقول وهشت إليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره وعظم فى الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم الرّيض

فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة ، وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يغش ، وكان مشغوفا بأهل الجماعة ، شَنِفا (١)

(١) كان بالاصول : شنقا ، بالقاف ، وليس هذا مكانها . والصواب بالفاء كما أثبتناه . والشنف : المبغض المتكره

لأهل الأختلاف والفُرْقة ، جُمعت له الحظوظ من أقطارها ، وسِيقت إليه القلوب بأزِمَّتها ، وجُمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته ، وجُبلت على تصويب إرادته ومن أعاره الله من معرفته نصيباً ، وأفرغ عليه من محبته ذَنُوباً[١] حنت إليه المعانى . وَسَلَسَ له نظام اللفظ ، وكان قد أغنى المستمع من كدّ التكلف ، وأراح قارىء الكتاب من علاج التفهُّم .

ولم أجد فى خطب السلف الطيّب والأعراب الأقحاح[٢] ألفاظاً مسخوطة ولا معانى مدخولة ولا طبعاً رديًا ولا قولا مستكرها ، وأكثر ما نجد ذلك فى خطب المُوَلَّدِينَ البلديِّين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين ، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، أو كان من نَتاج التخير والتفكر .

ومن شعراء العرب مَن كان يَدَعُ القصيدة تمكث عنده حولا كَرِيتا[٣] وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه ، إتهاما لعقله وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله ذِماما على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، إشفاقا على أدبه ، وإحرازاً لما خوّله الله من نعمته . وكانوا يسمون تلك القصائد : « الحَوْلِيَّات » و« المُقَلَّدَات » و« المنقَّحَات » و« المُحْكَمَات » ليصير قائلها فحلاً خِنْذِيذاً ، وشاعراً مُفلقا .

وفى بيوت الشعر الأمثال والأوابد ، ومنها الشواهد ، ومنها الشوارد .

والشعراء عندهم أربع طبقات : فأولهم الفحل الخِنْذِيذُ ، والخِنذِيذ هو التام ، قال الأصمعيُّ : قال رُؤْبةُ[٤] هم الفحولة الرواة . ودون الفحلِ الخِنذيذِ : الشاعر

---

(١) الذنوب : الدلو الملآى ، استعارها هنا لافراغ المحبة حتى نعمه من فرقه إلى قدمه

(٢) الأقحاح جمع قح ، وهو الخالص العروبة

(٣) حولا كريتا : حولا تاما كاملا

(٤) هو رؤبة بن العجاج كان من فحول الرجاز فى الاسلام نشأ هو وأبوه فى الدولة الأموية وأدرك هو الدولة العباسية ونال الجوائز والصلاة من زعماء الدولتين ، وهو أحد الرجاز الفصحاء المذكورين المقدمين فى معرفة اللغة ، أخذ عنه وجوه الرواة واللغويين وصدور أهل الادب واحتجوا بقوله واتتموا بفصاحته ، وقد روى الحديث ونقل عنه ، قيل ليونس بن حبيب : من أشعر الناس ؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له : ولم ، ولم نعن الرجاز ؟ قال : هم أشعر من أهل القصيد ، إنما الشعر كلام فأجوده أشعره ، وقال رؤبة : بعث إلى أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بنى هاشم فلما دخلت عليه رأى جزعا

المفلق ، ودون ذلك: الشاعر فقط ، والرابع : الشُّعْرُورُ . ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء :

يَارَابِعَ الشُّعَرَاءِ فِيمَ هَجَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنِّي مُفْحَمٌ لَا أَنْطِقُ (١)

فقال : إسكن فلا بأس عليك ، ماهذا الجزع الذي ظهر منك ! قلت : اخافك ! قال : ولم ؟ قلت : لأنه بلغني أنك تقتل الناس ! قال : إنما اقتل من يقاتلني ويريد قتلي ، افأنت منهم ؟ قلت : لا . قال : فهل ترى بأساً ؟ قلت : لا . فأقبل على جلسائه ضاحكا ثم قال : اما ابن العجاج فقد رخص لنا . ثم قل : انشدني قولك ، وقاتم الأعماق خاوي المخترق ، فقلت : او انشدك اصلحك الله احسن منه ؟ قال : هات فأنشدته :

قلت ولسجي مستجدا حوكا لبيك إذ دعوتني لبيكا
احمد ربا ساقني إليكا

قال : هات كلمتك الأولى ؟ قلت : او انشدك احسن منها ! قال : هات . فأنشدته :

مازال يبني خندقا ويهدمه ويستجيش عسكراً ويهزمه
ومغنما يجمعه ويقسمه مروان لما ان تهاوت انجمه
وخانه في حكمه منجمه

قال : دع هذا وانشدني ، وقاتم الأعماق ، قلت : او احسن منه ! قال : هات ! فأنشدته :

رفعت بيتا وخفضت بيتا وشدت ركن الدين إذ بنيتا
في الأكرمين من قريش بيتا

قال : هات ماسألتك عنه ؟ فأنشدته :

مازال يأتي الأمر من أقطاره على اليمين وعلى يساره
مشمرا لا يصطلى بناره حتى أقر الملك في قراره
وفر مروان على حماره

قال : ويحك ، هات مادعوتك له وامرتك بانشاده ولا تنشد غيره ؟ ؟ فأنشدته ، وقاتم الأعماق خاوي المخترق ، فلما صرت إلى قولي ، يرمي الجلاميد بجلمود مدق ، قال : قاتلك الله ، لشد ما استصلبت الحافر ! ثم قال : حسبك ، انا ذلك الجلمود المدق . وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يدي ثم قال : يارؤبة ، إنك اتيتنا والاموال مشفوهة وإن لك لعودة إلينا وعلينا معولا والدهر اطرق مستتب فلا تجعل بيننا وبينك الاسدة . قال رؤبة : فاخذت المنديل منه ونالله مارايت اعجمياً افصح منه وما ظننت ان احدا يعرف هذا الكلام غيري وغير ابي ! . وكان رؤبة يراوح في الاقامة بين البادية والبصرة . مات سنة ١٤٥ ه

(١) كان في الاصول : مفحم . ولا معنى لها هنا ، والصواب ما أثبتناه ، والمفحم : العيي الذي لايكاد يبين . وفي هذا المعنى يقول الحطيئة :

الشعراء فاعلمن أربعه فشاعر لايرتجى لمنفعه
وشاعر ينشد وسط المجمعه وشاعر يجري ولا يجرى معه
وشاعر يقال خمر في دعه

فجعله سكّيتا مخلّفا ، ومسبوقا مؤخرا . وسمعت بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاثة : شاعر ، وشُوَيْعِر ، وشعْرُور . قال : والشويعر مثل محمد بن حُمران بن أبي حُمران ، سماه بذلك امرؤ القيس بن حُجر . ومنهم ثم من بنى ضبة : المُفوَّف ، شاعر بنى حُميس ، وهو الشُّوَيعر ، ولذلك قال العبدى :

أَلَا تَنْهَى سَرَاةُ بَنِى حُمَيسٍ ... شُوَيْعِرَهَا فُوَيْلِيَةَ الأَفَاعِى (١)

قُبَيِّلَةٌ تَرَدَّدُ حَيْثُ شَاءَتْ ... كَزَائِدَةِ النَّعَامَةِ فِى الكُرَاعِ (٢)

والشويعر أيضا : صَفوانُ بنُ عَبْدِ يالِيلِ من بنى سعد بن ليث ، ويقال إن اسمه رَبِيعةُ بنُ عثمانِ ، وهو الذى يقول :

فَسَائِلْ جَعْفَراً وَبَنِى أَبِيهَا ... بَنِى البَرْزَى بِطِخْفَةَ وَالمِلَاحِ (٣)

وَأَفْلَتَنَا أَبُو لَيْلَى طُفَيْلٌ ... صَحِيحَ الجِلْدِ مِنْ أَثَرِ السِّلَاحِ

وقد زعم ناس أن الخِنذِيذَ من الخيل هو الخصى ، وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر (٤)

يَالَيْتَنِى يَالَيْتَ لَمْ أَرَ مِثْلَهَا ... أَمَرَّ قِرَى مِنْهَا وَأَكْثَرَ بَاكِيَا

---

(١) قال الجاحظ : فويلية الافاعي : دويبة سوداء فوق الخنفساء

(٢) كراع النعامة : مادون عقبها . والزائدة ماخرج في العقب

(٣) طخفة : جبل أحمر طويل حذاؤه بثار ومنهل . وفى سفحه حدث يوم من ايام العرب كان لبنى يربوع على قابوس بن المنذر . والملاح : موضع ، قال ياقوت : قال الشويعر الكنانى واسمه ربيعة بن عثمان :

فسائل جعفرا وبنى أبيها ... بنى البرزى بطخفة والملاح

غداة أتتهم حمر المنايا ... يسقن الموت بالأجل المتاح

وأفلتنا أبو ليلى طفيل ... صحيح الجلد من أثر السلاح

(٤) اما البيت الأول من هذين البيتين فلم أقف له على قائل فيما لدى من مصادر ، وأما البيت الثانى فهو من قصيدة مالك بن الريب التى يرثى بها نفسه حينما أدركته الوفاة ، وذلك حيث يقول :

تذكرت من يبكى على فلم اجد ... سوى السيف والرمح الردينى باكيا

واشقر خنذيذاً يجر عنانه ... إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا

وكثيرا مالاحظت أن الجاحظ يخلط الشعر بعضه ببعض وقد يرويه لغير قائله لأنه كان يملى على قلمه من حافظته وكثيراً ماتخون الحافظة

وَأَكْثَرَ خِنْذِيذًا بِجُرُّ عِنَانَهُ — إِلَى الماءِلمْ يَتْرُكْ لهُ المَوْتُ سَاقِيَا

وَقال بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ (١)

وَخِنْذِيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ مِنْهُ — كَطَيِّ الزِّقِّ عَلَّقَهُ التِّجَارُ

وَأَبين من ذلك قول الزُّجِي « وَخَنَاذِيذَ خِصْيَةً وَفُحُولاَ »

ويدل على ذلك قول العبسى :

دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ إِلَيَّ فَشَمَّرَتْ — خَنَاذِيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالُ السَّوَاعِدِ

وكان زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى يسمى كبار قصائده « الحوليات » وقد فسر سُوَيْدُ بْنُ كُرَاعٍ العُكْلِيُّ (٢) ماقلنا فى قوله :

أَبِيتُ بِأَبْوَابِ القَوَافِي كَأَنَّمَا — أُصَادِي بِهَا سِرْبًا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعَا (٣)

أُكَالِئُهَا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَ مَا — يَكُونُ سُحَيْرٌ أَوْ بُعَيْدُ فَأَهْجَعَا (٤)

عَوَاصِيَ إِلاَّ مَا جَعَلْتُ أَمَامَهَا — عَصَا مِرْبَدٍ تَغْشَى نُحُورًا وَأَذْرُعَا (٥)

---

(١) هو بشر بن أبي خازم الأسدى ، شاعر جاهلى قديم بعد من الفحول قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من فحول الجاهلية كانا يقويان : بشر بن أبى خازم والنابغة الذبيانى ، فأما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره فلم يعد ، وأما بشر فقال له أخوه سوادة إنك لتقوى ! فقال : وما الاقواء ؟ قال : قولك:

ألم تر أن طول الدهر يسلى — وينسى مثل مانسيت جذام

ثم قلت : — وكانوا قومنا فبغوا علينا — فسقناهم إلى البلد الشآم

فلم يعد للاقواء . والبيت الذى جاء به الجاحظ فى الأصل من قصيدة مفضلية تراها مشروحة بقلمنا بالمفضليات ص ١٦٢

(٢) هو سويد بن كراع العكلى ، شاعر اسلامي مقدم من شعراء الدولة الأموية ، وكان سيد قومه وصاحب الرأى فيهم والتقدم عليهم ، وعكل وضبة وعدى وتيم يقال لهم : الرباب . واول هذه الأبيات التى رواها له الجاحظ :

تقول ابنة العوفى ليلى الا ترى — إلى ابن كراع لايزال مفزعا

مخافة هذين الأميرين سهدت — رقادى وغشتنى بياضا تفرعا

على غير جرم غير ان جار ظالم — على فجهزت القصيد المقرعا

وقد هاني الأقوام لما رميتهم — بفاقرة إن هم ان يتشجعا

وفى رواية صاحب الأغانى لهذه الأبيات تغيير وتبديل وزيادة ونقص

(٣) اصادي : اتعرض لها لأصيدها . والسرب : القطيع من الوحش ، والنزع المسرعات في عدوهن

(٤) أكالئها : اراقبها . اعرس : انزل حتى بعيد السحر . والهجوع : النوم

(٥) العواصى يريد بها القوافى الأوابد

أَهَبْتُ بِغُرِّ الآبِدَاتِ وَرَاجَعَتْ طَرِيقاً أَمَلَّتْهُ القَصَائِدُ مَهْيَعَا(١)
بَعِيدَةَ شَأْوٍ لاَ يَكَادُ يَرُدُّهَا لَهَا طَالِبٌ حَتَّى يَكِلَّ وَيَظْلَعَا(٢)
إِذَا خِفْتُ أَنْ تَرْدَى عَلَيَّ رَدَدْتُهَا وَرَاءَ التَّرَاقِى خَشْيَةَ أَنْ تَطَلَّعَا(٣)
وَجَشَّمَهُ خَوْفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا فَثَقَّفْتُهَا حَوْلاً جَرِيداً وَمَرْبَعَا(٤)
وَقَدْ كَانَ فِى نَفْسِى عَلَيْهَا زِيَادَةٌ فَلَمْ أَرَ إِلاَّ أَنْ أُطِيعَ وَأُسْمِعَا

ولا حاجة بنا مع هذه الفقر إلى الزيادة فى الدليل على ما قلنا ، ولذلك قال الحطيئة : خير الشعر الحَوْلِىُّ المُحَكَّكُ (٥) . وكان الأصمعى يقول : زُهَيْرُ بنُ أبى سُلْمى والحُطَيْئةُ وأشباههما عَبِيدُ الشعر ، وكذلك كل من يُجوِّد فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يُخرج أبياتَ القصيدة كلها مستوية فى الجودة . وكان يقال : لولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم فى باب التكلف وأصحاب الصنعة ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب الألفاظ لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعانى سَهْواً ورَهْواً (٦) ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا (٧) . وإنما الشعر المحمود كشعر النَّابغة الجعدى ورُؤْبَةَ ، ولذلك قالوا فى شعره : مِطْرَفٌ بآلاف وخِمارٌ بِوَافٍ . وكان يخالف فى جميع ذلك الرواة والشعراء . وكان أبو عُبَيْدَةَ يقول ، ويحكى ذلك عن يُونس : (٨) ومن

(١) اهبت : دعوت . غر الآبدات : القوافى البيض الغرر . الطريق المهيع . الواسع المعبد
(٢) بعيدة الشأو : شاسعة الغاية . يظلع : يعرج
(٣) تردى : تأتى ميتة لاروح فيها
(٤) جشمه : كلفه . ابن عفان : يريد به سعيد بن عثمان بن عفان . ثقفها : هذبها ونقحها . حولا جريدا . حولا كاملا . ومربعاً : وربيعاً ، يعنى وفصلا من فصول الحول الثانى
(٥) الحولى المحكك : الذى مضى عليه الحول تهذيباً وتنقيحاً
(٦) سهوا ورهوا : سهلا متدفقا
(٧) تنثال انثيالا : تأتى عفواً بلا تكلف
(٨) هو يونس بن حبيب البصري . كان مولى بنى ضبة ويكنى ابا عبد الرحمن . كان عالما بالنحو واللغة والغريب واسع الرواية فصيحا بليغا . وله فى النحو اقيسة ومذاهب تفرد بها . صحب اباعمرو ابن العلاء وسمع من الاعراب الفصحاء وروى عن سيبويه فأكثر ، وسمع منه الكسائى والفراء وغيرهما من الكوفيين . وكانت حلقته بالبصرة ينتابها اهل العلم وطلاب اللغة والأدب والغريب ونوادر

تكسّبَ بشعره والتمس به صِلاتَ الأشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة في قصائد السماطين وبالطوال التي تُنشد يوم الحفل لم يجد بُدّاً من صنيع زُهير والحُطيئة وأشباههما ، وإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ، ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتداراً عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه . وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور ميّتوه في صدورهم وقيدوه على أنفسهم فاذا قوّمه الثقاف وأُدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه مُحككا مُنقحا ، ومُصفّى من الأدناس مهذبا . وقال الرّبيعُ بنُ أبي الحُقَيق (١) لأبي يَاسِرِ النَّضِيْرِيّ :

فَلَا تُكْثِرِ النَّجْوَى وَأَنْتَ مُحَارِبٌ ... تُؤَامِرُ فِيهَا كُلَّ نِكْسٍ مُقَصِّرِ (٢)

وكان عبدُ اللهِ بنُ وَهبِ الرَّاسِبيُّ يقول : إياي والرأي الفطير ! وكان يستعيذ بالله من الرأي الدَّبَرِيّ . قال سَحْبان وائل : شر خليطيك السؤوم المُحَزَّمُ (٣) لأن السؤوم لا يصبر ، وإنما التفاضل في الصبر ، والمحزم صعب لا يعرف ما يراد

الاشعار ، ويغشاها فصحاء الاعراب من البوادي . قال له رؤبة يوما : حتى م تسألني عن هذه الاباطيل وازخرفها لك ، اما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك ؟! عاش طوال ايامه عزبا لم يتزوج ولم يتسر ، ولد سنة ٩٠ ومات سنة ١٨٢ هـ

(١) هو الربيع بن ابي الحقيق اليهودي ، كان من رؤساء بني قريظة وشاعراً من شعراء اليهود ، وكان فارسا شجاعا . كان على بني قريظة يوم بعاث . اراد النابغة الذبياني شهود سوق بني قينقاع فرآه الربيع من اطمه فنزل إليه ولحق به فلما اشرفا على السوق سمعا الضجة ، وكانت سوقا عظيمة ، فحاصت بالنابغة ناقته فانشأ يقول :

كادت تهال من الاصوات راحلتي

فقال الربيع : والنفر منها إذا ما اوجست خلق

فقال النابغة : لولا انهنها بالسوط لاجتذبت

فقال الربيع : من الزمام وإني راكب لبق

فقال النابغة : قدملت الجبس في الآطام واستعفت

فقال الربيع : إلى مناهلها لو انهـا طلق

فقال النابغة : انت يا ربيع اشعر الناس

(٢) النكس : الدنيء الذي لا خير فيه

(٣) المحزم : من حزمته التجارب فصار حازما

به وليس الحزم إلا بالتجارب ولأن عقل الغريزة مُسلَم إلى عقل التجربة ، ولذلك قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : رأىُ الشيخ أحب إلىَّ من جَلَد الشباب . ولذلك كرهوا ركوب الصعب حتى يذل والمهر الأَرِن (١) إلا بعد طول الرياضة ، ولم تُحوَّل المعانيقُ هماليجَ إلا بعد طول التخليع (٢) ، ولم يحلبوا الزَّبون إلا بعد الإبساس (٣)

وسنذكر من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لم يسبقه إليه عربى ولم يشاركه فيه عجمى ولم يُدَّعَ لأحد ولا ادّعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً .

فمن ذلك قوله : « ياخَيْلَ اللهِ ارْكَبى » ومن ذلك قوله : « ماتَ حَتْفَ أَنْفِهِ » ومن ذلك قوله : « لايَنْتَطِحُ فيه عَنْزانِ » ومن ذلك قوله : « الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ » .

ولما قال عَدِىُّ بنُ حاتِمٍ فى قتل عثمان رضى الله تعالى عنه : لا تَحبِق فيه عَناق (٤) قال له معاوية بن أبى سفيان رحمهما الله — بعد أن فُقِئَت عينه وقتل ابنه — يا أبا طَريف ، هل حَبقت فى قتل عثمان عَناق ! ؟ قال : إىْ وَالله ، والتيسُ الأضجم ! فلم يصر كلامه مثلا ، وصار كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا .

ومن ذلك قوله لأبى سفيان بن حرب (٥) : « كُلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الْفَرَا »

(١) المهر الأرن : النشط المرح الذى لم يمرن

(٢) المعانيق : الخيل الحسنة العنق وهو ضرب من السير . والهماليج : البراذين الجيدة السير فى سرعة . ولعلها المعروفة لدينا باسم الرهوانات . وهو اسم عربى مشتق من الرهو وهو السير فى لين وتدفق . والتخلع : تعليم السير بتخلع واضطراب

(٣) الزبون : الناقة التى تمنع حالبها من القرب منها . والابساس : قول الحالب للناقة « بس بس » فلها حينما تسمع ذلك منه تسكن

(٤) لاتحبق فيه عناق : لاتضرط فيه عنز صغيرة

(٥) الصحيح أن هذا القول قيل فى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . وكان أخا النبى فى الرضاعة وكان يألف النبى وهو صغير فلما بعث عاداه وهجاه ثم أسلم عام الفتح وشهد يوم حنين وقال فيه النبى : ارجو ان يكون خلفا من حمزة . وقال فيه : ابو سفيان سيد فتيان اهل الجنة . مات بالمدينة سنة ٢٠ هـ

ومن ذلك قوله : « هُدْنَةٌ على دَخَنٍ وجماعةٌ علَى أَقْذَاء » (١) ومن ذلك قوله : «لا يُلْسَعُ المؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مرتَيْنِ»

ألا ترى أن الحارثَ بنَ خدَّان حين أُمر بالكلام عند مقتل يَزِيدَ بنِ المُهلب قال : يا أيها الناس ، اتقوا الفتنة فإنها تُقبل بشبهة وتُدبر ببيان ، وإن المؤمن لا يُلسع من جُحْرٍ مرتين. فضرب بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل ، ثم قال : اتقوا عُصباً تأتيكم من الشام كأنها دِلاء قد انقطع وذَمُها (٢)

وقال ابن الأشعث لأصحابه وهو على المنبر : قد علمنا إن كنا نعلم وفهمنا إن كنا نفهم ، أن المؤمن لا يُلسع من جُحر مرتين ، وقد والله لُسعت بكم من جُحر ثلاث مرات ، وأنا أستغفر الله من كل ما خالف الإيمان وأعتصم به من كل ما قرب من الكفر .

وأنا أذكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلى الله عليه وسلم ، وهو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجَلَّ عن الصنعة ونُزِّه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يامحمد : « وما أنا مِنَ المتَكَلِّفين » فكيف وقد عاب التَّشْدِيق وجانبَ أصحاب التقعير واستعمل المبسوط فى موضع البسط والمقصور فى موضع القصر وهجر الغريب الوحشى ورغب عن الهجين السُّوقى ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة وشيد بالتأييد ويُسر بالتوفيق . وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه وغَشَّاهُ بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ومع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم (٣) ولا أفحمه خطيب ، بل يَبُذُّ الخطب الطوالَ بالكلام القصير ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا

(١) دخن : علة وفساد نية .

(٢) وذم الدلاء : سيورها

(٣) لم يقم له خصم : أى لم يطقه ولم يقو على معارضته

بالصدق ولا يطلب الفَلَجَ (١) إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ، ولا يعجل ولا يُسهب ولا يَحصر. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه ولا أبين فى فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً، ولم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط بل كذلك يرون المتطرّف والمتكلف للغناء، ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا فى المواضع التى يذمونها، قال قَيْس بن خَطِيم (٢):

فَمَا الْمَالُ وَالْأَخْلَاقُ إِلاَّ مُعَارَةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

وَإِنِّى لَأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ ... يَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وَلَيْسَ بِمُهْتَدِ

وقال ابن قميئة (٣):

وَحَمَّالِ أَثْقَالٍ إِذَا هِىَ أَعْرَضَتْ ... عَنِ الْأَصْلِ لَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَكَلِّفُ

وقال محمد بن سلام، قال يونس بن حبيب: ماجاءنا عن أحد من روائع الكلام ماجاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد جمعنا فى هذا الكتاب جملا إلتقطناها من أفواه أصحاب الأخبار، ولعل بعض من لم يتسع فى العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أن تكلفنا له من الامتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد ماليس عنده ولا يبلغه قدره، كلا والذى حرّم

(١) الفلج: الظفر والغلب

(٢) هو قيس بن الخطيم الأوسى، شاعر جاهلى من فحول شعراء المدينة. قتل ابوه وهو صغير فلما بلغ قتل قاتله فتسبب عن ذلك حروب بين الأوس والخزرج. وزعموا أنه كان جميلا مقرون الحاجبين ادعج العينين احمر الشفتين براق الثنايا. وكانت زوجته حواء بنت يزيد قد اسلمت دون علمه فلما قدم مكة عرض النبي عليه الاسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة فيسلم على يديه هناك. فسأله النبي ان يجتنب زوجته واوصاه بها خيراً. ففعل وحفظ الوصية فقال النبي: وفى الأديبج. مات قبيل الهجرة على غير إسلام

(٢) هو عمرو بن قميئة بن سعد الضبعى البكرى. شاعر فحل مقدم من قدماء الشعراء الجاهليين. عاش زمناً قبل امرىء القيس. سمته العرب عمرا الضائع لموته غريبا فى غير مأرب ولا مطلب. وكان فى حداثته شابا جميلا حسن الوجه مديد القامة عفيفا. وهو يعد من شعراء الطبقة الثانية. لقيه امرؤ القيس فى آخر عمره واخرجه معه إلى قيصر بالقسطنطينية فمات في طريقه حوالى سنة ٥٦٠ م

التَّزَيُّد على العلماء، وقبح التكلف عند الحكماء، وبَهْرَج(١) الكذابين عند الفقهاء لا يظن هذا إلا من ضل سعيه.

فمن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر الأنصار فقال: «أَمَا وَاللهِ مَا عَلِمْتُكُمْ إلاَّ لَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ وَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَعِ» وقال: «أَلنَّاسُ كُلُّهُمْ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ المُشْطِ»، و«المَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ»، و«لاَ خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لاَيَرَى لَكَ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ»

وقال الشاعر:

سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الحِمَارِ فَلاَ تَرَى ... لِذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيءٍ فَضْلاَ

وقال آخر:

شَبَابُهُمُ وَشِيبُهُمُ سَوَاءٌ ... نَهُمْ فِي اللَّوْنِ أَسْنَانُ الحِمَارِ(٢)

وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقته علمت فضل مابين الكلامين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَلْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» فتفهَّمْ رحمك الله قلة حروفه وكثرة معانيه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «أَلْيَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» و«ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» وقال: «لاَ تَجْنِ يَمِينُكَ عَلَى شِمَالِكَ» وذكر الخيل فقال: «بُطُونُهَا كَنْزٌ وَظُهُورُهَا حِرْزٌ» وقال: «خَيْرُ المَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ وَسِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ»(٣) وقال: «خَيْرُ المَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ» وقال: «نَعَمْ

---

(١) بهرج: زيف وأسقط

(٢) الرواية: فهم في اللؤم

(٣) مهرة مأمورة: فرس منتجة. وسكة مأبورة: السكة الصف المسطور من النخيل المأبور يعني الذى قلمه الابار ليثمر. ويقال في السكة المأبورة أيضا أنها الأرض المصلحة المعدة للزرع

العمة لكمُ النخلة تغرس في أرضٍ خوّارةٍ وتشربُ من عينٍ خرّارة»(١) وقال : «المُطْعِماتُ في المَحْلِ الرّاسِخاتُ في الوَحْلِ» وقال : «أَلْحِمى في أُصولِ النَّخلِ»(٢) وذكر الخيل فقال : «أعرافها أدفاؤها وأذنابها مذابّها» و : «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة» وقال : «ليسَ منّا مَنْ حَلَقَ أو صَلَقَ أو شَقَّ»(٣) وقال : «نهيتُكمْ عن عُقوقِ الأُمّهاتِ ووأدِ البناتِ ومَنْعٍ وهاتِ» وقال : «ألنّاسُ كإبلٍ مئةٍ لاتجدُ فيها راحلةً»(٤) وقال : «ما أملقَ تاجرٌ صَدُوقٌ» وجاء في الحديث : «ما قلَّ وكفى خيرٌ ممّا كثُرَ وألهى» وقال : «يحملُ هذا العلمَ من كُلِّ خلفٍ عدولُهُ ينفونَ عنه تحريفَ الغالينَ وانتحالَ المبطلينَ وتأويلَ الجاهلينَ .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألخيرُ في السّيفِ والخيرُ مع السّيفِ والخيرُ بالسّيفِ» وقال : «لا يُورِدَنَّ مُجرِبٌ على مُصِحٍّ»(٥) وقال «لا تزالُ أمّتي صالحاً أمرُها مالمْ ترَ الأمانةَ مغنماً والصّدقةَ مغرماً» و «رأسُ العقلِ بعدَ الإيمانِ باللهِ مداراةُ النّاسِ» و «لنْ يهلكَ امرؤٌ بعدَ مشورةٍ» وقال : «المُستشارُ مؤتمنٌ» وقال : «المستشارُ بالخيارِ إنْ شاءَ قالَ وإنْ شاءَ أمسكَ» وقال : «رحمَ اللهُ عبداً قالَ خيراً فغنِمَ أو سكتَ فسلِمَ» وقال : «إفصِلوا بينَ حديثِكمْ بالاستغفارِ»

(١) أرض خوارة : سهلة لينة ذات زرع . والعين الخرارة : المتدفق ماؤها

(٢) الحمى : المكان الممنوع الدنو منه لعزته على صاحبه

(٣) الحلق والصلق والشق : أن تحلق المرأة شعرها عندموت عزيز عليها وتصلق برفع صوتها وتشق ثيابها . كل هذا ممنوع شرعا كما ترى

(٤) يعني أن خيار الناس وفضلاءهم في ندرة الوجود كالراحلة النجيبة الصالحة للركوب في الابل . كلاهما عزيز

(٥) يعني أن صاحب الابل الجرباء يحظر عليه الدخول بها على ذي الابل الصحيحة لئلا تنتقل إليها عدواها

وقال : « إستعينوا على طول المشي بالسعي » وقال للختانة « يا أم عطية ، أشميه ولا تنهكيه فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج » وقال : « لا تجلسوا على ظهور الطريق فإن أبيتم فغضوا الأبصار وردوا السلام واهدوا الضال وأعينوا الضعيف » وقال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » وقال : « يقول ابن آدم : مالي مالي وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو وهبت فأمضيت » وقال : « لو أن لابن آدم واديين من ذهب لسأل إليهما ثالثاً » و « لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » و « يتوب الله على من تاب » وقال : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون » وقال « إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجالس [1] يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيقهون » وقال : « إياى والتشادق » وقال : « إياى والفرج فى الصلاة » وقال : « لا يؤمن ذو سلطان فى سلطانه ولا يجلس فى تكرمته إلا بإذنه » [2] وقال : « إياكم والمشارة فإنها تميت الغرة وتحيي العرة » وقال : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً » وقال : « أعوذ بالله من الأعميين وبوار الأيم » وكان يقول : « أعوذ بالله من دعاء لا يسمع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع »

وقال رجل : يارسول الله ، أوصني بشيء ينفعني الله به ؟ قال : « أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا وعليك بالشكر فان الشكر يزيد فى النعمة وأكثر

(١) كان فى الأصول : مجلسا . والصواب ما أثبتناه عن النهاية لابن الأثير

(٢) التكرمة : الوسادة التى يجلس عليها

الدُّعاء فانك لا تدرى متى يُستجاب لك » وقال : « أيُّها النّاسُ إنما بَغيُكُمْ على أنفُسِكُم » و « إيّاكَ والبَغيَ فانّ الله قدْ قَضى أنّهُ مَن بُغِيَ عليه لَينصُرنّه الله » و « إيّاكَ والمكرَ فان الله قد قضى أن لا يَحيقَ المكرُ السيّئُ إلاّ بأهلِهِ » وقيل : يارسول الله ، أى العمل أفضل ؟ فقال : « إجْتنابُ المحَارم ولا يزال فُوكَ رَطبا مِن ذِكر الله » وقيل له : أى الأصحاب أفضل ؟ فقال : « الّذِى إذا ذَكَرْتَ أعانك وإذا نَسيتَ ذَكَّرَكَ » وقيل : أيُّ الناس شَر ؟ قال : « ألعلماء إذ فَسَدُوا » وقال : « دَبَّ اليكم دَاء الأُمم مِن قبلكم ، الحسد والبغضاء ، والبَغضاء هى الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشَّعَر ، والذى نفس محمد بيده لا تُؤمنون حتى تحَابُّوا ، أو لا أُنبئكم بأمر إذا فعَلتموه تحَاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » وقال : « تَهادُوا تحَابُّوا »

وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصَانى رَبِّى بِتسعٍ : أوصانى بالأخلاص فى السّرّ والعلانية ، و بالعدل فى الرضا والغضب ، وبالقصد فى الغِنى والفقر ، وَأن أعفو عمن ظلمنى وأُعطى من حرمنى وأصل من قطَمنى ، وأن يكون صمتى فِكراً ونطقى ذِكراً ونظرى عِبرا »

وثلاث كلمات رُويت مرسَلة ، وقد رُويت لأقوام شتى ، وقد يجوز أن يكون إنما حكوها ولم يبتدؤها ، منها قوله : « لَوْ تَكاشفتم لما تدَافنتم » ومنها قوله : « ألناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم » ومنها قوله : « ماهلكَ امرؤٌ عرَفَ قدرَه »

وعن عبد الله بن دينار قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله كَرِهَ لَكُمُ العَبَثَ فى الصلاة والرَّفَثَ فى الصيام والضحكَ عِند المقابر » وقال : « إذَا أذّنتَ فترَسَّلْ وإذَ أقمتَ فاجزم »

ومن حديث معَاذ بن جَبَلٍ قال : قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم : « لَيسَ مِن أخلاقِ المؤمنِ المَلَقُ إلاَّ فى طَلَب العلم » ومن حديث أنَسِ بنِ مالكٍ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قيدُوا العِلم بالكتاب »(١) قال : « ويقول الله : لوْلاَ رِجَالٌ خُشَّعٌ وصِبيانٌ رُضَّعٌ وبهائمُ رُتَّع لَصبَبتُ عليكمُ العذاب صبّاً »

(١) قيدوا العلم بالكتاب : اي اكتبوه فى الصحف ولا تعتمدوا على الحافظة

ومن حديث عبد الله بن المبارك ، رفعه ، قال: « إذا سادَ القَبِيلَ فاسِقُهُمْ وكان زَعِيمَ القوْمِ أرْذَلُهُمْ وأُكْرِمَ الرجُلُ اتقاءَ شرِّه فلْيَنْتَظِروا البلاء »

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستَحْرِصونَ على الإمارةِ فنِعْمَةَ المُرْضِعةُ وبِئْسَتِ الفاطِمةُ »

وعن عبْدِ الرحْمنِ بنِ أبي بَكْرَةَ عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحْكُمُ الحاكمُ بينَ اثنَيْنِ وهوَ غضْبانُ »

ومن حديث عبدِ الله بن المبارك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن قوْماً ركِبوا سفينةً في البحر فاقتَسَموا فصارَ لِكل رَجُلٍ منهم موْضِعٌ ، فنقرَ رَجُلٌ منهم موْضعه بفأس فقالوا له : ما تَصْنَع ؟ فقال : هُوَ مكاني أصنع فيه ما شئتُ ! فإن أخذوا على يديه نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا »

وقال : « علِّقْ سوْطَكَ حيثُ يراهُ أهلُكَ »

ودخل السائبُ بنُ أبي صَيفِيٍّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، أتعرفني ؟ قال: « كيف لا أعرِفُ شَريكي الذي كان لا يُشارِيني ولا يُمارِيني » ؟

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يُؤتَى بالوَالي يجلدُ فوق ما أمر اللهُ به فيقول له الرب : عبدى ، لِمَ جلَدْتَ فوق ما أمرتُكَ به ؟ فيقول : ربي ، غَضِبتُ لِغَضبك ! فيقول : أ كان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي !؟ ثم يُؤتَى بالمقصِّر فيقول : عبدى ، لِمَ قصَّرت عما أمرتك به ؟ فيقول : ربي ، رحمتُه ! فيقول : أ كان ينْبغي لِرَحمتك أن تكون أوسع من رحمتي ! ؟ قال : فيأمر فيهما بشيء ، قد ذكره لا أعرفه ، إلا أنه صيرهما إلى النار .

وعن قُزَعَةَ قال : قال لى ابنُ عمرٍ : أُودِّعك كما ودَّعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ « استَوْدِعِ اللهَ دينَكَ وأمانتَك وخواتيم عملك » وقال : « كل أرض بسمائها »

وعن ابن لهيعة عن أشياخه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الحضْرَمِيِّ ولقومه :

« من محمد رسول الله إلى الأقيال العَباهِلةِ(١) من اهل حضرَموتَ بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، على التِّيعة شاة والتِّيمة لصاحبها وفى السُّيُوب الخمس(٢) لاخِلاط ولاوِراط ولا شِناق ولا شِغار(٣) فمن أجبى فقد أربى(٤) وكل مسكرحرام »

ومن حديث راشد بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُغالوا فى النساء فإنما هُن سُقيا الله » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرُ نساء رَكِبْنَ الإبلَ صوالح نساء قُريش ، أحناه على وَلدٍ فى صِغره وأرْعاه على بَعْلٍ فى ذوات يده »

وعن الشَّعْبىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أللَّهم اذْهِبْ مُلكَ غسان وضَعْ مُهورَ كِنْدَةَ »

والذى يدلك على أن الله قد خصه من الإيجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعانى ، قوله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بالصَّبا وَأُعطِيتُ جَوامِعَ الْكَلِمِ » ومما روى عنه صلى الله عليه وسلم من استعمال الأخلاق الكريمة والأفعال الشريفة وكثرة الأمر بها والنهى عما خالف عنها ، قوله : « من لم يَقبلْ عذراً مِن مُتنصلٍ صادقاً كان أو كاذباً ، لم يرد علىّ الحوض » وقال فى آخر وصيته : « إتقوا الله فى الضَّعيفين » وكلمته جارية فى السّبى فقال لها : « مَنْ أنْتِ ؟ » قالت : أنا بنتُ الرجل الجواد

(١) الاقيال العباهلة : هم الذين اقروا على ملكهم لا يزالون عنه . وواحد العباهلة : عبهل

(٢) التيعة : إسم لادنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، وهى كالخمس من الابل ، والاربعين من الغنم . والتيمة : الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ الفريضة الاخرى ، او هي الشاة تكون لصاحبها فى منزله يحتلبها وليست بسائمة . والسيوب : قال الزمخشرى : السيوب جمع سيب يريد به المال المدفون فى الجاهلية او المعدن لانه من فضل الله تعالى وعطائه لمن اصابه

(٣) الخلاط : ان يخلط الرجل ماله من ماشية بما لغيره ليبخس حق الله فى الزكاة . والوراط : ان تخفى مالك من ماشية فى وهدة من الارض ، او تغيبها فى مال غيرك لكيلا يراها المصدق فيأخذ زكاتها . والشناق ان لا يؤخذ فى الزائد على الفريضة زكاة إلى ان تبلغ الفريضة الاخرى . والشغار : أن تزوج الرجل ابنتك او اختك او التى تلى امرها من محارمك على ان يزوجك نظيرتها دون ان يكون بينكما مهر . وقد كان هذا النكاح معروفا فى الجاهلية فابطله الاسلام بهذا الحديث

(٤) احبى : الاحباء بيع الزرع قبل ان يبدو صلاحه ، او هو موارأة المال عن المصدق فراراً من الزكاة ، وقيل : هو العينة ، وهو ان يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى اجل مسمى ثم يشتريها منه بالنقد باقل من الثمن الذى باعها به

حاتم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إرْحَمُوا عزيزاً ذَلَّ ، إرحموا غنياً افتقر ، إرحموا عالماً ضاع بين جهال » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « سُرعة المشى تذْهَبُ ببهاء المؤمن »

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الأحاديث ستكثر عنى بعدى كما كثرت عن الأنبياء من قبلى ، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عنى ، قلته أو لم أقله »

وسُئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خُلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: خلُق القرآن ، وتلت قول الله : « وإنكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم »

وقال محمد بن على : أدب الله محمداً صلى الله عليه وسلم بأحسن الآداب فقال: « خُذِ العفوَ وأْمُر بالعُرْفِ وأعْرِضْ عنِ الجاهِلين » فلما وعى قال : « ما أتاكُمُ الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكم عنهُ فانتهُوا واتقُوا الله »

وعن هِشام بن عُرْوَةَ قال : سمع عُمر بنُ الخطّاب رضىَ الله تعالى عنه رجلا ينشد :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ   تَجِدْ خيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خيرُ مُوقِدِ

فقال عمر: ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد كان الناس يستحسنون قول الأعْشَى:

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيانِهَا   وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالمُحَلَّقُ

فلما قال الحطيئة البيت الذى كتبناه قبل هذا سقط بيت الأعشى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزَالُ المسْروقُ مِنه فى تُهَمَةِ مَن هو برىء حتى يكون أعظم جُرماً مِنَ السَّارِق »

وقال أبو الحسن : أجرى النبي صلى الله عليه وسلم الخيل وسابق بينها فجاء فرس له أدهم سابقاً فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال : « ما هُوَ إلاَّ البَحْر » (١)

(١) وروى البخارى انه كان بالمدينة فزع فاستعار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة يقال له « مندوب » فركبه وقال : « ماراينا من فزع وإن وجدناه لبحرا » اى متدفق فى جريه

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كذب الحُطَيْئَةُ حيث يقول :

وَإِنَّ جِيادَ الخَيْلِ لاتَسْتَفِزُّنا ... ولاَ جَاعِلاتُ العَاجِ فَوْقَ المَعَاصِمِ (١)

وقد زَعَمَ ناس من العلماء أنه لم يستفزه سبق فرسه ولكنه أراد إظهار حب الخيل وتعظيم شأنها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويلبس العباء ويجالس المساكين ويمشى فى الأسواق ويتوسد يده الشريفة ويقص من نفسه (٢) ويلطع أصابعه (٣) ولا يأكل متكئاً ولم يُر قط ضاحكا ملء فيه ، وكان يقول « إنما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكلُ العبدُ وأشربُ كما يشربُ العبد ولو دُعِيتُ إلى ذِراعٍ لأجبت ولو أهدى إلىَّ كُراعٌ (٤) لقَبِلْتُ » لم يأكل قط وحده ولاضرب عبده ولا ضرب أحداً بيده إلا فى سبيل ربه ، ولو لم يكن من كرم عفوه ورجاحة حلمه إلا ما كان منه يوم فتح مكة لقد كان ذلك من أكمل الكمال ، وذلك أنه حين دخل مكة عَنوة ، وقد قتلوا أعمامه وبنى أعمامه وأولياءه وقادة أنصاره بعد أن حصرُوه فى الشِّعاب وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب وجرحوه فى بدنه وآذوه فى نفسه وسفهوا عليه وأجمعوا على كيده ، فلما دخلها بغير حمدهم وظهر عليهم على ضِغْنٍ (٥) منهم ، قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أقول كما قال أخى يوسف : « لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ »

وإنما نقول فى كل باب بالجملة من ذلك المذهب ، وإذا عرفتم أولَ كل باب كنتم خُلقاء أن تعرفوا الأواخر بالأوائل والمصادر بالموارد .

---

(١) ويروى : ولا جاعلات الربط فوق المعاصم . ولكلام عمر بقية تركها الجاحظ وهو انه بعد إنشاد البيت قال : لو ترك هذا احد لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم . يعنى لو ترك احد السباق بالخيل .

(٢) يقص من نفسه : يعني يدع من له حق عنده ايا كان ان ياخذه بنفسه كما اخذ منه

(٣) يلطعها : يلحسها

(٤) الكراع : مستدق الساق

(٥) فى الأصول : على صفر ، وهو خطأ والصواب ما اثبتناه . والضغن الحقد

خطبة الوداع

ومن خطبه صلى الله عليه وسلم خطبة حجة الوداع . وهي :

« الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضْلِل فلاهادىَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده و رسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحُثُّكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير .

أما بعد أيها الناس ، إسمعوا منى أُبَيِّنْ لكم فإنى لاَ أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .

أيها الناس ، إن دِماءَكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يَومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

ألا هل بَلَّغْتُ ؟ اللهم فاشهد .

فمن كانت عنده أمانةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إلى مَن ائتمنَهُ عليها . وَإنَّ رِبَا الجاهلية موضوع ، وإنّ أولَ رِباً أَبدأُ به ربا عمى العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ . وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإنّ أولَ دَمٍ نَبدأ به دم عَامِرِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ الحَارِثِ بن عَبدِ المُطَّلِبْ . وإن مآثر الجاهلية موضوعة ، غيرَ السِّدَانَةِ والسِّقَايَةِ .[1] وَالعَمْدُ قَوَدٌ [2] وَشِبهُ العَمْدِ ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

[ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد]

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَدَ فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تُحقرون من أعمالكم .

أيها الناس « إنما النسىء [3] زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) السدانة : خدمة الكعبة . والسقاية : سقى الحجيج الماء

(٢) العمد : القتل عمدا

(٣) فى الاصول : إن النسىء : وهو خطأ والصواب ما أثبتناه كما فى القرآن الكريم

يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ » ، وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللهُ السموات والأرض ، و « إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ إثْنَا عَشَرَ شَهْراً فى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، الذى بين جمادى وشعبان .

ألا هل بلَّغت ؟ أللهم فاشهد .

أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقًّا ، ولكم عليهن حق : لكم عليهن أن لا يُوطِئْن فرُشكم غيركم ، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تَعْضُلُوهن[1] وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهنْ ضرباً غير مبرِّح ، فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقُهن وكسوتُهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان[2] لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله،فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً .

ألا هل بلغت ؟ أللهم فاشهد .

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه .

ألا هل بلغت ؟ أللهم فاشهد .

فلا ترجعُنَّ بعدى كُفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده ، كتابَ الله .

ألا هل بلغت ؟ أللهم فاشهد .

أيها الناس ، ربُّكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ،

(١) تعضلوهن : تمنعوهن من الزواج

(٢) عوان : متوسطات الأعمار . والمراد أنهن غير مجربات

أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربيٍّ على عَجَمى فضلٌ إلا بالتقوى .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

قالوا : نعم :

قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية ، ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ (١) . والسلام عليكم ورحمة الله »

وعن الحسن قال : جاء قَيسُ بنُ عاصِم المِنْقَرِى (٢) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر إليه قال : هذا سَيدُ أهل الوَبَرِ . فقال : يارسول الله ، خبِّرنى عن المال الذى لاتكون علىَّ فيه تَبِعَةٌ من ضيف ضافنى أو عيال إن كثروا علىَّ ؟ قال : نعم ، المال الأربعون والأكثر الستون ، وويل لأصحاب المئين ، إلا مَن أعطى فى رَسْلها ونجدتها (٣) وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ونحر سمينها وأطعم القَانِعَ والمُعْتَرَّ . قال : يارسول الله ، ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها ! ؟ ومايحل بالوادى الذى أكون فيه أكثر من إبلى . قال : فكيف تصنع بالطَّروقة ؟ قال : تغدو الإبل ويغدو الناس فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به . قال : فكيف تصنع بالأفقار ؟ (٤) قال : إنى لأفقر البَكر الضَّرِع والناب المسنة . قال : فكيف

(١) الصرف : التوبة ، أو الحيلة . والعدل : الاستقامة

(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد ، ويكنى أبا على . كان سيداً شريفاً موصوفاً بالحلم ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد تميم بعد الفتح فأسلم . وكان الأحنف بن قيس يقول : تعلمت الحلم من قيس بن عاصم ، أوتى بقاتل ابنه فقال : أزعجتم الفتى ، وكان ابن عمه ، ثم أقبل عليه وقال : يابنى ، نقصت من عددك ، وأوهنت من ركنك ، وفتت فى عضك ، وأشمت عدوك ، وأسأت بقومك ؟ خلوا سبيله . وما حل حبوته ولا تغير وجهه . وقال ابن الأعرابى : قيل لقيس : بماذا سدت قومك ؟ فقال : بثلاث ، ببذل الندى ، وكف الأذى ، ونصر الولى . وكان شاعراً مقلاً ، وشجاعاً باسلاً ، كثير الغارات فى الجاهلية والإسلام مظفراً فى غزواته . توفى سنة ٤٧ هـ

(٣) رسلها ونجدتها : يقال : بعير رسل وناقة رسلة لينة السير ، والرسل : القطيع من الإبل

(٤) الافقار : الإبل التى تعار للغير

تصنع بالمنيحة ؟ قال : إنى لأمنح فى كل سنة مائة . قال : فأى المال أحب إليك، أمالك أم مال مواليك ؟ قال : بل مالى . قال : فمالك من مالِك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت ، وما سوى ذلك للمواريث .

وعن محمد بن كعب القُرَظِى (١) قال : دخلت على عُمر بن عبد العزيز رحمه الله فى مرضه الذى مات فيه فجعلت أحدُّ النظر إليه ، فقال لى : ياابن كعب ، مالك تحدُّ النظر إلىّ ؟ قلت : لِما نحل من جسمك وتغير من لونك ، قال : فكيف لو رأيتنى بعد ثلاثة فى قبرى وقد سالت حَدَقَاى على وجنتىّ وابتدر فمى وأنفى صديداً ودوداً كنت لى أشد نَـكرة ، أعد علىّ حديثاً كنت حدثتنيه عن ابن عباس ؟ قلت : سمعت ابن عباس يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنَّ لِـكُلِّ شَىْءٍ شَرَفا ، وإنَّ أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، ومَن أحبَّ أن يكونَ أعزَّ الناس فَليتق الله ، ومَن أحبَّ أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومَن أحبَّ أن يكون أغنَى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده » ثم قال : « ألا أُنبئكم بشرار الناس » ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال: « مَن نَزَل وحده ومنع رِفْده وجلد عَبده » ثم قال « ألا أُنبئكم بشر مِن ذلك » ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : « مَن لا يُقيل عَثْرَةً ولا يَقبل مَعذِرة » ثم قال : « ألا أنبئكم بشَرٍّ مِن ذلك » ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : « مَن لا يُرجى خيره ولا يؤمن شره » ثم قال : « ألا أُنبئكم بشر من ذلك » ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : « مَن يُبغِضُ الناس ويُبغِضُونه ، إن عيسى بن مريم قام خطيباً فى بنى إسرائيل فقال : يابنى اسرائيل ، لاتَـكلَّموا بالحـكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تُـكافئوا ظالماً فيبطل فضلـكم ، يابنى اسرائيل

(١) هو محمد بن كعب القرظى : راوية إخبارى قاص يكنى ، أباحمزة ، والقرظى نسبة إلى بنى قريظة، انتسب يوماً قرظياً فقيل له : لم لا تنتسب أنصارياً ؟ فقال : أكره أن أمن على الله بما لم أفعل . كان يقص فى مسجده فسقط عليه وعلى أصحابه فقتلهم . قيل أن ذلك كان فى سنة ١١٧ هـ

الأمور ثلاثة : أمر تبين رُشده فاتَّبِعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فإلى الله رُدوه »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كل قوم على زينة من أمرهم ومَفْلَحة من أنفسهم يزرون على من سواهم »

ويتبين الحق من ذلك بالمقايسة بالعدل عند ذوى الألباب من الناس .

وقال : « مَن رَضي رقيقه فليمسكه ومَن لم يرض فليبعه ولاتعذبوا عبادالله » وقال فى آخر ماأوصى به : « إتقوا الله فى الضعيفين » .

وعن مَعاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عِمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قُسطنطينية ، وفتح قُسنطينية خروج الدجال » ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدثه أو منكبه ثم قال « إنَّ هذا الحق كما أنك هاهنا » أو « كما أنك قاعد » يعنى معاذاً (١) .

وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حَصِّنُوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا البلاء بالدعاء »

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حج المساكين»

وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عَوان ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله »

وعن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يُحب الجواد من خَلقه »

وعن أبي هُريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَاخَلا يهودى بمسلم قط إلا همَّ بقتله » ويقال « حدث نفسه بقتله »

(١) لعل هذا الحديث من تسقطات الجاحظ التى أخذه بعضهم بها . وإلا فليس مثل الجاحظ من يروي مثل هذا الحديث على أنه سليم من الشوائب

وعن أسماء بنت يزيد قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَن ذَبَّ عن لحم أخيه بظهر الغيب (١) كان حقاً على الله أن يُحرِّمَ لحمه على النار » وعن معاذ ابن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَيس مِن أخلاق المؤمن الملق إلا فى طلب العلم » وعن ثمامة بن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قيِّدوا العلم بالكتاب » وقال : « فَضْلُ جَاهك تعود به على أخيك الذى لا جاه له صدقةٌ منك عليه ، وفضل لسانك تعبر به عن أخيك الذى لا لسان له صدقة منك عليه ، وفضل قوّتك تعود بها على أخيك الذى لا قوّة له صدقة منك عليه ، وفضل علمك تعود به على أخيك الذى لا علم له صدقةٌ منك عليه ، وإماطتك الأذى عن الطريق صدقةٌ منك على أهله »

وإنما مدار الأمر والغاية التى يجرى إليها : الفهم ثم الإفهام والطلب ثم التثبت .

وقال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أملهم : جليسى ما فهم عنى ، ودابتى ما حملت رحلى ، وثوبى ما ستر عورتى . وذكر الشعبى ناساً فقال : ما رأيت مثلهم أشد تنابذاً فى مجلس ولا أحسن تفهماً عن محدث . ووصف سهل بنُ هرون رجلا فقال : لم أر أحسن منه فهماً لجليل ولا أحسن تفهماً لدقيق . وقال سعيدُ بنُ سَلْمٍ (٢) لأمير المؤمنين المأمون : لو لم أشكر الله إلا على حسن ما بلانى فى أمير المؤمنين من قصده إلىَّ بحديثه وإشارته إلى بطرفه ، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجبه الحرية . قال المأمون : لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حُسن الإفهام إذا حدَّثْتَ

(١) ذب عن لحمه بظهر الغيب : يعنى دفع عنه عدوان المعتدى عليه بلسانه فى غيبته

(٢) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى . كان من أمراء الدولة العباسية ، ولى لها ارمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة . وكان شجاعا باسلا ضابطاً لأموره مع أدب بارع ورواية طريفة : حدث عن نفسه فقال : مدحنى شاعر بيتين لم اسمع احسن منهما وهما قوله :

ابا سارياً بالليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا مقرم اربى على كل مقرم جواد حثا فى وجه كل جواد

فاغفلت صلته فهجانى ببيتين لم اسمع اهجى منهما ، وهما قوله :

لكل اخى مدح ثواب علمته وليس لمدح الباهلى ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفوان عليه تراب

وحسن الفهم إذا حُدِّثت مالم يجده عند أحد فيمن مضى ولا يظن أنه يجده فيمن بقى . وقال له مرة : والله إنك لتستقفى [١] حديثى وتقف عند مقاطع كلامى وتخبر عنه بما كنت قد أغفلته .

قال أبو الحسن : قالت امرأة لزوجها : مالك إذا خرجتَ إلى أصحابك تَطَلَّقْتَ وتحدثت ، وإذا كنت عندى تعقّدت وأطرقت ؟ قال : لأنى أجل عن دقيقك وتدقين عن جليلى . [٢] وقال أبو مُسهر بن المبارك : ماحدثت رجلا قط إلا أعجبنى حسن إصغائه حفظ عنى أم ضيع . وقال أبو عقيل بن درست : نشاط القائل على قدر فهم المستمع . وقال أبو عباد كاتب ابن أبى خالد : للقائل على المستمع ثلاث : جمع البال ، والكتمان ، وبسط العذر ، وقال أبو عباد : إذا أنكر القائل عَيْنَى المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه وعن السبب الذى أجرى ذلك القول له ، فان وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث وإن كان لاهياً عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة وعرفه بسوء الاستماع والتقصير فى حق المحدث .

وأبو عباد هذا هو الذى قال : ما جلس بين يدىَّ رجل قطّ إلا تمثل لى أنى سأجلس بين يديه .

وذُكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان ـ وعبد الملك يومئذ غلام ـ فقال : إنه لآخِذٌ بأربع وتارك لأربع : آخِذٌ بأحسن الحديث إذا حَدَّث وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث وبأيسر المؤنة إذا خُولف وبأحسن البِشْر إذا لَقِى ، وتارك لمحادثة اللئيم ومنازعة اللجوج وممارات السفيه ومصاحبة المأفون . [٣] وذم بعض الحكماء رجلا فقال : يجزم قبل أن يعلم ويغضب قبل أن يفهم . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى بعض رسائله إلى قضاته : ألفهم الفهم فيما يختلج فى صدرك .

---

(١) يعنى ليتتبع الحديث حتى لا يفلته حرف منه
(٢) انظر صفحة ٢٤٤ سطر ٢١ من الجزء الأول
(٣) المأفون : الضعيف الرأى والعقل والمتمدح بما ليس عنده

ولا يمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ البال . وقال مَجْنُونُ بنى عامر : (١)

أَتانِي هَوَاهَا قبلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبِي فَارِغًا فتمـكَّنا (٢)

وكتب مَالِكُ بْنُ أَسْمَاء بْنِ خَارِجَةَ إلى أخيه عُيينة بن أسماء : (٣)

أُعيَيْنُ هَلاَّ إِذْ شُغِفْتَ بِهَا كُنْتَ اسْتَغَثْتَ بِفَارِغِ الْعَقْلِ

أَقْبَلْتَ تَرْجُو الغَوْثَ مِنْ قِبَلِي وَالْمُسْتَغَاثُ إِلَيْهِ فِي شُغُلِ

وقال صالح المُرى : سوء الإستماع نفاق . وقد لايفهم المستمع إلا بالتفهم وقد يتفهم أيضاً من لايفهم . وقال الحارث بن حِلِّزة : (٤)

(١) هو قيس بن الملوح العامرى صاحب ليلى . وكان على ماقيل قد جن بها . قال الاصمعي : لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة . يعنى كان احمق . ومن الغريب ان الاصمعي مع تصحيحه هذه الحالة قد انكر وجوده فقال : رجلان ما عرفا فى الدنيا قط إلا بالاسم ، مجنون بنى عامر وابن القرية وإنما وضعهما الرواة . والقائلون بان المجنون إسم لامسمى له كثيرون . منهم الاصمعى ومنهم عيسى ابن داب قال : قلت لرجل من بنى عامر اتعرف المجنون وتروى من شعره شيئا ؟ قال : او قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى اشعار المجانين ! انهم لكثير ! قال : ليس هؤلاء اعنى ، إنما اعنى مجنون بنى عامر الشاعر الذي قتله العشق ، فقال : هيهات ! بنو عامر أغلظ أكبادا من ذاك ، إنما يكون هذا فى هذه اليمانية الضعيفة قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة رؤسها ، فأما نزار فلا . وابن الكلبي يقول : حدثت أن فتى من بنى أمية كان يهوى ابنة عم له وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التى يرويها الناس له ونسبها إليه . على أن ما يروى عن الاصمعى فى شأنه لا يدل على قطعه بنفيه أو إثباته . وهناك كثير من الرواة يثبتونه . وأخباره مبسوطة بكتاب الاغانى

(٢) ويروى : فصادف قلبا خاليا .

(٣) وكان السبب فى هذا الشعر أن مالك بن أسماء عشق جارية لاخته هند وعشقها أخوه عيينة فاستغاث بأخيه مالك وهو لايعلم ما يجد بها ، يشكو إليه حبها فقال مالك :

أعيين هلا إذ كلفت بها كنت استغثت بفارغ العقل

أرسلت تبغى الغوث من قبلى والمستغاث إليه في شغل

وانت ترى ما بين الروايتين من الخلاف فى بعض الالفاظ

(٤) هو الحارث بن حلزة اليشكرى ، شاعر من فحول الشعراء الجاهليين . قال ابو عبيدة : اجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد . وزعم الاصمعى ان الحارث قال قصيدته وهو ابن خمس وثلاثين ومائة سنة . وكان ابو عمرو الشيبانى يعجب لارتجال هذه القصيدة فى موقف واحد ويقول لو قالها فى حول لم يلم . مات سنة ٥٧٠ م والمراد بقصيدته التى ارتجلها ــ وانا اسميه بسببها خطيب الشعراء ــ انشدها ارتجالا بين يدى عمرو بن هند . اولها :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وَحَبَسْتُ فيها الرَّكْبَ أَحْدِسُ فِي ... كُلِّ الأُمُورِ وَكُنْتُ ذَا حَدْسِ (١)

وقال النابغة الجعدي :

أَبى لِيَ البَلَاءُ وَأَنِّي امْرُؤٌ ... إذَامَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ (٢)

وقال آخر :

تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنَ وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا (٣)

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم : العلم بالتعلم . واذا كانت البهيمة اذا أحست بشيء من أسباب القانص أحدَّت نظرها واستفرغت قواها فى الاسترواح (٤) وجمعت بالها للتسمع ، كان الإنسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف . ولما اتهم قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَبَا مِجْلَزٍ لَاحِقَ بْنَ حُمَيْدٍ (٥) ببعض الأمر قال له أبو مِجْلَز : أيها الأمير، تثبت فإن التثبت نصف العفو . وقال الأحنف : تعلمت الحلم من قَيس ابن عاصم . وقال فيروز حُصين (٦) : كنت اختلف إلى دار « الاستخراج » أتعلم الصبر .

آذنتنا بعهدها ثم ولت ... ليت شعرى متى يكون اللقاء

وهى طويلة تناهز التسعين بيتا . واما البيت الذى رواه الجاحظ بالاصل فهو من قصيدة اخرى مفضلية تراها بالمفضليات مشروحة بقلمنا . اولها :

لمن الديار عفون بالحبس ... آياتها كمهارق الفرس
لا شيء فيها غير اصورة ... سفع الخدود يلحن فى الشمس
وغير آثار الجياد باعراض الجماد وآية الدعس
فحبست فيها الركب احدس فى كل الامور وكنت ذا حدس

(١) الحدس : الظن الصائب

(٢) يريد متى كشف لى عن جلية الغرض مضيت بلا تردد

(٣) حتى تحلم : حتى تروض نفسك على الحلم

(٤) كان بالأصول: اسباب القاص ، وهو خطأ ، والصواب ما اثبتناه . والاسترواح : التشمم والتنسم

(٥) هو ابو مجلز لاحق بن حميد بن سدوس ، كان قيما بشؤون المال عارفا بامور الخراج ، وكان مقامه بخراسان مع قتيبة بن مسلم وابلى معه فى فتوحاته بلاء حسنا . استقدمه عمر بن عبد العزيز اليه وساله عن خراسان فاجابه بما شفى نفسه ثم ولاه بيت المال وضرب السكة « دار الضرب » فاحسن القيام على ذلك . مات سنة ١٠١ هـ

(٦) كان بالاصل : فيروز بن حصين وهو خطا والصواب ما اثبتناه . وهو فيروز حصين الفارسي، وانما قيل له فيروز حصين لانه حين اسلم والى حصينا بن عبد الله العنبرى . وهو جيد البيت فى الفرس

وقال سهل بن هٰرون : بلاغة الإنسان رِفق ، والعِى خُرق . وكان كثيراً ما ينشد قول شُتَيْم بن خُوَيْلِد:

وَلاَ يَشْعَبُونَ الصَّدْعَ بَعْدَ تَفَاقُمٍ وَفِى رِفقِ أَيْدِيكُمْ لِذِى الصَّدْعِ شَاعِبُ (١)

خطبة لأبى بكر الصديق

وقال إبراهيم الأنصارى ، وهو إبراهيم بن محمد المَفلوج من وُلد أبى زَيد القارى : الخلفاء والأئمة وأمراء المؤمنين ملوكٌ ، وليس كل ملك يكون خليفة وإماماً . قال : ولذلك فصل بينهم أبو بَكرٍ رضى الله تعالى عنه فى خطبته ، فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم قال :

إنّ أشقَى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك ! فرفَع الناسُ رؤُسهم ، فقال : ما لكم أيها الناس ! إنكم لَطعانون عجلون ! إن من الملوك من إذا ملك زهَّدَهُ اللهُ فيما عنده ورغبه فيما فى يدى غيره وانتقصه شَطر أجله وأشرب قلبه الإشفاق ، (٢) فهو يَحْسد على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة البهاء ،

كريم المحتد معروف الآباء . وكان فيروز حصين شجاعا باسلا وجوادا نبيلا حسن الصورة جهير الصوت . حارب الخوارج مع المهلب وكانت له فيهم نكاية وبلاء . ولما خلع ابن الأشعث وخرج على الحجاج كان معه حتى إن الحجاج وهو يصاف ابن الاشعث القتال أطلق مناديا يقول : من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم . فقصل فيروز من الصف فصاح بالناس : من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا فيروز حصين ، وقد عرفتم مالى ووفائى ، من أتى برأس الحجاج فله مائة الف . فقال الحجاج : والله لقد تركنى اكثر التلفت وإني لبين خاصق . فلما انتهى امر ابن الاشعث اخذ فيروز وقدم إلى الحجاج فقال له : انت الجاعل فى رأس اميرك مائة الف ؟ قال : قد فعلت ، فقال : والله لأمهدنك ثم لأحملنك ، اين المال ؟ قال : عندى ، فهل إلى الحياة من سبيل ؟ قال : لا . قال : فأخرجنى إلى الناس حتى اجمع لك المال فلعل قلبك يرق على . فاخرجه الحجاج مخفوراً فاحل الناس من ودائعه واعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد إلى الحجاج فقال له : شانك الآن فاصنع ماشئت . فعذبه اشد عذاب فلم يتأوه حتى مات .

(١) شعب الصدع : لأمه . وتفاقم الامر : جل الخطر واتسع الخرق على الراقع . يقول : إن اعداءكم لايصلحون فاسداً اما انتم فى ايديكم الرفيقة صلاح كل فاسد ورأب كل متصدع

(٢) الاشفاق : الخوف والفزع

لايستعمل العبرة ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القسِىّ ،(١) والسراب الخادع جَذِلُ الظاهر (٢) حزين الباطن ، فإذا وَجَبَتْ نفسه (٣) ونَضَبَ عمره (٤) وضحى ظله (٥) حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه ، ألا إن الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة النُّبُوَّةِ ومَفْرَقِ المحجة ، وسترون بعدى ملكا عَضوضاً (٦) وملكا عنوداً وأمة شَعَاعاً (٧) ودما مفاحاً (٨) فإن كانت للباطل نَزْوة (٩) ولأهل الحق جولة يعفو بها الأثر ويموت لها البشر ، فالزموا المساجد واستشيروا القرآن والزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلادكم خُرْسَة (١٠) إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها .

وصية أبى بكر الصديق لعمر الفاروق

إنى مُستخلفك مِن بَعدى وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لايقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تُؤدَّى الفريضة ، فإنما ثقلت موازينُ مَن ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقلِهِ عليهم، وَحُقَّ لميزان لا يُوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين مَن خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وَحُقَّ لميزان لا يُوضع

(١) الدرهم القسى : اى الزائف المنقوص
(٢) جذل الظاهر : يرى هاشا باشا مرحا مسرورا
(٣) وجبت نفسه : خر ميتا .
(٤) نضب عمره : انتهت ايامه من الدنيا
(٥) ضحى ظله : زال فلا ظل له على الأرض
(٦) ملكا عضوضا : يصيب الناس فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضا
(٧) شعاعا : متفرقة الأهواء ذاهبة مزقا
(٨) دما مفاحا : سائلا هدرا
(٩) النزوة : الوثبة
(١٠) خرسة : بكر ضعيفة أسباب العيش

فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلتُ إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار فذكرهم بأسوإ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلتُ إني لأرجو أن لاَ أكون من هؤلاء . وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبدُ راغباً راهباً ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يُلقِي بيده إلى التهلُكة فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائبٌ أبغضَ إليك من الموت ولستَ بمعجز الله .

وصية عمر للخليفة من بعده

وَأوصى عُمر رضى الله تعالى عنه الخليفة مِن بعده فقال :

أُوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً فاقبلْ من مُحسنهم وتجاوز عن مُسيئهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً فإنهم دِرْء العدو وجُباةُ الفَيْءِ[1] لا تحمل فيئَهم إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً فإنهم أصل العرب ومادَّةُ الإسلام أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدُّوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً أو عن يد وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مَقته أن يَطَّلِعَ منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس وتخشى الناس فى الله ، وأوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثِر غنيَّهم على فقيرهم فإن ذلك باذن الله سلامةٌ لقلبك وحطٌّ لِوِزْرِكَ وخيرٌ فى عاقبة أمرك حتى تفضيَ من ذلك إلى مَن يعرفُ سريرتك ويحول بينك وبين قلبك ، وآمرك أن تشتد فى أمر الله وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ثم لا تأخذك

(١) كان بالاصل : رده العدو . وهو عكس المراد لان الرده المعاون وليس هذا مكانها . والصواب ما اثبتناه . والدرء : الدفع . وجباة الفيء . محصلو الخراج

فى أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ماانتهك من حُرَم ِالله ، واجعل الناسَ عندك سواء لاتبالى على من وجب الحق ثم لاتأخذك فى الله لوْمَة لائِم ، وإياك والأثَرَةَ والمُحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ماقد وسَّعه الله عليك وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فان اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيمانًا ورضوانًا ، وإن غلبك الهوى اقترفت به سُخطالله ، وأُوصيك أن لاتُرَخِّصَ لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة .

ولقد أوصيتك وحضضتُك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة واخترتُ من دَلالتك ما كنتُ دالاً عليه نفسى وولدى ، فإن عملت بالذى وعظتُك وانتهيت إلى الذى أمرتك أخذت به نصيباً وافراً وحظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تُنزل معاظم الأمور عند الذى يرضَى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا ، لأن الأهواء مشتركة ورأس كل خطيئة إبليس وهو داع إلى كل هَلَكَةٍ وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردهم النار ولَبئس الثمن أن يكون حظ امرىء موالاة عدو الله الداعى إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخُض إليه الغمرَاتِ وكن واعظا لنفسك . أنشدك الله لمَا ترحمت على جماعة المسلمين فأجلت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقَّرت عالمهم ولا تضربهم فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالفَىْء فتغضبهم ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ولا تُجَمِّرْهُمْ فى البعوث فتقطع نسلهم (١) ولا تجعل المال دُولَةً (٢) بين الاغنياء منهم ، ولا تُغلق بابك دونهم فيأكل قويُّهم ضعفَهم . هذه وصيتى إياك ، وأُشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام .

(١) ولا تجمرهم فى البعوث : لاتجمع جيوشهم فى أرض العدو ثم تمنعهم عن القفول إلى بلادهم واهليهم
(٢) دولة : يتداوله الاغنياء فيما بينهم دون الفقراء

رسالة عمر الى أبي موسى الاشعرى فى القضاء

(١) كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى أبى موسى الأشعرى :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد فان القضاء فريضةٌ محكمة وسنةٌ متبعة ، فافهم إذا أُدلِى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آسِ بين الناس فى مجلسك ووجهك (٢) حتى لا يطمع شريف فى حيفِك (٣) ولا يخاف ضعيف من جورك ، والبينة على مَن ادَّعى واليمينُ على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صُلحاً حرم حلالا أو أحل حراماً ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعتَ فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ألفهمَ الفهمَ عند ما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، إعرف الأمثالَ والاشباه وقِسِ الأمور عند ذلك ثم اعمِد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى ، واجعل المدعى حقاً غائباً أو بينة أمد ينتهى إليه ، فان أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجبتَ عليه القضاء فان ذلك أنفَى للشك وأجلى للعمى وأبلغ فى العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً فى حد أو مجرَّبا عليه شهادة زور أو ظنيناً فى وَلاء أو قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشُّبُهاتِ ، ثم إياك والقلقَ والضَّجر والتأذِّى بالناس والتنكرَ للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويُحسن بها الذُّخْر فانه من يُخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله ، والسلام عليك.

---

(١) رواها ابن عيينة وابوبكر الهذلى ومسلمة بن محارب ، وورووها عن قتادة ، ورواها ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم عن عبيد الله بن حميد الهذلى عن أبي المليح بن اسامة

(٢) آس بين الناس : ساوى بينهم

(٣) الحيف : الجور والظلم

خطبة لعلي بن أبي طالب

وقال أبو عُبيدة معمر بن المثنَّى :(١) أول خطبة خطبها عَليٌّ بن أبي طالِبٍ رضي الله تعالى عنه [بالمدينة في خلافته] حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال :(٢)

أما بعد [ألا] لا يَرْعين مُرعٍ إلا على نفسه (٣) فان من أرعى على غير نفسه شُغل عن الجنة والنار أمامهُ (٤) ساع مجتهد وطالبٌ يرجو ومقصر في النار ، ثلاثة ، وإثنان : ملَكٌ طار بجناحيه ، ونبي أخذه الله بيده ، لا سادس (٥) هلك من ادَّعى ورَدِيَ من اقتحم ، اليمين والشمال مَضلة والوُسطى الجادة ، منهج عليه

(١) هو ابو عبيدة معمر بن المثنى : الامام الراوية اللغوي البصري ، كان مولى لتيم قريش ، قال له رجل : من ابوك وما اصله ؟ فقال : حدثني ابي ان اباه كان يهودياً بباجروان . اخذ ابو عبيدة عن يونس بن حبيب وابي عمرو ، واخذ عنه ابو عبيد القاسم بن سلام وابو حاتم السجستاني وابو عثمان بكر بن محمد المازني وابو الحسن علي بن المغيرة الاثرم وعمر بن شبة . كان اعلم بالانساب وايام الناس من الاصمعي وابي زيد ، وكان ابو نواس يتعلم منه ويصفه ويذم الاصمعي ، وكان يقول : ابو عبيدة اديم طوي على علم والاصمعي بلبل في قفص ، لان الاصمعي كان حسن الانشاد والزخرفة . اقدم الرشيد ابا عبيدة من البصرة إلى بغداد وقرأ عليه . وكان ابو عبيدة شعوبياً وكان مع هذا يرى رأي الخوارج . قال الجاحظ : لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي اعلم بجميع العلوم من ابي عبيدة . وقال ابن قتيبة : كان الغريب اغلب عليه واخبار العرب وايامهم . وكان مع علمه ومعرفته ربما لم يقم البيت إذا انشده ولا يقيم إعرابه ، وقد يروي الشعر مختلف العروض ويخطىء إذا قرأ القرآن نظراً . وكان يبغض العرب وله في مثالبها كتاب ، وله مصنفات كثيرة . وكان يقول شعراً ضعيفاً ، وأصلح ماروى له منه قوله :

يكلمني ويخلج حاجبيه لأحسب عنده علماً دفينا
وما يدرى قبيلا من دبير إذا قسم الذي يدري الظنونا

ولد سنة ١١٢ هـ وتوفي سنة ٢١١ هـ

(٢) اعتمدنا في تقويم هذه الخطبة على ابن ابي الحديد ولا سيما وقد نقلها عن « البيان والتبيين » ويكون هذا التقويم ردا للشيء إلى اصله

(٣) لايرعين : لايبقين ، يعني من أبقى على الناس فانما ابقى على نفسه

(٤) يعني أن من كانت هاتان امامه إنه لفي شغل عن امور الدنيا إن كان ذا رشد

(٥) قسم المكلفين على خمسة اقسام ، ثلاثة منهم : ساع مجتهد وطالب راج ومقصر هالك ، واثنان معصومان هما الملك الطائر بجناحيه والنبي الذي اخذ الله بيديه ، ولا سادس لهم

باقى الكتاب والسنة وآثار النبوة ، إن الله داوى هذه الأمة بدواءين : السوط والسيف ، لا هوادة عند الأمام فيهما . إستتروا فى بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم . مَن أبدَى صَفحَتَهُ للحق هلك ، قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين ، أما إنى لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف . سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه ، ويحه لو قصّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له ، أنظروا فان أفكرتم فانكروا وإن عرفتم فآزروا [(١)] حق و باطل ولكلٍ أهل، ولئن كثر أمر الباطل لقديماً فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل ، وقلما أدبر شيء فأقبل ولئن رجعت عليكم أموركم إنكم لسُعَدَاء [(٢)] وإنى لأخشى أن تكونوا فى فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وقال أبو عبيدة ، وزاد فيها [فى رواية] جعفر بن محمد [عن آبائه]

[ألا] إن أبرار عِترَتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغاراً وأعلم [الناس] كباراً ، ألَا وإنَّا أهلُ بيت مِن عِلم الله علمْنا وبحكم الله حُكمُنا ومن قول صادق سَمعنا ، وإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وإن لم تفعلوا يُهلككم الله بأيدينا ، معنا رايةُ الحق مَن تبعنا لَحِق ومَن تأخر عنها غَرِق ، ألَا وبنا تُردك تِرَةُ كل مؤمن وبنا تُخلع رِبقَةُ الذل عن أعناقكم وبنا فُتِحَ [لا بكم] وبنا يُختَمُ لا بكم .

خطبة أخرى له

ومن خطب على أيضاً رضى الله تعالى عنه قالوا : أغار سُفيانُ بنُ عَوفٍ الأزدِى ثم الغامِدى على الأنبار زمان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعليها ابنُ حسان أو حسان البكرى [(٣)] ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ،

(١) انظروا فان افكرتم : يعنى أفكروا فيما قلت فان كان منكراً فأنكروا وإن كان حقا فأعينوا

(٢) يريد أنه لو رجعت عليكم اموركم بتمكنى من الحكم فيكم عادت إليكم الايام بما يشبه ايام الرسول وسيرته فى المسلمين كنتم سعداء

(٣) حقق ابن ابي الحديد ان اسمه اشرس بن حسان البكري وكان على مسلحة الانبار ، يعنى كان قائد الجند فيها .

فخرج عليٌّ حتى جلس على باب السُّدة فحمدالله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : (١)

أما بعد فان الجهادَ بابٌ مِن أبواب الجنة [فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجُنته الوثيقة] فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذُّل وشمِلهُ البلاء وَدُيِّثَ (٢) بالصَّغار [والقماءة (٣) وضرب على قلبه بالاسهاب وأديل الحق منه بتضييع الجهاد] وسيم الخسفَ ومُنع النَّصَفَ (٤) . ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا وقلت لكم اغزُوهم قبل أن يغزُوكم فوالله ما غُزِىَ قومٌ قط فى عُقْرِ دارهم إلا ذلوا (٥) ، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شُنت عليكم الغارات [وملكت عليكم الأوطان] هذا أخو غامدٍ (٦) قد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان — أو ابن حسان — البكرى (٧) وأزال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجالا صالحين ،

---

(١) قابلنا هذه الخطبة بما رواه الشريف الرضى وأكلناها وقومناها عنه ، فكل ما كان بين هذين المعقوفين [ ] فعن الشريف رحمه الله

(٢) كان فى الأصل : ثوب الذلة ، والزمه الصغار . وديث بالصغار : ذلل بالضيم .

(٣) القماءة : الحقارة والضؤلة . والاسهاب : يريد به هنا ذهاب العقل

(٤) وسيم الخسف : وكلف الذل والمشقة . ومنع النصف : وحيل بينه وبين الانصاف

(٥) عقر دارهم . اصل دراهم .

(٦) هو سفيان بن عوف بن المغفل الغامدى ، وغامد قبيلة يمانية من ازد شنوءة . دعاه معاوية وقال له : إنى باعثك فى جيش كثيف ذى اداة وجلادة فالزم جانب الفراة حتى تمر بهيت فتقطعها فان وجدت بها جندا فأغر عليهم وإلا فامض حتى تغير على الأنبار فان لم تجد بها جندا فامض حتى توغل المدائن ثم اقبل إلي واتق ان تقرب الكوفة واعلم انك ان اغرت على اهل الأنبار واهل المدائن فكأنك اغرت على الكوفة ، إن هذه الغارات ياسفيان على اهل العراق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فينا هوى منهم وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر ، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك واخرب كل مامررت به من القرى واحرب الاموال فان حرب الاموال شبيه بالقتل وهو اوجع للقلب . ثم امده بستة آلاف .

(٧) قال حبيب بن عفيف : كنت مع اشرس بن حسان البكرى بالانبار على مسلحتها إذ صبحنا سفيان بن عوف فى كتائب تلمع الابصار منها فهالونا والله وعلمنا إذ رأيناهم انه ليس لنا طاقة بهم ولا يد ، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرقنا فلم يلقهم نصفنا وايم الله لقد قاتلناهم فأحسنا قتالهم حتى كرهونا . ثم قتل اشرس وتفرق جمعه

وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهَدَة (١) فينتزعُ حجلها وَقُلُبَهَا [وقلائدها] ورُعثها (٢) [ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام] ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كَلْم (٣) [ولا أريق لهم دم] فلو أن امرأً مسلما مات من بعدها أسفا ما كان عندي ملوماً بل كان عندي به جديرا ، فياعجباً من جد هؤلاء القوم في باطلهم وفشلكم عن حقكم ! فقبحاً لكم وترَحاً حين صرتم غرضاً يُرْمَى وفيئاً ينهب ، يُغار عليكم ولا تُغيرون وتُغزَوْن ولا تغزُون ويُعصى الله وترضون ، فإذا أمرتكم بالسير اليهم في [أيام] الحر قلتم : [هذه] حَمارَّة القيظِ (٤) أمهلْنَا حتى يَنْسَبِخَ (٥) عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالسير [إليهم] في الشتاء قلتم : [هذه صَبارَّةُ القرّ] (٦) أمهِلْنَا حتى ينسلخ عنا البرد (٧) . كل هذا فرارا من الحر والقر ! فاذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفرّ ، يا أشباه الرجال ولا رجال ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الحِجَال ، وددت أن الله قد أخرجني من بين ظهرانيكم وقبضني إلى رحمته من بينكم ، والله لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم ، معرفةٌ والله جرَّت ندماً [وأعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا] وورثتم (٨) صدري غيظاً وجرَّعتموني [نُغَبَ التَّهْمَامِ] (٩) أنفاساً وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان [حتى لقد] (١٠) قالت قريش إن ابن أبي طالب [رجل] شجاع ولكن لاعلم له بالحرب ؟ لله أبوهم ، وهل أحد منهم أشد لها مِراسا [وأقدم فيها مقاما] وأطول لها تجربة مني ؟

(١) المعاهدة : المرأة من اهل الذمة
(٢) كان بالاصل : احجالها . والحجل : الخلخال . والقلب : السوار المصمت . والرعثة : القرط
(٣) كان بالاصل : ينسلخ . والصواب ماأثبتناه . وينسبخ : يخف
(٤) كان بالاصل : ما كلم رجل منهم كلما .
(٥) حمارة القيظ : شدة حره
(٦) صبارة القر : شدة البرد
(٧) كان بالاصل : القر . والقر والبرد سواء
(٨) كان بالاصل : وورثت .
(٩) كان بالاصل : وجرعتموني الموت . ونغب التهمام : جرع الهم
(١٠) كان بالاصل : والخذلان احق قالت .

لقد [نهضت فيها و] مارستها وما بلغت العشرين [وها أنا ذا] قد نيفت[١] فيها على الستين ، ولكن لارأى لمن لايطاع .

قال فقام رجل من الأزد يقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد [ابن] أخ له[٢] فقال : يا أمير المؤمنين أنا وأخى كما قال الله « رَبِّ إنى لاأملكُ إلاَّ نفسى وأخى » فمرنا بأمرك فوالله لنضرِبن دونك وإن حال دونك جمر الغضا وشوك القتاد . قال : فأثنى عليهما وقال لهما خيرا وقال : أين تقعان مما أريد ؟ ! ثم نزل .

خطبة أخرى له

وخطبة أخرى بهذا الاسناد فى شبيه بهذا المعنى ، قام فيهم خطيبا فقال :[٣]

أيها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يُوهى الصُّمَّ الصلابَ وفعلكم يُطمع فيكم الأعداء[٤] تقولون فى المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم : حِيدى حيادِ[٥] ما عزَّت دعوة مَن دعاكم ولا استراح قلبُ من قاساكم ، أعاليلُ بأضاليل ! وسألتمونى التأخير دفاع ذى الدَّين المَطُول ، هيهات لا يمنعُ الضيمَ الذليلُ ولا يدركُ الحق إلا بالجد ، أى دار بعد داركم تمنعون ، أم مع أىِّ إمام بعدى تقاتلون ! ؟ ألمغرور والله مَن غرَرتموه ومَن فاز بكم [فقد فاز بالسهم الأخيب ! [ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل][٦] أصبحت والله لاَ أصدق قولكم ولا أطمع فى نصركم ، [ولا أوعد العدو بكم ، مابالكم ، ماطبكم القوم رجال أمثالكم ! أقولا بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غير حق] فرق الله بينى و بينكم وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم * لوددت أن لى بكل عشرة منكم رجلاً من بنى فِرَاسِ بْنِ غُنْمٍ *[٧] صرف الدينار بالدرهم .

(١) ويروى : ذرفت . وذرفت ونيفت كلاهما بمعنى زدت

(٢) هو جندب بن عفيف وابن اخيه عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف

(٣) قال هذه الخطبة حينما اغار الضحاك بن قيس على بلاده بعد مسالة الحكمين

(٤) كان بالاصل : اعداؤكم . وما أثبتناه اليق بمقام الكلام

(٥) حيدي حياد : كلمة يقولها الفار من القتال ، اي فررتم وحرضتم غيركم على الفرار

(٦) وبافوق ناصل : بسهم مكسور الفوق ، وهو مدخل الوتر ، لانصل فيه

(٧) هذه الجملة التى بين النجمين ليست من هذه الخطبة وإنما هي من خطبة أخرى قالها فى إغارة

خطبة أخرى له

وخطب أيضاً على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال :

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوَدَاع (١) ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، [ألا] وإن المضمار اليومَ والسباقَ غداً [والسبقة الجنة والغاية النار ، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته ، ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ؟] ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل ، فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضرره أجله ، ومن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أجله (٢) ، ألا فاعملوا لله فى الرَّغبة كما تعملون له فى الرهبة ، ألا وإنى لم أرَ كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجرُّ به الضلال إلى الردى ، ألا وانكم قد أمرتم بالظعن ودُللتم على الزاد (٣) وإنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطولَ الأمل [فتزودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا]

خطبة عبد الله بن مسعود

أصدقُ الحديث كتاب الله تعالى وأوثقُ العرَى كلمةُ التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وخير الأمور عزائمها ، ما قلّ وكفَى خيرٌ مما كثر وألهى ، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها ، خيرُ الغنى غنى النفس ، خير ما أُلقِىَ فى القلب اليقينُ ، الخمر

بسر بن أرطاة على اليمن والذى قاله فيها : أما والله لوددت أن لى بكم ألف فارس من بنى فراس بن غنم ، ثم قال متمثلا :

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، حى مشهور بالشجاعة والاقدام ، منهم علقمة بن فراس جذل الطعان وربيعة بن مكدم حامى الظعن حياً وميتاً .

(١) آذنت : أعلمت

(٢) كان فى الأصل : أمله . والصواب ما أثبتناه

(٣) يشير إلى قوله تعالى : « إن خير الزاد التقوى »

جِماع الآثام ، ألنساء حِبالَةُ الشيطان ، الشباب شُعبة من الجنون ، حب الـكفاية مفتاح المَعْجزة ، من الناس من لا يأتى الجماعة إلا دَبْراً ولا يذكر الله إلا هُجراً (١) أعظم الخطايا اللسان الـكذوب ، سبابُ المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية (٢) مَن يتألَّى (٣) على الله يكذبه ومن يستغفر يغفر له ، مكتوب فى ديوان المحسنين مَن عفا عُفى عنه ، ألشقى من شقىَ فى بطن أمه ، ألسعيد من وُعظ بغيره ، ألأمور بعواقبها ، مِلاك العمل خواتيمه ، أحسن الهَدْى هَدْىُ الأنبياء (٤) أقبحُ الضلالة الضلالة بعد الهُدَى ، أشرف الموت الشهادة ، من يعرف البلاء يصبر عليه ، من لايعرف البلاء ينكره .

خطبة عتبة بن غزوان السلمى بعد فتح الابلة (٥)

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال

أما بعد فان الدنيا قد تولت حَذَّاء (٦) مدبرة وقد آذنت أهلها بصرم (٧) وإنما بقى منها صُبابة كصبابة الاناء يَصطَبُّها (٨) صاحبها ، ألا وإنـكم مفارقوها لا محالة ففارقوها بأحسن مايحضركم ، ألا وإن من العجب أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الحجر الضخم يلقى فى النار من شفيرها فيهوى

(١) دبرا : فى آخر الامر حيث لامحل له . هجرا : فحشاً
(٢) أكل لحمه : يعنى بالغيبة والنميمة
(٣) تألى : حلف
(٤) الهدى : السيرة
(٥) هو عتبة بن غزوان بن جابر ، كان من اجلاء الصحابة وفى عداد المهاجرين الأولين ، وكان شجاعا بطلا وراميا حاذقا وفارساً مغواراً . قدم المدينة مهاجرا وله من العمر اربعون سنة ، وشهد بدرا وأبلى فيها بسهامه بلاء حسناً . وكان رجلا طوالا مشرف القامة . فتح الأبلة بعد انهزام جيش الفرس الذى كان بها ، واختط البصرة بأمر عمر بن الخطاب وأمر محجن بن الادرع فاختط مسجدها . ثم ذهب إلى مكة فلما كان بمعدن بنى سليم ادركه الموت فتوفى سنة ١٧ ه
(٦) حذاء : منقوصة .
(٧) آذنت أهلها بصرم : أعلمتهم بالقطيعة
(٨) صبابة : بقية . يصطبها : يفرغها

فيها سبعين خريفا (١) ولجهنم سبعة أبواب مابين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة ولتأتين عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام » ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة مالنا طعام إلا ورق البَشَام (٢) حتى قُرحت أشداقنا (٣) فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرة فشققتها بيني و بينه بنصفين والتقطت بُردة فشققتها بيني و بينه فأتزرت بنصفها ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، و إنه لم يكن نُبوة قط إلا تناسختها جبرية (٤) وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسي عظيما وفى أعين الناس صغيرا ، وستجر بون الأمراء من بعدى فتعرفون وتنكرون.

خطبة لمعاوية بن أبى سفيان

قالوا (٥) لما حضرت معاويةَ الوفاةُ قال لمولى له : مَن بالباب ؟ قل : نفر من قريش يتباشرون بموتك ! فقال : ويحك ! ولم ؟ قال: لا أدرى ! قال: فوالله مالهم بعدى إلا الذى يسوءهم . وأذن للناس فدخلوا فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قل : (٦)

أيها الناس ؟ إنا قد أصبحنا فى دهر عَنُود (٧) وزمن شديد يُعدُّ فيه المحسن مُسيئًا و يزداد فيه الظالم عُتوًّا ، لاننتفع بما عَلمنا ولا نسأل عمّا جهلنا ولا نتخوّف قارعةَ حتى تَحِلَّ بنا (٨) ، فالناس على أر بعة أصناف : منهم مَن لا يمنعه الفسادَ [فى الأرض] إلا مَهانةُ نفسه وكَلاَلَةُ حدّه ونَضِيضُ وَفْرِهِ (٩) ومنهم المُصْلِتُ

(١) سبعين خريفا : سبعون عاما وليس من عام إلا وفيه خريف
(٢) البشام : شجر عطر الرائحة ويتخذ من قضبانه مساويك
(٣) قرحت اشداقنا : حدثت فيها قروح
(٤) تناسختها جبرية : غالبها جبروت ذوى السلطان فلما نسختها وإما غلبت لها
(٥) قال الجاحظ : رواها شعيب بن صفوان وزاد فيها اليقطرى وغيره
(٦) روى الشريف الرضى هذه الخطبة لعلى بن ابي طالب وهى به اشبه . وقد قومتها على روايته
(٧) عنود : جائر
(٨) القارعة : الخطب الذى يقرع اى يصيب
(٩) ونضيض وفره : اى قلة ماله

لسيفه والمُجلبُ بخيله ورَجْله (١) والمُعلن بشرّه ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لِحُطام ينتهزه (٢) أو مِقْنَبٍ يقوده (٣) أو منبر يفرعه (٤) ولَبئس المتجر أن [ترى الدنيا] لنفسك ثمناً ولما لك عند الله عوضاً ، ومنهم مَن يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامَنَ من شخصه (٥) وقارب من خطوه وشَمَّر من ثوبه وزخرف [من] نفسه للأمانة (٨) واتخذ سِتر الله ذَريعة للمعصية (٦) ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضُؤُولةُ نفسه (٧) وانقطاعُ سببه فقصرت به الحال عن أمله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس [أهل] الزَّهادة وليس مِن ذلك فى مَرَاحٍ ولا مَغْدَى ، وبقى رجال غضَّ أبصارهم ذِكرُ المرجع وأراق دُموعَهم خوفُ المحشر فهم بين شريد نافر وخائف مقموع وساكت مَكْعُوم (٩) وداعٍ مخلص وثكلان موجَع ، قد أخملتهم التَّقِيَّةُ وشملتهم الذِّلة فهم [فى] بحرٍ أُجاجٍ أفواههم ضامزة (١٠) وقلوبهم قَرِحَةٌ قد وَعظوا حتى مَلُّوا وقُهروا حتى ذَلوا وقُتلوا حتى قَلوا ، فلتكن الدنيا فى أعينكم أصغرَ مِن حُثالة القَرَظ وقُراضة الجَلَم (١١) واتَّعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم مَن كان بعدكم ، وارفضوها ذميمةً (١٢) فإنها قد رفضت من كان أشغفَ بها منكم (١٣)

(١) الرجل جمع راجل كالركب جمع راكب

(٢) اشرط نفسه : هيأها واعدهاللافساد فى الارض • واوبق دينه : اهلكه . لحطام ينتهزه : لمال يختلسه

(٣) او مقنب يقوده : المقنب الجيل مابين الثلاثين إلى الاربعين

(٤) او منبر يفرعه : اى يعلوه

(٥) طامن من شخصه : خفض وتظاهر بالخشوع

(٦) للأمانة : أي صنع ذلك ليخدع الناس حتى يأمنوه على مافى ايديهم

(٧) الذريعة : الوسيلة

(٨) الضؤولة : الحقارة والقماءة

(٩) مقموع : مقهور • ومكعوم : اي قد شد على فمه بالكعام (الكمامة) وهو كناية عن السكوت . وفى الاصول معكوم وهو خطا

(١٠) كان بالاصول : أفواههم ضامرة ، ولا معنى لها ههنا والصواب ما أثبتناه . والضامز : الساكت

(١١) حثالة القرظ : ماتساقط من ورق السلم • قراضة الجلم : ما يقع مما يقرضه المقص

(١٢) وارفضوها ذميمة : يعنى الدنيا

(١٣) قال الشريف الرضى : وهذه الخطبة ربما نسبها من لاعلم له إلى معاوية ، وهى من كلام امير المؤمنين

وفى هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب : منها أن هذا الكلام لايشبه السبب الذى من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أن هذا المذهب — فى تصنيف الناس وفى الاخبار عنهم وعماهم عليه من القهر والإذلال ومن التَّقيَّة والخوف — أشبه بكلام على وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ، ومنها أنا لم نجد معاوية فى حال من الحالات يسلك فى كلامه مسلك الزُّهاد ولا يذهب مذاهب العُبَّاد ، وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم .

خطبة زياد بن أبى سفيان بالبصرة — البتراء

قال أبو الحسن المدائنى بسنده : قدم زيادٌ البصرة والياً لمعاوية بن أبى سفيان وضم إليه خُراسان وسجستان ، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر [وأموال الناس منتهبة والسياسة ضعيفة فصعد المنبر] : فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ، وقيل: بل قال :

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً :

أما بعد فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغَيّ المُوفِى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حُلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم (١) لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته فى الزمن السرمدى الذى لايزول ، أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا وسدَّت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا

عليه السلام الذى لايشك فيه ، واين النهب من الرغام والعذب من الاجاج ! وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها إلى معاوية ثم قال هى بكلام علىّ عليه السلام اشبه وبمذهبه فى تصنيف الناس وبالاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوق اليق ، قال ومتى وجدنا معاوية فى حال من الاحوال يسلك فى كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد

(١) ويروى : الثواب الكثير

إليه مِن تركـكم الضعيف يُقهر ويُؤخذ ماله ! ؟ ما هذه المواخير المنصوبة [١] والضعيفة المسلوبة [٢] فى النهار المبصر ، [هذا] والعدد غير قليل ؟ ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دَلَجَ الليل وغارة النهار ؟ قرّبتم القرابة و باعدتم الدّين ، تعتذرون بغير العذر وتغضون عن المختلس ، كل امرىء منكم يذب عن سفيهه ، صنيعَ من لا يخاف عاقبةً ولا يرجو معادا . ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس [٣] الريب، حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا. إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف وشدة فى غير عُنف ، وإنى أقسم بالله لآخذنّ الولى بالولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصى والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : أنج سعد فقد هلك سُعيد ، أو تستقيم قناتكم . إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة ، فاذا تعلقتم علىّ بكذبة فقد حلت لـكم معصيتى فاذا سمعتموها منى فاغتمزوها فىّ واعلموا أن عندى أمثالها . مَن نُقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه ، فاياى ودَلَج الليل فانى لا أوتَى بمدْلج إلا سفكت دمه ، وقد أجّلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الـكوفة ويرجع إليكم . و إياى ودعوى الجاهلية [٤] فانى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن وقد أحدثنا لـكل ذنب عقوبة ، فمن غرق [بيوت] قوم غرقناه ومن حرق [على] قوم حرقناه ، ومن نقب [على أحد

(١) المواخير : بيوت الفسق والفجور

(٢) كانت المرأة من اهل البلد تاخذها الفتيان الفساق ويقولون لها نادي ثلاثة اصوات فان اجابك احد وإلا فلا لوم علينا فيما تصنع ، فبلغ ذلك زياداً فغضب وامهلهم شهرا ثم دعا عبد الله بن حصين اليربوعى صاحب شرطه وامره بان يأتى براس كل من لقيه خارج منزله بعد العشاء الأخيرة ولو كان ابنه . فجاءه في اول ليلة بسبعمائة راس وفى الثانية بخمسين راسا وفى الثالثة براس واحد . وكف الفساق عن المعاصى .

(٣) مكانس الريب : مداخلها

(٤) دعوى الجاهلية : الاعتزاء إلى القبيلة ، وهو أن يقول فى الأمر حل به : يال فلان . وفي الحديث : من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه هن ابيه ولا تكنوا

بيتا] نقبنا على قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه حياًّ فيه . فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدى ولسانى ، ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم فأضرب عنقه . وقد كانت بينى وبين أقوام إحن (١) فجعلت ذلك دَبر أذنى وتحت قدمى ، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحسانا ، ومن كان منكم مُسيئاً فلينزع عن إساءته ، إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السلال (٢) من بغضى لم أكشف له قناعاً ولم أهتك له سِتراً حتى يُبدى لى صفحته ، فاذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس (٣) بقدومنا سَيُسَرّ ، ومسرور بقدومنا سَيَبتئِس .

أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذَادة (٤) نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونَذُودُ عنكم بفىء الله (٥) الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل [والانصاف] فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا ، واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابسا عطاء ولا رزقاً عن إبَّانه ، ولا مُجَمِّراً لكم بَعثاً (٦) . فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى إليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم . أسأل الله أن يعين كلا على كل ، وإذا رأيتمونى أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاَلِهِ (٧) وأيم

(١) الاحن : الضغائن

(٢) السلال ، ويروى : السل ، وكلاهما واحد وهو المرض المعروف

(٣) المبتئس : الحزين المكتئب .

(٤) ذادة : مدافعون

(٥) الفيء : الخراج

(٦) تجمير البعث : حبس الجيش فى ارض العدو

(٧) على اذلاله : على حاله التى هو عليها دون تغيير ولا تبديل

الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى.

قال : فقام إليه عبد الله بن الاهتم فقال : أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ! فقال : كذبت ، ذاك نبى الله داود عليه السلام ! فقام الأحنف ابن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نثنى حتى نبتلى [ولانحمد حتى نعطى] فقال له زياد : صدقت. فقام أبو بلال مرداس بن أُدَيَّة (١) وهو يهمس ويقول : [أيها الأمير] أنبأنا الله بغير ما قلت [وحكم بغير ماحكمت] قال الله « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » وأنك تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدبر ! فسمعها زياد فقال : [يا أبا بلال إنى لم أجهل ما علمت ولكنا] لا نبلغ

(١) كان بالاصول : ابن امية ، وهو خطأ ، والصواب ماأثبتناه . وكان ابو بلال مرداس بن ادية — وادية امه ، وهو ابن حدير — كان من العباد النساك الزهاد يحب المعروف وينكر المنكر ، وكان مع هذا شاعرا مجلا وشجاعا باسلا . وكان ممن شهد صفين مع على ثم انكر التحكيم . وهو رأس كل حروري . خرج على عبيد الله بن زياد ، حينما ولاه معاوية البصرة واشتد على الخوارج ، وكان السبب فى خروجه انه لما رأى ماحل بالبلجاء الخارجية من التقطيع والرمى بالسوق لم يطق الصبر على هذا الظلم ، نادى في اصحابه وقال لهم : والله مايسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا احكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل . ثم خرج بهم وهو يقول :

أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ... ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا
احب بقاء أو أرجى سلامة ... وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتى وبصيرتى ... وهب لى التقى حتى الاقى اولئكا

فجهز إليه ابن زياد جيشاً من ألفين وعليهم أسلم بن زرعة ، وكان مرداس فى اربعين رجلا فلما التقوا حمل عليهم مرداس برجاله فهزمهم وفرق جمعهم . فجهز ابن زياد جيشا اكثر عددا واوفر عددا وعليه عباد بن علقمة المازنى المعروف بعباد بن اخضر ، فراوحهم القتال وغاداهم فلما جاءوقت الصلاة قال له مرداس : هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى . فلما اخذ الخوارج فى الصلاة مال عليهم عباد بجيوشه فقتلهم جميعا . وقد رثاه عمران بن حطان بقوله :

ياعين بكى لمرداس ومصرعه ... يارب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتنى هائماً أبكى لمرزئتى ... فى منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... مالناس بعدك يامرداس بالناس
إما شربت بكأس دار اولها ... على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا ... منها بأنفاس ورد بعد انفاس

ما نريد فيك وفى أصحابك [ولا نتخاص إلى الحق منكم] حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً .

قال الشَّعبيُّ : ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء ، إلازياداً ، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً .

أبو الحسن المدائنى قل : قال الحسن : أوعد عمرُ فعفا ، وأوعد زياد فابتلى . قال : وقال الحسن : تشبه زِيادُ بعمرَ فأفرط ، وتشبه الحجاجُ بزيادٍ فأهلك الناس

***

قال أبو عثمان : قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه صدراً وذكرنا من خطب السلف جملا ، وسنذكر من مقطعات الكلام وتجاوب البلغاء ، ومواعظ النساك ، ونقصد من ذلك إلى القصار دون الطوال ليكون ذلك أخف على القارىء وأبعد من السآمة والملال ثم نعود بعد ذلك الى الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله .

مقطعات من كلام البلغاء ومواعظ النساك

قال أبو الحسن المدائنى : قدم عبدُ الرَّحمن بن سليم الكلبي على المهلَّب بن أبي صُفرة فى بعض أيامه مع الأزارِقَة فرأى بَنيه قد ركبوا عن آخرهم (١) فقال : آنس الله الاسلام بتلاحقكم ، فوالله لئن لم تكونوا أسباطَ نبوة إنكم لأسباطُ مَلحمة . قال أبو الحسن : دخل الهُذَيلُ بْنُ زُفَرَ الكلابى على يزيدَ بْنِ المهلَّب فى حِمالات لزمته ونوائب نابته فقال : أصلحك الله ، إنه قد عظم شأنك عن أن يُستعان عليك ولست تصنع شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه ، وليس العجب بأن

(١) بنو المهلب هم : المغيرة ويزيد وقبيصة ومدرك وعبد الملك وحبيب ومحمد والمفضل . سأل الحجاج كعب الاشقرى عن بنى المهلب فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، وجوادهم وسخيهم قبيصة ، ولا يستحى الشجاع ان يفر من مدرك ، وعبد الملك سم ناقع ، وحبيب موت ذعاف ، ومحمد ليث غاب ، وكفاك بالمفضل نجدة . فقال له الحجاج : فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال كعب : خلفتهم بخير قد ادركوا ماأملوا وأمنوا ماخافوا . قال : فكيف كان بنو المهلب فيكم ؟ قال : كانوا حماة السرح نهاراً فاذا اليلوا ففرسان البيات . قال : فايهم كان انجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لايدرى اين طرفها

تفعل ولكن العجب بأن لا تفعل . فقال يزيد : حاجتك ؟ فذكرها فأمر بها وأمر له بمائة ألف درهم ، فقال : أما الحمالات فقد قبلتها ، وأما المال فليس هذا موضعه .

عيسى بن يزيد بن دَأْبٍ عمن حدثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال : قال عثمان بن أبي العاص الثقفي لبنيه : يابني ، إني قد أمجدتكم في أمهاتكم وأحسنت في مهنة أموالكم ، وإني ما جلست في ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه ، والناكح مُغترِس ، فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، والعِرْق السوء قلما يُنجب ولو بعد حين . قال : فقال ابن عباس : يا غلام آكتب لنا هذا الحديث . قال : ولما همت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان : معاشر ثقيف ، لا تكونوا آخر العرب إسلاما وأولهم ارتداداً ! ؟ قال : وسمعت أعرابيا ذكر يوما قريشا فقال : كفى بقريش شرفا أنهم أقرب الناس نسبا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأقربهم بيتا من رسول الله .

الأصمعي قال : قيل لعَقِيل بنِ عُلَّفَة [(١)] : لم تهجو قومك ؟ قال : الغنم إذا لم يصفر لها لم تشرب . قال : وقيل لعقيل بن عُلفة : لم لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

قال : وسأل عمرو رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب عن سعد [(٢)] فقال : كيف أميركم ؟ قال : خير أمير ، نَبطِيٌّ في حَبْوَته عربيٌّ في نمرته أسد في نامورته [(٣)] يعدل في القضية ويَقسم بالسوية وينفر بالسَّرية وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة . فقال عمر : لشد ما تقارضتما الثناء !

---

(١) هو عقيل بن علفة بن الحارث المرى : كان شاعراً مجيداً من شعراء الدولة الأموية شعره قليل ، وكان اعرج جافيا شديد الهوج والعجرفية والبذخ بنسبه في بني مرة لايرى ان له كفؤا ، وهو بيت شرف قومه في كلا طرفيه ، وكانت قريش ترغب في مصاهرته ، تزوج إليه خلفاؤها واشرافها منهم يزيد بن عبد الملك تزوج ابنته الجرباء ، وتزوج بنته عمرة سلمة بن عبد الله بن المغيرة وكان من اشراف قريش واجوادها ، وله حوادث واخبار في الغيرة .

(٢) يعني سعد بن ابي وقاص

(٣) نبطي في حبوته : يشبه بالنبطي في جلسته واحتبائه ، عربي في نمرته ؟ النمرة : الشملة . اسد في نامورته : يعني كانه الاسد في عرينه

ولما تورد الحارث بن قَيس الجهضمى بعبيد الله بن زياد منزلَ مسعود بن عمرو العتكى عن غير إذن فأراد مسعود إخراجه من منزله (١) قال عبيد الله : قد أجارتنى بنت عمك عليك وعقدها العقد الذى يلزمك وهذا ثوبها علىّ وطعامها فى مذاخرى (٢) وقد التف علىّ منزلك ! وشهد له الحارث بذلك .

مر الشَّعبى بناس من الموالى يتذاكرون النحو فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده .

وتكلم عبدُ الملكِ بنُ عُميرٍ (٣) وأعرابى حاضر فقيل له : كيف ترى هذا الكلام ؟ قال : لو كان الكلام يُؤْتَدَمُ به لكان هذا . وقال : العذر طرف من البُخل . وقال أيضاً : الخَرَسُ خير من الخلابة . وقال أبو عمر الضرير : البَكَمُ خير من البَذَاء . وقدم الهَيْثمُ بنُ الأسْوَدِ بْنِ العُرْيَانِ على عَبد الملك بن مَرْوَانَ فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى قد أبيض منى ما كنت أحب أن يَسودّ ، وأسودّ منى ما كنت أحب أن يبيضّ ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولاَنَ منى ما كنت أحب أن يشتد ، ثم أنشد (٤) :

(١) لما مات يزيد بن معاوية وكان عبيد الله بن زياد على البصرة ، صعد المنبر وقال : إن امير المؤمنين يزيد قد توفى وقد اختلف اهل الشام وانتم اليوم اكثر الناس عددا واعرضه فناء واغناه عن الناس واوسعه بلادا ، فاختاروا لأنفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فانا اول راض من رضيتموه فان اجتمع اهل الشام على رجل ترضونه دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وإن كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم فما بكم إلى احد من اهل البلدان حاجة وما يستغنى الناس عنكم . وبعد حوار بايعوه ثم انصرفوا يمسحون ايديهم فى الحيطان ويقولون ايظن ابن مرجانة اننا ننقاد له فى الجماعة والفرقة ؟! وكان فى سجن البصرة إذ ذاك اربعمائة من الخوارج فلما ضعف امره كلم فيهم فاطلقهم فخرجوا وافسدوا البيعة وحرضوا الناس على السلطان ، فلما رأى ان الأمر قد خرج من يده ارسل إلى الحارث بن قيس الأزدي فقال له : ياحارث إن ابي كان اوصاني اني ان احتجت إلى الهرب يوماً ان اختاركم . فاردفه خلفه ثم سار به ليلا حتى انزله دار مسعود بن عمرو بن عدي الأزدي ، وكان يقال لمسعود هذا ، قمر العراق ، فاجاره . ثم قتل بعد ذلك وحدثت خطوب بسببه بين الازد وربيعة وبين بنى تميم

(٢) مذاخري : امعائى

(٣) هو عبد الملك بن عمير : كان يكنى أبا عمرو ، ويلقب القبطى ، وأصله من لخم ، تولى قضاء الكوفة بعد الشعبى وظل فيه سنة ثم استعفى الحجاج فأعفاه . وكان بليغاً راوية وشاعراً صاحب أخبار وكان دميما جداً ولدمامته كان يلقبه المخنثون « منفر الفيلان » ولد سنة ٣٣ هـ وتوفى سنة ١٣٦ م

(٤) راجع ص ٣٠٥ من الجزء الأول

إِسْمَعْ أُنَبِّئْكَ بِآيَاتِ الْكِبَرْ   نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسُعَالٌ بِالسَّحَرْ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ   وَقِلَّةُ الطُّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرْ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجُ النَّظَرْ   وَتَرْكِيَ الْحَسْنَاءَ مِنْ قَبْلِ الطُّهُرْ
وَحَذَرًا ازْدَادُهُ إِلَى حَذَرْ   وَالنَّاسُ يَبْلُونَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرْ

وقال أَكْثَمُ بْنُ صيفيّ(١) : الْكَرم حسن الفِطنة ، واللؤم سوء الفطنة . وقال أكثم : تباعدوا فى الديار تقاربوا فى المودة . وقال لبنيه : تباذلوا تحابُّوا .

ودخل عِيسى(٢) بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله على عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ(٣) وقد قُطِعت رجله فقال له عيسى : والله ما كنا نعدّك للصراع ، ولقد أبقى الله لنا أكثرك ، أبقى لنا سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك وإحدى رجليك . فقال له عُرْوَةُ : والله يا عيسى ماعزاني أحدٌ بمثل ماعزيتنى به .

وكتب الحسن إلى عُمَرَ بْنِ عبد العزيز : أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إقرأوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، ولن يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله ، ولن يُقرِّب من أجل ولن يُباعد من رزق أن يقوم رجل بحق أو يذكر بعظيم .

---

(١) هو أكثم بن صيفي : وهو من تميم من بطن منهم يقال لهم بنى عمرو ، حكيم من حكماء العرب ، وخطيب من خطبائهم ، أدرك البعثة ولم يسلم ، وكان يحرض قومه على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم عاش ١٩٠ سنة وهو القائل :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة   إلى مائة لم يسأم العيش جاهل
مضت مئتان غير ست وأربع   وذلك من عد الليالى قلائل

(٢) هو عيسى بن طلحة بن عبيد الله : كان ناسكا نبيلا جيد الكلام وفد على عبد الملك بن مروان مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف وكلمه فى عزل الحجاج عن الحجاز فعزله . توفى سنة ١٠١ هـ

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام يكنى ابا عبد الله . كان فقيها فاضلا وصبوراً جلداً . اصابته أكلة فى رجله وهو عند الوليد بن عبد الملك فقطعت رجله والوليد حاضر فلم يتحرك ولم يشعر الوليد بقطعها حتى كويت وشم رائحة الكى ، وبقى بعد ذلك ثمان سنين . واحتفر بئراً بالمدينة يقال لها بئر عروة ليس بالمدينة بئر أعذب منها . مات بضيعة له قرب المدينة سنة ٩٤ هـ

وقال أعرابي لهشام بن عبد الملك : أتت علينا ثلاثة أعوام ، فعام أكل الشحم وعام أكل اللحم وعام انتقى العظم[١] وعندكم أموال ، فإن كانت لله فادفعوها إلى عباد الله ، وإن كانت لعباد الله فادفعوها إليهم وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزى المتصدقين ! ؟ قال : فهل من حاجة غير ذلك ؟ قال : ما ضربت إليك أكباد الإبل أدّرعُ الهجير وأخوض الدُّجى لخاص دون عام .

قال شداد الحارثى ، ويكنى أبا عبيد الله : قلت لأمة سوداء بالبادية : لمن أنت يا سوداء ؟ قالت : لسيد الحضر يا أصلع . قال : قلت : ما غضبك من الحق ! قالت : ألحق أغضبك ، لاتسبب ترهب ولأن تتركه أمثل .

وقال الأصمعىُّ : قال عيسى بنُ عمرٍ : قال ذو الرمة : قاتل الله أمة آل فلان ما كان أفصحها ! سألتها : كيف كان المطر عندكم . قالت : غُيِّثْنَا ما شئنا .

وأنا رأيت عبداً أسود لبنى أسيد قدم عليهم من شِق اليمامة فبعثوه ناطوراً وكان وحشيًّا محرماً لطول تغربه كان فى الإبل وكان لايلقى إلا الأكرة فكان لايفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رآنى سكن إلىّ وسمعته يقول : لعن الله بلاداً ليس فيها عرب ، قاتل الله الشاعر حيث يقول : حُرُّ الثَّرَى مُسْتَعْرَبُ التراب . أباعثمان : إن هذه العرب فى جميع الناس كمقدار القُرحة فى جميع جلد الفرس فلولا أن اللهَ رقّ عليهم فجعلهم فى حاشية[٢] لطمست هذه العُجْمَان آثارهم ، أترى الأعيارَ إذا رأت العِتَاق[٣] لاترى لها فضلا ؟ والله ما أمر اللهُ نبيه بقتلهم إلا لضنه بهم ولا ترك قبول الجزية منهم الا تنزيهاً لهم[٤] قال الأحنف

(١) إنتقى العظم : أخرج نقيه وهو النخاع الذى فى القصب
(٢) فى حاشية : يريد ان الله جعلهم فى شبه جزيرة منحازة عن الممالك الكبيرة والدول الشديدة
(٣) الاعيار : الحمير . والعتاق : الخيل الاصايل
(٤) هذا القول فى أعلى طبقات الرأى السديد والفكر الصائب وهو تخريج بديع

أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياء من الفرار. ولما مات أسماء بن خارجة الفزاري[(١)]
فبلغ الحجاج موته قال: هل سمعتم بالذى عاش [ماشاء] ثم مات حين شاء!؟ وقال سلم بن
قتيبة: ربُّ المعروف أشدُّ من ابتدائه.[(٢)] وعن قتادة قال: قال أبو الأسود: إذا
أردت أن تكذب صاحبك فلقنه. وقال أبو الأسود: إذا أردت أن تعظم فمُتْ.
وقال أبو الأسود: اذا أردت أن تُفحم عالما فأحضره جاهلا. قيل لأعرابى:
ما يدعوك الى نوْمة الضُّحى؟ قال: مبرَدة فى الصيف مسخنة فى الشتاء.
وقال أعرابى آخر: نوْمة الضحى مَعجزة مَبخرة. وجاء فى الحديث: «الولد
مَجْبَنَةٌ مَبْخلةٌ». ونظر أعرابى الى قوم يلتمسون هلال رمضان فقال: أما والله
لئن ثُرْتموه لتُمْسِكنّ منه بِذُنَابَى عَيشٍ أغبر. وقال أسماء بنُ خارجة: إذا قدُمت
المُصيبة تُركت التَّعزية. وقال: إذا قدم الأخاء قبح الثَّناء. وقال اسحٰقُ بنُ
حسَّان:[(٣)] لاتُشمِّت الأمراء ولا الأصحاب القدماء[(٤)]. وسئل أعرابى عن راع
له فقال: هو السارح الآخر الرائح الباكر الحالب العاصر الحاذق الكاسر.
وقال عتْبةُ بْنُ أبى سفْيان[(٥)] لِعبْدِ الصَّمد مؤدب وُلْدِهِ: ليكن أوّلَ ما تبدأ

(١) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزارى. من امجد بيوت العرب واسماها عمادا وكان سيد قومه ومن اشراف اهل الكوفة، وكان فارساً شجاعا وكريما جوادا ممدحا مذكورا ولعبد الله ابن الزبير الأسدى واعشى همدان وغيرهما فيه مدائح جياد. وكان ذا جاه عريض ومقام كبير فى الدولة الأموية. وكان متهما بالممالأة على قتل الحسين، ولذلك لما خرج المختار بن ابى عبيد طالباً بثار الحسين خطب الناس فقال: لتنزلن نار من السماء تسوقها ريح حالكة دهماء حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء. فقال أسماء: أو قد سجع بى ابو إسحق! لاقرار على زأر من الاسد. وهرب إلى الشام. فامر المختار بهدم داره فما اقدم عليها مضري لموضع اسماء وجلالة قدره في قيس. وزوج ابنته هند من الحجاج بن يوسف وقال لها ليلة زفافها: يابنية إن الامهات يؤدبن البنات وان امك هلكت وانت صغيرة، فعليك باطيب الطيب الماء واحسن الحسن الكحل، وإياك وكثرة المعاتبة فانها قطيعة للود، وإياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق، وكونى لزوجك امة يكن لك عبدا.

(٢) رب المعروف: تعهده واصلاحه

(٣) هو ابو يعقوب الخريمى

(٤) يعنى إذا عطس احدهم فلا تقل له يرحمك الله

(٥) هو عتبة بن ابى سفيان بن حرب اخو معاوية من ابيه. شهد الجمل مع عائشة وكان خطيبا بليغا إلا انه كان يضعف، ولاه معاوية مصر فبلغته امور عن اهلها فصعد المنبر مغضبا وقال: ياحاملين الأم

به من إصلاح بنىّ إصلاح نفسك فان أعينهم معقودة بعينك فالحسنُ عندهم ما استحسنت والقبيحُ عندهم ما استقبحت ، وعلّمهم كتاب الله ولا تُكرهْهم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روّهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فان ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم ، وتهددهم بى وأدبهم دونى وكن لهم كالطبيب الذى لايعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجَنِّبْهُم محادثة النساء ورَوّهم سِيَرَ الحكماء ، واستزدنى بزيادتك إياهم أزِدْك ، وإياك أن تتكل على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك ، وزد فى تأديبهم أزدك فى برى إن شاء الله تعالى (١)

وكتب ابراهيم بن يحيى الأسلمى إلى المهدى يعزيه على ابنته : أما بعد فإن أحق من عرَفَ حقّ الله عليه فيما أخذ منه مَن عظم حقّ الله عليه فيما أبقى له واعلم أن الماضى قبلك هو الباقى لك وأن الباقى بعدك هو المأجور فيك وأن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه . وقال سَهْل ابن هرون : ألتهنئةُ على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة . وقال صالحُ بنُ عبد القدُّوس :

إنْ يَكُنْ مَابِهِ أُصِبْتَ جَلِيلاَ ... فَذَهَابُ العَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ
كلّ آتٍ لاَ شَكَّ آتٍ وَذُ الْجَهْـلِ مُعَنًّى وَالهمّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ

وقال لقمان لابنه: يابنى إياك والكسلَ والضجرَ فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً، وإذا ضَجِرْتَ لم تصبرعلى حق . وكان يقال: أربع لا ينبغى لأحد أن يأنف منهن وإن كان شريفاً أو أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه وخدمته لضيفه وقيامه على

انوف وكبت بين اعين ، إنما قلمت اظفارى عنكم ليلين مسي إياكم ، وسألتكم صلاحكم لكم إذ كان فسادكم راجعا عليكم ، فأما إذا ابيتم إلا الطعن فى الولاة والتنقص للسلف فوالله لأقطعن على ظهوركم بطون السياط فان حسمت دائكم وإلا فالسيف من ورائكم ، فكم من موعظة منالكم مجتها قلوبكم ، وزجرة صمت عنها آذانكم ، ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذ جدتم لنا بالمعصية ، ولاأونسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التى هى ابر واتقى .

(١) وهذه الوصية من اجل الوصايا وانفعها واولاها ان تكون نموذجا لطريقة التعليم النافعة

فرسه وخدمته للعالم . وقال بعض الحكماء : إذا رغبتَ فى المكارم فاجتنب المحارم. وكان يقال : لا تعتر بمودة الأمير اذا غشك الوزير . وكتب آخر : أما بعد فقد كنتَ لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا ترض إلا بالكل منا لك .

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال : ألسان أداةٌ يظهر بها حُسن البيان ، وظاهرُ يخبرعن الضمير ، وشاهدٌ ينبئك عن غائب ، وحاكمٌ يُفصل به الخطاب ، وناطقٌ يُرد به الجواب ، وشافعٌ تُدرك به الحاجة ، وواصف تُعرف به الحقائق ومعزٍّ يُنفىَ به الحزن ، ومُؤنس تذهب به الوحشة ، وواعظٌ ينهى عن القبيح ، ومزينٌ يدعو إلى الحسن ، وزارع يحرث المودة . وحاصدٌ يستأصل الضغينة ، ومُلهٍ يونقُ الأسماع(١)

وقال بعض الأوائل : إنما الناس أحاديث فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل .

ولما وصل عبدُ العزيز بن زُرارة (٢) إلى معاوية قال : ياأمير المؤمنين ، لم أزل أستدل بالمعروف عليك وأمتطى النهار إليك ، فإذا ألوى (٣) بى الليل فقبض البصر وعفى الأثر ، أقام بدنى وسافر أملى ، والنفس تلوم والاجتهاد يعذر ، وإذ بلغتك فقطنى (٤)

وقال لقمان : ثلاثةٌ لا يعرفون إلا فى ثلاثةِ مواطن : لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا فى الحرب ولا تعرف أخاك إلا عند حاجتك إليه . وقال أبو العتاهية :

أنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَاحِبِكَ الدَّهْرَ أخُوه

(١) فى الاصول : وملهم بوفق الاسماع . وليس فى ذلك من معنى صحيح فى هذا المقام، والصحيح ما اثبتناه .

(٢) هو عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان الكلابى . كان فارسا شجاعا كريما جوادا وكان سيد قومه ومن رجالات عشيرته . وكان فصيحا بليغا وشاعرا مقلا مجيدا .

(٣) الوى : انطوى علي

(٤) قطنى : حسبي وكفى

فاذَا احتَجتَ إليْهِ ساعةَ مَجَّكَ فوْه (١)

وقال على بن الحسين لابنه : يابنى اصبر على النائبة ولا تتعرض للحقوق ولا تُجب أخاك إلى شيء ضرره عليك أعظم من منفعته له .

وقال الأحنف : مَن لم يصبر على كلمة سمع كلمات ، وقال : رُبَّ غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه ، وقال : مَن كثر كلامه كثر سقطه ومَن طال صمته كثرت سلامته .

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز رحمه الله : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثرَ التنقّل .

وخطب صَعْصَعَةُ بنُ مُعاوية إلى عامِرِ بْنِ الظَّرِبِ العَدْوانىُّ ابنته عَمْرَةَ (٢) وهى أم عامر بن صعصعة ، فقال : (٣) ياصعصعة ، إنك أتيتنى تشترى منى كبدى وأرحم ولدى عندى ، أبغيتك أو رددتك ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفر من السر إلى العلانية أنصح إبنا وأودع ضعيفاً قويا ، يامعشر عَدْوَانَ : خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة ، أقسم لو قسم الحظوظ على قدر الجدود ماترك الأول للآخر ما يعيش به .

---

(١) مجه : قذفه

(٢) وروي ابو الفرج بسنده ان صعصعة بن معاوية أتى سعد بن الظرب العدواني فشكا إليه بعض الأمر فزوجه بنت اخيه عمرة بنت عامر بن الظرب

(٣) وفى رواية ابي حاتم السجستاني انه قال : ياصعصع قد جئت تشتري منى كبدي واكرم ولدي عندى منعتك أو بعتك ، النكاح خير من الايمة والحسب كفاء الحسب والزوج الصالح يعد أبا ، قد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، يامعشر عدوان خرجت كريمتكم من بين أظهركم من غير رغبة عنكم ولكنه من خط له شيء جاءه ، رب زارع لنفسه ماحصده غيره ، ولولا قسم الحظوظ ماأدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ولكن رزق آكل من آجل وعاجل ، إن الذى أرسل الحيا أنبت المرعى ثم قسمه لكل فم بقلة ومن الماء جرعة ترون ولا تعلمون ولن يرى ما أصف لكم إلا كل قلب واع ولكل مرعى راع ولكل رزق ساع ولكل خلق خلق كيس أو حمق وما رأيت شيئاً قط إلا سمعت حسه ووجدت مسه وما رأيت شيئاً خلق نفسه وما رأيت موضوعا إلا مصنوعا وما رأيت جائيا إلا ذاهبا ولا غانما إلا خائبا ولا نعمة إلا ومعها بؤس ولو كان يميت الناس الداء لأعاشهم الدواء .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لـكنّ لها أهلا : لايرجُوَنّ أحدكم الا ربه ولا يخافنّ الا ذنبه ولا يستحى أحد إذا سئل عما لايعلم أن يقول : لا أعلم ، واذا لم يعلم الشىء أن يتعلمه ، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس ذهب الجسد ، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان . وقال الأصمعى : أثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فأفرط ، فقال على — وكان يتهمه — أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك ! وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه: قيمة كل إنسان ما يُحسن . وقال له مالك الأشتر : (١) كيف وجد أمير المؤمنين

(١) هو مالك بن الحارث الاشتر النخعى . كان من شجعان العرب وأبطال الاسلام وفرسان الدنيا ، وكان شاعرا مجيدا وخطيبا بليغا ، وقائدا مدبرا ، وكان من أعظم الرجال وأطولهم إلا أن فى لحمه خفة قليلة . كان من قواد الجيوش مع على بن أبى طالب وشهد معه وقائعه فى الجمل وصفين وكان يلى الجزيرة له ، وهو الذى كشف جيوش معاوية عن الماء بسيفه وقتل من قواده وصناديد أجناده سبعة فى يوم واحد حتى أزاح الجيوش عن الماء فى صفين . وقد بارز عبد الله بن الزبير يوم الجمل وصرعه مع شيخوخته وطيه ثلاثة أيام لم يطعم فيها شيئا ومع شباب ابن الزبير وفتائه وقوته وكان عبد الله يصيح وهو تحته : إقتلونى ومالكا . وفى ذلك يقول لعائشة أم المؤمنين صاحبة الجمل :

أعائش لولا اننى كنت طاويا ثلاثا لالقيت ابن اختك هالكا
غداة ينادى والرجال تحوزه بأضعف صوت : إقتلونى ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وعمه خدب عليه فى العجاجة باركا
فنجاه منى اكله وشبابه وانى شيخ لم اكن متماسكا
وقالت على اى الخصال صرعته بقتل أتى ام ردة ؟ لاابالكا
ام المحصن الزانى الذى حل قتله ؟ فقلت لها : لابد من بعض ذلك

ولما انتهى امر صفين والحكمين ولاه على على مصر واعطاه دستورا للحكم هو من ابلغ ماوضع فى اساليب الحكم ، وكتب له كتابا إلى اهل مصر يقول فيه : أما بعد فانى قد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لاينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء حذار الدوائر لانا كل من قدم ولا واه فى عزم من اشد عباد الله بأسا واكرمهم حسبا اضر على الفجار من حريق النار وابعد الناس عن دنس او عار وهو مالك ابن الحارث الاشتر حسام صارم لانابى الضريبة ولا كليل الحد حليم فى السلم رزين فى الحرب ذو رأى اصيل وصبر جميل فاسمعوا له واطيعوا امرى فان امركم بالنفر فانفروا وإن امركم ان تقيموا فأقيموا فانه لايقدم ولا يحجم إلا بامرى وقد آثرتكم به على نفسى نصيحة لكم وشدة شكيمة على عدوكم ، عصمكم الله وثبتكم بالتقوى ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى والسلام عليكم ورحمة الله . وكان معاوية لما بلغه توليته على مصر اضطرب وخاف إن تمكن منها حال بينه وبين مطامعه فيها فاعد له من يسقيه السم فى طريقه إليها فكان ما كان ومات رحمه الله مسموما بالقلزم قبل دخوله مصر .

امرأته ؟ قال : كالخير من النساء إلا أنها قبَّاء[1] قال : وهل يريد الرجل من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، حتى تُدفىء الضجيعَ وتروى الرضيع .

ووقف رجل على عامر الشَّعبيِّ فلم يدع قبيحاً إلا رماه به ، فقال له عامر : إن كنتَ كاذباً فغفر الله لك وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لى .

وقال إبراهيم النخعى لسليمان الأعمش — وأراد أن يماشيه — فقال : إن الناس إذا رأونا معاً قالوا : أعور وأعمش ! قال : وما عليك أن يأثموا ونؤجر !؟ قال ابراهيم : وما عليك أن يَسلموا ونسلم ؟!

قال أبو الحسن : كان هِشام بنُ حَسان إذا ذكر يزيد بنَ المُهلَّب قال : إن كانت السفنُ لَتجرى فى جوده . قال : مكتوب فى الحكمة : ألتوفيق خير قائد وحُسن الخُلق خير قرين والوَحدةُ خيرٌ من قرين السوء .

وكان مالك بنُ دينارٍ يقول : ما أشد فِطام الكبير ! ويُنشد قول الشاعر :

وَتَرُوضُ عِرْسَكَ بعْدَ ماهَرِمَتْ ... وَمِنَ العناءِ رياضةُ الهَرِمِ

وقال صالح المُرِّى : كُنْ الى الإستماع أسرع منك الى القول ، ومن خطأ الكلام أشد حذراً من خطأ السكوت . وقال الحسنُ بْنُ هانىء :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامِ ... وَامْضِ عنهُ بِسلامِ
مُتْ بِداءِ الصَّمْتِ خيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الكلامِ
رُبَّما استفْتَحْتَ بالمَزْ ... حِ مَغاليقَ الحِمامِ[2]
إنَّما السَّالِمُ مَنْ ... أَلْجَمَ فَاهُ بِلِجَامِ

(١) قباء : دقيقة الخصر ضامرة البطن

(٢) وبعد هذا البيت يقول :

رب لفظ ساق آجا ... ل فئام وفئام
فالبس الناس على الصحـة منهم والسقام
وعليك القصد إن القصد ابقي للجمام
شبت ياهذا وما تترك اخلاق الغلام
والمنايا آكلات ... شاربات للأنام

وقال أبو عبيدة وأبو الحسن : تكلم جماعة من الخطباء عند مَسْلَمَةَ بن عبد الملك فأسهبوا فى القول ، ثم افترع المنطق[١] رجل من أخريات الناس لا يخرج من حسن إلا إلى أحسن منه ، فقال مَسلمةُ : ما شبهت كلام هذا بِعَقِب كلام هؤلاء إلا بِسحابة لَبَدَتْ عَجاجَه[٢].

قال أبو الحسن : علم أعرابى بنيه الخِرَاءة فقال : إتبعوا الخلا وابعدوا من الملا ، واعلوا الضَّرَاء[٣] واستقبلوا الريح وافجُوا فجاج النعامة[٤] وامتسحوا بأشملكم .

و يروى عن الحسن أنه قال : لما حضرَتْ قيسَ بن عاصم الوفاةُ دعا بنيه فقال : يابنى احفظوا عنى فلا أنصح لكم منى ، إذا متُّ فسوِّدوا كِبارَكم[٥] ولا تسوِّدوا صِغارَكم فيسفِّه الناس كبارَكم وتهونوا عليهم ، وعليكم باستصلاح المال فإنه مَنبهةٌ للكريم ويُستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة الناس فانها آخر كسب الرجل .

سُئل دَغْفَلُ النسابة عن بنى عامر بن صعصعة فقال : أعناقُ ظباء وأعجازُ نِساء ، قيل : فتميم ؟ قال : حجر أخشن إن دنوت منه آذاك وإن تركته أعفاك ، قيل : فاليمن ؟ قال : سيدٌ وأنوك . وكانوا يقولون لا تستشيروا معلماً ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء .

عَقالُ بن شبة[٦] قال : كنت رديف أبى ، فلقيه جَرِيْرٌ على بغل فحياه أبى

(١) افترع المنطق : افتض عذر الكلام وجاء بالعجب العجاب
(٢) لبدت عجاجة : العجاجة الغبار الذى أثاره الريح حتى عقد بين السماء والأرض . ولبدته اطفأت ثائرته والزقته بالارض
(٣) الضراء الشجر الملتف فى الوادي
(٤) افجوا فجاج النعامة : اي باعدوا بين ارجلكم كما تفعل النعامة حينما ترمي بصومها
(٥) سودوا كبارکم : إجعلوا السيادة فيهم عليكم
(٦) كان بالأصول : عقان بن شبة ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه

والطفه ، فقلت له : أبعد ما قال لنا ما قال ! قال : يابني أفأوسع جرحي !؟ [١] قال: ودعا جرير رجلا من شعراء بني كلاب الى مهاجاته ، فقال الكلابي : إن نسائي بأمتعتهن ولم تدع الشعراء في نسائك مُتَرَقَّعاً . وقال جرير : أنا لا أبتدي ولكني أعتدي . [٢]

وكان الحسن في جنازة فيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل بالرجوع ، فقال الحسن : إن كنت كما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك .

قال أبو عبيدة : لقي المخبّلُ القُرَيْعيُّ [٣] الزبرقانَ فقال : كيف كنت بعدي أبا شَذرة ؟ قال: كما يسرك ، مُحِيلا مُجْرِبا. [٤] قال : وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زُرعة — يعني رَوح بن زِنباع — طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز .

---

(١) كان جرير قد هجاه بقصيدة منها هذا البيت

فضح العشيرة يوم يسلح قائما ظل النعامة شبة بن عقال

(٢) يريد انه لا يبتدىء احدا بالعدوان ولكن من اعتدى عليه قابله بالمثل

(٣) هو ابو يزيد المخبل بن ربيعة القريعي ويقال له المخبل السعدي ايضا كان من فحول الشعراء المقلين وقد نشأ في الجاهلية وادرك الاسلام وعمر طويلا وكان له ابن يقال له شيبان بن المخبل خرج عنه ولحق بجيش سعد بن ابي وقاص في بلاد الفرس فجزع عليه جزعا شديدا ، وكان قد اسن وضعف ولم يملك الصبر عنه فذهب علقمة بن هوذة إلي عمر بن الخطاب فأخبره بحال المخبل وانشده قوله :

ايهلكني شيبان في كل ليلة	لقلبي من خوف الفراق وجيب
اشيبان ما ادراك ان رب ليلة	غبقتك فيها والغبوق حبيب
غبقتك عظماها سناما او انبرى	برزقك براق المتون اريب
اشيبان إن تأبى الجيوش بجدهم	يقاسون اياما لهن خطوب
ولاهم إلي البر او كل سابح	عليه فتى شاكي السلاح نجيب
يزودون جند الهرمزان كأنما	يزودون أوراد الكلاب تلوب
فان يك غصني اصبح اليوم ذاويا	وغصنك من ماء الشباب رطيب
فاني حنت ظهري خطوب تتابعت	فمشي ضعيف في الرجال دبيب
إذا قال صحبي ياربيع الاترى	ارى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيبان ان لن يعقني	تعق إذا فارقتني وتحوب
فلا يدخلن الدهر قبرك حوبة	يقوم بها يوما عليك حسيب

فلما سمع عمر هذه الأبيات رق له وبكى وكتب إلى سعد بان يرجع شيبان فرده إلى ابيه . ومات المخبل في خلافة عثمان

(٤) محيلا مجربا : يعني ان الدهر جعله ذا حيل وتجارب

وذُكر لعُمَر بن الخطاب إتلاف شباب من قريش أموالهم فقال عمر: لَحِرْفَةُ أحدهم أشد عليَّ من عَيلته.[١] وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس. وقال زيادٌ: لو أن لى ألف ألف درهم ولى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره ولو أن عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه. وقال عمرو بن العاص: البطنة تُذهب الفطنة[٢]. وقال مُعاوية ابن أبى سفيان: ما رأيت رجلا مستهتَراً بالباءة إلا تبينت ذلك فى مُنته.

قال الأصمعى: قال أبو سليمان الفقعَسِىُّ لأعرابى من طيء: أبامرأتك حَمل؟ قال: لا وذو بيته فى السماء، ما أدرى والله مالها ذنب تشال به وما أتيتها إلا وهى ضَبِعَةٌ[٣] قال أبو الحسن المدائنى: اتخذ يزيد بن المهلب بستانا بخراسان فى داره فلما ولى قُتيبة خُراسان جعل ذلك لإبله، فقال له مرزبان مروان: هذا كان بستانا ليزيد وقد اتخذته لابلك! قال قتيبة: إن أبى كان أشتربان — يعنى رئيس الجمالين — وأبو يزيد كان بستان بان.

وقال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان يوماً: لو كان رجل من ذهب لَكُنْتُهُ! قال: وكيف ذلك؟ قال: لم تلدنى أمةٌ بينى وبين آدم ما خلا هاجر! فقال: لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب.

ومات ابن لعبيد الله بن الحسن فعزاه صالح المرى فقال: إن كانت مصيبتك فى ابنك أحدثت لك عظة فى نفسك فمصيبتك فى نفسك أعظم من مصيبتك فى ميتك. وعزّى عَمرو بن عبيد أخاه عَلَى ابن مات له. فقال: ذهب أبوك وهو أصلك وذهب ابنك وهو فرعك فما حالُ الباقى بعد ذهاب أصله وفرعه؟ وكان يَزِيدُ بْنُ عُمَر بْنِ هُبَيْرَةَ يقول: إحذفوا الحديث كما يحذفه مُسلم بن قتيبة. وقال رجل من بنى تميم لصاحب له: إصحب من يتناسى معروفه عندك ويتذكر

(١) كان بالاصول: خرقة، وهو خطا والصواب ماأثبتناه. والحرفة نقصان الحظ، وهى أيضا الصناعة. والعيلة الفقر.

(٢) البطنة: كثرة الأكل

(٣) ضبعة: راغبة فى هذا الشيء.

حقوقك عليك . وعذل عاذلٌ شعيب بن زياد على شرب النبيذ ، فقال: لا أتركه حتى يكون شر عملى . وقال المأمون : أشربه ما استَبْشعته حتى إذا سهل عليك فاتركه .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إذا كتب أحدُكم فَلْيُتَرِّبْ كِتابه فإن التراب مباركٌ وهو أنجح للحاجة » ونظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى رجل فى الشمس فقال : « تحول الى الظل فإنه مبارك »

وقال المُغيرَةُ بنُ شُعْبَة : لايزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب . وكان يقال : ترك الضحك من العجب أعجب من الضحك من غير العجب .

وقدم سعيدُ بْنُ العاصِ على مُعاوية فقال : كيف تركت أبا عبد الملك ؟ (١) قال : مُنفذاً لأمرك ضابطاً لعملك . فقال مُعاوية : إنما هو كصاحب الخبزة كُفى إنضاجها فأكلها ! فقال سعيد : كلا إنه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاماً كوقع النبل سهماً لك وسهماً عليك ! قال : فما باعد بينك وبينه ؟ قال : خفته على شرفى وخافنى على مثله . قال : فأى شىء كان له عندك فى ذلك ؟ قال : أسوءه حاضراً وأسره غائباً . قال : يا أبا عثمان ، تركتنا فى هذه الحروب ! قال : نعم ، تحملتُ الثقل وكفيتُ الحزم وكنتُ قريبا لو دُعيتُ لأجبت ولو أُمرت لأطعت !

(١) هو مروان بن الحكم : ولد لسنتين من الهجرة . وكان من عثمان بن عفان بمكان الوزير والمستشار ، وكانت تصرفاته سببا فى الفتنة التى قتل فيها عثمان والتى جرت على الاسلام من المصائب والنكبات ماهو معروف ومدون فى بطون التواريخ . ولاه عبد الله بن عامر رستاقا من رساتيق اردشير خرة ، ثم ولاه معاوية البحرين ثم المدينة مرتين . ولما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام مروان بالخلافة . وبايع لعبد الله بن الزبير اهل البصرة كما اجتمعت له العراق والحجاز واليمن ومصر وبايعه سرا الضحاك بن قيس الفهرى بالشام والنعمان بن بشير بحمص وزفر بن الحارث الكلابى بقنسرين . ولولا أن مروان بن الحكم نازعه الأمر واجتمعت عليه بنو أمية لما تم الأمر لمروان ولكن صار الناس فى الشام فرقتين تؤيد منهم اليمانية مروان وتؤيد القيسية الضحاك بن قيس مبايعين لابن الزبير . واقتتل الفريقان بمرج راهط فقهر مروان الضحاك وقتله . وكانت ولايه مروان بالغلب عشرة أشهر ، وكان قد تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية لخوفه من خالد ، فاتفق أن شتم مروان خالداً شتما قبيحا تناول به امه فلما بلغها ذلك صبرت عليه حتى كان معها وتركته إلى أن نام فوضعت على وجهه وسادة وقعدت عليها هى وجواريها حتى مات سنة ٦٥ هـ

قال معاوية : يا أهل الشام هؤلاء قومى وهذا كلامهم .

قال : وكان الحجاج يستثقل زِيَادَ بْنَ عَمْرٍو الْعَتَكِيَّ (١) فلما أتى الوفد على الحجاج عند عبد الملك ـ والحجاج حاضر ـ قال زياد : يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لاينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لاتأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن بعد ذلك أحد أخف على قلبه منه .

وقال شَبيب بن شيبة لمسلم بن قُتيبة : والله ما أدرى أي يوميك أشرف : أيوم ظفرك أم يوم عفوك ! (٢) وقال غلام لأبيه ـ وقد قال : لست لى ابناً ـ : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ولأنت أشد تحصينا لأمى من أبيك لأمك .

وكتب عبد الله بن معاوية (٣) بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين الى رجل من إخوانه :

أما بعد فقد عاقنى الشكُّ فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، إبتدأتنى بلطف من غير خِبرة ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب ، فأطمعنى أولك فى إخائك وآيسنى آخرك فى وفائك ، فلا أنا فى اليوم مجمعٌ لك اطّراحاً ، ولا أنا فى غدٍ وانتظاره منك على ثقة ، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك

(١) هو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى الأزدى . كان من الفرسان الأنجاد والقالة الأمجاد والكرام الأجواد . وقد أورد المبرد فى كامله هذه المقالة فقال : كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد ابن عمرو العتكى فلما أتت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد ابن عمرو: ياأمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لاينبو وسهمك الذى لايطيش وخادمك الذى لاتأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه . ولزياد يقول ابن قيس الرقيات ويعاتب المهلب بن أبى صفرة :

أبلغا جاري المهلب عنى كل جار مفارق لامحاله
إن جاراتك اللواتى بتكريت لتنبذ رحلهن مقاله
لو تعلقن من زياد بن عمرو بحبال لما ذممن حباله
عتكى كأنه ضوء بدر يحمد الناس قوله وفعاله
ولقد غالنى يزيد وكانت فى يزيد خيانة ومغاله
غلبت امه اباه عليه فهو كالسكابلى اشبه خاله

(٢) راجع ص ٢٩٨ من الجزء الأول

(٣) مضت ترجمته فى ص ٢٢٨ من الجزء الأول

فيك ، فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف ، والسلام .

كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى أبي مسلم يستعطفه

وكتب إلى مسلم صاحب الدعوة من الحبس : [١]

من الأسير في يديه بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه ، أما بعد فآتاك الله حفظ الوصية ومنحك نصيحة الرعية وألهمك عدل القضية ، فإنك مستودع ودائع ومولى صنائع ، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك ، فالودائع عارية والصنائع مرعية ، وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها [٢] ولا بمبلوغ مداها [فاذكر القصاص واطلب الخلاص] ونبه للتفكير قلبك واتق الله ربك ، [وآثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً فإنك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلفت] [٣] وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحب أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرأفة والأمن من المخافة ، فقد أنعم الله عليك بأن فوض أمرنا اليك ، فاعرف لنا لين شكر المودة واغتفار مس الشدة والرضا بما رضيت والقناعة بما هويت ، فإن علينا من سمك الحديد وثقله أذى شديداً مع معالجة الأغلال وقلة رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة وإيرادهم علينا الغموم وتوجيههم إلينا الهموم ، زيارتهم الحراسة وبشارتهم الإياسة [٤] فإليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ونشكو شدة البلوى ، فمتى

(١) كان السبب في حبس عبد الله انه لما خرج يدعو إلى نفسه ووجه إليه مروان بن محمد الجيوش فتخاذل عنه اصحابه خرج على دهش هو وإخوته قاصدين خراسان وقد ظهر بها ابومسلم فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التناء ذى مروءة ونعمة فسأله معونته فقال له أأنت إبراهيم الامام الذى يدعى له بخراسان ؟ قال : لا . قال : فلا حاجة لى في نصرتك . فخرج إلى أبي مسلم وطمع فى نصرته فأخذه ابومسلم وحبسه عنده وجعل عليه عينا برفع إليه اخباره . فرفع إليه انه يقول : ليس فى الأرض احمق منكم يا اهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم من غير ان تراجعوه فى شيء او تسألوه عنه ، والله ما رضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » حتى قال لهم « إنى اعلم مالا تعلمون » ثم كتب إلى ابى مسلم هذه الرسالة . وراجع ص ٢٢٨ من الجزء الأول

(٢) بمنزور نداها : بقليل خيرها

(٣) هذه الزيادات عن الاغاني

(٤) الاياسة : اليأس

تمل إلينا طرفاً وتولنا منك عطفاً تجد عندنا نصحاً صريحاً وودّاً صحيحاً لا يُضيع مثلُك مثلَه ولا يَنفى مثلُك أهلَه ، فارع حُرمة من أدركت بحرمته واعرفْ حجة من فَلَجْتَ بحجته (١) فان الناس من حوضك رِوَاء ونحن منه ظِماء ، يمشون فى الأبراد ونحن نحجل فى الأقياد ، بعد الخير والسعة والخفض والدَّعة . والله المستعان وعليه التكلان صَرِيخ الأخيار (٢) مُنجى الأبرار ، ألناس من دولتنا فى رخاء ونحن منها فى بلاء ، حين أمن الخائفون ورجع الهاربون ، رزقنا الله منك التحنن وظاهر علينا من التمنن ، فإنك أمين مُستودَع ورائد مُستَصْنَع (٣) [وفقك الله لما ينجيك وآتاك شكر ما يبليك] (٤) والسلام ورحمة الله (٥)

قال هشام بن الكلبي : حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال : شكت بنو تغلب السنةَ إلى معاوية فقال : كيف تشكون الحاجة مع ارتجاج البكارة واختلاج المهارة ؟ ! (٦)

كتاب معاوية الى قيس بن سعد (٧)

وقال ابن الكلبي : كتب معُاوية إلى قَيْسِ بنِ سَعْدٍ : أما بعد فانك يهودى

---

(١) فلجت بحجته : ظفرت بسلطانه

(٢) كان بالاصول : صريخ الأخبار ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه . وصريخ الأخيار : مغيثهم ومنقذهم

(٣) فى بعض النسخ : مصطنع ، وفى بعضها : مصطفى . واللائق بمقام الكلام ما أثبتناه ليزدوج مع قوله مستودع

(٤) هذه الزيادة عن الأغانى

(٥) فلما وقف أبو مسلم على هذه الرسالة رمى بها ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا فلو خرج وملك أمره لأهلكنا . ثم دس إليه من سمه فمات رحمه الله

(٦) كان بالأصل : ارتجاع البكارة واختلاف المهارة . وهذا كلام سخيف ساقط لامعنى له والصواب ما أثبتناه . وارتجاج البكارة : عظم أسنمة النوق الأبكار من الخصب والكلأ . واختلاج المهارة : خطامها عن أمهاتها لقدرتها على الاستغناء بنفسها ولكثرة الكلأ أمامها

(٧) لما قرب يوم صفين خاف معاوية على نفسه أن يأتيه على بأهل العراق وقيس بأهل مصر فيقع بينهما ففكر فى استدراج قيس واختداعه فكتب إليه : أما بعد فانكم إن كنتم نقمتم على عثمان فى أثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو فى شتمه رجلا أو تسييره احدا أو فى استعماله الفتيان من أهله فقد علمتم أن دمه لم يحل لكم بذلك فقد ركبتم عظيما من الأمر وجئتم شيئاً إدّا فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان وإن استطعت أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فبايعنا على أمرنا

ابن يهودى ، إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكّل بك ، وكان أبوك وتّر قوسه ورمى غير غرضه فأكثر الحز وأخطأ المفصل فخذله قومه وأدركه يومه ثم مات طريداً بحوران والسلام

جواب قيس بن سعد لمعاوية

فكتب إليه قيسُ بنُ سَعْدٍ :

أما بعد فإنما أنت وثن بن وثن ، دخلت فى الإسلام كُرهاً وخرجت [منه] طوعاً لم يَقْدُم إيمانك ولم يَحدُث نِفاقُك ، وقد كان أبى وتر قوسه ورمى غرضه وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره ، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى دخلت فيه ، والسلام

وقدم وفد أهل العراق على مُعاوية وفيهم الأحنف فخرج الآذن فقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم أحد إلا لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمة(١) أمير المؤمنين لأخبرته أن دَافّةً دفّتْ(٢) ونازلةً نزلت ونائبةً نابت

ولك سلطان العراقين إن انا ظفرت مابقيت ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لى سلطان وسلنى عن غير هذا ما تحب . فكتب إليه قيس : أما بعد فقد وصل إلى كتابك . . وأما ما سألتنى من متابعتك على الطلب بدم عثمان وما عرضته على فقد فهمته وهذا أمر لى فيه نظر وفكر وليس هذا مما يعجل إلى مثله وانا كاف عنك وليس يأتيك من قبلى شىء تكرهه حتى ترى ونرى . فكتب إليه معاوية : اما بعد فقد قرات كتابك فلم ارك تدنو فأعدك سلما ولم ارك تتباعد فأعدك حربا اراك كحبل الجرور وليس مثلى يصانع بالخداع ولا يخدع بالمكايد ومعه عدد الرجال واعنة الخيل فان قبلت الذى عرضت عليك فلك ما اعطيتك وإن انت لم تفعل ملأت عليك مصر خيلا ورجلا والسلام . فكتب إليه قيس : اما بعد فالعجب من استسقاطك رأيى والطمع فى ان تسومنى لا ابا لغيرك الخروج عن طاعة اولى الناس بالأمر واقولهم للحق واهداهم سبيلا واقربهم من رسول الله وسيلة وتأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعة ابعد الناس من هذا الأمر واقولهم للزور واضلهم سبيلا وابعدهم من رسول الله وسيلة ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت إبليس ، واما قولك انك تملأ على مصر خيلا ورجلا فلئن لم اشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنك لذو جد والسلام . فلما ايس منه كتب إليه ماروه الجاحظ فى الاصل ، واشاع فى اهل الشام ان قيسا بايعه فلما بلغت الاشاعة عليا عزله دون تدبر ولا تحقيق

(١) عزيمته : امره بعدم التكلم لغائب

(٢) دافة دفت : جائحة مستأصلة ظهرت وهجمت

ونابتةً نبتت ، كلهم بهم حاجة الى معروف أمير المؤمنـين و بره . قال : حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد . وقال غَيلانُ بْنُ خَرَشَةَ للأحنف : ما فيه بقاء العرب ؟ قال :(١) إذا تقلدوا السيوف وشدوا العمائم وركبوا الخيل ولم تأخذهم حَميةُ الأوغاد . قال : وما حمية الأوغاد ؟ قال : أن يعدُّوا التواهب فيما بينهم ضيما . وقال عمر: العمائم تيجانُ العرب . وقيل لأعرابى : مالك لاتضع العمامة عن رأسك؟ قال : إن شيئاً فيه السمع والبصر لحقيق بالصون . وقال على رضى الله تعالى عنه : جمال الرجل فى كُمته(٢) وجمال المرأة فى خفها . وقال الأحنف : استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال . قال : وجرى ذكر رجـل عند الأحنف فاغتابوه فقال الأحنف : مالكم وماله ! يأكل رزقه وتحمل الأرض ثقله ويكفى قِرنه .

مَسلمة بن محارب قال : قال زياد لِحُرَقَةَ بنت النعمان : ما كانت لذة أبيـك قالت : إدمان الشراب ومحادثة الرجال . وقال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفَارِهَ(٣) وتبطنا الحسناء ولبسنا اللين حتى استخشناه وأكلنا الطَّيِّبَ حتى أجمناه ، فما أنا اليوم إلى شيء أحوج منى إلى جليس يضع عنى مُؤْنة التحفظ . وأشاروا على عبيد الله بالحقنة فتفحَّشها فقالوا : إنما يتولاها منك الطبيب ؟ فقال : أنا بالصاحب آنس . وقال معاوية بن أبى سفيان لِلنَّخَّار بن أوس العُذرى : أبغنى محدثا ؟ قال: أوَمَعِي يا أمير المؤمنين ! قال : نعم ، أستريح منه إليك ومنك إليه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مريم الحنفى : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح ! قال : فتمنعنى لذلك حقا ؟ قال : لا . قال : لا ضير إنما يأسف على الحب النساء(٤) . وقال عمر لرجل هَمَّ بطلاق امرأته : لم

(١) وروى المبرد أنه قال لاتزال العرب عربا مالبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعدد الحلم ذلا ولا التواهب فيما بينها ضعة . قال المبرد : مالبست العمائم : ماحافظت على زيها ، وتقلدت السيوف يريد الامتناع من الضيم ، ولم تعدد الحلم ذلا ما عرفت موضع الحلم

(٢) الكمة : القلنسوة

(٣) الفارة : من الدواب الجيد السير ، ولا يطلق هذا الوصف إلا على البراذين والبغال والحمير ، وأما الفرس فلا يقال له الا رائع وجواد

(٤) لأن أبا مريم كان قتل زيد بن الخطاب أخا عمر في إحدي الوقائع بين المسلمين وخصومهم

تُطلقها ؟ قال : لا أحبها ! قال : أوكل البيوت بنيت على الحب ! فأين الرعاية والتذمم ؟ !

وأُتى عبد الملك بن مروان برجل فقال : زُبيرى عميرى ، والله لا يحبك قلبى أبداً . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما تبكى على الحب المرأة ، ولكن عدل وإنصاف

عبد الله بن المبارك عن هِشام بن عُروة قال : نازع مَروانُ(١) ابنَ الزبير(٢) عند معاوية فرأى ابنُ الزبير أن ضِلع معاوية مع مروانَ فقال ابنُ الزبير : يا أمير المؤمنين ، إن لك حقاً وطاعة علينا وان لك بَسطة وحُرمة فينا ، فأطع الله نطعك فانه لا طاعة لك علينا إلا فى حق الله ، ولا تُطْرِق إطراق الأُفعوان فى أُصول السَّخْبَر(٣)

أبو عبيدة قال : قيل لشيخ مَرَّةً . ما بقى منك ؟ قال : يسبقنى مَن بين يدى ويلحقنى مَن خلفى وأنسى الحديث وأذكر القديم وأنعس فى الملا وأسهر فى الخلا وإذا قمت قَرُبتِ الأرض منى وإذا قعدت تباعدت عنى . الأصمعى قال : قلت لأعرابى معه ضاجعة من شاء : لمن هذه ؟ قال : هى لله عندى .

ولما قتل عبدُ الملك بنُ مَروان مُصعبا ودخل الكوفة قال لِهيثم بن الأسود النخعى : كيف رأيت الله صنع ! قال : قد صنع الله خيراً خفِّف الوطأة وأقلَّ التثريب

---

(١) هو مروان بن الحكم

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، يكنى ابا بكر وابا خبيب ، وامه اسماء بنت ابي بكر المعروفة بذات النطاقين . ولد بالمدينة بعد الهجرة بعشرين شهراً ، وقيل انه اول مولود ولد بها فى الاسلام . كان شجاعا بطلا ، وفارسا مغواراً وخطيبا بليغا ، طلب الخلافة لنفسه بعد وفاة معاوية ابن يزيد بن معاوية واستولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر وظلت هذه الأمصار في يده تسع سنين ، وكان اخوه مصعب بن الزبير واليا له على العراق فسير إليه عبد الملك الجيوش وحاربه محاربة شديدة وقتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان بعد خطوب ، ثم إن عبد الملك جهز الجيوش إلى عبد الله بقيادة الحجاج بن يوسف فناجزه الحرب وصابره القتال وحاصره بمكة ، وكان ابن الزبير قد هدم بناء الكعبة وجدده وجعل لها بابين ثم اعتصم فيها من الحجاج وجيوشه فرماه الحجاج بالنفط والنار فأحرقها ثم خرج ابن الزبير فقاتل اشد قتال واحره حتى اصابه سهم عائر فأرداه قتيلا . وكان يرمي بالبخل ويوصف بالشح وكان منحرفا عن على وآل بيت الرسول طوال ايامه . فلما مات صلب الحجاج جثته اياما وآلى على نفسه ان لا ينزلها حتى تشفع فيها امه اسماء . واسماء تأبى ان تذهب إليه . فمرت يوماً على خشبته وقالت : أما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟ فعد الحجاج ذلك طلبا منها فأنزله وسلمه إليها . وكان ذلك فى سنة ٧٤ هـ

(٣) الأفعوان : ذكر الافاعى . والسخبر : شجر تألفه الافاعى

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم قول : لا أدرى ، أصيبت مقاتله . وكانوا يستحبون أن لا يجيبوا فى كل ما سئلوا عنه . وقال ابن عمر : من قال عند مالا يدرى : لا أدرى فقد أحرز نصف العلم . وقال ابن عباس : إن لكل داخل دهشة فآنسوه بالتحية .

واعتذر رجل إلى مُسلم بن قتَيْبَةَ فقال مُسلم : لا يدعُوَنَّك أمر قد تخلصت منه إلى الدخول فى أمر لعلك لا تخلص منه . وكان يقال : دعوا المعاذر فان أكثرها مفاجر . وقال ابراهيم النخعى لعبد الله بن عون : تجنب الاعتذار فإن الاعتذار يخالطه الكذب . واعتذر رجل الى أحمد بن أبى خالد فقال لأبى عباد : ما تقول فى هذا ؟ قال : يوهب له جُرمه ويُضرب على عُذره أربعمائة ، وقد قال الأول : عذره أعظم من ذنبه . وقيل لابن عباس : وُلد عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمى باسمه ، فقال ابن عباس : أى حق رُفع وأى باطل وُضع !

وقال عبدُ الله بنُ جعفر لابنته : يا بنية ، إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك والمعاتبة فانها تورث الضغينة ، وعليك بالزينة والطيب ، واعلمى أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء .

ولما نازع ابنَ الزبير مَروانُ عند معاوية قال ابنُ الزبير : يا معاوية لا تدع مروانَ يرمى جماهير قريش بمشَاقِصِهِ ويضرب صَفاتهم بمعاوله (١) ولولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فَراشة وأقل فى نفوسنا من خَشاشة (٢) ولئن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك طبقاً تخافه ! قال معاوية : إن يطلب هذا الأمر فقد طمع فيه من هو دونه (٣) وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه (٤) وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله اليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ولا يذكركم عند مُلمة ، يسومكم خسفا

(١) المشاقص : الحجارة الملس الصغار . صفاتهم : صخرتهم الصماء

(٢) الخشاشة : الحشرة

(٣) يعرض بعبد الله بن الزبير

(٤) يريد يزيد بن معاوية

ويوردكم تلفا. فقال ابن الزبير: إذاً والله نُطلق عِقال الحرب بكتائب تمور كرِجْلِ الجراد[١] حافاتها الأسل[٢] لها دوى كدوى الريح تتبع غِطريفاً[٣] من قريش لم تكن أمه براعية ثلة[٤]. قال معاوية: أنا ابن هند، أطلقتُ عِقال الحرب فأكلت ذروة السنام وشربت عُنفوان المكرع وليس للآكل إلا الفلذة ولا للشارب إلا الرنق[٥].

بكر بن الاسود قال: قال الحسن بن على لحبيب بن مَسلمة: رُب مسير لك فى غير طاعة الله! قال: أما مَسيرى إلى أبيك فلا! قال: بلى، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة، فلعمرى لئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك فى دينك، ولو أنك إن فعلت شرا قلت خيرا كنت كما قال الله تعالى « خَلَطُوا عَمَلاً صالحاً وآخرَ سَيئاً » ولكنك كما قال الله تعالى « كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »

قال أبو الحسن: سمعت أعرابياً فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول: أما بعد فإنا أبناء سبيل وأنْضاءُ طريق وفَل سنة[٦] تصدقوا علينا فانه لاقليل مع الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت، أما والله إنا لنقوم هذا المقام وفى الصدر حزازة وفى القلب غُصة.

وقال الأحنف بخراسان: يابنى تميم، تحابُّوا تجتمع كلمتكم وتباذلوا تعتدل أموركم وابدأوا بجهاد بُطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تَغُلوا يسلم لكم جهادكم.

ومن كلام الأحنف السائر فى أيدى الناس: إلزم الصحة يلزمك العقل.

وقال خالدُ بنُ صفوان، وسئل عن الكوفة والبصرة: نحن منابتنا قصب

(١) رجل الجراد: جماعة الجراد
(٢) الأسل: الرماح
(٣) الغطريف: الكريم ويريد به نفسه
(٤) الثلة: العدد القليل من الغنم يعرض بأم مروان بن الحكم
(٥) الرنق: الماء المشوب
(٦) فل سنة: بقية سنة مجدبة

وأنهارنا عَجب وسماؤنا رطب وأرضنا ذهب . وقال الأحنف : نحن أبعد منكم سَرية وأعظم منكم تجرية وأكثر منكم ذرية وأغذى منكم برية . وقال أبو بكر الهُذلى : نحن أكثر منكم سَاجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهراً عجاجا . وكتب صاحب لأبى بكر الهذلى إلى رجل يُعزيه عن أخيه : أوصيك بتقوى الله وحده ، فإنه خَلقك وحده ويَبعثك يوم القيامة وحده ، والعجب كيف يُعزِّى ميتٌ ميتاً عن ميتٍ والسلام .

وقال رجل لابن عباس : أيما أحب إليك ، رجل قليل الذنوب قليل العمل أو رجل كثير الذنوب كثير العمل ؟ قال : ما أعدل بالسلامة شيئاً (١) . وقال آخر : حماقة صاحبى علىَّ أشد ضرراً منها عليه . وقال عَبدُ الرّحمنِ بنُ أبي ليلى :(٢) لا أمارى أخى ، فإما أن أُكذبه وإما أن أُغضبه . واحتد على ابنِ أبى ليلى رجل من جلسائه فقال ابن أبى ليلى : إهد إلينا من هذا ما شئت ! فلما مات ابن أبى ليلى وعَمرُو بنُ عُبيد رحمهما الله ، قال أبو جعفر المنصور : ما بقى أحدٌ يُستحيى منه . ولما مات عبدُ الله بنُ عامرٍ قال معاوية : رحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن يفاخر مَسْلَمَةَ ابنُ مُحارب ؟ ! وقال زيادٌ : ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت عقله فيه .

أبو معشرٍ (٣) قال : لما بلغ عَبدَ اللهِ بنَ الزُّبير قتلُ عبد الملك بن مروان

(١) قد فضل صاحب الذنوب القليلة والعمل القليل

(٢) هو عبد الرحمن بن ابي ليلى من ولد احيحه بن الجلاح . كان من فضلاء الفقهاء ومن اكابر اهل الفتوى ومن خاصة اصحاب الراى وكان حليما سمحا كريما ولي القضاء لبنى امية ثم رأى أبو جعفر مافيه من المزايا والصفات الجيدة فولاه القضاء . وكان بينه وبين ابن شبرمة مايكون بين المتعاصرين من اهل الصناعة الواحدة فكان يدفعه عن نسبه إلى ابن الجلاح وكان يقول فيه :

وكيف ترجى لفصل القضاء ولم تصب الحكم فى نفسكا
وتزعم انك لابن الجلاح وهيهات دعواك من اصلكا

مات وهو على القضاء سنة ١٤٨ ه

(٣) هو ابو معشر نجيح ، كان مولى لام موسى بنت منصور الحميرية ، وكان من المحدثين الرواة مات ببغداد سنة ١٧٠ ه . وراجع ص ٣٠٩ من الجزء الاول

عمرو بن سعيد الأشدق قام خطيباً فقال : إن أبا ذِبَّان قتل لَطِيمَ الشيطان [١] « كَذَلِكَ نوَلِّى بعضَ الظَّالمينَ بعضاً بما كانوا يكسِبونَ » ولما جاءه قتل أخيه مُصعَب بن الزُّبير قام خطيبا بعد خطبته الأولى فقال : إن مُصعَباً قدم أيْرَهُ وأخر خيره وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك حَلْبةَ أهل الشام حتى غشيته فى داره ، ولئن هلك مُصعَبٌ إن فى آل الزبير خلفا منه . ولما قدم ابنُ الزبير بفتح أفريقية أمره عثمان فقام خطيبا ، فلما فرغ من كلامه قال عثمان : أيها الناس إنكحوا النساء على آبائهن وأخوتهن فانى لم أر فى ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أشبه به من هذا [٢]

وسمع عمرُ بنُ الخطَّاب رضى الله تعالى عنه أعرابيا يقول : أللهم اغفر لأم أوفَى ! قال : ومن أم أوفى ؟ قال : إمرأتى وإنها لحمقاء مِرغامه أكول ملقامه لا نبقى لها حامه [٣] غير أنها حسناء فلا تُفرَك وأم غلمان فلا تترك . ودفعوا إلى أعرابية عِلْكاً [٤] لتمضغه فلم تفعل ، فقيل لها فى ذلك فقالت : ما فيه إلا تعب الأضراس وخيبة الحنجره .

وكان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم [٥] حين ورد عليه كتاب المنصور فى

(١) ابو ذبان هو عبد الملك بن مروان وكان خصومه يتبذونه بهذه الكنية زعموا انه كان ابخر شديد البخر حتى ما كان الذباب يمر بفيه إلا مات . ولطيم الشيطان هو عمرو بن سعيد الاشدق وكان خصومه يتبذونه بهذا اللقب زعموا انه اصيب بلقوة اعوج لها شدقه ومن هنا لقبوه ايضا بالاشدق ، اما انصاره فيقولون إنما لقب بالاشدق لانه كان خطيباً مفوها . قال الشاعر يصفه :

تشادق حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب لاابالك اشدق

(٢) انظر صفحة ٣٠٩ من الجزء الاول

(٣) مرغامة : كثيرة المغاضبة . ملقامة : كثيرة اللقم وهو الاكل . وكان بالاصل : اكول قامه ، ولا معنى لها ههنا . لانبقى لها حامة : من يحامى عنها ويدفع عنها العوادى .

(٤) العلك ما يمضغ كصمغ اللبان ونحوه

(٥) وفى رواية المسعودى : أن ابا مسلم اراد المسير إلى ابى جعفر فقال له مالك بن الهيثم لاتفعل وقال فى مكان آخر بعد قتل ابي مسلم : ودعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة ابى مسلم فقال له : استشارك ابو مسلم بالمسير إلى فنهيته ! قال : نعم ! قال : ولم ! قال : سمعت اخاك إبراهيم الامام يحدث عن ابيه قال : لا يزال المرء يزداد فى عقله إذا محض النصيحة لمن شاوره ، فكنت له كذلك وانا الان لك كذلك .

القدوم عليه بذلك فلم يشر عليه ، فلما قتل أبو مسلم أذكره ذلك فقال: ان أخاك ابراهيم الإمام حدث عن أبيه محمد بن على أنه قال: لا يزال الرجل يزاد فى رأيه اذا نصح لمن استشاره ، فكنت له يومئذ كذلك وأنا اليوم لك كذلك .

وقال الحسن : ألتقدير نصف الكسب والتودد نصف العقل وحُسن طلب الحاجة نصف العلم . وقال رجل لِعَمْرو بن عُبيدٍ : انى لأرحمك مما يقول الناس فيك ! قال : أفتسمعنى أقول فيهم شيئاً ؟ قال : لا . قال: إياهم فارحم .

ومدح نصيب أبو محجن (١) عبد الله بن جعفر فأجزل له من كل صنف . فقيل له : أتصنع هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ فقال: أما والله لئن كان جلده أسود فإن ثناءه لأبيض وان شِعره لعربى ، وقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وانما أخذ رواحل تُنضى وثياباً تَبلى ومالا يفنى ، وأعطى مديحا يُروى وثناء يَبقى (٢)

وقف أعرابى فى بعض المواسم فقال : أللهم إن لك علىّ حقوقا فتصدق بها علىّ وللناس تَبِعات قِبلى فتحملها عنى ، وقد أوجبتَ لكل ضيف قِرى وأنا ضيفك فاجعل قِرَاىَ فى هذه الليلة الجنة . ووقف أعرابى فسأل قوما فقالوا له : عليك بالصيارفة ! قال: هناك والله قرارة اللؤم .

وقال مَسْلَمَةُ : ثلاثة لا أعذرهم : رجل أحفَى شعره (٣) ثم أعفاه ، ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ، ورجل كان عنده سرارى فتزوج حرة .

أبو اسحق قال: قال [أبو] حُذيفة : كُنْ فى الفتنة كابن لبُونٍ : لاَ ظهر فيُركب ولا لبن فيُحلب (٤) . وقال الشاعر — وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا : —

(١) كان بالاصل : ابو الحجناء ، وقد نبهنا فى الجزء الاول إلى خطأ هذه الكنية والصواب ما اثبتناه
(٢) وفى رواية ابى الفرج صاحب الاغاني : اتى النصيب عبد الله بن جعفر فحمله واعطاه وكساه ، فقال له قائل : يا ابا جعفر ، اعطيت هذا العبد الاسود هذه العطايا ! فقال: والله لئن كان اسود إن ثناءه لابيض وإن شعره لعربى ، ولقد استحق بما قال اكثر مما نال ، وما ذاك ! إنما هى رواحل تنضى وثياب تبلى ودراهم تفنى ، وثناء يبقى ، ومدائح تروى
(٣) احفى شعره : بالغ فى حلقه
(٤) ابن اللبون : ولد الناقة فى عامه الثاني

أَلَمْ تَرَى أَنَّ النَّابَ تُحْلَبُ عَلْبَةً وَيُتْرَكُ ثِلْبٌ لَا ضِرَابٌ وَلَا ظَهْرٌ (١)

عُتبة بن هرون قال : قلت لِرُؤْبة : كيف خلفت ما وراءك ؟ قال : ألتراب يابس والمرعى عابس .

وقال معاوية بن أبي سفيان لابن عباس : إني لأعلم أنك واعظ نفسه ولكن المصدور إذا لم ينفث جَوِى (٢)

وقيل لعُبيد الله بن عَبد الله بن عُتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه ؟ قال: لابد للمصدور من أن ينفث (٣)

قال أبو الذيال شُويس : أنا والله العربيُّ لا أرفع الجربان ولا ألبس التبان ولا أحسن الرطانة ، ولأنا أرسى من حجر وما قرقني إلا الكرم . (٤)

---

(١) الناب : الناقة المسنة . والعلبة التى تعصب حتى تحلب . والثلب : البعير لايصلح للضراب ولا للركوب

(٢) جوي : اصابه الجوى وهو حرقة الوجد وشدته

(٣) وعن ابن شهاب قال : جئت عبيد الله يوما فى منزله فوجدته ينفخ وهومغتاظ فقلت له : مالك؟ قال : جئت عمر بن عبد العزيز فسلمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان فلم يردا علىّ فقلت :

فما تراب الارض منها خلقنا وفيها المعاد والمصير إلى الحشر
ولا تانفا ان تسالا وتسلما فما حشى الانسان شرا من الكبر
فلو شئت ان الفى عدوا وطاعنا لالفيته او قال عندي فى السر
فان أنا لم آمر ولم انه عنكما ضحكت له حتى يلج ويستشري

قال : فقلت له : رحمك الله ، أتقول الشعر فى فضلك ونسكك ؟ قال : إن المصدور إذا نفث برأ

(٤) كان في الاصول : قال أبو النبال قال شويس ، كأنهما رجلان متغايران ، والصحيح أنه رجل واحد . قال ابو عبيد البكرى : قال ابو الذيال شويس الاعرابى العدوى : أنا ابن التاريخ ، أناوالله العربى المحض ، لا أرفع الجربان ولا ألبس التبان ولا احسن الرطانة وإنى لأرسب من رصاصة وما قرقنى إلا الكرم . قال ابو عبيد : قوله : انا ابن التاريخ يعنى انه ولد سنة الهجرة ، ويريد بجملة قوله انه اعرابى بدوى محض من اهل الوبر لامن اهل المدن ولا من اهل الامصار التى تكون على الارياف والانهار فهم يتعلمون فيها السباحة ، وانه لم يجاور العجم فيحسن رطانتهم . والاعرابى إذا قال : قدمت الريف فانما يريد الحضر ، واما قوله : وما قرقنى إلا الكرم فانه يعنى أن اباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا فى اهله فجاء ولده ضاويا ومنه الحديث ، اغتربوا لاتضووا ، اي انكحوا فى الغرائب . قلت : ومعنى آخر قاله ابن منظور وهو : ماقرقنى إلا الكرم ، اى إنما جئت ضاويا لكرم آبائى وسخائهم بطعامهم عن بطونهم . والجربان : القميص ههنا . والتبان : سراويل صغير يتسربل به الملاحون والمصارعون

أبو الحسن وغيره قال : قال عمرو بن عُتبة بن أبي سُفيان للوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو بالنَّجراء من أرض حِمص : يا أمير المؤمنين ، إنك تستنطقني بالأنس بك وأكف عن ذلك بالهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ، أفأسكت مطيعا أم أقول مشفقا ؟ قال : كل ذلك مقبول منك ولله فينا عِلْمُ غيبٍ نحن صائرون إليه ، ونعود فنقول . قال : فقتل بعد أيام .

وكان أيوب السَّخْتِيَاني يقول : لا يَعرف الرجل خطأ مُعلمه حتى يسمع الاختلاف. قال بعضهم : كنت أجالس ابن صُعَيْرٍ في المسجد [1] فجلست إليه يوما فسألته عن شيء من الفقه فقال : ألك بهذا حاجة ؟ عليك بذلك . وأشار بذلك إلى سعيد ابن المسيب ، فجلست إليه لا أظن أن عالما غيره ، ثم تحولت إلى عُروة [2] ففتقت به ثَبَجَ بحرٍ [3] قال : وقلت لعثمان البَرِّي : دلني على باب الفقه ! قال : إسمع الاختلاف

وقيل لأعرابي : عند من تحب أن يكون طعامك ؟ قال : عند أم صبي راضع أو ابن سبيل شاسع أو كبير جائع أو ذي رحم قاطع .

وقال بعضهم : إذا اتسعت المقدُرة نقصت الشهوة . قال : قلت : فمن أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته و بعدت همته وقويت شهوته وضاقت مقدُرته . وذكر عند عائشة الشرف فقالت : كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به .

ودخل رجل على أبي جعفر فقال له : إتق الله ! فأنكر وجهه فقال : يا أمير المؤمنين عليكم نزلت ولكم قيلت وإليكم رُدت .

وقال رجل عند مَسلمة : ما استرحنا من حائك كندة [4] حتى جاءنا هذا

(١) كان بالاصول : ابن صعير في النسب ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه . وابن صعير هو عقبة ابن صعير كان من المحدثين والرواة

(٢) هو عروة بن الزبير

(٣) ثبج البحر : امواجه

(٤) حائك كندة : يريد به عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث

المَزُونِي[1] فقال مَسْلَمَةُ : أتقول هذا لرجل سار اليه فريقاً قريش ؟ — يعني نفسه والعباسَ بنَ الوَلِيدِ[2] — : يزيد بن المهلب حاول عظيماً ومات كريماً .

عبدُ اللهِ بنُ الحسَنِ قال : قال عليُّ بنُ أبي طالب رضى الله تعالى عنه : خُصِصْنا بخمس : فصاحة وصباحة وسماحة ونجدَة وحظوة — يعني عند النساء .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : جُبِلَتِ القلوبُ على حُب مَن أحسن اليها وبُغض من أساء إليها .

وقال الأصمعي : كُتِب كتابُ حكمة فبقيت منه بقية ، فقالوا : ما نكتب فيه ؟ فقال : أكتبوا : يُسْأَلُ عن كل صناعة أهلها .

وقال شَبِيبُ بنُ شيْبة المهدى : إن الله لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد أخوف لله منك .

---

(١) المزوني : يريد به يزيد بن المهلب

(٢) يريد أن فريقى قريش سارا الى يزيد ممثلين فيه يعنى فى مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد لقتاله ، وهذا غاية الفخر له

والعباس بن الوليد بن عبد الملك كان من أبطال بنى أمية وشجعانهم وكان يلقب « فارس بنى أمية » وكان امرأ صدق لم يكن فى بنى أمية مثله وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز فى عرفان الحق وانكار المنكر . وكانت أمه رومية . وكان يسامى عمه مسلمة بن عبد الملك فى مضاء العزيمة ونباهة الذكر ، لازمه فى كثير من حروبه ووقائعه وفتوحاته وكان كثيرا مايقود الصوائف والشواتي إلى ارض الروم وله وقائع مشهورة فى الغرب وفى افريقية . وقد بالغ فى تقليد عمر بن عبد العزيز حتى منع الشعراء الجوائز والاعطيات فرموه بالبخل ، مدحه ابن هرمة فلم يثبه فامسك الشعراء عن مدحه زمنا فقال : ما بال الشعراء تمدح اهل بيتى اجمع ولا تمدحنى ! فبلغ ذلك ابن هرمة فقال :

ومعجب بمديح الشعر يمنعه من المديح ثواب المدح والشفق
يا آبى المدح من قول يحبرة ذونيقة من حوانى شعره انق
انك والمدح كالعذراء يعجبها مس الرجال ويثنى قلبها الفرق

ولما ظهر من الوليد بن يزيد ما ظهر من لهوه وانهماكه فى اللذات مشى بنو امية بعضهم الى بعض فى شان خلعه وكلموا العباس بن الوليد فى ذلك فقال لهم : اظن ان الله قد اذن فى هلاككم ثم انشد :

إنى أعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامي ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فثم لا فدية تغنى ولا جزع

مات فى اوائل عهد مروان بن محمد

قال يحيى بن أكثم[١]: سياسةُ القضاء أشد من القضاء، وقال: إنَّ من إهانة العلم أن تُجاريَ فيه كلَّ من جاراك.

وحمل رقبةُ بن مَصقلةَ من خُراسان رجلاً إلى أمه خمسمائة درهم فأبى الرجل أن يدفعها اليها حتى تكون معها البينة على أنها أمه! فقالت لخادم لها: إذهبي حتى تأتينا ببعض من يعرفنا! فلما أتاها الرجل برزت وقالت: الحمد لله أشكو الى الله الذى أبرزني وشهر بالفاقة أهلي! فلما سمع كلامها قال: أشهد أنك أمُّهُ! فردي الخادم ولا حاجة بنا الى أن تجيء البينة.

وكان الحسن يقول فى خطبة النكاح: بحمد الله والثناء عليه، أما بعد فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المنقطعةَ والأنسابَ المتفرقةَ وجعل ذلك فى سُنةٍ من دينه ومنهاج واضح من أمره، وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة

عامر بن سعيد قال: سمعت الزُّبيرَ[٢] يعزى عبدَ الرحمن[٣] على بعض

(١) هو يحيى بن أكثم، من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب. كان احد اعلام الدنيا علما وفضلا ورياسة وسياسة وبارع تدبير، وكان مع هذا اديبا جامعاً وكاتباً بليغاً وخطيبا مفوها وشاعراً مجيداً وذا رأى محكما. ولاه المأمون رئاسة القضاء وكان لايكاد يصبر عنه. وما كان وزراء الدولة يعملون شيئا في تدبير الشؤون وتصريف الامور إلا بعد مطالعته. ولما حضر المأمون إلى مصر سنة ٢١٥ احضره معه وولاه قضاء مصر مادام فيها فجلس فيها للقضاء ثلاثة ايام ثم خرج معه إلى بغداد. وتروى عنه أخبار مع الاحداث لاندرى مبلغها الصحة. كان مولده سنة ١٥٩ وتوفى بالربذة سنة ٢٤٢ هـ

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد الاسدى، كان من اكابر صحابة رسول الله واحد العشرة الكرام واحد اصحاب الشورى، وهو ابن عمة النبي وحواريه. وكان من الابطال الشجعان والفرسان المغاوير شهد مع رسول الله المشاهد والفتوح وابلى فيها بلاء حسنا، وحضر إلى مصر مددا لعمرو بن العاص وعلى يديه كان الفتح الاول. وكان ممن حرض عائشة على الخروج على عليّ وكان من ذلك حرب الجمل، غير ان عليا لما واجهه اقنعه بخطئه فاقتنع وترك الامر وقفل راجعاً إلى المدينة فلما كان بوادى السباع نزل فنام فجاءه عمرو بن جرموز فقتله وذلك سنة ٣٦ هـ عن ٦٤ عاماً. ومن اولاده عبدالله ومصعب وعروة

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف الزهرى، كان من اجلاء الصحابة واحد العشرة الكرام واحد اصحاب الشورى وكان من الفرسان الشجعان شهد المشاهد مع رسول الله وابلى فيها بلاء حسنا. كان مولده بعد الفيل بعشر سنين، وكان ذا مال كثير حتى انه لما حضرته الوفاة اعتق فى يوم واحد ثلاثين عبداً واوصى ان يصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان وقسم ميراثه على ستة عشر سهما فبلغ نصيب السهم الواحد ثمانين الف درهم. وكانت وفاته سنة ٣٢ هـ

نسائه فقال وهو قائم على قبرها : لايَصْفِرِ رَبْعُكَ(١) ولا يُوحِشُ بيتُكَ ولا يَضيع أجرك ، رحم الله متوفاك وأحسن الخلافة عليك .

قال عُمرُ بنُ الخطاب رضى الله تعالى عنه : خير صِناعاتِ العرب أبياتٌ يقدمها الرجل بين يدى حاجته ، يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم

وَلِيمَ ابنُ الزُّبيرِ(٢) على طول خطبته عشية عَرفةَ فقال : أنا قائم وهم جلوس وأتكلم وهم سكوت ، ويضجرون ! ؟

وقال موسى بن يحيى : كان يحيى بن خالد(٣) يقول : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : ألكتابُ يدل على مقدار عقل كاتبه والرسولُ على مقدار عقل مرسله والهديةُ على مقدار مهديها . وذكر أعرابى أميراً فقال : يقضى بالعَشْوَه(٤) ويطيل النشوه ويقبل الرِّشوه .

---

(١) لايصفر ربعك : لايخلو منزلك من اهله

(٢) هو عبد الله بن الزبير . تقدمت ترجمته فى ص ٧١ من هذا الجزء

(٣) هو يحيى بن خالد البرمكى . كان رجل الدولة العباسية عقلا ورأيا ونبلا . وهو الذى ربى هرون الرشيد ونشأه وخرجه وكان هرون يقول له : ياابتى . ولما استخلف الرشيد دعا به وقال له : ياابتى انت الذي اجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر . يعنى جعله رئيساً للوزراء والكتاب إليه إصدار امور الدولة وإيرادها وسياسة شؤونها وتدبير احكامها وضبط اطرافها . وكان مع هذا كاتبا بليغا وخطيبا مصقعا وكريما جوادا . ومن كلامه اولده : إكتبوا احسن ماتسمعون واحفظوا احسن ماتكتبون وتحدثوا باحسن ماتحفظون . وحج الرشيد عاما ومعه الامين والمامون وحج معه يحيى بن خالد ومعه الفضل وجعفر ابناه فلما صاروا بمكة جلس الرشيد ومعه يحيى واعطى الناس ثم جلس الامين ومعه الفضل فاعطى الناس ثم جلس المامون ومعه جعفر فاعطى الناس . فقال فى ذلك محمد بن مناذر :

اتانا بنو الاملاك من آل برمك ... فياطيب اخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة فى كل عام إلى العدى ... واخرى إلى البيت العتيق المعطر
إذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت ... بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى ... بمكة ماحجوا ثلاثة اقمر
فما خلقت إلا لجود اكفهم ... واقدامهم إلا لاعواد منبر

ثم غضب الرشيد على البرامكة فنكبهم النكبة المشهورة ومات يحيى فى محبسه سنة ١٩٠ ه

(٤) يقضى بالعشوة : يعنى يتخبط فى قضائه ويحكم على غير هدى

وقال يَزيدُ بن ُالوليد : إن النَّشوة تحل العقدة وتُطلق الحبوة . وقال : إياكم والغِناء فإنه مفتاح الزنا .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إذا توجه أحدكم فى وجهٍ ثلاث مرات فلم يُصب خيراً فَليَدَعْهُ .

قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه . لاتكونن كمن يعجز عن شكر ما أُوتى ويبتغى الزيادة فيما بَقِى ويَنهى ولا يَنتهى ويأمرالناس بما لايأتى ، يُحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويُبغض المسيئين وهومنهم ويكره الموت لكثرة ذنوبه لا يدعها فى طول حياته .

قال أعرابى : خرجت حيث انحدرت أيدى النجوم وشالت أرجلها ، فلم أزل أصدع الليل حتى انصدع لى الفجر . وسألت أعرابياً عن مسافة ما بين بلدين فقال: عُمر ليلة وأديم يوم . وقال آخر : سواد ليلة أو بياض يوم . وقال بعض الحكماء : لا يضرك حب امرأة لا تعرفها .

وقال رجل لأبى الدَّرداء : فُلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ومحمل خفيف . وسرق مُزَبِّد[1] نافجة مسك فقيل له : إن كل من غَلَّ يأتى يوم القيامة بحمله على عنقه ! قال : إذًا والله أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل . قال : ومن أبخل البخل ترك رد السلام . قال ابن عُمر : لَعمرى إنى لأرى حق رجع جواب الكتاب كرد السلام . وجاء رجل إلى سليمان فقال : يا أبا عبد الله ، فلان يقرأ عليك السلام! فقال : أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانة فى عنقك . قال مُثَنَّى بن زُهير[2] لرجل : إحتفظ بكتابى حتى توصله الى أهلى ، فمن العجب أن الكتاب مُلَقَّى والسكران موقى[3] . وكان عبدالملك بن حجاج يقول : لأنا للعاقل المُدْبِرِ أرجى من

(١) هو مزبد المدني صاحب النوادر والفكاهات . راجع ترجمته واحاديثه المضحكة فى كتابنا « ادب الجاحظ » .

(٢) هو مثنى بن زهير صاحب الحمام الزاجل وقد ذكر له الجاحظ فى كتاب الحيوان اخبارا فى قيافة الحمام هي العجب العاجب .

(٣) كان بالأصول : مؤتى ، وهو خطأ ، والصواب ماأثبتناه

الأحمق المُقبل . قال : وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه ربما أراد أن ينفعك فضرك .
وكتب الحجاج الى عامل له بفارس : إبعث إليَّ بعسل من عسل خُلاَّرٍ من النحل الأبكار من الدستفشار الذي لم تمسه النار . وقال الشاعر :(١)

وَمَا المَرْءُ إلاَّ حَيْثُ يجْعَلُ نفْسَهُ   فَفِي صَالِحِ الأَخلاَقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ (٢)

ونظر أبو الحارثِ جُمَّيْن(٣) إلى برذون يُسْتَقَى عليه الماء فقال : وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ، لو أن هذا البرذون هَمْلَجَ ما فُعل به هذا .

عِمْرَانُ بْنُ هداب قال : قال مُسْلِمُ بنُ قُتَيْبَةَ : رَبُّ المعروف أشد من ابتدائه(٤) . وقال محمدُ بنُ وَاسعٍ : الإتقاء على العمل أشد من العمل . وقال يحيي ابنُ أكثم : سياسة القضاء أشد من القضاء . وقال محمد بن محمد الحراني : من التوقى

(١) قال الشاعر : هو منقر بن فروة المنقري . وبعد هذا البيت يقول :
وإن خفت من امر فوانا فوله   سواك وعن دار الاذى فتحول
(٢) الرواية : ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل .
(٣) هو ابو الحارث جمين المدني . كان من اصحاب النوادر والفكاهات كثير المزح حتى ليقلب الجد هزلا في صورة تأخذ بمجامع القلوب . وقد زعم الفيروزبادي ان المحدثين أخطأوا في إسمه والصواب عنده ان اسمه جميز . واستشهد على ذلك بقول أبي بكر بن مقسم :
إن أبا الحارث جميزا   قد أوتي الحكمة واللبزا
وعندي ان الاسم جمين صحيح ، وما سماه ابن مقسم وغيره جميزا إلا من باب التندر به والتلاعب باسمه لغرابته .
فمن نوادر جمين انه سمع مغنية تغنى بقول الشاعر :
أشارت بمدراها وقالت لاختها   أهذا المغيري الذى كان يذكر ؟
فقال : إمرأته طالق إن كانت اشارت إليه بمدراها إلا لتفقأ بها عينه ، هلا اشارت إليه بنقانق مطرف بالخردل أو سنبوسجة مغموسة في الخل او لوزينجة شرقة بالدهن ! فان ذلك أنفع له واطيب لنفسه وادل على مودة صاحبته . وولع ابو الحارث بابن سيابة حتى اخجله فقال ابن سيابة يهجوه :
بنى ابو الحارث الجميز في وسط   من ظهره وقريبا من ذراعين
ديرا لقس إذا ماجاء يدخله   ألقى على باب دير القس خرجين
يعدو على بطنه شدا على عجل   لا نو يدين ولا يمشي برجلين
وفلج ابو الحارث فعاده دعبل وقال له : ماهذا ياابا الحارث ؟ فقال : اخذت من شعرى ودخلت الحمام فغلط بي الفالج وظن انى قد احتجمت ! فقال له : لو تركت خفة الروح والمجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلي هذه الحال . وعلى الجملة لقد كان من اظرف اهل زمانه
(٤) رب المعروف : يعنى موالاته عند من احسنت إليه والقيام على تعهده اشد من ابتدائه عند من لم يسبق لك الاحسان إليه

ترك الإفراط فى التوقى . وقال أبو قرة : الجوع للحمية أشد من العلة . وقال الجماز[١] الحمية إحدى العلتين . وقال القُمّى : من احتمَى فهو على يقين من تعجيل المكروه وفى شك مما يأمل من دوام الصحة . وقال : اعتبر عزمه بحميته وحزمه بمتاع بيته. قال وذكر أعرابى رجلا فقال : حناء المبتلى حنوط المعافى . وقالوا : أمران لاينفكان من الكذب : كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . وقيل لرجل من الحكماء : ما جماع البلاغة ؟ قال : معرفة السليم من المعتل وفصل ما بين المضمَّن والمُطلق وفرق ما بين المشترك والمفرد وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيد .

وقال سَهْلُ بْنُ هرُونَ فى كتاب له : واجب على كل ذى مقالة أن يبتدىء بالحمد قبل استفتاحها كما بدىء بالنعمة قبل استحقاقها . وقال أبو البلاد[٢] :

إنَّا وَجَدْنا النَّاسَ عُودَيْنِ طَيِّباً ... وعُوداً خبيثاً لا يبِضُّ على العَصْرِ[٣]

تَزِيْنُ الفتى أخلاقُهُ وتَشِينُهُ ... وتُذْكَرُ أخلاقُ الفتى وهو لا يَدْرِي

وقال آخر فى هذا المعنى :

سَابِقْ إلى الخيْرَاتِ أهْلَ العُلَى ... فإنما النَّاسُ أحَادِيْثُ

كلُّ امْرِىءٍ فى شأنِهِ كادِحٌ ... فَوَارِثٌ مِنْهُ وَمَوْرُوثُ

ولما قال حَمَلُ بنُ بدرٍ لبنى عبس — والأسنة فى ظهورهم والبوارق فوق رؤسهم — تؤدّى السبق وتَدى الصبيان وتُخلون سر بنا وتَسُودُون العرب ! انتهره حُذيفةَ وقال : إياك والكلام المأثور[٤] .

وقال الشاعر :[٥]

الْيَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبَرٌ ... وَالدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ إنْعَامٍ وَإبْآسِ

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو الجماز . راجع ترجمته وحوادثه فى كتابنا « أدب الجاحظ »

(٢) هو أبو البلاد الطهوى كان من فحول الشعراء الاسلاميين المقلين

(٣) عودين طيبا : يعنى عود طيب وعود خبيث . لا يبض : إذا عصرته لا يخرج منه شىء يعنى لا خير فيه

(٤) هذا الحديث من نتائج سباق داحس والغبرا فى الجاهلية بين عبس وفزارة

(٥) أنظر ص ١٦٤ من الجزء الأول

وقال أعرابى : إن المسافر ومتاعه لعلى قَلَتٍ إلا ماوقى الله[١]. وقالوا : ألسفر قِطعةٌ من العذاب ، وصاحب السوء قطعة من النار .

وجلس معاوية بن أبى سفيان بالكوفة يبايع على البراءة من على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فجاءه رجل من بنى تميم فأراده على ذلك فقال : يا أمير المؤمنين ، نُطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت إلى المُغِيرة[٢] فقال : إن هذا رجل فاستوص به خيراً . وقال الشاعر[٣]

قالَتْ أمامَةُ يَوْمَ بَرْقَةِ وَاصِلٍ ... يَا ابْنَ الغَدِيرِ لَقَدْ جَعَلْتَ تَغَيَّرُ
أَصْبَحْتَ بَعْدَ زَمَانِكَ المَاضِى الَّذِى ... ذَهَبَتْ شَبِيبَتُهُ وغُصْنُكَ أَخْضَرُ
شَيْخاً دِعَامَتُكَ العَصَا ومُشَيَّعاً ... لاتَبْتَغِى خبرًا ولاَ تُسْتَخْبَرُ

وكان الرَّبِيعُ بنُ خيثم[٤] لا يُخبر ولا يستخبر . وكان مُطَرِّفُ بنُ عبدالله[٥] يَستخبر ويخبر . قالوا : فينبغى أن يكون أعقلهم . وقال أبو عبيدة : كان ابن

---

(١) لعلى قلت : أى بعرض هلكة

(٢) هو المغيرة بن شعبة ، وقد مضت ترجمته فى ص ٨٦ من الجزء الأول

(٣) هو حسان بن الغدير ، شاعر مجيد من شعراء الاسلام ، قال مجمع بن يعقوب الأنصارى : أدركت حسان بن الغدير شيخاً كبيراً من اجل الشيوخ وأحسنهم فحدثنى قال : سارت علينا سائرة من بنى جشم بن بكر فرأيت فيهم فتاة مارأيت فى نساء العرب مثلها حسنا فذهبت أخطبها فلم يقدر لى تزوجها فضرب الدهر بيننا فانى بعد ذلك بأربعين سنة انى بلادي إذ أهلوها قدساروا وإذا بها عجوز تسأل عنى فلما رأت كبرى قالت : أأنت ابن الغدير ؟ فقلت : نعم ، قالت : لقد اكل الدهر عليك وشرب ! فقلت فيها وقد تغيرت وكبرت :

قالت امامة يوم برقة واسط ... يا ابن الغدير لقد جعلت تغير
اصبحت بعد شبابك الغض الذي ... ولت شبيبته وغصنك اخضر
شيخا دعامتك العصا ومشيعاً ... لا تبتغى خبرا ولا تستخبر
فأجبتها أن من يعمر يقترف ... ما تزعمين وينب عنه المنظر
ولقد رأيت شبيه ما عيرتنى ... يسري على به الزمان ويبكر
وجعلت يغضبنى اليسير وملنى ... اهلى وكنت مكرما لا اكهر
وشربت فى القعب الصغير وقادنى ... نحو الجماعة من بنى الأصغر

وانت ترى خلافا فى بعض الألفاظ بين رواية الجاحظ وهذه الرواية ولذلك اثبتناها

(٤) كان من افاضل التابعين زاهدا متنسكا مستقيم الطريقة .

(٥) مضت ترجمته فى ص ٩٩ من الجزء الأول

سيرِين [١] لايستخبر ولا يخبر ، وأنا أخبر واستخبر .

وقال أبو عَمْرو بنُ العلاءِ [٢] لأهل الكوفة : لكم حذلقةُ النَبَطِ وَصَلَفُهُم ولنا دَهاءُ فارس وأحلامهم . وأنشدوا للحارثِ بْن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِىّ [٣] :

لا أعْرِفَنَّكَ إنْ أرْسَلْتَ قافية ... تُلْقِى المَعاذيرَ إن لم تنفعِ العُذرِ

إنَّ السَّعيدَ لهُ فى غيرِهِ عِظَةٌ ... وفى التَّجارِبِ تحكيمٌ ومُعتبرُ

ومعنى المعاذير هاهنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن « بَلِ الإنسانُ على نفسِهِ بَصِيرَةٌ ولَوْ ألقَى معَاذِيرَه » [المعاذير] هاهنا الستور .

أراد رجل الحج فسلم على شُعْبة بنِ الحجاج [٤] فقال له : أما إنك إن لم تعدّ الحلم ذُلا والسفه أنفا ، سَلِمَ لك حجك .

وكان على رضى الله تعالى عنه بالكوفة قد منع الناس من القُعود على الطريق فكلَّمُوه فى ذلك فقال : أدَعكم على شريطة ؟ قالوا : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : غَض الأبصار وردِ السلام وإرشاد الضلال . قالوا : قد قبلنا . فتركهم .

وكان [أبو] نوْفل بْنُ أبى عقْرَبٍ لايجلس إلا على باب داره ، وكان عامراً بالمارة ، فقيل له : إن فى ذلك نُشْرَةً [٥] وصرف النفوس عن الأمانى واعتباراً لمن اعتبر وعظة لمن فكر ، فقال : إن فى ذلك حقوقاً يعجز عنها أبنُ خُيْثَمةَ: قالوا : وما هى ؟ قال : غض الطرف ورد التحية وإرشاد الضال وضم اللقطة والتعرض لِطلاَّب الحوائج والنهى عن المنكر والشغل بفضول النظر الداعية إلى

(١) مضت ترجمته فى ص ١٦٨ من الجزء الأول
(٢) « « « ١٢١ « «
(٣) « « « ٣١ فى هذا الجزء
(٤) هو شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الاشاقر عتاقة . يكنى ابا بسطام . زعموا انه ظل فى بطن امه سنتين . كان من اصحاب الحديث شيعى الراى ، وكان شاعراً متكلما به لثغة وكان يقول : والله لانا في الشعر اسلم منى فى الحديث ولو اردت الله ماخرجت إليكم ولو اردتم الله ما جئتمونى ولكنا نحب المدح ونكره الذم . وهذا كلام يدل على الصدق والاخلاص وسلامة القصد فلله دره من صدوق . ولد سنة ٨٥ وتوفى بالبصرة سنة ١٦٠ هـ
(٥) نشرة : عوذة يستعاذ بها

فضول القول والعمل ، وعادة إن قطعتها اشتدت وحشتك ، و إن وصلتها قطعتك عن أمور هى أولى بك .

قال فضيلُ بنُ عياضٍ لِسُفْيَان الثَّوْرى (١) دُلنى على جليس أطمئن إليه ؟ قال : هيهات ، تلك ضالة لاتوجد . وقيل لبعض العلماء : أى الأمور أمتع ؟ قال : مذاكرة العلماء . وقيل لعبد الرحمن بن أبى بكرة : أى الأمور أمتع ؟ قال : الأمانى .

وقال رجاء بنُ حَيْوَةَ لعبد الملك بن مروان فى أسارى ابن الأشعث : إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فاعط الله ما يحب من العفو .

وقال هُرَيْمُ بنُ عَدِىٍّ بن أبى طحمة ليزيد بن عبد الملك بعد ظفره بيزيد ابن المهلب : ما رأينا أحداً ظُلِم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك . قال : وذم رجل رجلا فقال : هو سيىء الرويّة قليل التقية كثير السعاية قليل النكاية .

قال مُعاوية لمعاوية بنِ حُديج الكِنْدى (٢) : ما جرأك على قتل قريش؟ قال : ما أنصفتمونا ! تقتلون حلماءنا وتلوموننا على قتل سُفهائكم ؟! وهو الذى قال لأم الحكم بنت أبى سفيان : والله لقد نكحتِ فما استكرمتِ وولدتِ فما أنجبتِ .

ولما قدم قتيبة بنُ مسلم خراسان قال : من كان فى يديه شىء من مال عبدالله

---

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى يكنى ابا عبد الله وينسب إلي ثور بن عبد مناة او ثور اطحل ، وهو جبل . وكان من التابعين واهل الحديث مع الفقه والورع والتقوى وكان شيعى الراى . طلب للقضاء فلم يقبل . فطلبه السلطان ليأخذه بتشيعه ففر وظل متواريا بالبصرة حتى مات ودفن عشاء . وفيه يقول الشاعر :

تحرز سفيان وفر بدينه وامسى شريك مرصدا للدراهم

وكان مولده سنة ٩٧ وتوفى سنة ١٦١ هـ

(١) كان بالأصول معاوية بن خديج ، وهو خطأ شائع ، والصواب ما أثبتناه .

وهو معاوية بن حديج السكسكي الكندى . كان من شيعة معاوية شجاعا متهورا ذا عجرفية . وكان مقيما بمصر من عهد عثمان . فلما ولى محمد بن ابى بكر مصر من قبل على خرج عليه وتبعه ناس كثيرون مطالبا بدم عثمان . وكان معاوية قد بعث إليه بذلك ، وبعث عمرو بن العاص على جيش كثيف لفتح مصر وليس مع محمد بن أبى بكر كثير جند ، فقاتلوه ومن معه حتى ألجأوه إلي الفرار فلحق به معاوية بن حديج وأخذه من خربة فقتله وجعله فى جيفة حمار ثم احرقه بالنار .

ابن خازم[١] فلينبذه وإن كان فى فيه فليلفظه وإن كان فى صدره فلينفثه. فعجب الناس من حسن ما فصل وقسّم . قال : ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن خازم وما بخراسان أحسن حالا منهم[٢].

عَنْبَسَةُ القطّان قال : شهدت الحسن[٣] وقال له رجل : بلغنا أنك تقول : لو كان علىٌّ بالمدينة يأكل من حَشَفها لكان خيراً له مما صنع !؟ فقال الحسن : يا لكع ، أما والله لقد فقدتموه سهما من مرامى الله غير سؤُوم لأمر الله ولا سروقة لمال الله ، أعطى للقرآن عزائمه فيما عليه وله فأحل حلاله وحرم حرامه حتى أورده ذلك رياضاً مونقة وحدائق مُغدقة ، ذاك ابن أبي طالب يالكع[٤].

وقال عبدُ الملك بنُ صالح يوصى إبنه وهو أمير سَرِية ونحن ببلاد الروم فقال له : أنت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيِّس الذى إن وجد ربحاً تَجِرْ وإلا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفاً من احتيال عدوك عليك .

وقال بعض الحكماء : لا تصطنعوا إلى ثلاثة معروفا : أللئيم فإنه بمنزلة الأرض السَّبِخَة ، والفاحش فإنه يَرَى الذى صنعت إليه إنما هو لمخافة فُحشه ، والأحمق

---

(١) كان فى الأصول : عبد الله بن حازم . وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

وهو عبد الله بن خازم السلمى ، يكنى أبا صالح . كان شجاعا بطلا وفارسا مغوارا وقائدا محنكا ، وكانت أمه سوداء وكان أقوى الناس أيدا وأعظمهم بسالة . قال بعضهم : إن في الناس من هو أقوى من الأسد ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : اننا لم نر الاسد فتح مدينة ورأينا عبد الله بن خازم فتح مدينة وحده . كان على خراسان عشر سنين ، وكان الحشرج بن الأشهب جمع له جموعا وغلب على قهستان فسار إليه عبد الله بن خازم فقتله وأخذها منه ثم فتح الطبسين . ثم ثار به أهل خراسان من العرب وقاتلوه فخر صريعا بالمركةوذلك فى عهد معاوية سنة ٥٦ هـ

(٢) كان بالاصول : أحسن مالا منهم . وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه

(٣) هوالحسن البصرى ، وكل ماجاء فى هذا الكتاب من قوله : قال الحسن ، فهوالمراد دون سواه

(٤) كان الحسن يرمى بالانحراف عن على ورويت عنه فى ذلك أخبار . ومن الناس من يدفع عنه هذه التهمة ويقول إنه كان من محبيه والمعظمين له . روى ابن عبد البر في الاستيعاب ان إنسانا سأل الحسن عن على فقال : كان والله سهما صائبا من مرامي الله على عدوه وربانى هذه الامة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله ، لم يكن بالنؤمة عن امر الله ولا بالملومة فى دين الله ولا بالسروقة لمال الله ، اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مؤنقة ، ذلك على بن ابي طالب يالكع .

فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه ، فإذا اصطنعت إلى الكرام فازدرِع المعروف واحصد الشكر . قال : وواضع المعروف فى غير أهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ . ومثله البيت السائر فى الناس :

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ فِى غَيْرِ أَهْلِهِ ... يُلاَقِ الَّذِى لاَقَى مُجِيرُ امِّ عَامِرِ [1]

وقالوا : من لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يولى . وقال الإيادى صاحب الصرح الذى اتخذ سلماً لمناجاة الرب — وهو الذى كان يقول : مُرضعة وفاطمة ، القطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلم — قال : زعم ربكم ليجزين بالخير ثواباً وبالشر عقاباً ، إن مَن فى الأرض عَبيدٌ لمن فى السماء ، هلكت جُرْهُمْ وَرَبَلَتْ إياد [2] وكذلك الصلاح والفساد ، من رَشَد فاتبعوه ومن غَوَى فارفضوه ، كل شاة برجلها معلقة . وإياه عنى الشاعر بقوله :

وَنَحْنُ إِيَادٌ عَبِيدُ الإلٰهِ ... وَرَهْطُ مُنَاجِيهِ فى السُّلَّمِ

وَنَحْنُ وُلاَةُ حِجَابِ العَتِيقِ ... زَمَانَ الرُّعَافِ عَلَى جُرْهُمِ

تعزية امرأة للمنصور عَلَى أبى العباس مَقدمه من مكة ، قالت : أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجل من مُصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك .

وقال عثمان بن خِذْيم للمنصور حين عفا عن أهل الشام فى إجلائهم مع عبد الله بن على [3] عمه : يا أمير المؤمنين ، لقد أُعطيت فشكرتَ وابتُليت

---

(١) ام عامر : كنية الضبع

(٢) ربلت : كثرت اولادها واموالها

(٣) هو عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس . كان من اعمام ابى العباس السفاح وابى جعفر المنصور . وكان من مؤسسى الدولة العباسية وموطدي دعائمها . وكان شجاعا بطلا وفارسا مغوارا وقائدا . مدبرا وهو الذي هزم جيوش مروان بن محمد واباد بنى امية . وكان ابو العباس السفاح ولاه على مصر والشام وجعل إليه التصرف فى شؤونهما . وكان يطمع فى ان تكون الخلافة له بعد ابى العباس لماله من البلاء فى تأسيس الدولة . وبينا هو فى حروبه جاءه نعى ابى العباس فانصرف بمن معه من الجيوش واكثرهم من اهل الشام حتى بلغ حران فبايعه الجند على الخلافة . فلما علم بذلك ابو جعفر المنصور ندب له ابا مسلم وسيره إليه وزوده بما استطاع من جند وسلاح وطعام وعلوفة وامره بحربه ، وكان جنده مؤلفا من أهل الجزيرة واهل خراسان . فقاتله نحو ستة اشهر والحرب بينهما سجال . ثم إن ابامسلم احكم تدبيره وحمل على عسكره فضعضعه فلما راى عبد الله ذلك سار فى نفر من خاصته إلى العراق.

فَصَبِرْتَ وقدرت فعفوت . وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، ألا إنتقام عدل والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف ، فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين . وقال آخر : مَن انتقم فقد شفى غيظ نفسه وأخذ أقصى حقه ، وإذا انتقمت فقد انتقصت وإذا عفوت [فقد] تطولت ، ومَن أخذ حقه وشفى غيظه لم يجب شكره ولم يذكر فى العالمين فضله ، وكظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفى طرف من العجز ، ومن رضى أن لا يكون بين حاله و بين حال الظالم إلا ستر رقيق وحجاب ضعيف فلم يجزم فى تفضيل الحلم وفى الإستيثاق من ترك دواعى الظلم ، ولم نر أهل النهى والمنسوبين إلى الحِجى والتقى مدحوا الحكام بشدة العقاب وقد ذكروهم بحسن الصفح وبكثرة الاغتفار وشدة التغافل ! وبعد فالمعاقِب مُستعِدٌّ لعداوة أولياء المذنب ، والعافى مُستدعٍ لشكرهم آمن من مكافأتهم أيام قدرتهم ، ولأن يُثنَى عليك باتساع الصدر خير من أن يُثنَى عليك بضيق الصدر ، على أن إقالتك عثرة عباد الله موجب لإقالتك عثرتك من رب عباد الله ، وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك .

قال : ألموت الفادح خير من اليأس الفاضح ، وقال الآخر : لا أقل من الرجاء ؟ ! فقال الآخر : بل اليأس المريح . وقال عبدُ الله بنُ وهب الراسبي : إزدحام الجواب مَضلة للصواب ، وليس الرأى بالارتجال وليس الحزم بالاقتضاب ، فلا تدعونك السلامة من خطأ موبق أو غنيمة من صواب نادر إلى معاودته والتماس الأرباح من قِبَلِهِ ، إن الرأى ليس بنُهْبَى وخمير الرأى خير من فطيره ورب شىء غابُّهُ خير من طريه وتأخيره خير من تقديمه . ولما قدم بعبد الجبار بن

ونزل البصرة على اخيه سليمان بن على متواريا عنده فلما علم ابو جعفر شأنه ارسل الى سليمان بن على يأمره باشخاص عبد الله إليه وكتب له عهدا بالامان غلظ فيه الاقسام والايمان حتى رضى عبدالله فخرج به سليمان حتى أتي المنصور سنة ١٣٩ فأمر المنصور بحبسه وحبس من كان معه ثم أخرج أصحابه وقتلهم واستمر عبد الله فى محبسه حتى مات سنة ١٤٧ ﻫ

عبد الرحمن (١) إلى المنصور قال : يا أمير المؤمنين ، قِتْلةٌ كريمة ! قال : تركتها وراءك يا ابن اللخناء .

ولما احتال أبو الأزهر المهلب بن عُبَيْثر المهرى لعبد الحميد بن رَبعى بن خالد ابن مِغداق وأسلمه الى حُمَيدِ بن قَحْطبة (٢) وأسلمه حُميد إلى المنصور ، فلما صار الى المنصور قال : لا عُذر فأعتذر وقد أحاط بي الذنب وأنت أولى بما ترى ! قال : لست أقتل أحداً من آل قحطبة بل أهب مُسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم ! قال : إن لم يكن فىّ مُصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم ! قال : أخرج فإنك جاهل وأنت عتيقهم ماحييت .

قال زياد بن ظَبْيان التَّيمى لابنه عُبيد الله بن زياد — وزياد يومئذ يكيد بنفسه وعبيد الله غلام — ألا أوصى بك الأمير زياداً ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت فالحى هو الميت (٣)

ودخل عمرو بن سعيد على مُعاوية بعد موت أبيه — وعمرو يومئذ غلام — فقال له معاوية : إلى مَن أوصى بك أبوك يا غلام ؟ قال : إن أبى أوصى إلىّ ولم يوص بى ! قال : وبأى شىء أوصاك ؟ قل : أوصانى أن لا يفقد إخوانه منه إلا وجهه ! قال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيد هذا لأشدق .

ولما داهن سُفيان بنُ مُعاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن إبراهيم بن عبد الله (٤)

(١) هو ابن اخى معن بن زائدة ، وكان من الشجعان إلا انه فر من الخوارج يوما ، وكان فى خاصة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى

(٢) هو حميد بن قحطبة الطائى . كان من اكابر القواد فى الدولة العباسية ومن اشد اركانها وكان شجاعا باسلا وفارسا كميا . وكان ابو جعفر المنصور يحسده على جاهه ونفوذه ويخافه على مافى يده ، فاراد ان يتخلص منه ولكنه خشي إن قتله ثار الجند به . فكتب له كتابا إلى زفر بن عاصم والي حلب وامره بالمسير إليه وإعطائه الكتاب . وكان فى الكتاب « إذا قدم عليك حميد فاضرب عنقه » لكن حميداً داخله الشك في الكتاب ففضه فى الطريق وعرف مافيه ، فعدل عن طريقه وسار بمن معه من خاصته إلى العراق متواريا .

(٣) راجع ص ٢٤٠ و ٢٥٠ من الجزء الاول

(٤) ابراهيم بن عبد الله العلوي الخارج على ابي جعفر

وصار سفيان إلى المنصور أمر الربيع فخلع سواده ووقف به على رؤس اليمانية في المقصورة في يوم الجمعة ثم قال: يقول لكم أمير المؤمنين، قد عرفتم ما كان من إحساني إليه وحسن بلائي عنده والذي حاول من الفتنة والغدر والبغي وشق العصا ومعاونة الأعداء، وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم وغادركم لوفيكم.

قال يُونُسُ بنُ حَبِيبٍ: المفحَم يأتيه دون ما يرضى ويطلب فوق ما يقوي

وذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتَزيُّدَ البحريين فقال: البحر كثير العَجائب وأهله أصحاب الزوائد، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق وأدخلوا مالا يكون في باب ما قد يكاد أن يكون، فجعلوا تصديق الناس لهم في غرائب الأحاديث سُلما إلى ادّعاء المحال. وقال بعض العرب: حدّث عن البحر ولا حرج، وحدث عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدث عن مَعْنٍ ولا حرج (١). وجاء في

---

(١) هو معن بن زائدة الشيباني. كان من أكابر الشجعان واماثل الفرسان، وكان جواداً كريماً ومعطاء مبذالا كثير الخير والمعروف ممدحا مقصود الجناب. وكان في ايام بني امية يلي الولايات وكان في خاصة يزيد بن عمر بن هبيرة امير العراقين ومن ابطال قواده فلما ظهرت الدولة العباسية وحارب أبو جعفر يزيد بن عمر وحاصره بواسط ابلى معن بلاء حسنا مع يزيد، فلما نقض ابوجعفر عهده مع يزيد وقتله خاف معن على نفسه فاختفى مدة وجعل ابو جعفر لمن يأتي به مالا فاضطرب معن لذلك فغير هيئته ولوح وجهه في الشمس وركب جملا واراد الخروج إلى البادية، قال: فلما خرجت من باب حرب أحد أبواب بغداد تبعني عبد اسود ومعه سيف حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه ثم قبض على يدي وقال: أنت طلبة امير المؤمنين! انت معن بن زائدة! فقلت له: إتق الله أين أنا من معن؟ فقال: دع هذا فاني والله لأعرف بك منك. فقلت له: هذا عقد جوهر خذه ولا تكن سبباً في سفك دمي وهو يساوي اضعاف ماجعله ابو جعفر لمن يأتيه بي. فاخذه ونظر فيه ثم قال: صدقت في قيمته ولن أقبله حتى أسألك عن شيء فان صدقتني اطلقتك، إن الناس قد وصفوك بالجود، فهل وهبت مالك كله قط؟ فقلت: لا. قال: فنصفه؟ قلت: لا. قال: فثلثه؟ قلت: لا. حتى بلغ العشر فاستحييت فقلت: اظن اني فعلت هذا! فقال: ماهذا بعظيم! انا راجل ورزقي من ابي جعفر في كل شهر عشرون درهما، وهذا الجوهر قيمته الوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة! ثم رمى العقد في حجري وتركني وولى، فقلت: ياهذا قد فضحتني ولسفك دمي اهون علي مما فعلت فخذ العقد فاني غني عنه! فضحك وقال: اتريد ان تكذبني فيما قلت! والله لا آخذن على معروف ثمنا ابدا. ثم مضى لسبيله. وظل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وقد خرج قوم من اهل خراسان على أبي جعفر فقاتلوه حتى ضيقوا عليه، فجاء معن متنكرا متلثما وحمل على القوم وقاتلهم قتال اهل النجدة والشهامة

الحديث «كفى بالمرءِ حرصاً ركوبهُ البحر»

وكتب عمرو بنُ العاصِ إلى عمر بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه يصف له البحر فقال : يا أمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير ، دُودٌ على عود . وقال الحسن : إملاء الخير خير من الصمت ، فالصمت خير من إملاء الشر . وقال بعضهم مُروا الأحداثَ بالمراء والكهولَ بالفكر والشيوخ بالصمت .

عَبدُ الله بنُ شدّادٍ قال : أرى دَاعيَ الموت لايقلع وأرى مَن مَضى لايرجع لا تزهدن فى معروف فان الدهرَ ذو صروف ، كم من راغب قد كان مرغوبا إليه وطالب أصبح مطلوبا إليه ، والزمان ذُو ألوان مَن يصحب الزمان ير الهوان ، وإن غُلبت يوما على المال فلا تُغلبَنَّ على الحيلة على حال ، وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالا أقل ما تكون فى الباطن مالا .

وقيل لِقَيْسِ بن عاصم : بم سُدت قومك ؟ قال : ببذل الندى وكف الأذى ونصر المولى . وقيل لشيخ : أين شبابك ؟ قال : من طال أمده وكثر ولده ودف عدده وذهب جَلده ، ذهب شبابه . وقال زياد : لا يَعدِمَنَّك مِن الجاهل كثرة الالتفات وسُرعة الجواب .

وقال عبدُ الرحمن بنُ أم الحكم (١) : لولا ثلاث ما باليت متى مت : تزاحفُ الأحرار إلى طعامى وبذلُ الأشراف وجوههم الى فى أمر أجد اليه السبيل وقول المنادى الصلاة أيها الأمير .

حتى فرقهم ومزق شملهم . فلما امن المنصور جانبهم قال له من انت ؟ فكشف معن لثامه وقال انا طلبتك بالمير المؤمنين معن بن زائدة ! فأمنه المنصور وأكرمه وحباه ورتبه فى خواصه . وله فى الجود اخبار حسان . وكان شاعره مروان بن ابى حفصة . وكان قد ولى سجستان فى اواخر ايامه . فبيناهو فى داره وعنده صناع يعملون له إندس بينهم بعض الخوارج فقتلوه . فتتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد حتى ابادهم عن آخرهم . وذلك فى سنة ١٥٨ هـ

(١) هو عبد الرحمن بن ام الحكم بنت ابى سفيان . ولاه معاوية عدة ولايات ومنها الكوفة فلم تحمد ولايته فعزله واطرحه وقال له : يابنى قد جهدت ان انفقك وانت تزداد كسادا . وكان عبدالله ابن الزبير الاسدى مدحه فلم يثبه فهجاه فحبسه وضربه ضربا مبرحا وهدم داره فشكاه إلى معاوية فاعطاه وارضاه . غير ان كلماته التى رواها الجاحظ تدل على العقل والنبل والكرم

وقال ابنُ الأشعث : لولا أربع خِصال ما أعطيت بشرياً طاعة ، لو ماتت أم عِمران ، يعنى أمه ، ولو شاب رأسى ولو قرأت القرآن ولو لم يكن رأسى صغيراً

وقال مُعاوية : أُعِنْتُ عَلَى عَلِيٍّ بثلاث خصال : كان رجلا يُظهر سره وكنتُ كتوماً لسرى ، وكان فى أخبث جُند وأشده خِلافاً وكنت فى أطوع جند وأقله خلافاً[1] ، وخلا بأصحاب الجمل فقلت : إن ظفر بهم اعتددت بهم عليه وَهْناً فى دينه وإن ظفروا به كانوا أهون عَلَىَّ شوكة منه ، وكنتُ أحبَّ إلى قُرَيش منه فكم شتيت جامع إلىَّ ومفرق عنه .

جَهْمُ بْنُ حَسَّان السَّليطى قال : قال رجل للأحنف : دلنى على حمد بلا مَرزِئة ! قال : الخلق السجيح والكف عن القبيح ، ثم اعلموا أن أدوى الداء اللسان البذىء والخلق الردىء .

وقال محمد بن حَرب الهلالى : قال بعض الحكماء : لا يكونن منكم المحدِّثُ ولا يُنصَتُ له ، والداخل فى سر اثنين لم يُدخلاه ، ولا آتى الدعوةَ لم يُدعَ إليها ، ولا الجالس المجلس لا يستحقه ، ولا الطالب الفضلَ من أيدى اللئام ، ولا المتعرض للخير من عند عدوه ، ولا المتحمق فى الدالة .

باب مزدوج الكلام

قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاوية بن أبى سفيان « أللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكتابَ والحسابَ وَقِهِ العذابَ »

وقال رجل من بنى أسد : مات لشيخ منا ابنٌ فاشتد جزعه عليه فقام إليه

(١) وللجاحظ فى هذا الشأن تعليل بديع قال : العلة فى عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام أن أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبة . ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث ، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال والتمييز بين الرؤساء وإظهار عيوب الأمراء ، وأهل الشام ذوو بلادة وتقليد وجمود على رأى واحد لا يرون النظر ولا يسألون عن مغيب الأحوال ، وما زال العراق موصوفاً أهله بقلة الطاعة وبالشقاق على أولى الرئاسة .

شيخ منا فقال : إصبر أبا أمامة ، فإنه فرط أفرطته وخير قدمته وذُخر أدَّخرته ! قال مجيباً له : ولدٌ دفنته وثُكل تعجلته وغيب وُعدته ، والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد .

قال الأصمعى : قال ابنُ قَصير : خير الخيل الذى إذا استدبرته حبا وإذا استقبلته أقعى واذا استعرضته استوى واذا مشى ردى وإذا ردى دحا . ونظر ابنُ قصير إلى خيل عبدِ الرحمنِ بْنِ أم الحكم فأشار إلى فرس منها فقال : تجيء هذه سابقة ! قالوا : وكيف ؟ قال : رأيتها مشت فكَتَفَتْ وخَبَّتْ فوجفت وعدت فنسفت ، وذكرت امرأة زوجها فقالت : ذهب ذفره [١] وأقبل بَخره [٢] وفتر ذكره . وكان مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه يسمع شعر جَرِيْرٍ والفرَزْدَقِ فسأله أبوه عنهما فقال: جَرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر ، فقال : الذى يُغرف من بحر أشعرهما .

***

قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الأحاديث بعد ما أسقطنا به مؤنة الخطب الطوال، وسنذكر من الخطب المسندة إلى أربابها مقداراً لا يستفرغ مجهود من قرأها ثم نعود بعد ذلك إلى ما قصر منها وخف وإلى أبواب قد تدخل فى هذه الجملة وإن لم تكن مثل هذه بأعيانها، والله الموفق .

خطبة عبد الله بن الاهتم

عن خالدِ بنِ صفوان قال: دخل عبدُ الله بنُ الاهتم على عمرِ بن عبدالعزيز

(١) كان بالاصول : ذهب زفره ، وهو خطأ والصواب بالذال كما اثبتناه . والذفر : الرائحة الشديدة الاريج .

(٢) البخر : نتن الفم

رحمه الله تعالى مع العامة فلم يفجأ عمر إلا وهو ماثل بين يديه يتكلم(١)، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإن الله(٢) خلق الخلق غنيا عن طاعتهم آمناً لمعصيتهم ، والناس يومئذ فى المنازل والرأى مختلفون والعرب بشَرِّ تلك المنازل ، أهل الوبر وأهل المدر(٣) تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاغة عيشتها(٤) ميتهم فى النار وحيهم أعمى مع مالا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه ، فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته بعث [فيهم] رسولا [من أنفسهم] « عزيزٌ عليهِ ما عنِتّمْ حَرِيصٌ عليكم بالمؤْمنينَ رَؤفٌ رَحيم » فلم يمنعهم ذلك [من] أن جرحوه فى جسمه ولقبوه فى اسمه ، [وأخرجوه من داره](٥) ومعه كتاب من الله لا يرحل الا بأمره ولا ينزل الا بأذنه [ويمده بملائكته ويخبره بالغيب المكتوم من أمره وضمن له ظفر عاقبة الأمور](٦) واضطروه الى بطن غار(٧) فلما أمر بالغرامة(٨) أصفر لأمر الله لونه ، فأفلج الله حجته ، وأعلى كلمته ، وأظهر دعوته(٩) ، ففارق الدنيا تقيا نقيا صلى الله عليه وسلم

ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فسلك سنته وأخذ بسبيله ، وارتدت العرب(١٠) فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الذى كان

(١) فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم: ودخل خالد بن صفوان بن الاهتم على عمر ابن عبد العزيز فقال يا امير المؤمنين انحب ان تطرا ؟ قال : لا ، قال . افتحب ان توعظ ؟ قال: نعم ، قال فقام فحمد الله ، الخ

(٢) فى السيرة : فان الله بجلاله خلق .

(٣) فى السيرة : اهل دبر واهل وثن واهل حجر

(٤) فى الاصول : ورفاعة عيشتها ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه . ورفاغة العيش سعته ولينه

(٥) هذه الزيادة من السيرة لابن عبد الحكم

(٦) فى السيرة : « معه من الله بينة لايتقدم إلا بامره ولا يخرج إلا باذنه »

(٧) فى السيرة : « اختبا فيه واخذ حبل الذمة من الاملاء »

(٨) فى السيرة : « فلما امر بالعزم وحمل على الجهاد وانبسط لامر الله ومضى على الذى امر به من تبليغ الرسالة وإظهار الحق ومجاهدة العدو »

(٩) فى السيرة : فقبضه الله على سنته

(١٠) فى السيرة : « او من ارتد منهم وعرضوا على ان يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة فابى ان يقبل »

قابلا منهم ، فانتضى السيوف مِن أغمادها وأوقد النيران من شُعلها ثم ركب بأهل الحق أهلَ الباطل فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقى الأرض دماءهم حتى أدخلهم فى[1] الذى خرجوا عنه وقررهم بالذى نفروا منه . وقد كان أصاب من مال الله بكراً يرتوى عليه وحبشية ترضع ولداً له فرأى ذلك غصة عند موته فى حلقه ، فأدى ذلك إلى الخليفة مِن بعده و برىء إليهم منه ، وفارق الدنيا تقا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنه .

ثم قام من بعده عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمصَّرَ الأمصار وخلط الشدة باللين وحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه وأعد للأمور أقرانها وللحرب آلتها ، ولما أصابه قِنُّ[2] المغيرة بن شُعبة أمر ابنَ عباس يسأل الناس : هل يثبتون قاتله ؟ فلما قيل له : قِن المغيرة ، استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه ذو حق فى الفىء ، فيستحل دمه بما استحل من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضعاً وثمانين ألفاً ، فكسر بها رباعه وكره بها كفالة أهله وولده ، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما . ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظُلع .[3] ثم إنك يا عمر ابنُ الدنيا[4] ولدتك ملوكها [وغذتك كلاءها][5] وألقمتك ثديها[6] ، فلما وليتها ألقيتها حيث ألقاها الله[7] ، فالحمد لله الذى جلا بك حوبتنا وكشف بك كربتنا[8] ، إمض

(١) فى السيرة : « فى الباب الذى » .
(٢) قن المغيرة : هو ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وهو الذى وجأ عمر فقتله
(٣) ظلع : عرج
(٤) فى السيرة : « ثم انت يا امير المؤمنين بين يدى الدنيا » .
(٥) فى السيرة : « وانت بت تلتمسها من مظانها حتى إذا افضت اليك »
(٦) فى السيرة : « إلا ماتزودت منها » .
(٧) كان بالاصول : حوبتها وكربتها . والصواب ماأثبتناه عن السيرة . وفي السيرة بعد ذلك « وصدق بك قولنا عليك » .

ولا تلتفت فإنه لا يُغني من الحق شيئاً ، (١) أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات . قال . ولما أن قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظلع ، سكت الناس كلهم إلاهشاماً فإنه قال : كذبت .

خطبة عمر بن عبد العزيز

خطب عمر بن عبد العزيز بِخُنَاصِرَةَ (٢) خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عَبثا ولن تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم (٣) ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء وحُرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا بباق ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى تُرد إلى خير الوارثين ، ثم أنتم فى كل يوم تُشيعون غاديا ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ثم تُغيبونه فى صَدع من الارض ثم تدَعونه غير مُوسد ولا مُمهد قد خلع الأسلاب وفارق الأحباب وواجه الحساب [وسكن التراب مرتهنا بعمله] (٤) غنيا عما ترك فقيراً إلى ما قدم ، وأيم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فأستغفر الله لى ولكم ، وما تبلغنا حاجة يتسع لها ماعندنا إلا سددناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدى وبلحمتى (٥) الذين يلوننى حتى يستوى عيشنا وعيشكم ، وأيم الله أن لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولا عالما بأسبابه ، لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

(١) فى السيرة : « فانه لايذل على الحق شىء ولا يعز على الباطل شىء » .
(٢) خناصرة : بلد بالشام قيل إنها سميت باسم خناصرة بن عروة بن الحارث
(٣) فى السيرة : « وإن لكم معاداً ينزل الله تبارك وتعالى للحكم فيه والفصل بينكم »
(٤) الزيادة من السيرة
(٥) كان بالاصول : « ويحمى » وليس هذا مكانها والصواب عن السيرة وهو اليق بالمقام

ثم بكى فتلقى دموع عينيه بطرف ردائه ثم نزل فلم ير على تلك الأعواد حتى قبضه الله .

خطبة أخرى ذهب عنى اسنادها

أما بعد فانك ناشئ فتنة وقائد ضلالة قد طال جُثومها واشتدت غمومها وتلونت مصائد عدو الله فيها وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما فى عواقبها ، فلن يهدّ عمودها ولن ينزع أوتادها إلا الذى بيده تلك الأشياء ، وهو الله الرحمن الرحيم ، ، ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظُلمتها ولم يشايعوا أهلها على شبهتها ، مصابيح النور فى أفواههم تزهو وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ، ركبوا نهج السبيل وقاموا على العَلم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم وبهم يصلح الله البلاد ويدفع عن العباد ، فطوبى لهم وللمستصبحين بنورهم ، أسأل الله أن يجعلنا منهم .

خطبة ابى حمزه الخارجى

دخل أبو حَمْزَةَ الخارجى (١) مكة — وهو أحد نساك الاباضية وخطبائهم ،

(١) هو ابو حمزة يحيي بن المختار بن عوف الازدى الخارجى كان يرد الموسم كل سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد ، وظل هكذا حتى ورد عبد الله بن يحيي فى اواخر سنة ١٢٨هـ فقال له : يارجل ، اسمع كلاماً حسناً اراك تدعو إلى حق فانطلق معى فانى رجل مطاع فى قومى ، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه ابو حمزة على الخلافة ودعا إلى الثورة على مروان وآل مروان ، وبينما الناس بعرفة سنة ١٢٩ طلع عليهم ابو حمزة فى سبعمائة من اتباعه يحملون رماحاً عليها اعلام وعمائم سود ، ففزع الناس ، وراسلهم عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك ، وكان يومئذ على مكة والمدينة ، ثم خلى لهم مكة فدخلها ابو حمزة واصحابه بغير قتال . وفى سنة ١٣٠ دخل ابو حمزة المدينة بعد قتال شديد وقع له بقديد مع عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعساكره . وقد خطب على منبر رسول الله خطباً آية فى البلاغة والموعظة ، ثم إن ابا حمزة ترك المدينة وسار بجموعه نحو الشام ، وكان مروان قد اعد لقتاله اربعة آلاف فارس بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى ، فجد عبدالملك فى طلبه حتى لقيه بوادى القرى فصمد له وقاتله اشد قتال ، وما زال به حتى خر ابو حمزة صريعاً وانهزم اصحابه . وذلك فى اواخر سنة ١٣٠ هـ

واسمه يحيى بن المختار — فصعد منبرها متوكئاً على قوس له عربية ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (١)

أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتأخر ولا يتقدم إلا باذن الله وأمره ووحيه ، أنزل الله له كتابا بَيَّنَ له فيه ما يأتى وما يتقى فلم يكن فى شك من دينه ولا شبهة فى أمره ، ثم قبضه الله إليه وقد علَّم المسلمين معالم دينهم (٢) وولى أبا بكر صلاتهم فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر دينهم ، فقاتل أهل الرِّدَّة وعمل بالكتاب والسنة ، فمضى لسبيله رضى الله تعالى عنه .

ثم (٣) ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسار بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة وجبى الفيء وفرض الأعطية وجمع الناس فى شهر رمضان وجلد فى الخمر ثمانين وغزا العدو فى بلادهم ، ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه

ثم (٤) ولى عثمان بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه .

---

(١) روى ابو الفرج هذه الخطبة لابى حمزة وقال انه إنما ألقاها عن منبر الرسول بالمدينة . وكان سبب ذلك ان ابا حمزة لما دخل المدينة بلغه ان اهلها يعيبون اصحابه لحداثة اسنانهم وخفة احلامهم فصعد المنبر وقال : ياأهل المدينة قد بلغتنى مقالتكم فى اصحابى ولولا معرفتى بضعف رأيكم وقلة عقولكم لاحسنت ادبكم ، ويحكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل عليه الكتاب وبين له فيه السنن وشرع له فيه الشرائع وبين له فيه مايأتى وما يذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ولا يحجم إلا عن امر الله حتى قبضه الله إليه وقد ادى الذى عليه لم يدعكم من امركم فى شبهة .

(٢) قال : ثم قام من بعده ابو بكر فأخذ بسنته وقاتل اهل الردة وشمر فى امر الله حتى قبضه الله إليه والامة عنه راضية ، رحمة الله عليه ومغفرته

(٣) قال : ثم ولى بعده عمر فأخذ بسنة صاحبيه وجند الاجناد ومصر الامصار وجبى الفيء وقسمه بين اهله وشمر عن ساقيه وحسر عن ذراعيه وضرب فى الخمر ثمانين وقام فى شهر رمضان وغزا العدو فى بلادهم وفتح المدائن والحصون حتى قبضه الله إليه والامة عنه راضية رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته .

(٤) قال : ثم ولى من بعده عثمان بن عفان فعمل فى ست سنين بسنة صاحبيه ثم احدث احداثا ابطل آخرها اولها واضطرب حبل الدين بعدها فطلبها كل امرىء لنفسه واسر كل رجل منهم سريرة ابداها الله عنه حتى مضى على ذلك .

ثم ولى على بن أبى طالب فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع له مناراً ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه .

ثم[١] ولى مُعاوية بن أبى سُفيان لَعين رسول الله وابن لَعينه ، اتخذ عباد الله خولا ومالَ الله دولا ودينه دَغلا ، ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله .

ثم[٢] ولى يزيد بن معاوية ، يزيد الخمور ويزيد القرود ويزيد الفهود ، الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه[٣]

ثم اقتصَّهم خليفة خليفة فلما انتهى إلى عمر بن العزيز[٤] أعرض عنه ولم يذكره ثم قال :

ثم[٥] ولى يزيد بن عبد الملك الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه الذى لم يؤنس منه رشد وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى « فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً

---

(١) قال : ثم ولى معاوية بن ابى سفيان لعين رسول الله وابن لعينه وجلف من الاعراب وبقية من الاحزاب مؤلف طليق فسفك الدم الحرام واتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا وبغى دينه عوجا ودغلا وأحل الفرج الحرام وعمل بما يشتهيه حتى مضى لسبيله .

(٢) قال : ثم ولى بعده ابنه يزيد يزيد الخمور ويزيد الصقور ويزيد الفهود ويزيد الصيود ويزيد القرود فخالف القرآن واتبع الكهان ونادم القرد وعمل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك .

(٣) قال : ثم ولى مروان بن الحكم طريد لعين رسول الله وابن لعينه فاسق فى بطنه وفرجه .. ثم تداولها بنو مروان بعده اهل بيت اللعنة طرداء رسول الله وقوم من الطلقاء ليسو من المهاجرين والأنصار ولا التابعين باحسان فأكلوا مال الله أكلا ولعبوا بدين الله لعبا واتخذوا عباد الله عبيداً يورث ذلك الاكبر منهم الاصغر ، فيالها امة ما أضيعها واضعفها والحمد لله رب العالمين ثم مضوا على ذلك من اعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى قد نبذوه وراء ظهورهم .

(٤) قال : وقد ولى منهم عمر بن عبد العزيز فبلغ ولم يكد وعجز عن الذى اظهره حتى مضى لسبيله .

(٥) قال : ثم ولى يزيد بن عبد الملك غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين لم يبلغ اشده ولم يؤنس رشده وقد قال الله عز وجل « فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » فأمر أمة محمد فى احكامها وفروجها ودمائها اعظم من ذلك كله وإن كان ذلك عند الله عظيما ، مأبون فى بطنه وفرجه يشرب الحرام ويأكل الحرام ويلبس الحرام ، يلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على أهلهما بالف دينار وأكثر وأقل ، قد أخذت من غير حلها وصرفت في غير وجهها بعد أن ضربت فيها الابشار وحلقت فيها الاشعار واستحل مالم يحل الله لعبد صالح ولا لنبى مرسل ثم يجلس حبابة عن يمينه وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامير الشيطان ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصا بعينها حتى إذا أخذت مأخذها فيه وخالطت روحه ولحمه ودمه وغلبت سورتها على عقله مزق حلتيه ثم التفت إليهما فقال : اتأذنان لى فى ان اطير ؟ نعم فطر إلى النار إلى لعنة الله لايردك الله .

فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ » فأمرُ أمة محمد أعظم ، يأكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس الحلة قوّمت بألف دينار قد ضربت فيها الأبشار وهُتكت فيها الأستار وأخذت من غير حِلها ، حَبابة عن يمينه وسَلاَّمة عن يساره تغنيانه حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قدّ ثوبه ثم التفت إلى إحداهما فقال : ألا أطير ؟ نعم فطر إلى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه .

وأما[١] بنو أمية ففرقة ضلالة و بطشهم بطش جَبرية يأخذون بالظِّنَّة و يقضون بالهوى و يقتلون على الغضب و يحكمون بالشفاعة و يأخذون الفريضة من غير موضعها و يضعونها فى غير أهلها وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف فقال : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ » فأقبل صنفٌ تاسع منها فأخذها كلها، تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله .

وأما[٢] هذه الشيعُ فشيعٌ ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله لم يفارقوا الناس ببصر نافذ فى الدين ولا بعلم نافذ فى القرآن ينقمون المعصية على أهلها

(١) ثم ذكر بنى أمية واعمالهم وسيرهم فقال : اصابوا إمرة ضائعة وقوما طغاما جهالا لا يقومون لله بحق ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ويرون ان بنى امية ارباب لهم ، فملكوا الامر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية بطشهم بطش الجبابرة يحكمون بالهوى ويقتلون على الغضب وياخذون بالظن ويعطلون الحدود بالشفاعات ويؤمنون الخونة ويقصون ذوى الامانة وياخذون الصدقة على غير فرضها ويضعونها فى غير موضعها ، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما انزل الله . . .

(٢) قال : واما إخواننا من هذه الشيع فليسوا باخواننا فى الدين لكن سمعت الله عز وجل قال فى كتابه « إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » شيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله لا يرجعون إلى نظر نافذ فى القرآن ولا عقل بالغ فى الفقه ولا تفتيش عن حقيقة الصواب ، قد قلدوا امرهم أهواءهم وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه فى جميع مايقوله لهم غيا كان أو رشدا ، ضلالة أو هدى ، ينتظرون الدول فى رجعة الموتى ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ويدعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم ما فى داخل بيته بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه او يحويه جسمه ، ينقمون المعاصي على اهلها ويعملون إذا ظهروا بها ولا يعرفون المخرج منها ، جفاة فى الدين قليلة عقولهم قد قلدوا اهل بيت من العرب دينهم وزعموا ان موالاتهم لهم تغنيهم عن الاعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الاعمال السيئة ، قاتلهم الله اني يؤفكون . فاى هولاء الفرق يا اهل المدينة تتبعون او باى مذاهبهم تقتدون !

ويعملون إذا وُلُّوا بها يُصرون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ، جُفاة عن القرآن أتباع كُهان يؤملون الدول فى بعث الموتى و يعتقدون الرّجعة إلى الدنيا ، قلدوا دينهم رجلا لاينظر لهم ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :(١)

يا أهل الحجاز ، أتعيّرونني بأصحابي وتزعمون أنهم شباب ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً ؟ أما والله إنى لعالم بتتايعكم فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم ، شبابٌ والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة وأطلاح سهر ، فنظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مرّ أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها و إذا مرّ بآية من ذكر النار شهق شهقة [خوفامنها] كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كَلالهم بكلالهم ، كَلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم واستقلوا ذلك فى جنب الله حتى إذا رأوا السهام قد فُوّقَتْ والرماحَ قد أُشرعت والسيوف قد انتُضِيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت و برقت ، إستخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشاب منهم قُدُماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه وتخضبت

(١) قال : بلغتنى مقالتكم فى اصحابي وما عبتموه من حداثة اسنانهم ، ويحكم ؟ وهل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا احداثا ؟ شباب والله مكتهلون فى شبابهم غضيضة عن الشر اعينهم ثقيلة عن الباطل ارجلهم ، انضاء عبادة قد نظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية اصلابهم على اجزاء القرآن كلما مر احدهم بآية من ذكر الله بكى شوقا وكلما مر بآية من ذكر الله شهق خوفا ، كان زفير جهنم بين اذنيه ، قد اكلت الارض جباههم وركبهم ووصلوا كلال الليل بكلال النهار مصفرة الوانهم ناحلة اجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام ، انضاء عبادة موفون بعهد الله منتجزون لوعد الله قد شروا انفسهم حتى إذا التقت الكتيبتان وابرقت سيوفهما وفوقت سهامهما واشرعت رماحهما تلقوا شبا الاسنة وشائك السهام وظباة السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم ، فمضى الشاب منهم حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينه بالثرى وانحطت عليه الطير من السماء وتمزقته سباع الارض ، فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بها صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فراق الاخوان ، رحمة الله على تلك الابدان وأدخل الله أرواحهم الجنان

بالدماء محاسن وجهه فأسرعت إليه سباعُ الأرض ، وانحطت إليه طيرُ السماء ، فكم من عين فى منقار طائر طال مابكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله . ثم قال : أوه أوه أوه ، ثم بكي ثم نزل .

خطبة قطرى بن الفجاءة

صعد قَطَرِىُّ بنُ الفُجاءةِ[١] — وهو أحد بنى مازن بن عمرو بن تميم — مِنبر الأزارقة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنى أحذركم الدنيا فإنها حُلوة خضرة حُفَّتْ بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحُلِّيت بالآمال وتزينت بالغرور ، لاتدُومُ حَبْرَتُها[٢] ولاتؤمن فَجعتُها ، غرّارة ضرّارة خوّانة غدّارة ، وحائلة زائلة ونافِدة بائدة[٣] أكالة غوّالة بدّالة نقالة ، لاتعدو إذا هى تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى « كماء أنزلناهُ مِنَ السَّماءِ فاختلَطَ بهِ نباتُ الأرضِ فأصبَحَ هشيما تذرُوهُ الرِّياحُ وكانَ اللهُ على كُلِّ شَىْءٍ مُقتدِراً » مع أن امرأً لم يكن منها فى حَبرة إلا أعقبته بعدها عَبرة[٤] ، ولم يلْق من سرّائها بطناً إلا منحته من ضرّائها ظهراً ، ولم تطلّه غَيْثة رخاء إلا أهطلت عليه مُزنة بلاء[٥] ، وحرِىٌّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسى له خاذلةً مُتنكرة ، وإن جانبٌ منها أعذَوْذَبَ واحلَوْلَى أمرّ عليه جانبٌ وأوْبى[٦] ، وإن أتت امرأً من غضارتها ورفاهتها نِعمة

---

(١) قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ وراجع ص ٢٧٠ من الجزء الأول

(٢) الحبرة : السرور والانشراح

(٣) كان فى الاصول : ونافذة بائدة ، وهو خطأ والصواب ما ابتناه . ونافدة وبائدة بمعنى واحد

(٤) العبرة : البكاء

(٥) ولم تطله غيثة رخاء : تمطره غيث خصب ونماء . واهطلت عليه مزنة بلاء : أمطرته سحابة فيها البلاء النازل

(٦) اعذوذب واحلولى : كان عذبا حلوا . أمر وأوبى : صار مرا وبيئا

أرهقته من نوائبها نقماً . ولم يمس امرؤ منها فى جناح أمن إلا أصبح منها على قوادم خوف ، غرور مافيها فان ماعليها لاخير فى شىء من زادها إلا التقوى ، من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكى عينيه . كم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة إليها قد صرعته وذى احتيال فيها قد خدعته ، وكم من ذى أبهة بها قد صيرته حقيراً وذى نخوة قد ردته ذليلا ، وكم من ذى تاج قد كبته لليدين والفم ، سلطانها دول ، وعيشها رنق(١) وعذبها أجاج وحلوها صبر ، وغذاؤها سِمام وأسبابها رِمام وقطافها سلع(٢) حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام ، مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب ، مع أن وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعماراً وأوضح منكم آثاراً وأعد عديداً وأكثف جنوداً وأعند عنوداً ؟ تعبدوا للدنيا أى تعبد وآثروها أى إيثار وظعنوا عنها بالكره والصغار ، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية ! أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب ، بل قد أرهقتهم بالفوادح(٣) وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم بالمصائب ، وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد الى آخر المسند(٤) هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة ! أفهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم إليها تطمئنون ؟! يقول الله « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ».

---

(١) كان بالاصول : وغيثها رنق ، واللائق ببلاغة الكلام ما أثبتناه . والعيش الرنق : الحياة الكدرة المشوبة بالأقذاء

(٢) وقطافها سلع : مر خبيث الطعم

(٣) أرهقتهم بالفوادح : حملتهم من المصائب الفارحة مالا طاقة لهم به

(٤) آخر المسند : آخر الدهر

فبئست الدار لمن أقام فيها ! فاعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابد فإنما هي كما وصفها الله باللعب واللهو ، وقد قال الله تعالى « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ » وذكر الذين قالوا مَن أشدّ منا قوة ؟ ثم قال : حُملوا إلى قبورهم فلا يُدعون رُكباناً ، وأنزلوا فلا يُدعون ضيفاناً ، وجُعل لهم من الضريح أجنان(١) ومن التراب أكفان ومن الرُّفات جيران(٢) فهم جيرة لا يُجيبون داعياً ولا يمنعون ضيما ، إن أخصبوا لم يَفرحوا وان أقحطوا لم يَقنطوا ، جَمعٌ وهم آحاد وجيرةٌ وهم أبعاد ، متناؤن لا يَزورون ولا يُزارون ، حلماء قد ذهبت أضغانهم وجُهلاء قد ماتت أحقادُهم ، لا يُخشى فجعهم ولا يُرجى دَفعهم ، وكما قال الله تعالى « فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ » إستبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسَّعة ضيقاً وبالأهل غُربة وبالنور ظُلمة ، فجاؤها كما فارقوها حُفاةً عُراةً فُرادى ، غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود الأبد ، يقول الله تعالى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » فاحذروا ما حذّركم الله وانتفعوا بمواعظه واعتصموا بحبله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ورزقنا وإياكم أداء حقه .

خطبة محمد بن سليمان — يوم الجمعة ، وكان لا يغيرها(٣)

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأُومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله « أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ

---

(١) اجنان جمع جنة ، وهو ما يجتن به ويستتر

(٢) الرفات : حطام الجسم وهو مفرد مذكر

(٣) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي . كان من سروات بني العباس وامرائهم ولي الحجاز والبصرة والكوفة . وشى بعبد الكريم بن ابي العوجاء إليه وبأنه يضع الأحاديث ويفسد الاحداث ويدخل في الدين ما ليس منه فقتله وشتت شمل الزنادقة . وكان سري الحال جيد الطعام تغدى عنده العماني الشاعر يوما فقدمت إليه الوان من الطعام بهر لها العماني فقال له محمد : صف لنا ما اكلت فقال :

جاؤا بفرني لهم ملبون   بات يسقي خالص السمون

الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعروة الوثقى وسعد فى الأولى والآخرة، « ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيداً » وخسر خسراناً مبيناً . أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويتجنب سخطه فإنما نحن له وبه ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله وأرضى لكم ما عند الله فإن تقوى الله أفضل ما تحاث الناس عليه وتداعوا إليه وتواصوا به « فاتقوا الله ما استطعتم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون »

خطبة عبيد الله بن زياد (١)

صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية ، وحيث بلغه أن سلمة بن ذؤيب الرياحى قد جمع الجموع يريد خلعه . فقال :

مصوّمع اكوم ذى غضون ... قد حشيت بالسكر المطحون
ولونوا ما شئت من تلوين ... من بارد الطعام والسخين
ومن شراسيف ومن طرذين ... ومن هلام ومصيص جون
ومن إوز فائق سمين ... ومن دجاج فت بالعجين
فالشحم فى الظهور والبطون ... واتبعوا ذلك بالجوزين
وبالخبيص الرطب واللوزين ... وفكهوا بعنب وتين
والرطب الازاذ والطيرون ... محمد يا سيد البنين
وبكر بنت المصطفى الامين ... الصادق المبارك الميمون
وابن ولاة البيت والحجون ... إسمع لنعت غير ذى تفنين
يخرج من فن إلى فنون ... إن الحديث قبل ذو شجون

(١) هو عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان . كان يكنى ابا حفص ، وكان زياد بعد مولد عبيد الله قد طلق أمه مرجانة وزوجها من شيرويه الاسوارى ودفع إليها عبيد الله فنشأ بين الاساورة ومن هنا جاءته اللكنة . ولاه معاوية خراسان ثم ولى البصرة خمس سنين فلما مات أبوه ضمت إليه الكوفة فكانت ولايته على العراقين ثمان سنين . وفى عهده خرج الحسين بن على فسير إليه الجيوش بامر يزيد بن معاوية وعليها عمر بن سعد بن ابى وقاص فقتل رحمه الله . فلما مات يزيد بن معاوية ثار به أهل البصرة واخرجوه من داره بعد خطبته التى رواها الجاحظ فى الاصل فاستجار بمسعود بن عمرو الازدي فلما قتل مسعود هرب إلى الشام فكان مع مروان بن الحكم وكان يوم مرج راهط على إحدى مجنبتى عسكره فلما ظفر مروان بالضحاك بن قيس الفهرى وقتله رده مروان إلى العراق فبينا هو قد قرب من الكوفة التقى به ابراهيم بن الاشتر النخعى على جيش من جيوش المختار بن

يا أهل البَصرة انسبونى ، فوالله ما مُهاجَرُ أبى إلا إليكم وما مولدى إلا فيكم وما أنا إلا رجل منكم ، والله لقد وليكم أبى وما مُقاتلتكم إلا أربعون ألفاً فبلغ بها ثمانين ألفاً ، وما ذُريتكم إلا ثمانون ألفاً وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف ، وأنتم أوسع الناس بلاداً وأكثره جنوداً وأبعد مَقادا وأغنى الناس عن الناس ، أنظروا رجلا تُولونه أمركم يَكفِّ سُفهاءكم ويُجْبى لكم فَيْئكم ويَقسمه فيما بينكم فإنما أنا رجل منكم . فلما أبوا غيره قال : إنى أخاف أن يكون الذى يدعوكم الى تأميرى حداثة عهدكم بأمرى.

وصية معاوية بن أبى سفيان

ولما حضرت معُاوِيَةَ الوفاةُ ويزيدُ غائب دعا معُاوية مُسْلِمَ بنَ عُقْبَةَ المُرّى والضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الفِهْرِىَّ فقال :

أبلغا عنى يَزيْدَ وقولا له : أنظر إلى أهل الحجاز فهم أصلُكَ وعترتُكَ فمن أتاكَ منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعهده ، وانظر الى أهل العراق فإن سألوك عزل عامل لهم فى كل يوم فاعزله عنهم فإنَّ عزل عامل أهون عليك من سلِّ مائة ألف سيف ثم لا تدرى على ما أنت عليه منهم ، ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشِّعارَ دون الدِّثار فإن رابكَ من عدوك رَيْبٌ فارمهم بهم فإن أظفرك الله بهم فاردد أهلَ الشام إلى بلادهم ولا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدَّبوا بغير أدبهم . لست

ابى عبيد الثقفى فناجزه الحرب فظفر به وقتله فى ثار الحسين وكان ذلك يوم عاشوراء سنة ٦٧ ه
وفي قتل الحسين بن على قال سليمان بن قتة التيمي يرثيه :

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها كعهدها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن اصبحت من اهلها قد تخلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم ... اذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا رجاء ثم صاروا رزية ... ألا عظمت تلك الرزايا وجلت
وعند غنى قطرة من دمائنا ... سنجزيهم يوما بها حيث حلت
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها ... وتقتلنا قيس إذا النعل زلت

أخاف عليك غيرَ عبدِ اللهِ بنِ عُمر[١] وعبدِ اللهِ بنِ الزُّبيْرِ وحُسَينِ بنِ علي، فأما عبد الله بنُ عُمرَ فرجل قد وقذه الورع، وأما الحسينُ فإنى أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب. وفى غير هـذه الرواية: فإن ظفرت بابن الزُّبير فقطعه إرباً. فمـات معاوية فقام الضَّحَّاكُ ابنُ قَيْسٍ خطيباً فقال:

إن أمير المؤمنين معُاويةَ كان أنفَ العرب، وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومُخْلونَ بينه وبين ربه، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره. فصلى عليه الضَّحَّاكُ بن قيس، ثم قدم يَزيدُ ولده فلم يُقدِمْ أحدٌ على تعزيته[٢] حتى دخل عليه عبدُ اللهِ بنُ همَّامٍ السَّلولِيُّ فأنشأ يقول:

إصْبرْ يَزِيدُ فقدْ فارَقْتَ ذَا كَرَمٍ … واشكرْ حِباءَ الَّذِي بالملْكِ أصْفاكَ[٣]

لارُزْءَ أصْبَحَ فى الأقْوامِ قدْ عَلِمُوا … كما رُزِئْتَ وَلا عُقْبى كَعُقْباكَ[٤]

أصْبَحْتَ رَاعِىَ أهْلِ الدِّينِ كلِّهِمِ … فأنْتَ تَرْعَاهمُ واللهُ يَرْعَاكَ[٥]

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، كان يكنى ابا عبد الرحمن. اسلم مع أبيه بمكة وهو صغير وشهد المشاهد بعد يوم بدر وأحد. وكان ممن توقف عن البيعة لعلى تحرجا من الفتنة ولم يشهد معه ولا مع خصومه شيئاً من تلك الأحداث، وكان جليل القدر مبجلا مخشي الجانب موقرا كثير الورع والتقوى. وقد زعم ناس انه دخل على الحجاج ايام عبد الملك وقال له يدك ابايعك لعبد الملك فمد الحجاج إليه رجله وكان نائماً وقال له اصفق على هذه! وانا اشك فى هذه الرواية. وكان الحجاج يخشى جانبه ويخاف نفوذه وقوة تأثيره فدس إليه رجلا من جنده فسم زج رمحه والتقى معه فى الطريق فزحمه وطعنه فى ظهر قدمه بالزج المسموم فتورمت قدمه وسري السم في جسمه فمات رحمه الله.

(٢) وقد روى المبرد (انه خرج وهو مريض) فخطب الناس فقال: ايها الناس، إنى من زرع قد استحصد ولن يأتيكم بعدى إلا من انا خير منه كما لم يكن قبلى إلا من هو خير منى. وقال لبناته عند وفاته: قلبننى إنكن لتقلبن حولا قلبا إن وقي كبة النار. فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بابيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال: السلام عليك امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إنك قد فجعت بخير الآباء واعطيت خير الاشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطية، فلا اعطى احد كما اعطيت ولا رزئ كما رزئت. فقام ابن همام السلولى فانشده

(٣) رواية المبرد: فقد فارقت ذا مقة. واشكر بلاء.

(٤) رواية المبرد: ما إن رزئ احد فى الناس نعلمه

(٥) رواية المبرد: أصبحت تملك هذا الخلق كلهم

وفى مُعاوِيَةَ البَاقِى لَنا خَلفٌ   إذا نُعِيتَ ولا نَسْمَعْ بِمَنْعَاكَ[١]

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك .

خطبة قتيبة بن مسلم الباهلى

قام بخُرَاسانَ حين خَلَعَ[٢] فقال : أتدرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يَزِيدَ بن ثَرْوَانَ — يعنى هَبَنَّقَةَ القَيسِىَّ[٣] — كأنّى بأمير من حاء وحَكَم[٤] قد أتاكم يحكم فى أموالكم وفروجكم وأبشاركم ، ثم قال : الأعراب وما الأعراب فلعنة الله على الأعراب ، جمعتكم كما يجمع قرع الخريف من منابت الشيح والقيصوم ومنابت القاقِل[٥] وجزيرة ابن كاوان[٦] تركبون البقر وتأكلون القَضْبَ[٧] فحملتكم على الخيل وألبستكم السلاح ، حتى فتح الله بكم البلاد[٨] وأفاء بكم الفيء . قالوا : مُرنا بأمرك ؟ قال : غرّوا غيرى . وخطب مرة أخرى فقال :

يا أهل العراق : ألست أعلم الناس بكم ؟ أمّا هذا الحى من أهل العالية فنَعَمُ الصَّدَقَة[٩] ، وأما هذا الحى مِن بَكر بنِ وَائل فعِلجَة بَظراء لا تجمع رجليها ،

---

(١) يريد معاوية بن يزيد

(٢) حين خلع : يعنى خلع بيعة سليمان بن عبد الملك

(٣) كان فى الاصول : يزيد بن ثوران ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وهبنقة هذا هو المضروب به المثل فى الحمق فى العرب ، وكان يكنى ابا الودعات لانه نظم لنفسه ودعا فى سلك وجعله فى عنقه علامة له لئلا يضيع . قيل إن اخاه اخذ العقد من عنقه وهو نائم وجعله فى عنق نفسه فلما انتبه هبنقة ورأى العقد فى عنق اخيه قال له : انت انا فأنا من هو يا ترى ؟ ! ومن طريف حمقه انه كان إذا رعى غنما او إبلا جعل خير المراعى للسمان ونحى عنها المهازيل وقال : لا اصلح ما افسد الله . وله أخبار كثيرة غاية فى الغرابة

(٤) كان بالاصول : كأنى بامير مزجاه . وهذا كلام غير مستقيم مع مابعده ولذلك اصلحته بما فى الاصل . وحاء وحكم اسما قبيلتين مغمورتين

(٥) القاقل : نبت له حب اسود حسن الشم

(٦) جزيرة ابن كاوان . جزيرة عظيمة فى بحر فارس بين عمان والبحرين ، وكانت من اجل جزائر البحر الفارسى فتحها عثمان بن ابي العاص الثقفى ايام عمر بن الخطاب وهو فى طريقه إلى غزو فارس فى البحرين . وكانت عامرة آهلة بالسكان ذات قرى ومزارع وزارها المسعودى فى رحلاته سنة ٣٣٢ فرآها عامرة آهلة .

(٧) كان بالاصول : العضب ، العضبة ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، والقضب : الرطب من القت

(٨) كان بالاصول : حتى منع الله بكم البلاد ، والصواب كما اثبتناه

(٩) نعم الصدقة : الابل التى يأخذها المصدق فى نظير الخراج

وأما هذا الحى من عبد قيس فما ضرب العَيْرُ بذنبه، وأما هذا الحى من الأزد فَعُلُوج خلق الله وأنباطه، وأيم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم، فأما هذا الحى من تميم فإنهم كانوا يسمون الغَدْرَ فى الجاهلية كَيْسَا.

وخطب مرة أخرى فقال:

يا أهل خُراسان، قد جربتم الوُلاةَ قبلى، أتاكم أمية [١] فكان كاسمه أمية الرأى وأمية الدين فكتب إلى خليفته: إن خراج خُراسان وسِجِسْتَان لو كان فى مطبخه لم يكفه، ثم أتاكم بعده أبو سَعيد [٢] فدوخ بكم البلاد لا تدرون أفى طاعة أنتم أم فى معصية، ثم لم يَجْبِ فيئاً ولم يَنْكِ عدواً، ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطْبَاءِ الكَلْبَة [٣] منهم ابن الرحمة حصان يضرب فى عانة [٤] ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده. ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلادَ وأمَّن لكم السُّبُل حتى أن الظعينة لتخرج من مَرْو إلى سمرقند فى غير جوار [٥]

(١) هو امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد، وكان ممن ولى خراسان

(٢) ابو سعيد: هو المهلب بن ابي صفرة

(٣) اطباء الكلبة: حلماتها التى ترضع منها اولادها

(٤) يريد به يزيد بن المهلب. والعانة: جماعة الأتن الوحشية. ويضرب فيها: ينزو عليها

(٥) كان قتيبة اميرا على خراسان في سنة ٨٦ علي عهد الوليد بن عبد الملك، فمكن الله له في تلك البلاد وفتح كثيراً من بلاد الترك وما زال فى فتوحاته وغزواته حتى بلغ بلاد الصين. فلما عزم الوليد على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد والمبايعة بها لولده عبد العزيز كان قتيبة ممن أجاب إلى ذلك وجد فيه. فمات الوليد قبل بلوغه أمنيته هذه وتولى من بعده سليمان بن عبد الملك. فخافه قتيبة وعلم أنه لابد عازله من ولايته، فقام خطيباً ينادي بخلعه وألقى كلمته التى رواها الجاحظ فى الاصل. فلما لم يجبه احد دخل منزله وأتاه أهل بيته فقالوا له: مارأينا كاليوم قط! والله ما تصرت على أهل العالية وهم شعارك ودثارك حتى تناولت بكر بن وائل وهم أنصارك، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يدك! فقال: لما تكلمت فلم يجبنى أحد لم ادر ماقلت! ثم إن القوم خلعوا ولايته عليهم وأمروا وكيع بن ابى سود التميمى وزحفوا عليه وهو بفسطاطه فأطبقوا عليه وقتلوه واحدعشر رجلا من اهل بيته، وكان ممن قتل معه من اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح والحصين وعبد الكريم ومسلم. فلما قتل قال رؤساء العجم: يامعشر العرب قتلتم قتيبة! والله لو كان منا ثم مات لجعلناه فى تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا. وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلى يرثيه:

كأن ابا حفص قتيبة لم يسر   بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايات والجيش حوله   صفوفا ولم يشهد له الناس عسكرا

خطبة الأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه وصلى على نبيه :

يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الصهر وأشقاؤنا فى النسب (١) وجيراننا فى الدار ويدنا على العدو ، والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ، فإن استشرف شنآنكم (٢) وأبى حسد صدوركم ففى أموالنا وسعة أحلامنا لكم سعة .

خطبة جامع المحاربى

ومن محارب جامع كان شيخا صالحا خطيبا لسنا ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بنيتها فى غير بلدك وأورثتها غير ولدك ، وكذلك من قطعه العجب عن الاستشارة ، والاستبداد عن الاستخارة .

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق وتنقم مذهبهم وتسخط طريقهم فقال له جامع : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ماشنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك ، فدع ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك ، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك . قال الحجاج : إنى والله ما أرى أن أرد بنى اللكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف ! فقال : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار . فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله . قال : أجل ، ولكن لاتدرى لمن يجعله الله ! فغضب الحجاج وقال : ياهناه (٣) إنك من محارب ! فقال جامع :

دعته المنايا فاستجاب لربه وراح إلى الجنات عفا مطهرا
فما رزىء الاسلام بعد محمد بمثل أبي حفص فبكيه عبرا

وراجع ص ٢٩٦ من الجزء الأول

(١) أشقاؤنا : أشطرنا وأنصافنا

(٢) استشرف : أطل ونجم وظهر . والشنآن : العداوة والبغضاء

(٣) ياهناه : هذه كلمة تقولها العرب عند إرادة التحقير والتنكير ، وهى بمعنى : ياشىء !

وَالحَرْبِ سُمِّينَا وَكَانَ مُحَارِباً إِذَا مَا القَنَا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أَحْمَرَا (١)

فقال الحجاج : والله لهممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك !

فقال جامع : إن صدقناك أغضبناك وإن غششناك أغضبنا الله ، فغضبُ الأمير أهون علينا من غضب الله . قال : أجل ، وسكن .

وشغل الحجاج ببعض الأمر وانسلّ جامع فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق — وكان الحجاج لا يخلطهم — فأبصر كوكبةً فيها جماعة من بكرِ العراق وتميم العراق وأزد العراق وقيس العراق ، فلما رأوه اشرأبوا إليه وبلغهم خروجه فقالوا له : ما عندك ، دافع الله لنا عن نفسك ! فقال : ويحكم ، عمّوه بالخلع كما يعمّكم بالعداوة ودعوا التعادي ماعادا كم فإذا ظفرتم به تراجعتم وتعاقبتم ، أيها التميمي هو أعدى لك من الأزدي ، ويا أيها القيسي هو أعدى لك من التغلبي ، وهل ظفر بمن ناوأه إلا بمن بقي معه منكم ؟ وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام فاستجار بزُفَرِ بن الحارثِ (٢)

خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي

وخطب الحجاج فقال : (٣)

أللهم أرني الغيّ غيا فأجتنبه ، وأرني الهدى هدى فأتبعه ، ولا تكلني إلى نفسي فأضل ضلالا بعيداً ، والله ما أحب أن مامضى من الدنيا بعمامتي هذه ، ولما بقي أشبه بما مضى من الماء بالماء .

(١) قال الجاحظ : والبيت للخضري .

(٢) هو ابو الهذيل زفر بن الحارث الكلابي ، كان سيد قيس كلها في زمانه وكان فارسا مغوارا وشجاعا بطلا صاحب وقائع وغارات ، وكان جواداً كريما عزيز الجانب ، مع الشعر والخطابة والبيان الطلق . وكان في الطبقة الأولى من التابعين ، أميرا من أكابر الأمراء وكان يقيم مع قومه وعشائره بالجزيرة . شهد صفين مع معاوية اميرا على جند قنسرين وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس . وقد كان بنو أمية يجلونه ويخشون جانبه . وللشعراء فيه مدائح واهاج جياد . شأن كل عظيم

(٣) راجع ص ٩٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ من الجزء الأول

وخرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة فسمع تكبيرا فى السوق فراعه ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق وبنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء وَالْفَقْعِ بِالْقَرْقَرِ (١) ، إنى سمعتُ تكبيراً لا يراد به الله وإنما يراد به الشيطان ، وإنما مَثَلى ومثلُكم ما قال عَمْرُو بنُ بَرَّاقِ الهَمْدَانِى (٢) :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِى غَزَوْتُهُمْ ... فَهَلْ أَنَا فِى ذَا يَالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ ؟

---

(١) الفقع بالقرقر : البيضاء الرخوة من الكمأة ، ويقال للذليل هو اذل من فقع بقرقر لأنه لا يمتنع على من اجتناه ولأنه يوطأ بالأرجل

(٢) هو عمرو بن براق ، ويقال ابن براقة ، الهمدانى ، كان من صعاليك العرب ومن مشهورى عدائيها وكان شاعراً مجيداً ، وكان من الشجاعة والفروسية على الجانب المخوف ، كان هو والسليك بن السلكة وتأبط شرا لا يكادون يفترقون في الغارات على احياء العرب . وله حوادث واخبار غاية فى الغرابة . وكان السبب فى هذه الأبيات ان حريما رجلا من مراد اغار على ابل وخيل لابن براق فذهب بها ، فجاء عمرو إلى امرأة كان يتحدث إليها فأخبرها الخبر وانه يريد الغارة على حريم فنهته وحذرته فخالفها واغار على حريم فاستاق كل شىء له ولم ينل حريم منه مأربا فقال عمرو فى ذلك :

تقول سليمى لاتعرض لتلفة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائم
وكيف ينام الليل من جل ماله ... حسام كلون الملح أبيض صارم
غموض إذا عض الكريهة لم يدع ... لها طمعا طوع اليمين ملازم
نقدت به ألفا وسامحت دونه ... على النقد إذ لايستطاع الدراهم
ألم تعلمى أن الصعاليك نومهم ... قليل إذا نام الخلي المسالم
إذا الليل أدجى واكفهرت نجومه ... وصاح من الافراط هام جوائم
ومال بأصحاب الكرى غالباته ... فانى على أمر الغواية حازم
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة مادام للسيف قائم
تحالف أقوام على ليسلموا ... وجروا على الحرب إذ أنا سالم
أفاليوم أدعى للهوادة بعد ما ... أحيل على الحي المذاكى الصلادم
فان حريما إذ رجا أن يضمها ... ويذهب مالى يا ابنة القيل حالم
متى تجمع القلب الذكى وصارما ... وأنفا حميا تجتنبك المظالم
ومن يطلب المال الممنع بالقنا ... يعش ماجدا أو تخترمه المخارم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم ... فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم
فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا ... وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم
ولا امن حتى تغشم الحرب جهرة ... عبيدة يوما والحروب غواشم
أمستبطىء عمرو بن نعمان غارتى ... وما يشبه اليقظان من هو حالم
إذا جر مولانا علينا جريرة ... صبرنا لها إنا كرام دعائم
وننصر مولانا ونعلم أنه ... كما الناس مجروم عليه وجارم .

مَتى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَكِىَّ وَصارِماً ... وَأَنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ

أما والله لا تَقْرَعُ عَصا عصاً إلا جعلتها كأمس الدابر .

خطبة كلثوم بن عمرو (١)

أما بعد فانه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه ، ولا يعبر عنه فى تزكية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته وائتمانه إياهم على حرمته .

خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

ولما قتل يَزيدُ بنُ الوَليد ابنَ عمه الوَليدَ بنَ يَزيدِ بن عَبد الملك بن مَرْوَان قام خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، والله ما خرجت أشَراً ولا بَطَراً ولا حرصاً على الدُّنيا ولا رَغبةً فى الملك ، وما بى إطراء نفسى وإنى لظلوم لها ولقد خَسرتُ إن لم يرحمنى ربى ، ولكنى خرجتُ غضباً لله ودينه وداعيا إلى الله وسنة نبيه لما هُدمت معالم الهدى وأطفىء نورُ التقوى وظهر الجبار العنيد المستحلُّ لكل حُرمةٍ والراكبُ لكل بدعة ، مع أنه والله ما كان يُؤمِنُ بيوم الحساب ولا يُصدقُ بالثواب والعقاب ، وإنه لابنُ عمى فى النسب وكُفْئى فى الحسب ، فلما رأيت ذلك استخرت الله فى أمره وسألته أن لا يَكلنى إلى نفسى ودعوت إلى ذلك من أجابنى مِن أهل ولايتى حتى أراح الله منه العباد وطَهَّرَ منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى .

أيها الناس ، إنَّ لكم علىَّ أن لا أضع حجراً على حجر ولا لَبِنة على لَبِنةٍ ولا أكرى نهراً ولا أكنز مالا ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أُسدَّ فقرَ ذلك البلد وخَصاصة أهله بما يغنيهم ، فان فضل فضلٌ نقلته إلى البلد الذى يليه ممن هو أحوج إليه منه ، وأن لا أُجَمِّرَكُمْ فى ثُغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أُغلق بابى دونكم فيأ كل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على

(١) كان بالاصول : عمرو بن كلثوم ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وهو كلثوم بن عمرو العتابى الشاعر المشهور

أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم ، ولكم عندى أعطياتكم في كل سنة وأرزاقكم فى كل شهر حتى تُستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإذا أنا وَفَيْتُ لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة وإن أنا لم أفِ لكم فلكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبونى ، فإن أنا تبت قبلتم منى ، وإن عَرَفتم أحدا يقوم مقامى ممن يُعرف بالصلاح يُعطيكم مِن نفسه مثل ما أُعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه ودخل فى طاعته .

أيها الناس ، لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

فلما بويع مَرْوانُ بنُ محمد نبشه وصلبه . وكانوا يقرأون فى الكتب : يامبذر الكنوز ياسجاداً بالأسحار ، كانت ولايتك رحمة وعليهم حُجة ، أخذوك فصلبوك .

خطبة يوسف بن عمر

قام خطيبا فقال :

إتقوا الله فكم مِن مُؤَمل أملا لايبلغه ، وجامعٍ مالا لا يأكله ، ومانعٍ عما سوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه ، أصابه حراماً وأورثه عدواً ، فاحتمل إصْره وباء بوزره وورد على ربه آسفاً لاهفاً « قَدْ خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِيْنُ »

كلام زعماء الوفود عند عمر بن الخطاب

وفد هِلالُ بْنُ وَكيعٍ والأحْنفُ بْنُ قَيْسٍ وَزَيْدُ بْنُ جبلة ، على عُمَرِ فقال هِلال بْنُ وكيعٍ :

يا أمير المؤمنين ، إنا لُبابُ مَن خلفنا وغُرّةُ مَن وراءنا من أهل مِصرنا ، فإنك إن تصرفنا بالزيادة فى أعطياتنا والفرائض لعيالاتنا يزيد ذلك الشريفَ

تأميلا وتكن لذوى الأحساب أبا وصولا ، فانا إن نكن — مع ما نَمُتُّ به (١) من فضائلك ونُدْلى من أسبابك — كالجدّ الذى لا يحل ولا يرحل ، نرجع بأنُفٍ مصلومة وجُدودٍ عاثرة ، فامِحْنا (٢) وأهلينا بسَجْلٍ من سجالكَ المُترَعةِ (٣)

وقام زَيدُ بْنُ جَبلَةَ فقال :

يا أمير المؤمنين ، سَوِّدِ الشَّريف وأكرم الحسيب وازرع عندنا من أياديك ما نسد به الخَصاصة ونطرد به الفاقة فإنَّا بقُفٍ (٤) من الأرض يابس الأكناف مُقْشَعِرّ الذّروة لا شجر فيه ولا زرع ، وإنا من العرب اليوم — إذ أتيناك — بمرأى ومسمع .

فقام الأحنفُ فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله والحرصُ قائد الحرمان ، فاتق الله فيما لا يُغنى عنك يوم القيامة قيلا ولا قالا ، واجعل بينك و بين رعيتك من العدل والانصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود واستماحة المُمْتَاح (٥) ، فان كل امرئ إنما يجمع فى وعائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين وتخونهم الألسن فلا يُوفَدَ إليك يا أمير المؤمنين !

خطبة الحجاج بن يوسف

خطب أهل العراق بعد دَيْر الجماجم (٦) فقال :

يا أهـل العراق ، إن الشيطان قد استبْطَنَكُمْ فخالط اللحم والدم والعصبَ والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ثم أفضى إلى الامخاخ (٧) والأصماخ ثم

(١) تمت به : تتوسل بسببه
(٢) فامحنا : فاقبل شفاعتنا واعطنا سؤلنا
(٣) السجل : الدلو الكبير . والمترعة : المملوءة . والكلام هنا من طريق الاستعارة
(٤) القف : الحزن من الأرض لاماء فيه ولا مرعى
(٥) الممتاح : طالب الحاجة
(٦) مكان كانت به وقائع بين جيوش الحجاج وابن الأشعث
(٧) كان بالاصول : الامخاخ ، وهو خطأ والصواب ماأثبتناه

ارتفع فعشش ثم باض وفرخ ، فحشا كم نفاقا وشقاقاً وأشعركم خلافاً ، أخذتموه دليلا تتبعونه وقائداً تطيعونه ومؤامراً تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو ينفعكم بيان ! ألستم أصحابي بالأهواز [١] حيث رمتم المكر ، وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ! ؟ وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذاً وتنهزمون سراعا ! ثم يوم الزاوية [١] ، ومايوم الزاوية ! بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى أعطانها ، لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقعصتكم [٢] الرماح ، ثم يوم دير الجماجم [١] وما يوم دير الجماجم ! بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله .

يا أهل العراق ، ألكفرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الخترات ، والنزوة بعد النزوات ! إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم [٣] وخنتم ، وإن أمنتم أرجفتم [٤] وإن خفتم نافقتم ، لاتذكرون حسنة ولاتشكرون نعمة ، هل استخفكم ناكث أو استغواكم غاو أو استنصركم ظالم أو استعضدكم [٥] خالع ! إلا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورحبتموه .. ! ؟ يا أهل العراق ، هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره ! ؟ يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ، ألم تزجركم الوقائع .. ! ؟

ثم التفت الى أهل الشام فقال :

يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه [٦] ، ينفي عنها المدر

---

(١) اماكن كانت بها وقائع بين الحجاج وابن الاشعث

(٢) كان بالاصول : وقصمكم . وليس هذا مكانها والصواب ماأثبتناه

(٣) غللتم : سرقتم

(٤) ارجفتم : اذعتم اخبار السوء

(٥) استعضدكم : اتخذكم له اعضادا

(٦) الظليم : ذكر النعام . الرامح : الدافع برجله

ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضِّباب ويحرسها من الذئاب !
يا أهل الشام ، أنتم الجُنَّةُ والرِّداء ، وأنتم العُدة والحِذاء .

فضيلة الصبر على المصيبة

وقال رجل لحُذيفة(١) : أخشى أن أكون منافقاً ! فقال : لو كنت منافقاً لم تخش ذلك ! وقال آخر : إعلم أن المصيبة واحدة إن صبرت ، وإن لم تصبر فهما مصيبتان ، ومصيبتك بأجرك أعظم من مصيبتك بميتك . وقال صالحُ ابن عَبْدِ القُدُّوسِ :

إنْ يكُنْ مَابهِ أُصِبْتَ جَليلاً ... فذَهَابُ العزَاءِ فيـهِ أجَلُّ

وقال آخر : تعز عن الشيء إذا مُنعته لقلة ما يصحبك إذا أعطيته ، وماخفف الحساب وقلله خير مما كثَّره وثقَّله .

وحدثنا أبو بكر الهذلي ، واسمه سُلْمِيّ ، قال : إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل : إذا كان حلالا وكثرت الأيدي عليه وسمى الله في أوله وحمد في آخره .

خطبة لزياد بن أبي سفيان

وخطب زياد فقال :

استوصوا بثلاثة منكم خيراً : ألشريف والعالم والشيخ ، فوالله لايأتيني شيخ بشاب قد استخف به إلا أوجعته ، ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به إلا نكلتُ به ، ولا يأتيني شريف بوضيع استخف به إلا انتقمت له منه .

وصية حاتم الطائي لابنه

وقال حاتم طي لعدي ابنه : أي بُنيَّ ، إن رأيت أن الشر يتركك إن تركته فاتركه

(١) هو حذيفة بن اليمان ، كان من اجلاء الصحابة ، وهو من بني عبس وعداده في بني عبدالاشهل فهو يعد من الانصار ، شهد المشاهد بعد بدر وتوفي بالمدائن سنة ٣٦ هـ

وصية عدى بن حاتم لابنه

وقال عدى بن حاتم [١] لابن له : قم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف . قال : لا والله ، لا يكون أول شيء وليته من الدنيا منع قوم من طعامك !

وقال مدينى لعبدالملك بن مروان ودخل عليه بنوه : أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك فى أبيك . وقال ابن شُبرمة : ذهب العلم إلا عبارات فى أوعية سوء .

ألهيثم بن عدى [٢] عن ابن عياش عن أبيه قال : خرج الحجاج إلى الفارسانه فإذا هو بأعرابى فى زرع . فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل عُمان . قال : فمن أى القبائل ؟ قال : من الأزد . قال : ما علمك بالزرع ؟ قال : إنى لأعلم من ذلك علماً ؟ قال : فأىُّ الزرع خير ؟ قال : ما غلظ قصبه واعْتَمَّ نبته وعظمت جُثته ، وطالت سُنبلته . قال : فأى العنب خير ؟ قال : ما غلظ عموده واخضر عوده وعظم عُنقوده ! قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لِحَاؤه ودق نواه ورق سحاؤه

باب من اللغز فى الجواب

قالوا : كان الحطيئة يرعى غنما وفى يده عصا فمرَّ به رجل فقال : يا راعى الغنم ما عندك ؟ قال : عَجْرَاء من سَلَمْ — يعنى عصاه — قال : إنى ضيف ! قال : للضِّيفَانِ أعددتُها !

(١) هو عدى بن حاتم الطائى كان من أجلاء الصحابة وشجعانهم ولجوادهم . وكان طويلا إذا ركب الفرس كادت رجله تخط فى الارض . قدم على عمر بن الخطاب فكأنه رأى جفاء منه فقال له أما تعرفنى ؟ قال : بلى والله أعرفك اكرمك الله بأحسن المعرفة اسلمت إذ كفروا وعرفت إذ انكروا ووفيت إذ غدروا واقبلت إذ ادبروا ! فقال : حسبى يا امير المؤمنين . كان مع على يوم الجمل ففقئت عينه وقتل ابنه محمد ، وشهد معه يوم صفين . ومات فى زمن المختار بن ابي عبيد الثقفى وله من العمر ١٢٠ سنة ولا عقب له

(٢) هو الهيثم بن عدى الراوية الاخباري المشهور . وهو فى طىء . كان فخم العبارة جيد القول يذهب مذاهب الأعراب فى التشديق والتقعير . وكان يرى رأى الخوارج . وقد يروي الضعيف والمصنوع . ولد سنة ١٢٨ ومات سنة ٢٠٩ هـ

وقال ابن سليم : إن قَيْسَ بنَ سعدِ بنِ عُبادَةَ قال : أللهم ارزقني حمداً ومجداً فانه لاحمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال .

وقال خالدُ بنُ الوليدِ(١) لأهل الحيْرَة : أخرجوا إلىّ رجلا من عقلائكم ؟ فأخرجوا إليه عَبْدَ المسيحِ بنَ عمْرٍو بن قيْسِ بنِ حيَّان بنِ بقَيْلَةَ الغسَّاني(٢) وهو الذي بنى القصر ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة ، فقال له خالد : مِن أين أقصى أثرك ؟ قال : من صلب أبي ! قال : فمن أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي ! قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض ! قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابي ! قال : ما سنُّك ؟ قال : عظم ! قال : أتعقل لاعقلت ؟ قال : إي والله وأُقيد ! قال : إبن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد ! قال كم أتى عليك من الدهر ؟ قال : لو أتى على شيء لقتلني ! قال : ماتزيدني مسألتك إلا غماً ! قال : ما أجبتك إلا عن مسألتك ! قال : أعربٌ أنتم أم نَبَطٌ ؟ قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا !

---

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي . الامير الجليل الصحابي النبيل سيد الغزاة وإمام الفاتحين واحد مفاخر الاسلام في الحرب والتدبير ، فارس الفرسان وبطل الشجعان . كان على خيل المشركين فى بدر واحد والخندق ، ثم اسلم هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة فى يوم واحد سنة ثمان . وأمه لبابة الصغرى أخت ميمونة زوج النبي وأخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب . حمى المسلمين يوم مؤتة فلقبه النبي سيف الله . وقام بتدبير الحرب وبقيادة الجيوش فى حروب الردة وقتل مسيلمة الكذاب ومالك بن نويرة وهزم طليحة الكذاب وافتتح عين التمر وعامة الشام وهزم جيوش الروم . وله مواقف ومشاهد تعد قدوة للغزاة والفاتحين . ولما حضرته الوفاة قال : لقد لقيت كذا وكذا زحفا فما فى جسدى موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وهاأنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت العير ! فلا نامت أعين الجبناء . ومات بحمص سنة ٢١ هـ

(٢) كان بالأصول : ابن نفيلة ، وهو خطأ ، والصواب ماأثبتناه . وقد أدرك الاسلام ولم يسلم ومات على نصرانيته . وكان بنى قصرا كما بنى ديرا بظاهر الحيرة يعرف بدير الجرعة . وكان من أكابر قومه ورؤسهم ذا حكمة وبيان وفصاحة ولسان ، ولما بنى القصر قال :

بنيت لطارق الحدثان حصنا لوان المرء تنفعه الحصون
رفيع الرأس احوى مشمخرا لأنواع الرياح به حنين

ولما خرج إلى خالد واخذا فى المفاوضة بشأن الحيرة واهلها راى خالد بيده زجاجة صغيرة يقلبها بين اصابعه فسأله خالد عن الزجاجة وعما بداخلها فقال ان فيها سم ساعة وقد اعددته لا تجرعه متى رايت ان كلامى معك اسفر عن مالا يرضى به قومى وتستريح إليه نفسى ! فاكبره خالد وارضاه وصالحه عن قومه بما ارضاهم

قال : فحرب أنتم أم سَلْم ؟ قال : سلم ! قال : فما بال هذه الحصون ! ؟ قال : بنيناها للسفيه حتى يجيء الحليم فينهاه ! قال : كم أتت عليك سنة ؟ قال : خمسون وثلثمائة ! قال : ما أدركتَ ؟ قال : أدركتُ سفنَ البحر ترفأ إلينا فى هذا الجرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مِكتلها على رأسها ولا تتزود إلا رغيفاً واحداً فلا تزال فى قُرًى مخصبة متواترة حتى ترد الشام ثم قد أصبحت خرابا يبابا ، وذلك دأب الله فى العباد والبلاد .

وأتى أزْهَرَ بن عبدِ الحارثِ رجلٌ من بنى يَرْبوعٍ فقال : ألا أدخل ؟ قال : وراءك أوسع لك ! فقال : إن الشمس أحرقت رجلىّ ! قال : بُلْ عليهما تبردا ! قال : يا آل يَربوع ! ؟ قال : ذليلا دعوت ، يا بنى حُريص أطعمتكم عاما أول جُلَّةً (١) فأكلتم جُلتكم وأغرتم على جُلَّةِ الضِّيفان .

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : أجمعتَ القرآن ؟ قال : أمتفرقا كان فأجمعه !؟ قال : أتقرأه ظاهراً ؟ قال : بل أقرؤه وأنا أنظر اليه ، قال : أتحفظه ؟ قال : أخشيت فِرارَه فأحفظه ! قال : ما تقول فى أمير المؤمنين عبدِ الملك ؟ قال : لعنه الله ولعنك معه ! قال : إنك مقتول فكيف تلقى الله ؟ قال : ألقاه بعملى وتلقاه بدمى .

وقال لُقمان لابنه وهو يعظه : يابنى : إزحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتُوك وخُذ من الدنيا بلاغك وأنفق فُضولَ كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلاًّ وصُم يوما يكسر شهوتك ولا تصُمْ يوماً يضرّ بصلواتك فإن الصلاة أفضل من الصوم ، وكن كالأب لليتيم وكالزوج للأرملة ولا تحابِ القريب ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين ألبتة .

وسمع الأحنف رُجلا يُطرى يَزيدَ عند معاوية فلما خرج من عنده اسْحَنفَرَ (٢) فى ذمهما ! فقال الأحنف : مَهْ إن ذا الوجهين لايكون عند الله وجيهاً . وقال سَعِيدُ بن أَبى عَرُوبَة : لأن يكون لى نصف وجه ونصف لسان — على مافيهما

(١) الجلة : القفة الكبيرة فيها تمر
(٢) اسحنفر : بالغ فى الذم ومضى متوسعا فى القذع

من قُبح المنظر وعَجز المخبر — أحب إلىّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين . وقال أيوب السَّختيانى : ألئام ذو الوجهين أحسنَ الإستماع وخالف فى الإبلاغ .

كتاب عمر الى معاوية فى القضاء

عن عامر الشعبي قال : كتب عمر الى معاوية : (١)

أما بعد فإنى كتبت اليك بكتاب فى القضاء لم آلكَ ونفسى فيه خيراً ، إلزم خمسَ خِصال يَسلم لكَ دينك وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة واليمين القاطعة ، وأدْنِ الضعيف حتى يشتد قلبهُ وينبسط لسانه ، وتعهد الغريب فإنك إن لم تتعهده ترك حقه ورجع الى أهله، وإنما ضَيّع حقه مَن لم يَرْفُقْ به ، وآس بينهم فى لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس مالم يستبن لك فصلُ القضاء . وعن شُريح أن عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب إليه : لا تُشار ولا تُمارِ ولا تبع ولا تبتع فى مجلس القضاء ولا تقض بين اثنين وأنت غضبان .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم

(١) وروى ابن ابى الحديد ان هذه الكلمة من رسالة كتبها عمر إلى ابى موسى الاشعري ، وذكر الرسالة فقال : وكتب إلى ابى موسى الاشعري وهو على البصرة : بلغنى انك تاذن للناس الجماء الغفير ، فاذا جاءك كتابى هذا فاذن لاهل الشرف واهل القرآن والتقوى والدين فاذا اخذوا مجالسهم فأذن للعامة ، ولا تؤخر عمل اليوم لغد فتتداك عليك الأعمال فتضيع ، وإياك واتباع الهوى فان للناس أهواء متبعه ودنيا مؤثرة وضغائن محمولة ، وحاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة فانه من حاسب نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة كان مرجعه إلى الرضا والغبطة ، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد امره إلى الندامة والحسرة ، إنه لايقيم أمر الله فى الناس إلا حصيف العقدة بعيد القرة لايحنق على جرة ، ولا يطلع الناس منك على عورة ولا تخاف فى الحق لومة لائم ، إلزم أربع خصال يسلم لك دينك وتحيط بأفضل حظك : إذاحضر الخصمان فعليك بالبينات العدول والايمان القاطعة ، ثم ادن للضعيف حتى ينبسط لسانه ويجترىء قلبه ، وتعاهد الغريب فانه إذا طال حبسه ترك حقه وانصرف إلى اهله ، واحرص على الصلح مالم يبن القضاء والسلام عليك .

ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأى .

قال الهلالى : لما ولَّى يزيدُ بنُ معاوية سَلْمَ بن زِيادٍ (١) على خُراسان قال له : إن أباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيراً ، فلا تتَّكلَنَّ على عذر منى لك فقد اتكلتُ على كفاية منك ، وإياك منى قبل أن أقول إياى منك فان الظن إذا أُخلف منك أخلف منى فيك ، وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا تُريحنَّ نفسك وكن لنفسك تكن لك ، واذكر فى يومك أحاديث غدك تسعد إن شاء الله تعالى .

---

(١) هو سلم بن زياد بن أبي سفيان . كان من أمراء بنى امية شجاعا كريما جوادا شاعراً نبيلا نادم ليلة يزيد بن معاوية فسر به فقال له : ألا أوليك خراسان ؟ قال : بلى وسجستان ! فعقد له من ليلته ثم قال :

إسقنى شربة تروى عظامى ثم عد واسق مثلها ابن زياد
موضع السر والأمانة منى وعلى ثغر مغنمى وجهادي

وفى الصباح سيره واوصاه هذه الوصية التى رواها الجاحظ بالاصل . ولما قدم خراسان اتخذ خواصه من اهل البصرة والكوفة . فلما مات يزيد وخرج عبد الله بن الزبير فى طلب الخلافة لنفسه قبض على سلم وحبسه مطالباً إياه بالمال . وبينا هو فى محبسه دخل عليه الفرزدق يشكو إليه قلة المال فى يده وانه خطب النوار ولا مهر عنده ثم انشده :

دعي مغلق الابواب دون فعالهم ومرى تمشى بى هبلت إلى سلم
إلى من يرى المعروف سهلا سبيله ويفعل افعال الكرام التى تنمي

فأمر له بعشرين الفا . فلامته زوجته على ذلك فقال سلم :

ألا بكرت عرسى تلوم سفاهة على ما مضى منى وتأمر بالبخل
فقلت لها والجود منى سجية وهل يمنع المعروف سؤاله مثلى
ذرينى فانى غير تارك شيمتى ولا مقصر عند السماحة والبذل
ولا طارد ضيفى إذا جاء طارقا فقد طرق الاضياف شيخى من قبلى
أأبخل إن البخل ليس بمخلدي ولا الجود يدنينى من الموت والقتل
أبيع بنى حرب بآل خويلد وماذاك عند الله في البيع بالعدل
وأشري ابن مروان الخليفة طائعا بنجل بنى العوام قبح من نجل
فان تظهروا لى البخل آل خويلد فما دلكم دلى ولا شكلكم شكلى
وإن تقهرونى حين غابت عشيرتي فمن عجب الايام ان تقهروا مثلى

والظاهر انه مات في عهد عبد الملك

ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الأشداق . قال المازنى (١) .

مَنْ كانَ يَزْعُمُ أنَّ بِشْرًا مُلْصَقٌ ... فاللهُ يَجْزِيهِ وَرَبُّكَ أعْلَمُ (٢)
يُنْبِيكَ نَاظِرُهُ وَقِلَّةُ لَحْمِهِ ... وتَشَادُقٌ فِيهِ وَلَوْنٌ أسْحَمُ
أنَّ الصَّرِيحَ المَحْضَ فيهِ دَلالَةٌ ... وَالعِرْقُ مُنْكَشِفٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ
أمَّا لِسانُكَ وَاحْتِبَاؤُكَ قَاعِدًا ... فَزُرَارَةُ العُدُسِيُّ عِنْدَكَ أعْجَمُ (٣)
إنى لأرْجُو أنْ يكونَ مَقالُهُم ... زُورًا وَشَانِيكَ الحَسُودُ المُرْغَمُ

وفى مثل ذلك يقول مُورِقٌ العبدي (٤) :

قَدْ عَلِمَ الغَرْبِيُّ وَالمُشَرِّقُ ... أنَّكَ فى القَوْمِ صَمِيمٌ مُلْصَقُ
عُودَاكَ نَبْعٌ وَهَشِيمٌ بُورِقُ ... وَأنْتَ جَدْبٌ وَرَبِيعٌ مُغْدِقُ
وأنْتَ لَيْلٌ وَنَهارٌ مُشْرِقُ ... لَوْلا عَجُوزٌ قَحْمَةٌ وَدَرْدَقُ
وصَاحِبٌ جَمُّ الحَدِيثِ مُوَقُ ... كَيْفَ الفَوَاتُ والطَّلُوبُ مُورِقُ
شَيْخٌ مَغِيظٌ وسِنَانٌ يَبْرُقُ ... وَحَنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتٌ مِصْلَقُ
وشِدْقُ ضِرْغامٍ وَنَابٌ يَحْرُقُ ... وشَاعِرٌ بَاقِى الرُّسُومِ مُفْلِقُ (٥)

---

(١) لم اقف على اى بنى مازن قائل هذا الشعر الجيد ، وقد قام فى نفسى فى اول الامر انه لابى عثمان المازني ولكنه لو كان له لقال الجاحظ : انشدنى المازنى او انشد ابو عثمان ، لانه معاصره . وكان ابو عثمان المازنى من الرواة الثقات الذين يحتج بقولهم فى العربية واسع الرواية كثير الحفظ ، روى عن ابي عبيدة والاصمعى وابى زيد الانصاري ، وعنه روى المبرد والفضل بن محمد اليزيدي وغيرهما وكان يميل إلى القول بالارجاء ولا يناظره احد إلا قطعه لقدرته على الكلام وايراد الحجج . سئل يوماً عن اهل العلم فقال : اصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف ، واهل الحديث فيهم حشو ورقاعة ، والشعراء فيهم هوج ، والنحاة فيهم ثقل ، وفى رواة الاخبار الظرف كله . مات سنة ٢٤٨ هـ

(٢) ملصق : اى مدع نسبا غير نسبه

(٣) هو زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى ، كان من أعز العرب فى الجاهلية ، وهو الذى حمى الحارث بن ظالم لما قتل خالد بن جعفر عند النعمان بن المنذر . وله أخبار حسان ذكرها أبو الفرج

(٤) في بنى عبد القيس مورقون كثيرون وكلهم شعراء ولم ندر أيهم هذا المورق

(٥) وناب يحرق : يبرد . وقد قرأ على بن ابي طالب « لنحرقنه » بفتح النون وسكون الحاء وضم الراى وفتح النون المشددة . أى لنبردنه . وهي قراءة وجيهة لان الذهب لا يحرق بالنار ولكنه يبرد بردا

باب في صفة الرائد للغيث ، وفي نعته للأرض

قال أبو المُجيب : (١) وصف رائدٌ أرضاً جَدْبة فقال : اغبرَّت جادَّتها وذرَعَ مَرتعُها وقَصِمَ شجرها ورقَّت كُرُشُها وخَوِرَ عظمها والتقى سَرْحاها وتميز أهلها ودخل قلوبَهم الوَهَلُ وأموالَهم الهزل (٢).

ووصف أعرابي أرضاً أحمدها فقال : خلَعَ شِيحُها وأبقل رِمْثُها (٣) وخَضِبَ عَرْفجها (٤) واتسق نبتها واخضرت قُريانها (٥) وأخْوَصت بُطنانها وأحلست أكامها (٦) وأعتم نبت جراثيمها (٧) وأجرت بَقلتها وذرقت خُبّازتها (٨) واخْوَرَّت خَواصر إبلها وشَكِرَت حَلوبَتُها (٩) وسَمِنَتْ قَتوبَتُها (١٠) وعَمِدَ ثَراها (١١).

(١) قال اسحق بن ابراهيم الموصلي : كان ابو المجيب الربعي فصيحا عالما ، قال لي : يا ابا محمد قد عزمت على التزويج فأعني وقوني ؟ فأعطيته دنانير وثيابا ، فغاب عني اياما ثم عاد فقلت له : يا ابا المجيب : إسمع هذه الابيات ؟ فقال : هاتها ، فقلت :

ياليت شعرى عن ابي مجيب إذ بات في مجاسد وطيب
معانقا للرشأ الربيب الحد المحفار في القليب
ام كان رخوا ذابل القضيب ؟ فقال لي : الآخير والله ياابامحمد !

(٢) الوهل : الخوف والفزع ، قال الجاحظ : الجادة الطريق إلى الماء والجمع الجواد ، والتقى سرحاها : يقول إذا اكل كل سارح مايليه التقيا عند الماء ، وإذا لم يكن للجمال مرعى إلا الشجر وحده رقت اكراشها ، وقوله تميز اهلها : تفرقوا في طلب الكلأ ، ومرتع مذرع إذا كان بعيدا من الماء ومرتع قاصر إذا كان قريباً من الماء ويقولون : كلأ قاصر للقريب ويقولون ماء مطنب وماء مطلب إذا الجأهم إلى طلبه من بعده »

(٣) ابقل رمثها : خرج لرمثها بقل ، والرمث نبت بري مما يرعى

(٤) خضب عرفجها : إخضر ، والخضرةمتى كثفت وصفها العرب بالسواد ، والعرفج : شجر سهلي

(٥) واخضرت قريانها : طلع النبت في مجاري الماء

(٦) واحلست اكامها : الاكام جمع كم وهو وعاء الطلع وغطاءالنور ، واحلست : غطت الارض بكثرته

(٧) واعتم نبت جراثيمها ، الجراثيم الاصول ، اعتم كثر وانتشر في الارض

(٨) كان بالاصول : وذرقها خبازتها ، وهو خطأ والصواب ماأثبتناه ، وذرقت : خرجت ونبتت ، والخباز والخبازة والخبيز : نبت

(٩) وشكرت حلوبتها : كثر لبنها وحفل به ضرعها

(١٠) وسمنت قتوبتها : القتوبة : الابل التي يشدعليها القتب

(١١) وعمد ثراها : بلل المطر ترابها

وعقدت تناهيها وأماهت ثمارها (١) ووثق الناس بصائرها .

قال : ويقال : خلع الشيخ إذا أورق ، الخالع من العضاه الذى لا يسقط ورقه أبدا وكذلك السدر لا يتجرد (٢) وكل شجر له شوك فهو عضاه والواحد عضة إلا القتاد ، ولا يغبل إلا الأرطى (٣) ويقال : كلح الشجر . إذا أخوصت بطنانها إذا نبت فيه قضبان رقاق ، وخضب عرفجها يقول : إسود ، وأخوص الشجر ، وهو الذى لا شوك له ومن العضاه قشره وقصده فاذا يبست فهى عود ، إتسق نبتها أى تتام ، أجرت بقلتها أى نبت فيها مثل الجراء جمع جرو . والعلفة ثمرة الطلح والحبلة للسلم ، واخورّت خواصر إبلها تشد أحناها على خواصرها كى لا تحبط والحبط انتفاخ بطنها من مرعى ترعاه ، قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : أيضر الغبط ؟ قال : نعم كما يضر الحبط . وشكرت : يقول غزرت ، وقوله عمد ثراها وذلك اذا قبضت منه على شيء فتعقد واجتمع من ندوته يقال عمد الثرى يعمد عمداً وهو ثري عمد فالعمد أن يجاوز الثرى المنكب وهو أن تقيس السماء بالمرفق فيقول بلغت وضح الكف ثم الرسغ ثم العظمة ثم المرفق ثم ينصف العضد ثم يبلغ المنكب ، قيل عمد الثرى ، فيقال ان ذلك حيا سنين ، والتناهى واحدتها تنهية وهو مستقر السيل ، وعقدها أن يمر السيل مقبلا حتى اذا انتهى منتهاه دار بالاباطح حتى يلتقى طرفا السيل ، والصائرة : الكلأ والماء .

خطبة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

قالوا : قاتل الحجاج ابن الأشعث (٤) فى المربد (٥) فخطب ابن الاشعث الناس فقال :

(١) وأماهت ثمارها : حفلت بالماء

(٢) السدر : شجر النبق

(٣) ولا يغبل إلا الأرطى : يغلظ ثمره ويتساقط . وكذلك ورق الطرفاء

(٤) لما خرج ابن الأشعث : انضمت اليه ربيعة ومضر ولم يبق فارس مذكور ولا شاعر مشهور ولا ناسك ورع ولا فقيه مجتهد ولا قارىء حافظ إلا خرج معه وأعانه وآزره على قهر الحجاج لبغيه وظلمه وعدوانه

(٥) المربد : إسم مكان بظاهر البصرة

أيها الناس ، انه لم يَبق من عدُوكم الا كما يبقى من ذَنَب الوَزَغَةِ (١) تضرب بها يميناً وشمالا فما تلبثُ الا أن تموتَ . فمرّ به رجل من قشير فقال : قبحَ الله هذا ورأيه ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس [من عدوهم] ويعدهم الأضاليل ويُمنيهم الباطل ! ؟ وناس كثير يرون أن ابن الأشعث هو المحسن دون القشيري . قال بشار :

وحَمدٍ كعَصْبِ البُردِ حَمَلتُ صاحبي الى مَلِكٍ للصالحات قَرينِ

وقال آخر :

وَبِكْرٍ كنُوّار الرِّياض حَديثها تَرُوقُ بوَجْه واضح وقوام

أبو الحسن : كان مُعاوية يأذن للأحنف أول من يأذن له ، فأذن له يوماً ثم أذن لمحمد بن الأشعث [فأقبل] حتى جلس بين معاوية والأحنف ، فقال له معاوية : لقد أحسستَ من نفسك ذلا ! اني لم آذن له قبلك الا ليكون اليّ في المجلس دونك ، وإنّا كما نملك أموركم نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يراد بكم فانه أبقى لنعمتكم وأحسن لأدبكم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصيلِ الخُزَاعِيِّ : يا أصيل ، كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد أحجن ثمامُها(٢) وأمشر سَلَمُها(٣) وأعذقَ إذْخِرُها(٤) فقال صلى الله عليه وسلم : « دَعِ القلوبَ تقرّ » وسأل . أبو زيادٍ الكلابيُّ (٥)

(١) الوزغة : هي سام أبرص

(٢) احجن ثمامها : خرج خوصه ، والثمام نبت

(٣) امشر سلمها : خرج للسلم ، وهو شجر ، مشر وهي الاغصان الخضر الرطبة

(٤) اعذق إذ خرها ، ألا ذخر : الحشيش الاخضر ، واعذق : ظهرت ثمرته

(٥) هو ابو زياد الكلابي : كان من الأعراب الفصحاء الذين يؤخذ عنهم اللغة والرواية والأدب وتضبط عليهم الالفاظ . وكان شاعرا مقلا ومبيناً محما . قال يوماً لولده وقد اراد التزوج : يابني لاتتخذها حنانة ولا انانة ولامنانة ولاعشبة الدار ولا كية القفا . قال اسحق بن ابراهيم الموصلي : قال ابوزياد الكلابي : او لم جار لى يكنى ابا سفيان ولمية ودعاني لها فانتظرت رسوله حتى تصرم يومى فلم يأت فقلت لامرأتي :

وان ابا سفيان ليس بمولم فقومى فهاتى قفرة من حوارك

فقلت له : اليس غير هذا ؟ فقال : لا ارسله يتيما ، فقلت : افلا اجيزه ؟ قال : شأنك ، فقلت :

فبيتك خير من بيوت كثيرة وقدرك خير من ولمية جارك

الصُّقيلَ العُقَيْلِيَّ (١) حين قدم من البادية عن طريقه فقال : إنصرفت من الحج فأصعدت إلى الرَّبَذَةِ (٢) فى مَقاطِ الحَرَّةِ (٣) ووجدت بها صِلالاً من الربيع (٤) من خضمة خمط وصِلِيَّان وقَرْمَلٍ (٥) حتى لوشئت لأنخت إبلى فى أذن الفقعاء (٦) فلم أزل فى مَرْعَى لا أحسن منه شىء حتى بلغت أهلى . وقال سلاَّمٌ الكلابيُّ : رأيت ببطن فَلْجٍ منظراً من الكلأ لا أنساه ! وجدت الصفراء والحمراء يضربان نحور الإبل ، تحتهما فقعاء وحُرْبُثٌ قد أطاع وأمسك بأفواه الماء ـ أى لا تقدر أن ترفع رؤسها ـ وتركت الحَوْذَان ناقعة فى الأجارع . وذم أرضاً فقال : وجدنا أرضاً ماحلة مثل جلد الأجرب تَصِىء حيَّاتها ولا يَسكُتُ ذيبها ولا يقيد راكبها . وقال النضرُ : قلت لأبى الخُضَيْرِ : ما أعجب ما رأيتَ من الخِصب ؟ قال : كنت أشرب رَثِيئَةً تجرها الشفتان جرًّا وقارصاً ممارصاً إذا تجشأتُ جدَعَ أنفى ، ورأيت الكمأة تدوسها الإبل بمناسمها والوضرَ يشمه الكلبُ فيعطس . قال الأصمعى : قال المنتجع بن نبهان : قال رجل من أهل البادية : كنت أرى الكلب يمر بالخصفة عليها الخلاصة فيشمها ويمضى عنها . محمد بن كُناسة قال : أخبرنى بعض فصحاء أعراب طيّ قال : بعث قوم رائداً فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وتعاشيب وكمأةٌ متفرقة شِيب تقلعها بأخفافها النِّيب ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا

فضحك وقال : أحسنت بأبى انت وامي جئت والله به قبلا ما انتظرت به القرب ، وما ألوم الخليفة ان يجعلك فى سماره ويتملح بك وإنك لمن طراز مارايت بالعراق مثله ، ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك باحدى عينى ويمنى يدي ، وعلى ان فيك بحمد الله ومنه بقية تسر الودود وترغم الحسود

(١) هذا بدوي آخر كانت تؤخذ عنه اللغة وآدبها

(٢) الربذة : قرية على ثلاثة اميال من قرى المدينة وإليها نفى عثمان أبا ذر الغفاري وبها مات

(٣) مقاط الحرة : منقطعها . والحرة : الارض ذات الحجارة السود الرخوة ، بركانية ، والمقصود بالحرة هنا حرة المدينة التى كانت بها وقعة مسلم بن عقبة المرى فى عهد يزيد بن معاوية

(٤) صلال من الربيع : قطعة من العشب خلفها الربيع

(٥) الخضمة : النبت الاخضر الرطب ، كان بالاصول : خمص ، وهو خطا والصواب ما أثبتناه . والخمط : النبت ياخذ طعما من مرارة ، والصليان نبت ، والقرمل شجر ضعيف بلا شوك .

(٦) الفقعاء : الكماة

كذب ! فأرسلوا آخر فقالوا : ماوراءك ؟ قال عُشب ثَأْدٌ مَأْدٌ مولى وعبد مُتدارك جَعد كأفخاذ نساء بني سعد تشبع منه الناب وهى تعد . قال : لأن النبت إذا كان قليلا وقفت عليه الإبل وإذا كان كثيراً أمكنها الأكل وهى تعدو . وقالوا : بعث رجل أولاده يرتادون فى خِصب فقال أحدهم : رأيتُ بَقلا وماء غيلا يسيل سيلا وخوصة تميل ميلا يحسبها الرائد ليلا . وقال الثانى : رأيت دِيمة على دِيمة فى عهدها غير قديمة وكلأ تشبع منها الناب قبل العظيمة .

وقال أبو مُجيبٍ : قيل لأوفى بن عُبَيْدٍ : ائتِ وادى كذا وكذا فارتده لنا، فقال : وجدت به خشباً هَرْمِيّاً وعُشباً شرْبِيّاً . قال : والهرمى ليس له دخان إذا أوقد من يُبسه وقدمه ، والشَّرمى : العُشب الضَّخمُ يقال هذا عُشب شَرْمٍ .

وقال هَرِمُ بن زيدٍ الكلبي : إذا أحيا الناس قيل قد أكلأت الأرض واخرَنْفَشَتِ العنزُ لأختها ولحس الكلبُ الوَضَر . قال : إخرِنفاشُ العنز أن تنتفش شعرها وتنصب روقيها فى أحد شقيها لتنطح صاحبتها، وإنما ذلك من الأشر حين ازدهت وأعجبتها نفسها ، ولحس الكلب الوضر لما يفضلون منه لأنهم فى الجَدْبِ لايدعون للكلب شيئاً يلحسه . قال أبو مُجيبٍ : إذا أجدب الرائد قال : وجدت أرضا أرْمَى عَشْمَى . فأما العشمى فالتى يُرى فيها الشجرُ الأعْشمُ وإنما يَعْشِمُ من الهبوة ، ويقال للشيخ إنما هو عَشَمَةٌ ، فأما الأرمَى فالتى أرمت فليس فيها أصل شجرة .

قال أبو عُبَيْدَة : قال بعض الأعراب : تركت جراداً عراداً كأنها نعامة باركة . يريد التفاف نبتها وهى من نبت بلاد تميم . وقيل لأعرابى : ما وراءك ؟ قال : خلفتُ أرضاً تظالم مِعزاها . يقول سمنت وأشرت فتظالمت . وتقول العرب : ليس أظلم من حية ، وتقول العرب : ليس أظلم من وَرَلٍ ، وأظلم من ذِئبٍ ، كما تقول : أغدرُ من ذِئبٍ ، وكما تقول : أكسب من ذِئبٍ ، قال الأسدى :

لعَمْرُكَ لَوْ أنّى أُخاصِمُ حَيّةً إلى فقعَسٍ مَا أنْصَفَتْنى فَقعَسُ

إذا اقتلت ماتت الدّاه بيني وبينهم أتى حاطبٌ منهم لآخر يقبس
فما لكمُ طلْساً إليّ كأنكم ذئاب الغضا والذئب بالليل أطلس

وقال الفزارى :

وَلَوْ أُخاصِمُ أفعى نابها لثِق أو الأساودَ من صُمّ الأهاضيبِ
وَلَوْ أُخاصِمُ ذِيباً فِى أكيلتِهِ لجاءني جمعهم يسعى مع الذيبِ

يقول بلغ من ظلم قومنا لنا أنا لو خاصمنا الذئاب والحيّات — وبها يضربون المثل فى الظلم — لقضوا لها علينا . وقالت العرب : إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة. هذا فى قلة العُشب وإنما تلحسه الناقة لقلته وقصره .

وحدثنا أبو زيادٍ الكلابى قال : بعث قوم رائداً لهم بعد سنين تتابعت عليهم فلما رجع اليهم قالوا له : ماوراءك ؟ قال : رأيت بقلا يشبع منه الجمل البروك وتشكت منه النساء وهمّ الرجلُ بأخيه . قال : أما قوله الجمل البَروك يقول : لو قام قائماً لم يتمكن منه لقصره . وأما قوله : وتشكت منه النساء فانه مأخوذ من الشكوة ، والشكاء أصغر الوِطاب ، يقول : لم يكثر اللبن بعد فيمخض فى الوطاب ، وقوله وهم الرجل بأخيه أى هم أن يدعوه الى منزله كما يصنعون فى أيام الخصب ، وقال غيره : الخصب يدعو إلى طلب الطوائل وغزو الجيران وإلى أن يأكل القوىُّ مَن هو أضعف منه . وقالوا فى الكلأ : كلأٌ تشبع منه الإبل معقلة ، وكلأٌ حابس فيه كمرسل . يقول : من كثرته سواء عليك حبستها أو أرسلتها ، وتقول كلأٌ يتجع منه كبد المصرم . وأنشد الباهلى :

ثمَّ مُطِرْنا مَطرةً رويّهْ فنبتَ البقلُ ولا رعيّهْ

وأنشد الأصمعى :

فجنّبكَ الجيوشَ أبا زُنَيْبٍ وجادَ عَلى مَسارحِكَ السَّحابُ

يجوز أن يكون دعاء عليه ، وأن يكون دعاء له . وقال الآخر :

أَمْرَعَتِ الأَرْضُ لَوْ أَنَّ مَالاَ   لَوْ أَنَّ نُوقًا لَكِ أَوْ جِمَالاَ
أَوْ ثَلَّةً مِنْ غَنَمٍ إِمَّالاَ

وقال ابن الأعرابى : سأل الحجاج رجلا قدم من الحجاز عن المطر فقال : تتابعت علينا الأسمية حتى منعت السُّفار وظالمت المعزى واحتلبت الدَّرَّ بالجرة .

لقيط قال : دخل رجل على الحجاج فسأله عن المطر فقال : ما أصابنى من مطر ولكنى سمعت رائداً يقول : هلم أظعنكم إلى محلة تُطفأ فيها النيران وتتنافش فيها المعزى وتبقى بها الجِرَّة حتى تتنزل الدّرة .

أبُو زيْد قال : تخاصمت امرأتان إلى إبنة الُخس فى مراعى أبويهما فقالت الأولى : إبل أبى ترعى الأُسيلح ، قالت إبنة الخُس : رغوة وصريح وسنام إطريح ، قالت الأخرى : مرعى إبل أبى الخلة ، قالت إبنة الخُس : سريعة الدرة والجرة .

وقال الأحوص بن جعفر(١) بعد ما كبر وعَمِى و بنوه يسوقون به : أى شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : عرف الثُّمام والضَّعة ، قال : سوقوا ثم إنها عادت فأرتعت بمكان آخر فقال : أى شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : العضاه والغمضة ، قال : عود عويدٌ شبع بعيد ، وقال : سوقوا حتى إذا بلغوا بلداً آخر قال : أى شىء ترتعى الإبل ؟ قالوا : نَصِيًا وصليانا ، قال : مكفية لرعائها مطولة لذراها ، أرعوا وأشبعوا . ثم سألهم فقال : أى شىء ترتعى الإبل قالوا : الرِّمث ، قال : خلقت منه وخلق منها ، قال أبو صاعد : وزعم الناس أن أول ماخلقت الإبل من الرِّمث ، وعلامة ذلك أنك لاترى دابة تريده إلا الإبل . وقيل لرؤبة : ما وراءك ؟ قال : الثرى يابس ، والمرعى عابس .

وقالت امرأة من الأعراب : أصبحنا ما يرقد لنا فرس وما ينام لنا حرس .

---

(١) الأحوص اسمه ربيعة بن جعفر ، كان سيد بنى عامر فى الجاهلية

قالوا : كان أبو المجيب كثيراً ما يقول : لا أرى امرأة تُصَبَّرُ عينيها ولا شريفاً يهنأ بعيراً(١) ولا امرأة تلبس نطاق يمنة .

وخَطَبَ بِلَالُ بْنُ أبي بُرْدَة بالبصرة فعرف أنهم قد استحسنوا كلامه فقال : لا يمنعكم سوء ماتعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا .

وقال عمرُ بْنُ عَبْدِ العزيز : ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم.

وقال غَيْلَانُ أبو مَروان : إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب

قال رجل من بنى سليم ، وسأله الحجاج عن المطر ، فقال : أصابتنا سحائب ثلاث : سحابة بِحَوْرَانَ بقطر صغار وقطر كبار فكان الكبار للصغار لُحمة ، ثم أصابتنا الثانية بسوء فلبدت الدِّماث ورحضت العَزَازَ وأسالت التِّلَاعَ وحرثت الرجع وصدعت الكماة عن أماكنها ، ثم أصابتنا الثالثة بالقريتين فملأت الآحاد وأفعمت كل واد وأقبلنا فى ماء يجر الضبعَ ويستخرجها من وجارها . وقال رجل من بنى أسد لمحمد بن مَروان وسأله عن المطر فقال : ظهر الإعصار وكثر الغبار وأكل ما أشرف من الخبئة وأيقنا أنه عام سنة .

وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن الإسكندر كان لايدخل مدينة إلا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدِّبه فيها فخرج إليه فألطفه الاسكندر وأعظمه فقال له : أيها الملك ، إن أحق من زين لك أمرك وآتاك على كل ماهويت لأنا ، وإن أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك وأحب أن لاتشفعنى فيهم وأن تخالفنى فى كل ما سألتك لهم ! فأعطاه من ذلك ما لايقدر على الرجوع عنه ، فلما توثق منه قال : فإن حاجتى أن تدخلها وتخربها وتقتل أهلها ! قال : ليس إلى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج . وقال يزيد بن المهلب وقد طال عليه حبس الحجاج : والهفاه على فرَج فى جبهة أسد وطلبة بمئة ألف ! قال الأصمعى : دخل دُرُسْتُ بن رِباط الفقيمى

(١) يهنأ بعيرا : يداوى جربه بالهناء وهو القطران

على بلال بن أبي بُردة وهو في الحبس فعلم بلال أنه شامت به فقال بلال : ما يسرني بنصيبي من الكره حمر النعم ! فقال درست : فقد أكثر الله لك منه . قال الهيثم ابن عدي : كان سجان يوسف بن عمر يرفع إلى يوسف بن عمر أسماء الموتى فقال له بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري : إقبض هذه العشرة الآلاف درهم وأرفع إسمي في الموتى ! قال : فرفع إسمه في الموتى ، فقال يوسف بن عمر : جئني به ؟ فرجع إليه فأعلمه فقال : ويحك إتق الله فيّ فاني أخاف القتل ! قال : وأنا أيضاً أخاف ما تخاف ! ثم قال : قتلك أهون من قتلي ولا بد من قتلك ! فوضع على وجهه مخدة فذهبت نفسه مع المال .

وأما عبدُ اللهِ بْنُ المُقَفَّع فإن صاحب الإستخراج (١) لما ألح عليه في العذاب قال لصاحب الاستخراج : أعندك مل وأنا أُربحكَ رِبحًا ترضاه وقد عرفت وفائي وسخائي وكتماني ؟ فعيني مقدار هذا النجم ؟ فأجابه إلى ذلك ، فلما صار عليه مال ترفق به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتوى ماله (٢)

وقال رجل لعمرو الغزال : مررت بك البارحة وأنت تقرأ . قال : لو أخبرتني أي آية كنت فيها لأخبرتك كم بقي من الليل .

وسمع مُورج البصري رجلا يقول : أمير المؤمنين يرد على المظلوم ! فرجع إلى مصحفه فرد على براءة « بسم الله الرحمن الرحيم » ! ؟

وكان عَبْدُ الملك بنُ مَرْوَانَ في مرضه الذي مات فيه يعطش وقيل له : إن شربت الماء مت ! فأقبل ذات يوم بعض العواد فقال : كيف حال أمير المؤمنين ؟ قال : أنا صالح ، الحمد لله ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) كان في الدولة الاموية والعباسية ديوان يسمى « ديوان الاستخراج » يعذب فيه من اتهم باحتجان اموال الدولة من الولاة والوزراء والكتاب وجباة الخراج

(٢) كان السبب في حبس عبد الله بن المقفع وتعذيبه انه كان في خاصة آل سليمان بن على العباسي . فلما لجأ عبد الله بن على العباسي إلى محمد بن سليمان وطلبه ابو جعفر فلم يرد ان يستأمن له إلا بعهد برضاه . فكتب ابن المقفع ذلك العهد وغلظ فيه الايمان وبالغ في ذلك ما شاء . فلما قرأه ابو جعفر وجم واسرها في نفسه فلما قبض على عبد الله بن على ناقضا لذلك العهد وحبسه حتى مات ، طلب ابن المقفع حتى قبض عليه وامر بتعذيبه جزاء ما كتب في ذلك العهد ، ثم اماته

وَمُسْتَخْبِرٍ عَنَّا يُرِيدُ بِنَا الرَّدَى ... وَمُسْتَخْبِرَاتٍ وَالعُيُونُ سَوَاجِمُ

ويلكم ، إسقونى ماء ولو كان فيه تلف نفسى ! فشرب ثم مات .

وكان حَبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ الفِهْرِى رجلا غزّاء للترك ، فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته فقالت له امرأته : أين مَوعدُك ؟ قال : سُرادق الطاغية أو الجنة إن شاء الله تعالى ! قالت : إنى لأرجو [أن] أسبقك إلى أى الموضعين كنت به ! فجاء فوجدها فى سُرادق الطاغية تقاتل الترك .

ولما مدح الكُميت بن زيد الأسدى مُخلّد بن يزيد بن المهلب قال له ابن بَيض : إنك يا أبا المُستهل لكالجالب التمر إلى هجَر ! قال : نعم ، ولكن تمرنا أجود من تمركم . (١) وكان السّيد الحِمْيَرِىّ (٢) مُولعاً بالشراب فمدح أميراً من أمراء

(١) وفي بعض روايات ابي الفرج أن حمزة بن بيض قدم على مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت فأنشده :

أتيناك فى حاجة فاقضها ... وقل مرحبا يجب المرحب
ولا تتكلنا إلى معشر ... متى يعدوا عدة يكذبوا
فانك في الفرع من أسرة ... لهم خضع الشرق والمغرب
وفى أدب منهم مانشأت ... ونعم لعمرك ما أدبوا
بلغت لعشر مضت من سنيك ... مايبلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسام الأمور ... وهم لداتك أن يلعبوا
وجدت فقلت ألا سائل ... فيعطى ألا راغب يرغب

فأمر له بمائة الف درهم فحسده الكميت فقال : ياحمزة ، أنت كمن يهدي التمر إلى هجر ! قال : نعم، ولكن تمرنا اطيب من تمر هجر

(٢) هو ابو هاشم السيد إسماعيل بن محمد الحميرى . شاعر متقدم مطبوع ، قيل إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار وابو العتاهية والسيد . فانه لايعلم ان احداً قدر على تحصيل شعر احد منهم اجمع . وإنما مات ذكر السيد وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب بعض الصحابة وبعض ازواج النبي . وكان له طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه او يقاربه . قال الفرزدق : إن ههنا لرجلين لو اخذا فى معنى الناس لما كنا معهما فى شيء . السيد الحميرى وعمران ابن حطان السدوسى ، ولكن الله قد شغل كل واحد منهما بالقول فى مذهبه . وقيل للسيد : مالك لاتستعمل من الغريب فى شعرك مايسئل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال : لأن اقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من سمعه خير من ان اقول شيئاً متعقداً تضل فيه الأوهام . ولما استقام الأمر لبنى العباس قام السيد إلى أبي العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال :

دونكموها يابنى هاشم ... فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها لا على كعب من ... كان عليكم ملكها نافسا

الأهواز (١) ثم صار إليه بمديحه له، فلم يصل إليه وأغب الشراب. فلما كان ذات يوم شرب، ثم وصل إليه فجلس من بعد، فقربه وشم منه ريح الشراب فقال له: ما كنت أظن أبا هاشم يفعل هذا! ولكن يُحتمل لمادح آل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا!؟ يمازحه، ثم قال: يا جارية، هلُمى الدواة؟ ثم كتب إلى بعض وكلائه: إدفع إلى أبى هاشم مِثَنَى دورق ميتحنحا! قال السيد: لقد كنت أظن الأمير أبلغ مما هو! قال: وأى شيء رأيت من العى؟ قال: جمعك بين حرفين وأنت تجتزئ بأحدهما! أمح هذه الخيشة بجنحا ودع ميتاً على حالها! ففعل وحمل الكتاب فأخذها عبيطا.

عبد الله بن قائد قال: قالت امرأة الحُصين بن المنذر للحصين: كيف سُدت قومك وأنت بخيل وأنت دميم؟ قال: لأنى سديد الرأى شديد الإقدام.

وقال مَسْلَمَةُ بنُ عَبْدِ الملكِ لِهشَامِ بنِ عَبدِ الملكِ. كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان؟ قال: لأنى حليم وأنى عفيف. قال زَبَّانُ (٢)

إنَّ بَنِي بَدْرٍ يَرَاعٌ جُوفُ ... كلُّ خَطِيبٍ مِنْهُم مُؤُفُ (٣)

أهْوَجُ لَا يَنفَعهُ التَّثقِيفُ (٤)

دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكم له لابسا

لو خير المنبر فرسانه ... مااختار إلا منكم فارسا

قد ساسها قبلكم ساسة ... لم يتركوا رطبا ولا يابسا

ولست من أن تملكوها إلى ... مهبط عيسى فيكم آيسا

(١) هو أبو بجير سماك الأسدي. ورواية أبي الفرج ان ابا بجير رأى السيد متغير اللون فسأله عن حاله فقال: فقدت الشراب الذي الفته لكراهة الأمير إياه! قال: فاشربه فانا نحتمله لك؟ قال: ليس عندى! قال: لكاتبه: اكتب له بمثنى دورق ميختج، فقال له السيد: ليس هذا من البلاغة! قال: وما هي البلاغة؟ قال: ان تأتى من الكلام بما يحتاج إليه وتدع مايستغنى عنه. قال: وكيف ذلك؟ قال: اكتب بمثنى دورق مي، ولا تكتب بختج فانك تستغنى عنه! فضحك ثم امر له بذلك والمى النبيذ

(٢) هو زبان بن سيار بن عمرو الفزارى. مضت ترجمته فى ص١٨ من الجزء الأول

(٣) يراع جوف: قصب اجوف. مؤف: مصاب بآفة

(٤) اهوج: به حمق وطيش وتسرع

وقالَ لَبيدُ بنُ ربيعة :

وأبيضَ يجتابُ الخروقَ على الوجى ... خطيباً إذا التفَّ المجامعُ فيصلا [١]

وقال فى تفضيل العلم والخطابة ، وفى مدح الإنصاف وذم الشغب :

ولقدْ بلوتُكَ وابتليتُ خليقتى ... ولقدْ كفاكَ معلمى تعليمى

وقال لبيد:

ذهبَ الذينَ يعاشُ فى أكنافِهِمْ ... وبقيتُ فى خلفٍ كجلدِ الأجربِ [٢]

يتأكلونَ مغالةً وخيانةً ... ويعابُ قائلُهُمْ وإنْ لمْ يشغبِ [٣]

وقال زيدُ بنُ جندبٍ [٤] :

ما كانَ أغنى رجالاً ضلَّ سعيُهُمُ ... عنِ الجدالِ وأغناهُمْ عنِ الخطبِ

وقال لقيطُ بنُ زرارةَ [٥] :

إنى إذا عاقبتُ ذو عقابِ ... وإنْ تشاغبنى فذو شغابِ

---

(١) يجتاب الخروق : يقطع المفاوز . على الوجى : على ما فيه من حفا . فيصل : قاطع

(٢) الاكناف : الجوانب . والخلف : الجيل السوء الذى لاخيرفيه

(٣) مغالة : سرقة

(٤) كرر الجاحظ هذا البيت فيما مضى فى عدة مواضع منسوبا إلى زيد بن جندب . ثم جاء ابو العباس المبرد فعزاه فى ابيات إلى رجل من الخوارج يقال له : الصلت بن مرة ، قاله عندما اختلف الخوارج فى حربهم مع المهلب . فقال الصلت لقطري بن الفجاءة : يا امير المؤمنين ..إن كنت تريدالله فاقدم على القوم وإن كنت تريد الدنيا فاعلم اصحابك حتى يستأمنوا وانشا الصلت يقول :

قل للمحلين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا اناسا على دين ففرنا ... طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان اغنى رجالا ضل سعيهم ... عن الجدال واغناهم عن الخطب

إنى لاهونكم فى الارض مضطربا ... مالى سوى فرسى والرمح من نشب

وراجع ص ٥٠ من الجزء الاول

(٥) هو لقيط بن زرارة بن عدس الحنظلى . من فرسان العرب فى الجاهلية واجوادهم وساداتهم وشعرائهم ، قتله شريح بن الأحوص يوم شعب جبلة ، من أيامهم .

وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ (١) :

وَكَمْ حَلَّهَا مِنْ تَيِّحَانٍ سَمَيْذَعٍ ... مُصَافِي النَّدَى سَارٍ بِيَهْمَاءَ مُطْعِمِ (٢)
طَوِي الْبَطْنِ مِتْلَافٍ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا ... عَلَى الْأَمْرِ غَوَّاصٍ وَفِي الْحَيِّ شَيْظَمِ (٣)

وقال الآخر :

وَأَغَرَّ مُنْخَرِقِ الْقَمِيصِ سَمَيْذَعٍ ... يَدْعُو لِيَغْزُو ظَالِمًا فَيُجَابُ
قَدْ مَدَّ أَرْسَانَ الْجِيَادِ مِنَ الْوَجَى ... فَكَأَنَّمَا أَرْسَانُهَا أَطْنَابُ

وقال الآخر :

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ عِنْدَ خِيَانَةٍ ... وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ رَوَانِ
وَ كَالسَّيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ ... وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

وقال آخر :

يُقَطِّعُ طَرْفَهُ عَنِّي سُوَيْدٌ ... وَلَمْ أَذْكُرْ بِسَيِّئَةٍ سُوَيْدَا
تَوَقَّ حِدَادَ شَوْكِ الْأَرْضِ تَسْلَمْ ... وَغَيْرَ الْأُسْدِ فَاتَّخِذَنَّ صَيْدَا

وقال آخر :

لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبِلَى ... فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالْ
كِلَاهُمَا مَوْتٌ وَلَكِنَّ ذَا ... أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالْ

---

(١) مضت ترجمته فى ص ١٨ من الجزء الاول . وهذان البيتان من قصيدة يقول فيها :

ودهم تصاديها الولائد جلة ... إذا جهلت أجوافها لم تحلم
ترى كل هرجاب لحوج لهمة ... زفوف تشلو الناب هوجاء عيلم
لها لغط جنح الظلام كأنه ... عجارف غيث رائح متهزم
إذا ركدت حول البيوت كأنما ... ترى الآل يجرى عن قنابل صيم

(٢) التيحان : الكثير الحركة العريض للأمور . والسميدع : السيد الكريم الشجاع الشريف السخى الموطأ الأكناف . واليهماء : الفلاة لا أعلام فيها

(٣) الشيظم : الطويل الجسيم الحسن المبنة

وللحُسين بن مَطِير (١) :

رَأتْ رَجُلاً أوْدَى بوافِرِ لحْمِهِ طِلابُ المعالي واكتِسابُ المكارمِ
خَفيفَ الحَشا ضَرْبًا كأنّ ثِيابَهُ على قاطعٍ مِنْ جوْهرِ الهِنْدِ صارمِ (٢)
فقلتُ لها لا تَعْجبنّ فإنّني أرى سِمنَ الفِتيانِ إحدى المشاتمِ

وكان عُمرُ بنُ الخطابِ رضى الله تعالى عنه إذا رأى عبدَ الله بنَ عباسٍ فى الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: غُصْ غوّاص!

وقال ابنُ أحمرَ :

هلْ لامني قومٌ لموْقفِ سائلٍ أوْ فى مُخاصمةِ اللَّجُوجِ الأصْيدِ

وقال لَبِيدُ بنُ ربيعةَ فى التطبيق على قوله :

يا هَرِمَ ابنَ الأكرمينَ منصِبا إنّكَ قد أوتيتَ حُكْمًا مُعْجِبا
فطبّقِ المَفْصِلَ واغنمْ طَيِّبا

وقال آخر (٣) :

فلمّا أنْ بدا القعقاعُ لَجّتْ على شَرَكٍ تُناقِلُهُ نِقالا
تعاوَرْنَ الحديثَ وطبّقْنهُ كما طبّقتَ بالنعلِ المِثالا

وقال ابنُ أحمرَ :

لوْ كُنْتُ ذا علمٍ علمْتُ وكيفَ لي بالعِلْمِ بعْدَ تدبُّرِ الأمْرِ

(١) هو الحسين بن مطير الاسدى ، مولاهم . كان شاعراً مقدما فصيحا في القصيد والرجز من شعراء الدولتين الأموية والعباسية . وكان فى زيه وكلامه يشبه الأعراب وأهل البادية

(٢) الضرب ، ههنا : الرجل الخفيف اللحم ، والندب الماضي فى الامور

(٣) أرجح أن قائل هذا الشعر ابوكلدة بن عبيد اليشكرى . وكان من شعراء الدولة الاموية وممن خرج مع ابن الاشعث فقتله الحجاج . وكان قبل ذلك عند القعقاع بن سويد المنقرى وهو على سجستان وله فيه مدائح . فذم من القعقاع بعض ماعامله به فقال فيه ، ولعل هذه الابيات من القصيدة التى اختار منها الجاحظ بيتيه ، قال :

ستعلم أن رأيك رأي سوء إذا ظل الامارة عنك زالا
وراح بنو ابيك ولست فيهم بذى ذكر يزيدهم جمالا
هناك تذكر الاسلاف فيهم إذا الليل القصير عليك طالا

وقال :

لَيْسَتْ بِنَوْثَاةِ الحديثِ وَلاَ ... فَنِقٍ مُغَالِبَةٍ عَلَى الأَمْرِ

وقال :

تَضَعُ الحديثَ عَلى مواضِعِهِ ... وَكَلاَمُهَا مِنْ بَعْدِهِ نَزْرُ

وقال :

وَخَصْمٍ مُضِلٍّ في الضِّجاجِ تَرَكْتُهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا شَغْبٍ فَوَلَّى مُوَائِبَا

وذكر عليٌّ بنُ أبي طالب رضى الله تعالى عنه أُكْتَلَ بنَ شَمَّاخٍ العُكْلِيَّ فقال : ألصبيحُ الفصيحُ . وهو أول من اتخذ بيت مال لنفسه فى داره .

وعن الحسن قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يُعْطُونَ الحِكْمَةَ عَلى مَنَابِرِهِمْ وَقُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الجِيَفِ »

خطبة للحجاج

عن مالك بن سليمان قال : غَدَوْتُ إلى الجمعة فجلست قريباً من المنبر فصعد الحجاج المنبر ثم قال :

أمرؤٌ زوَّر عمله ، أمرؤٌ حاسب نفسه ، أمرؤ فكر فيما يقراؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه ، أمرؤٌ كان عند قلبه زاجراً وعند همه ذاكراً ، أمرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله فإن قاده إلى طاعة الله قبله وتبعه وإن قاده إلى معصية الله كفه .

وبعث عَدِيُّ بنُ أَرْطَاةٍ إلى المَهَالِبَةِ أبا المُلَيح الهذلى (١) وعبدَ الله بنَ عبدِ الله بن الأهتم والحسنَ البصريَّ ، فتكلم الحسن ، فقال عبدُ الله : والله ما تمنيت كلاماً قط أحفظه إلا كلام الحسن يومئذ .

---

(١) هو ابو المليح عامر بن اسامة الهذلى ، كان من خيار التابعين صاحب اخبار واحديث ، وهو من اساتذة ايوب السختياني ، توفى سنة ١١٢ هـ

وتنقّص ابنٌ لعبد الله بن عُروةَ بنِ الزُّبيْر علياً رضى الله تعالى عنه فقال له أبوه : والله ما بنى الناسُ شيئاً قط إلا هدمه الدين ، وما بنى الدينُ قط شيئاً فاستطاعت الدنيا هدمه ، ألم تر إلى عليّ كيف يُظهر بنو مرْوانَ من عَيبه وذمّه ! والله لكأنّما يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء ! وما ترى ما يندبون به موتاهم من التأبين والمديح ؟ والله لكأنّما يكشفون به عن الجيف .

أبو الحسن قال : قال عبدُالله بنُ الحسن لابنه محمد حين أراد الإستخفاء :(١) أي بنى ، إني مؤدٍّ إليك حق الله فى حسن تأديبك فأدِّ إلىّ حق الله فى حسن الاستماع ، أى بنى ، كُفَّ الأذى وارفض البَذَاء واستعنْ على(٢) الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها إلى القول ، فان للقول ساعات يضر فيها خطؤه ولا ينفع صوابه ، إحذر مَشُورَةَ الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر مَشُورَةَ العاقل إذا كان غاشا ، فانه يوشك أن يُورّطاك بمشورتهمافيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل . وكان يقال : من لانت كلمته وجبت محبته ، ومن طال صمته اجتلب من الهيبة ماينفعه ومن الوحشة مايضره

باب أنه يقول كل انسان على قدر طبعه وخلقه

قال قُتَيْبَةُ بنُ مُسلِم للحُصَينِ بنِ المُنْذِر :(٣) ما السرور ؟ قال : امرأة

(١) راجع ص ٢٦٣ من الجزء الاول .

(٢) كان بالاصول : واستغن عن الكلام ، وهو خطا والصواب ما اثبتناه

(٣) هو الحصين بن المنذر الرقاشى ، كان من سادات قومه ، وكان شاعراً مجيدا ، وكان مع قتيبة ايام ولايته على خراسان ، سال ابو كلدة الشاعر الحصين بن المنذر الرقاشي شيئاً فلم يعطه وقال : لا اعطيك ما تشرب به الخمر ! فهجاه ابوكلدة بقوله :

يا يوم بؤس طلعت شمسه بالنحس لافارقت راس الحصين
إن حصينا لم يزل باخلا مذ كان بالمعروف كز اليدين

فقال الحصين يجيبه :

عض ابو كلدة من امه معترضا ماجاور الاسكتين
بظرا طويلا غاشيا رأسه اعقف كالمنجل ذاشعبتين

حسناء وذار قوْرَاء وفرس فارهٌ مرتبط بالفناء . وقيل لضرار بن الحسين [1] : ما السرور ؟ قال : لِوَاءٌ منشور وجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبدِ الملكِ بنِ صَالح [2] : ما السرور ؟ قال :

كلُّ الكرَامَةِ نِلتُهَا ... إلاَّ التَّحِيَّةُ بالسَّلاَمِ [3]

وقيل لعبدِ اللهِ بنِ الأهتم : ما السرور ؟ قال رفع الأولياء وحط الأعداء وطول البناء مع القدرة على النماء . وقيل للفضلِ بنِ سَهْل : ما السرور ؟ قال : توقيع جائز وأمر نافذ .

أبو الحسن المدائنى قال : قيل لانسان بَحْرِيٍّ : أى شيء تمنى ؟ قال شربة من ماء الفنطاس والنوم فى ظل الشراع وريحاً ذُنبداذاً .

وقيل لطفيلى : كم اثنتين فى اثنتين ؟ قال : أربعة أرغفة ! وقال الفلاس القصاص : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وستين درهما !

وقلت لملاح لى وذلك بعد العصر فى رمضان : أنظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مرديين ونصف ! وقال آخر: وقع علينا اللصوص فأول رجل دخل علينا السفينة كان فى طول هذا المردى وكانت فخذه أغلظ من هذا السكان واسودّ وجه صاحب السفينة حتى صار أشد سواداً من هذا القير ! وأردت الصعود مرة فى بعض القناطر وشيخ ملاح جالس وكان يوم مطر وزلق ، فزلق حمارى فكاد يلقينى بجنبي لكنه تماسك فأقعى على عجزه

وقال الحصين يهجو ابنه غيظا :

نبي لما اوليت من صالح مضى ... وأنت لتأنيب على حفيظ
تأبين لاهل الغل والغمر منهم ... وانت على اهل الصفاء غليظ
عدوك مسرور وذو الود بالذي ... أرى منك من غيظ على كظيظ
وسميت غياظا ولست بغائظ ... عدوا ولكن الصديق تغيظ
فلا حفظ الرحمن روحك حية ... ولا هي فى الارواح حين تفيظ

(١) راجع ص ٢٢٣ من الجزء الاول

(٢) راجع ض ٢٦٥ من الجزء الاول

(٣) بريد الملك والخلافة

فقال الشيخ الملاح : لا اله الا الله ، ما أحسن ماجلس على كَوْثَلَهْ ! ومررت بتل طين أحمر ومعى أبو الحسين النحاس فلما نظر إلى الطين قال . أى أدارى يجىء من هذا الطين ! ومررنا بالخلد[١] بعد خرابه . فقال: أى اصطبلات تجىء من هذا الموضع !

وقيل لبعضهم : ما المروءة ؟ قال: طهارة البدن والفعل الحسن . وقيل لمحمد بن عمران : ما المروءة ؟ قال: أن لاتعمل فى السر شيئاً تستحى منه فى العلانية . وقيل للأحنف : ما المروءة؟ قال : العفة والحرفة . وقال طلحة بن عبيد الله[٢]: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة . وقيل لأبى هُريرة : ما المروءة؟ قال: تقوى الله وإصلاح الصنيعة والغداء والعشاء بالأفنية .

ونظر بكر بن الأشعر — وكان سجاناً — مرة إلى سوردار بجالة بن عبدة فقال : لا إله إلا الله : أى سجن يجىء من هذا ! وقال إنسان صيرفى . باعنى فلان عشرين جريباً ودانقين ونصفاً ذهباً .

ونظر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه إلى عير مقبلة فقال لأبى ذَر[٣]: ما كنت تحب أن تحمل هذه ؟ فقال أبو ذر : رجالا كأمثال عمر[٤]

وقيل للزُّهرى : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أما إنه ليس بِشعَثِ اللِّمة ولا قشَفِ الهيئة ولكنه ظلف النفس عن الشهوة . وقيل للزهرى : ما الزهد فى الدنيا

(١) الخلد قصر بناه المتوكل على الله العباسى فى بغداد .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله التيمى ، كان من أجلاء الصحابة من المهاجرين الأولين ومن العشرة الكرام ومن أصحاب الشورى ولم يحضرها ، ثبت مع رسول الله يوم احد وتلقى عنه ضربة شلت بها يده . وكان شديدا على عثمان فلما حضر لقتال على يوم الجمل رماه مروان بن الحكم بسهم حقدا عليه لما كان منه لعثمان . فمات رحمه الله

(٣) هو ابو ذر الغفارى . اسلم بمكة ثم رجع إلى قومه فلم يشهد بدراً ولا احدا ولاالخندق ، ثم قدم المدينة وصحب رسول الله وروى عنه الحديث . وكان قد اخذ على عثمان اشياء استحدثها فى خلافته لم يسبق إليها وسمع به وشنع عليه ودعا الناس إلى المساواة فى الحقوق فغضب منه عثمان وسيره (نفاه) إلى الربذة فمات بها سنة ٣٢ هـ

(٤) كان بالاصول : رجالا لامثل عمرى ، ولامعنى لهذا الكلام ، وإنما اراد ان يغيظ عثمان فقال له : رجالا كأمثال عمر . هذا ما رايته صواباً او قريبا في الصواب ، ولذلك اثبته بالاصل

قال : أن لا يغلب الحرام صبرك ولا الحلال شكرك . ونظر زاهد إلى فاكهة فى السوق فلما لم يجد ما يبتاعها [به] عزى نفسه وقال : يا فاكهة ، موعدى وإياك الجنة !

قال : مر المسيح عليه السلام بخلق من بنى اسرائيل فشتموه فكلما قالوا سراً قال المسيح خيراً فقال له سِمْعَانُ الصَّفا : أكلما قالوا شراً قلت خيراً ؟ قال المسيح عليه السلام : كل امرئ يعطى ما عنده .

وقال بعضهم : قيل لامرىءِ القَيْسِ بْنُ حُجرٍ : ما أطيب عيش الدنيا ؟ قال بيضاء رُعبوبة بالطيب مشبوبة بالشحم مكروبة . وسئل عن الدنيا الأعشى فقال : صهباء صافية تمزجها ساقية من صوب غادية . وقيل مثل ذلك لِطَرَفة فقال : مطعم شهيٌّ وملبس دفئٌ ومركب وطئٌ .

وقال : كان محمد بن راشد البجلى (١) يتغدى و بين يديه شَبُّوطة (٢) وخياط يقطع له ثيابا ورآه يلحظ الشَّبُّوطَةَ فقال : قد زعمت أن الثوب يحتاج إلى خرقة فكم مقدارها ؟ قال: ذراع فى عرض الشبوطة . ودخل آخر على رجل يأكل أرجّة بعسل ، فأراد أن يقول : السلام عليكم فقال : عسليكم . ودخلت جارية رومية على راشد البستى لتسأل به عن مولاتها فبصرت بحمار قد أدلى فى الدار

(١) هو ابو جعفر محمد بن راشد الخناق أو الخناق البجلى : كان فى جملة الندماء للمامون ومن بعده ولامراء الدولة وكان ظريفا يقول الشعر و يحسن الغناء ويضع الالحان وكان صديقا لاسحق بن ابراهيم الموصلى . فنقل كلاما إلى ابراهيم بن المهدى اغضب اسحق فقال فيه اسحق :

ونديمان صدق لا تخاف اذاته ... ولا يلفظ الاخبار لفظ ابن راشد
دعانى إلى ما يشتهى فاجبته ... إجابة محمود الخلائق ماجد
فلا خير فى اللذات إلا باهلها ... ولا عيش إلا بالخليل المساعد

فجمع ابن راشد عدة من الشعراء لهجو إسحق فلم يحسنوا القول فبلغ ذلك إسحق فقال فيه :

وابيات شعر رائعات كانها ... إذا أنشدت فى القوم من حسنها سحر
تحفز واقلولى لرد جوابها ... ابو جعفر يغلى كما غلت القدر
فلم يستطعها غير ان قد اعانه ... عليها اناس كى يكون له ذكر
فياضيعة الاشعار إذ يقرضونها ... واضيع منها من يرى انها شعر

فعاذ به محمد بن راشد وصالحه فرضى عنه

(٢) الشبوط : سمك رقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الراس كانه بربط يعنى كانه العود الذى يضرب عليه فيطرب

فقالت : قالت مولاتى : كيف اير حماركم ؟ فيما زعم أبو الحسن المدائنى . وأنشد ابن الأعرابى :

وَإِذَا أَظْهَرْتَ أَمْرًا حَسَنًا ... فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَايُسَرّ
فَمُسِرُّ الْخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ ... وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرّ

وأنشد ابن الاعرابى :

أَرَى النَّاسَ يَبْنُونَ الْحُصُونَ وَإِنَّمَا ... غَوَائِلُ آجَالِ الرِّجَالِ حُصُونُهَا
وَإِنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ دُونًا وَصَالِحًا ... فَصَالِحُهَا يَبْقَى وَيَهْلِكُ دُونُهَا

وأنشد ابن الأعرابى :

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ ... زَادٌ يُبَلِّغُهُ الْمَحَلَّا
خُبْزٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ ... وَالظِّلُّ حِينَ يُرِيدُ ظِلَّا

وقال بعض الأعراب :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا شَبْعَةٌ وَتَشَرُّقٌ ... وَتمرٌ كَأَخْفَافِ الرِّبَاعِ وَمَاءٌ[1]

محمد بن حرب الهلالى قال : قلت لأعرابى : إني لك لَوَادٌّ . قال : وإن لك من قلبي لرائد . قال : وأتيت أعرابياً فى أهله مسلما عليه فلم أجده فقالت امرأته : عشَّرَ الله خطاك . أى جعلها عشرة أمثالها . وكان مُسلم بن قتيبة يقول : لم يضيع امرؤ صواب القول حتى يضيع صواب العمل .

ما يجب على الآباء للأبناء

أبو الحسن قال : قال الحجاج لمعلم وُلْدِه : علم وُلْدِى السباحة قبل الكتابة فانهم يصيبون مَن يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم .

أبو عَقيل بن دُرُست قال : رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر

(١) التشرق : الجلوس في الشمس . والرباع جمع ربع وهو الفصيل ينتج فى الربيع

فقلت له : فى أى شىء كنت اليوم ؟ قال : فى تعليم ماليس يُغنى وليس لشىء من الحيوان عنه غنى ! قلت : وما ذلك ؟ قال : السباحة .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى ساكنى الأمصار : أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية وَرَوُّوهم ما سار من المثل وحَسُنَ من الشعر .

وقال ابن التوأم : علم إبنك الحساب قبل الكتاب فإن الحسَّاب أكسب من الكُتَّاب ، ومؤنة تعلمه أيسر ووجوه منافعه أكثر . وكان يقال : لاتعلموا بناتكم الكتاب ولا ترووهن الشعر وعلموهن القرآن ومن القرآن سورة النور . وقال آخر : بنو فلان يعجبهم أن يكون فى نسائهم إباضيَّات[1] ويؤخذون بحفظ سورة النور ! وكان ابنُ التوأم يقول : مِن تمام مايجب على الآباء من حفظ الأبناء أن يعلموهم الكتاب والحساب والسباحة .

خطب رجل امرأة أعرابية فقالت له : سل عنى بنى فلان و بنى فلان و بنى فلان ! فعددت قبائل ، قال : وما علمهم بك ؟ قالت : فى كلهم قد نكحت ! قال أرى بك جَلَنفعةً قد خَزَمَتكِ الخزائم[2] ! قالت : لا ، ولكنى جوالة بالرجل شِمَّرِيسٍ[3]

وقال الفرزدق لامرأته نوار : كيف رأيت جريراً ؟ قالت : رأيتك ظلمته أولا ثم شغرت عنه برجلك آخراً ! قال : أنا أبى[4] !؟ قالت : نعم أما إنه قد غلبك فى حلوه وشاركك فى أمره .

---

(١) إباضيات منسوبات إلى المذهب الاباضى . وأهل هذا المذهب من أفاضل أهل القبلة وممن ينفرون من البدع التى ليست من الدين فى شىء ومن هنا يتهمهم بعض المسلمين بالتشدد وبعدم مسايرتهم للتقدم ، بل يرمونهم بما هم منه براء . وقد كنت خدعت بقول خصومهم فيهم فرددت مجمل مايتهمونهم به فى الصفحة ٤٣ من الجزء الأول . ثم تبين لى اليقين فيهم فعلمت أنهم من خيار المسلمين وممن يرجعون فى كل أمورهم من عبادة ومعاملة إلى الكتاب والسنة . ولا يرعك تنديد الجاحظ بهم فانهم كانوا فيما سلف خصوما للمعتزلة . رضى الله تعالى عن المسلمين كافة

(٢) الجلنفعة : التى أسنت وبها بقية . وخزمتها الخزائم : تقلبت بها الشؤون والأحوال .

(٣) شمريس : ماضية فى الأمور مجربة

(٤) أبى : أتوا كل فى شأنى

وتغدى صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحان عند معاوية يوماً فتناول من بين يدى معاوية شيئاً فقال : يا ابن صوحان ، لقد انتجعت من بعيد ! قال : من أجدب انتجع .

ونصر الفرَزْدَقُ بجرير مُحرماً فقال : والله أفسدت على ابن المراغة حجه ! ثم جاءه مستقبلا له فجمزه بِمِشْقَصٍ كان معه ثم قال :

إنَّكَ لاقٍ بالمَشَاعِرِ مِنْ مِنًى ... فَخَاراً فخَبِّرْنِي بِمَنْ أنْتَ فاخِرُ

فقال جرير : لَبَّيْكَ اللّهمَّ لَبَّيْكَ ! ولم يجبه . وأُدخلَ مالكُ بْنُ أسْماء سجن الكوفة فجلس إلى رجل من بنى مُرة فاتكأ المرى عليه يحدثه حتى أكثر وَغْمَهُ ثم قال : هل تدرى كم قتلنا منكم فى الجاهلية ؟ قال مالك : أما فى الجاهلية فلا ولكنى أعرف من قتلتم منا فى الإسلام ! قال المرى : ومن قتلنا منكم فى الاسلام ؟ قال : أنا قد قتلنى وغْماً(١)

ودخل رجل من مُحارب قَيسٍ على عَبْدِ الله بْنِ زيدٍ الهلالى وهو عامل على أرمينية ، وقد بات فى موضع غدير قريب منه فيه ضفادع ، فقال عبدُ الله للمحاربى : ما تركتنا أشياخُ محارب ننام فى هذه الليلة لشدة أصواتها ! قال المحاربى : أصلح الله الأمير ، إنها أضلت برقعاً لها فهى فى بَغائه ! أراد الهلالى قول الأخطل :

تَنِقُّ بِلاَ شَىْءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ ... وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلاَ تَبْرِى

ضَفَادِعُ فى ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ ... فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وأراد المحاربى قول الشاعر :

لِكُلِّ هِلاَلِىٍّ مِنَ اللُّوْمِ بُرْقُعٌ ... وَلاِبْنِ هِلاَلٍ بُرْقُعٌ وَقَمِيصُ

وقال العتبي :(٢)

رَأيْنَ الغَوَانِى الشَّيْبَ لاَحَ بِعَارِضِى ... فَأعْرَضْنَ عَنِّى بالخُدُودِ النَّوَاضِرِ

(١) الوغم : الثقيل الاحمق . والوغم : القهر والغيظ

(٢) هو محمد بن عبيد الله العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان . كان راوية إخباريا شاعرا بليغا وخطيبا لسنا ، وكان مستهترا بالشراب ، واكثر أخباره عن بنى امية . سنة ٢٢٨ ه

وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْنَنِي أَوْ سَمِعْنَ بِي ... سَعَيْنَ فَرَقَّعْنَ الكُوَى بِالمَحَاجِرِ
لَئِنْ حُجِبَتْ عَنِّي نَوَاظِرُ أَعْيُنٍ ... رَمَيْنَ بِأَحْدَاقِ المَهَا وَالجَآذِرِ
فَإِنِّيَ مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ أُصُولُهُمْ ... لِأَقْدَامِهِمْ صِيغَتْ رُؤُسُ المَنَابِرِ
خَلَائِفُ فِي الإِسْلَامِ فِي الشِّرْكِ قَادَةٌ ... بِهِمْ وَإِلَيْهِمْ فَخْرُ كُلِّ مُفَاخِرِ

قال لَبيد :

وَالشَّاعِرُونَ النَّاطِقُونَ إِذَا هُمُ ... سَلَكُوا طَرِيقَ مُرَقِّشٍ وَمُهَلْهِلِ

وقال آخر :

أَمْ مَنْ لِبَابٍ إِذَا مَا اشْتَدَّ حَاجِبُهُ ... أَمْ مَنْ لِخَصْمٍ بَعِيدِ الغَوْرِ مِغْوَارِ

وقال حاجِبُ بْنُ دِينارٍ المازنى :(١)

نَحْنُ بَنُو الفَحْلِ الَّذِي سَالَ بَوْلُهُ ... بِكُلِّ بِلَادٍ لَا يَبُولُ بِهَا فَحْلُ
أَبَى النَّاسُ وَالأَقْوَامُ أَنْ يَحْسِبُوهُمُ ... إِذَا حَصَلَ الأَخْمَاسُ أَوْ يَحْسِبَ الرَّمْلُ
فَإِنْ غَضِبُوا اشْتَدُّوا المَشَارِفَ مِنْهُمُ ... مُلُوكٌ وَحُكَّامٌ كَلَامُهُمُ فَصْلُ

---

(١) هو حاجب بن دينار ، ويقال ابن ذبيان ، المازنى ، وقد لقبه ثابت قطنه ، حاجب الفيل ، كان من الشعراء البلغاء ، دخل على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه انشأ يقول :

إليك امتطيت العيس تسعين ليلة ... أرجى ندا كفيك يا ابن المهلب
وأنت امرؤ جادت سماء يمينه ... على كل حي بين شرق ومغرب
فجد لى بطرف اعوجى مشهر ... سليم الشظا عبل القوائم سلهب
سبوح طموح الطرف يستن مرجم ... امر كامرار الرشاء المشذب
طوى الضمر منه البطن حتى كانه ... عقاب تدلت من شماريخ كبكب
تبادر جنح الليل فرخين اقويا ... من الزاد فى قفر من الارض مجدب
فلما رأت صيدا تدلت كانها ... دلاة تهاوي مرقبا بعد مرقب
فشكت سواد القلب من ذئب قفرة ... طويل القري عاري العظام معصب
وسابغة قد اتقن القين صنعها ... واسمر خطى طويل مجرب
وابيض من ماء الحديد كانه ... شهاب متى يلق الضريبة يقتضب
وقل لى إذا ما شئت فى حومة الوغى ... تقدم او اركب حومة الموت اركب
فاني امرؤ من عصبة مازنية ... نمانى اب ضخم كريم المركب

فامر له يزيد بفرس ودرع ورمح وسيف والفى درهم . فحسده ثابت قطنة وكعب الاشقرى فلج الهجاء فيما بينه وبينهما .

وقال أعرابى من بنى حنيفة وهو يمتح :

مَرَّ الجَرَادُ عَلَى زَرْعِى فَقُلْتُ لَهُ   إلْزَمْ طَرِيقَكَ لَا تُولَعْ بِإفْسَادِ
فَقَامَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ   إنَّا عَلَى سَفَرٍ لَابُدَّ مِنْ زَادِ

وقال آخر يهجو بعض الخطباء :

يُمانُ وَلَا يَمونُ وَكَنَ شَيْخاً   شَدِيدَ اللَّقْمِ صِلْقاماً خَطِيبا

ذهب إلى قول الأحوص:

ذَهَبَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ فُرُطاً   وَبَقِيتُ كَالمَغْمُورِ فى خَلْفِ
مِنْ كُلِّ مَطْوِىٍّ عَلَى عُنُقٍ   مُتَضَجِّعٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِى

وقال الحسن بن هانىء :(١)

إذَا نَابَهُ أمْرٌ فإمَّا كَفَيْتَهُ   وَإمَّا عَلَيْهِ بالكَفِىِّ تُشِيرُ

---

(١) هذا البيت من قصيدة أبى نواس البليغة التى مدح بها أبا نصر الخصيب بن عبد الحميد وكان من أمراء الدولة العباسية بمصر وأولها:

أجارة بيتينا ابوك غيور   وميسور مايرجى لديك عسير

وهى طويلة ، يقول فيها :

تقول التى عن بيتها خف مركبى   عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب   بلى إن أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر   جرت فجرى فى إثرهن عبير
ذرينى أكثر حاسديك برحلة   إلى بلد فيه الخصيب أمير
إذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا   فأى فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله   ويعلم ان الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه   ولكن يصير الجود حيث يصير
فلم تر عينى سؤددا مثل سؤدد   يحل ابو نصر به ويسير
واطرق حيات البلاد لحية   خصيبة التصميم حين تسور
سموت لأهل الجور فى حال امنهم   فأضحوا وكل فى الوثاق اسير
إذا قام غنته على الساق حلية   لها خطوه عند القيام قصير
فمن يك امسى جاهلا بمقالتى   فان امير المؤمنين خبير
وما زلت توليه النصيحة يافعا   إلى ان بدا فى العارضين قتير
إذا غاله امر فاما كفيته   واما عليه بالكفاء تشير

وقال آخر:

ذَرِينِى لَا أَعْيَا بِمَا حَلَّ سَاحَتِى أَسُودُ وَأَكْفِى أَوْ أُطِيعَ الْمُسَوَّدَا

وقال بشار:

وَفِى الْعَبَرَاتِ الْغُرِّ صَبْرٌ عَلَى النَّدَى أُولَئِكَ حَىٌّ مِنْ خَزِيمَةَ أَغْلَبُ
وَالْأُمُّ مَنْ يَمْشِى ضُبَيْعَةُ إِنَّهُمْ زَعَانِفُ لَمْ يُخْطَبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ

وكذلك قول أعشى بنى ثعلبة:

مَا ضَرَّ غَازِى نِزَارٍ أَنْ يُفَارِقَهُ كَلْبٌ وَجَرْمٌ إِذَا أَبْنَاؤُهُ اتَّفَقُوا (١)
قَالَتْ قُضَاعَةُ إِنَّا مِنْ ذَوِى يَمَنٍ اللّٰهُ يَعْلَمُ مَا بَرُّوا وَلَا صَدَقُوا (٢)
يَزْدَادُ لَحْمُ الْمَنَاقِى فِى مَنَازِلِنَا طِيبًا إِذَا عَزَّ فِى أَعْدَائِنَا الْمَرَقُ
وَمَا خَطَبْنَا إِلَى قَوْمٍ بَنَاتِهِمِ إِلَّا بِأَرْعَنَ فِى حَافَاتِهِ الْحَرَقُ (٣)

قوله خطبنا هاهنا من الخطبة وقولهم فى الشعر الأول من الخطبة:

وقال بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: (٤)

أَبَيْتُ لِنَفْسِى الْخَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ وَوَلَّيْتُهُمْ شَتْمِى وَمَا كُنْتُ مُفْحَمَا

وقال بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ لِسُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ:

أَلَا أَبْلِغْ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ فَبِئْسَ مَقَالَةُ الرَّجُلِ الْخَطِيبِ
أَتَرْجُو أَنْ تَوَدَّ بِطَعْنِ لَيْثٍ فَهَذَا حِينَ تُبْصِرُ مِنْ قَرِيبِ (٥)

وقال منصور الضَّبِّىُّ (٦)

(١) نزار: ابو قبائل ربيعة ومضر . كلب وجرم: قبيلتان
(٢) قضاعة: قبيلة يمنية
(٣) الأرعن: الجيش
(٤) هو بلعاء بن قيس الكنانى . كان من فرسان العرب وشجعانهم وكان معروفا بالجمال . قتل فى يوم الفجار الثانى
(٥) ليث: من قبائل كنانة ، والليث اسم الأسد
(٦) هو منصور بن مسجاح الضبى

لَيْتَ الفتى عجرَدًا مِنّا مكانهم ... وَلَيْتَهم مِنْ وَرَاءِ الأَخْضَرِ الجارى (١)
قَدْ قامَ سيِّدُهُم عِمْرانُ يَخْطُبُهم ... ما كان لِلْخَيْرِ عِمْرانٌ بأمّارِ

تقول العرب : الخَلّةُ تدعو إلى السَّلّةِ (٢). وكانوا إذا أسروا أسيراً قال المادح أسره فى مُزاحفة ولم يأسره فى سلة. وفى الحديث « لاَ أسْلاَلَ ولاَ أغلالَ » وفى المثل : الحاجة تفتح باب المعرفة.

ونذكر هنا أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة :

قال سُوَيدُ المراثدِ الحارثى أو غيره (٣)

بَنِى عَمِّنا لاَ تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَ مَا ... دَفَنْتُم بِصَحْرَاءِ الغُمَيْمِ القَوافِيا (٤)
فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً ... فَنقبلَ عقلاً أوْ نُحَكِّمَ قاضِيا (٥)
وَلَكِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ ... فنرضى إذا ما أصبحَ السَّيْفُ رَاضِيا (٦)
فإنْ قُلْتُمُ إنّا ظُلِمْنا فإنَّكُمْ ... بَدَأْتُمْ وَلكِنّا أَسَأْنَا التَّقاضِيا (٧)
وَقَدْ ساءنِى مَا جَرَّتِ الحَرْبُ بَيْنَنا ... بَنِى عَمِّنا لوْ كانَ أمْرًا مُدَانِيا (٨)

وقال ضابىءُ بنُ حارثٍ (٩)

وَرُبَّ أُمُورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ

---

(١) الاخضر الجارى : يريد به البحر
(٢) الخلة : الفقر والحاجة • والسلة : السرقة
(٣) هذا الشعر لسويد بن صميع الحارثى شاعر فارس فاتك • وكان اخوه قتل غيلة فقتل قاتل اخيه نهارا في إحدى اسواق الحضر . ويروي هذا الشعر للشميذر الحارثي
(٤) صحراء الغميم : اسم مكان
(٥) ويروى: فنقبل ضيما
(٦) رضاء السيف كناية عن عمله حتى يثلم
(٧) ويروى : فان قلتم إنا ظلمنا فلم نكن ... ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا
وإساءة التقاضى انهم قتلوا جماعة بثأر واحد
(٨) مدانيا : مقاربا سهل القبول على النفس
(٩) هو ضابيء بن الحارث البرجمى اليربوعي التميمى • شاعر فحل من شعراء الاسلام . وكان استعار كلبا من قوم فلما طلبوه منه تلكأ ثم اخذوه فغضب فهجاهم هجاء فاحشا فاستعدوا عليه عثمان بن عفان فدعا به ليؤدبه فشد سكينا في ساقه ليقتل بها عثمان فعثر عليها معه فضربه وحبسه فقال وهو في السجن :

وقال حارثةُ بْنُ بَدْرٍ (١)

وَقُلْ لِلفُؤَادِ إنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةً   مِنَ الرَّوْعِ أَفْرِخْ أَكْثَرُ الرَّوْعِ باطِلُه (٢)

وقال لَبيد :

وَاكْذِبِ النفْسَ إنْ حَدَّثْتَها   إنَّ صِدْقَ النفْسِ يُزْرِى بالأمَلْ

وقال الشاعر ، وهو حَبيبُ بْنُ أَوْسٍ الطائى

وَطُولُ مُقامِ المَرْءِ فى الحَىِّ مُخْلِقٌ   لِدِيبَاجَتَيْهِ فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

فإنى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً   إلى النَّاسِ أنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

وقال آخر :

هُوَ الشَّمْسُ إلَّا أَنَّ لِلشَّمْسِ غَيْبَةً   وَهَذا الفَتَى الجَرْمِى لَيْسَ يَغيبُ

ومن يك امسى بالمدينة رحله   فاني وقيارا بها لغريب
وما عاجلات الطير تدنى من الفتى   نجاحا ولا عن ريثهن يخيب
ورب امور لا تضيرك ضيرة   وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه   على نائبات الدهر حين تنوب
وفى الشك تفريط وفى الحزم قوة   ويخطي الفتى فى حدسه ويصيب
ولست بمستبق صديقا ولا أخا   إذا لم تعد الشىء وهو يريب

وظل محبوسا حتى مات . وهو القائل :

لكل جديد لذة غير أنني   رأيت جديد الموت غير لذيذ

(١) هو حارثة بن بدر الغداني اليربوعي التميمي . كان من سادات بنى تميم وفرسانهم الأمجاد ، وكان خطيبا مصقعا وشاعرا يجارى نظراءه من الشعراء ولا يسابقهم . وكان محبا للشراب . أدرك الاسلام وأسلم وهو صغير . وكان ممن خرج مع سجاح ثم استقام أمره . وكان من قواد الدولة الأموية وامرائها . قال له زياد بن ابي سفيان يوما : من أخطب الناس انا اوانت ؟ فقال : الامير اخطب منى إذا توعد ووعد واعطى ومنع وبرق ورعد ، وانا اخطب منه فى الوفادة وفى الثناء والتحبير ، وانا أكذب إذا خطبت فاحشو كلامى بزيادة مليحة شهية ، والامير يقصد إلى الحق وميزان العدل ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه ! فقال زياد : قاتلك الله فلقد اجدت تخليص صفتك وصفتى من حيث اعطيت نفسك الخطابة كلها وارضيتنى وتخلصت ! ثم التفت إلى اولاده فقال : هذا لعمركم البيان الصريح . وعوتب زياد على اختصاصه بحارثة ، على إدمانه الشراب ، فقال : أتلوموننى عليه ! فوالله ما تفل فى مجلسي قط ولا حك ركبه ركبتى ولا سار معى فى علاوة الريح فغبر علىّ ولا دعوته قط فاحتجت إلى تجشم الالتفات إليه حتى يوازينى ولا شاورته فى شىء إلا نصحنى ولا سألته عن شىء من امر العرب واخبارها إلا وجدته به بصيرا .

(٢) نزا : اضطرب وكاد يثب من مكانه . الروع : الفزع . افرخ : إهدأ واطمئن

يَرُوحُ وَيغدُو لَيسَ يَفتُرُ ساعةً وَإِنْ قِيلَ نَاءٍ مِنكَ فهُوَ قَرِيبُ

وقال آخر:

خِلَافًا لِقَوْلِى مِنْ فَيالَةِ رَأْيِهِ كَمَا قِيلَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَالِفْ فَتُذْكَرا(١)

وقال حارثةُ بنُ بَدْرٍ:

إذا مَا مِتُّ سَرَّ بَنُو تَمِيمٍ عَلَى الحَدَثانِ أَوْ يَتَّقُونَ مِثْلِى

عَدُوُّ عَدُوِّهِمْ أَبَدًا عَدُوِّى كَذَلِكَ شَكْلُهُمْ أَبَدًا وَشَكْلِى

وهذا شبيه بقول الأعشى:

عُلِّقْتُها عَرَضًا وَعُلِّقَتْ رَجُلًا غَيْرِى وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

وقال عَمْرُو لمعاوية: مَنْ أصبر الناس؟ قال: من كان رأيه راداً لهواه. واختلفوا بحضرة الزُّهرى فى معنى قول القائل: فلان زاهد. قال الزهرى: الزاهد الذى لا يغلب الحرامُ صبره ولا الحلال شكره.

وقال ابنُ هُبَيْرَةَ(٢) وهو يؤدب بعض بنيه: لا تكونن أول مُشيرٍ وإياك والهوى والرأى الفطير، وتجنب ارتجال الكلام، ولا تُشِرْ على مستبد ولا على وغد ولا على مُتلون ولا على لجوج، وخف الله فى موافقة هوى المستشير فإنَّ التماس موافقته لؤم وسوء الاستماع منه خيانة. وقال: من كثر كلامه كثر سقطه ومن ساء خُلقه قلَّ صديقه.

وقال عُمرُ للأحنف: من كثر ضحكه قلَّت هيبته ومن أكثر من شيء عُرِف به ومن كثر مزاحه كثر سقطه ومن كثر سقطه قلَّ ورعه ومن قلَّ ورعه ذهب حياؤه ومن ذهب حياؤه مات قلبه.

(١) فيالة رايه: ضعف رأيه، يقال هو فائل الراي اى ضعيفه وسخيفه

(٢) هو عمر بن هبيرة الفزارى. مضت ترجمته فى ص ٩٦ من الجزء الاول

وصية المهلب لبنيه

وقال المهلب :[١] يابنى ، تباذلوا تحابُّوا ، و إن بنى الأم يختلفون فكيف بنو العَلاَّتِ ؟ إن البرّ ينسأ فى الأجل ويزيد فى العدد ، و إن القطيعة تورث القلة وتُعقب النار بعد الذل ، واتقوا زلة اللسان فان الرجل تزل رجله فينتعش و يزل لسانه فيهلك ، وعليكم فى الحرب بالمكيدة فانها أبلغ من النجْدَة فان القتال إذا وقع وقع القضاء فان ظفر فقد سعد و إن ظُفر به لم يقولوا فرط .

ولقى الحسين رضى الله تعالى عنه الفرزدق فسأله عن الناس فقال : ألقلوب معك والسيوف عليك والنصر فى السماء . وقال بعضهم حُجب أعرابى عَلَى باب سلطان فقال :

أُهِينُ لَهُمْ نَفْسِى لِأُكْرِمَهَا بِهِمْ ... وَلَا يُكْرِمُ النَّفْسَ الَّذِى لَا يُهِينُهَا

وقال جرير :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وُفُودُهُمْ ... نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

وقال آخر :

نَهَيْتُ جَمِيعَ الْخُضْرِ عَنْ ذِكْرِ خُطَّةٍ ... يُدَبِّرُهَا فِى رَأْيِهِ ابْنُ هِشَامِ

فَلَمَّا وَرَدْتُ الْبَابَ أَيْقَنْتُ أَنَّمَا ... عَلَى اللهِ وَالسُّلْطَانِ غَيْرُ كِرَامِ

---

(١) هو المهلب بن أبى صفرة ، واسم ابى صفرة ظالم بن سراق ، وكان من ازد العتيك ، ازد دبا ، ودبا مكان فيما بين عمان والبحرين . نزل ابو صفرة البصرة وبها نشأ ولده المهلب على ما تنشأ عليه ابناء السادة والرؤس ، وكان سيداً نبيلا ، وشجاعا باسلا ، وفارساً مغواراً ، وقائداً محنكا ، وفقيهاً عاقلا وكان فى الحرب ذا حيل ومكايد ، وفى السلم ذا فطن ومحامد . لما اشتد امر الخوارج وخيف على الدولة منهم بعد ان عجزت جيوشها وقوادها عنهم اجمع الرؤساء والأشراف واصحاب الراى فى البصرة على التوجه إلي المهلب والرغبة اليه فى ان يتولى حربهم ، وقالوا له : إنما اخترناك ايثاراً للدين ، وكل من فى مصرك ماد عينه إليك ، راج ان يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك . فقبل ذلك واشترط ما شاء عليهم مما يضمن الفوز له والامن لهم . وبعد ان اعد العدة خرج إلى الخوارج وصمد لهم هو واولاده الابطال ومن معهم من الجند يراوحهم القتال ويغاديهم زهاء اثنتى عشرة سنة حتي مزق شملهم وفرق جمعهم . وكان الخوارج يسمونه الساحر وينعتونه بالكذاب حقداً منهم عليه . ثم ولى خراسان خمس سنين وفتح فتوحا كثيراً . ومات بمرو الروذ سنة ٨٣ هـ

وقال آخر :

وَأَى الوُفُودُ فوافَى مِنْ بَنِى جَمَلٍ ... بَكْرُ الحُمالةِ قانِى السِّنِّ عُرْزُومِ (١)

وقال متمم بن نويرة : (٢)

فَدَيْتُكِ أَنْ لاَ تُسْمِعِينِى مَلاَمَةً ... وَلاَ تَنْكَئِى قَرْحَ الفُؤَادِ فَيِيجَعَا

(٣)

وقال آخر :

قَلِيلُ التَّشَكِّى لِلْمَصَائِبِ ذَاكِرًا ... مِنَ اليَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ فى غَدِ

وقالوا : أشد من الموت ما يُتمنى له الموت . وقال الفرزدق وهو يصف طعنة :

يَوَدُّ لَكَ الأَدْنَوْنَ لَوْ مِتَّ قَبْلَهَا ... يَرَوْنَ بِهَا شَرًّا عَلَيْكَ مِنَ القَتْلِ

وقيل للأحنف : مابلغ من حزمك ؟ قال : لاَ ألى ما كُفيت ولا أُضيع ماوليت.

وقال آخر : لا تقيموا ببلاد ليس فيها نهرٌ جارٍ وسُوق قائمة وقاض عدل . وقالوا : لا تُبنَى المدن إلاَّ على الماء والمرعى والمحتطب .

وقال مَالِكُ بنُ دِينَارٍ : لربما رأيت الحجاج يتكلم على منبره ويذكر حُسن صنيعه إلى أهل العراق وسوء صنيعهم إليه حتى أنه ليخيل إلى أنه صادق مظلوم .

أبو عبد الله الثقفى عن عمه قال : سمعت الحسنَ يقول : لقد وَقَذْتَنِى (٤)

---

(١) عرزوم : شديد مجتمع

(٢) كان بالأصول : تميم ، وهو خطأ . والصواب ماأثبتناه . وهو متمم بن نويرة أخو مالك بن نويرة الذى قتله خالد بن الوليد فى حروب الردة ، وهذا البيت من قصيدة له يرثى بها أخاه مالكا وأولها :

لعمري وماذهرى بتأبين مالك ... ولا جزعا مما أصاب فأوجعا

وفيها يقول : فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث إذا ماتمنعا

تقول ابنة العمرى مالك بعدما ... أراك قديما ناعم البال أفرعا

فقلت لها طول الأسى إذ سألتنى ... ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا

وفقد بنى أم تولوا فلم أكن ... خلافهم أن أستكين فأخضعا

ولكننى أمضي على ذاك مقدما ... إذا بعض من يلقى الخطوب تضعضعا

فعيدك أن لاتسمعينى ملامة ... ولا تنكئ قرح الفؤاد فييجعا

وحسبك أنى قد جهدت فلم أجد ... بكفى منه للمنية مدفعا

(٣) بياض بالأصول

(٤) وقذه : ضربه حتى استرخى واشرف على الموت

كلمةٌ سمعتها من الحجاج ! قلت : وإنَّ كلام الحجاج لَيقذُكْ ؟ قال : نعم ، سمعته على هذه الأعواد يقول : إن امرأ ذهبت ساعةٌ من عُمُره فى غير ما خُلق له لحَرِىٌّ أن تطول عليها حسرته . وقال بعضهم : كان يقال : ما وجدنا أحداً أبلغ فى خير وشر من صاحب عَبْدِ الله بن سَلَمَةِ .

ودخل الزِّبرقان بن بدر ، وقد كف بصره ، على زياد فسلم تسليما جافيا فأدناه زياد فأجلسه معه وقال : يا أبا عَياش ، ألقوم يضحكون من جفائك ؟ قال : وإن ضحكوا فوالله إن منهم رجلا إلاّ يودّ أنى أبوه دون أبيه ، لِغَيَّةٍ أو لِرَشْدَةٍ (١)

ونظر هشام بن عبد الملك إلى قبر عُثمان بن حَيان المُرى (٢) فقال جُثْوَةٌ من جُثَا النار ! وكان يقال : صاحب السوء قطعة من النار ، والسفر قطعة من العذاب . وكان يقال: عذابان لا يَكترثُ لهما الداخل فيهما : ألسفر الطويل والبناء الكثير. وقال رجل من أهل المدينة : مَن ثَقُل على صديقه خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

وقال سَهْلُ بنُ هرونَ : ثلاثة يعودون إلى أجن المجانين وإن كانوا أعقل العقلاء : ألغضبان والغَيران والسكران ! فقال له أبو عَبْدانِ المُخَلَّعِ الشاعر : ماتقول فى المُنْعظِ ؟ فضحك حتى استلقى ثم قال :

وَمَا شرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذِى لاَتَصْبَحِيْنَا

وقال أبو الدرْدَاءِ : أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب . وقال ناس : البُخل قَيْدٌ والغضب جُنون والسكر مفتاح الشر . وقال بعض البخلاء : ما نَصَبَ الناسُ لشىءٍ نَصَبهم لنا ! هَبْهم يُلزِمونَنا الذم فيما بيننا وبينهم ، ما لهم يلزموننا التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا ! ؟

---

(١) لغية او لرشدة : لحرام او لحلال

(٢) هو عثمان بن حيان احد بنى مالك بن مرة . كان من ولاة الدولة الاموية وامرائها ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة ، وكان صاحب حزم ومضاء للامور فطهر البلاد من اللصوص وقطع السنة اهل الفحش واعطى ومنع وكان قوى الارادة

وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن لأبيه: ما شعر كُثَيِّر (١) عندي كما يصفه الناس! فقال أبوه: إنك لن تضع كثيراً بهذا! إنما تضع بهذا نفسك. وأنشد رجل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قول طرفة:

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشة الفتى ... وجدِّك لم أحفلْ متى قام عُوَّدِي

فقال عمر: لولا أن أسير في سبيل الله وأضع جبهتي لله وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر، لم أبال أن أكون قد مت. وقال عامر ابن عبد قيس: ما آسى من العراق إلا على ثلاث: على ظمأ الهواجر وتجاوب المؤذنين وإخوان لي منهم الأسود بن كلثوم! وقال آخر: ما آسى من البصرة إلا على ثلاث: رطب السكر وليل الخرير وحديث ابن أبي بكرة! وقال سهل ابن هرون: (٢)

ولكنني أبكي بعينٍ سخينةٍ ... على جلَلٍ تبكي له عينُ أمثالي

فراقِ خليلٍ أو شجىً يستشفُّني ... لحاجةِ أمرٍ لا يقومُ لها مالي

فيا كبدي حتى متى القلبُ موجَعٌ ... بثُكلِ حبيبٍ أو تعذُّرِ إفضالِ

وما العيشُ إلا أن تطولَ بنائلٍ ... وإلا لقاءُ الأخِ ذي الخُلُقِ العالي

وقال أعرابي:

لولا ثلاثٌ هنَّ عيشُ الدهرِ ... الماءُ والنومُ وأمُّ عمرِو

لما خشيتُ من مضيقِ القبرِ

وقال الأحنف: أربع من كن فيه كان كاملا ومن تعلق بخصلة منهن كان

(١) هو كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة. شاعر غزل مجيد من شعراء الدولة الاموية وهو أجود أهل الحجاز شعرا وله في صاحبته عزة اشعار كثيرة في غاية الاحسان. وكان كثير يتشيع ويرى أن هناك اماما يظهر في آخر الزمان يملاها عدلا كما ملئت جورا، وفي ذلك يقول:

الا إن الائمة من قريش ... ولاة الحق اربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه ... هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط ايمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا تراه العين حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء

تغيب لا يرى عنهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء

وكان بعد ذلك في شعراء عبد الملك بن مروان واولاده. مات سنة ١٠٥ هـ

(٢) راجع ص ٥٩ من الجزء الاول

من صالحى قومه : دِين يُرشده أو عَقل يُسَدِّده أو حَسَب يصونه أو حياء يَقْنَاه(١) وقال : ألمؤمن بين أربع : مُؤمن يحسده ومنافق يُبغضه وكافر يُجاهده وشيطان يَفتنه ، وأربع لسن أقل منهن : أليقين والعدل ودِرهم حلال وأخ فى الله . وقال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما : مَن أتانا لم يعدم خَصلة من أربع : آية محكمة أوقضية عادلة أو أخاً مُستفاداً أومجالسة العلماء. وقالوا : مَن أعطى أربعاًلم يمنع أربعاً: مَن أُعطى الشكر لم يُمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخِيرَة ومن أعطى المَشُورة لم يمنع الصواب . قال أبو ذر الغفارى: كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه . وقالوا تعامل الناس بالدين حتى ذهب الدين وبالحياء حتى ذهب الحياء وبالمُروءة حتى ذهبت المُروءة، وقد صاروا إلى الرغبة والرهبة وأحر بهما أن تذهبا . وقال بعضهم : دعا رجل علىّ ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه إلى طعام فقال : نأتيك على أن لا تتكلف لنا ماليس عندك . وقال الحُصَيْنُ بن المُنْذِرِ :

وَ كلُّ خَفيفِ السَّاقِ يَسْعَى مُشَمِّرًا إذا فَتَحَ البَوَّابُ بَابَكَ إصْبعَا
وَنحْنُ الجلوسُ الماكِثونَ توَقُّرًا حَيَاءً إلَى أنْ يُفتحَ البَابُ أجْمَعَا

وقال آخر :

وَ نَفْسَكَ أكْرِمْهَا فإنَّكَ إنْ تَهُنْ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لهَا الدَّهْرَ مُكرِمَا

اعتذر أبو عون(٢) إلى إبراهيم النخعى فقال له: إسكت معذورا فان الاعتذار يخالطه الكذب . وكان عَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ عند حَفْصِ بنِ سَالِم فلم يسأله أحد من حَشمه فى ذلك اليوم شيئاً إلا قال: لا ، فقال عمرو : أقِل من قول لا ، فانه ليس فى الجنة قول : لا ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل مالا يجد قال : يصنع الله . قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أكثروا لهُنَّ من قول : لا، فإن قول : نعم يُضَرِّيهِنَّ على المسألة(٣) . وإنما خص عمر رضى الله تعالى عنه بذلك النساء:

(١) حياء يقناه : يحفظه
(٢) هو ابو عون عبد الله بن عون مولى المزنيين . كان من خيار التابعين . مات سنة ١٥١ هـ . وراجع ص ١٦٧ من الجزء الاول
(٣) يضريهن : يعودهن

كلمات لعلى بن أبى طالب فى الدنيا

وقال بعضهم : ذم رجل الدنيا عند علىّ بنِ أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال علىٌّ : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنًى لمن تزود منها ومهبط وحى الله ومُصلى ملائكته ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا الذى يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها وشبهت بسرورها السرور وببلائها البلاء ترغيباً وترهيباً ! فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه ، متى خدعتك الدنيا ، أم متى استذمت إليك ! ؟ أبمصارع آبائك فى البلى أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى ؟ كم مَرَّضتَ بيديكَ وكم عللتَ بكفيك ؟ تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء غداة لايغنى عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك !

وقال عمر رضى الله تعالى عنه : مابال أحدكم ثانى وساده عنده امرأة مُغَيَّبة ؟(١) إن المرأة لحم على وضم إلا ماذُب عنه (٢) . وقال بعضهم : مات ابنٌ لبعض العظماء فعزاه بعضهم فقال : عش أيها الملك العظيم سعيدا ولا أراك الله بعد مصيبتك ماينسيكها .

ولما توفى مُعاوية جلس ابنه يزيد ودخل عليه عَطاء بن أُبى صَيْفى الثقفى (٣) فقال : يا أمير المؤمنين ، أصبحت وقد رزئت خليفة الله وأعطيت خِلافة الله ، وقد قَضى مُعاوية نحبه فغفر الله ذنوبه ، وقد أعطيت بعده الرئاسة ووليت السياسة ، فاحتسب عند الله أعظم الرزية وأشكره على أفضل العطية .

ولما توفى عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لايدرون أيهنئونه أم يعزونه ، فأقبل غَيْلانُ بن سَلَمَةَ الثقفى فسلم عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أصبحت قد رُزئت خير الآباء وسُميت خير الأسماء وأعطيت أعظم الأشياء ، فعظم الله لك على الرزية الصبر وأعطاك فى ذلك نوافل الأجر وأعانك على حسن

(١) المرأة المغيبة : هى التى غاب عنها زوجها

(٢) ماذب عنه : مادوفع عنه

(٣) راجع ص ١٠٩ من هذا الجزء

الولاية والشكر ، ثم قضى لعبد الملك بخير القضية وأنزله بأشرف المنازل المرضية وأعانك من بعده على الرعية . فقال له الوليد : من أنت ؟ فانتسب له ، قال : في كم أنت ؟ قال : في مائة دينار ! فألحقه بأهل الشرف .

ولما توفى المنصور دخل ابن عُيينة مع الخطباء على المهدى فسلم . قال : آجرالله أميرَ المؤمنين على أميرِ المؤمنين قبله ، وبارك الله لأميرِ المؤمنين فيما خلفه له أميرُ المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أميرِ المؤمنين ، ولا عُقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أميرَ المؤمنين من الله أفضل العطية ، واحتسب عند الله أعظم الرزية .

وكتب مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَان[1] إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يعزيه عن إبنه عبد الملك فكتب إليه عمر : كتبت إلى تعزيني عن ابنى عبد الملك ، وهذا أمر لم أزل أنتظره فلما وقع لم أنكره . وقال الشاعر :[2]

تعَزَّيْتُ عَنْ أوْفَى بِغَيْلاَنَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ العَيْنِ مَلآنُ مُتْرَعُ[3]
وَلَمْ تُنْسِنِى أوْفَى المُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكْأ القَرْحِ بالقرْحِ أوْجَعُ

وقيل : قدّم ماعندك ولا تدخر عنا ما عندك . وقال آخر : كان شيخ يأتي ابن المقفع ، فألح عليه يسأله الغداء عنده ، وفى ذلك يقول : إنك تظن أنى أتكلف لك شيئاً ؟ لا والله، إنى لا أقدم إليك إلا ما عندى ، قال : فلما أتاه إذا ليس في منزله إلا كسرة يابسة وملح جريش ، ووقف سائل بالباب فقال له : بورك فيك ، فلما لم يذهب قال : والله لئن خرجت إليك لأدقن ساقيك ! فقال ابن المقفع للسائل : إنك لو تعرف من صدق وعيده مثل ما أعرف من صدق وعده لم تردَّده كلمة ولم تقف طرفة عين .

(١) كان ميمون بن مهران وابنه عمرو بن ميمون على الرق فاعتقا ، وكان ميمون من أفاضل التابعين وأخيارهم ، وكان بزازاً ومع هذا فقد ولاه عمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة ، فكان ميمون يجلس فى حانوته وهو يتولى الخراج مات سنة ١١٧ ه

(٢) الشاعر : هو مسعود بن عقبة اخو ذى الرمة ، وهذا الشعر رثا به ذا الرمة

(٣) اوفي : هو اخو مسعود وذى الرمة . وغيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور

وكان يقال : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره . وكان يقال : لاوحشة أوحش من عُجب ، ولاظهير أعون من مشورة ، ولا فقر أشد من عدم العقل . وقال مؤرق العجلى : ضاحك مُعترف بذنبه خير من الباكى المدل على ربه . وقال : خير من العجب بالطاعة أن لايأتى بطاعة .

وقال شبيب[١] لأبى جعفر : إن الله لم يجعل فوقك أحداً فلا تجعلن فوق شكرك شكراً . وقال آخر لأبى جعفر فى أول ركبة ركبها : إن الله قد رأى أن لا يجعل أحداً فوقك فرَ نفسك أهلا أن لايكون أحد أطوع لله منك .

وسفه رجل على ابن له فقال :[٢] والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشد تحصيناً لأمى من أبيك لأمك .

وقال عَمرُو بنُ عُبَيْدٍ لأبى جعفر ، إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها . وقال الأحنف : ثلاث لاأناة فيهن عندى ! قيل : وما هن يا أبا بحر ؟ قال : المبادرة بالعمل الصالح وإخراج ميتك وأن تُنكح الكفء أيِّمك ، وكان يقول : لأفعى تحكك فى ناحية بيتى أحب إلىَّ من أيِّمٍ رددت عنها كفؤا : وكان يقال : ما بعد الصواب إلا الخطأ وما بعد منعهنَّ من الأكفاء إلا بذلهن للسفلة والغوغاء . وكان يقال : لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة : إلى كذوب فانه يقربها وإن كانت بعيدة ويباعدها وإن كانت قريبة ، ولا إلى الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته . وكان الأحنف يقول : لامروءة لكذوب ، ولا سُؤْدُد لبخيل ، ولاورع لسيء الخُلق . وقال الشعبى : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب الكذب فى موضع ترى أنه ينفعك فإنه يضرك . وقالوا : لا تصرف حاجتك إلى من معيشته مِن رؤس المكاييل وألسنة الموازين .

---

(١) هو شبيب بن شبة

(٢) القائل ولد الرجل

وقالوا : إنفرد الله عز وجل بالكمال ولم يبرئ أحدا من النقصان .

وقال عامر بن الظرب العَدواني: يامعشر عَدوان ، إن الخير ألوف عزوف ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، و إني لم أكن حليما حتى اتبعت الحلماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبّدتُ لكم . وقال الأحنف : لأن أدعى من بعيد أحب إليّ من أن أقصى من قريب . وكان يقول : إياك وصدر المجلس و إن صدرك صاحبه فإنه مجلس قُلعة . وقال زياد : ما أتيت مجلساً قط إلا تركت منه مالو أخذته كان لي ، وترك مالي أحب إليّ من أخذ ماليس لي . وقال الأحنف : ما كشفت أحداً عن حالي عنده إلا وجدتها دون ما كنت أظن . وأثنى رجل على عليّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فأفرط ، وكان عليٌّ له متهماً ، فقال : أنا دون ماتقول وفوق مافي نفسك . وكان يقال : خمس خصال تكون في الجاهل : الغضب في غير غضب ، والكلام في غير نفع ، والعطية في غير موضع ، والثقة بكل أحد ، وأن لايعرف صديقه من عدوه . وأثنى أعرابي على رجل فقال : إن خيرك لسريح وإن منعك لمريح ، و إن رفدك لربيح .

وقال سَعِيدُ بنُ سَلمٍ : كنت والياً بأرمينية فغبر أبو زهمان العلائي على بابي أياماً ، فلما وصل إليّ مثل بين يدي قائماً بين السماطين وقال : والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سفّ التراب يُقيم من أود أصلابهم لجعلوه مُسكة لازماً فيهم إيثاراً للتنزّه عن عيش رقيق الحواشي ! أما والله إني لبعيد الوثبة بَطيء العطفة إنه والله ما يثنيني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك ولأن أكون مُقلاً مقرباً أحب إليّ من أن أكون مكثراً مُبعداً ، والله ما نسأل عملا لانضبطه ولا مالاً إلا نحن أكثر منه ، وهذا الأمر الذى صار في يديك كان في يد غيرك فأمسوا والله حديثا ، إن خيراً فخير و إن شراً فشر ! فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب فإن حبّ عباد الله موصول بحب الله و بغضهم موصول ببغض الله لأنهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله .

ودخل عُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبدالله القسرى [١] بعد حجاب شديد ، وكان عُتبة سخياً ، فقال خالد يُعرِّض به : إن هاهنا رجالا يدَّانون فى أموالهم فإذا فنِيَت ادَّانوا فى أعراضهم ! فعلم عُتبة أنه يُعرض به فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجالا من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فأولئك تبقى لهم أموالهم ، ورجالا تكون مروآتهم أكثر من أموالهم فإذا نَفِدَت ادَّانوا على سعة ما عند الله ! ؟ فخجل خالد وقال : إنك لمنهم ما علمت

وقيل لعبد الله بن يزيدِ بنِ أسدِ بنِ كُرْزٍ : [٢] هلا أجبت أمير المؤمنين إذ سألك عن مالك ؟ قال : إنه إن استكثره حسدنى وإن استقله حقرنى .

أبو الحسن قال : وعظ عُروة [٣] بنيه فقال : تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين ، ثم قال : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، وإذا رأيتم من رجل خَلة فاحذروه واعلموا أن عنده لها أخوات .

وقال رجل لرجل : [٤] هب لى درهماً ؟ قال : أتصغره ! لقد صغرت عظيما ! ألدرهم عُشر العشرة ، والعَشَرَةُ عُشر المائة ؟ والمائة عشر الألف ، والألف عُشر الدِّية ! ؟

قال الأصمعى : خرجت بالدَّارمى [٥] قُرْحَةٌ فى جوفه فبزق بزقة خضراء ،

(١) كان اميرا على العراق ثم عزل وسلم إلى يوسف بن عمر الذى تولى بعده من قبل الوليد بن يزيد فعذبه حتى اماته . وكان ذلك في سنة ١٢٦ هـ وراجع ص ١١٤ من الجزء الأول

(٢) هو ابو خالد بن عبد الله القسرى ، وأبوه يزيد بن أسد كان يلقب خطيب الشيطان . قال أبو العباس المبرد : كان عبد الله بن يزيد من عقلاء الرجال ، قال له عبد الملك يوما : ما مالك ؟ فقال : شيئان لا عيلة على منهما ، الرضا عن الله والغنى عن الناس . فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته بمقدار مالك ؟ فقال : لم يعد ان يكون قليلا فيحقرنى أو كثيرا فيحسدنى .

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام

(٤) هذا الرجل هو خالد بن صفوان ، ذكر ذلك الجاحظ فى كتاب البخلاء

(٥) كان الدارمى من شعراء الحجاز فى زمن عمر بن عبد العزيز وأدرك الدولة العباسية ، وكان من ظرفاء الناس ومن أصحاب النوادر والفكاهات حسن الصوت بالغناء يضع الشعر ويلحنه وينقله المغنون عنه ، وكان مع هذا مبخلا . مدح عبد الصمد بن على العباسي بقصيدة فما هو أن فرغ من إنشادها حتى أدخلوا إلى عبد الصمد رجلا من الشراة الخوارج فقال لغلامه : إعط هذا مائة دينار واضرب عنق هذا . فوثب الدارمى وقال : بأبي انت وامي ! برك وعقوبتك جميعا نقد ! أخر أحد الأمرين

فقيل له : قد برئت إذ بزقتها خضراء ! قال : والله لو لم يبق فى الدنيا زُمردة خضراء إلا بزقتها ما نجوت .

ومر الوليدُ بنُ عبد الملك بمعلم صِبيان فرأى جارية فقال : ويلك ! ما لهذه الجارية ؟ قال : أعلمها القرآن ! قال : فليكن الذى يعلمها أصغر منها . اسحق بن أيوب قال : هرب الوليد بن عبد الملك من الطاعون فقال له رجل : يا أمير المؤمنين، إن الله يقول : « ولَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إلَّا قَلِيلًا» قال : ذلك القليل نُريد ! وهرب رجل من الطاعون إلى النَّجَف أيام شُرَيْح[١] فكتب إليه : أما بعد فإن الفرار لن يُبعد أجلا ولن يكثر رزقًا ، وان المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل الرزق ، وإن من بالنجف من ذى قدرة لقريب . ودخل على الوليد فتى من بنى مخزوم فقال له : زوجنى إبنتك ! فقال : هل قرأت القرآن ؟ قال لا ؟ قال : أدنوه منى ؟ فأدنوه فضرب عمامته بقضيب كان فى يده وقرع رأسه به قرعات ثم قال لرجل : ضمه إليك فاذا قرأ زوجناه .

ولما استعملَ يزيدُ[٢] ابنَ أبى مسلم[٣] بعد الحجاج قال : أنا كمن سقط منه درهم فوجد دينارا ! وقال يزيد لابن أبى مسلم : قال أبى للحجاج : إنما أنت جلدة ما بين عينى ، وأنا أقول : إنك جلدة وجهى كله . ومع هذا إنه[٤] صعد المنبر فقال : على بن أبى طالب لُص بن لُص صب عليه شؤبوب عذاب ! فقال أعرابى كان

وقدم الآخر فانى اخشى ان يغلط فيما بيننا والغلط فى هذا لا يستقال ! فضحك واجابه إلى ما سأل . وروى ابو الفرج ان الدارمى اصابته قرحة فى صدره فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده فرآه قد نفث من فيه نفثا اخضر فقال له : ابشر قد اخضرت القرحة وعوفيت ، فقال : هيهات ! والله لو نفثت كل زمرده فى الدنيا ما افلت منها .

(١) هو شريح القاضى . مضت ترجمته فى ص ٢١٧ من الجزء الأول

(٢) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان

(٣) هو يزيد بن ابى مسلم . كان فى خاصة الحجاج بن يوسف وكان يثق به ويوليه الأعمال . وكان عاقلا عارفا بالخراج . فلما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج فعزله سليمان بن عبد الملك عن عمله ثم ولاه يزيد من بعده .

(٤) إنه يعنى يزيد بن ابى مسلم

تحت المنبر : ما يقول أميركم هذا ؟ ! وفى قوله لص بن لص أعجو بتان ، إحداهما رميه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه لص ، والأخرى أنه بلغ من جهله مالم يجهله أحد ، أنه ضم اللام فى لص !

بكر بن عبد العزيز الدمشقى قال : سمعت الوليد بن عبد الملك على المنبر حين ولى الخلافة وهو يقول : إذا حدثتكم فكذبتكم فلا طاعة لى عليكم ، وإذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعة لى عليكم ، وإذا أغربتكم فجمّرتكم فلا طاعة لى عليكم ! فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لأبيه : ياأمير المؤمنين أقتل أبى فُدَيْكٍ ؟ ! [١] وقال مرة أخرى : ياغلام ، رُدّ الفرسان الصادان [٢] عن الميدان ! وقال عبد الملك : أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية . ولحن الوليد على المنبر فقال الكَرَوّسُ : لا والله أن رأيته على هذه الأعواد قط فأمكننى أن أملأ عينى منه من كثرته فى عينى وجلالته ، فاذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندى كبعض أعوانه . وصلى يوما الغداة فقرأ السورة التى تذكر فيها الحاقةفقرأ « ياليتها كانت القاضية » فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال أما إنه إن كان قالها إنه لأحد الأحدين [٣] قلوا : وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين ، ولم يكن فى وُلده أفصح من هِشام ومَسلمة . وقال صاحب الحديث : أخبرنى أبى عن اسحق بن قَبيصة قال : كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة وكذلك كتب محمد ، فقلت لمولى لمحمد : مابال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة ؟ ! فأخبره المولى بقولى ، فاذا كتاب قدورد علىّ : أما بعد فقدأخبرنى فلان بما قلت ، وماأحسبك تشك أن قريشا أفصح من الأشعريين ! والسلام . ومن بنى الصَّريم الصَّدَى ابن الخلق وفد بهالحجاج على الوليد بن عبد الملك فقال له : ممن أنت ؟ فقال له : من بنى صَريم . قال له : ما اسمك ؟ قال الصدى بن الخلق . قال : دَعًا فى عنقه ، خارجى

(١) يعنى كان يجب ان يقول : اقتل ابافديك ولكنه لحن
(٢) يعنى انه كان يجب ان يقول : رد الفرسين الصادين ولكنه لحن
(٣) احد الاحدين : يريد انه احد الأخوين اللحانين وهما الوليد ومحمد

خبيث . ! هذا يدل على أن عامة بنى صريم كانوا خوارج . وكان منهم البُرَكُ الصريمى واسمه الحجاج الذى ضرب معاوية بالسيف ، وله حديث (١) والخزرجُ ابن الصدى بن الخلق كان خطيبا ، وقال الشاعر فى بنى صريم :

أُصَلِّى حَيْثُ تُدْرِكُنِى صَلَاتِى ... وَبِئْسَ الدينُ دينُ بَنِى صريمِ
قياما يطعنُون على مَعَدٍّ ... وكُلُّهُمُ على دِينِ الخَطِيمِ

والخطيم باهلى (٢)

قال الأصمعى وأبو الحسن : دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان فقال أحدهما : نجدك تَملك عشرين سنة ! وقال الآخر : كذبت ! بل نجدك تَملك ستين سنة ! فقال الوليد : ما الذى قال هذا لانط بِصفرى (٣) ولا ماقال هذا يغر مثلى ؟ والله لأجمعن المال جمع من يعيش أبداً ، ولأفرقنه تفريق من يموت غداً !

وخطب الوليد فقال : إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جلدة مابين عينى ألا وإنه جلدة وجهى كله !

---

(١) وخلاصة حديثه عن ابى الفرج فى كتابه مقاتل الطالبيين أنه اجتمع نفر من الخوارج بمكة وتذاكروا امراء المسلمين فعابوهم ثم تعاقدوا على الفتك بمعاوية وعمرو بن العاص وعلى بن ابى طالب فى شهر رمضان غيلة فاختار عبد الرحمن بن ملجم المرادي عليا واختار عمرو بن بكر التميمى عمرا واختار البرك بن عبد الله معاوية . فلما وقع نظر البرك على معاوية ضربه فوقعت الضربة على اليته فعولج حتى برأ . ولما قبض على البرك قال لمعاوية إن لك عندى بشارة وهي أن عليا قتل فى هذه الليلة فاحتبسنى عندك فان جاءك الخبر بقتله وإلا فانت ولى ماتراه في أسرى وان لم يكن قتل عاهدتك بما تشاء على قتله ثم أسلمت نفسى إليك حتى تحكم بما ترى . فلما جاء الخبر بقتل على قيل إنه قتله وقيل إنه خلى سبيله .

(٢) قال ابن دريد : هو أول من خرج فى زمن عبد الله بن عامر . ولم يسمه ، قلت : ولعله المسمى : عباد بن عبد العزى الخطيم !

(٣) بصفرى : بمكان عض الجوع منى

باب اللحن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

قال أبو عثمان عمرو بن بحر : حدثنا عثّام أبو يحيى عن الأعمش عن عمارة ابن عمير قال : كان أبو معمر يحدثنا فيلحن ، يتبع ما سمع .

أبو الحسن قال : أوفد زيادٌ عُبيدَ الله بن زياد إلى معاوية فكتب إليه معاوية : إن ابنك كما وصفت ولكن قوم من لسانه . وكانت في عبيد الله لكنة لأنه كان نشأ بالأساورة مع أمه مَرجانة ، وكان زياد زوجها من شيرويه الأسوارى (١) وكان قال مرة : إفتحوا سيوفكم ! (٢) يريد : سُلّوا سيوفكم . فقال يزيد ابن مُفَرِّغ : (٣)

وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيفكَ مِنْ بَعيدٍ … أَضَعْتَ وَكلُّ أَمْرِكَ لِلضَّيَاعِ

ولما كلّمه سُوَيْدُ بْنُ مَنْجُوفٍ فى الهَشْهَاثِ بْنِ ثَوْرٍ قال له : يا ابن البَظراء ! فقال له سُويدٌ : كذبت على نساء بنى سَدوس . قال : إجلس على است الأرض ! قال سُويد : ما كنت أحسب أن للأرض إستا !

---

(١) راجع ص ١٠٧ من هذا الجزء .

(٢) رواية أبى الفرج ان عباد بن زياد كان فى حروبه ذات ليلة نائماً فى عسكره فصاحت بنات آوى فثارت الكلاب ونفر بعض الدواب ففزع عباد وظنها كبسة من العدو فركب فرسه على دهش فقال: افتحوا سيفى ! فعيره يزيد بن مفرغ فى هجائه بنى زياد .

(٣) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . كان شاعراً مطبوعاً جيدالغزل والوصف هجاءً والظاهر انه استنفد هجاءه فى آل زياد وكان له فى ذلك طبع غريب . وكان صحب عباد بن زياد حينما ولى سجستان فلم يحمد صحبته فهجاه وامتد هجاؤه إلى عبيد الله بن زياد فحبسه ثم أطلقه . وهذا البيت من قصيدة قالها فى هجو آل زياد أولها :

جرت ام الظبائيين لبلى … وكل وصال حبل لانقطاع

يقول فيها : وما لاقيت من ايام بؤس … ولا أمر يضيق به ذراعى

قالوا : قال بِشْرُ بن مَرْوَانَ(١) ـ وعنده عمر بن عبد العزيز ـ لغلام له : أدع لى صالحا ؟ فقال الغلام : يأصالحا ! فقال له بشر : ألق منها ألِف ؟ فقال له عمر : وأنت فزد فى ألفك ألِفا !

وزعم يزيد مولى عَون قال : كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظَمياء ، فكان إذا دعاها قال : ياضمياء ! بالضاد ، فقال له ابن المقفع : قل ياظمياء ؟ فناداها : ياضمياء ! فلما غيَّر عليه ابنُ المقفع مرتين أو ثلاثا قال : هى جاريتى أوجاريتك !؟

قال نصْرُ بْنُ سيَّارٍ : لا تسم غلامك إلا باسم يخف على لسانك .

وكان محمد بن الجَهْمِ ولَّى المكىَّ صاحب النَّظَّام موضعاً من مواضع كَسْكَرْ ، وكان المكىُّ لا يُحسن أن يسمى ذلك المكان ولا يتهجاه ولا يكتبه ، وكان اسم ذلك المكان « شانمثنا »

وقيل لأبى حنيفة : ما تقول فى رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل

ولم نك شيمق عجزاً ولؤماً   ولم أك بالمضلل فى المساعى
سوى يوم المجبين ومن يصاحب   لئام الناس يغض على القذاع
حلفت برب مكة لو سلاحى   بكفى إذ تنازعنى متاعى
لبانثر لم راسك مشرف   كذاك دواؤنا وجع الصداع
أفى احسابنا تزري علينا   هبلت وأنت زائدة الكراع
تبغيت الذنوب على جهلا   جنونا ماجنت ابن اللكاع
فما أسفي على تركى سعيداً   وإسحق بن طلحة واتباعى
ثنايا الوبر عبد بنى علاج   عبيد فقع قرقرة بقاع
إذا ما راية رفعت لمجد   وودع أهلها خير الوداع
فأبرى من است أمك من امير   كذاك يقال للحمق اليراع
ولا بلت سماؤك من امير   فبئس معرس الركب الجياع
ألم تر إذ تحالف حلف حرب   عليك غدوت من سقط المتاع
وكدت تموت إن صاح ابن آوى   ومثلك مات من صوت السباع
ويوم فتحت سيفك من بعيد   أضعت وكل امرك للضياع
إذا اودى معاوية بن حرب   فبشر شعب قلبك بانصداع
فأشهد ان امك لم تباشر   ابا سفيان واضعة القناع
ولكن كان امر فيه لبس   على عجل شديد وارتياع

(١) هو بشر بن مروان بن الحكم . كان من فتيان بنى امية ولاه اخوه عبد الملك على العراقين بعد عزل خالد بن عبد الله القسرى . فأقام بها مديدة ثم مات

فقتله أتقيده به ؟ قال : لا ، ولو ضرب رأسه بأبا قُبيس ! (١)

وقال يوسف بن خالد التيمي لِعمرو بن عُبيد : ما تقول فى دجاجة ذبحت من قفاها ؟ قال له عمرو : أحْسِن ! قال : من قفاؤها ! قال : أحسِن ! قال: من قفاءها ! قال له : مَن عناك هذا !؟ قل : من قفاها واسترح . قال : وسمعت من يوسف بن خالد يقول : لا حتى يشِجه ! بكسر الشين . يريد حتى يشُجه . بضم الشين . وكان يوسف يقول : هذا أحمر من هذا ! يريد هذا أشد حُمرة من هذا .

وقال بِشرُ المَرِيسِيُّ(٢) : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤُها ! فقال قاسمُ التمّار : هذا على قوله :

إنَّ سُلَيْمَى وَاللهُ يكلؤُها ‏ ‏ ‏ ‏ ضَنَّتْ بشيْءٍ ما كانَ يَرْزَؤُها

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بِشرٍ .

أبانَ بن عثمان قال : كان زياد النبطي شديد اللكنة وكان نحويا ، قال : وكان بخيلا ، دعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال : فمن لدن دأوتك فقلت لبى إلى أن أجبتنى ما كنت تصنأ ؟ يريد من لدن دعوتك إلى أن اجبتنى ما كنت تصنع . قال : وكانت أم نوح و بلال ابنى جرير(٣) أعجمية فقال لها : لا تتكلمى إذا كان

(١) فى راى ابن فارس ان ابا حنيفة لم يلحن وإنما جرى على ما تجري عليه بعض العرب في إعراب هذا الاسم مرة وفى إخراجه مخرج قفا وعصا ، فيقولون جاءنى ابا فلان ورايت ابا فلان ومررت بأبا فلان. قال ياقوت : فهذا احتجاج إن كان ابو حنيفة قصد هذه اللغة الشاذة الغريبة المجهولة !

(٢) هو بشر بن غياث المريسي الكوفى . كان من فقهاء الحنفية اخذ الفقه عن ابى يوسف والحديث عن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وابى يوسف . ثم اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن وهو راس طائفة من المرجئة يقال لها المريسية . وكان يزعم ان السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة الكفر . وكانت بينه وبين الامام الشافعى مناظرات . على انه كان يلحن لحنا فاحشاً لعدم معرفته بالنحو . مات سنة سنة ٢١٩ هـ

(٣) يعنى جرير الشاعر . وكان السبب فى اتصال ام بلال بجرير ان جريرا لما دخل العراق دخل على الحكم بن ايوب عامل الحجاج على البصرة ومدحه بقوله :

اقبلن من ثهلان او وادى خيم ‏ ‏ ‏ ‏ على قلاص مثل خيطان السلم
قد طويت بطونها طي الأدم ‏ ‏ ‏ ‏ بعد انفضاج البدن واللحم الزيم
إذا قطعن علما بدا علم ‏ ‏ ‏ ‏ فهن بحثا كمضلات الخدم
حتى أنخناها إلى باب الحكم ‏ ‏ ‏ ‏ خليفة الحجاج غير المتهم
فى ضئضئ المجد وبحبوح الكرم

عندنا رجال ! فقالت يوماً : يا نوح جِرْذَانٌ دخل فى عِجَان أمك ! وكان الُجرذُ أكل من عجينها.

قال أبو الحسن : أهدى إلى فيل مولى زياد حِمار وحش فقال لزياد : أهدوا لنا هِمار وهش ! قال : أى شىء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا لنا أيراً ! يريد عَيراً ، قال زياد : الثانى شر من الأول . قال يحيى بن نوفل :(١)

وَإِنْ يَكُ زَيْدٌ فَصِيحَ اللِّسَانِ   خَطِيباً فَإِنَّ آسْتَهُ تَلْحَنُ
عَلَيـكَ بِسِكٍّ وَرُمَّانَةٍ   وَمِلْحٍ يُدَقُّ وَلاَ يُطْحَنُ(٢)
وحِلْتِيتِ كَرْمَانَ أَوْ نَانخَاهُ   وشَمْعٍ يُسَخَّنُ فى مُدْهُنِ(٣)

وهذا الشعر فى بعض معانيه يشبه قول ابن مُناذِرٍ(٤)

إِذَا أَنْتَ تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ مِنْ أَبِى الصَّلْتِ
تَعَلَّقْتَ بِحَبْلٍ وَاهِنِ القُوَّةِ مُنْبَتّ

فكتب الحكم إلى الحجاج فى شأنه وقال له : إنه قدم على اعرابي باقعة لم أرمثله . فطلبه الحجاج فلما دخل عليه قال له : بلغنى أنك ذو بديهة ! فقل فى هذه الجارية - وكانت قائمة على رأسه واسمها أمامة — فقال جرير :

ودع امامة حان منك رحيل   إن الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تمايلت أعطافه   فالريح تجبر متنه وتميل
هذى القلوب صوادبا تيمتها   واري الشفاء وما إليه سبيل

فقال له الحجاج : قد جعل الله لك السبيل إليها ، خذها هي لك . فضرب بيده إلي يدها فتمنعت عليه فقال :   إن كان طبكم الدلال فانه   حسن دلالك يا امام جميل

فضحك الحجاج وامر بتجهيزها معه إلى اليمامة . واهلها من اهل الرى واخوتها احرار . فولدت لجرير حكما وبلالا وحزرة . فهى في رواية المبرد ليست ام نوح .

(١) مضت ترجمته فى ص ١١٤ من الجزء الاول

(٢) السك : الخل

(٣) الحلتيت : مادة صمغية راتنجية ذات رائحة قوية وطعم كريه ، وهى من اشد مضادات التشنج ومنبهة للوظائف الهضمية ومدرة للطمث طاردة للديدان المعوية . والنانخاه : بذور ذات رائحة طيبة وهى مخرجة للرياح . وتسمى عند العامة نخوة

(٤) مضت ترجمته فى ص ٣٢ من الجزء الأول وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ

فَخُذْ مِنْ سَلْحِ كَيْسَانٍ   وَمِنْ أَظْفَارِ سَبَّخْتٍ (١)
أَلَمْ يَبْلُغْكَ تَسْآلِي   لَدَى الْعَلَّامَةِ الْبِرْتِي
وَقَالَ الْمَرْءِ مَا سَرْجِيــــسُ دَاءُ الْمَرْءِ مِنْ تَحْتِ (٢)

وقال الْبُرْدُخْتُ (٣) :

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنَيْكَ يَا حَفْصُ شَاغِلٌ   وَأَنْفٌ كَثِيلِ الْعَوْدِ عَمَّا تَتَبَّعُ (٤)
تَتَبَّعُ لَحْنًا فِي كَلَامٍ مُرَقَّشٍ   وَخَلْقُكَ مَبْنِيٌّ عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعُ
وَعَيْنُكَ إِقْوَاءٌ وَأَنْفُكَ مُكْفَأٌ   وَوَجْهُكَ إِيطَاءٌ فَأَنْتَ الْمُرَقَّعُ (٥)

وقال المَيْسَانى فى هجائه أهل المدينة :

وَلَحْنُكُمُ بِتَقْعِيرٍ وَمَدٍّ   وَأَلْأَمُ مَنْ يَدُبُّ عَلَى الْعَفَارِ

على بن معاذ قال: كتبت إلى فتى كتابا فأجابنى ، فإذا عنوان الكتاب : إلى ذاك الذى كتب إلىّ ! وقرأت على عنوان كتاب لأبى أُميةَ الشمرى : للموت أنا قبله ! وكتب ابن المرادى إلى بعض ملوك بغداد : جُعلت فداك برحمته !

وقال إبرٰهيم بنُ سَيَّارٍ : أنا لا أقول: مِتّ قبلك ، لأنى إذا متّ قبله مات هو بعدى ، ولكن أقول : مت بدلك . وكتب عِقَالُ بْنُ شَبَّةَ بْنِ عِقَال إلى زُهَيْرِ بنِ المُسَيَّبِ :

لِلْأَمِيرِ الْمُسَيَّبِ بْنِ زُهَيْرٍ   مِنْ عِقَالِ بْنِ شَبَّةَ بْنِ عِقَالِ

(١) ويروى : من شعر كيسان . وكيسان هو ابو الحسن محمد بن احمد بن كيسان النحوى . وسبخت لقب ابي عيدة معمر بن المثنى الامام الراوية المشهور

(٢) ماسرجيس او ماسرجويه : طبيب ماهر بصرى مشهور ، كان سريانى اللغة يهودى النحلة . وهو الذى تولي تفسير كناش القس اهرن بن اعين إلى العربية فى ايام مروان بن الحكم واخرجه عمر بن عبد العزيز من خزائن الكتب وبثه فى الناس

(٣) البردخت : هو على بن خالد الضبي احد بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة

(٤) ثيل العود : قضيب البعير

(٥) الاقواء : اختلاف إعراب القافية ، والا كفاء : اختلاف حروف القوافى ، والايطاء : تكرار القافية لفظا ومعنى

ولما كتب بشير بن عبيد الله على خاتمه : بشير بن عبيد الله بالرحمن لا يُشرك ؛ قرأه أبوه على خاتمه قال : هذا أقبح من الشرك .

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان : ألَّلحن هُجنه على الشريف والعُجب آفة الرأى . وكان يقال : أللحن فى المنطق أقبح من آثار الجُدرى فى الوجه . وقال يحيى بن نوفل فى خالدِ بْنِ عبْدِ الله القَسْرِى :

وَأَلحنُ النَّاسِ كلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً وكانَ يُولَعُ بالتَّشْدِيقِ فى الخُطَبِ

وزعم المدائنى أن خالد بن عبد الله — وكان يولع بالتشديق — قال : إن كنتم رجبيون فأنا رمضانيون !

ولولا أن تلك العجائب قد صححت على الوَليْد(١) ما جوزت هذا على خالد(٢) .

قال : وكتب الحصين بن الحر كتابا إلى عمر(٣) فلحن فى حرف فيه ، فكتب إليه عمر أن قنِّع كاتبك سوطاً . وبلغنى عن كثير بن أحمد بن زهير بن سيار أنه كان ينشد بيت أبى دلف(٤)

أَلْبِسِينِى الدِّرْعَ قَدْ طا لَ عَنِ الحَرْبِ جِماحِى

فسألته عن ذلك فحلف انه إنما قال :

أَلْبِسِينِى الدِّرْع قَدْ طا لَ عَنِ الْحَرْب جِماصِى

قال الله تبارك وتعالى « ولتَعْرِفَنَّهُم فى لَحْنِ القَوْلِ » فاللحن فى ذلك الموضع غير اللحن فى ذلك الموضع .

---

(١) يعنى الوليد بن عبد الملك

(٢) يعنى خالد بن عبد الله القسرى

(٣) يعنى عمر بن الخطاب

(٤) هو ابو دلف القاسم بن عيسى العجلى . كان من الشجاعة والجود والسماحة وبعد الهمة وعلو المنزلة من الخلفاء العباسيين بالمحل المغبوط ، وكان عظيم الغناء فى المشاهد والمواقع الحربية مع حسن الأدب ومتانة الشعر وجودة الصنعة فى الغناء ، وكان من قواد المأمون والمعتصم وكان مع الافشين فى حروب بابك الخرمى وابلى معه بلاء حسنا ، وللشعراء فيه مدائح جياد منهم بكر بن النطاح وعلى بن جبلة وابو تمام الطائى . مات سنة ٢٢٦ ﻫ وذكر ابن خلكان انه الف من الكتب : كتاب البزاة والصيد وكتاب السلاح وكتاب النزه وكتاب سياسة الملوك

وكان سليمان بن عبد الملك يقول: ألمغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث (١) يُفخم اللحن كما يفخم نافع بن جبير الإعراب . وقال الشاعر فى نحو ذلك :

لَعَمْرِى لقد قَعَّبْتَ حينَ لَقِيتَنا ... وَأنت بتقعيب الكلام جَدير (٢)

وقال خَلَفُ الأحمر:

وَفَـرقعهُنَّ بتقْعِيبِهِ ... كفَرقَعَةِ الرَّعْدِ بين السَّحابِ

وقال الميسانيُّ:

وَلحنِكُمُ بتقْعِيبٍ ومَدٍّ ... وألأم مَن يَدُبُّ عَلى العفَارِ (٣)

وقال الأصمعى : خاصم عِيسَى بْنُ عُمَرِ النحوى الثقفى (٤) رجلا إلى بلال ابن أبى بردة فجعل عيسى يشبع الإعراب وجعل الرجل ينظر إليه ، فقال له بلال: لأن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من ترك الاعراب ! فلا تتشاغل به واقصد بحجتك .

وقدّم رجل من النحويين رجلا إلى السلطان فى دَين له عليه فقال : أصلح الله الأمير ، لى عليه درهمان ! قال خصمه : لا والله أيها الامير، إن هى إلا ثلاثة دراهم لكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما !

قال:خاصم رجل إلى الشّعبى أو إلى شُريح رجلافقال . إن هذا باعنى غلامافصيحاً صبيحا ! قل: هذا محمد بن عمر بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة (٥)

(١) هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . كان فقيها نبيلا وكان من اجواد قريش والمطعمين منهم ، قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان وكان صديقا له ، وكان بالكوفة جماعة يطعمون الناس فلما قدم تغيبوا فلم يظهر احد منهم حتى خرج ، وكان المغيرة قد بث الجفان فى السكك والقبائل بطعم الناس فقال شاعر كوفى :

أتاك البحر طم على قريش ... مغيرى فقد زاغ ابن بشر

(٢) تقعيب الكلام: هو ان تتكلم من اقصى فك حتى كأنه قعب

(٣) العفار : التراب

(٤) هو عيسى بن عمر الثقفى ، كان مولى خالد بن الوليد ثم نزل فى ثقيف فنسب إليهم . وكان إماما فى النحو واللغة والأدب والقراءة . اخذ عن ابى عمرو بن العلاء وابن ابى اسحق الحضرمي وروي عن الحسن البصرى وعن العجاج وغيرهم ، وعنه روى الاصمعى وغيره . كان اعجوبة فى التقعر بالكلام والتشدق به . وزعموا انه كان له نيف وسبعون مصنفا ذهبت كلها . مات سنة ١٥٠ هـ

(٥) يعنى أن صفة الفصاحة والصباحة لا تكون الا لمحمد بن عمر بن عطارد . ويقال له محمد بن عمير كان كاتبا لعبد الملك بن بشر بن مران . وكان بليغا يضرب به المثل وكان سيد بنى تميم بالكوفة

قال : مر ماسرجويه الطبيب بجد معاذ بن سعيد بن حميد الحميرى فقال : ياماسرجويه إني أجد في سقتي بحجا ! قال: انه عمل بلغما فلما جاوزه قال : أنا أحسن أن أقول بَلغم ، ولـكنه كلمني بالعربية فـكلمته بالعربية .

وروى أبو الحسن أن الحجاج كان يقرأ : إنا من المجرمون المنتقمون ! وقد زعم رُؤبةُ بنُ العجّاج وأبو عمرٍو بنُ العلاءِ أنهما لم يريا قرويّين أفصح من الحسن والحجاج ! وغلط الحسن فى حرفين من القرآن مثل قوله: ص والقرآنُ ، والحرف الآخر : وما تنزلت به الشياطون ! أبو الحسن قال : كان سَابِقُ الأعمى يقرأ : الخالق البارىء المصوَّر ! فكان ابنُ جابان إذا لقيه قال : يا سابق ، مافعل الحرف الذى تُشرك بالله فيه ؟ قال: وقرأ : ولا تَنكِحُوا المشركين حتى يُؤمِنُونَ ! وقال ابنُ جابان : وإن آمنوا أيضاً لم نَنكِحهم . وقال مَسلمة بنُ عبدِ الملك : إني لَأحب أن أسأل هذا الشيخ ، يعنى عمرو بن مسلم ، فما يمنعنى منه إلا لحنه . قال: وكان أيوب السَّختِيانيُّ يقول: تعلموا النحو فإنه جمال للوضيع ، وتركه هُجنة للشريف . وقال عُمرُ : تعلموا النحو كما تَعلَّمون السنن والفرائض. قال رجل للحسن: يا أبي سعيد ! فقال: كسب الدوانيق شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد ! ؟ قالوا: وأول لحن سُمع بالبادية : هذه عصاتى ، وأول لحن سُمع بالعراق : حيَّ على الفلاح

باب من لحن البلغاء

ومن اللحانين البلغاء : خالدُ بنُ عبدِ الله القَسرى ، وخالدُ بنُ صَفوَان الأهتمى ، وعيسى بن المدور . وقال بعض النساك : أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفا ولحنّا فى أعمالنا فما نعرب حرفا . أخبرنا الرَّبيعُ بنُ عَبدِ الرحمن السُّلمى قال : قلت لأعرابى : أتهمز إسرائيل ؟ قال: إني إذاً لرجل سُوء ! قلت فتَجُرّ فلسطين ؟ قال إني إذاً لقوى . وكان هُشَيمٌ (١) يقول: حدثنا يَونسْ عن الحسن ! يقولها بفتح

(١) هو هشيم بن بشير مولى بنى سليم . كان من المحدثين البلغاء وكان النضر بن شميل يقول عنه إنه كان لحانة . وله فى ذلك حكاية مع المأمون . مات سنة ١٨٣ ه

الياء وكسر النون . وكان عبدُ الأعلى بنُ عبد الله السامي يقول : فأخذِه فصرعهِ فذبحِهِ فأْ كلهِ ! بكسر هذا أجمع . وكان مَهْدِيُّ بنُ مُهلهل يقول : حدثنا هِشامْ ! مجزومة . ثم يقول : ابنْ ! ويجزمه . ثم يقول : حَسَّانْ ! ويجزمه . لأنه حين لم يكن نحويا رأى أن السلامة فى الوقف . (١) وأما خالدُ بنُ الحارث وبشرُ بنُ المَفضَّل (٢) الفقيهان فانهما كانا لا يلحنان . وممن كان لا يلحن ألبتة حتى كأن لسانه لسان أعرابى فصيح : أبو زَيدٍ النحوى وأبو سعيدٍ المعلم . قال خَلَفٌ : قلت لأعرابى : أُلقى عليك بيتاً سا كناً ؟ قال : على نفسك فألْقهْ . وقال أبو الفَضْل العنبرىُّ لعلى بن بَشِير : إنى التقطتُ كتابا من الطريق فأُنبئت أن فيه شعراً ، أفتريده حتى آتيك به ؟ قال : نعم إن كان مقيداً ! قال : والله ما أدرى أمقيدٌ هو أم مغلول !

الاصمعى قال : قيل لأعرابى : أتهمز الرُّمح ؟ قال : نعم ! قيل له : فقلها مهموزة ؟ فقالها مهموزة ! قال : أتهمز التُّرس ؟ قال : نعم ! فلم يدع سيفاً ولا ترساً إلا همزه ! فقال له أخوه — وهو يهزأ به — دعوا أخى فإنه يهمز السلاح أجمع ! وقال بعضهم : ارتفع إلى زِيادٍ رجل وأخوه فى ميراث ، فقال : إن أبونا مات وإن أخينا وثب على مال أبانا فأ كله ! فقال زياد : الذى أضعت من لسانك أضرُّ عليك مما أضعت من مالك ! وأما القاضى فقال : فلا رحم الله أباك ولا نتح عظم أخيك ، قم فى لعنة الله ! وقال ابو شيبة قاضى واسط : آتيتمونا بعد أن أردنا أن نقم !

***

قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب من الجزء الأول ، وفى بعض الجزء الثانى كلاما من كلام العقلاء البلغاء ، ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء ، وقد روينا نوادر من كلام الصبيان والمُحَرَّمِينَ من الأعراب ، ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل المِرَّة (٣) من المُوَسوسين ، ومن كلام أهل الغفلة من النوكى وأصحاب

(١) كان قاسم امين رحمه الله يرى هذا الرأي ويستحسنه !

(٢) هو بشر بن المفضل الرقاشى . مولاهم . كان من بلغاء أهل اهل الحديث مات سنة ١٨٦

(٣) فى الاصول : اهل المره ، وهو خطأ والصواب ما اثبتناه . واهل المرة هم المختلطو المزاج وهم الممرورون الموسوسون

التكلف من الحمْق ، فجملنا بعضها فى باب الهزل والفكاهة ، ولكل جنس من هذا موضع يصلح له ، ولا بد لمن استكدّهُ الجدُّ من الإستراحة إلى بعض الهزل

***

قال أبو عبيدة : أرسل ابن لِعِجْلِ بْنِ لجيم فرساً فى حلبة فجاء سابقا فقال لأبيه: يا أبت ، بأى شىء اسميه ؟ فقال: افقأ إحدى عينيه وسمه الأعور ! وشعراء مُضر يُحمقون رجال الأزد ويستخفون أحلامهم (١) قال عمر بن لجإ :

تصطكُّ ألْحِيها على دِلائها ... تلاطُمَ الأزدِ عَلَى عطائها (٢)

وقال بشار :

وكأن غلْى دِنانهم فى دُورهم ... لَغط العتيك على خِوانِ زياد (٣)

وقال الراجز :

لَبّيك بى أرفُلُ فى بِجادى ... حازِمُ حَقْوَيَّ وصدْرى بادى (٤)
أُفَرِّجُ الظَّلماء عَنْ سوَادى ... أقْرِى لشَوْلٍ بَكَرَتْ صوادى (٥)
كأنما أصواتها بالوَادى ... أصواتُ حَجٍّ عن عُمان غاد (٦)

وقال الآخر :

وَإذَا سمعت هديلهُنَّ حسبتهُ ... لَغط المعاول فى بيُوت هَداد (٧)

(١) فى الاصول : ويستخفون اخلاقهم ، والصواب ما اثبتناه .

(٢) هذا بيت من ارجوزة يقول فيها :

قد وردت قبل إنى ضحائها ... وتفرس الحيات فى خرشائها
جر العروس التى من ردائها ... تصطك الحيا على دلائها
تلاطم الأزد على عطائها ... فصادفت أغسل من ابلائها
يعجبه النزع على ظمائها

وتصطك : تضطرب . والحيا : جمع لحية الفك الأسفل ، وهو يصف إبلاله

(٣) العتيك : فخذ من الازد ، وهم رهط المهلب بن ابى صفرة

(٤) ارفل فى بجادى : امشى فيه متبخترا . والبجاد : كساء مخطط يتلفع به . الحقو : الخصر

(٥) سواده : شخصه . والشول : النوق تشول بذنبها طلبا للفحول . والصوادى : العطاش

(٦) غاد : ذاهب فى الغدوة وهي اول النهار . وعمان : بلد باليمن والمراد بها هنا الأزد لانهم كانوا يسمون ازد عمان ايضا

(٧) المعاول : الفؤس

وبسبب هذا يدخلون فى هذا المعنى قبائل اليمانية . وقال ابْنُ أَحْمَر (١) :

إِخَالُهَا سَمِعَتْ عَزْفًا فَتَحْسَبُهُ ... إِهَابَةَ القَسْرِ لَيْلًا حِينَ تَنْتَشِرُ (٢)

وقال الكُمَيْتُ (٣) :

كَأَنَّ الغَطَامِطَ مِنْ غَلْيِهَا ... أَرَاجِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارَا

فجعل الأراجيز التى شبهها فى لغطها والتفافها بصوت غليان القِدْرِ (٤) لأسلم دون غفار

باب النوكى والمجانين

قالوا : ومن النَّوْكَى : مالكُ بْنُ زَيْدِ مَنَاةٍ بن تميم ، الذى لما دخل على امرأته فرأت ما رأت به من الجفاء والجهل وجلس فى ناحية منقبضاً مشتملا قالت :

---

(١) هو عمرو بن احمر الباهلى . وقد مضت ترجمته فى ص ١٨ من الجزء الاول ، وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

بان الشباب وأفنى ضعفه العمر ... لله درى فأى العيش انتظر

وله قطعة جيدة المبنى صادقة المعنى ، هي :

إن الفتى يقتر بعد الغنى ... ويغتنى من بعد مايفتقر
والحى كالميت ويبقى التقى ... والعيش فنان فحلو ومر
إما على نفسى وإما لها ... فعايش النفس وفيها وقر
هل يهلكنى بسط مافى يدى ... أو يخلدنى منع ماأدخر
أو ينسأن يومى إلى غيره ... أنى حوالي وأنى حذر
ولن ترى مثلى ذا شيبة ... أعلم ماينفع مما يضر

(٢) إهابة القسر ، مناداة القسر ، والقسر قبيلة يمانية وهى رهط خالد بن عبد الله القسرى

(٣) هو الكميت بن زيد الاسدى . مضت ترجمته في ص ٥٤ من الجزء الأول ، ولهذا البيت حكاية طريفة نرويها لما فيها من النقد البارع . اجتمع الكميت ونصيب وذو الرمة فأنشدهما الكميت قصيدته التى منها هذا البيت وأولها « أبت هذه النفس إلا ادكارا » فلما بلغ منها إلى قوله :

إذا ما الهجارس غنينها ... تجاوبن بالفلوات الوبارا

قال له نصيب : ألوبار لاتسكن الفلوات ! فلما بلغ إلى قوله :

كأن الغطامط من غليها ... أراجيز أسلم تهجو غفارا

قال له نصيب : ماهجت أسلم غفارا قط ! فاستحيى الكميت وسكت لأنهما من قبيلة واحدة . قلت : إن الحق مع الكميت لأن قبيلتى غفار وأسلم وفدتا على النبى فلما كانوا ببعض الطريق سألت غفار أسلم النزول فنزلت اسلم وحطت رحالها ومضت غفار فلم تنزل . فلما رأت ذلك أسلم ارتحلت وجعل شعراؤها يرجزون بهجاء غفار .

(٤) وهذه القدر الموصوفة فى الشعر هى قدر أبان بن الوليد البجلى

ضع عُلبتك ؟ قال : يدى أحفظ لها ! قالت : فاخلع نعليك ؟ قال : رجلاى أحفظ لها ! قالت : فضع شملتك ؟ قال : ظهرى أولى بها ! فلما رأت ذلك قامت فجلست إلى جانبه فلما شم ريح الطيب وثب عليها .

ومن المجانين والموسوسين والنوكى : ابن قِنان، وصَباحُ الموسوس ، وريسمرس اليونانى، وأبو حية النميرى، وأبو يَس الحاسب، وجُعيفران الشاعر، وجَرَنْفَشُ. ومنهم: سارية الليل. ومنهم: رَيْطَةُ بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وهى التى نقضت غزلها أنكاثا فضرب الله تبارك وتعالى بها المثل ، وهى التى قيل لها: خَرْقاء وجدت صوفا . ومنهم : دُغَة (١) وجُهيْزَة (٢) وشَوْلة (٣) وذَرَّاعَةُ المعدية . ولكل واحد من هؤلاء قصة سنذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

فأما رَيْسَمُوسُ ، فكان من مُوَسْوَسى اليونانيين ، قال له قائل : ما بالُ رَيْسَمُوس يعلِّم الناس الشعر ولا يستطيع قوله ؟ قال : مَثَلُهُ مثل المِسن الذى يَشحذ ولا يقطع . ورآه رجل يأكل فى السوق فقال : ما بالُ رَيسموس يأكل فى السوق؟ قال : إذا جاع فى السوق أكل فى السوق . وألح عليه بالشتيمة رجل وهو ساكت فقيل له : يَشتُمُكَ مثل هـذا وأنت ساكت ؟ قال : أرأيت إن نبحك كلب أتنبحه ، أو رمحك حمار أترمحه !؟ وكان إذا خرج فى الفجر يُريد الفُرات ألقى فى دُوَّارة بابه حجراً حتى لايُعانى دفع بابه إذا رجع ، وكان كلما رجع الى بابه وجد الحجر مرفوعا

(١) هي دغة ام عمرو بن تميم ، وكانت العرب تضرب بحمقها المثل ، وسبب ذلك انها كانت حاملا فدخلت الخلاء فولدت وهى لاتعلم ما الولد وخرجت وسلاها بين رجليها وقد استهل ولدها فقالت : ياجارتا ، أيفتح الجعر فاه ؟ فقالت جارتها : نعم ياحمقاء ويدعو أباه ؟ فبنو تميم يعيرون بذلك ويقال لهم : بنو الجعراء .

(٢) زعموا ان قوما اجتمعوا يخطبون فى الصلح بين حيين فى دم كي يرضوا بالدية ، فبينما هم كذلك أقبلت جهيزة وكانت امرأة رعناء فقالت ظفر بالقاتل ولي للمقتول فقتله . فقالوا : قطعت جهيزة قول كل خطيب . وزعم آخرون أن جهيزة الحمقاء هى ام شبيب بن يزيد الشيبانى الخارجي وكان ابوه اشتراها من السبي فلما حملت قالت : فى بطنى شيء ينقز ! فقالوا : أحمق من جهيزة . وكل هذه مزاعم

(٣) كانت شولة أمة رعناء لعدوان ، وكانت تنصح لمواليها فتعود نصيحتها وبالا عليهم . فقيل للنصيح الاحمق : انت شولة الناصحة

والبابَ مُنصفقاً ، فعلم أن أحداً يأخذ الحجر من مكانه فكمن لصاحبه يوماً فلما رآه قد أخذ الحجر قال : مالك تأخذ ما ليس لك ؟ قال : لم أعلم أنه لك ! قال : فقد علمت أنه ليس لك ! ؟

أما جُعَيْفَرَان(١) الموسوس الشاعر فشهدت رجلا أعطاه درهما وقال : قل شعراً على الجيم ؟ فأنشأ يقول .

عَادَنِى الهمُّ فاعتَلَجْ   كلُّ همٍّ إلى فَرَجْ
سَلِّ عَنْكَ الهُمُومَ بالـ   كأسِ والرَّاحِ تَنْفَرِجْ

وهى أبيات ، وكان يتشيع ، قال له قائل : أتشتم فاطمة وتأخذ درهما ؟ قال : لا ، بل أشتم عائشة وآخذ نصف درهم ! وهو الذى يقول :

مَا جَعْفَرٌ لِأَبِيهْ   وَلا لَهُ بِشَبِيهْ
أَضْحَى لِقَوْمٍ كَثِـ   يرٍ فكلُّهُمْ يَدَّعِيهِ
هَذَا يَقُولُ بُنَيَّ   وَذَا يُخَاصِمُ فِيهِ
والأُمُّ تَضحكُ مِنهُمْ   لِعِلْمِها بأَبِيهِ

(١) هو جعيفران بن على الابناوى ، كان والده من ابناء الجند الخراسانية ، وكان اديبا شاعرا مطبوعا وغلبت عليه المرة السوداء فاختلط وبطل فى اكثر اوقاته ومعظم احواله فاذا افاق ثاب إليه عقله واستقام طبعه وقال الشعر الجيد . ومن شعر الحسن قوله :

أتهجر من تحب بغير جرم   أسأت إذاً وأنت له ظلوم
تؤرقنى الهموم وانت خلو   لعمرك ماتؤرقك الهموم

وقوله :

لست براض من جهول جهلا   ولا مجازيه بفعل فعلا
لكن ارى الصفح لنفسى فضلا   من يرد الخير يجده سهلا

وقوله :

رأيت الناس يدعونى بمجنون على حالى
ومابى اليوم من جن ولا وسواس بلبال
ولكن قولهم هذا لافلاسى وإقلالى
ولو كنت اخا وفر رخيا ناعم البال
رأونى حسن العقل احل المنزل العالى
وما ذاك على خبر ولكن هيبة المال

وله اخبار واشعار حسان تدل على طبع صاف .

وهو الذى يقول فى قوم لاطة :

كأنهم والأيور عامدة ... صياقل فى جلاية النصل

وأما أبو يس الحاسب فإن عقله ذهب بسبب تفكره فى مسألة ، فلما جن كان يهذى أنه سيصير ملكا وقد أُلهم ما يحدث فى الدنيا من الملاحم ، وكان أبو نواس والرقاشى (١) يقولان على لسانه أشعاراً على مذاهب أشعار ابن [أبى] عقب الليثى (٢) ويرويانها أبا يس إذا حفظها لم يشك أنه هو الذى قالها ، فمن تلك الأشعار قول أبى نواس :

منع النوم ادكارى زمنا ... ذا تهاويل وأشياء نكر (٣)

واعتراك الروم فى معمعة ... ليس فيها لجبان من مفر

كائنات ليس عنها مذهب ... خطها يوشع فى كتب الزبر (٤)

وعلامات ستأتى قبله ... جمة أولها سكر النهر (٥)

ويليهم رجل من هاشم ... أقنص الناس جميعا للحمر (٦)

يبتنى فى الصحن من مسجدهم ... للمصلين من الشمس ستر

ورجالا يبتنى مطهرة ... ضخمة فى وسطها طشت صفر

فهنا لكم حين يفشو أمركم ... وهنا لم ينزل الأمر النكر

فاتبعوه حيث ما سار بكم ... أيها الناس وإن طال السفر

وادعوا بالله أن تهزوا به ... لعن الرحمن من منه سخر

والبصريون يزعمون أن أبا يس كان أحسب الناس .

(١) لعله يزيد الرقاشى .

(٢) صاحب الاغانى يسميه : ابن ابي العقب صاحب الملاحم

(٣) التهاويل : الأمور التى تهول وتروع

(٤) هو يوشع بن نون صاحب موسى عليه السلام

(٥) سكر النهر : سده بالحجارة

(٦) رجل من هاشم : هو الذى يزعمونه المهدى المنتظر

أما أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِى (١) فإنه أجن من جُعَيْفِرَانٍ ، وكان أشعر الناس ، وهو الذى يقول : (٢)

أَلاَ حَىِّ أَطْلاَلَ الرُّسُومِ الْبَوَالِيَا ... لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا

وهو الذى يقول : (٣)

فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ ... بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وحدثنى أبو المَنْجُوفِ قال : قال أبو حَيَّةَ : عنَّ لى ظبى فرميته ، فراغ عن سهمى فعارضه والله السهم ، ثم راغ فراوغه حتى صرعه ببعض الجنارات . (٤) وقال : والله رميت ظَبية فلما نَفَذَ السهم ذكرت بالظبية حبيبةً لى فشددت وراء السهم حتى قبضتُ على قُذَذِهِ . (٥) وكان يكلم العُمَّار و يخبر عن مفاوضته للجن .

(١) هو أبو حية الهيثم بن الربيع النميرى البصرى . كان شاعرا مجيداً مقدماً من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكان فصيحا يجيد القصيد والرجز . وكان مع هذا أهوج جبانا بخيلا كذاباً ، عرف بذلك اجمع . وكان يقول : أتدرى مايقول القدريون ؟ يقولون إن الله لم يكلف العباد مالا يطيقون ولم يسألهم مالا يجدون ، وصدق والله القدريون ولكن لا اقول كما يقولون ! ؟ وكان يقول : إنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ماشاء ! فقيل له : ياأبا حية أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا تصنع ؟ قال : أبعدها الله إذاً ! وكان له سيف يسميه «لعاب المنية» ليس بينه وبين الخشبة فرق .

(٢) ويروى : ألا حي من احل الحبيب المغانيا ... لبسن البلى لما لبسن اللياليا

إذا ماتقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لايمل التقاضيا

حنتك الليالى بعد ما كنت مرة ... سوي العصا لو كن يبقين باقيا

(٣) هو من ابيات يقول فيها :

رمته اناة من ربيعة عامر ... نؤم الضحى فى مأتم أى مأتم

نجاء كخوط البان لامتتابع ... ولكن بسيما ذي وقار وميسم

فقلن لها سرا فديناك لايرح ... صحيحا وإن لم تقتليه فألمى

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت ... بأحسن موصولين كف ومعصم

وقالت ـ فلما افرغت فى فؤاده ... وعينيه منها السحر قلن لها قم ـ

فود بجدع الأنف لو ان صحبه ... تنادوا وقالوا فى المناخ له نم

فراح وما يدرى أفى ساعة الضحى ... تروح ام داج من الليل مظلم

(٤) ورواية ابي الفرج أنه قال : عن لى ظبي يوما فرميته فراغ عن سهمى فعارضه السهم ثم راغ فعارضه فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبانات .

(٥) ورواية ابي الفرج أنه قال يوما : رميت والله ظبية فلما نفذ سهمي عن القوس ذكرت بالظبية

وأما جرَنْفَشُ فإنه لما خلع الفرزدقُ لجام بغلته وأدنى رأسها من الماء قال له جرَنْفَشُ : نحِّ بغلتك حلق الله ساقيك ! قال : ولم عافاك الله ؟ قال : لأنك كذوب الخبرة زانى الـكَمْرَةِ ! قال أبو الحسن : و بلغنى أن الفرزدق لما أن قال له الجرنفش ما قال نادى : يابنى سدوس! فلما اجتمعوا إليه قال: سوِّدُوا الجرنفش عليكم فإنى لم أر فيكم أعقلَ منه ! ؟

ومن مجانين الـكوفة : عَيْنَادَةُ، وطَاقُ الْبَصَلِ ، حدثنى صديق لى قال : قلت لِعَيْنَادَةَ : أيما أجن ، أنت أو طاق البصل ؟ قال : أنا شىء وطاق البصل شىء !

ومن مجانين الـكوفة : بُهْلُولٌ وكان يتشيع ، قال له إسحٰق بنُ الصَّبَّاح:[١] أكثر الله فى الشيعة مثلك ! قال : بل أكثر الله فى المُرجئةِ مثلى وأكثر فى الشيعة مثلك ! وكان جيد القفاء فربما مر به من يُحب العبثَ فيَقْفِدُهُ[٢] فخا قفاه خُرءًا وجلس على قارعة الطريق فكلما قَفَدَهُ إنسان تركه حتى يجوز ثم يصيح به : يافتى شم يدك ! فلم يعد بعده أحد يَقفِدُهُ ، وكان يُغنى بقيراط ويسكت بدانق ، وكانت بالـكوفة امرأة رعناء يقال لها « مُجيبة » فقفدَ بُهلولا فتى كانت مُجيبة أرضعته ، فقال له بُهلول : كيف لا تكون أرعن وقد أرضعتك مُجيبة ! فوالله لقد كانت تَزِقّ لى الفرخ فأرى الرُّعونة فى طيرانه . ! ؟

حدثنى حُجر بن عبد الجبار قال : مر مُوسى بن أبى رَدْقَاء فناداه صباح الموسوس : يا ابن أبى الردقاء ؟ أسمنت برذونك وأهزلت دينك ! أما والله إن أمامك لعقبة لايجوزها إلا المُخِفّ ! فحبس موسى برذونه وقال : من هذا ؟ فقيل له : هذا صباح الموسوس ! فقال : هذا نذير !

قال أبو الحسن : دعا بعض السلاطين مجنونَين ليحركهما فيضحك مما يجىء

حبيبة لى فعدوت خلف السهم حتى قبضت على قذذه قبل ان يدركها .
وله غير ما ذكر اخبار غريبة وشعر فى غاية الجودة .

(١) هو اسحق بن الصباح الاشعثي من ولد الاشعث بن قيس الـكندى . كان بل الحجاز فى عهد المهدى العباسى ، وكان كريما جوادا ممدحا

(٢) يقفده : يصفعه بباطن كفه علي قفاه

منهما ، فلما أسمعاه وأسمعهما غضب ودعا بالسيف ! فقال أحدهما لصاحبه : كنا مجنونين فصرنا ثلاثة ! ؟

وقال عمر بن عثمان : شيعت عبدَ العزيز بن عبد الملك المخزومي وهو قاضي مكة إلى منزله ، وبباب المسجد مجنونة تصفق وهي تقول :

أَرَّقَ عَيْنِي طَرَاطِرُ القاضي هذا المُقِيمُ ليسَ ذاكَ المَاضي

فقال : يا أبا حفص ، أتراها تعني قاضي مكة ! ؟

وقال : تذاكروا اللثغ فقال قوم : أحسن اللثغ ما كان على السين ، وهو أن يصير ثاء ، وقال آخرون : على الراء ، وهو أن يصير غينا ، فقال مجنون البكرات : أنا أيضاً ألثغ ، إذا أردت أن أقول : شرايط قلت : رشيط !

وبعث عُبيدُ الله بنُ مروان عم الوليد إلى الوليد بقطيفة حمراء فكتب إليه الوليد : قد وصلت إليّ القطيفة ، وأنت ياعم أحمق أحمق !

وقال محمد بن بلال لوكيله زيد : إشترِ طيبا سِيرْافيا ؟ قال : تريده سيرافي أو سيْرافي سِيرَافي ؟؟

وقال مُحمد بن الجَهْم (١) للمكي : أراك مستبصرا في اعتقاد الجزء الذي لا يتجزأ ! فينبغي أن يكون عندك حقا حقا ! قال : أما أن يكون عندي حقا حقا فلا ، ولكنه عندي حق !

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حَمْدُونَة بنت الرشيد — على أن يشتري طعاما من طعامها في بعض البيادر — فقال لها : إني قد رأيت متاعك ! قالت هاشمية : قل طعامك ؟ قال : وقد أدخلت يدي فيه فإذا متاعك قد خَم وحَمي وصار مثل الجيفة ! قالت : يا أبا طالب ألست قد قبلت الشعير ؟ فاعطنا ما شئت وإن وجدته فاسداً ! ودخل أبو طالب على المأمون فقال : كان

(١) هو محمد بن الجهم البرمكي . كان اديبا راوية للاشعار علامة ، وكان في خاصة المامون ، فاستنشده المامون اشعاراً سر بها وولاه على جهات عدة .

أبوك يابا خير لنا منك ، وأنت يابا ليس تعدنا وليس تبعث إلينا، ونحن يابا تجارك وجيرانك ! والمأمون فى كل ذلك يتبسم .

قيل للمُثَنَّى بْنِ يَزِيدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ وهو على اليمامة : إن هاهنا مجنوناً له نوادر ، فاتوه به ، فقال : ماهجاء النَّشَّاشِ ؟ قال : ألفلْج القادى ! فغضب ابنُ هُبيرة وقال : ماجئتمونى به إلا عمدا ، ماهذا بمجنون ! ؟

والنَّشَّاشُ يوم كان لقيس على حنيفة ، والْفَلْجُ يوم كان لحنيفة على قيس . وأنشدوا :

تَرَى القوْمَ أَسْوَاءً إذا حُسِبُوا معًا ... وَفِي القَوْمِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ (١)

وقال :

فَتًى زَادَهُ عِزُّ المَهابَةِ ذِلَّةً ... وَكُلُّ عَزِيزٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

وقال :

قَدْ يَنفعُ الأَدَبُ الأَحْدَاثَ فى مَهَلٍ ... وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكَبْرَةِ الأَدَبُ

إِنَّ الغُصُونَ إذا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَنْ تَلِينَ إذَا قَوَّمْتَهَا الْخَشَبُ

باب فى العى

قال جَعْفَرُ بْنُ أُخْتِ واصل : كتب رجل إلى صديق له : بلغنى أن فى بستانك آساً يهمنى ، فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيم !

وقال أبو عبد الملك ــ وهو الذى كان يقال له عَنَاقُ ــ : كان عَيَّاشٌ وثُمَامَةُ حى كان تعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله ، فلما مات ثمامة صار ليس يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله ! وقال له عَيَّاشُ بْنُ الْقَاسِم : بأى شىء تزعمون أن أبا على الأسوارى أفضل من سَلَّامٍ أبى المنذر ؟ قال : لأنه لما مات سَلَّام أبو المنذر ذهب أبو على فى جنازته ، فلما مات أبو على لم يذهب سلام فى جنازته ! وكان يقول :

(١) اسواء : متساوون

فيك عشر خصال من الشر ، أما الثانية والرابعة كذا ، وأما السابعة كذا ، وأما العاشرة كذا ! قال : قلنا للفقعسى : كيف ثناؤك على حمدان بن حبيب ؟ قال : هو والله عندى الكذا الكذا ! وقال الخرزادى : آجركم الله وعظم أجركم وآجركم ! فقيل له فى ذلك فقال : هذا كما قال عثمان بن الحكم : بارك الله لكم وبارك الله عليكم وبارك الله فيكم ! قالوا له : ويلك إن هذا لا يشبه ذلك ! وكتب إلى بعض الأمراء : أبقاك الله وأطال بقاءك ومد فى عمرك !

وكان أبو إدْرِيس السمان يقول : وأنت فلاصبحك الله إلا بالخير ! ويقول : وأنت فلا حيا الله وجهك إلا بالسلام ! وأنتم فلا بيتكم الله إلا بالخير !

ومرّ ابْنُ أَبِي عَلْقَمَةَ :(١) فصاح به الصبيان فهرب منهم وتلقاه شيخ وعليه ضفيرتان فقال له : ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض !

وقال المهلب لرجل من بنى ملكان أحد بنى عدى : متى أنت ؟ قال : أيام «عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ»! (٢) وأقبل على رجل من الأزد فقال له: متى أنت ؟ قال: أكلت من حبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامين! قال : أطعمك الله لحمك ! وأنشد المُعَيْطِىُّ :

وَأَنزَلَنِى طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ ... إِذَا شِئْتُ لَاقَيْتُ الَّذِى لَا أُشَاكِلُهْ

فَحَامَقْتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ ... وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

وخطب عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ (٣) فحث على الجهاد فقال: هذا كما قال الله تعالى :

(١) هو ابن أبي علقمة الثقفى الماجن وله وقعة حال مع الفرزدق ذكرها الأغانى

(٢) هو عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى . كان من فرسان العرب فى الجاهلية وشجعانهم المغاوير وكان كثير الحروب والغارات

(٣) هو عتاب بن ورقاء الرياحى . شجاع بطل وفارس مغوار ، وكان من قواد الدولة الأموية وولاتها . أبلى بلاء حسنا فى فتنة الفرخان صاحب الري حينما ارتد فقاتله حتى ظفر به وفتح الري . ثم ولى أصبهان أيام فتنة عبد الله بن الزبير . ثم ولى المدائن ونواحيها ووجهه الحجاج في جيش من أهل الكوفة لقتال الخوارج الأزارقة . ثم توجه لقتال شبيب بن يزيد الشيبانى الخارجى فبيته شبيب واستباح عسكره وهزم جيشه ودافع عتاب دفاع الأبطال حتى خر صريعا في المعركة . وذلك سنة ٧٧ ﻫ .

كُتِبَ القَتْلُ وَالقِتالُ عَلينا   وَعَلى الغانياتِ جَرُّ الذُيُولِ (١)

وخطب والي اليمامة فقال: إن الله لا يقارّ عباده على المعاصي، وقد أهلك الله أمّة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم! (٢) فسمى «مقوّم ناقة الله» وهؤلاء من الجفاة والأعراب المُحَرَّمينَ (٣) وأصحاب العجرفية ومن قل فقهه في الدين إذا خطبوا على المنابر فكأنهم في طباع أولئك المجانين.

وخطب وَكِيعُ بنُ أبي سُودٍ (٤) بخراسان فقال: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر! فقيل له: إنها ستة أيام! قال: وأبيك لقد قلتها وإني لأستقلها! وصعد المنبر فقال: إن ربيعة لم تزل غِضاباً على الله مذ بعث نبيه من مضر، ألا وإن ربيعة قوم كُشُف، فإذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل في مناخرها فإن فرساً لم يُطعن في مَنْخِرِهِ إلّا كان أشدّ على فارسه من عدوه.

وضربت بنو مازنٍ الحُتاتَ بنَ يَزيدِ المُجاشِعيّ (٥) فجاءت جماعة منهم

---

(١) هذا البيت من قصيدة لعمر بن أبي ربيعة

(٢) يريد ناقة صالح وأمة ثمود

(٣) المحرمون، يقال: أعرابي محرم يعني جاف لم يخالط اهل الحضر

(٤) هو وكيع بن حسان بن قيس بن ابي سود الغداني التيمي. كان سيد بني تميم وكان من الشجعان الابطال. افترض مع سلم بن زياد فجعل مكتبه بسجستان. ولما ولي عبد العزيز بن عبد الله بن عامر سجستان غضب على وكيع في بعض الأمر فقبض عليه وحبسه فبينا هو في محبسه مر به ولد لعبد العزيز مع ظئر له فدعا به فأمسكه ثم دعا بسكين وقال والله لأذبحنه اوليخلين عني، فجاء عبد العزيز وقال: خل عنه ونؤمنك فقال لا والله حتى يجيء عشرة من بني تميم فتضمن لهم ثم يكونوا هم الذين يطلقون عني! ثم تحول وكيع إلى خراسان فرأس قومه وكانت له وقائع في مغازي قتيبة ويوم الترك خاصة اظهر فيها من الشجاعة والاقدام مالا نظير له. ومع هذا فقد غضب الحجاج منه في بعض الامور فبعث إلى قتيبة بقتله فعزله قتيبة عن الرئاسة. ولما مات الوليد وتولى سليمان وخافه قتيبة وخلع بيعته وسار بالناس نحو فرغانة بايعت بنو تميم وكيعا على الرئاسة وخاصم قتيبة وما زال به حتى قتل قتيبة، وبعث برأسه إلى سليمان. ثم ظل وكيع غالبا على خراسان تسعة اشهر إلى ان تولاها يزيد بن المهلب فقتله سنة ٩٨ هـ

(٥) كان الحتات وفد على معاوية مع جارية بن قدامة والاحنف بن قيس فأجاز كل واحد منهما مائة الف درهم واجاز الحتات سبعين الفا. فسأل الحتات صاحبيه فأخبراه بما اجازهما به فعاد إلى معاوية وقال له: فضحتني في بني تميم! اما حسبي بصحيح او لست ذا سن الست مطاعاً في عشيرتي؟ قال معاوية: بلى. قال: فما بالك خست بي دونهما؟ قال إني اشتريت منهما دينهما! (وكانا علويي المذهب) ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان! قال: وانا فاشتر مني ديني؟ فأمر له بثلاثين الفا.

فيهم غالب أبو الفرزدق فقال : ياقوم كونوا كما قال الله : لا يعجز القوم إذا تعاونوا !

وتزعم بنو تميم أن صَبِرَةَ بنَ شَيْمَانَ قال فى حرب مسعود والأحنف : إن جاء حُتَاتُ جئت ، وإن جاء الأحنف جئت ، وإن جاء جارية (١) جئت ، وإن جاؤا جئنا ، وإن لم يجيئوا لم نجيء ! وهذا باطل ، وقد سمعنا لِصَبِرَةَ كلاماً لا ينبغى أن يكون صاحب ذلك الكلام يقول هذا الكلام . ولما سمع الأحنفُ فتيانَ بنى تميم يضحكون من قول العَرَنْدَسِ : (٢)

لَحَا اللهُ قوماً شَوَوْا جَارَهُمْ إذا الشَّاةُ بالدِّرْهَمَيْنِ الشُّصُبْ (٣)

أرَى كُلَّ قَوْمٍ رَعَوْا جارَهُمْ وَجَارُ تَمِيمٍ دُخَانٌ ذَهَبْ

قال : أتضحكون ! أما والله إن فيه لمعنى سوء ! ؟

وكان قَبِيصَةُ يقول : رأيت غرفة فوق البيت ! ورأى جراداً يطير فقال : لا يَهُولَنَّكم ما ترون فإن عامتها موتى ! وأنه أول ما جاء الجراد قبَّل جرادة ووضعها على عينيه على أنها من الباكورة .

وهذه الأشياء وَلَّدَها الهيثمُ بنُ عَدِيّ عند صنيع دَاوُدَ بن يَزِيدَ فى أمر تلك المرأة ما صنع . (٤)

---

(١) في الاصول : حارثة ، وهو خطأ والصواب ما اثبتناه . وهو جارية بن قدامة السعدى

(٢) هو العرندس الكلابي كان شاعرا مقلا مجيدا

(٣) الشصب : الشاة المسلوخة

(٤) كان الهيثم بن عدى قد تزوج امرأة من بنى الحارث بن كعب فركب وجوه بنى الحارث إلى الرشيد يسألونه ان يفرق بينهما فقال الرشيد : أليس هو الذي يقول فيه الشاعر :

إذا نسبت عديا فى بنى ثعل فقدم الدال قبل العين فى النسب

قالوا : بلى يا امير المؤمنين — والشعر لذهل بن ثعلبة الشيبانى الكوفى — فأمر الرشيد داود ابن يزيد احد قواده ان يفرق بينهما ، فأخذوه وضربوه بالعصي حتى طلقها . وفى ذلك يقول على ابن جبلة العكوك:

للهيثم بن عدى نسبة جمعت آباءه فأراحتنا من العدد

أعدد عديا فلو مد البقاء له ما عمر الناس لم ينقص ولم يزد

نفسى فداء بنى عبد المدان وقد تلوه للوجه واستعلوه بالعمد

حتى ازالوه كرها عن كريمتهم وعرفوه بذل أين اصل عدى

يا ابن الخبيثة من أهجو فافضحه إذا هجوت وما تنمي إلى أحد

قال أبو الحسن : وتغدى أبو السَّرَايا عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولىّ عهد وقدامه جَدى فقال : كل من كليته فإنه يزيد فى الدماغ ! فقال : لو كان هذا هكذا لكان رأس الأمير مثل رأس البغل !

قال أبو كَعْب : كنا عند عَيَّاش بن القاسم ومعنا سَيفَوَيْهِ القاص فأتينا بفالوذجة حارّة فابتلع سيفويه منها لقمة فغشى عليه من شدة حرّها فلما أفاق قال : مات لى ثلاثة بنين ما دخل جوفى عليهم من الحرقة ما دخل جوفى من حرقة هذه اللقمة !

سَعيد بن مالك قال : جالسنى رجل فقير لا يكلمنى ساعة ثم قال لى : جلست قط على رأس تنور لخريت فيه آمناً مطمئناً ؟ قلت : لا ! قال : فانك لم تعرف شيئا من النعيم قط !

وقال هِشام بن عبد الملك ذات يوم لجلسائه : أى شىء ألذ ؟ قال له الأبرش ابن حسان : أأصابك جرب قط فحككته ؟ قال : مالك ! أجرب الله جلدك ولا فرج الله عنك ! وكان آنس الناس به .

ومن غرائب الحمق المذهب الذى ذهب إليه الكُمَيت بن زيد فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

فاعْتَتَبَ الشَّوْقُ فى فُؤَادِىَ وَالشِّعْـــرُ إلى مَنْ إلَيْهِ مُعْتَتَبُ
إلى السِّرَاجِ المُنِيرِ أَحْمَدَ لاَ تَعْدِلُنِى رَغْبَةٌ ولا رَهَبُ
عَنْهُ إلى غَيْرِهِ ولوْ رَفَعَ النَّـ اسُ إلىَّ العُيُون وَارْتَقَبُوا
وقِيلَ أفرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَنَّفَنِى القَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
إلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ الْـ أَرْضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِىَ العُيُبُ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أُكْثِرَ فِيكَ الضِّجَاجُ وَاللَّجَبُ

فمن رأى شاعراً مدح النبى صلى الله عليه وسلم فاعترض عليه واحد من جميع أصناف الناس حتى يزعم أن ناسا يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه ..!؟ ولقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم فما زاد على قوله :

وبورك قبر أنت فيه وبوركت ... به وله أهل بذلك يثرب

لقد غيبوا برًا وحزمًا ونائلا ... عشية واراه الصفيح المنصب

يعنى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويثرب يعنى المدينة . وهذا شعر يصلح فى عامة الناس .

وكتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب : إنك والله ما أنت بصاحب هذا الأمر ، صاحب هذا الأمر مغمور وموتور (١) وأنت مشهور غير موتور . فقال له رجل من الأزد يقال له عثمان بن المفضل : قدم ابنك مخلدًا (٢) حتى يقتل فتصير موتورا !

وقال : جاء ابن لجديع بن علي (٣) - وكان ابن خال يزيد بن المهلب - فقال ليزيد : زوجنى بعض ولدك ! ؟ فقال له عثمان بن المفضل : زوجه ابنك مخلدا فإنه إنما طلب بعض الولد ولم يستثن شيئا . . ! ؟

ومن الحمقاء : كثير عزة ، ومن حمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدحه بمديح استجاده فقال له : سلنى حوائجك ؟ فقال : تجعلنى فى مكان ابن زمانة ! قال : ويلك ، ذلك رجل كاتب وأنت شاعر ! فلما خرج ولم ينل شيئا قال :

عجبت لأخذى خطة الغى بعدما ... تبين من عبد العزيز قبولها

فإن عاد لى عبد العزيز بمثلها ... وأمكننى منها إذاً لا أقيلها

قال أبو الحسن : قال طارق ، قال ابن جابان : لقى رجل رجلا ومعه كلبان فقال : هب لى أحدها ؟ قال : أيهما تريد ؟ قال : الأسود ! قال : الأسود أحب إلى من الأبيض ! قال : فهب لى الأبيض ؟ قال : الأبيض أحب إلى من كليهما !

وقال رجل لرجل : بكم تبيع الشاة ؟ قال : أخذتها بستة وهى خير من سبعة وقد

---

(١) يشير إلى أبناء على بن ابي طالب رضى الله عنهم

(٢) مخلد هو ابن يزيد بن المهلب

(٣) هو جديع بن على اخو خيرة القشيرية زوج المهلب بن ابى صفرة وكان من رجالات المهالبة ، وله حديث يتعلق بالفرزدق .

أعطيت بها ثمانية ، فان كانت من حاجتك بتسعة فزن عشرة ! قال أبو الحسن : قال طارق بن المبارك : دخل رجل على بلال فكساه ثوبين فقال : كسانى الامير ثوبين فاتزرت بالآخر وارتديت بلآخر ! وقال : مرض فتى عندنا فقال له عمه : أى شىء تشتهى ؟ قال : رأس كبشين ! قال : لا يكون ! قال : فرأسى كبش ! طارق قال : وقع بين جار لنا وجار له يكنى أبا عيسى كلام فقال : أللهم خذ منى لأبى عيسى ! قالوا : أتدعو الله على نفسك ! ؟ قال : فخذ لأبى عيسى منى !

أبو زكريا العجلانى قال: دخل عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ على مُعَاوِيَةَ وهو ثقيل فقال: كيف أصبحت يا أمير المومنين ؟ قال : أصبحت صالحا ؟ قال : أصبحت عينك غائرة ولونك كاسفا وأنفك ذابلا فاعهدعهدك ولاتَخْدَعَنَّ عن نفسك ! ؟

وقال عُبَيْدُ اللهِ بنُ زِيادِ بنِ ظَبْيَانَ التَّيْمِى : يرحم الله عمر بن الخطاب ، كان يقول : أللهم إنى أعوذ بك من الزانيات وأبناء الزانيات ! فقال عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ: رحم الله عمر ، كان يقول: لم يقم جنين فى بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائقا !

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بُلهاً كالحمام .

وقال قائل : حماقة صاحبى على أشد ضرراً منها عليه .

وقالوا : شرد بعير لِهَبَنَّقَةَ الْقَيْسِىِّ — وبجنونه يضرب المثل — فقال: من جاء به فله بعيران ! فقيل له : أتجعل فى بعير بعيرين ؟ فقال: إنكم لاتعرفون فرحة الوجدان ! وهبنقة هو يزيد بن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة وكُنيته أبو نافع . قال الشاعر (١) :

عِشْ بِجَدٍّ وَلَا يَغُرُّكَ نَوْكٌ إِنَّمَا عَيْشُ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ (٢)

(١) هو ابو محمد يحيى بن المبارك العدوى بالولاء اليزيدى البصرى . كان من اكابر النحاة والقراء عالما باللغة والشعر والغريب وايام الناس . فصيحا مبينا قوى اللسان . اخذ عن ابى عمرو والخليل وغيرهما وعنه اخذ خلق كثير . سكن بغداد وأدب اولاد يزيد بن منصور الحميرى فقيل له « اليزيدى » وكان من مؤدبى المامون . مات بخراسان سنة ٢٠٢ هـ عن ٧٤ سنة

(٢) تناظر ابو محمد اليزيدى وعلى بن حمزة الكسائى بين يدى المهدى يوما قبل أن يلى الخلافة

عِشْ بِجَدٍّ وكُنْ هَبَنْقَةَ القَيْـ ... ـسِيَّ نُوكًا أو شَيْبَةَ بنَ الوَلِيدِ

ولما خلع قُتيبةُ بنُ مُسلم سُليمانَ بنَ عبد الملك بخراسان قام خطيباً[1] فقال: يأهل خُراسان، أتدرون من وليكم؟ إنما وليكم يزيد بن ثروان – كنى به عن هبنقة. وذلك أن هبنقة كان يحسن من إبله إلى السمان ويدع المهازيل ويقول: إنما أكرم بن أكرم الله وأهين من أهان الله؟ وكذلك كان سليمان يعطى الأغنياء، ولا يعطى الفقراء، ويقول: أصلح ماأصلح الله وأفسد ماأفسد الله!

وقال الفرزدق: ماعَيِيتُ بجواب أحد قط ماعييت بجواب مجنون بدير هِرَقْل، دخلت فاذا هو مشدود إلى اسطوانة فقلت: بلغنى أنك حاسب؟ قال: ألق علىَّ ماشئت! فقلت: أمسك معك خمسة وجلدتها، قال: نعم، قلت: أمسك معك أربعة وجلدتها، قال: نعم، فقلت: كم معك؟ قال: تسعة وجلدتها مرتين؟

وكان زُرَيْقُ الفزارى يمر بالليل وهو شارب فيشتمُ أهل المجلس فلما أن كان بالغداة عاتبوه فقال: نعم زنيت أمهاتكم فماذا عليكم!؟

وخطب يوماعَتَّابُ بْنُ وَرْقَاء فقال: هذا كما قال الله تبارك وتعالى: إنما يتفاضل الناس بأعمالهم وكل ما هو آت قريب! قولوا له: إن هذا ليس من كتاب الله! قال: ماظننت إلا أنه من كتاب الله!

وخطب عَدِىُّ بْنُ زِيَادٍ الايادى فقال: أقول كما قال العبد الصالح: «ماأريكم إلا ماأرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد» قالوا له: ليس هذا من قول عَبدٍ صالحٍ إنما هو من قول فرعون! قال: من قاله فقد أحسن! وقال أعرابى:

فانتصر اليزيدي على الكسائى وكان شيبة بن الوليد وهو من وجوه قواد المهدى وأكابرهم، فى صف الكسائى فهاتر اليزيدى فاسرها فى نفسه فكتب فيه رقعة واذاعها فى الدواوين والمساجد والأسواق فاصبح الناس يتناشدون ما فيها وذلك قوله: عش بجد. وبعد البيت الثانى:

شيب يا شيب ياجدى بنى القعـ ... ـقاع ما انت بالحليم الرشيد

لاولا فيك خلة من خلال الخـ ... ـير احرزتها لحزم وجود

غير ما انك المجيد لتقطـ ... ـيع غناء وضرب دف وعود

فعلى ذا وذاك يحتمل الدهـ ... ـر مجيدا له وغير مجيد

(١) راجع ص ١١٠ من هذا الجزء

خَلَقَ السَّماءَ وأَهْلَها في جُمْعَةٍ وأبوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ في عامِ (١)

وكان عبد الملك بنُ مروانَ أول خليفة من بنى أمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وتوعد عليه وقال . إن جامعة (٢) عَمْرِو بنِ سعيدِ بنِ العاصِ عندى ! وانى والله لايقول أحدكم هكذا إلا فعلت به هكذا ! وفى خطبة له أخرى : وإنى والله ما أنا بالخليفة المستضعف — وهو يعنى عثمان بن عفان — ولا أنا بالخليفة المداهن — يعنى معاوية — ولا أنا بالخليفة المأفون — يعنى يزيد بن معاوية !

قال أبو إسحٰق : (٣) والله لو لا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المداهن لكنت منها أبعد من العَيُّوقِ ، والله ما أخذتها من جهة الميراث ولا من جهة السابقة ولا من جهة القرابة ولا تدعى شُورى ولا وصية .

قال أبو الحسن : دخل كَرْدَمُ السَّدُوسِيُّ على بلال بن أبى بردة فدعاه إلى الغداء، فقال: قد أكلت ! قال: وما أكلت ؟قال:قليل رزفا كثرت منه ! ودخل كردَمُ الذَّرَّاعُ (٤) أرض قوم يذرعها فلما انتهى إلى زنقة منها لم يحسن تذريعها . قال: هذه ليست لكم ! قالوا: هى لنا ميراث وما نازعنا فيها إنسان قط ! قال : لا والله ما هى لكم ! قالوا : فحصِّل لنا حسابَ مالا نشك فيه؟ قال: عشرين فى عشرين مائتين ! قالوا : من أجل هذا الحساب صارت الزنقة ليست لنا !

قال:ودخل عُكابة بنُ نُميلة النُّميرى دار بلال بنِ أبى بُردة فرأى ثوراً مجللا فقال : ما أفرهه من بغل لولا أن حوافره مشقوقة !

ومن النوكى ، وممن ربما عدوه فى المجانين : ابنُ فِنَانٍ الأزدى ، وضرب به المثل ابن ضب العتكىُّ فى قوله بجُدَيْعِ بْنِ عَلِيٍّ خال يزيد بن المهلب حيث قال :

لولَا المُهلَّبُ يا جُدَيْعُ ورَسْلُهُ تَغْدُو عَلَيْكَ لَكُنْتَ كابْنِ فِنَانِ

---

(١) يمدر حوضه : يسد ما بين حجارته بالطين

(٢) الجامعة : الغل يوضع فى العنق جامعا إليها اليدين . وراجع ص٢٠٦ من الجزء الاول

(٣) هو ابو اسحق النظام

(٤) الذراع : الذى يذرع الارض اى يقيسها

وقال آخر يهجو امرأته بأنها مِضْياعٌ خَرقاء : (١)

وَإِنَّ بَلَاءٍ مِنْ دَرِينَةَ كُلَّمَا ۝ رَجَوْتُ انْتِعَاشًا أَدْرَكَتْنِي بِعَاثِرِ
تُبَرِّدُ مَاءَ السُّعْنِ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا ۝ وَتَسْتَعْمِلُ الْكُرْكُورَ فِي شَهْرِ نَاجِرِ (٢)

وفى خطأ العلماء، قال أبو الحسن : قال الشَّعبى : سايرت أبا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ عَوْفٍ (٣) فكان بينى و بين أبى الزِّنَادِ (٤) فقال : بينكما عالم أهل المدينة ! فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها. وقال طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ يهجو قابُوسَ ابْنَ هِنْدٍ الملك (٥) :

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ ۝ لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نَوْكٌ كَثِيرُ
قَسَمْتَ الدَّهْرَ فِي زَمَنٍ رَخِيٍّ ۝ كَذَاكَ الْحُكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ
لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكِرْوَانِ يَوْمٌ ۝ تَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا تَطِيرُ (٦)
فَأَمَّا يَوْمُنَا فَنَظَلُّ رَكْبًا ۝ وُقُوفًا مَا نَحُلُّ وَمَا نَسِيرُ
وَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمُ سُوءٍ ۝ تُطَارِدُهُنَّ بِالْحُدْبِ الصُّقُورُ (٧)

ألفلوشكى قال : قلت لأعرابى : أى شىء تقرأ فى صلاتك ؟ قال : أم الكتاب

---

(١) المضياع : التى لا تحفظ شيئاً . والخرقاء : التي لا تحسن صنع شئ.

(٢) السعن : قربة تقطع من نصفها وينبذ فيها وقد يستقى بها وقد تتخذ وعاء للغزل والقطن . وشهر ناجر من شهور الصيف

(٣) هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف ، كان فقيها محدثا من خيار التابعين . يحمل عنه الحديث ويؤخذ قوله فى الفقه . مات سنة ١٠٤ هـ

(٤) هو ابو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى رملة زوجة عثمان بن عفان . كان ورعا تقيا في التابعين ولاه عمر بن عبد العزيز خراج العراق مع عبد الحميد الخطابى . مات فجأة فى شهر رمضان سنة ١٣٠م

(٥) هذه الأبيات من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند ملك الحيرة وأخاه قابوسا . وقبلها :

فليت لنا مكان الملك عمرو ۝ رغوثا حول قبتنا تخور
من الزمرات أسبل قادماها ۝ وضرتها مركنة درور
يشاركنا لنا رخلان فيها ۝ وتعلوها الكباش فما تنور

(٦) الكروان : نوع يشبه البط له صوت جميل

(٧) الحدب : مناسر الصقور وهي حدباء

ونسبة الرب وهجاء أبى لهب (١) وكان الفلوشكى البكراوى أجن الناس وأعى الخلق لسانا ، وكان شديد القِمار شديد اللعب بالودع . قال ابن عم له : وقفت على بقية تمر فى بَيْدَرٍ لى (٢) فأردت أن أعرفه بالحَزْرِ ومعنا قوم يُجيدون الخَرْص (٣) وقد قالوا فيها واختلفوا ، فهجم علينا الفلوشكى ، فقلت له : كم تحزُرُ فى هذا التمر؟ فقال : أنا لا أعرف الأكرار وحساب القُفْزان (٤) ولكن عندى مِرجل أطبخ فيه تمر نبيذى وهو يسع مَكُوكَين ، وهذا التمر يكون فيه مائتين وستين مِرجلا ! فلا والله أن أخطأ بقفيز واحد . قال المهلب ، والأزد حوله : أرأيتم قول الشاعر :

إذَا غَرَزَ المحالِبُ أتأقتهُ ... يَمُجُّ على مَناكِبهِ الثُمالا (٥)

وإلى جنب غَيلان بن خرَشة شيخ من الأزد فقال له : قل هو ابن الفحل ! فقالها ؟ فقال المهلب : ويلكم ما جالستم الناس . وأنشد بعض أصحابنا :

ألِكْنى إلَى مَوْلَى أُكَيْمَةَ وَانْهَهُ ... وَهَلْ يَنْتَهى عَنْ أوّلِ الزَّجْرِ أحْمَق (٦)

وزعم الهيثم بن عدى عن رجاله أن أهل يبْرين (٧) أخف بنى تميم أحلاما وأقلهم عقولا . قال الهيثم : ومن النوكى : عبيد الله بن الحر ، وكنيته أبو الأبرش . وقال الهيثم : خطب قَبِيصةُ (٨) وهو خليفة أبيه على خُراسان وأتاه كتابه فقال : هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهلٌ لِأن أُطيعه ، وهو أبى وأكبر منى !

---

(١) أم الكتاب . سورة الفاتحة . ونسبة الرب : سورة قل هو الله أحد . وهجاء أبى لهب : سورة تبت يدا أبى لهب وتب

(٢) البيدر : يريد بها ههنا المخزن الذى يخزن فيه الأشياء

(٣) الحزر والخرص : التقدير

(٤) القفزان جمع القفيز ، والقفيز ثمانية مكاكيك ، والمكوك مكيال يسع صاعا ونصفا

(٥) غرز المحالب : قل اللبن فى آنية الحلب ، أتأقته : أترعته حتى تمج نواحيه الثمال الزائد

(٦) ألكنى : إحمل عنى ألوكتى يعنى رسالتى

(٧) يبرين : بلد بالبحرين موصوف بكثرة الرمل . قال أبو زياد الكلابى واسمه — يزيد بن عبد الله ابن الحر — وراجع ص ١٢٨ من هذا الجزء — قال :

أراك إلى كثبان يبرين صبة ... وهذا لعمري لو قنعت كثيب
وإن الكثيب الفرد من ايمن الحمى ... إلي وإن لم آته لحبيب

(٨) هو قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة

وكان فيما زعموا ابنُ السعيد الجوهري يقول : صلى الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم .

قال أبو الحسن : صعد عَدِيُّ بنُ أرْطاةِ المنبر فلما رأى جماعة الناس حُضِرَ فقال : الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم !

وصعد رَوْحُ بنُ حاتم [1] المنبر فلما رآهم قد شَفَنُوا أبصارهم [2] وفتحوا أسماعهم نحوه قال : نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم فإن المنبر مركب صعب ، وإذا يسر الله فَتح قفل تيسر .

قالوا : وصعد عُثمانُ بنُ عَفّانٍ رضى الله تعالى عنه المنبر فأُرْتِجَ عليه فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يُعدان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب !

قالوا لزيادٍ الأعجم : لم لاتهجو جريراً ؟ فقال : أليس الذي يقول :

كأنَّ بَنِى طُهَيَّةَ رَهْطَ سَلْمى ... حِجارَةُ خارِئٍ يَرْمى كِلابا

قالوا : بلى ، قال : ليس بينى وبين هذا عمل .

قال أبو الحسن : خطب مُصْعَبُ بنُ حَيّانٍ أخو مُقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال : لَقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله ! فقالت أم الجارية : عجَّل الله موتك ، ألهذا دعوناك ! ؟ وخطب أمير المؤمنين الموالى — وهكذا لقبه — خطبة نكاح فحُصر فقال : أللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نشركك !

وقال مولى لخالدِ بنِ صفوان : زوجنى أمتك فلانة ؟ قال : قد زوجتكها ، قال : أفأدخل الحى حتى يحضروا الخِطبة ؟ فقال : أدخلهم ! فلما دخلوا ابتدأ خالد

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، كان من الولاة الشجعان الأجواد ، ولى الولايات للسفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد ، وكان ضابطاً لأعماله ، وكان كاتباً مبيناً ومتكلماً فصيحاً . بعث إلى كاتب له بثلاثين ألف درهم وكتب إليه : قد بعثت إليك ثلاثين ألف درهم ، لا اقللها تكبراً ولا اكثرها تمنا ولا استثيبك عليها ثناء ولا اقطع بها عنك رجاء والسلام . ولما مات أخوه يزيد بن حاتم سنة ١٧٠ بالقيروان وكان واليا على افريقية كان روح واليا على السند فولاه الرشيد على افريقية مكان اخيه وظل بها إلى ان مات سنة ١٧٤ هـ

(٢) شفنوا ابصارهم . نظروا إليه نظر المتعجب المتكره

فقال : أما بعد ، فان الله أجل وأعز من أن يذكر فى نكاح هذين الكلبين ، وقد زوجنا هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة !

وقال إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ لِمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ : سل مسألة الحمقى واحفظ الأكياس .

ودخل كُثَيِّرُ عَزَّةَ — وكان محمقاً ويكنى أبا صخر — على يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فقال : ياأمير المؤمنين ، ما يعنى الشَّمَّاخُ بْنُ ضِرَارٍ بقوله : (١)

إِذَا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خُدُودُ جَوَازِىءٍ بِالرَّمْلِ عِينِ (٢)

قال يَزِيدُ : وما يضر أمير المؤمنين أن لا يعرف ماعنى هذا الأعرابى الجلف ؟! واستحمقه واخرجه .

وكان عَامِرُ بْنُ كُرَيْزٍ (٣) يحمق ، قال عَوَانَةُ : قال عامر لأمه : ياأمه مسست اليوم برد الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ ! (٤) فقالت : ثكلتك أمك ! رجل بين عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ هَاشِمٍ وبين عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ يفرح أن تصيب يده برد رجل من بنى سهم !؟

ولما حُصِرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ على منبر البصرة فشق ذلك عليه قال له زِيَادٌ : أيها الأمير ، إنك إن أقمت عامة من ترى أصابه أكثر مما أصابك !

وقيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ؟ فلما صعد حُصِرَ وقال : الحمد لله الذى يرزق هؤلاء ! وبقى ساكتاً فأنزلوه . وصعد آخر فلما استوى قائما

---

(١) هذا البيت من قصيدة مدح بها الشماخ بن ضرار عرابة بن اوس واولها :

كلا يومى طوالة وصل اروى ظنون آن مطرح الظنون

وهى طويلة .

(٢) الأرطى : شجر تدبغ به الجلود . توسد : اتخذ الأبردين وهما الظل والفيء كالوسادة . الجوازىء الظباء وبقر الوحش . ومعنى ذلك انه سار إليه فى المواجر حيث تفر الوحوش من حر الشمس إلى كنسها فى جوانب الشجر

(٣) هو ابو عبد الله بن عامر امير العراق

(٤) هو ابو عمرو بن العاص

وقابل بوجهه وجوه الناس وقعت عينه على صلعة رجل فقال : اللهم العن هذه الصلعة !

وقيل لوازع اليشكري : قم فاصعد المنبر وتكلم ؟ فلما رأى جمع الناس قال : لولا أن امرأتي لعنها الله حملتني على إتيان الجمعة اليوم ماجمّعتُ ، وأنا أشهدكم أنها مني طالق ثلاثا ! ولذلك قال الشاعر :

وَمَا ضَرَّنى أنْ لاَ أقُومَ بِخُطْبَةٍ ... وَمَارَغْبَتِي فى ذَا الَّذِى قَالَ وَازِعُ

ودخلت على أنَسِ بْنِ أبِي شَيْخٍ (١) وإذا رأسه على مرفقه والحجام يأخذ من شعره فقلت له : مايحملك على هذا ؟ قال : الكسل ! قلت : فان لقمان قال لابنه إياك والكسل وإياك والضجر فانك إذا كسلت لم تؤد حقاً وإذا ضجرت لم تصبر على حق ! قال : ذاك والله انه لم يعرف لذة الكسولة !

وقيل لبَحْرِ بن الأحنفِ : ما يمنعك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل . وقال الآخر :

أطَالَ اللهُ كَيْسَ بَنِى رَزِينٍ ... وحُمْقِي أنْ شَرِبْتُ لهم بِدِينِي
أأكْتُبُ إبْلَهُمْ شاءً وفيها ... بِرَبْعٍ فِصالها بِنتا لَبُونٍ (٢)
فما خلقوا بكَيْسِهِمُ دُهَاةً ... ولا مُلْجاءِ بعدُ فيعْجبونِي (٣)

وذكر آخر الكيس في معاتبته لبنى أخيه حين يقول :

عَفاريتاً عليَّ وأكْلِ مَالى ... وعَجْزاً عن أُناسٍ آخرِينَا ؟
فَهلاَّ غَيْرَ عَمِّكُمُ ظَلَمْتُمْ ... إذا ما كنتُم مُتَظَلِّمِينَا (٤) ؟
فلَوْ كُنتُم لِكَيِّسَةٍ أكاسَتْ ... وكَيْسُ الأُمِّ أكْيَسُ لِلْبَنِينَا (٥)

---

(١) هو أنس بن ابي شيخ النصري . كان من ظرفاء الناس وأصحاب النوادر والمضحكات منهم وكان اديبا بارعا ذا منزلة من جعفر بن يحيي البرمكي ومن خاصة ندمائه .

(٢) بنتالبون : ناقتان صغيرتان

(٣) الملجاء : الأجلاء

(٤) متظلمون : ظالمون هنا

(٥) أكاست : ولدتكم كيسى عقلاء

وقال بعضهم : عيادة النَّوْكَى الجلوس فوق القدر والمجيء فى غير وقت . وعاد رجل رَقَبَةَ بنَ الحُرِّ فنعى رجالا اعتلوا مثل علته فنعى بذلك إليه نفسه ، فقال له رَقَبَةُ : إذا دخلت على المرضى فلا تنع إليهم الموتى ، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا .

وسأل مُعَاوِيَةُ إبنَ الكَوَّاءِ (١) عن أهل الكوفة فقال : أبحثُ الناس عن صغيرة وأتركهم لكبيرة ! وسئِل شَرِيكٌ (٢) عن أبي حنيفة فقال : أعلم الناس بما لا يكون وأجهل الناس بما يكون . وسأل مُعاويةُ دَغْفَلاً النسابة عن اليمن فقال: سيدٌ وأنوكُ . وذُكِر عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ (٣) عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ألاحمقُ المطاع .

وجُن أعرابيٌّ من أعراب المِرْبَدِ ورماه الصبيان فرجم فقالوا له : أما كنت وقوراً حليما ! فقال : بلى ، بأبي أنتم وأمى والله ما استُحمقت إلا قريباً ! وكان أول جنونه من عبث الناس به ، ورمى إنساناً فشجه فتعلق به وهو لا يعرفه وضمه إلى الوالى فقال له الوالى : ولم رميت هذا وشججته ؟ قال : أنا لم أرمه ! هو دخل تحت رميتى !

وكان وكيعُ بنُ الدَّورقيةِ (٤) يحمق . قال الوليدُ بنُ هِشامٍ القحذَمىُّ أبو عبدِ الرحمنِ : أخبرنى أبى قال : لما قدم أُميةُ (٥) خُراسان قيل له : لِمَ لا تَدْخُل

(١) هو عبد الله بن عمرو (ابن الكواء) اليشكرى كان من النسابين العلماء بالاخبار والآثار وكان مع على بن ابي طالب ومن شيعته ثم فارقه وخرج عليه فيمن خرج احتجاجا على التحكيم . ثم كان بعد ذلك من رؤس الشراة الخوارج الذين حاربهم المهلب

(٢) هو شريك بن عبد الله النخعى . كان عالما فقيها فهما ذكيا ذا فطنة وقوة حجة . تولى القضاء بالكوفة وبالأهواز ايام المهدى العباسي ثم عزله الهادى . وكان مولده ببخارى سنة ٩٥ . وتوفي بالكوفة سنة ١٧٧ هـ وفيه يقول ابو العلاء بن المنهال :

فليت ابا شريك كان حيا ... فيقصى حين يبصره شريك
ويدرك من بدرته علينا ... إذا قلنا له هذا ابوك

(٣) كان بالاصول . عتيبة بن حصين ، وهو خطأ ، والصواب ماأثبتناه

(٤) هو وكيع بن عمير القريعى السعدى ، وكانت امه من سبي دورق بلد بخوزستان . وهو الذي تولى قتل عبد الله بن خازم السلمى امير خراسان

(٥) هو امية بن عبد الله بن اسيد ، احد من ولى خراسان

وكيع بن الدَّورقيّة في صحابتك ؟ قال : هو أحمق ! فركب يوماً وسايره فقال له ما أعظم رأس برذونك ! قال : قد كفاك الله حمله ! ثم سايره قليلا فقال : أصلحك الله ، أرأيت يوم لقيت أبا فُديك [١] ما منعك أن تكون قدمت رجلا وأخرت رجلا وداعست بالرمح حتى يفتح الله عليك ! قال : أعزب قبحك الله ! وأمر به فنُحّي .

وساير سعيدُ بنُ سَلْمٍ موسى أمير المؤمنين ، والحربة في يد عبدالله بن مالك وكانت الريح تسفي التراب الذي تثيره دابة عبدالله بن مالك في وجه موسى وعبد الله لا يشعر بذلك وموسى يحيد عن سنن التراب وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ مسير موسى فيتكلف ان يسير على محاذاته وإذا حاذاه ناله ذلك التراب ، فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سلم فقال : ألا ترى ما نلقى من هذا المائق [٢] في مسيرنا هذا ؟ ! قال : والله يا أمير المؤمنين ما قصر في الاجتهاد ولكنه حُرم التوفيق .

وساير البطْريقُ الذي خرج الى المعتصم من سور عمُّورِيَّة محمدَ بن عبدالملك [٣]

---

(١) هو عبد الله بن ثور بن سلمة ابو فديك الخارجي . خرج باليمن سنة ٧٢ فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي رأس الخوارج هناك . فلما استفحل امره وخيف شره سير إليه خالد بن عبد الله بن اسيد جيشا كثيفا وعلى رأسه اخوه أمية بن عبد الله فقاتله ثم هزم ابو فديك جيشه وفر أمية على فرس له لا يلوي على شيء حتى دخل البصرة في ثلاثة ايام . ولما رأى ذلك عبد الملك بن مروان قام وقعد ثم سير إليه جيشا من عشرة آلاف وعلى رأسه عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي فلما ورد البحرين والتقى بأبي فديك وجيوشه صمد لهم وقاتلهم قتال الابطال . وكان ابو فديك في قوة هائلة ومنعة لا ترام فجد عمر في قتاله وغاداه الحرب وراوحه وما زال به حتى قتله واستباح عسكره وقتل من اتباعه مقتلة عظيمة وكفى الدولة شرا مستطيرا ثم عاد بجنوده واسراه إلى البصرة . وذلك في سنة ٧٣ هـ

(٢) كان بالاصول : هذا الخائن . ولا معنى للخيانة ههنا ، والصواب ما اثبتناه

(٣) هو محمد بن عبدالملك الزيات الكاتب البليغ والشاعر المجيد والوزير الخطير . وكان ابوه تاجراً في ايام المأمون غنيا موسراً ، ونشأ محمد نشأة اهل اليسار فتأدب وقرأ وفهم ، وكان ذكيا فطنا فبرع في كل شيء الم به حتى صار نادرة وقته عقلا وفهما وذكاء وبلاغة في الكتابة وفصاحة في الشعر وسعة في المعارف والآداب . وكان ذا خبرة بآداب الرياسة وقواعد الملوك . سأله ابوه العمل معه في تجارته فأبى والتحق بالديوان وكتب للوزراء واشتهر حتى صار من كتاب الدولة العباسية وظل كذلك إلى ان ورد كتاب من بعض العمال على المعتصم يذكر فيه خصب الناحية وكثرة الكلأ فسأل المعتصم وزيره احمد بن عمار عن الكلأ فلم يدر ما يقول فدعا محمد بن عبد الملك الزيات — وكان احد خواصه واتباعه — فسأله عن الكلأ فقال : اول النبات يسمى بقلا ، فاذا طال قليلا فهو الكلأ ، فاذا يبس وجف فهو الحشيش . فصرف المعتصم احمد بن عمار واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات فنهض

والأَفْشين بن كَاوُس ِ فساوم كل واحد منهما ببرذونه ، وذكر أنه كان يرغبهما أو يربحهما ! فإذا كان هذا أدب البطريق مع محله من الملك والمملكة فما ظنك بمن هو دونه منهم ! ؟ ولما استجلس المعتصم بطريق خَرْشَنَةَ تربّع ومدّ رجليه !

واجبات الملوك والأمراء

قال زِيادٌ : ما قرأت مثل كتب الربيع بن زِيادٍ الحارِثيّ ، ما كتب إليّ إلا فى اجترار منفعة أو دفع مضرة ، وما كان فى موكبى قط فتقدم عنان دابته عنان دابتى ولا مست ركبته ركبتى ولا شاورت الناس قط فى أمر إلا سبقهم إلى الرأى فيه . كان على شرط زِيادٍ عبدُ الله بنُ الحُصَين صاحب مقبرة بنى حصين ، والجَعْدُ ابنُ قَيْسٍ النمري صاحب طاق الجعد ، وكانا يتعاقبان مجلس صاحب الشرطة ، فإذا كان يوم حمل الحربة سارا بين يديه معاً ، فجرى بينهما كلام وهما يسيران بين يديه فكان صوت الجعد أرفع وصوت عبد الله أخفض ، فقال زياد لصاحب حربته : تناول الحربة من يد الجعد ومره بالانصراف إلى منزله .

وعدا رجل من أهل العسكر بين يدى المأمون فلما انقضى كلامه قال له بعض من يسير بقربه : يقول لك أمير المؤمنين : إركب ؟ قال المأمون : لا يقال لمثل هذا إركب ؟ إنما يقال لمثل هذا : انصرف .

باعباء الوزارة نهوضا لم يكن لمن تقدمه من اضرابه . وكان جبارا غليظ القلب فظا متكبرا أخشن الجانب مبغضا إلى الخلق . ومات المعتصم وهو على وزارته ، وقد كان المعتصم امر لابنه الواثق بمال فاشار ابن الزيات على المعتصم بان لايعطيه شيئا فرجع فيما كان امر به فلما علم الواثق بما فعله ابن الزيات حقد عليه وكتب بخطه عهداً ليقتلن ابن الزيات متى ولى الخلافة شر قتلة . فلما ولى الخلافة بعد وفاة ابيه المعتصم قال للحاجب : ادخل على عشرة من الكتاب ؟ فلما ادخلوا عليه اختبرهم فما ارضاه واحد منهم ، فقال للحاجب : ادخل من الملك محتاج إليه محمد بن الزيات ! فلما مثل بين يديه قال لخادم : احضر إلي المكتوب الفلانى ؟ فاحضر له ذلك العهد فدفعه إلى ابن الزيات وقال : اقرأه . فلما قرأه قال : ياامير المؤمنين ، انا عبد إن عاقبته فانت حاكم فيه ، وإن كفرت عن يمينك واستبقيته كان اشبه بك . فقال الواثق : والله ما ابقيتك إلا خوفا من خلو الدولة من مثلك ! وسأكفر عن يمينى فانى اجد عن المال عوضا ولا اجد عن مثلك عوضا . ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض الامور إليه . وظل فى وزارته إلى ان مات الواثق وولى اخوه المتوكل فقبض عليه وقتله فى تنوره سنة ٢٣٣هـ

وكان الفضلُ بنُ الرّبيع[١] يقول: مُساءلة الملوك عن أحوالهم من تحية النوكى، فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير؟ فقل: صبح الله الأمير بالكرامة، فإذا أردت أن تقول: كيف يجد الأمير نفسه؟ فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، والمسألة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه.

وقال محمد بن الجَهْم: دخلت على المأمون فقال لى: مازال أميرُ المؤمنين إليك مشتاقاً! فلم أرد ما جواب هذه الكلمة بعينها وأخذت لا أقصر فيما قدرت عليه من الدعاء ثم الثناء.

قال أبو الحسن: قال ابنُ جابان: قال المهدي: كان شبيبُ بنُ شيْبة يسايرنى فى طريق خُراسان فيتقدمنى بصدر دابته، فقال لى يوماً: ينبغى لمن ساير خليفة أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفةُ أن يسأله عن شىء لايلتفت اليه، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس، قال: فبينما نحن كذلك إذ انتهينا إلى مخاضة فأقحمت دابتى ولم يقف واتبعنى فملأ ثيابى ماء وطيناً! فقلت: يا أبا مُعمر ليس هذا فى الكتاب!

رجع الى النوكى

قال الهيثمُ بنُ عَدِيّ: كنت قائماً إلى حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ[٢] وهوعلى بِرْذَوْنٍ

(١) هو ابو العباس الفضل بن الربيع بن يونس. كان من الأدب والسياسة والدهاء على جانب عظيم، وكان حاجبا للمهدى والهادي والرشيد. وكانوا يخصونه بالحظوة والثقة، وكان البرامكة يقصرون فى حقه. ودخل يوما على يحيي بن خالد البرمكي وبين يديه ولده جعفر وهو يوقع على الرقاع فيها حوائج الناس فعرض الفضل عليه عشر رقاع لبعض من يرعاهم فتعلل يحيي فى كل رقعة بعلة ولم يوقع فى شىء منها البتة فجمع الفضل الرقاع وقال: إرجعن خائبات خاسئات. ثم خرج وهو يقول:

متى وعسى يثنى الزمان عنانه بتصريف حال والزمان عثور
فتقضى لبانات ونشفي حسائف وتحدث من بعد الأمور امور

فسمعه يحيي فقال: عزمت عليك ياابا العباس إلا رجعت! فرجع فوقع له فى جميع الرقاع. غير أن الفضل لم يغتفرها فأوغر صدر الرشيد عليهم وكان من اسباب نكبتهم. واستوزره الرشيد بعد البرامكة. ولما مات الرشيد قام الفضل بالأمر للأمين، وهو الذى اغرى الأمين بخلع المأمون من ولاية العهد وكان سببا في نكبة الأمين على ماهو معروف. وكانت وفاة الفضل بن الربيع سنة ٢٠٨ هـ

(٢) مضت ترجمته فى ص ٩١ من الجزء الأول

فتفاجّ البرذون ليبول ، فقال لى : تنخ لا يُهريق عليك البرذون الماء .

وجاء رجل الى محمد بن حَرب الهلالى (١) بقوم فقال : إن هؤلاء الفساق ما زالوا فى مَسيس هذه الفاجرة ؟ قال: ما ظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغى أن يُكنى عن الفجور بهن !

وقلت لرجل من الحُساب : كيف صار البرذون المتحصن إلى البغلة أحرص منه على الرَّمكةِ والرمكةُ أشكل بطبعه ؟ قال: بلغنى أن البغلة أطيب خلوة !

وقال صديق لنا : بعث رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه مالا له عليه، فرجع إليه مضروبا ! فقال: ما بالك ويلك ؟ قال: سبك فسببته فضربني ! قال : وبأى شيء سبنى ؟ قال: قال: هَنُ الحمار فى حرام من أرسلك ! قال : دعنى من افترائه علىّ ، أنت كيف جعلت لاير الحمار من الحرمة مالم تجعله لحر أمّى ؟ فهلا قلت : أير الحمار فى هن أم من أرسلك ؟!

أبو الحسن قال: كان رجل من ولد عبدِ الرَّحمن بن سَمُرَة أراد الوثوب بالشام ، فحمل إلى المهدى فخلى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه ، فقال له يوماً : أنشدنى قصيدة زُهير التى أولها « لمن الدّيار بقُنّةِ الحِجْر » وهى التى على الراء (٢)

(١) كان محمد بن حرب الهلالي أديبا بارعا حسن الحديث مفننا صاحب رواية وخبر ، وكان على شرطة محمد بن سليمان العباسي

(٢) لهذه القصيدة قصة لطيفة يحسن إيرادها هنا وذلك أن المهدى دعا المفضل الضبي فقال له : إني رأيت زهير بن أبي سلمي افتتح قصيدته بأن قال « دع ذا وعد القول فى هرم » ولم يتقدم له قبل ذلك قول، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئا إلا أني توهمته كان يفكر فى قول يقوله أو يروى فى أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال « دع ذا » ، أو كان يفكر فى شيء من شانه فتركه وقال « دع ذا » أي دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول فى هرم ! فامسك المهدى عنه ثم دعا بحماد الراوية فساله فقال : ليس هكذا قال يا أمير المؤمنين ! قال : فكيف قال؟ قال وأنشده :

لمن الديار بقنة الحجر ... أقوين مذ حجج ومذ دهر
لعب الزمان بها وغيرها ... بعدي سوافى المور والقطر
قفر بمندفع النحائت من ... ضفوى ألات الضال والسدر
دع ذا وعد القول فى هرم ... خير الكهول وسيد الحضر

فقال المهدى للمفضل ما أنشده حماد فقال : يا امير المؤمنين إن هذا القول من صنيعه ! فاطرق المهدى

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ ‏ ‏ ‏ ‏ أَقْوَيْنَ مُذْ حِجَجٍ وَمُذْ دهر

فأنشده ، فقال المهدى : ذهب والله من يقول مثل هذا ! قال السَّمَّرِيُّ : وذهب والله من يقال فيه مثل هذا ! ؟ فغضب المهدى واستجهله ونحاه ولم يعاقبه ، واستحمقه الناس . ولما دخل خالدُ بنُ طُلَيقٍ (١) على المهدى مع خصومه وأنشد قول شاعرهم :

إذا القُرَشِيُّ لم يَضْرِبْ بِعِرْقٍ ‏ ‏ ‏ ‏ خُزَاعِيٍّ فَلَيْسَ مِنَ الصَّمِيمِ

غضب المهدي وقال : أحمق ! فأنشد خالد فقال :

إذا كُنْتَ فى دَارٍ فَحَاوَلْتَ رِحْلَةً ‏ ‏ ‏ ‏ فَدَعْهَا وَفِيهَا إِنْ أَرَدْتَ مَعَادُ

فسكن عند ذلك المهدى . وقال بشار :(٢)

ثم أقبل على حماد فاستحلفه ليصدقه فحلف . فقال له : ماحال هذه الأبيات؟فقال انه هو الذي قالها لازهير ؟ فامر له بمال وللمفضل باكثر منه وأمر حاجبه أن ينادى فى ملأ العلماء بقوله : يا معشر من حضر من اهل العلم إن امير المؤمنين يعلمكم انه اجازحماد بمالالجودة شعره وابطل روايته لزيادته فى اشعار الناس ما ليس لهم ، واضعف جائزة المفضل لصدقه وصحة روايته ، فمن اراد ان يسمع شعرا جيدا محدثا فليسمع من حماد ، ومن اراد رواية صحيحة فلياخذها عن المفضل .

(١) كان قد ولاه المهدى قضاء البصرة . ومع ان ابن مناذر كان صديقا لآل طليق فقد قال يهجوه خبثا ومجونا :

اصبح الحاكم بالنـــاس من آل طليق
جالسا يحكم فى النـــاس بحكم الجاثليق
يدع القصد ويهوى فى بنيات الطريق
يا ابا الهيثم ماكنـــت لهذا بخليق
لا ولا كنت لما حـــلت منه بمطيق
حبله حبل غرور عقده غير وثيق

(٢) كان بشار مدح المهدي فلم يثبه فغضب وقال : والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على احد ولكنه كذب املى لانى كذبت فى قولى ، ثم قال فى ذلك قصيدة اولها البيتان وبعدهما :

الدماء لا اسطيع فى قلة الثرى ‏ ‏ خزوزا ووشيا والقليل محيق
خذى من يدي ماقل إن زماننا ‏ ‏ شموس ومعروف الرجال رقيق
لقد كنت لا ارضى بأدنى معيشة ‏ ‏ ولا يشتكى بخلا على رفيق
خليلى إن المال ليس بنافع ‏ ‏ إذا لم ينل منه اخ وصديق
وكنت إذا ضاقت على محلة ‏ ‏ تيممت اخري ما على تضيق
وما خاب بين الله والناس عامل ‏ ‏ له فى التقى او فى المحامد سوق
ولا ضاق فضل الله عن متعفف ‏ ‏ ولكن اخلاق الرجال تضيق

خَلِيلَيَّ إنَّ العُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ وَإنَّ يَسَارًا مِنْ غَدٍ لَخَلِيقُ
وما كُنْتُ إلَّا كالزَّمَانِ إذا صَحَا صَحَوْتُ وإنْ مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ

قالوا : ومن النوكى : أبو الرَّبيع العامريُّ واسمه عبدُ الله ، وكان ولى بعض منابر اليمامة وفيه يقول الشاعر :

شَهِدْتُ بأَنَّ اللهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ وَأَنَّ الرَّبيعَ العامِرِيَّ رَقِيعْ
أَقَادَ لنا كَلْبًا بِكَلْبٍ ولَمْ يَدَعْ دِمَاءَ كِلَابِ المُسْلِمِينَ تَضِيعْ

قال أبو الحسن : ومن النوكى : ربيعةُ بنُ عسلٍ أحد بنى عمرو بن يربوع ، وأخوه ضُبيعُ بن عسلٍ ، وفد ربيعةُ على معاوية فقال معاويةُ : حاجتك ؟ قال : زوجنى ابنتك ! قال : إسقوا ابن عسلٍ عسلا ! فأعاد عليه ، فأعاد عليه العسل ثلاثا ، فتركه وقد كاد تنقدّ بطنه ، قال : فاستعملنى على خُراسان ؟ قال : زيادٌ أعلم بثغوره ، قال : فاستعملنى على شُرطة البصرة ! قال زيادٌ : أعرف بشُرطته . قال : فاكسنى قطيفة ؟ أو قال هب لى مائة ألف جذعٍ لدارى ؟ قال : وأين دارك ؟ قال : بالبصرة ! قال : كم ذرعها ؟ قال : فرسخان فى فرسخين ! قال : فدارك فى البصرة أو البصرة فى دارك !؟ قال معاوية : فإن البصرة لاتكون هذا . وقال أبو الأحوص الرياحى :

وَلَيْسَ بِيَرْبُوعٍ إلى العَقْلِ حَاجَةٌ سِوَى دَنَسٍ تَسْوَدُّ منهُ ثِيَابُهَا
فَكَيْفَ بَنُو كَيْمَالِكٍ إنْ كَفَرْتُمُ لَهُمْ هَذِهِ أَوْ كَيْفَ بَعْدُ خِطَابُهَا
مَشَائِمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٌ إلَّا بِبَيْنٍ غُرَابُهَا

قال عَوانةُ : إستعمل مُعاويةُ رجلا من كلب فذكر يوماً المجوس وعنده الناس فقال : لعن الله المجوس ، ينكحون أمهاتهم ! والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أمى ! فبلغ ذلك معاوية فقال : قاتله الله ، أترونه لو زاده على مائة ألف فعل ! فعزله .

الهيثم عن الضحاك بن رُمل قال: بينا مُعاويةُ بنُ مَروان(١) واقف بدمشق ينتظر عبد الملك على باب طحَّانٍ وحمار له يدور بالرحى فى عنقه جُلجُل إذ قال للطَّحانِ: لم جعلت فى عنق هذا الحمار هذا الُجلجل؟ قال: ربما أدركتنى سآمة أو نعسة فإذا لم أسمع صوت الُجلجل علمتُ أنه قد قام فصحت به. قال معاوية: أفرأيت إن قام ثم قال برأسه: هكذا هكذا — وجعل يحرك رأسه يمنة ويسرة — وما يدريك أنت أنه قائم؟ قال الطَّحانُ: ومن لى بحمار بعقل مثل عقل الأمير!؟

ومعاوية بن مروان هذا هو الذى قال لأبي امرأته: ملأتنا ابنتك البارحة بالدم! قال: إنها من نسوة يحبأن ذلك لأزواجهن(٢)

وصعد يُوسُفُ بْنُ عُمَرٍ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد قتل الله زيداً(٣) ونصر بن سيار! يريد نصر بن خزيمة.

وقال عَلِيٌّ الأسْوارى: عمر بن الخطاب معلق بشعرة! قات: وما صيره إلى ذلك؟ قال: لما صنع بنصر بن سيار! يريد نصر بن الحجاج بن عِلاَط(٤)

وقالوا أحب الرَّشِيدُ أن ينظر إلى أبي شُعَيْبٍ القَلّالِ كيف يعمل القلال، فأدخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج إليه من آلة العمل، فبينا هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه فلما رآه نهض قائما فقال له الرشيد: دونك مادعيت له

---

(١) كان معاوية بن مروان بن الحكم ضعيفا سخيفا وكان موضع سخرية بنى امية. قال له خالد ابن زيد: يا ابا المغيرة، ما الذى هونك على اخيك فلا يوليك ولاية؟ قال: لو اردت لفعل! قال: فسله ان يوليك بيت لهيا! قال: نعم، وغدا على عبد الملك فقال له: ولنى بيت لهيا؟ قال عبد الملك: متى عهدك بخالد؟ قال: عشية امس! قال: إياك ان تكلمه ودخل خالد فقال له: كيف اصبحت ياأبا المغيرة؟ قل: قد نهانا هذا عن كلامك! فغلب الضحك على عبد الملك فقام وتفرق الناس. وكان عبد الملك إذا نظر إليه تمثل بقول المغيرة بن حبناء:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن تفاضلت الطبائع والظروف
وأمك حين تنسب أم صدق ولكن ابنها طبع سخيف

(٢) ومن دلائل سخفه أنه أفلت له باز فصاح: اغلقوا أبواب المدينة لئلا يخرج! وقال له رجل: أنت الشريف ابن امير المؤمنين واخو امير المؤمنين وابن عم امير المؤمنين عثمان وامك عائشة بنت معاوية! فقال: إذن فأنا مردد فى بنى اللخنا متردادا!

(٣) هو زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب. وكان خرج عليهم وله فى خروجه شأن عظيم

(٤) هو الذى نفاه عمر لجماله خوف الفتنة فى خبر معروف

فإني لم آتك لتقوم إلى وإنما أتيتك لتعمل بين يدى ! قال : وأنا لم آتك ليسوء أدبي وإنما أتيتك لأزداد بك فى كثرة صوابى ! فقال له الرشيد : إنما تعرضت لى حين كسدت سوقك ! قال أبو شعيب : ياسيد الناس ، وما كساد عملى فى جلال وجهك ! ؟ فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال : والله ما رأيت أنطق منه أولا ولا أعيى منه آخراً ! ينبغى لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجن الناس .

عبد الله بن شداد [١] قال : أرى داعى الموت لا يقلع وأرى من مضى لا يرجع ومن بقى فاليه ينزع ، ولا تزهدن فى معروف فان الدهر ذو صروف ، فكم من راغب قد كان مرغوبا إليه ! وطالب قد كان مطلوبا إليه ، والزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان ير الهوان .

عن محمد بن على عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةٍ حَلَّ بِهَا الْبَلَاءُ: إذا أكلوا الأَمْوَالَ دولاً وَاتَّخَذُوا الأَمَانَةَ مَغْنَمًا وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أَبَاهُ وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ فِى الْمَسَاجِدِ وأكرم الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ وَكَانَ زَعِيمَ الْقَوْمِ أَرْذَلُهُمْ ، وإذا لُبس الحرير وشُربت الخمور واتُّخذت القِيَان والمعازف ولعن آخرُ هذه الأمة أوَّلها ، فَلْيَرْتَقِبُوا بَعْدَ ذلك ثلاث خصال: رِيحًا حَمْرَاءَ وَمَسْخًا وَخَسْفًا »

الهيثم قال : أخبرنا الكلبى قال : كانت قريش تعد أهل الجزالة فى الرأى : العَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَا سُفْيَانَ ، وابنيهما ، [٢] وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ [٣] قال : وقال ابن عباس : لم يكن فى العرب أمرد ولا أشيب أشد عقلا من السّائب بن

---

(١) هو عبد الله بن شداد بن اسامة . كان من افاضل المحدثين واهل الفقه والورع ، وكان جده اسامة يلقب بالهادى لانه كان يوقد النار ليلا لمن يسلك الطريق ، وعبد الله ابن خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس . وراجع ص ٩٣ من هذا الجزء

(٢) وابنيهما : يريد عبد الله بن عباس ومعاوية بن ابي سفيان

(٣) كان من عظماء قريش وله مع النبي وقائع فى صفوف المشركين

الأقرع . قال : حدثني الشعبي أن السائب شهد فتح مِهْرِجَانَقَذَقْ ودخل(١) منزل الهُرْمُزَانِ وفى داره ألف بيت فطاف فيه فاذا ظبي من جص في بيت منها مادٌّ يده قال : أقسم بالله أنه يشير إلى شيء ! إنظروا ؟ فنظروا فاستخرجوا سَفَطَ كنز الهُرْمُزَانِ فاذا فيه ياقوت وزبرجد ، فكتب فيه السائب إلى عمر ، وأخذ منه فصا أخضر وكتب إلى عمر : إن رأى أمير المؤمنين أن يهبه لى فليفعل ؟ فلما عرض على الهرمزان قال : فأين الفص الصغير ؟ قال عمر : سألنيه صاحبنا فوهبته له ! فقال إن صاحبك بالجوهر لعالم . أخبرنا مجالد عن الشعبي قال : قال السائب : لِجَمِيلِ بْنِ بَصْرَةَ :(٢) أخبرني عن مكان من القرية لايخرب حتى اقتطع ذلك المكان؟ قال : ما بين الماء إلى دار الامارة ! قال : فاختط لثقيف فى ذلك الموضع . قال الهيثم : بت عندهم ليلة فاذا ليلهم مثل النهار.

أبو الحسن قال : قال عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ لِمُعَاوِيَةَ : أما والله لو كنا على السواء بمكة لعلمت ! قال معاوية : إذاً كنت أكون معاوية ابن أبى سفيان منزلى الأبطح ، ينشق عنى سيله ، وكنت أنت عبد الرحمن ابن خالد منزلك أجياد ، أعلاه مدرة وأسفله عذرة!

وقال سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو : أشبه امرأ بعض بَزِّهِ .(٣) فصار مثلا . وقال مُحْرِزُ ابْنُ عَلْقَمَةَ :

لَقَدْ وَارَى المَقَابِرُ مِنْ شَرِيكٍ ... كَثِيرَ تَحَلُّمٍ وَقَلِيلَ عَابِ
صَمُوتًا فى المَجَالِسِ غَيْرَ عَيٍّ ... جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بالصَّوَابِ

(١) قال ياقوت : هي كورة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان فى تلك الجبال

(٢) كان بالأصول : جميل بن بصهرى اوبصهرى . وهوخطأ ، والصواب ماأثبتناه . وهوابوبصرة جميل بن بصرة الغفاري من صحابة رسول الله.

(٣) البز: يريد به الثياب او ما يلبس

وقال ابْنُ الرِّقَاعِ :(١)

أُمَمٌ تَدَاخَلَتِ الْحُتُوفُ عَلَيْهِمُ ... أَبْوَابَهُمْ فَكَشَفْنَ كُلَّ غِطَاءِ
فَإِذَا الَّذِي فِي حِصْنِهِ مُتَحَرِّزٌ ... مِنْهُمْ كَآخَرَ مُصْحِرٍ بِفَضَاءِ
وَالْمَرْءُ يُورِثُ مَجْدَهُ أَبْنَاءَهُ ... وَيَمُوتُ آخَرُ وَهْوَ فِي الأَحْيَاءِ
وَالْقَوْمُ أَشْبَاهٌ وَبَيْنَ حُلُومِهِمْ ... بَوْنٌ كَذَاكَ تَفَاضُلُ الأَشْيَاءِ

وقال بعضهم :

بَيْضَاءُ نَاصِعَةُ الْبَيَاضِ كَأَنَّهَا ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ نِصْفَ لَيْلٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ ... إِنَّ الْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ
وَتَرَى مَآقِيَهَا تُقَلِّبُ مُقْلَةً ... حَوْرَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الإِثْمِدِ(٢)

---

(١) هو عدي بن الرقاع العاملي . كان شاعرا مقدما مطبوعا من حاضرة الشعراء كان منزله دمشق وكان خاصا بالوليد بن عبد الملك اثيرا عنده كثير المدح له . وكان له بنت شاعرة تسمى « سلمى » جاءه ناس من الشعراء ليماتنوه وكان غائبا فخرجت إليهم بنته سلمى وهى صغيرة فنظرت إليهم ثم قالت :

تجمعتم من كل اوب وبلدة ... على واحد لازلتم قرن واحد

فافحمتهم وتفرقوا . وجرت بين جرير وعدي مهاترة فى مجلس الوليد فكف الوليد جريرا عن هجوه فلم يهجه . وكان عدي يطعن على شعر كثير ويقول هذا شعر حجازى مقرور إذا اصابه قر الشام جد وهلك ! وبلغ ذلك كثيرا فلما حضر عند الوليد وعدي ينشده قصيدته التى اولها :

عرف الديار توهما فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى ابلادها

فلما قال : وقصيدة قد بت اجمع بينها ... حتى اقوم ميلها وسنادها

قال له كثير : لو كنت مطبوعا او فصيحا او عالما لم تات فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى ان تقومها فلما قال :

نظر المثقف فى كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدها

قال له كثير : لاجرم إن الايام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ، ولان تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف اجود لها ! فلما قال :

وعلمت حتى ما اسائل واحداً ... عن علم واحدة لكى ازدادها

قال كثير : كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك امير المؤمنين بان يسالك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط احمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك ! فضحك الوليد ومن فى مجلسه ولم ينطق عدي بشيء . وليس هذا مما يحط من قدر عدي ولا مما يحجب فضله واجادته في شعره . وسنذكر قصيدته هذه برمتها فى مقام آخر لجودتها وندرتها

(٢) الاثمد : حجر اسود براق يكتحل بمسحوقه

وقال الآخر:

خَوْدٌ إذا كَثُرَ الحديثُ تَعوَّذَتْ ... بِحِمَى الحياءِ وإنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ (١)

وقال:

لِسانُكَ خيرٌ وَحْدَهُ من قَبيلةٍ ... وَمَا عُدَّ بَعْدُ فى الفَتَى أَنْتَ فاعِلُهْ

سِوَى طَبَعِ الأَخلاقِ والفُحْشِ والخَنا ... أَبَتْ ذا كُمُ أخلاقُهُ وَشَمائِلُه (٢)

وقال الآخر:

عَلَى امْرِىءٍ هَدَّ عَرْشَ الحَىِّ مَصْرَعُهُ ... كأَنَّهُ مِنْ ذَوِى الأَحْلامِ مِنْ عادِ

وقال النابغة: (٣)

أَحْلامُ عادٍ وَأَجْسامٌ مُطَهَّرَةٌ ... مِنَ المَعَقَّةِ والآفاتِ والإِثَمِ (٤)

وقالت الخنساء: (٥)

خَطَّابُ مُعْضِلَةٍ فَرَّاجُ مَظْلِمَةٍ ... إنْ جاءَ مُفْظِعَةٌ هَيَّا لها بابا

---

(١) الخود . الشابة الناعمة الحسنة الخلق . تقصد : تقلل

(٢) طبع الأخلاق : شينها وعيبها .

(٣) هو النابغة الذبيانى واسمه زياد بن معاوية . كان من اشراف شعراء الجاهلية واكابرهم وكان في الطبقة الأولى منهم وله مع النعمان بن المنذر الملك خطوب واحداث . مات سنة ٦٠٤ م . وهذا البيت من قطعة يمدح بها ملوك غسان حين رجع من عندهم قال :

لايبعد الله جيرانا تركتهم ... مثل المصابيح تجلو ليلة الظلم

لايبرمون إذا ما الأفق جلله ... برد الشتاء من الامحال كالأدم

هم الملوك وابناء الملوك لهم ... فضل على الناس فى اللأواء والنعم

احلام عاد واجساد مطهرة ... من المعقة والآفات والاثم

(٤) احلام عاد : الحلم والعقل سواء ، وقد كان فى عاد حلماء مشهورون وبهم يضرب المثل . والمعقة : سوء الخلق او فساد المعدة . يعنى لهم احلام كاحلام عاد وجسومهم مطهرة من الآفات وهى الأمراض الخبيثة ، ولا يأتون الآثام .

(٥) هى تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية . كانت اشعر شواعر العرب . وقد استنفدت اشعارها فى رثاء اخويها معاوية وصخر ، قدمت مع قومها على النبى فاسلمت معهم . وكان النبى يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول : هيه ياخناس ؟ وكان بشار يقول : لم تقل امرأة شعرا قط إلا تبين الضعف فيه ، فقيل له : أوكذلك الخنساء ؟ فقال : تلك كان لها اربع خصى ! يعنى انها تعد فى شعرها من فحول

وعد الأصمعي خصال معدٍّ فقال :

كانُوا أديماً ماعِزاً شاتُهُ　　أخلصَ فيهِ القرظَ الآهِبُ(١)

أوْ مُرْقىءِ عِرْقَ دمٍ مُفْرَجٍ　　أوْ سائِلٌ فى لِزْبَةٍ زاعِبُ(٢)

أوْ ذِمَّةٌ يُوفى بها عاقِدٌ　　أوْ عُقْدَةٌ يُحْكِمُها آرِبُ(٣)

أوْ حائِطٌ مِنْ غيرِ لا نِعْمَةٍ　　أوْ رَحِمٌ مَتَّ بها جانِبُ(٤)

أوْ خُطْبَةٌ بَزْلاءُ مَفْصُولَةٌ　　يَرْضَى بها الشَّاهِدُ وَالْغائِبُ(٥)

وقال [يحيى] بْنُ نَوْفَلٍ يهجو [خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ] (٦)

الرجال الشعراء او هى تعد كفحلين منهم . وكانت خطيبة مبينة ، حضرت حرب القادسية ومعها بنوها اربعة رجال فقالت لهم من اول الليل : يابنى إنكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امراة واحدة ، ماخنت اباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم وقد تعلمون ماعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، فاذا اصبحتم فاغدوا إلى قتال عدوكم مستنصرين بالله ربكم . فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ، فغدوا للقتال فقتلوا عن آخرهم . فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى سبيله . وكان عمر يعطيها ارزاق اولادها الاربعة مابقى

(١) الأديم الماعز : الجلد الصلب دبغ اولم يدبغ . القرظ : ورق السلم وثمر السنط تدبغ به الجلود . الآهب : هو دابغ الاهب وهى الجلود

(٢) مرقىء الدم : حاقنه . المفرج : المقتول في الفلاة لم يعرف قاتله . اللزبة السنة الشديدة . الزاعب : السيل المتحدر

(٣) الآرب : العاقل المحكم

(٤) الجانب : الغريب

(٥) خطبة بزلاء : فاصلة بين الحق والباطل

(٦) راجع ص ١١٤ من الجزء الأول . لما خرج المغيرة بن سعيد — وهو من اصحاب النحل وكان يدعي الامامة لنفسه ثم ادعى النبوة وتبعه طائفة يقال لها المغيرية ، وكان خروجه فى عهد هشام بن عبد الملك سنة ١١٩ وكان خالد بن عبد الله على العراق فلما بلغه خروجه وكان على المنبر — حصر ودهش وقال أطعمونى ماء . فقال ابن نوفل يهجوه :

اخالد لا جزاك الله خيرا　　وابر فى حرامك من امير
تمنى الفخر فى قيس وقسر　　كأنك من سراة بنى جرير
جرير من ذوى يمن اصيل　　كريم الأصل ذو خطر كبير
وامك علجة وابوك وغد　　وما الأذناب عدلا للصدور
وانت زعمت انك من يزيد　　وقد دوختم دحق اليعور

وَأَنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا ... يَصِيرُ إِلَى الْخَبِيثِ مِنَ الْمَصِيرِ
وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا ... تَعَاظَمَهَا إِذَا مَا قِيلَ طِيرِي
وَإِنْ قِيلَ احْمِلِي قَالَتْ فَإِنِّي ... مِنَ الطَّيْرِ الْمُرِبَّةِ بِالْوُكُورِ (١)
وَكُنْتَ لَدَى الْمُغِيرَةِ عَيْرَ سُوءٍ ... تَبُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ لِلزَّئِيرِ
لِأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ ... كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرِ
تَقُولُ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعِمُونِي ... شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

وقال عبدُ يغوثَ : (٢)

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا ... فَمَا لَكُمَا فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا ... قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا
فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
أَبَا كَرِبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
جَزَى اللهُ قَوْمِي بِالْكُلَابِ مَلَامَةً ... صَرِيحَهُمُ وَالْآخَرِينَ الْمَوَالِيَا (٣)
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا (٤)

وانت كساقط • وبعده :

وكنت لدى المغيرة عبد سوء ... تبول من المخافة للزئير
وقلت لما اصابك اطعموني ... شرابا ثم بات على السرير
لأعلاج ثمانية وشيخ ... كبير السن ليس بذى نصير

(١) المربه : المقيمة الملازمة

(٢) هو عبد يغوث بن وقص الحارثى . كان سيد بنى الحارث وفارسهم وقائدهم فى يوم الكلاب الثانى وفيه اسر وقتل • وكان من الشعراء الامجاد • ولما اسره بنو تيم قال لهم : يابنى تيم اقتلونى قتلة كريمة إسقوني الخمر ودعوني انح على نفسى فسقوه الخمر وقطعوا له عرقا فجعل يشرب • الدم ينزف وهويقول • الا لاتلومانى •

(٣) وبعده : ولو شئت نجتنى من الخيل نهدة ... ترى خلفها الحو الجياد تواليا
ولكننى احمى ذمار ابيكم ... وكان الرماح يختطفن المحاميا

(٤) وبعده : امعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا ... فان اخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلوني تقتلوني سيدا ... وان طلقتموني تحربوني بماليا
احقا عباد الله ان لست سامعاً ... نشيد الرعاء المغربين المتاليا

وَتَضْحَكُ مِنّى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَا قَبْلِى أَسِيرًا يَمَانِيَا (١)

قال أبو عثمان : وليس فى الأرض أعجب من طَرَفة بن العبد وعبد يغوث ، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية .

أبو عُبَيْدَة قال : حدثنى أبو عبد الله الفَزَارىّ عن مالك بن دينار قال : ما رأيت أحداً أبين من الحجّاج ، إن كان ليَرْقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم إليه ، حتى أقول فى نفسى : إنى لأحسبه صادقاً وإنى لأظنهم ظالمين له !

قال : و كانت العرب تخطب على رواحلها ، وكذلك روى النبي صلى الله عليه وسلم عن قُسّ بن ساعدة . قال : أخبرنى عبدُ الرحمن بنُ مَهْدِيّ عن مالك ابن أنس قال : ألوقوفُ على ظهور الدواب بعرفة سُنة ، والقيامُ على الأقدام رُخصة ، وجاء فى الأثر : لاتجعلوا ظهور دوابكم مجالس .

ووقف الهيثمُ بنُ مطهرٍ الفأفاء على ظهر دابته على باب الخَيْزُران (٢) ينتظر

---

(١) وبعده : وظل نساء الحي حولى ركدا ... يراودن منى ما تريد نسائيا
وقد علمت عرسى مليكة انى ... انا الليث معديا عليه وعاديا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل الـ ... طي وامضى حيث لاحى ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتى ... واصدع بين القينتين رد ائيا
وكنت إذا ما الخيل شمسها القنا ... لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية سوم الجراد وزعتها ... بكفى وقد انحو إلى العواليا
كأنى لم اركب جوادا ولم اقل ... لخيلى كرى نفسى عن رجاليا
ولم اسبأ الزق الروى ولم اقل ... لايسار صدق اعظموا ضوء ناريا

(٢) هى الخيزران جارية المهدى وأم الهادى والرشيد . وكانت ذات نفوذ فى الدولة وقيام بقضاء حوائج الناس عند المهدى والهادى ، وكانت مقصودة الجناب . وكانت المواكب تغدو إلى بابها وتروح فلما رأى الهادى ذلك وراي كثرة طلباتها للناس وتدخلها في الشؤون الممكنة وغير الممكنة غضب وقال لها فى محاورة : والله وإلا فأنا نفى من قرابتى من رسول الله لئن بلغنى أنه وقف ببابك احد من قوادى او احد من خاصتى او خدمى لاضربن عنقه ولاقبضن ماله ، فمن شاء فليلزم ذلك ! ماهذه المواكب التى تغدو وتروح إلى بابك فى كل يوم اما لك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك او بيت يصونك إياك ثم إياك مافتحت بابك لمسلم او ذمي . فانصرفت ولم تنطق عنده بعدها بحلوة ولا مرة

بعض من يخرج من عندها ، فلما طال وقوفه بعث اليه عُمَرُ الْـكَلْوَاذِي فقال : إنزل عن ظهر دابتك ! فلم يرد عليه شيئاً ، فكرر الرسول إليه فقال : إني رجل أعرج وإن خرج صاحبي من عند الخَيْزُران في موكبه خفت أن لا أدركه ! فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك ! فبعث إليه قال : هو حبيس في سبيل الله إن أنزلتني عنه أن أقْضِمْتَهُ شهراً ! فانظر أيهما خير له أراحة ساعة أو جوع شهر ! ؟ قالوا له : هذا الهيثم بن مطهر ! قال : هذا شيطان .

وقال أبو عَلْقمة النَّحْوي : يا آسِي ، إني رجعت إلى المنزل وأنا سَنِقٌ لَقِسٌ فأتيتَ لِشَنْشِنَةٍ من لَوِيَّةٍ ولَـكِيكٍ وقطيع أقْرَنٍ قد غدَرْنَ هناك من سَمْنٍ ورُقاق سرشصان وسقيط عُطعُطٍ ، ثم تناولت عليها كأساً ! (١) فقال له الطبيب : خذ خرفقا وسفلقا وجرفقا ! فقال : ويلك ، أيّ شيء هذا ! ؟ قال : وأي شيء ماقلت .. ! ؟

وقال الزِّبرقانُ أحبُّ صبياننا إلينا العريض الوَرِكِ السَّبطِ الغُرّة الطَّويل الغُرْلةِ الأبله العقُول ، وأبغض صبياننا إلينا الأُقيعِسُ الذكر الذي كأنما ينظر من جُحر ، وإذا سأله القوم عن أبيه هرّ في وجوههم !

قال الهيثم ، قال الأشعث : إذا كان الغلامُ سائلَ الغُرّة طويلَ الغُرْلة مُلتاثَ الأُزْرَةِ كأن به لُوثة ، فما يُشك في سُؤْدُدِه !

قال أبو الْمِخَشّ : كان المُخشُّ أشدقَ خُرْطُمانيا سائلا لُعابه كأنما ينظر من قَلْتَيْن وكأن ترْقُوَته بُوان أو خالفة وكأن كاهله كِرْكِرَةُ جمل ، ففقأ الله عينيَّ هاتين إن كنتُ رأيت بعده ولا قبله مثله ! (٢)

---

(١) يا آسي : ياطبيب . سنق : بشم متخم . لقس لقست نفسه : غثت وخبثت من البشم والتخمة . والشنشنة : القطعة من اللحم . واللوية : مايدخره الرجل لنفسه اواضيفه . والـكيك : اللحم المتصول عن العظام . وقطيع اقرن : وقطعة من لحم خروف ذى قرون . غدرن : شربن . وسقيط عطعط : ولد الخروف

(٢) ورواية المبرد عن الاصمعى : قيل لابى المخش ، اما كان لك ابن ؟ فقال : المخش وما كان المخش ؟ كان والله اشدق خرطمانيا إذا تكلم سال لعابه ، كانما ينظر من قلتين وكان ترقوته بوان او خالفة وكان

وكان زيادٌ حول المنبر و بيوت الأموال والدواوين إلى الأزد وصلى ٣٣
وخطب فى مسجد حُدَّان فقال عمرو بن العَرَنْدَس :

فأصْبَحَ فى الحُدَّانِ يخْطُبُ آمِناً ‏ وَلِلْأَزْدِ عِزٌّ لا يَزَالُ تِلادُ[1]

وقال الأعرج :

وَالقائِلِينَ فلا يُعابُ خَطِيبُهُمْ ‏ يَوْمَ المُقامَةِ بالكلامِ الفاصِلِ

وقال ابن مُفرِّغ :

وَمَتى تَقُمْ يَوْمَ اجْتِماعِ عَشِيرَةٍ ‏ خُطباؤُنا بيْنَ العَشِيرَةِ تفْصَل

وقال :

فيارُبَّ خَصْمٍ قدْ كُفِيتُ دِفاعَهُ ‏ وَقوَّمْتُ مِنْهُ دَرْأهُ فتنَكَّبا

وقال آخر :

وَحامِلِ ضَبٍّ ضِغْنٍ لمْ يُضِرْنى ‏ بَعيدٍ قلْبُهُ حُلْو اللِّسانِ
وَلوْ أنّى أشاءُ نقَمْتُ مِنْهُ ‏ بِشَغْبٍ مِنْ لِسانٍ تِيَّحانِ

وقال :

عَهِدْتُ بِهِ هِنْدًا وَهِنْدٌ غَرِيرَةٌ ‏ عَنِ الفُحْشِ بَلْهاءُ العِشاءِ نَؤُومُ[2]
رَوَاحُ الضُّحَى مَيَّالَةٌ بَخْتَرِيَّةٌ ‏ لها مَنْطِقٌ يُصْبِى الحَلِيمَ رَخِيمُ

وقال آخر :

وَخَصْمٍ يَرْكَبُ العَوْصاءَ طاطٍ ‏ عَلَى المُثْلَى قُصاراهُ القِراعُ[3]

مشاش منكبيه كركرة جمل ، ففقأ الله عينى هاتين إن كنت رأيت بهما احسن منه قبله ولا بعده . ورواية القالى عن العباس بن محمد : قلنا لابى المحش القطفاني : اما كان لك ولد ؟ فقال : بلى والله ، محش ، وما كان محش ! كان خرطمانيا اشدق إذا تكلم سال لعابه كأنما ينظر بمثل الفلسين — يعني ان عينيه كانتا خضراوين — كأن مشاشة منكبيه كركرة جمل وكان ترقوته بوان او خالفة ، ففقأ الله عينى هاتين إن كنت رأيت مثله قبله ولا بعده . قلت : لا كان المحش ولا كان ابوه ! وراجع ص ١١٣ من الجزء الأول

(١) بنو حدان بطن من تميم .

(٢) كان بالاصول : عزيزة . والصواب ماأثبتناه .

(٣) طاط : شديد الخصومة

وَمَلْمُومٍ جَوَانِبُهـا رَدَاحٍ تُزَجَّى بالرِّمَاحِ لها شُعَاعُ (١)

وقال مُحَلِّمُ بن فراسٍ يرثى منصوراً وهمَّاماً ابنى المِسجاح :

كَمْ فِيهِمُ لَوْ تَمَتَّعْنَا حَيَاتَهُمُ مِنْ فارِسٍ يَوْمَ رَوْحِ الْحَىِّ مِقْدَامِ (٢)

وَمِنْ فَتى يملأُ الشِّيزَى مُكَلَّلَةً شَحْمَ السَّدِيفِ نَدِيِّ الحمْدِ مِطْعَامِ (٣)

وَمِنْ خَطِيبٍ غَدَاةَ الحفْلِ مُرْتَجِلٍ ثَبْتِ المَقَامِ أَرِيبٍ غَيْرِ مِقْحَامِ (٤)

وقال خالدٌ لِلقَعْقَاعِ : (٥) أنافرك على أينا أطعن بالرماح وأطعم للسَّحاح وأنزل بالبراح ! قال : لا بل على أينا أفضل أباً وجدًّا وعمًّا وقديماً وحديثا ! قال خالد : أعطيتَ يوما من سأل وأطعمت حولا من أكل وطعنت فارساً طعنة شككتَ فخذيه بجنب الفرس ! ؟ قال القعقاع ، وأخرج نعلين فقال : ربَع أبي عليهما أربعين مرباعا (٦) لم تشكل فيهن تميميةٌ ولدا !

كان مالكُ بنُ الأخطل التغلبي — وبه كان يكنى — أتى العراق فسمع شعر جرير والفرزدق ، فلما قدم على أبيه سأله عن شعرهما فقال : وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر ! فقال الأخطل : الذى يغرف من بحر أشعرهما . وقال بعضهم :

وَمَا خَيْرُ مَنْ لَا يَنْفَعُ الأَهْلَ عَيْشُهُ وَإِنْ مَاتَ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهْ

---

(١) يريد بالملمومة : الدرع

(٢) روح الحى : عودته من الغزو

(٣) الشيزي : خشب اسود من نوع الآبنوس تتخذ منه القصاع يوضع فيها الطعام . وشحم السديف : شحم السنام

(٤) يوم الحفل : يوم يجتمع القوم للكلام فى اخطر شؤونهم . اريب : عاقل محكم . غير مقحام : متريث فى أموره

(٥) خالد : هو خالد بن مالك النهشلى ، والقعقاع : هو القعقاع بن معبد التميمى ، وكان عظيم القدر فى بنى تميم . قال ابن دريد فى الاشتقاق : اخذ القعقاع المرباع ونافر خالد بن مالك النهشلى إلى ربيعة ابن حذار الأسدى فنفر القعقاع . وأدرك القعقاع الاسلام ووفد إلى النبى ، وله فى وفادته هذه حديث يروى عن عبد الله بن المبارك .

(٦) المرباع : هو ربع الغنيمة وهذا دليل السيادة والزعامة فى الجاهلية

كَهَامٌ عَلَى الأَقْصَى كَلِيلٌ لِسَانُهُ ... وَفِى بَشَرِ الأَدْنَى حِدَادٌ مَخَالِبُهُ[١]

وقال العُمانىُّ :

إذا مَشَى لِكُلِّ قِرْنٍ مُقْرِنِ ... ثُمَّ مَشَى القِرْنُ لهُ كالأَرْعَنِ[٢]

بِصَارِمٍ يَفْرِى صَفِيحَ الجَوْشَنِ ... مُقَرْطَنٌ ذَافَ إلى مُقَرْطَنِ[٣]

يُفضِى إلى أُمِّ الفِرَاخِ المُكْمِنِ ... حَيْثُ تَقُولُ الهَامَةُ اسْقِنِى اسْقِنِى

كَمْ لأَبِى مُحَمَّدٍ مِنْ مَوْطِنِ

وقال العُمانىُّ :

وَمِقْوَلٌ نِعْمَ لِزَازُ الخَصْمِ ... أَلَدُّ يَشْتَقُّ لأَهْلِ العِلْمِ[٤]

بِبَاطِلٍ يَدْحَضُ حَقَّ الخَصْمِ ... حَتَّى يَصِيرُوا كَسَحَابِ البُكْمِ[٥]

وقال عُبيد فى حديث على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حين رأى فلاناً يخطب فقال : هذا الخطيب الشَّحْشَحُ . قال : هو الماهر الماضى . قال الطِّرِمَّاحُ :

كأَنَّ المَطَايَا لَيْلَةَ الخِمْسِ عُلِّقَتْ ... بِوَثَّابَةٍ تَنْضُو الرَّوَاسِمَ شَحْشَحِ

وقال ذُو الرُّمَّةِ :

لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى إِذَا امْتَدَّتِ الضُّحَى ... وَحَثَّ القَطِينَ الشَّحْشَحَانُ المُكَلَّفُ

يعنى الحادى .

وكان أسدُ بنُ كُرْزٍ[٦] يقال له : خطيب الشيطان ! فلما استعمل ابنه على

(١) كهام : مثلم

(٢) الأرعن : الجبل

(٣) الجوشن : الدرع

(٤) المقول : اللسان المبين الداحض . لزاز الخصم : مضيق على الخصم المسالك آخذ عليه المسارب. ألد : شديد الخصومة قوي اللدد : يشتق : يأتي بالحجج ويولد الأدلة والبراهين لأهل العلم

(٥) بباطل : يعنى انه لقوة لسنه وشدة عارضته يدحض حق الخصم بالحق أو بالباطل . سحاب البكم : التى لا ماء فيها . شبههم وهم فى حالة الانبهار وعدم القدرة على الكلام بالسحاب الذى لا يبض بقطرة

(٦) هو أسد بن كرز بن عامر القسرى البجلى من ذرية شق بن صعب الكاهن المشهور ، وهو جد خالد

العراق قيل له : خطيب الله . فجرت إلى اليوم . قال أبو المُثَلَّم الهُذَلىُّ :

أَصَخْرَ بنَ عَبدِ اللهِ إنْ كُنْتَ شاعِرًا ... فإنّكَ لا تُهْدِى القَرِيضَ لِمُفْحِمِ

وقال بَلْعاءُ بنُ قَيْسٍ :

أَبَيْتُ لِنَفْسِى الخَسْفَ لَمّا رَضُوا بهِ ... وَوَلَّيْتُهُمْ سَمْعِى وَمَا كانَ مُفْحَمَا

وقال عبدُ اللهِ بنُ مُصْعَبٍ : وقف مُعاوِيةُ على امرأةٍ من بنى كِنانةَ فقال لها : هل من قِرًى ؟ قالت : نعم ، قال : وما قِراك ؟ قالت : عندى خبز خمير ولبن فطير وماء نمير . وقال أُحَيْحَةُ (١) :

وَالصَّمْتُ أَكْرَمُ بالفَتَى ... مَا لَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهُ
وَالقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إذا ... مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهُ

وقال أبو ثُمامَةَ الضَّبّىّ (٢) :

ابن عبد الله القسرى . وكان يقال لكرز فى الجاهلية « كرز الاعنة » وهم بيت السيادة والشرف فى بجيلة . وكان أسد بن كرز يدعى فى الجاهلية « رب بجيلة » وكان ممن حارم الخمر فى جاهليته تنزها عنها . وكان أسد شاعراً فاتكا مغواراً ، إعتدى قوم من سحمة فى الجاهلية على جار له فأوقع بهم ثم أنشأ يقول :

ألا أبلغا أبناء سحمة كلها ... فتى خثعم عنى وذل لخثعم
فما أنتم منى ولا انا منكم ... فراش حريق العرفج المتضرم
فلست كمن تذرى المقالة عرضه ... دنيا كعود الدوحة المترنم
وما جار يبقى بالذليل فترتجى ... ظلامته يوما ولا المتهضم
وأقزل آبائى وقسر عمارتى ... هما ردبانى عزتى وتكرمى
وأحمس يوما إن دعوت اجابنى ... عرانين منهم أهل ايد وانعم
فمن جار مولى يدفع الضيم جاره ... مع الشمس ما إن يستطاع يسلم
وكيف يخاف الضيم من كان جاره ... إذا ضاع جارى يا اميمة او دمى

وأدرك اسد بن كرز الاسلام هو وابنه يزيد بن اسد فأسلما واهدى اسد يوم اسلم إلى النبى قوسا . وفى رواية ابى عبيدة ان عبد الله بن يزيد بن اسد وهو ابو خالد بن عبد الله القسرى هو الذى كان يلقب « خطيب الشيطان » وهذا يوافق ما يقوله الجاحظ من انه لما استعمل ابنه على العراق قيل له « خطيب الله » ، ويصحح روايته

(١) راجع ص ١٨ من الجزء الاول

(٢) هو ابو ثمامة البراء بن عازب الضبى : كان من فرسان بنى ضبة وشجعانهم المغاوير ، وكان شاعرا مقلا مجيدا من شعراء الجاهلية

وَمِنَّا حُصَيْنٌ كانَ فى كلِّ خُطْبَةٍ ... يَقُولُ أَلَا مِنْ نَاطِقٍ مُتَكَلِّمِ

وقال عُبيدُ بنُ أُمَيَّةَ الضَّبِّيُّ ، واستَبَّ هو والحارثُ بْنُ شَيْبَةَ الُمجَاشِعِيُّ عند النُّعْمانِ ، فقال :

تُرَى بُيُوتٌ وتُرَى رِمَاحُ ... وَنَعَمٌ مُزَنَّمٌ سِجَاحُ (١)

وَمَنْطِقٌ لَيْسَ لهُ نَجَاحُ ... يَاقَصَباً طَارَ بِهِ الرِّيَاحُ (٢)

وَأَذْرُعاً لَيْسَتْ لها أَلْوَاحُ (٣)

وقال قيسُ بْنُ الخطيمِ :

وبَعْضُ القَوْلِ لَيْسَ لهُ حَصَاةٌ ... كَمَخْضِ المَرْءِ لَيْسَ لهُ إتَاءُ

وهذا شبيهٌ بقوله :

كُسَالَى إذا لاَقَيْتَهُمْ غيرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ المَتْبُولُ وهْوَ عَنَاءُ (٤)

وقال أبو ثُمامَةَ : (٥)

أُخَاصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِماً ... وَأَجْثُو إِذا مَاجَثَوْا لِلرُّكَبْ

إِذَا مَنْطِقٌ قالَهُ صَاحِبِي ... تَعَقَّبْتُ آخَرَ ذا مُعْتَقَبْ

---

(١) النعم : الابل . والمزنم : الذى قطع شىء من اذنه ، وكان من عادة العرب ان تعرض لكرام إبلها فتقطع من اذن كل بعير قطعة ولا تفصلها وتتركها معلقة . والسجاح : السمان

(٢) ياقصبا : يريد باخفاف الأحلام ، وشبههم بالقصب لأنه اجوف قد تحمله الريح

(٣) ليس لها الواح : يريد أنها غير ثابتة فى المناكب

(٤) ويروى : يلهى به المحروب

(٥) هوأبو ثمامة البراء بن عازب الضبى ، وسبب هذه الأبيات أنه كان مقيما على مياه ضبة وهم منتجعون فجاء قوم يريدون التغلب عليها فطردهم أبو ثمامة ومن معه من قومه فقال :

رددت لضبة أمواهها ... وكادت بلادهم تستلب

بكر المطى وإتباعه ... وبالكور أركبه والقتب

أخاصمهم مرة قائما ... وأجثوا إذا ما جثوا للركب

وإن منطق زل عن صاحبى ... تعقبت آخر ذا معتقب

أفر من الشر فى رخوة ... فكيف الفرار إذا ما اقترب

وقال الشَّمَّاخُ :(١)

وَمَرْتبةٍ لا يُسْتَطاعُ بها الرَّدَى   تَرَكْتُ بها الشَّكَّ الذى هُوَ عاجِزُ

ويُرْوَى   تلَافَى بها حِلمي عَنِ الجَهْلِ حاجِزُ

باب من الكلام المحذوف

ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأول

عن الحسن يرفعه ، أن المهاجرين قالوا : يارسول الله ، إن الأنصار فَضَلُونا بأنهم آوَوْا ونصروا وفعلوا وفعلوا ! قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتعرِفون ذاكَ لهمْ » ؟ قالوا : نعم ، قال : « فإنَّ ذاكْ »

ليس فى الحديث غير هذا ، يريد : إن ذاك شكر ومكافأة

قال : وكلم رجل من قيْسٍ عمرَ بنَ عبدِ العزيز رحمه الله تعالى فى حاجة ، وجعل يمتّ بقرابة ، فقال عمرُ : وإنَّ ذاك ! ثم ذكر حاجته فقال : لعلَّ ذاك ! لم يزده على أن قال : فإن ذاك ولعل ذاك . فان ذاك كما قلت ، واما حاجتك أن تُقضى . وقال عُبيدُ اللهِ بْنُ قيْسٍ :(٢)

(١) هو الشماخ بن ضرار وقد مضت ترجمته فى ص ٢٤ من الجزء الاول . وهذا البيت من قصيدة له جيدة طويلة أولها :

عفا بطن قوٍ من سليمى فعالز   فذات الصفا فالمشرفات النواشز
فكل خليل غيرها ضم نفسه   لوصل خليل صارم أو معارز
ومرتبة لا يستقال بها الردى   تلافى بها حلمي عن الجهل حاجز
وعوجاء مجذام وأمر صريمة   تركت بها الشك الذي هو عاجز
كأن قتودى فوق جأب مطرد   من الحقب لاحته الجداد الغوارز
طوى ظمئها فى بيضة الصيف بعدما   جرى فى عنان الشعريين الاماعز
فظلت بيمؤد كأن عيونها   إلى الشمس هل تدنو ركىٌّ نواكز
لمن صليل ينتظرن وروده   بضاحى غداة امره فهو ضامز
فلما رأين الورد منه صريمة   مضين ولاقاهن خل مجاوز

(٢) كان بالاصول عبد الله . والصواب ما اثبتناه .

وهو عبيد الله بن قيس الرقيات . كان من مفاخر شعراء قريش وهو احد شعرائهم الخمسة الذين

بكَرَتْ عَلَيَّ عَوَاذِلي يَلْحَيْنَنِي وَأَلومُهُنَّهْ
وَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلاكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ(١)

وقال الأسدِيُّ(٢) لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ : لا حملتْ ناقةً حملتني إليك ! قال ابن الزبيرِ : إنَّ وَرَاكِبَها !

عن أبي هاشمٍ القاسمِ بن كثيرٍ عن قيسْ الخارجيِّ أنه سمع علياً يقول : سَبَقَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكرٍ وثلَّثَ عمرُ ، وخبطتنا فتنة ، فما شاء الله ! ليس فى الحديث أكثر من هذا .

ولما كتبَ أبو عُبيدةَ(٣) إلى عمرٍ جواب كتابِ عمرٍ فى أمر الطاعون فقرأ عمرُ الكتاب استرجع فقال له المسلمون : مات أبو عبيدة ! ؟ قال : لا وكأنْ قدِ !

اقرت العرب لقريش بهم ، وهم عمر بن ابى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى والعرجي وابو دهبل الجمحى وعبيد الله بن قيس الرقيات . وكان حماد الراوية يقول : إذا اردت ان تقول الشعر فارو شعر ابن قيس الرقيات فانه ارق الناس حواشي شعر . وقال سعيد بن المسيب : ابن ابى ربيعة اشعر في الغزل ، وابن قيس اكثر افانين شعر . وكان ابن قيس زبيرى الهوي وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك وقاتل فى صفه وحرض جنده فلما قتل مصعب وعبد الله هرب فلجأ إلي عبد الله بن جعفر فأرضى عنه عبد الملك . وله مدائح فى آل الزبير ثم فى عبد الملك من اجود ما قيل

(١) إنه : يريد ان يقول : نعم علاني الشيب . وبعده :

لا بد من شيب فدعن ولا تطلن ملامكنه
ولقد عصيت الناهيات الناشرات جيوبهنه
حتى ارعويت إلى الرشاد وما ارعويت لنهيهنه

(٢) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي الاسدى . كان من شعراء بنى اسد الفحول وكان خطيبا لسنا مفوها ، وفد على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال له : نفدت نفقتي ونقبت راحلتي ! فقال : احضرها ؟ فأحضرها ، فقال : اقبل بها ، ادبر بها ، ففعل . فقال : ارقعها بسبت واخصفها بهلب وانجد بها يبرد خفها وسر البردين تصح . فقال ابن فضالة : إنى اتيتك مستحملا ولم آتك مستوصفا فلعن الله ناقة حملتني إليك ! قال ابن الزبير : إن وراكبها ! فقال :

اقول لغلمتى شدوا ركابي اجاوز بطن مكة في سواد
فمالى حين اقطع ذات عرق الى ابن الـكاهلية من معاد
سيبعد بيننا نص المطايا وتعليق الاداوى والمزاد
وكل معبد قد اعلمته مناسمهن طلاع النجاد
اري الحاجات عند ابى خبيب نكدن ولا امية بالبلاد
من الاعياص او من آل حرب اغر كغرة الفرس الجواد

(٣) هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشى ، كان من عظماء الصحابة وأجلائهم . وكان

وقال النابغة :(١)

أزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا لمَّا تزُلْ بِرِحَالِنا وكأنْ قَدِ

وأنشد ابنُ الأعرابيِّ :

إذا قِيلَ أعمى قُلْتُ إنَّ ورُبَّما أكونُ وإنِّي مِنْ فَتًى لَبَصِيرُ
إذا أبْصَرَ القلبُ المُرُوءةَ والتُّقَى فإنَّ عَمَى العَيْنَيْنِ ليسَ يَضِيرُ
وإنَّ العَمَى أجْرٌ وذُخرٌ وعِصمةٌ وإنِّي إلى هَذِي الثَّلاثِ فَقِيرُ

ابنُ أبي الزِّنادِ قال : كنتُ كاتباً لِعُمر بن عبدِ العزيز رحمه الله تعالى ، وكان يكتب إلى عبدِ الحميدِ بن عبد الرَّحمن بن زيْد بن الخطَّاب(٢) فى المظالم فيراجعه فكتب إليه : إنه ليخيل إلىَّ أنى لو كتبتُ إليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت إلىَّ : أضأن أم ماعز ؟ و إن كتبتُ إليك بأحدهما كتبت إلىَّ : أذكرٌ

النبى يقول : لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة . فلقب « أمين الأمة » وقد رشحه أبو بكر للخلافة يوم سقيفة بنى ساعدة وقال : رضيت لكم أحد صاحبى : أبا عبيدة أو عمر . نزع يوم أحد نصالا من جبهة رسول الله فثرم . وكان شجاعا باسلا ومحربا بطلا وقائدا دربا وأميرا مطاعا مع عفة وزهد وتقوى وورع وتقشف . شهد كثيرا من المشاهد والمغازى والفتوح وآخر ما شهد فتوح الشام وكان أميرا على أجنادها . مات بالشام فى طاعون عمواس عن ٥٨ سنة وذلك فى سنة ١٨ هـ

(١) هو النابغة الذبيانى . وهذا البيت من قصيدة قالها فى المتجردة امرأة النعمان أولها :

من آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود
أفد الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد
زعم الغداف بأن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود
لا مرحبا بغد ولا أهلا به إن كان تفريق الأحبة فى غد
حان الرحيل ولم تودع مهددا والصبح والامساء منها موعدى
في إثر غانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تقصد

وهي طويلة اجاد فيها الوصف واحسن الرصف

(٢) كان عمر بن عبد العزيز ولى عبد الحميد الخطابي الكوفة وكان اعرج وجعل على شرطته سهل الأشعري وكان اعرج . فخرج الحكم بن عبدل الشاعر وكان اعرج فلقى سائلا قد تعرض للأمير وكان اعرج فقال الحكم للسائل :

الق العصا ودع التخامع والتمس عملا فهذى دولة العرجان
لأميرنا وامير شرطتنا معا باقومنا لكليهما رجلان
فاذا يكون اميرنا ووزيرنا وانا فان الرابع الشيطان

أو أنثى ! فإن كتبتُ إليك بأحدهما كتبت إليّ : صغيرٌ أم كبير ! فإذا أتاك كتابي في مظلمةٍ فلا تراجعني والسلام .

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه : إني لأستعين بالرجل الذي فيه !— ليس في الحديث غير هذا ! ثم ابتدأ بالكلام فقال — : ثم أكون على قفائه إذا كان أقوى من المؤمن الضعيف ! وأراد هو قول الأسدي :(١)

سُوَيْدٌ فيه فابغُونا سِوَاهُ   أبَيْناهُ وَإنْ بَهَاهُ تاجُ

ولم يقل فيه كذا وفيه كذا . وقال الراجز :

بِتْنَا بِحَسَّانَ ومِعْزَاهُ تَئِطْ   فى سَمْنٍ حَمٍّ وَتَمْرٍ وَأَقِطْ(٢)

حَتَّى إذا كادَ الظلامُ يَنْكَشِطْ   جاءبِمَذْقٍ هل رَأَيْتَ الذئبَ قطْ(٣)

وقيل للمُنْتَجِع بن نَبْهانَ — أو لأبي مَهْدِيَّةَ (٤) — : ما الضَّنَاضُ ؟ فأخرج طرف لسانه وحركه ! وقيل له : ما الدَّلَنْظَى ؟ فزحَرَ وتقاعَسَ وفرج ما بين مَنْكِبَيْهِ .

ومن الكلام كلام يذهب السامع منه إلى معانى أهله وإلى قصد صاحبه ، كقول الله تبارك وتعالى : « وترَى الناسَ سُكارَى وما هم بِسُكارَى » وقال : « لا يَمُوتُ فيها ولا يَحْيَا » وقال : « وَيَأْتِيهِ المَوْتُ من كلِّ مَكانٍ وما هُوَ بِمَيِّتٍ » وسئل المفسر عن قوله : « لَهُمْ رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا » فقال : ليس

(١) لعله عبد الله بن الزبير الاسدي ، وسويد الذي ذكره في البيت لعله سويد بن منجوف، اقول هذا وإن كان لعبد الله بن الزبير في سويد مديح إلا انه كان من المهاجين الذين لا يبالون

(٢) حسان اسم رجل استضافه ، وتئط : يسمع لامعائها اطيط من الجوع ، سمن حم : كثير سائل ، الاقط : الجبن يتخذ من اللبن

(٣) ينكشط : يذهب . المذق : ابن مشوب بماء . ويعني ان لونه لون الذئب في غبرته ، ويروى :

بتنا بحسان ومعزاه تئط   تلحس اذنيه وحينا تمتخط
مازلت أسعى بينهم وألتبط   حتى اذا كاد الظلام يختلط
جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

(٤) كان المنتجع بن نبهان وابو مهدية من الاعراب الفصحاء الذين تؤخذ عنهم اللغة ويستشهد بقولهم فيها .

فيها بكرة ولا عشي! وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم «فإنْ كنتَ في شَكٍّ مِمَّا نزَّلنا إليكَ فاسألِ الذينَ يقرأون الكتابَ مِنْ قبلِكَ» قالوا: لم يشك ولم يسأل.

وقال عمرُ رضي الله تعالى عنه في جواب كلام قد تقدم وقول قد سلف منه: مُتْعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أنهى عنهما وأضرب عليهما.(١)

وهذا مثل قائل لو قال: أتضربُنا على الكلام في الصلاة وعلى التطبيق إذا ركعنا؟ فيقول: نعم، أشد الضرب. إذا كان قد تقدم منه إعلامه إياهم بحال الناسخ والمنسوخ.

وقد سأل رجل بلالا (٢) مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه — وقد أقبل من الحَلْبَةِ — فقال له: مَنْ سَبَقْ؟ قال: سبق المقربون! قال: إنما أسألك عن الخيل! قال: وأنا أجيبك عن الخير. فترك بلال جواب لفظه إلى خير هو أنفع له.

وكتبَ أبو جعفر إلى سَلْم (٣) يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم (٤) وعقر نخلهم، قال: فكتب إليه سَلْمٌ: بأي ذلك نبدأ؛ بالدور أم بالنخل؟ فكتب إليه أبو جعفر: أما بعد فاني لو كتبت إليك بإفساد تمرهم لكتبت إليّ تستأذنني بأية

(١) المتعتان هما متعة النساء ومتعة الحج. فأما متعة النساء فهي ان يتزوج الرجل بامرأة لأجل معلوم فاذا انقضى الاجل جاز له تركها. واما متعة الحج فقد كان الرجل ينوى بالحج ثم يتحلل من بعض مناسكه. وقد كان ذلك جائزا في عهد النبي فلما قام عمر بالامر نهى عنهما. ولا يظن ظان انه اراد الافتيات على الشارع الاعظم، فان عمرا اشد ايمانا واعظم يقينا من ان ينسخ امرا قائما او يحرم حلالا، ولكنه اجتهد في امر راى فيه صالح الامة ومقتضى الحال. وقد يكون امر بذلك من رسول الله ولذلك لم ينكر عليه احد من كبار الصحابة نهيه عنهما وتشدده في امرهما. وللفقهاء في ذلك كلام كثير.

(٢) هو بلال بن رباح كان حبشيا ومولده بمكة اسلم وعذب من قريش ثم اشتراه ابو بكر واعتقه وشهد بدرا والمشاهد كلها وكان يؤذن لرسول الله فلما مات الرسول ترك الحجاز واقام بالشام. ومات بدمشق سنة ٢٠ وقد جاوز الستين

(٣) هو سلم بن قتيبة بن مسلم. كان من الولاة الشجعان. ولي البصرة في اواخر عهد بني مروان ثم ولاه ابو جعفر المنصور. وكان سيد قومه. مات بالري

(٤) هو ابراهيم الامام بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب. خرج في عهد ابي جعفر فسير اليه الجيوش فخر صريعا بالمعركة سنة ١٤٥ هـ

نبدأ : بالبَرْنِيِّ أم بالشَّهْرِيزِ (١) وعزله وولى محمدَ بن سليمانَ (٢)

وقال [عَبْدُاللهِ] بنُ مسعودٍ : إن طولَ الصلاة وقِصَرَ الخطبة مَئِنَّةٌ من فِقه الرجل. مَئِنَّةٌ : كقولك مَخلَقَة و مَجْدَرة و مَجرأة . قال الأصمعى : مَئِنة : علامة .

وقال عبد الله : عليكم بالعلم فإن أحدكم لايدرى متى يَخيل اليه .

ولما أقدم عمر بنُ الخطاب رضى الله تعالى عنه عمْرَو بنَ العاصِ من مصر قال له عمرُ : لقد سِرت سير عاشق ! قال عمرو : إنى والله ماتأبطتنى الإماء ولاحملتنى البغايا فى غُبَّرَاتِ المآلى ! (٣) قال له عمرُ : والله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتك عنه ! وإن الدجاجة لتفحص فى الرَّماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة إلى طَرْقِها ! وقام عمرُ فدخل ، وقام عمرو فقال : قد أفحش أمير المؤمنين علينا .

وجاء فى الحديث : « لا يُمْنَعُ فضلُ الماءِ لِيُمنعَ به فَضلُ الكلأ » وقال أعرابى : اللهم لاتنزلنى ماء سُوء فأكون امرأ سُوء . وقال بَلْعاء بنُ قَيْسٍ :

وَكَمْ كانَ فى آلِ المُلَوَّحُ مِنْ فتًى مُنادًى مُفَدًّى حِينَ تُبلَى سَرائِرُهْ
وكَمْ كانَ فى آلِ المُلَوَّحِ مِنْ فتًى يُجِيبُ خطيباً لا يُخافُ عَوائِرُهْ

وقال آخر :

وَمُخاصِمٍ قاوَمْتُ فى كَبَدٍ مِثْلِ الرِّهانِ فصارَ لِى العُذْرُ (٤)

وقال آخر :

وَجْهٌ قَبِيحٌ وَلِسانٌ أَبْكَمُ وَمِشْفَرٌ لايَتَوارَى أَضْجَمُ (٥)

ولما رأى الفرزدق دَرَسْتَ بن رِباطٍ الفُقَيْمِيَّ على المنبر وكان أسود دميا قصيراً قال :

(١) البرني والشهريز : نوعان من التمر . وقد يقال سهريز ايضا
(٢) هو محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس . مضت ترجمته فى ص ١٠٦ من هذا الجزء
(٣) غبرات المآلى : اثار الحيض فى الخرق البوالى
(٤) الكبد : الشدة
(٥) المشفر الاضجم : الشدق المعوج بعاهة

بكى المِنْبَرُ الشَّرقيُّ إذا قام فَوْقَهُ ... أميرٌ فُقَيْمِيٌّ قَصِيرُ الدَّوَارِجِ

وقال :

بكى المِنبرُ الشَّرقيُّ والنَّاسُ إذ رأوْا ... عَلَيْهِ فُقَيْمِيًّا قصيرَ القَوائِمِ

وإنما كان يعادى بنى فُقَيْمٍ لأنهم قتلوا أباه غالباً .

قال أبو عُبَيْدَةَ : قال رجل ليونسِ بنِ حَبِيبٍ : إذا أخذتم فى هذا كرة الحديث وقع علىَّ النُّعاس ! قال : فاعلم أنك حِمارٌ فى مِسْلاَخِ إنسان[1]

ودخل عبدُ اللهِ بْنُ خازمٍ[2] على عُبيدِ اللهِ بْنِ زيادٍ ـ وهو يَخطِرفى مِشْيته ـ فقال لِمُنْذِرِ بنِ الجارُودِ :[3] حرِّكه ؟ فقال : يا ابن خازم ، إنك لتجر ثوبك كما تجر المرأة البَغِيُّ ذيلها ! قال : أما والله إنى مع ذلك لأنقد بالتّرية ، وأضرب هامة البطل المُشيح ، ولو كنت وراء هذا الحائط لوضعت أكثرك شعراً ـ وقد كان قبض عطاءه فصبه بين أيديهم ـ ثم قال : لعنكِ اللهُ من دراهم ! والله ماتقومين بمؤنة خيلنا !؟

(١) المسلاخ : الجلد

(٢) ترجمنا لعبد الله بن خازم فى الصفحة ٨٨ من هذا الجزء ، وقد وقع فيها سهو واقتضاب اقتضى استدراكه وإبانته ههنا . اما السهو فهو القول بأنه مات فى عهد معاوية سنة ٥٦ والصحيح انه قتل فى عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ . وبيانه ان عبد الله بن خازم كان يلى خراسان فلما مات معاوية بن يزيد بن معاوية غلب عليها واستأثر بشؤونها واستقل بها . فلما ولى عبد الملك بعث إليه يدعوه إلى بيعته ومناه بان يجعل خراسان طعمة له ، اى يكون فيها حاكما مستقلا ، فابى عبد الله فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومناه فدعا اهل مرو إلى بيعته فاجابوه ، وبلغ ذلك ابن خازم وهو يقاتل بحير بن ورقاء الصريمى بابر شهر فخاف من وقوعه بينهما فترك بحيرا واقبل إلى مرو وتبعه بحير حتى إذا كان بقرب مرو خرج إليه وكيع بن الدورقية القريعي السعدى وعمار بن عبد العزيز الجشمى والتقيا ببحير بن ورقاء وتعاونوا على عبدالله حتى صرعوه وقعد وكيع على صدره فاحتز رأسه

(٣) هو المنذر بن الجارود العبدى . كان من رجالات الدولة الأموية وشجعانهم واجوادهم وكانت بحرية بنت المنذر زوج عبيد الله . وكان مع هذا صديقا لأبي الأسود الدؤلى تعجبه مجالسته وحديثه. اهدى يوما لأبي الأسود ثيابا فقال فيه ابو الأسود :

كساك ولم تستكسه فحمدته ... اخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وإن احق الناس إن كنت حامدا ... بحمدك من اعطاك والعرض وافر

وقال عليُّ بنُ أبى طالبٍ رضى الله تعالى عنه : خُذِ الحكمة أنَّى أتتكَ ، فإن الحكمة تكون فى صدر المنافق فتلجلج فى صدره حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها.

وقال عمرُو بنُ العاصِ لأهل الشام يوم صِفِّينَ : أقيموا صفوفكم مثل قصّ الشارب وأعيرونا جماجمكم ساعة من النهار فقد بلغ الحق مقطعه فوإنما هو ظالم أو مظلوم .

وقال عليُّ بنُ أبى طالبٍ رضى الله تعالى عنه يومئذ : عضُّوا على النواجذ من الأضراس فانه أنبا للسيوف عن الهام .

وقال رجل : طِدْ رجلَكَ(١) إذا اعتقبتَ بالسيف والعصا وأنت مخير فى رفعها ساعة المسالمة والموادعة . ولما أقاموا ابن قُميئة بين العقابين قال له أبوه : طِدْ رجليك الأرض وأصرّ إصرار الفرس واذ كر أحاديث غد ، وإياك وذكر الله فى هذا الموضع فإنه من الفشل .

وقيل للحجّاجِ : مَن أخطب الناس ؟ قال : صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة . يعنى الحسن .

كلام عمر بن الخطاب

وقال الأحنف : قال عُمَرُ : تفقهوا قبل أن تسودوا . وقال عمر : إحذر من فلتات الشباب كلّ ما أورثك النَّبزَ وأعلقك اللقب ، فإنه إن يعظم بعدها شأنُك يشتد على ذلك ندمُك .

ولما بنى عُتْبَةَ بنُ غَزْوان وأصحابه بالبصرة بناء اللَّبِنِ كتب إليهم عُمر : قد كنت أكره لكم ذلك ، فإذا فعلتم ما فعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السَّمْكَ وقاربوا بين الخشب . ولما بلغه أنهم قد اتخذوا الضِّياع وعَمَرُوا الأرضين كتب إليهم : لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمتها فيه . وقال عمر : بع الحيوان أحسن

(١) طد رجلك : اي ثبتها في الأرض

ما يكون فى عينك . وقال : فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين . وقال : أملِكوا العجين فإنه أحد الرَّيْعَين . وقال : إذا اشتريت بعيراً فاجعله ضخما فان أخطأك خُبْرٌ لم يُخطئك سوق . وقال عمر : العمائم تيجانُ العرب . وقال : نعم المستند الاحتباء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النَّاسُ كالإبلِ ترى المائةَ لا تجدُ فيها رَاحِلةً » وأنشدوا :(١)

وكأنْ مِنْ زَهرِ الخُزَامى وَالنَّدَى ... وَالأُقحُوانِ عَلَيْهِ رَبطَةُ بُرْنُسِ
وَإذا ترَنَّمَ حَوْلَهُ ذِبَّانُهُ ... أصْغَى تَسَمُّعَ خَائفٍ مُتوَجِّسِ
خَرَجَتْ عليْهِ مِنَ الضَّرَاءِ دَوَاجِنٌ ... تَحْتَثُّ نحوَ مَلاذِ وَانٍ أشْوَسِ (٢)
يَسْعَى يُمَثِّلُ وَالصَّفيرُ كلامُهُ ... وَتحِي يدَاهُ لهُنَّ وَحْيَ الأَخْرَسِ (٣)

وقال الراعى :(٤)

أبَا خالِدٍ لاَ تَنْبِذَنَّا فَصَاحَةٌ ... كَوَحْيِ الصَّفَا خُطَّتْ لكمْ فى فُؤَادِيَا (٥)

وقال الشاعر :

رُبَّ طَرْفٍ مُصَرِّحٍ ... عَنْ ضَمِيرٍ بِمَا هَجَسْ

وقال آخر ... بِلَحْنِ القَوْلِ وَالطَّرْفِ الفَصِيحِ

وقال المثَقِّبُ العَبْدِيُّ فى استماع الثور وتوجسه وجمع باله إذا أحس بشىء من أسباب القانص ، وذكر ناقته :

---

(١) يصف ثور وحش فى روضة

(٢) الضراء : الشجر الملتف يخفي ماوراءه . والدواجن : يريد بها كلاب الصيد وكانت مستخفية فى الضراء . تحتث : تسرع العدو . الملاذ : الجانب والملجا . وان : متوان فى عدوه تعبا وبهرا . اشوس : ناظر بمؤخر عينيه إلى الكلاب غيظا منها وحنقا عليها ، يعنى ثور الوحش .

(٣) الوحى ههنا : الايماء باليد

(٤) هو عبيد بن حصين الراعى النميرى الشاعر . مضت ترجمته فى ص ١٠٣ من الجزء الأول .

(٥) وبعد هذا البيت :

وقد قادنى الجيران حينا وقدتهم ... وفارقت حتى ماتحن جماليا
رجاؤك انسانى تذكر اخوتي ... ومالك انسانى بوهبين ماليا

(٦) هو عائذ بن محصن بن ثعلبة ، شاعر جاهلى قديم من شعراء عبد القيس ، وهذه الأبيات من

كأنها أسفعُ ذو جُدَّةٍ يَضمه القفرُ وليلٌ سدِي (١)
كأنما ينظرُ من بُرْقُعٍ من تحت روقٍ سكبٍ مِذوَدِ (٢)
يُصيخُ للنَّبأةِ أسماعَهُ إصاخةَ النَّاشدِ للمُنشدِ (٣)

قصيدة جيدة يصف فيها ناقته ابدع وصف اولها :

هل عند غان لفؤاد صد من نهلة في اليوم أو في غد
يجزى بها الجازون عنى ولو يمنع شربي لسقتني يدى
قالت ألا لا يشتري ذاكم إلا بما شئنا ولم يوجد
إلا ببدرى ذهب خالص كل صباح آخر المسند
من مال من يجبو ويجبى له سبعون قنطارا من المسجد
او مائة تجعل اولادها لغوا وعرض المائة الجلمد
إذ لم اجد حبلا له مرة إذ انا بين الخل والاوبد
حتى تلوفيت بلكية معجمة الحارك والمحفد
تعطيك شيا حسنا مرة حثك بالمرود والمحصد

يقول فيها : تنمى بنهاض إلى حارك ثم كركن الحجر الأصلد
ثم يقول : كلفتها تهجير دوية من بعد شأو ليلها الأبعد
ويقول : تسمع تعزافا له رنة في باطن الوادى وفى القردد

كأنها اسفع ذو جدة يمسده البقل وليل سدى
ملمع الخدين قد اردفت اكرعه بالزمع الأسود
كأنما ينظر في برقع من تحت روق سلب مذود
يصيخ للنبأة اسماعه إصاخة الناشد للمنشد
ضم صماخيه لنكرية من خشية القانص والمؤسد
وانتصب القلب لتقسيمه امرا فريقين ولم يلبد
في بلدة تعزف جنانها فيها خناطيل من الرود
فذاكم شبهته ناقتى مرتجلا فيها ولم اغتد

(١) الاسفع : الثور الوحشي في وجهه سفع وهى نقط حمر تضرب إلى السواد . والجدة : الخطة في ظهر الثور تخالف لونه ، ومنه قوله تعالى « جدد بيض وحمر » يضمه القفر . ويروى : يمسده البقل . يعنى يجزئه ذلك عن الماء فيضمره ويطويه . وليل سدى ليل كثير الندى

(٢) كأنما ينظر من برقع : كأن السفع التى في وجهه برقع ينظر منه . الروق : القرن . سكب : مصمت . ويروي : سلب ، يعنى طويل سريع الطعن به . والمذود : يريد به القرن الذي يذود به عن نفسه أي يدفع به العدو

(٣) يصيخ للنبأة اسماعه : يصغى ويتسمع للصوت الخفى ويجمع لذلك أذنيه . إصاخة : كما يتسمع . الناشد : الطالب الباحث . للمنشد : للمطلوب المبحوث عنه

وَيُوجِسُ السَّمْعَ لِنَكْرَائِهِ   مِنْ خَشْيَةِ الْقَانِصِ وَالْمُوسَدِ (١)

وقال بعض العبيد شعراً يقع فى ذكر الخطباء وفى ذكر أشداقهم وتشادقهم:

أَغَرَّكَ مِنِّى أَنَّ مَوْلَاىَ مَزْيَدًا   سَرِيعٌ إِلَى دَاعِى الطَّعَامِ سَرُوطُ (٢)

غُلَامٌ أَتَاهُ الذُّلُّ مِنْ نَحْوِ شِدْقِهِ   لَهُ نَسَبٌ فِى الْوَاغِلِينَ بَسِيطُ (٣)

لَهُ نَحْوَ دَوْرِ الْكَأْسِ إِمَّا دَعَوْتَهُ   لِسَانٌ كَذَلْقِ الزَّاعِبِىِّ سَلِيطُ (٤)

وقال الأول :   إِنَّ سَلِيطًا كَاسْمِهِ سَلِيطُ

وقال بعض العبيد ، وقد كان مفتوق اللهاة وشاعراً :

أَشْدَقُ يَفْرِى حِينَ لَا أَحَدٌ يَفْرِى

وقال مُورِقُ العبد يتوعد مولاه : (٥)

لَوْلَا عَجُوزٌ قَحْمَةٌ وَدَرْدَقُ   وَصَاحِبٌ جَمُّ الْحَدِيثِ مُونِقُ (٦)

كَيْفَ الْفَوَاتُ وَالطَّلُوبُ مُورِقُ   شَيْخٌ مَغِيظٌ وَسِنَانٌ يَبْرُقُ (٧)

وَحَنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتٌ مِصْلَقُ   وَشِدْقُ ضِرْغَامٍ وَنَابٌ مِخْرَقُ (٨)

وسأل رجل عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ عن الجمل وصِفِّين (٩) فقال : تلك دماء كف الله يدى عنها فلا أحب أن أغمس لسانى فيها :

(١) ويوجس السمع لنكرائه : يتسمع تسمع الحذر المتنكر للاشياء الخبيث الداهى . ويروى: لنكرية وهى من النكر ، وهو الانتباه والحذر . والمؤسد : المغرى كلابه بالصيد .

(٢) سروط : شديد البلع

(٣) نسب بسيط : مديد

(٤) كذلق الزاعبى : طويل كحد السنان . سليط : كثير الفحش فى الكلام

(٥) راجع ص ١٢٥ من هذا الجزء

(٦) القحمة : المرأة المسنة ، ويريد بها أمه. والدردق : أطفاله الصغار .والصاحب : يريد به امرأته ، جم الحديث : كثيرته . مونق : معجب أنيق

(٧) وسنان يبرق : وسنان لامع .

(٨) مصلق : شديد . وشدق ضرغام : الضرغام الاسد . وناب مخرق : ناب نافذ فى الاشياء

(٩) الجمل وصفين : وقائع لعلى بن أبي طالب مع خصومه فى الاسلام ، وكانت هذه الوقائع من إشد النكبات على الاسلام

ويقع فى باب التطبيق قول الشاعر :

لأنتمْ بِبَيْعِ اللَّحْمِ أعْلَمُ مِنْكُمُ ... بضَرْبِ السُّيُوفِ المُرْهَفَاتِ القَوَاطِعِ

وقال عمْرُو بنُ هَدَّابٍ : إنما كنا نعرف سُؤْددَ مُسلِم بن قُتَيبة [١] أنه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين .

وقال الأصمعى : دخل حَبيبُ بْنُ شَوْذَبٍ الأسدِىُّ على جَعْفرِ بن سليمان [٢] بالمدينة فقال : أصلح الله الأمير ، حَبيب بن شوذب وادّ الصدر جميل الذكر يكره الزيارة المملة والعقدة المنسية ، وفى الحديث : « زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا »

وعن عِياضِ بن عبدِ اللهِ قال : إن الدَّيْنَ مجمع لكل همٍ ، همٌّ بالليل وذُل بالنهار وراية الله فى أرضه ، فإذا أراد الله أن يُذِل عبداً جعله طوقاً فى عنقه .

عمرُ بنُ ذرٍّ قال : الحمد لله الذى جعلنا من أمة تُغفر لهم السيئات ولا تُقبل من غيرهم الحسنات !

ابنُ أبى الزنادِ : [٣] كنا لا نكتب إلا سُنة ، وكان الزُّهرى يكتب كل شىء ، فلما احتيج إليه عُرف أنه أوعى الناس .

قال فيرُوزُ حُصيْنٍ : [٤] إذا أراد الله أن يُزيل عن عبده نعمة كان أول مايغير منه عقله .

(١) هو مسلم بن قتيبة بن مسلم . كان أميرا جليلا من أمراء الدولة الأموية وكان سيدا نبيلا ذا فصاحة وبيان محببا إلى الناس وكان واليا على البصرة وهو الذي يقول : لا تطلبن حاجتك إلى واحد من ثلاثة : لا تطلبها إلى الكذاب فانه يقربها وهى بعيدة ويبعدها وهي قريبة ، ولا تطلبها إلى الاحمق فانه يريد أن ينفعك وهو يضرك ، ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأكلة فانه يجعل حاجتك وقاء حاجته . وقد مضت هذه الكلمة فى ص ١٦١ من هذا الجزء غير منسوبة وفيها بعض تغيير فانظرها هناك

(٢) هو جعفر بن سليمان بن علي العباسى . كان من سروات بنى العباس وأمرائهم وشجعانهم وقوادهم . وكان له بلاء حسن فى توطيد دعائم الدولة العباسية . وزعموا انه كان يضعف . قالوا إنه مر بقاص وهو يقول « يتجرعه ولا يكاد يسيغه » فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه ! مات بالبصرة

(٣) كان بالاصول : ابن أبى زياد . وهو خطا والصواب ما أثبتناه . وهو عبد الرحمن بن أبى الزناد كان من وجوه التابعين ولى خراج المدينة زمنا ثم ذهب إلى بغداد ولقى بها الشيوخ وما زال بها إلى ان مات سنة ١٧٤ هـ

(٤) كان بالاصول : فيروز بن حصين . وهو خطا والصواب ماأثبتناه . وراجع ترجمته فى ص ٣٢ من هذا الجزء

وقيل لمحمدِ بن كعبِ القُرَظيِّ : ماعلامة الخِذْلان ؟ قال: أن يستقبح الرجلُ ما كان عنده حسناً ويستحسن ما كان عنده قبيحاً .

وقال محمدُ بنُ حَفْصٍ: (١) كن إلى الإستماع أسرع منك إلى القول ، ومِن خطأ القول أشد حذراً من خطأ السكوت .

وقال الحسنُ : إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرصَ منك على أن تقول ، وتعلَّم حُسن الإستماع كما تتعلم حُسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه .

سُفيانُ بن عُيَيْنةَ قال: كان يقال: العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه .

وقال الشاعر أبو دُهْمان الغلابى :

لئِن مِصْرُ فاتَتْني بما كُنْتُ أرْتجِي ... وَأخلفَني مِنْها الّذِي كُنْتُ آمُلُ

فَما كلُّ ما يَخْشَى الفَتَى بمِصِيبِهِ ... وَما كُلُّ ما يَرْجُو الفَتَى هُوَ نائلُ

(فَما كانَ بَيْنِي لوْ لَقِيتُكَ سالِمًا ... وَبيْنَ الغِنَى إلاَّ ليالٍ قَلائِلُ)(٢)

---

(١) هو محمد بن حفص بن عمر التيمي . كان من وجوه التابعين وكان على قضاء البصرة . دخل المسجد يوما فرأي أبا نواس يتكلم مع امرأة ـ وكانت جاءته برسالة من عند جنان ـ فقال له : اتق الله ! فقال إنها حرمتى قال : صنها عن هذا الموضع . فلما انصرف كتب إليه أبو نواس :

إن التى ابصرتها ... بكرا أ كلمها رسول
ادت إلى رسالة ... كادت لها نفسى تسيل
من ساحر العينين يجـ ... ـذب خصره ردف ثقيل
متقلد قوس الصبا ... يرمى وليس له رسيل
فلو ان اذنك بيننا ... حتى تسمع ما نقول
لرايت ما استقبحت من ... امرى هو الامر الجميل

فلما قرأها القاضى ضحك وقال : إن كانت رسول فلا بأس ! ولست أتعرض للشعراء.

(٢) هذا البيت من قصيدة جيدة طويلة قالها الحطيئة يرثى بها علقمة بن علاثة الكلابى وكان قصده مستمنحا فنعى إليه ، ومما قال فيها :

إلى القائل الفعال علقمة الندي ... رحلت قلوصى تجتويها المناهل
إلى ماجد الآباء قرم عشمثم ... له عطن يوم التفاضل آهل
فما كان بينى لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليال قلائل
لعمري لنعم المرء من آل جعفر ... بحوران أمسى أعلقته الحبائل
لقد غادرت حزما وجودا ونائلا ... ولبا اصيلا خالفته المجاهل
تكاد بداه تسلمان رداءه ... من الجود لما استقبلته الشمائل
فان تحى لا أملل حياتى وان تمت ... فما فى حياة بعد موتك طائل

وقال الآخر :

وَإِنَّ كَلَامَ المَرْءِ فى غيرِ كُنْهِهِ　　لَكَالنَّبْلِ تَهْوِى لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا

وقال كعبُ الأحبار :[١] قرأت فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام : ألهديةتفقأ عينَ الحكيم وتُسفّه عَقلَ الحليم . زحم رجل سالمَ بنَ عبدِ اللهِ[٢] فزحم سالمٌ الذى يليه فقال له : ياشيخ ، ما أحسبك إلا شيخَ سُوء ! قال سالمٌ : ما أحسبك أبعدت !

وسأل رجل محمدَ بنَ عُمَيرِ بن عُطاردٍ وعَتَّابَ بنَ وَرقاء فى عشرِ دِيَاتٍ فقال محمد : علىَّ ديةٌ . فقال عتَّابٌ : ألباقى علىَّ ! فقال محمد : نعم العونُ اليسار على المروءة .

وقال الأحْنَفُ :

فلَوْ مُدَّ سَرْوِى بمالٍ كثيرٍ　　لَجُدْتُ وَكُنْتُ بِهِ بَاذِلَا

فإِنَّ المُرُوءَةَ لا تُسْتَطَاعُ　　إذا لمْ يكُنْ مَالُهَا فاضِلَا

وقال يَزِيدُ بنُ حُجَيَّةَ حين بلغه أن زِيادَ بنَ خَصَفَةَ تبعه ولم يلحق به :

أَبْلِغْ زِيادًا أنَّنى قَدْ كَفِيتُهُ　　أُمورِى وَخَلَّيْتُ الَّذى هُوَ غَالِبُهْ

وَبابِ شَدِيدٍ دَاؤُهُ قَدْ فَتَحْتُهُ　　عَلَيْكَ وَقدْ أعيتْ عليكَ مَذَاهِبُه

هُبِلْتَ فما تَرْجُو غَنَاىَ وَمَشْهَدِى　　إذا كانَ يَوْمٌ لاتُوَارَى كَوَاكِبُهْ[٣]

قال آخر :　　ومَنْطِقٍ خُرِّقَ بالْعَوَاسِلِ

وتجردت حَضْرَمِيَّةٌ لزوجها ثم قالت : هَلْ تَرَى فى خَلْقِ الرَّحمٰنِ مِنْ تفاوُتٍ

ولعل الشاعر الذى روي له الجاحظ الثلاثة الأبيات قد ضمن بيت الحطيئة فيها .

(١) هو كعب بن مانع الحميري من سلامة ذي رعين أحد ملوك اليمن . كان على دين اليهود باليمن وكان على اطلاع واسع بكتب الأوائل . أسلم باليمن ثم قدم المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب ثم خرج إلى الشام فسكن حمص وبها كانت وفاته سنة ٣٢ هـ واخذ الناس عنه اخبارا وروايات واقاصيص كثيرة كما حمل عليه من ذلك شيء كثير .

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

(٣) غناى : بلائى وكفايتى

قال : أرَى فُطُوراً . وقال آخر : راودت امرأةٌ شيخاً واستهدفت له وأبطأ عليه الانتشار فلامته فقال لها : إنك تفتحين بيتاً وأنا أنشر ميتاً !

كتاب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري

كتب عمرُ رضى الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعريّ :

أما بعد فإن للناس نُفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تُدرِكني وإياك عمياء مجهولة وضغائنُ محمولة وأهواء متبعة ودنيا مُؤْثَرَة ، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرَض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثِر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فان الدنيا تَنفَدُ والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل ، وأخفِ الفُساق واجعلهم يداً يداً ورِجلا رجلا ، وإذا كانت بين القبائل نائرةٌ (١) وتداعوا : يا آل فلان ، فإنما تلك نجوَى الشيطان ، فاضرِبهم بالسيف حتى يَفيئُوا (٢) إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله وإلى الإمام ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضَبَّةَ تدعو : يا آل ضبة ، وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيراً قط ولا منع بها سوءاً قط ، فاذا جاءك كتابي هذا فأَنْهِكْهُمْ عقوبة حتى يَفْرَقوا (٣) إن لم يفقهوا ، والصِق بغَيْلانَ بنِ خَرَشة من بينهم ، (٤) وعُد مرضَى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح بابك وباشر أمرَهم بنفسك ، أنت امرؤ منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حِملا ، وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فَشا لك ولأهل بيتك هَيئةٌ فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبدَ الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصيب فلم يكن لها هِمةٌ إلا السِّمن ، وإنما حتفُها فى السِّمن ! واعلم أن للعامل مَرَدّاً إلى الله فإذا زاغ العامل زاغت رَعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام .

---

(١) النائرة : الفتنة الهائجة

(٢) يفيئوا : يرجعوا

(٣) يفرقوا : يخافوا وينقمعوا

(٤) هو غيلان بن خرشة بن عمرو بن ضرار الضبي ، وكان من سراة اهل البصرة

عَوانةُ قال : قدم علينا أعرابى من كلب ، وكان يحدثنا الحديث فلا يكاد يقطعه ، فقال له رجل : أما لحديثك هذا آخر ! فقال : إذا عجز وصلناه .

وقال مُعاويةُ لِيونُس الثقفىّ : إتّقِ أن أطير بك طَيرة بطيئاً وقوعها ! قال : أليس لى ولك المرجع بعدُ إلى الله ؟ قال : بلى ، فأستغفر الله .

رَقَبةُ بنُ مصقلة[١] قال : ماسمعت عُمرَ بن ذرّ يتكلم إلا ذكرت النفخ فى الصور ، وما سمعت أحداً يحكيه إلا تمنيت أن يُجلد ثمانين ! قال : وتكلم عمرُ بنُ ذرّ فصاح بعض الزَّفّانين[٢] صيحة فلطمه رجل فقال عُمر بنُ ذرّ : ما رأيت ظلماً قط أوفق لى من هذا ! وقال طاوُس : كنت عند محمد بن يوسف[٣] فأبلغه رجل من بعض أعدائه كلاماً فقال رجل من القوم : سبحان الله ! فقال طاوس : ماظننت أن قول سبحان الله معصية لله حتى كان اليوم ! كأنه عنده إنما سبح ليظهر استعظام الذى كان من الرجل ليوقع به . وقال الآخر :

لَوْ كانَ عدْوَاكَ البَطِىءِ المُسْهِمُ إذا بَدَا مِنكَ الَّذِى لا يُكتَمُ
وَجْهٌ قَبِيحٌ وَلِسَانٌ أبْكَمُ وَمِشْفَرٌ لا يَتَوارَى أضْجَمُ

وقال الآخر :

يُقعِّرُ القَوْلَ لِكَيْمَا تَحْسَبَهْ مِنَ الرِّجَالِ الفُصَحَاءِ المُعْرَبَهْ
وَهُوَ إذَا نَسَبْتَهُ مِنْ كَرَبَهْ مِنْ نَخْلَةٍ نابِتَةٍ فى خَرِبَهْ[٤]

قالت امرأةُ الحُطَيْئةِ للحطيئة حين تحول عن بنى رياحٍ إلى بنى كليب : بئس ما استبدلت من بنى رياح بعر الكبش ! لأنهم متفرقون ، وكذلك بعر الكبش يقع متفرقا .

(١) هو رقبة بن مصقلة العبدى . كان من خطباء عبد القيس وفصحائهم واهل البيان واللسن فيهم . وقد ولى الولايات لبنى امية

(٢) الزفانون : الرقاصون

(٣) هو محمد بن يوسف الثقفى اخو الحجاج بن يوسف . ولاه عبد الملك على اليمن فما زال عليها حتى مات بها وجاء نعيه اخاه الحجاج

(٤) الكربة : اصل السعفة اليابسة

كلام لعائشة أم المؤمنين في قتل عثمان

عن داود بن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه قال: بعثني وَعِمْرانَ بْنَ حُصين (١) عثمانُ بنُ حنيفٍ إلى عائشة رضي الله تعالى عنها فقلنا: ياأم المؤمنين، أخبرينا عن مسيرك هذا! أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأي رأيتيه؟ قالت: بل رأي رأيته حين قُتل عثمان، إنا نقمنا عليه ضربة بالسوط، وموقع السحابة المُحماة، وإمرة سَعيدٍ والوليدِ، (٢) فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحُرم الثلاث: حُرمة البلد، وحرمة الخلافة، وحرمة الشهر الحرام، بعد أن مِصْناه كما يُماص الإناء فاستنقى، فركبتم منه هذه ظالمين، فغضبنا لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم!؟ قلت: فما أنت وسيفنا وسوط عثمان، وأنت حبيسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تقرّي في بيتك فجئت تضرب الناس بعضهم ببعض!؟ قالت: وهل احد يقاتلني أوَ تقول غير هذا! قلنا: نعم! قالت: ومن يفعل ذلك؟ أزنيم بني عامر!؟ ثم قالت: هل أنت مبلغ عني ياعِمْران؟ قال: لا، لست مُبلغاً عنك خيراً ولا شراً! قلت: لكني مبلغ عنك، فهاتي ما شئت؟ قالت: أللهم اقتل مذمماً ـ تعني محمدَ بنَ أبي بكرٍ ـ قصاصاً بعثمان، وارْمِ الأشترَ بسهم من سهامك لايشوَى، وأرْدِ عمَّاراً (٣) بحفرته في عثمان!

بين زياد والحكم بن عمرو

عن الحسنَ أن زِياداً بعث الحَكَم بنَ عمرٍو على خُرسانَ فأصاب مغنما فكتب إليه زيادٌ: إن أمير المؤمنين مُعاوية كتب إليَّ يأمرني أن أصطفى له كل

(١) هو عمران بن حصين الخزاعي. كان من أفاضل الصحابة. مات بالبصرة سنة ٥٢ هـ

(٢) هما سعيد بن العاص والوليد بن عقبة

(٣) كان بالاصول: وأدرك عمارا. وهو خطأ والصواب ما أثبتناه. وعمار: هو عمار بن ياسر

صفراء و بيضاء ، فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه واقسم ما سوى ذلك ! فكتب إليه الحَكَمُ : إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، ووالله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً على عبدٍ فاتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجاً والسلام . ثم أمر المنادى فنادى فى الناس أن : اغدوا على غنائمكم ؟ فغدو فقسمها بينهم .

وقال خالدُ بنُ صفوانَ : ما رأينا أرضا مثل الأُبلَّةِ [١] أقرب مسافة ولا أطيب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد .

كلام بعض الأعراب

قال الكِسائيُّ : لقيت أعرابياً فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف ، والشيء بعد الشيء أقرنه بغيره ، فقال : تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة إلى جنب كلمة منها أشبه شيء بها وأبعد شيء منها ، منك ! ووصف إعرابي رجلا فقال : ذاك والله ممن ينفع سِلمُهُ ، ويتواصفُ حِلمُهُ ولا يُستمرأ ظُلمُهُ . وقال آخر لخصمه : لئن هَمْلَجْتَ إلى الباطل إنك لقطوف إلى الحق . [٢]

ورأى رَقَبَةُ بنُ مَصقَلَةَ العبدى جارية عند العطار فقال له : ما تصنع هذه عندك ؟ قال : أكيل لها حِنَّاء ! قال : أظنك والله تكيل لها كيلا لا يأجرك الله عليه !

(١) هى مدينة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذى يدخل البصرة وهى اقدم من البصرة . وروي ياقوت ان خالد بن صفوان قال : مارأيت ارضاً مثل الابلة [اقرب] سافة ولا اغذى نطفة ولا اوطأ مطية ولا اربح لتاجر ولا احفى لعائد

(٢) هملجت : أسرعت . وقطوف : بطئ

كلام عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس

قال عمرُو بنُ العاصِ لعبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ : إن هذا الأمر الذى نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم ماترى ، وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبراً ، ولسنا نقول ليت الحرب عادت ! ولكننا نقول ليتها لم تكن كانت ! فانظر فيما بقى بغير ما مضى فإنك رأس هذا الأمر بعد علىّ ، وإنما هو أمير مطاع ، ومأمور مُطيع ومشاوَر مأمون ، وأنت هو .

وقال عيسَى بنُ طلْحةَ[1] لِعُرْوةِ بنِ الزُّبيرِ[2] حين ابتُلى برجله فقطعها : ياأبا عبدِ اللهِ ، ذهب أهونك علينا ، وبقى أكثرك لنا .

قال أبو الحسن : خطب الحجّاجُ يوم جمعة فأطال الخطبة فقال رجل : إن الوقت لا ينتظرك والرب لايعذرك ! فحبسه فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا : إنه مجنون! فقال : إن أقر بالجنون خليتُ سبيله ! فقيل له: أقر بالجنون ؟ قال: لاوالله ، لا أزعم أنه ابتلانى وقد عافانى .

وصف الابل

قالت أم هاشمٍ السَّلُوليّةُ : ما ذكر الناس مذكوراً خيراً من الإبل أحناه على أحد بخير ، إن حملت أثقلت وإن مَشت أبعدت وإن نُحرت أشبعت وإن حُلبت أروت .

---

(١) هو عيسى بن طلحة بن عبيد الله .

(٢) أصيب عروة بن الزبير بأكلة فى رجله فقدم على الوليد بن عبد الملك وهو بها شاك فقيل له : اقطعها فإنها إن وقعت في الركبة قتلتك . فلما قبل قيل له : نسقيك دواء لاتجد معه ألما ! فقال : أيقطع منى عضو ولا احس به ! فقطعت وهو جالس فى مجلس الوليد يحدثه والوليد مصغ إليه حتى شم رائحة الزيت المغلى يصب على مكان القطع ، وعروة فى كل هذا لم يقطع حديثه ولم يقبض وجهه ولم يظهر عليه أثر للألم . فلما ذهب إلى المدينة دخل عليه عيسى بن طلحة فلما رأى مابه قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ياأبا عبد الله ، ماأعددناك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ماكنا نحتاج إليه ، ابقى لنا منك رأيك وعقلك وعلمك . فقال عروة : ماعزاني احد عن رجلي مثلك . وراجع ص ٥٤ من هذا الجزء

من الحسن بن على الى زياد

قال : طلب زيادٌ رجلا كان فى الأمان الذى سأله الحسنُ بْنُ علىٍّ لأصحابه فكتب فيه الحسن رضى الله تعالى عنه إلى زياد :

من الحسن بن على إلى زياد : أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لأصحابنا ، وقد ذكر لى فلان أنك عرَضتَ له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير .

من زياد الى الحسن

فلما أتاه الكتاب ، ولم ينسبه الحسَنُ إلى أبي سُفيانَ ، غضب فكتب :

من زيادِ بْنِ أبي سُفْيانَ إلى الحسَنِ : أما بعد أتانى كتابك فى فاسق يؤويه الفُسَّاق من شيعتك وشيعة أبيك ، وأيم الله لأطلبنهم ولو بين جلدك ولحمك ، وإنَّ أحبَّ لحم إلىَّ آكله للحم أنت منه .. !؟

من معاوية الى زياد

فلما وصل الكتابُ الحسنَ وجَّه به إلى مُعاويةَ فلما قرأه مُعاويةُ غضب وكتب :

من مُعاويةَ بن أبي سُفْيانَ إلى زيادِ بْنِ أبي سُفيانَ : أما بعد فان لك رأيين رأياً من أبي سُفيان ورأياً من سُمَيَّةَ ، فأما رأيك من أبي سفيان فحلم وحزم ، وأما رأيك من سمية فكما يكون رأى مثلها ، وقد كتب إلىَّ الحسنُ بن علىّ أنك عرضت لصاحبه ! فلا تعرض له ، فإنى لم أجعل لك اليه سبيلا ! وإن الحسن ابن علىّ ممن لا يرمى به الرَّجوَان ! (١) والعجب من كتابك اليه [أنك] لا تنسبه إلى أبيه ، أفإلى أمه وَكَلْتَهُ وهو ابن فاطمةَ بنت محمد صلى الله عليه وسلم !؟ فالآن حين اخترت له والسلام ...!؟

(١) لايرمى به الرجوان : لايستهان بشأنه

خطبة مصعب بن الزبير

قدم مُصْعَبُ بنُ الزُّبير العراقَ فصعد المنبر ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم « طسم تلكَ آياتُ الكِتَابِ المُبين نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بالحقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إنَّ فِرْعَوْنَ علا فى الأَرْضِ وجعلَ أَهْلَها شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طائفةً منهمْ يُذَبِّحُ أبناءهُمْ ويَسْتَحيي نِساءهُم إنَّهُ كانَ مِنَ المُفْسِدينَ » وأشار بيده نحو الشام (١) « ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفوا فى الأرض ونجْعَلهُمْ أئمَّةً ونجعلهمُ الوارثين » وأشار بيده نحو الحجاز (٢) « ونُمكّن لهُمْ فى الأَرْضِ ونُرى فِرْعَوْنَ وهامان وجُنودهُما منهمْ ما كانوا يحذرون » وأشار بيده نحو العراق (٣)

وكتب محمد بن كعب « القرظىُّ » فقيل له : والأنصارى ! قال: أكره أن أمن على الله بما لم أفعل .

عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس

وقام عَمْرُو بْنُ العاصِ بالموسم فأطرى مُعاوِيَةَ وبنى أمية وتناول بنى هاشم ثم ذكر مشاهده بِصِفّينَ فقال ابن عبّاسٍ : ياعمرو إنك بعت دينك من معاوية فأعطيته مافى يدك ومنّاك مافى يد غيره فكان الذى أخذ منك فوق الذى أعطاك ، وكان الذى أخذت منه دون ما أعطيته ، وكلٌّ راض بما أخذ وأعطى! فلما صارت مصر فى يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقُّص حتى لو أن نفسك فيها لألقيتها إليه ! وذكرت مشاهدك بصفين فما ثقلت علينا يومئذ وطأتك ولا نكتتنا (٤) فيها حربك ، وإن كنتَ فيها لطويلَ اللسان قصيرَ السنان ، آخر الحرب إذا أقبلت وأولها إذا أدبرَتْ ، لك يدان : يد لا تبسطها إلى خير ويد لاتقبضها عن شر ،

(١) يريد عبد الملك بن مروان وبنى امية

(٢) يريد اخاه عبد الله بن الزبير ومن معه

(٣) يريد المختار بن ابى عبيد الثقفى وعصبته

(٤) نكتتنا من النكاية : لم تصبنا حربك بأذى

ووجهان : وجه مؤنس ووجه موحش ، ولَعمرى إن من باع دينه بدنيا غيره لحرىٌّ أن يطول حزنه على ما باع واشترى ! لك بيان وفيك خَطَل ، ولك رأى وفيك نَكَدٌ ، ولك قدر وفيك حسد ، فأصغر عيب فيك أعظم عيب فى غيرك..!؟

فقال عَمْرٌو : أما والله مافى قُرَيش أحد أثقل وطأة علىّ منك ولا لأحد من قريش قَدَرٌ عندى مثل قدرك !

كلام عمرو بن عتبة

ورأى عَمْرو بن عُتبة بن أبى سفيان (١) رجلا يشْتِم رجلا وآخر يسمع منه فقال للمستمع : نَزِّه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به ، فإن السامع شريك القائل ، وإنما نظر إلى شر مافى وعائه فأفرغه فى وعائك ، ولو رُدَّت كلمةُ جاهل فى فيه لسعد رادُّها كما شقى قائلها .

خصمان عند زياد

عوانة قال : اختصم إلى زيادٍ رجلان فى حق كان لأحدهما على الآخر ، فقال المدعى : أيها الأمير ، إنه ليسطو علىّ بخاصة ذكر أنها له منك ! فقال زياد : صدق وسأخبرك بمنفعتها له : إن يكن الحق له عليك أخذتك به ، وإن يكن لك عليه حكمت عليه ثم قضيت عنه .

تأبين عائشة لأبى بكر الصديق

ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه قامت عائشة رضى الله تعالى عنها على قبره فقالت : نضَّر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها ، وإن كان لأجَلّ الأرزاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤُك وأكبر المصائب فقدك ، وإن كتاب الله ليعد بجميل

(١) كان عمرو بن عتبة بن ابى سفيان من خيار بنى أمية وصلحائهم . وكان ذا بيان وفصاحة ولسن، وكان مستقيم الطريقة محبا للعدل مبغضا للظلم ، ولذلك لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على الحجاج لظلمه وجوره خرج عمرو معه وقاتل بين يديه حتى قتل . وهذه الكلمة التى رواها له الجاحظ فى أفضل ماقيل فى بابها

العزاء [فيك] حُسنَ العوض منك ، فأنتجزْ من الله موعده فيك بالصبر عنك ، وأستخلصه بالاستغفار لك .

فرغانة بنت أوس ترثي الأحنف بن قيس

وقامت فَرْغانةُ بنت أوْسِ بنِ حجَر على قبر الأحنف بنِ قيسٍ وهي على راحلة فقالت : إنا للهِ وإنا إليه راجعون ، [رحمك الله] أبا بَحْرٍ من مُجَنٍّ في جَنَنٍ (١) ومُدْرَجٍ في كفَن ، فوالذي ابتلانا بفقدك ، وبلّغنا يوم موتك لقد عشتَ حميداً ومتّ فقيداً ، ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم ، رفيع العماد واري الزناد ، منيع الحريم سليم الأديم ، وإن كنت في المحافل لشريفاً وعلى الأرامل لعطوفاً ، ومن الناس لقريبا وفيهم لغريبا ، وإن كنت لَمُسوَّداً وإلى الخلفاء لَمُوَفَّداً ، وإن كانوا لقولك لَمستمعين ولرأيك لمتبعين . ثم انصرفت .

عمرو بن العاص يصف معاوية

أبو الحسن قال : قال عمرو بنُ العاص : ما رأيتُ معاوية قط متكئاً على يساره واضعاً إحدى رجليه على الأخرى كاسراً إحدَى عينيه يقول للذي يكلمه : ياهناه ! (٢) إلا رحمت الذي يكلمه .

من كلام عمر بن الخطاب

وقال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه : كونوا أوعيةَ الكتاب وينابيعَ العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم ولا يَضيركم أن لا يكثر لكم .

(١) الجنن : القبر لأنه يجن الموتى أي يخفيهم عن الأنظار .
(٢) ياهناه : كلمة كانت العرب تقولها عند إرادة التنكير ، كأنها تقول : ياشيء .

بين معاوية وعائشة

وكتب مُعاويةُ إلى عائشة رضى الله تعالى عنها أن أكتبى الىّ بشىء سمعتيه من أبى القاسم صلى الله عليه وسلم، فكتبت إليه : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: « مَنْ عَمِلَ بما يُسْخِطُ اللهَ عادَ حامدُهُ منَ الناسِ لهُ ذَامًّا »

وصية عالم لابنه

أوصى بعض العلماء ابنه فقال : أوصيك بتقوى الله وليسعك بيتك واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك .

فضل الشورى

بكر بن أبى بكر القرشى قال : قال أعرابى : ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبن قومى ! قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئا حتى أشاورهم .(١) قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازم ونحن نطيعه ، فكأننا ألف حازم .(٢)

الحجاج أول مجر لنوع من السفن وأول صانع للمحامل

قال أبو الحسن : أول من أجرى فى البحر السفن المُقيَّرة المسمَّرة ، غير المخرزة

---

(١) قلت : وقد ذم عبد الملك بن صالح العباسى الشورى واحتج للاستبداد فقال : ما استشرت أحدا قط إلا تكبر عليك وتصاغرت لديه ، وداخلته العزة وداخلتك الذلة ، فعليك بالاستبداد فإن صاحبه مبجل فى العيون مهيب فى الصدور ، وإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فيتضعضع شأنك وتخف بك أركانك ويستحقرك الصغير ويستخف بك الكبير؟!

(٢) عن عمر بن شبة قال : سأل عمر بن الخطاب الحطيئة فقال : كم كنتم فى حربكم ؟ قال : كنا ألف حازم ! قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازما وكنا لا نعصيه ، وكنا نقدم بإقدام عنترة ، ونأتم بشعر عروة بن الورد ، وننقاد لأمر الربيع بن زياد . قلت : وهؤلاء زعماء بنى عبس

والدهونة وغير ذوات الجآجى، وكان أول من عَمِلَ المَحَامِلَ الحجاج . قال بعض رجاز الأكرياء :

أوّلُ عبدٍ عَمِلَ المَحَامِلا   أخزاهُ رَبّى عَاجِلاً وآجِلا

وقال آخر :

شَيَّبَ أصْدَاغِى وَهُنَّ بِيضُ   مَحَامِلٌ لِقِدْهَا نَقِيضُ

كلام بعض الأعراب

قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : لو تنخَّل رجل أخا شقيقا لم يأمن أن يبدو منه ما يبدو من الثوب ذى الخرق ، فرحم الله رجلا أغضى على الأقذاء واستمتع بالظاهر . وقال الأصمعى : سمعت بعض الأعراب يقول : من ولّد الخير أنتج له فِراخاً تطير بالسرور ، ومن ولد الشر أنبت له نباتاً مراً مذاقه ، قضبانه الغيظ وثمره الندم . وأنشد النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ :(١)

يُحِبُّ بَقَائى المُشْفِقونَ وَمُدَّتى   إلَى أجَلٍ لَوْ يَعْلَمونَ قَرِيبِ
وَمَا أرَبى فى أرْذَلِ العُمْرِ بَعْدَ مَا   لَبِثْتُ شَبَابِى قَبْلَهُ وَمَشِيْبِى !

(١) هو النضر بن شميل المازنى النحوي البصري كان عالماً ثقة صاحب غريب وفقه ومعرفة بأيام الناس ، وكان شاعرا محدثاً ، اخذ عن الخليل بن أحمد وأقام فى البادية اربعين سنة ، وله فى رواية الاثر والسنن والاخبار منزلة . ضاقت به المعيشة فى البصرة فأراد الخروج إلي خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث ، أو نحوى ، أو لغوى ، اوعروضي ، او إخباري ، فلما صار بالمربد جلس وقال : يا أهل البصرة ، يعز على فراقكم ، والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتكم . ثم أتى خراسان وأفاد بها مالا عظيماً . قال النضر : كنت أدخل على المأمون — حينما كان مقيماً بمرو — فجرى الحديث فقال : حدثنا هشيم عن خالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز . فقلت : صدق يا امير المؤمنين هشيم ، حدثنا عوف بن ابى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز . قال : وكان المأمون متكئا فاستوي جالساً وقال : يا نضر ، كيف قلت سداد ؟ قلت : لأن السداد ههنا لحن . قال : او تلحننى ؟ قلت : إنما لحن هشيم وكان لحانة . قال فما الفرق بينهما ؟ قلت السداد بالفتح : القصد في الدين والسبيل ، والسداد بالكسر : البلغة ، وكل ماسددت به شيئاً فهو سداد . الخ . توفى سنة ٢٠٤ هـ

وأنشد ابنُ الأعرابي :

يا ابنَ الزُّبيرِ جزاكَ اللهُ لائمةً ... هلاَّ انتهيتُمْ وفي الأقوالِ تعتيبُ (١)

تنزُو لِتُدركَ مِنْ كعبٍ غطارفةً ... لا تستوي بُسْرةُ العُرجونِ والطِّيبُ (٢)

كما ترى فرخَ عُشٍّ لا حَراكَ بهِ ... وفوقَهُ مِنْ نُسالِ الرِّيشِ تزغيبُ (٣)

ما فيكمُ قدْ علِمنا مِنْ مُحافظةٍ ... يومَ الحِفاظِ ولا خيرًا لِمنكوبِ (٤)

وأنتمُ تحتَ أرواقِ البُيوتِ إذا ... هبَّتْ شآميةٌ دُرْنٌ طحاريبُ (٥)

أنتمْ مُناخُ الخنا قُبحًا لِخلقتِكُمْ ... فكلُّكُمْ يا بني الباقاءِ مقشوبُ (٦)

في ذِمَّتي أن تضِجُّوا مِنْ مُصادمتي ... كما تضِجُّ مِنَ الحرِّ الجنادِيبُ (٧)

ما بينَ أدبسَ نتَّاجٍ لهُ دفرٌ ... ومُقصَدِ القلبِ ذي سِتِّينَ معصوبِ (٨)

خالي سماعةُ فاعلمْ لا خفاءَ بهِ ... لقدْ هوى بكَ يا دفينُ شخُّوبُ (٩)

صعبٌ مناكبُهُ تعيا الكُماةُ بهِ ... خوفًا وتصطادُهُمْ منهُ كلاليبُ (١٠)

وأنشد ابن المعذّل :(١١)

---

(١) تتيب : معاتبة

(٢) تنزو : تثب : ألغطارفة : السادة الامجاد . البسر : البلح قبل الارطاب . والعرجون : اصل العذق اليابس

(٣) نسال الريش : ماتناثر منه . والتزغيب . كالزغب : الريش اول ظهوره على الفرخ

(٤) يوم الحفاظ : يوم يحق الغضب لجلائل الامور وتجب الحمية . وفي هذا البيت إقواء

(٥) شآمية : ريح الشمال . درن : يعلوكم الدرن من قذارتكم . طحاريب : فساؤن

(٦) مقشوب : مذموم

(٧) الجناديب : صغار الجراد

(٨) الأدبس : الذي في وجهه بقع سود وحمر . والدفر : ريح خبيثة . والمقصد القلب : الذي يموت بالسكتة . والمعصوب : السغب . وفي هذا البيت إقواء

(٩) شخوب كشخاب ، وهو الذي يقص الأعناق فتشخب منها الدماء

(١٠) الكماة : الشجعان المتكمون في السلاح

(١١) هو احمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم . ابو القاسم البصري . كان شاعرا متعففا ذا دين ومروءة وكان متقدما عند المعتزلة ذا جاه واسع وحرمة عند السلطان . وكان اخوه عبد الصمد بن المعذل شاعراً فصيح اللسان من شعراء الدولة العباسية . وكان هجاء خبيث الكلام قوي المعارضة . وكان يحسد

تَوَاعَدَ لِلْبَيْنِ الْخَلِيطُ لِيَنْبَتُّوا ... وقالوا الراعى الظُّهْرِ مَوْعِدُكَ السَّبْتُ
فَفَاجَأَنِى بَغْتًا وَلَمْ أَخْشَ بَيْنَهُمْ ... وَأَفْظَعُ شَىْءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ الْبَغْتُ
مَضَى لِسُلَيْمَى مُنْذُ مَا لَمْ أُلَاقِهَا ... سُنُونَ تَوَالَتْ بَيْنَنَا خَمْسٌ أَوْ سِتُّ
وَفِى النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكُمْ كَثِيرَةٌ ... بِرُبَّانِهَا فى الْحَىِّ لَوْ أُخِّرَ الْوَقْتُ(١)
تَأَيَّمْتُ حَتَّى لَامَنِى كُلُّ صَاحِبٍ ... رَجَاءَ سُلَيْمَى أَنْ تَئِيمَ كَمَا إِمْتُ(٢)
لَئِنْ بِعْتُ حَظِّى مِنْكِ يَوْمًا بِغَيْرِهِ ... لَبِئْسَ إِذًا يَوْمَ التَّغَابُنِ مَا بِعْتُ
تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَعَهْدُهُمْ ... بِأَنْ يَتَمَنَّوْا لَوْ حَيِيتُ إِذَا مِتُّ
وَقَدْ عَلِمُوا عِنْدَ الْحَقَائِقِ أَنَّنِى ... أَخُو ثِقَةٍ مَا إِنْ وَنَيْتُ وَلَا إِنْتُ(٣)
وَإِنِّى وَقَدْ سَيَّرْتُ نَبْلِى وَإِنَّنِى ... كَأَنِّى وَقَدْ وَقَّعْتُ أَنْصَالَهَا رِشْتُ

وقال أحمدُ بنُ المُعَذَّلِ، أنشدنى أعرابى من طىء(٤):

وَلَسْتُ بِمَيَّالٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى ... إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فى جَانِبِ الْفَقْرِ
وَإِنِّى لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنُوبُنِى ... وَحَسْبُكَ أَنَّ اللهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

خطبة الحجاج حين ولى العراق

عن عبدِ الله بن أبى عُبَيْدَةَ بن محمَّدِ بن عمَّارِ بن ياسِرٍ قال:

احمد ويهجوه وكان احمد يحام عليه . كتب احمد إلى اخيه عبد الصمد يقول : إنى ارى المكروه من حيث يرتجى المحبوب ، وقد شمل عرك وعم اذاك وصرت فيك كابى الابن العاق إن عاش نقصه وان مات نقصه ، وقد خشنت بقاب حيبه لك ناصح والسلام . فرد عليه عبد الصمد بقوله :

اطاع الفريضة والسنه ... فتاه على الانس والجنه
كأن لنا النار من دونه ... وافرده الله بالجنه
وينظر نحوى إذا زرته ... بعين حماة إلى كنه

وقال احمد : قال لى انت اخو الكلب وفى ... ظنه ان قد هجانى واجتهد
احمد الله تعالى انه ... ما درى أنى اخو عبد الصمد

(١) بربانها : بوقتها وحينها

(٢) فى الاصول : نئم ، وهو خطأ والصواب ماأثبتناه . وتئيم : تصبح بلا زوج

(٣) ونيت : ضعفت . وإنت : تريثت

(٤) من الغريب ان ابا الفرج نسب هذين البيتين للمعذل بن غيلان ، فهل كان احمد من العقوق بحيث ينكر قول ابيه وينسبه إلى غيره !؟

خرج الحَجَّاج يريد العِراق والياً عليها (١) فى اثنى عشر راكباعلى النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار — وقد كان بِشْرُ بن مَرْوان بعث المُهَلَّبَ إلى الحَرُورِيَّةِ (٢) — فبدأ الحجاجُ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء (٣) فقال: عليَّ بالناس، فحسبوه وأصحابهُ خوارجَ فهمُّوا به، حتى إذا اجتمع الناس فى المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال:

أنا ابْنُ جَلا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتى أَضَعُ العِمامَةَ تعرفونِى (٤)

أما والله إنى لأحتمل الشرَّ بحمله وأحذوه بنعله وأُجزيه بمثله، وإنى لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قِطافُها، وإنى لصاحبها! وإنى لأنظر إلى الدماءِ ترقرق بين العمائم واللِّحى: قدْ شَمَّرَتْ عَنْ ساقِها فشمِّرْ: ثم قال (٥)

(١) وذلك فى سنة ٧٥ بعد وفاة بشر بن مروان

(٢) الحرورية: من الخوارج

(٣) قال المبرد: معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا . . . فسكت ساعة لايتكلم فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق، حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقالوا: أمهل حتى ننظر. فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال: أنا ابن جلا.

(٤) وابن جلا: المنكشف الأمر المشهور الذكر. والثنايا جمع ثنية وهي الطريق في الجبل. وطلاعها يعنى أنه جلد قوى يطلع الثنايا على صعوبتها وارتفاعها. والبيت من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي. وبعده:

وإن مكاننا من حميرى مكان الليث من وسط العرين
وإنى لن يعود إلى قرنى غداة الغب إلا فى قرين
بذى لبد يصد الركب عنه ولا تؤتى فريسته لحين
عذرت البزل إذ هى خاطرتنى فما بالى وبال ابنى لبون
وماذا تبتغى الشعراء منى وقد جاوزت حد الأربعين
أخو خمسين مجتمع أشدى ونجذنى مداورة الشؤون
فإن علالتى وجراء حولى لذو شق على الضرع الظنون
كريم الخال من سلفى رياح كنصل السيف وضاح الجبين
متى أحلل إلى قطن وزيد وسلمى تكثر الأصوات دونى
وهمام متى أحلل إليه محل الليث فى عيص أمين
ألف الجانبين به أسود منطقة بأصلاب الجفون
وإن قناتنا مشظ شظاها شديد مدها عنق القرين

(٥) راجع ص ١٠٢ من الجزء الأول

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زِيَمْ   قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ
لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلاَ غَنَمْ   وَلاَ بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ (١)

وقال أيضاً :

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصْلَبِيّ   أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِّيّ (٢)
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيّ (٣)

إني والله يا أهلَ العراق والشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق، ما أُغمَزُ تَغمازَ التين ولا يُقَعقَعُ لى بالشِّنانِ، ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء، وفُتِّشْتُ عن تجربة وجريت من الغاية، إن أميرَ المؤمنين كب كنانته (٤) ثم عجم عيدانها فوجدنى أمرَّها عوداً وأصلبَها عموداً، فوجهني إليكم، فإنكم طالما أوضعتم فى الفتن واضطجعتم فى مراقد الضلال وسننتم سُنن الغيّ، أما والله لألحُوَنَّكُمْ لحوَ العصا ولأعصِبنَّكُم عَصبَ السَّلَمَةِ ولأضربنَّكُمْ ضَرْبَ غرائبِ الابل! فانكم لكأهل «قرية كانَتْ آمِنَةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كل مكانٍ فكفرت بأنعمِ الله فأذاقها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانُوا يصنعُونَ» وإنِّي والله لا أَعِدُ إلاَّ وَفيت وَلا أهمُّ إلاَّ أمضيتُ ولا أخلقُ إلاَّ فريت ! (٥) فإياى وهذه الجماعات

(١) زيم : اسم فرس او ناقة . والسواق الحطم : الذي لايبقى من السير شيئا . والوضم : الخشبة التى يقطع الجزار اللحم عليها ، أرمة .

(٢) العصلبي : الشديد . والاروع : الذكي . خراج من الدوي : خراج من كل عماء شديدة . والدوى : المفازة المهلكة .

(٣) وقد جاء فى كامل المبرد ان الحجاج قال بعد هذا :

قد شمرت عن ساقها فشدوا   وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد   مثل ذراع البكر او اشد
(لابد مما ليس منه بد)

(٤) رواية المبرد : نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني امرهاعوداً واصلبها مكسرا فرماكم بي

(٥) أخلق : أقدر . فريت : قطعت . وروى المبرد انه قال بعد هذا : وإن امير المؤمنين امرني باعطائكم اعطياتكم وان اوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن ابى صفرة وإني اقسم بالله لا اجد رجلا تخلف بعد اخذ عطائه بثلاثة ايام إلا ضربت عنقه

وقالَ وقيل وما تقول! وفيم أنتم وذاك! أما والله لتستقيمُنَّ على طريق الحق أو لأدعنَّ لكل رجل منكم شغلا فى جسده! من وجدتُ بعد ثلاثة من بعث المُهَلَّبِ سفكتُ دَمَه وأنهبتُ ماله. ثم دخل منزله.

كتاب الحجاج الى قطرى بن الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم. أبو الحسن قال:

كتَبَ الحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ إلى قَطَرِيِّ بْنِ الفُجَاءَةِ: سلام عليك، أما بعد فإنك مرقت من الدين مُروق السهم من الرَّمِيَّةِ! قد علمت حيث تجرثمتَ (١) ذلك أنك عاص لله ولوُلاة أمره، غير أنك أعرابى جِلْف أُمى تستطعم الكِسرة وتشتفى بالتمرة والأمور عليك حسرة، خرجت لِتَنَالَ شَبْعَةً فالحق بك طَغَامٌ صُلوا بمثل ما صُليت به من العيش، يَهزُّون الرماح وتستنشون الرياح على خوف وجهد من أمورهم، وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته! ثم أهلكهم الله بترحتين والسلام.

رد قطرى بن الفجاءة على الحجاج

فأجابه قَطَرِيُّ بْنُ الفُجَاءَةِ:

من قَطَرِيِّ بْنِ الفُجَاءَةِ إلى الحَجَّاجِ بْنِ يوسُف: سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نقمه، فالحمد لله على ما أظهر من دينه وأظلع به أهل السفالة وهدى به من الضلالة ونصر به عند استخفافك بحقه، كتبتَ إليَّ تذكر أنى أعرابى جِلْف أمِّيٌّ أستطعم الكِسرة واشتفى بالتمرة! ولعمرى يا ابن أُم الحجاج إنك لميت فى جبلتك مُطْلَخِمٌ (٢) فى طريقتك واهٍ فى

(١) تجرثمت: سقطت من علو إلى اسفل
(٢) مطلخم: مضطجع

وثيقتك لا تعرف الله ولا تجزع من خطيئتك ، يئست واستيئست من ربك فالشيطان قرينك لاتجاذبه وثاقك ولا تنازعه خناقك ، فالحمد لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتك وأوضح لى طلعتك ، فوالذى نفس قَطَرِيّ بيده لعرفتَ أن مقارعةَ الأبطال ليست كتصدير المقال ، مع أنى أرجو أن يدحض الله حجتك وأن يمنحنى مهجتَك .

بين معاوية وعدى بن حاتم

خالد بن يزيد الطائى قال :

كتب مُعاويةُ إلى عَدِيّ بْن حاتِم : حاجَيْتُكَ مالا يُنسى ! - يعنى قتل عثمان - فذهب عدِيٌّ بالكتاب إلى على بن أبى طالب فقال : إن المرأة لاتنسى قاتل بِكرها ولا أبا عُذرها. (١) فكتب إليه عدِيٌّ : إن ذلك منى كليلة شَيْباء ! (٢)

وقال عُمرُ بْنُ عَبْدِ العزِيزِ رحمه الله تعالى : ياغلام ارفع ذلك النَّشِيلَ ! - يعنى روثا - وقيل له : أين خرج هذا الحِبن ؟ قال : تحت منكبى. (٣)

وقيل لِقُتَيْبَةَ : أين خرجَ بك هذا الخُراجُ ؟ قال : بين الرَّانِفَةِ والصَّفْنة (٤)

وقيل لِرَقَبة : (٥) ما بال القُراء أشد شىء نَهْمَة وغُلْمَة ؟ قال : أما الغُلْمة فإنهم لا يزنون ، وأما النَّهْمَة فلأنهم يصومون . وعرض عليه رجل الغداء فقال له : يا هذا ، إن أقسمتَ علىَّ وإلا فدعنى !

وقال مُوَرِّقُ العِجْلِيُّ : ما تكلَّمتُ بكلمة فى الغضب أندم عليها فى الرضا ، وقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة فما أجابنى ولا يئست منها ؛ ولا أتكلم إلا فيما يعنينى . قيل : مكتوب فى حكمة داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالما بأهل

(١) ابو عذرها : اول مفترع لبكارتها

(٢) ليلة شيباء : غالب ظلامها على نورها وتطلق على آخر ليلة من الشهر

(٣) الحبن : خراج كالدمل

(٤) هو قتيبة بن مسلم . الخراج : قرحة كالدمل الكبير . الرانفة : اسفل الالية . والصفنة : وعاء الخصية .

(٥) هو رقبة بن مصقلة

زمانه مالكا للسانه مقبلا على شانه . ولما قدم الفَرَزْدَقُ الشامَ قال له جَرِيرٌ — وكان هناك — : ما ظننت أنك تقدم بلداً أنا فيه ! قال الفرَزْدَقُ: إنى طالما خالفت رأىَ العَجَزَةِ ! وقال يونُسُ بْنُ حَبِيْب: إذ قالوا : غَلَبَ الشاعر فهو الغالبُ ، وإذا قالوا : مُغلَّبٌ ، فهو المغلوبُ . قال امْرُؤ القَيْسِ :

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَعَاجِزٍ ... ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ

وقال بعضهم :

إِنِّى امْرُؤٌ يَنْفَعُ قَوْمِى مَشْهَدِى ... أَذُبُّ عَنْهُمْ بِلِسَانِى وَيَدِى

وقال قُتَيْبَة بْنُ مُسْلِمٍ : إذا غَزَوتمْ فأطيلوا الاظفار وقصِّروا الشعور .

ونظر مخنثٌ إلى شيخ قبيح الوجه فى الطريق فقال: ألم ينهكم سُليمانُ بنُ داود عليهما السلام عن الخروج بالنهار ! ؟ (١)

وعزى أعرابى ناسا فقال : يرحم الله فلانا ، لقد كان كثير الإهالة (٢) دسم الأشداق ! وقال الشاعر :

تَرَى وَدَكَ السَّدِيفِ عَلَى لِحَاهُمْ ... كَلَوْنِ الرَّاءِ لَبَّدَهُ الصَّقِيعُ (٣)

وقال أعرابي: رحم الله فلانا ، إن كان لَضخم الكاهل ! ثم جلس وسكت. وقال آخر : كان والله نقىَّ الاظفار قليلَ الأسرار! وسارَّ رجلٌ أعرابياً بحديث فقال : أفهمتَ ؟ قال : بل نسيت !

هجاء وائلة السدوسى لعبد الملك بن المهلب

قال وَائِلَةَ بْنُ خَلِيفَةَ السَّدُوسِىِّ يهجو عَبْدَ المَلِكِ بْنَ المُهَلَّبِ :

لَقَدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أَعْوَادُ مِنْبَرٍ ... تَقُومُ عَلَيْهَا فى يَدَيْكَ قَضِيبُ

بَكَى المِنْبَرُ الغَرْبِىُّ إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ ... وَكَادَتْ مَسَامِيرُ الحَدِيدِ تَذُوبُ

(١) يريد انه يشبه الجن فى قبح وجهه

(٢) الاهالة : الدسم

(٣) الودك : الدسم : السديف : اللحم . الراء : شجر سهلي له ثمر ابيض تعلوه غبرة الصقيع : الجليد

رَأَيْتُكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي ... يُصِيبُ سَرَاةَ الأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ
سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ ... وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ المَزُونَ عُيُوبُ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رَسَاتِيقُ فَارِسٍ ... وَبِالمِصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ (١)
إِذَا عُصْبَةٌ ضَجَّتْ مِنَ الجُرْحِ نَاسَبَتْ ... مَزُونِيَّةً إِنَّ النَّسِيبَ نَسِيبُ

رثاء بشار لعمر بن حفص العتكي

وقال بشَّارُ الأعمى فى عُمَرَ بن حَفص : (٢)

مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا مَسْكُوبُ ... حَرِبَتْ فَأَنْتَ بِنَوْمِهَا مَحْرُوبُ (٣)
وَكَذَاكَ مَنْ صَحِبَ الحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ ... تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبُ (٤)
يَا أَرْضُ وَيْحَكِ أَكْرِمِيهِ فَإِنَّهُ ... لَمْ يَبْقَ لِلْعَتَكِيِّ فِيكِ ضَرِيبُ (٥)
أَبْهَى عَلَى خَشَبِ المَنَابِرِ قَائِمًا ... يَوْمًا وَأَحْزَمُ إِنْ تَشُبَّ حُرُوبُ
إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا ... يَومَ ابنُ حَفْصٍ فِي الدِّمَاءِ خَضِيبُ
لَا يَسْتَجِيبُ وَلَا يُحِيرُ لِسَانُهُ ... وَلَقَدْ يُحِيرُ لِسَانُهُ وَيُجِيبُ (٦)
غُلِبَ العَزَاءُ عَلَى ابْنِ حَفْصٍ وَالأَسَى ... إِنَّ العَزَاءَ بِمِثْلِهِ مَغْلُوبُ
إِذْ قِيلَ أَصْبَحَ فِي المَقَابِرِ ثَاوِيًا ... عُمَرٌ وَشُقَّ لِوَاؤُهُ المَنْصُوبُ
فَظَلِلْتُ أَنْدُبُ سَيْفَ آلِ مُحَمَّدٍ ... عُمَرًا وَعَزَّ هُنَالِكَ المَنْدُوبُ
فَعَلَيْكَ يَا عُمَرُ السَّلَامُ فَإِنَّنَا ... بَاكُوكَ مَا هَبَّتْ صَبًا وَجَنُوبُ

قال اسمعيلُ بنُ غزْوَانَ : الأصواتُ الحسنةُ والعقولُ الحسانُ كثيرة ،

---

(١) الرساتيق : المدن
(٢) راجع ص ٢٣٨ من الجزء الاول
(٣) محروب : مسلوب
(٤) نكوب : يريد نكبات
(٥) الضريب : المثيل والنظير
(٦) يحير : يتحرك بالكلام

والبيان الجيد والجمال البارع قليل .

وذكر أبو الحارث (١) صاحب مسجد ابن رغبان فقال : إنْ حدثته سابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكت عنه أخذ فى الترهات (٢) .

وقال أبو وهب : أنا استثقل الكلام كما يستثقل حريث السكوت . كما قال ابن شبرمة لإياس بن معاوية : شكلى وشكلك لا يتفقان ! أنت لا تشتهى أن تسكت وأنا لا أشتهى أن أسمع !

وقال أبو مقبل : بن درست : إذا لم يكن المستمع أحرص على الإستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل فى منطقه ، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالإستماع منه .

وقال ابن بشار البرقى : كان عندنا واحد يتكلم فى البلاغة فسمعته يقول : لو كنتُ أنا ليس أنا وأنا ابن من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه ، فكيف وأنا أنا وابن من انا منه ! ؟

وقالوا : ثلاث يسرع إليهن الخلف : الحريق والتزويج والحج .

قال المهلب : ليس شىء أنمى من بقية السيف . فوجد الناس تصديق قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من النماء .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : بقية السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً . ووجد الناس ذلك بالعيان للذى صار إليه ولده من نهك السيف وكثرة الذرء وكرم النجل .

قال الله تبارك وتعالى « وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الألْبَابِ » وقال بعض الحكماء : (٣) قتلُ البعض إحياء للجميع . وقال همّام الرقاشى :

أبْلِغْ أبَا مِسْمَعٍ عَنّى مُغَلْغَلَةً ... وَفى العِتَابِ حَيَاةٌ بيْنَ أقْوَامِ (٤)

(١) ابو الحارث : هو جمين المعروف بالنوادر
(٢) الترهات : الأباطيل
(٣) هو أردشير بن بابك ملك الفرس
(٤) المغلغلة : الرسالة المنتقلة من بلد إلى بلد

قَدَّمْتَ قَبْلِى رِجَالاً لَمْ يَكُنْ لَهُمُ ... فى الحق أنْ يَلِجُوا الأبْوَابَ قُدَّامى
لو عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ ... قَبْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الذَّامِ (١)
حتى جَعَلْتُ إذا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ ... بِبَابِ قَصْرِكَ أَدْلُوهَا بأَقْوَامِ

الحجاج وامرأة خارجية

وقال الحَجّاجُ لامرأة من الخوارج : والله لا عدنكم عدًّا ولأحصدنكم حصداً ! فقالت : أنت تحصد والله يزرع ، فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق !

ولم يظهر من عدد القتلى مثل الذى ظهر فى آل أبى طَالِبٍ وآل الزُّبَيْرِ وآل المُهَلَّبِ . وقال الشاعر فى آل الزُّبَيْرِ :

آلُ الزُّبَيْرِ بَنُو حُرَّةٍ ... مَرَوْا بالسُّيُوفِ صُدُوراً احناقًا (٢)
يَمُوتُونَ وَالقَتْلُ دَاءٌ لَهُمْ ... يُغَيِّشُونَ يومَ السِّبَاقِ السِّبَاقَا
إذَا فَرَّجَ القَتْلُ مِنْ عِيصِهِمْ ... أَبَى ذَلِكَ العِيصُ إلاَّ اتِّفَاقَا (٣)

إحترقت دار ثُمَامَةَ (٤) فقالوا له : ما أسرع خلَفَ الحريق ! قال : فأنا أستحق الله ! (٥) وقال ثُمَامَةُ : سمعت قاصًّا بعَبَّادَانَ (٦) يقول فى دعائه : أللهم ارزقنا الشهادة وجميع المسلمين ! قال : وتساقط الذُّبان على وجهه فقال : الله أكبر كثر الله بكم القبور ! قال : وسمع أعرابى رجلا يقرأ سورة براءة فقال : ينبغى أن يكون هذا آخر القرآن ! قيل له : ولم ؟ قال : رأيت عهوداً تُنبذ ! وقال أبُو عَبْدِ العَزِيزِ : قال الغَزَّالُ القَاصُّ فى قصصه : ليت الله لم يكن خلقنى وأنا الساعة أعور ! فحكيت

(١) منزل الذام : الموطن الذى يجلب الذم للانسان
(٢) مروا : مسحوا الحنق من الصدور
(٣) العيص : الشجر الملتف .
(٤) هو ثمامة بن اشرس النميرى المعتزلى
(٥) يقول هذا سخرية بقولهم
(٦) عبادان : بلد فى جزيرة بين النهرين

ذلك لأبى عَتَّابٍ الجزار فقال أبو عتاب : بئس ما قال !وددت والله الذى لا إله إلا هو أن الله لم يكن خلقنى وأنى الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين !

عمر والزبرقان والحطيئة

ولما استعدى الزبرقان على الحطيئة فأمر عمر بقطع لسانه ! قال الزبرقان : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تقطعه ! فان كنت لابد فاعلا فلا تقطعه فى بيت الزبرقان ! قيل له : إنه لم يذهب هناك ! إنما أراد أن يقطع لسانه عنك برغبة أو رهبة .

من كلام العرب

وتقول العرب : قتلت أرضٌ جاهلَها وقتل أرضاً عالمُها. وتقول : ذبحنى العطش، والمسك الذبيح ، وركب بنو فلان الفلاة فقطع العطش أعناقهم . وتقول العرب : فلان لسان القوم ونابهم الذى يَفْتَرُّونَ عنه ، وهؤلاء أنف القوم وخراطيمهم ، و بَيانُ (١) لسان الارض يوم القيامة، وفلان اصطلمه الوادى ، وفلان عين البلد .

قال الأصمعى ، قال رجل لأبى عمرو بن العلاء : أكرمك الله ! قال: محدثة ! قال : وكان أبو عون يقول: كيف أنت أصلحك الله .

وكان الأصمعى يقول: قولهم : جُعلتُ فداكَ وجعلنى الله فداك ، مُحْدَثٌ (٢) وقد روى علماء البَصْريين أن الحسن لما سمع صُراخا فى جنازة أم عَبْدِ الأعْلى بن عبدِ الله بن عامرٍ فالتفت قال له عبدُ الأعْلَى : جُعلت فداك ، لا والله ما أمرتُ ولا شعرت . قال الأصمعىُّ : صلى أعرابىٌّ فأطال الصلاة و إلى جانبه ناس فقالوا : ما أحسنَ صلاته ! قال : وأنا مع هذا صائم ! قال الشاعر :

---

(١) بيان : صقع من سواد البصرة فى الجانب الشرقى من دجلة

(٢) يعنى أن هذه عبارات لم تكن تعرفها العرب

صَلَّى فأَعْجَبَنِى وَصَامَ فَرَابَنِى ‏ ‏ ‏ عَدِّ القَلُوصَ عَنِ المصلِّى الصَّائِمِ (١)

وقال طاهرُ بنُ الحسين (٢) لابى عبدِ الله المَرْوَزى: منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله؟ قال: دخلتُ العراقَ منذ عشرين سنة، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة! قال: يا أباعبد الله، سالناك عن مسألة فأجبتناعن مسألتين؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عَوانةُ: قال زيادُ بنُ أبيهِ: من سعادة الرجل أن يطول عمره ويرى فى عدوه ما يسره. قال الباهِلى، قيل لأعرابى: ما بال المراثى أجودَ أشعاركم؟ قال: لأنا نقول وأكبادنا تحترق. قال أبو الحسن: كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا

(١) عد القلوص: يعنى مر به لئلا يسرقه هذا المصلى الصائم

(٢) هو الأمير طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الخزاعى بالولاء لأن رزيق كان مولى طلحة الطلحات الخزاعى. كان من أكابر أمراء الدولة العباسية وفحول قوادها. وكان يلقب «ذو اليمينين» وكان من أكبر اعوان المأمون، ولما خلع الأمين بيعة المأمون من ولاية العهد وجهز على بن عيسى ابن ماهان لقتال المأمون انتدب المأمون طاهراً لملاقاة على بن عيسى فلقيه بالرى وقتله واستولى على عسكره. وذلك فى سنة ١٩٥ وتقدم طاهر إلى بغداد واستولى على مافى طريقه من البلاد وحاصر الأمين ببغداد حتى قتله سنة ١٩٨ وحمل رأسه إلى خراسان ووضعه بين يدى المأمون. فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته. وكان طاهر شجاعا بطلا وفارسا كميا وقائدا دربا محنكا واديبا جامعا وخطيبا مصقعا وكريما جوادا. وقيل له لما بلغ مابلغ من علو المنزلة فى الدولة: ليهنك ماادركته من هذه المنزلة التى لم يدركها احد من نظرائك بخراسان؟ فقال: ليس يهنيني ذلك لأنى لا ارى عجائز بوشنج يتطلعن إلي من اعالى سطوحهن إذا مررت بهن! وإنما قال ذلك لأنه ولد ببوشنج ونشأ بها، وكان جده مصعب واليا على بوشنج وهراة. وركب بوماحراقته فلما دنت من الشطاعترضه شاعر فقال له:

عجبت لحراقة ابن الحسين ‏ ‏ ‏ لاغرقت كيف لا تغرق
وبحران من فوقها واحد ‏ ‏ ‏ وآخر من تحتها مطبق
واعجب من ذاك اعوادها ‏ ‏ ‏ وقد مسها كيف لاتورق

واراد قتل خالد بن جيلويه الكاتب فبذل له اموالا كثيرة فلم يقبل فقال له خالد: اسمع منى ثم شانك:

زعموا بان الصقر صادف مرة ‏ ‏ ‏ عصفور برساقه المقدور
فتكلم العصفور تحت جناحه ‏ ‏ ‏ والصقر منقض عليه بطير
ما كنت ياهذا لمثلك لقمة ‏ ‏ ‏ ولئن شويت فاننى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده ‏ ‏ ‏ كرما فأفلت ذلك العصفور

فقال طاهر: احسنت، وعفا عنه. وكان مولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى بمرو سنة ٢٠٧ هـ

أن يكون راوية للمراثى ، قيل : ولم ذاك ؟ قيل : لأنها تدل على مكارم الأخلاق

عمر والشعر

وقال عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضى الله تعالى عنه : من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم .

وقال شُعْبَةُ : (١) كان سماك بن حرب إذا كان له إلى الوالى حاجة قال فيه أبياتاً ثم يسأله حاجته .

لص ينطق بالحكمة

قال ابو الحسن : كان شِظَاظٌ (٢) لصاً فأغار على قوم من العرب ، فطرد نعمهم فساقها ليلته حتى أصبح ، فقال رجل من أصحابه : لقد أصبحنا على قصد من طريقنا! قال : « إن المحسن معان »

نجابة عبد الملك فى طفولته

وقال أبو الحسن : أربى غلام من بنى عَلِيٍّ على عبد الملك — وعبد الملك يومئذ غلام — فقال له كهل من كهولهم — لما رآه ممسكا عن جواب المُرْبى عليه: لو شكوتَه إلى عمه انتقم لك منه ! قال : أمسك يا كهل فانى لا أعدُّ انتقام غيرى انتقاماً!

قال أبو الحسن : خاض جلساء عبد الملك يوما فى قتل عثمان فقال رجل منهم: ياأمير المؤمنين، فى أى سنك كنت يومئذ؟ قال: كنت دون المحتلم ! قال: فما بلغ من حزنك عليه ؟ قال : شغلنى الغضب له عن الحزن عليه !

وكان عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضى الله تعالى عنه إذا اشترى رقيقاً قال: اللهم ارزقنى

---

(١) هو شعبة بن الحجاج

(٢) كان شظاظ مولى بنى تيم لصا فاتكا خاربا وكان من اصحاب مالك بن الريب . وله احداث فى السرقة والاغارة . صلبه الحجاج . وهذه الكلمة التى قالها من افضل ماقال إنسان

أنصحهم حياء، وأطولهم عمراً. وكان إذا استعمل رجلا قال: إن العمل كير فانظر كيف تخرج منه ! ؟

الكرخي المتفقه

ومضى أبو عَبْدِ الله الكَرْخِيُّ إلى الرَّبَضِ فجلس على بابه ونفش لحيته، وادَّعى الفقه، فوقف عليه رجل فقال له: إني أدخلت إصبعي في أنفي فخرج عليها دم! فقال: إحتجم! قال: جلستَ طبيباً أو فقيهاً !؟ قالوا: بينا الشَّعْبي جالس في مجلسه وأصحابه يناظرونه في الفقه وإذا شيخ بقربه قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسه فقال له: إني أجد في قفايَ حِكَّةً أفترى لي أن أحتجم؟ قال الشعبي: الحمد لله الذي حوّلنا من الفقه إلى الحِجَامة! وذكر ناس رجلا بكثرة الصوم وطول الصلاة وشدَّة الاجتهاد فقال أعرابي كان شاهداً لكلامهم: بئس الرجل هذا! أيظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب . . . ! ؟

وقال ابنُ عَوْنٍ: أدركتُ ثلاثة يتشددون في السَّماع (١) وثلاثة يتساهلون في الأغاني، فأما الذين يتساهلون: فالحسنُ والشَّعبي والنَّخَعيُّ، وأما الذين يتشددون: فمحمد بنُ سيرينَ والقاسمُ بنُ محمد (٢) ورجاء بنُ حَيْوَةَ

وقال رجل من أصحاب ابنِ لَهِيعَةَ: (٣) ما رأيت أحسن أدباً من عبدِ الله ابن المباركِ والمُعافَى بنِ عِمْرَان! قال أبو الحسن، حدثني عبدُ الأعلى قال: رأيتُ الطِرِمَّاح مؤدباً بالريِّ فلم أر أحداً آخذُ لعقول الرجال ولا أجذب لأسماعهم إلى حديثه منه! ولقد رأيتُ الصبيان يخرجون من عنده كأنهم قد جالسوا العلماء.

وكان رجلٌ يبلغه كلام الحَسَنِ البصْرِيِّ، فبينا الرجل يطوف بالبيت إذ سمع

(١) يريد سماع الأغاني

(٢) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

(٣) هو عبد الله بن لهيعة الحضرمي ، كان من المحدثين ، مات بمصر سنة ١٧٤ هـ

رجلا يقول: عجباً لقوم أُمروا بالزّاد ونُودى فيهم بالرَّحيل وحُبس أولهم على آخرهم!

قال: فقلت فى نفسى: هذا الحسن!

قال: وأربعةٌ من قُرَيشٍ كانوا رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والأخبار: مَخْرَمَةُ بنُ نوفل بنِ وَهيبِ بن عبد مناف بنِ زُهْرَة، وأبوالجَهْمِ ابنُ حذَيفة بنِ غانمِ بنِ عامرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عوفٍ، وحُوَيطِبُ بنُ عبدِ العُزّى، وعقيلُ بنُ أبى طالبٍ.

وكان عقيلٌ أكثرهم ذكراً لمثالبِ الناس فعادوه لذلك وقالوا فيه وحمّقوه، وسمعتْ ذلك العامةُ منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول: قد سمعتُ الرجل يحمّقه حتى ألّف بعضُ الأعداء فيه الأحاديث، فمنها قولهم: ثلاثةٌ حُمقاء كانوا إخوة ثلاثةٍ عقلاء والأم واحدة: علىٌّ وعقيلٌ وأُمهما فاطمةُ بنتُ أسدِ بنِ هاشم، وعُتبةُ ومعاويةُ ابنا أبى سفيانٍ وأُمهما هندُ بنتُ عتبةَ بنِ رَبيعةَ (١) وعبدُ الملكِ ومعاويةُ ابنا مَرْوان وأُمهما عائشةُ بنتُ معاويةَ بن المغيْرَة بن أبى العاص!

فكيف وجعْدَةُ بنُ هُبيْرَةَ يقول:

أبى مِنْ بنى مَخزومَ إنْ كنتَ سائلاً ... وَمِن هاشمٍ أُمّى لَخيْرُ قَبيلِ
فمَنْ ذا الذى يبْآى علىَّ بخالهِ ... وَخالى علىٌّ ذو النّدى وَعقيلُ (٢)

وقال قُدامةُ بنُ مُوسى بن قدامةَ بنِ مظعونٍ:

وَخالى بُغاةُ الخيْرِ تعْلَمُ أنّهُ ... جَديرٌ بقَولِ الحَقِّ لا يتَوعّرُ
وَجدّى علىٌّ ذُو التقَى وَابْنُ أُمّهِ ... عَقيلٌ وَخالى ذُ الجَناحيْنِ جعفرُ
فَنَحنُ وُلاةُ الخيرِ فى كلّ مَوْطنٍ ... إذا ما وَنَى عنْهُ رِجالٌ وقصّرُوا

وقال حسّانُ: (٣)

---

(١) ذكر ابن أبى الحديد ان عتبة لأم غير هند

(٢) يباآى: يفاخر

(٣) هذه قصيدة قالها حسان بن ثابت الانصارى يذكر فيها اصحاب اللواء يوم احد، واولها:

منع النوم بالعشاء الهموم ... وخيال إذا تغور النجوم
من حبيب اصاب قلبك منه ... سقم فهو داخل مكتوم

إنَّ خالي خَطيبُ جابيةِ الجوْ ... لانِ عندَ النُّعْمانِ حينَ يَقومُ (١)
وَهْوَ الصقْرُ عندَ بابِ ابْنِ سَلْمَى ... يومَ نُعْمانُ في الكُبولِ مُقيمُ (٢)
وَسَطَتْ نِسْبَتي الذّوائبَ مِنْهُمْ ... كلُّ دارٍ فيها أبٌ لي عَظيمُ (٣)
وأبي في سُمَيْحةَ القائلُ الفا ... صِلُ يومَ التفتْ عليهِ الخُصومُ (٤)
يَفصِلُ القوْلَ بالبَيانِ وَذُو الرأْ ... يِ مِنَ القوْمِ ظالعٌ مَكْعُومُ (٥)
تلكَ أفعالُهُ وَفعلُ الزّبَعْرَى ... خامِلٌ في صديقِهِ مَذْمومُ (٦)
رُبَّ حِلْمٍ أضاعَهُ عَدَمُ الما ... لِ وجَهْلٍ غطّى عليهِ النَّعيمُ (٧)
وَلِيَ الناسَ مِنكمْ إذْ أتَيْتمْ ... أسْرَةٌ مِنْ بَني قُصَيٍّ صَميمُ (٨)

بالقوم هل يقتل المرء مثلى ... واهن البطش والعظام سؤم
همها العطار والفراش ويعلو ... ها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولى من ولد الذ ... ر عليها لاندبتها الكلوم
لم تفتها شمس النهار بشيء ... غير ان الشباب ليس يدوم

(١) خاله : هو مسلمة بن مخلد بن الصامت . وجابية الجولان : قرية من اعمال دمشق قرب مرج الصفر في شمالي حوران

(٢) وهو الصقر . الرواية الصحيحة : وانا الصقر . لأن حسان هو الذى وفد على النعمان ابن المنذر (ابن سلمي) اللخمى في شأن خلاص نعمان بن مالك وغيره ممن كانوا في حبسه فاطلقهم له . ثم ذكر من كانوا في حبس النعمان فقال :

وأبي ووافد اطلقا لى ... ثم رحنا وقفلهم محطوم
ورهنت اليدين عنهم جميعا ... كل كف فيها جز مقسوم

(٣) وسطت نسبتى : توسط نسبى . الذوائب : الأشراف

(٤) سميحة : اسم بئر بالمدينة اجتمعت عندها الأوس والخزرج في بعض حروبها في الجاهلية وحكمت المذرجد حسان في شأنها

(٥) هذا البيت ليس في ديوانه المطبوع . ورواية الجاحظ له صحيحة

(٦) تلك افعاله . الرواية الصحيحة : تلك افعالنا . والزبعرى : هو والد عبد الله بن الزبعري شاعر قريش قبل إسلامها

(٧) هذا بيت من غوالى الحكم

(٨) وفى الديوان :

ولى البأس منكم إذ حضرتم ... اسرة من بنى قصي صميم

وبعده :

تسعة تحمل اللواء وطارت ... في رعاع من القنا مخزوم
لم يولوا حتى ابيدوا جميعا ... في مقام وكلهم مذموم
بدم عانك وكان حفاظا ... ان يقيموا إن الكريم كريم
واقاموا حتى ازيروا شعوبا ... والقنا في نحورهم محطوم

وَقُرَيْشٌ تَجُولُ مِنَّا لِوَاذاً أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الحُلُومُ (١)
لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ العَوَاتِقُ مِنهم إِنَّمَا يَحْمِلُ اللِّوَاءَ النُّجُومُ (٢)

عقيل بن أبي طالب

وكان عَقيل رجلا قد كُفَّ بصره وله بعدُ لِسانه ونسبُه وأدبه وجوابه، فلما فضلَ نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول، وغاضبَ عليّاً وأقام بالشام فكان ذلك أيضاً أطلق للسان الباغى والحاسد فيه، وزعموا أنه قال له مُعاوية: هذا أبو يَزِيدَ ولولا أنه علم أنى خيرٌ له من أخيه لما أقام عندنا وتركه! فقال له عَقيلٌ: أخى خير لى فى دينى وأنت خير لى فى دنياى. وقال له مرة: أنت معنا يا أبا يزيدْ؟ قال: ويوم بدر كنت معكم..!؟

وقال مُعاويةُ يوماً: يا أهل الشام هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز «تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ»؟ قالوا: نعم، قال: فان أبا لهبٍ عمُّه! فقال عَقيلٌ: فهل سمعتم قول الله عز وجل «وامرأتُه حَمَّالَةَ الحطبِ»؟ قالوا: نعم، قال: فإنها عمته! قال مُعاويةُ: حَسبُنا ما لقينا من أخيك!؟

وذكروا أن امرأة عَقيل وهى فاطمة بنت عُتبة بن رَبيعة قالت: يابنى هاشم لا يحبكم قلبى أبداً! أين أبى، أين عمى، أين أخى؟ (٣) كأن أعناقهم أباريق الفضة ترد أنفهم قبل شفاههم! قال لها عَقيلٌ: إذا دخلت جهنم فخذى على شمالك!

وقيل لعمر رضى الله تعالى عنه: فلان لا يعرف الشر! قال: ذلك أجدر أن يقع فيه! وسمع أعرابىٌّ رجلا يقرأ: «وحملْناهُ على ذاتِ ألْوَاحٍ ودُسُرٍ تجرِى

---

(١) فى الديوان: «وقريش تحول» و «لم يقيموا»
(٢) العواتق جمع عاتق وهو ما بين كتف الانسان وعنقه. والنجوم ههنا يراد بها أشراف الناس
(٣) قتلوا جميعا يوم بدر. فأما ابوها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فقتله عبيدة بن الحارث بن المطلب واما عمها شيبة بن ربيعة فقتله حمزة بن عبد المطلب، وأما أخوها الوليد بن عتبة بن ربيعة فقتله على بن ابى طالب

بأعيننا جزاء لمن كان كُفِر » قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي : لايكون!
فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي : يكون .

تشابيه من الشعر

قال الشاعر :

بَدَا البرقُ مِن نحوِ الحجازِ فشاقني ... وكلُّ حجازيٍّ له البرقُ شائقُ (١)
سرى مثلَ نبضِ العِرقِ والليلُ دونَه ... وأعلامُ أبلَى كلُّها والأسالقُ (٢)

وقال الآخر :

أرِقتُ لبرقٍ آخرَ الليلِ يلمعُ ... سرى دائبًا فيها يهبُّ ويهجعُ
سرى كاحتساءِ الطيرِ والليلُ ضاربٌ ... بأرواقِهِ والصبحُ قد كاد يسطعُ

المنصور والشاب الهاشمي

حدثني إبراهيمُ بنُ السِّنديِّ عن أبيه (٣) قال : دخل شابٌ من بني هاشم على المنصورِ فسأله عن وفاة أبيه ؟ فقال : مَرِضَ أبي رضى الله تعالى عنه يوم كذا ومات رضى الله تعالى عنه يوم كذا ، وترك رضى الله تعالى عنه من المال كذا ومن الولد كذا ! فانتهره الربيعُ وقال : بين يدي أمير المؤمنين توالى بالدعاء لأبيك ! فقال الشاب : لا ألومك لأنك لم تعرف حلاوة الآباء ! (٤) قال : فما علمنا أن المنصور ضحك في مجلسه ضحكا قطُّ افترَّ عن نواجذه إلا يومئذ .

آداب الملوك

وحدثني إبراهيم بن السندي عن أبيه قال : دخل شاب (٥) من بني هاشم على المنصور فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه فقال للفتى : أُدْنُه ؟ فقال لقد تغدّيت

(١) شاقه : بعث فيه الشوق
(٢) ابلى جبيل من جبال بين مكة والمدينة
(٣) كان ابوه السندي بن شاهك مولى ابي جعفر المنصور وكان على عقل وادب مرضى
(٤) لأن الربيع بن يونس كان يغمز في نسبه من ابيه
(٥) زعم صاحب كتاب المحاسن والمساوي أن هذا الشاب هو محمد بن عيسى بن على العباسي الهاشمي

يا أمير المؤمنين ! فكف عنه الربيع حتى ظننا أنه لم يفطن لخطابه ، فلما نهض للخروج أمهله فلما كان من وراء الستر دفعَ في قفاه ! فلما رأى ذلك الحجّاب منه دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار ! فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الرّبيع إلى المنصور ، فقال المنصور : إن الربيع لا يُقدم على مثل هذا إلا وفي يديه حُجة فإن شئتم أغضيتم على مافيها وإن شئتم سألته وأنتم تسمعون ! قالوا : فاسأله ؟ ودعا الرّبيع وقصوا قصته فقال الرّبيع : هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف ، فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قريب ، ثم أمره بالجلوس ، ثم تبذّل بين يديه وأكل ، ثم دعاه إلى طعام ليأكل معه من مائدته فبلغ به الجهل بفضيلة المرتبة التي صيّرَه فيها إلى أن قال حين دعاه إلى غدائه : قد تغديت ! وإذاً ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سدّ خلة الجوع ! ومثل هذا لا يقَوِّمُه القول دون الفعل.

حدثني إبراهيم بنُ السِّندي عن أبيه قال : والله إني لواقف على رأس الرّشيد والفضلُ بنُ الربيع واقف في الأيسر ، والحسنُ اللُّؤلؤي يسائله ويحدثه عن أمور وكان آخر ما سأله عن بيع أمهات الأولاد ! فلولا أني ذكرت أن سلطان ماوراء الستر للحاجب وسلطان الدار لصاحب الحرس وأن سلطاني إنما هو على من خرج من حدود الدار ، لقد كنت أخذت بضبعه وأقمته ! فلما أن صرنا وراء الستر قلت له والفضل يسمع : أما والله لو كان هذا منك في مسايرة أو موقف لعلمتَ أن للخلافة رجالا يصونونها عن مجالسك ! ؟ (١)

وحدثني ابراهيمُ بنُ السِّندي قال : بينا الحسنُ اللُّؤلؤي في بعض الليالي بالرّقة يحدث المأمون — والمأمونُ يومئذ أمير — إذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤي : نمت أيها الأمير ! ففتح المأمون عينه وقال : سوقي والله ! خذ ياغلام بيده ؟ قال : وكنا يوماً عند زيادِ بن محمد بنِ منصورِ بن زيادٍ — وقد هيأ لنا الفضلُ بن محمد طعاما ومعنا في المجلس خادمٌ وكان لا يُتهم — فجاء رسول الفضلِ إلى زيادٍ

(١) قال له هذا لان من سوء الادب ان يخاطب الرشيد في هذا الشأن وهو يعلم ان الرشيد لام ولد وهي الخيزران .

فقال : يقول لك أخوك : قد أدرك طعامنا فتحولوا ؟ ومعنا فى المجلس ابراهيم النظّام وأحمدُ بن يوسف وقُطربُ النحوى ، فى رجال من أدباء الناس وعلمائهم ، فما منا أحد فطن لخطأ الرسول ! فأقبل عليه مبشر الخادم فقال : يا ابن اللخناء ، تقف على رأس سيدك فتستفتح الكلام كما يستفتحه الرجل من عُرض الناس ! ؟ ألا تقول : ياسيدى يقول لك أخوك : ترى أن تصير إلينا بإخوانك فقد تهيأ أمرنا ! ؟

يجب للأديب ما يجب للملك من حقوق الخدمة

وابتعت خادماً كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك ، فمر به خادم من معارفه ممن خدم الملوك فقال : إن الأديب ـ وإن لم يكن ملكا ـ فقد يجب على الخادم أن يَخْدُمَهُ خدمة الملوك ، فانظر أن تَخْدُمَه خدمة تامة ! قلت له : وما الخدمة التامة ؟ قال : ألخدمة التامة أن تقوم فى دارك لبعض الأمر وبينك وبين النعل مَمشَى خمس خُطى فلا يدعك أن تمشى إليها ولكن يأخذها ويدنيها منك ! ومَن كان يضع النعل اليسرَى قدام الرجل اليمنى فلا ينبغى لمثل هذا أن يدخل دار ملك ولا أديب ، ومن الخدمة التامة أن يكون إذا رأى متكئاً يحتاج إلى مِخَدَّةٍ أن لاينتظر أمرك ! ويتعاهد لِيقَةَ الدواة قبل أن تأمره أن يصب فيها ماء أوسواداً وينفض عنها الغُبار قبل أن يأتيك بها ، وإن رأى بين يديك قرطاساً على طيه قطع رأسه ووضع بين يديك على كسره ، وأشباه ذلك .

ولما كلم عُروَةُ بنُ مسعود الثَّقَفِىُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك ربما مس لحيةَ النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له المغيرةُ بنُ شُعبةَ : نحِّ يدك عن لحيةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لاترجع إليك يدك ! فقال عُرْوة : يا غُدَرْ ، وهل غسلتَ رأسك من غَدرتك إلا بالأمس ! ؟ (١)

ونادى رجالٌ من وفد بَنى تميمٍ النبىَّ صلى الله عليه وسلم باسمه من وراء

(١) زعموا أن المغيرة صحب ناسا فى ايام الجاهلية فى تجارة إلى مصر فلما كانوا ببعض الطريق قتلهم واخذ اموالهم ثم ذهب فأسلم

الحُجُراتِ فقال الله تعالى « إن الذين يُنادُونكَ مِن وَرَاء الحُجُراتِ أكثرُهُم لا يعقِلونَ » وقال الله عز وجل ذكره « لاتجعلوا دُعاء الرَّسولِ بينكم كدُعاء بَعضِكم بعضاً ». وقال ابنُ هرمَة أو غيره : (١)

لله دَرُّ سَمَيذَعٍ فجعتْ به ... يومَ البَقيعِ حَوادِثُ الأيَّامِ (٢)

هَشٍّ إذا نَزَلَ الوُفودُ ببابهِ ... سهلِ الحِجابِ مُؤدَّبِ الخُدَّامِ (٣)

فاذا رأيتَ شَقيقَهُ وَصديقَهُ ... لم تدرِ أيُّهما أخو الأرْحامِ (٤)

من نوادر الأعراب

قال أبو الحسن : بيناهِشامٌ يسير ومعه أعرابى إذ انتهى إلى ميل عليه كتاب فقال للأعرابى . أنظر أيّ ميل هذا ؟ فنظر ثم رجع اليه فقال : عليه مِحجَنٌ وحلقة وثلاثة كأطْباءِ الكلبةِ ورأسٌ كأنه رأس قَطاة ! فعرفه هِشامٌ بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابى ، وكان عليه « خمسة » وهى من نوادر الأعراب .

إستشهدوا أعرابياً على رجل وامرأة فقال : رأيته قد تقمَّصها يحفزها بمؤخره ويجذبها بقدمه ! وخفى عليّ المسلك . وقال آخر : رأيته قد تبطنهاورأيتُ خلخالها شائلا وسمعتُ نفَساً عالياً ! ولا علم لى بشىء بعدُ . (٥)

وقال أعرابى : رأيت هذا قد تناول حجراً فالتفَّ بهذا ! وحجز الناسُ بينهم وإذا هذا يستدمى !

(١) الشعر لمحمد بن بشير الخارجي ، نسبة إلى بنى خارجة بن عدوان . كان شاعرا فصيحا مطبوعا من شعراء الحجاز فى عهد الدولة الاموية . وكان كثيرا ما يذهب إلى بوادي المدينة ويلقى الاعراب وكان انقطاعه إلى ابى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى . وله فيه مدائح جيدة ومراث مختارة هي خير شعره .

(٢) ويروى : نعم الفتى فجعت به إخوانه

(٣) ويروى : سهل الفناء إذا حللت ببابه ... طلق اليدين مؤدب الخدام

(٤) ويروى : وإذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تدر ايهما ذوو الارحام

(٥) يظهر ان هؤلاء هم الذين شهدوا على المغيرة امام عمر

كلام في الشيب

وقال بعضهم : ألشيب نذير الآخرة . وقال قَيْسُ بنُ عاصِمٍ : ألشيب خِطام المنية . وقال آخر : ألشيب توْأَمُ الموت . وقال الحكيم : شيب الشَّعَرِ موت الشعر وموت الشعر علةُ موت البشر . وقال المُعْتَمِرُ بنُ سليمان : ألشيب أول مراحل الموت . وقال السَّهْمِيُّ : ألشيب تمهيد الحِمام . وقال العَتَّابيُّ : ألشيب تاريخ الكتاب .[١] وقال النَّمري : ألشيب عنوان الكبر . وقال عَدِيُّ بنُ زَيدٍ العِبادِيُّ :

وَابْيِضَاضُ السَّوَادِ مِن نُذُرِ الشَّيْـ ـبِ وَهَلْ مِثْلُهُ لِحَيٍّ نَذِيرُ ؟

وقال الآخر :

أَصْبَحَ الشَّيْبُ في المفارِقِ شاعا وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بَيَاضٍ قِناعا

ثُمَّ وَلَّى الشَّبابُ إلا قليلاً ثُم يأْبَى القَليلُ إلا النَّزاعا

كلمات لأشعب

وقال رجل لِأشعب :[٢] ما شكرتَ معروفي عندك ! قال : لأن معروفك جاء من عند غير مُحْتسب فوقع إلى غير شاكر ! وخفف أشعب الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد : خففت صلاتك جداً ! فقال : لأنه لم يخالطها رياء .

كلام لبعض المتكلمين من الخطباء

ألحمد لله كما هو أهله والسلام على أنبيائه المقربين الطيبين ، أخي ، لاتغترَّ بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تُعملن نعمة الله في معصيته ، فان أقل

(١) تاريخ الكتاب لانه يكتب في آخره

(٢) هو اشعب بن جبير . المشهور بالطمع وله فيه احاديث ونوادر كثيرة . وكان ابوه خرج مع المختار بن ابي عبيد الثقفي وقتله مصعب بن الزبير . ونشأ اشعب بالمدينة في كفالة عائشة بنت عثمان ابن عفان وفي خدمتها . وكان خفيف الروح حاضر الجواب جيد النكتة

ما يجب لمهديها ألا تجعلها ذريعة فى مخالفته، واعلم أن النعم نوافر، ولقلما أقشعت[١] نافرة فرجعت فى نصابها، فاستدع شاردها بالتوبة، واستدم الراهن منها بكرم الجوار، واستفتح باب المزيد بحسن التوكل، ولا تحسب أن سبوغ ستر نعم الله عليك غير متقلص عما قريب إذا لم ترج لله وقاراً، وإنى لأخشى أن يأتيك أمر الله بغتة أو لإملاء[٢] فهو أولى مغبة وأثبت فى الحجة، ولأن لا تعلم ولا تعمل خير من أن تعلم ولا تعمل! إن الجاهل العامل لم يؤت من سوء نية ولا استخفاف بربوبية، وليس كمن قهرته الحجة وأعرب له الحق مفصحاً عن نفسه فآثر الغفلة والخسيس من الشهوة على الله تبارك وتعالى، فأسمحت[٣] نفسه عن الجنة وأسلمها لأبد العقوبة، فاستشر عقلك وراجع نفسك وادرس نعم الله عليك وتذكر إحسانه إليك فانه مجلبة للحياء ومردعة للشهوة[٤] ومشحذة على الطاعة، فقد أظل البلاء أو كأن قد! فكفكف عنك غرب شؤبوبه وجوانح سطواته بسرعة النزع وطول التضرع.

ثلاث هى أسرع فى العقل من النار فى يبيس العرفج:[٥] إهمال الفكرة وطول التمنى والإستغراب فى الضحك، إن الله لم يخلق النار عبثاً ولا الجنة هملا ولا الانسان سدى! فاعترف رق العبودية وعجز البشرية، فكل زائد ناقص وكل قرين مفارق، وكل غنى محتاج وإن عصفت به الخيلاء وأبطره العجب وصال على الأقران فإنه مذال مدبر ومقهور ميسر، إن جاع سخط المحنة وإن شبع بطر النعمة، ترضيه اللمحة فيستشرى مرحاً، وتغضبه الكلمة فيستطير شفقاً[٦] حتى تنفسخ لذلك منته[٧] وتنتقض مريرته وتضطرب

(١) اقشعت : زالت
(٢) لاملاء : لتراخ مع الزمن
(٣) اسمحت : رضيت بتركها
(٤) مردعة : كافة وازعة
(٥) العرفج : شجر سريع الاحتراق
(٦) شفقا : خوفا وحذراً
(٧) منته : قوته

فريضته وتنتشر عليه حجته ، وللعجب من لبيب توبقه الحياطة ويسلم مع الاضاعة ويؤتى من الثقة ولا يشعر بالعاقبة ! إن أهمل عمى وإن علم نسى ! كيف لم يتخذ الحق معقلاً ينجيه(١) والتوكل ذائداً(٢) يحميه ! أعمى عن الدلائل وعن وضوح الحجة ! أم آثر الخسيس على الأجل النفيس ! وكيف توجد هذه الصفة مع صحة العقيدة واعتدال الفطرة ! وكيف يشير رائد العقل بإيثار القليل الفانى على الكثير الباقى ؟ !

وما أظن الذى أقعدك عن تناول الحظ مع قرب مجناه — حتى صار لا يثنيك زجر الوعيد ولا يقدح فى عزماتك فوت الجنة ، وحتى ثقلت على سمعك الموعظة ونأت عن قلبك العبرة — إلا طول مجاورة التقصير واعتياد الراحة والأنس بالهوينا(٣) وإيثار الأخف وإلف قرين السوء ! فاذكر الموت وأدم الفكرة فيه فإن من لم يعتبر بما رأى لا يعتبر بما لا يرى ، وإن كان ما يوجد بالعيان من مواقع العبرة لا يكشف لك عن قبيح ما أنت عليه وهجنة(٤) ما أصبحت فيه من إيثار باطلك على حق الله واختيار الوهن(٥) على القوة والتفريط على الحزم والاشفاق على الدون واصطناع العار والتعرض للمقت وبسط لسان العائب — فمستنبطات الغيب أحرى بالعجز عن تحريكك ونقلك عن سوء العادة التى آثرتها على ربك فاستحى لِلُبِّكَ واستبق ما أفضل الخذلان من قوتك ، قبل أن يستولى عليه الطبع ويشتد عليه العجز ، أو ماعلمت أن المعصية تثمر المذلة وتفل غرب اللسان(٦) مع السلاطة ! بل ماعلمت أن المستشعر بذل الخطيئة المخرج نفسه من كنف العصمة المتحلى بدنس الفاحشة قطف الثناء زمر المروءة قصى المجلس

(١) معقلا : ملجأ

(٢) ذائدا : مدافعا

(٣) الهوينا : التهاون والاهمال

(٤) الهجنة : القبيح

(٥) الوهن : الضعف

(٦) تفل غرب اللسان : تثلم حده

لايشاوَرُ وهو ذو بَذْلاء(١) ولا يصدَّرُ وهو جميلُ الرُّواء ! يسالم من كان يسطو عليه ، ويضرعُ لمن كان يرغبُ إليه ، يَجْذَل(٢) بحاله المُبْغضُ الشانى ويُثلبُ بقربه القريبُ الدانى ! غامضُ الشخص ضئيل الصوت نَزْرُ الكلام متلجلجُ الحجة ، يتوقعُ الإسكات عند كل كلمة وهو يرى فضلَ مزيته وصريح لبه وحُسن فضيلته ، ولكن قطعهُ سوء ماجَنى على نفسه ولولم تطَّلع عليه عيون الخليقة ، لهجت العقول بإدهانه(٣) وكيف يمتنع من سقوط القدر وظن المُتَفَرِّس من عَرِى من حلية التقوى وسُلب طائع الهدى ! ولو لم يتغشَّهُ ثوبُ سريرته وقبيحُ مااحتجن(٤) إليه من مخالفة ربه لأضرعته الحجة(٥) ولفسخهُ وهنُ الخطيئة ولقطعه العلم بقبيح ما قارف(٦) عن اقتدار ذوى الطهارة فى الكلام وإدلال أهل البراءة فى النداء ! وهذه حال الخاطىء فى عاجل الدنيا ، فاذا كان يوم الجزاء الأكبر فهو عانٍ لا يُفك(٧) وأسيرٌ لايُفادى وعاريةٌ لاتؤدّى ، فاحذر عادةَ العجز وإلفَ الفُكاهة وحب الكفاية ، وقلة الاكتراث للخطيئة والتأسف على الفائت منها وضعف الندم فى أعقابها .

أخى ، أنعى إليك القاسى فانه ميت وإن كان متحركا ، وأعمَى وإن كان رائيًا ، فاحذر القسوة فانها رأس الخطايا وأمارة الطبع ، وهى الشوهاء العاقر والداهية العُقام ! وأراك تركض فى حبائلها وتستقبسُ من شررها ، ولا بأس أن يعظ المُقصِّرُ مالم يكن هاذيًا ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، ورُبَّ حامل علم إلى من هو أعلم منه ! علَّمنا الله وإياكم مافيه نجاتنا وأعاننا وإياكم على تأدية ما كلفنا، والسلام.

***

(١) قطف الثناء : ضعيفه . زمر المروءة : لئيم . بذلاء : هيئة

(٢) يجذل : يفرح

(٣) الادهان : المصانعة

(٤) احتجن : اخفى

(٥) لأضرعته : لأذلته

(٦) قارف : ارتكب من الاثم

(٧) عان : مقيدبذنوبه

قال : وقلت لِحُبابٍ : إنك تكذب فى الحديث ![1] فقال : وما عليك إذا كان الذى أزيد فيه أحسن منه ! فوالله ما ينفعك صدقه ولا يضرك كذبه ، وما يدور الأمر إلا على لفظ جيد ومعنى حسن ! ولكنك والله لو أردت ذلك لتلجلج لسانك وذهب كلامك .

نوادر لبعض الأعراب

قال أبو الحسن : سمع أعرابىٌّ رجلا يقول : أشهدُ أنَّ محمداً رسولَ اللهِ ! قال : يفعل ماذا !؟[2] وكان يقالُ : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره .

أبو الحسن قال : قرأ رجل فى زمن عُمرَ بْنِ الخطَّاب رضى الله تعالى عنه « فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ » غَفورٌ رَحِيمٌ ! فقال الأعرابى : لايكون ![3]

واعظ بين يدى المهدى

قال : ودخل على المَهْدِىِّ صالح بْنُ عَبْدِ الجليل فسأله أن يأذن له فى الكلام فقال : تكلم ؟ فقال : إنَّا لمَّا سُهِلَ علينا ما توعَّر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم باظهار مافى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى عند انقطاع عذر الكتمان فى التَّقية[4] ولا سيما حين اتَّسمتَ بِميسم التواضع ووعدت الله وحملة كتابه إيثارَ الحق على ما سواه ، فجمعنا و إياك مشهدٌ من مشاهد التمحيص ليتم مُؤدينا عَلَى موعود الأداء عنهم وقابلُنا على موعد

(١) يريد بالحديث ههنا ما يرويه من اخبار الناس واقوالهم

(٢) يعنى أن خبر إن غير حاصل

(٣) يريد الأعرابى أن المقام ليس مقام رحمة وغفران ، وقد فطن لذلك بسلامة طبعه وصحة سليقته، فقراءة الآية على هذه الصورة خطأ ، والصواب : « فاعلم ان الله عزيز حكيم » وهذا هو مقتضى المقام

(٤) التقية : الامساك عن إبداء الراى او المذهب خوف السلطان

القبول ، أو يردنا تمحيص الله إيانا فى اختلاف السر والعلانية ويحلينا بحلية الكاذبين ! فقد كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مَن حَجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذاباً من أقبل إليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى اللهُ إليه علماً فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها ، فاقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل لا قبولا فيه سُمعة ورياء ، فانه لايخلفك منا إعلام لما تجهل أو مُواطأة على ما تعلم ، أو تذكير لك من غفلة ، فقد وطّن الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على نزولها تعزية عما فات وتحصيناً من التمادى ودلالة على المخرج فقال : « وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العليمُ » فاطلع الله على قلبك بما ينور الله به القلوب من إيثار الحق ومُنابذة الأهواء ، فانك إن لم تفعل ذلك يُرى أثرك وأثرُ الله عليك فيه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

تعزية معاوية عن سن سقطت له

قال : ودخل رجل على مُعاوية وقد سقطت [بعض] أسنانه فقال : يا أمير المؤمنين إن الأعضاء يَرث بعضها بعضاً ، فالحمد لله الذى جعلك وارثها ولم يجعلها وارثتك .

تأبين عمر بن عبد العزيز لابنه

وحدثنا إسماعيلُ بن عُليَّة قال ، حدثنا زياد بنُ حسّان : أنه شهد عُمَرَ بن عبدِ العزيز حين دفن إبنه عبدَ الملك فلما سوّى عليه قبره بالأرض وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة ، واستوى قائماً وأحاط به الناس قال : رحمك الله يابنى ، فقد كنت بَرّاً بأبيك ، وما زلتُ مذ وهبك الله لى بك مسروراً ، ولا والله ما كنت

قط مسروراً بك ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى الموضع الذى صَيّرَكَ الله إليه ، فغفر الله لك ذنبك وجازاك بأحسن عملك وتجاوز عن سيآتك ورحم الله كلّ شافع يشفع لك بخير مِن شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلّمنا لأمره ، فالحمد لله رب العالمين . ثم انصرف

حديث عمرو بن معاوية

عن طارق بْنِ المُبَارَكِ عن أبيه[(١)] قال : قال لى عَمْرو بْنُ معاويةَ بْنِ عُتْبَةَ : جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثيرُ العيال منتشرُ الأموال ، فكنت لا أكونُ فى قبيلة إلاّ شُهِرَ أمرى [وعرفت][(٢)] فلما رأيت ذلك عزمتُ[(٣)] على على أن أفدِىَ حُرَمى بنفسى ![(٤)] قال المبارك : فأرسل إلىَّ أن وافنى عند باب الأمير سُلَيْمَانِ بن على .[(٥)] قال : فأتيته ، فاذا عليه طَيْلَسَانٌ أبيض مُطْبَقٌ وسراويل وشْيٍ مَسْدولٌ . قال : فقلت : ياسبحان الله ! ما تصنع الحداثة بأهلها[(٦)] إن هذا ليس من لباس اليوم ! قال : لا والله ولكن ليس عندى ثوب إلا أشهر مما ترى[(٧)] قال : فأعطيته طيلسانى وأخذت طيلسانه ، ولويتُ سراويله إلى ركبتيه قال : فدخل ثم خرج إلىّ مسروراً ، قال : فقلتُ له : حدثنا ماجرى بينك و بين الأمير ؟ قال : دخلت عليه — ولم يرني قبل ذلك[(٨)] — فقلت أصلح الله

(١) وفى رواية ابى الفرج عن طارق بن المبارك عن ابيه قال : جاءنى رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة (بن ابى سفيان) فقال لي يقول لك عمرو : قد جاءت . الخ

(٢) الزيادة عن الأغانى

(٣) فى الأغانى : وقد اعتزمت

(٤) في الأغاني : وانا صائر إلي باب الأمير سليمان بن على فصر إلي فوافيته .

(٥) كان بالاصول : سليمان بن عبد الملك . وهو خطا ظاهر

(٦) رواية الاغاني : أبهذا اللباس تلقي هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فيه ؟

(٧) كان بالأصول : ولكن ليس عندى ثوب إلا اشهى ما ترى . وهذا خطأ . وما اثبتناه اشكل بالصواب

(٨) رواية الاغاني : ولم تراه قط .

الأميرَ ، لَفَظَتنى البلادُ إليك[١] ودلنى فضلك عليك ، فإما قتلتنى غانما[٢] وإما رددتنى سالما ! قال : من أنت [فما] أعرفك ؟[٣] قال : فانتسبتُ له ، فقال : [مرحبابك][٤] أقعد فتكلم [آمنا] غانما سالما . ثم أقبل علىّ فقال : ماحاجتك[٥] يا ابنَ أخى ؟ قال : فقلت : إن الحُرَم اللاتي أنت أقربُ الناس إليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا ، قد خِفْن لخوفنا ، ومن خاف خِيف عليه ! قال : فوالله ما أجابنى إلا بدموعه [على خديه] . فقال : يا ابن أخى ، يَحقِنُ الله دمك ويحفظ [لك فى] حرمك ، ويوفر عليك مالك . [والله] لو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلتُ . قال : فقلت : أكون متواريا أو ظاهراً ؟ فقال : كن متواريا كظاهر [وآمناً كخائف ولتأتنى رقاعك ، قال] : فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه . قال : فلما فرغ من الحديث رددت إليه طيلسانه ، فقال : مهلاً فان ثيابنا إذا فارقتنا لم ترجع إلينا .

بعض أحاديث النوكى

ومن أحاديث النوْكى حُدثت عن أبي سعيد الرفاعى أنه سُئل عن الدُّنيا والدّايِسَة فقال : أما الدُّنيا فهذه التى أنتم فيها ، وأما الدّايِسَةُ فهى دار بائنة من هذه الدار لم يسمع أهلها بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، إلا أنه قد صح عندنا أن بيوتهم من قثاء وسقوفهم من قثاء وأنعامهم من قثاء ، وهم فى أنفسهم من قثاء ، وقثاؤهم أيضاً من قثاء ! قالوا له : يا أبا سعيد ، زعمت أن أهل تلك الدار لم يسمعوا بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، وكذلك نحن لهم ! وأراك تخبرنا عنهم بأخبار كثيرة ! قال : فمن ثمة أعجب زياده ...!؟

(١) في الاصول : لفظنى البلاد إليك ، والتصويب عن الاغانى
(٢) كان بالاصول : فاما قبلتنى غانما .
(٣) كان بالأصول : من انت اعرفك
(٤) الزيادة عن الأغانى
(٥) كان بالأصول : فقال حاجتك

قالوا : ذم رجل عند الأحنف الكمأة بالسمن ، فقال : رُبَّ ملوم لا ذنب له

وعن شَيْبَةَ بْنِ عِقَالٍ أن رجل قال في مجلس عُبَيْدِ الله بْنِ زيادٍ : ماأطيب الأشياء ؟ فقال رجلا : ماشيء أطيبُ من تمرة برسيان كأنها من آذان النوكى عليها بزبدة ! وقال أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ لابْنِ عامر :

ظَلّتْ عقابُ النوكِ تخفقُ فوقهُ   رِخْوٌ طَفَاطِفُهُ قديمُ الملْعَبِ (١)

قد ظَلَّ يوعِدُنِي وعينُ وزيرِهِ   خضراءُ خاشعةٌ كعينِ العقرَبِ

يعني بوزيره عبدالله بن عُمَيْرٍ الليْثِيّ ، وكان أخاه لأمه ، أمهما دَجَاجَة بنت أسماء السُّلَمِيَّة .

وقال ابْنُ مُنَاذِرٍ (٢) في خالدِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ طُلَيْقٍ الخزاعيِّ ، وكان

(١) طفاطفه : أطراف الجنب المتصلة بالاضلاع

(٢) هو محمد بن مناذر الشاعر . مضت ترجمته في ص ٣٢ من الجزء الأول . ولما فتك بعد نسكه وعظه المعتزلة ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم وكان يأخذ المداد فيطرحه في مطاهرهم بالليل فاذا توضئوا به سود وجوههم وثيابهم . وقد ذكرت له قطعة من الشعر في ص ١٧٠ من هذا الجزء تحتاج إلى فضل بيان . وسببها أنه كان يميل إلى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وكان أخوه أبو الصلت محمد ابن عبد الوهاب يعاديه من أجل ذلك فكان ابن مناذر يهجوه وكان كل واحد منهما يطلب المكروه لصاحبه ويسعى عليه فدخل محمد بن عبد الوهاب مسجد البصرة فاذا به يرى ابن مناذر ومعه دفتر ينظر فيه وكان في الدفتر كتاب العروض بدوائره ، ولم يكن محمد بن عبد الوهاب يعرف العروض فجعل يلحظه ويقرؤه ولا يفهمه وابن مناذر يعلم أمره ويتغافل عنه ، فقال له محمد بن عبد الوهاب : ما في كتابك هذا ؟ فخبأه في كمه وقال : وأي شيء عليك مما فيه ! فتعلق به ولببه فقال له ابن مناذر : يا أبا الصلت ، الله الله في دمي ! وطمع فيه وصاح يازنديق ! في كمه الزندقة فاجتمع الناس إليه فأخرج الدفتر من كمه وأراهم إياه فعرفوا براءته مما قذفه به ووثبوا على محمد بن عبد الوهاب واستخفوا به فوثب يجري . وقال ابن مناذر يهجوه :

إذا أنت تعلقت بحبل من أبي الصلت
تعلقت بحبـل وا هن القوة منبت
إذا ما بلغ المجد ذوو الأحساب بالمت
تقاصرت عن المجـد فما أمرك بالثبت
ولا فرعك في العيـ ـدان عود ناضر النبت
وما يبقى لكم يا قوم من أثلتكم نحتى

المَهْدِيُّ استقضاه وعزل عُبَيْدَ اللهِ بْنَ الحَسَنِ العَنْبَرِيَّ :(١)

أَبِى دَهْرُنا والدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبِ ... بِآبِدَةٍ وَالدَّهْرُ جَمُّ الأَوَابِدِ
بِعَزْلِ عُبَيْدِ اللهِ عَنَّا فَيَالَهُ ... خِلافًا وَبِاسْتِعْمَالِ ذِى النَّوْكِ خَالِدِ
بِحَيْرانَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ تَصُدُّهُ ... خِيَانَةُ سَلَّامٍ وَلِحْيَةُ قَائِدِ
أَذَلِكَ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ ... وَأَحْدَاثِهِ أَمْ نَحْنُ فِى حُلْمِ رَاقِدِ ؟

وقال أيضاً :

قُلْ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الَّذِى ... مِنْ هَاشِمٍ فِى سِرِّهَا وَاللُّبَابْ
إِنْ كُنْتَ لِلسَّخْطَةِ عَاقَبْتَنَا ... بِخَالِدٍ فَهْوَ أَشَدُّ العَذَابْ
أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ سَبِيلِ الهُدَى ... قَدْ ضَرَبَ الجَهْلُ عَلَيْهِ الحِجَابْ
يَا عَجَباً مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا ... يُخْطِىءُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابْ ! ؟

وقال :

خَالِدٌ يَحْكُمُ فِى النَّا ... سِ بِحُكْمِ الجَاثَلِيقِ

فهيا فاسمع قريضا من ... رقيق حسن النعت
يقول الحق إن قل ... ولا يرميك بالبهت
وفى نعت لوجعاء ... قد استرخت من الفت
فمندى لك يا مابو ... ن مثل الفالج البختي
عتل يعمل الكوم ... من السبت إلى السبت
له فيشلة إن اد ... خلت واسعة الخرت
والا فاطل وجعاء ... ك بالخضخاض والزفت
ألم يبلغك تسآلى ... لدى العلامة البرت
فقال الشيخ سرجو ... به داء المرء من تحت
فخذ من ورق الدفلى ... وخذ من ورق القت
وخذ من جعر كيسان ... ومن أظفار بسخت
فغرغره به واسعط ... بذا في دائه أفتى

وهناك لفظ سبخت لقب أبي عبيدة ، وقد ضبطه العلامة الشنقيطي الكبير « بسخت » (بضم الباء والسين المشددة)

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن الحر العنبرى التيمى قاضي البصرة

يا أبا الهَيْثَمِ ما كُنْتَ لهذا بِخَلِيقِ
لاَ ولاَ كُنْتَ لِما حُمِّـ لْتَ مِنْهُ بِمُطِيقِ
أيُّ قاضٍ أنتَ لِلظـ لمِ وتَعطِيلِ الحُقوقِ

وقال :

يَقطَعُ كفَّ القاذِفِ المُفْترِي ويَجْلِدُ اللِّصَّ ثمانِينا ! ؟
سَقْياً ورَعْياً لكَ مِنْ حاكمٍ يُحْيِي لنا السنَّةَ والدِّينا ! ؟

وقال زهرة :

يا قَوْمِ مَنْ دَلَّ على عالمٍ يعْلَمُ ما حَدُّ حِرٍ سارِقِ

وقال آخر :

وإني لَمِضَاءٌ على الهَوْلِ واحِداً ولوْ ظَلَّ يَنْهانِي أُخَيفِشُ شاحِجُ (١)
تُشَبَّهُ لِلنَّوْكَى أُمُورٌ كثيرةٌ وفيها لأكياسِ الرِّجالِ مَخارِجُ

وقال آخر :

ولاَ يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتّى يُصِيبَهُمْ ولاَ يَعْرِفُونَ الأَمْرَ إلاَّ تَدَبُّرَا

غيره :

إذا ظَعَنوا عن دارِ ضَيْمٍ تعاذَلوا عَلَيْها ورَدُّوا وَفْدَهُم يَسْتَقيلُها

وقال النابغةُ : (٢)

(١) الأخيفش تصغير الاخفش : وهو الضيق العينين . والشاحج : الذي له صوت كصوت البغل أو الغراب

(٢) هو النابغة الذبياني . وهذا البيت من قصيدة فاخرة أولها :

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وصدر اراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب
على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب
حلفت يمينا غير ذي مثنوية ولاعلم إلا حسن ظن بصاحب
لئن كان بالقبرين قبر بجلق وقبر بصيداء الذي عند حارب
وللحارث الجفنى سيد قومه ليلتمسن بالجيش دار المحارب
وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير أشائب
بنى عمه دنيا وعمرو بن عامر أولئك قوم بأسهم غير كاذب

ولا يحسبون الخيرَ لا شرَّ بعْدَهُ ... ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ

والعرب تقول : أخزى الله الرأيَ الدَّبَرِيّ .

وقالوا : وجه الحجاج إلى مُطهَّر بن عمار بن ياسر (١) عبد الرحمن بن سليم الكلبيّ فلما كان بحلوان (٢) أتبعه الحجاج مددًا وعجّل عليه بالكتاب مع تُحَيْت الغلط — وإنما قيل له ذلك لكثرة غلطه — فمر تُحَيْت بالمدد وهم يعرضون بخانقين (٣) فلما قدم على عبد الرحمن قال له : أين تركت مددنا ؟ قال: تركتهم يخنقون بعارضين!؟ قال : أو يعرضون بخانقين !قال : نعم، اللهم لا تخانق فى باركين ! ولما ذهب يجلس ضرط ، وكان عبد الرحمن أراد أن يقول : ألا تغدى ؟ فقال : ألا تضرط ! قال : قد فعلت أصلحك الله ! قال : ماهذا أردت ! قال : صدقت : ولكن الأمير غلِط كما غلطنا ؟ فقال : أنا غلطت من فمى وغلط هو من استه .

إذا ماغزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدى بعصائب
بصائعهم حتى يغرن مغارهم ... من الضاريات بالدماء الدوارب
تراهن خلف القوم خزرا عيونها ... جلوس الشيوخ فى ثياب المرانب
جوانح قد ايقن ان قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أول غالب
إذا استنزلوا عنهن للطعن ارقلوا ... إلي الموت إرقال الجمال المصاعب
فهم يتساقون المنية بينهم ... بأيديهم بيض رقاق المضارب
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب
تقد السلوقي المضاعف نسجه ... وتوقد بالصفاح نار الحباحب
بضرب بزل الهام عن سكناته ... وطعن كايزاغ المخاض الضوارب
لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم ... من الجود والأحلام غير عوازب
محلتهم ذات الاله ودينهم ... قويم فما يرجون غير العواقب
رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب
يحيهم بيض الولائد بينهم ... وأكسية الاضريج فوق المشاجب
يصونون اجسادا قديما نعيمها ... بخالصة الأردان خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لاشر بعده ... ولا يحسبون الشر ضربة لازب
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقا ... بقومي وإذ اعيت على مذاهبي

(١) كان ممن خرج على الحجاج والظاهر انه كان على احد جيوش ابن الاشعث

(٢) هي حلوان العراق وهى مدينة كبيرة مشهورة

(٣) خانقين : بلدة بسواد العراق وبها عيون للنفط

باب من البله الذى يعترى من قبل العبادة وترك التعرض للتجارب

وهو كما قال أبو وائل: أسمعكم تقولون : الدانق والقيراط ! فأيما أكثر !؟ قالوا: وكان عامرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فى المسجد — وكان قد أخذ عطاءه — فقام إلى منزله ونسيه ، فلما صار فى منزله وذكره بعث رسولا ليأتيه به فقيل له : وأين تجد ذلك المال ! قال : سبحان الله ! أو يأخذ أحد ما ليس له !؟

أبو الحسن قال : قال سَعِيدُ بنُ عبدِ الرَّحْمنِ الزُّبَيْرِىُّ : سُرِقت نعل عامرِ ابنِ عبدِ اللهِ الزُّبَيْرِى فلم يتخذ نعلا حتى مات ! وقال : أكره أن أتخذ نعلا فلعل رجلا أن يسرقها فيأثم !

وقالوا : إن الخلفاء والأئمة أفضلُ من الرعية ، وعامة الحكام أفضل من المحكوم عليهم ولهم ، لأنهم أفقه فى الدين وأقوم بالحقوق وأرَدُّ على المسلمين ، وعلمهم بهذا أفضل من عبادة العباد ، ولأن نفع أولئك لايعدو قِمَمَ رُؤُسِهم ونفع هؤلاء يخص ويعم ، والعبادة لا تدله ولا تورث البله إلا لمن آثر الوحدة وترك معاملة الناس ومجالسة أهل المعرفة ، فمن هناك صاروا بُلْهًا ، حتى صار لا يجىء من أعبدهم حاكم ولا إمام ! وما أحسن ما قال أيوبُ السختيانى حيث يقول : فى أصحابى مَن أرجو دَعوته ولا أقبل شهادته ! فاذا لم يجز فى الشهادة كان من أن يكون حاكما أبعد .

وقال الشاعر :

وَعاجِزُ الرَّأْىِ مِضْياعٌ لِفُرْصَتِهِ ... حَتى إذا فاتَ أَمْرٌ عاتَبَ القَدَرَا

أبيات متفرقة من الشعر

ومن غير هذا الباب قوله :

إذا ما الشَّيْخُ عُوتِبَ زَادَ شرًّا ... وَيُعْتِبُ بَعْدَ صَبْوَتِهِ الوَلِيدُ

وقال عَلِىُّ بْن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج . وقال الشاعر :

إذَا تضايقَ أَمْرٌ فانْتَظِرْ فَرَجًا ... فَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْناهُ مِنَ الفَرَجِ

وقال الفرزدق :

وَإنى وَسعْداً كالحُوارِ وأُمّه ... إذا وَطِئَتْهُ لم يَضِرْهُ اعتمادُها (١)

وقال أعرابى :

تُعَلِّمُني بالعَيْشِ عِرْسِى كأنما ... تبصّرُ فى الأمرِ الذى أنا جاهِلُهُ (٢)

يَعيشُ الفَتى بالفقرِ يوماً وبالغِنى ... وَكلٌّ كأنْ لم يَلْقَ حينَ يُزايِلُهُ (٣)

وقال آخر :

شَهِدْتُ وَبيْتِ اللهِ أنكَ بارِدُ الثَّـ ... ـنايا لذيذٌ لَثْمها حينَ تُلْثَمُ

وقال غيره :

أللهُ يَعلَمُ يا مُغيرَةُ أنني ... قَدْ دُسْتُها دَوْسَ الحِصانِ الهَيْكلِ (٤)

وَأخَذْتُها أخْذَ المُقصّبِ شاتَهُ ... عَجلانَ يَشْوِيها لِقَوْمٍ نُزَّلِ (٥)

وقال آخر :

شَهِدْتُ وَبيْتِ اللهِ أنّكَ باردُ الثَّـ ... ـنايا وَأنّ الكَشْحَ مِنكَ لَطيفُ (٦)

وأنّكَ مشْبوحُ الذّراعَيْنِ خَلْجَمٌ ... وأنّكَ إذْ تَخْلو بهِنَّ عَفيفُ (٧)

وقال آخر :

فَهلّاً مِنْ وَزارٍ أوْ حُصَيْنٍ ... حَمَيْتُمْ فَرْجَ حاضِنَةٍ كَعابِ

وأُقسِمُ أنّهُ قَدْ حَلَّ مِنْها ... مَحَلَّ السَّيْفِ مِنْ قَعْرِ القِرابِ

وقال آخر :

أتَرْجُو أنْ تَسُودَ وَلَنْ تَعَنَّى ... وَكَيْفَ يَسُودُ ذُو الدَّعةِ البَخيلُ (٨)

---

(١) سعد : اسم قبيلة من تميم . والحوار : ولد الناقة ساعة يولد

(٢) عرسه : زوجته

(٣) يزايله : يفارقه

(٤) الحصان الهيكل : الفرس العظيم الجسم

(٥) المقصب : الجزار . النزل : الضيوف

(٦) الكشح : الخصر

(٧) مشبوح الذراعين : مفتولهما . والخلجم : الطويل المنجذب الخلق

(٨) تعنى : تظهر جودك وكرمك

وقال الهُذَلِيُّ :

وَإِنَّ سِيادَةَ الأَقْوامِ فاعْلَمْ ... لها صُعُداءُ مَطْلَبُها طَوِيلُ

وقال جَرِيرُ بنُ الخَطَفَى :

تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ ... ومَنْ ذا الذي يُرْضِي الأَخِلاَّءَ بالبُخْلِ

وقال إسْحٰقُ بنُ حَسَّان بن قُوهِي :

وَدُونَ النَّدَى فى كلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ ... لها مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ

وَوَدَّ الفتى فى كلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ ... إذا ما انقضى لوْ أَنَّ نائلَه جَزْلُ

وقال آخر :

عَزَمْتَ على إقامَةِ ذِى صَباحٍ ... لشَىْءٍ مَّا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

وقال آخر :

وتَعْجَبُ إنْ حاوَلْتُ مِنْكَ تَنَصُّفًا ... وَأَعجَبُ مِنْهُ مَا تُحَاوِلُ مِنْ ظُلْمِى

أَبا حَسَنٍ يَكْفِيكَ ما فيكَ شاتِمًا ... لِعِرْضِكَ مِنْ شَتْمِ الرِّجالِ وَمِنْ شَتْمِى

وقال آخر :

كما قالَ الحِمارُ لِسَهْمِ رَامٍ ... لقَدْ جُمِّعْتَ مِن شَتَّى لأَمْرِ

وقال آخر :

أَراكَ حَدِيدَةً فى رَأْسِ قِدْحٍ ... وَمَتْنَ جُلالَةٍ مِنْ رِيشِ نَسْرِ (١)

وقال آخر :

إذا ما ماتَ مِثْلِى ماتَ شَىْءٌ ... يَمُوتُ بمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرُ

وأشعر منه عَبْدَةُ بن الطبيب (٢) حيث يقول فى قَيْسِ بْنِ عاصِمٍ : (٣)

---

(١) القدح : السهم قبل أن براش وينصل

(٢) مضت ترجمته فى ص ١١٠ من الجزء الاول

(٣) مضت ترجمته فى ص ١٨٧ من الجزء الاول . ومما يحسن إيراده أن قيس بن عاصم لما حضرته الوفاة جمع إليه بنيه وقال لهم : يابنى إذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم . وإذا مت فادفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى

فما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ ... وَلَـٰكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا (١)

وقال امرُؤُ القَيْسِ فى شبيه بهذا المعنى :

فَلَوْ أَنَّها نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً ... وَلَـٰكِنَّها نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنفُسَا

وقال آخر :

وَزَهَّدَنى فى صالِحِ العَيْشِ أَنَّنى ... رَأَيْتُ يَدِى فى صالِحِ العَيْشِ قَلَّتِ

وقال مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ : (٢)

وَلَقَدْ بَدَا لى أَنَّ قَلْبَكَ ذاهِلٌ ... عَنِّى وَقَلْبِى لَوْ بَدَا لَكَ أَذْهَلُ

كُلٌّ يُجامِلُ وَهْوَ يُخْفِى بُغْضَهُ ... إِنَّ الكَرِيمَ عَلَى القِلَى يَتَجَمَّلُ (٣)

وقال رَكَّاضٌ : (٤)

فيها واصوم وإياكم والمسألة فانها آخر مكاسب العبد وان امرأ لم يسأل إلا ترك مكسبه ، وإذا دفنتمونى فاخفوا قبري عن هذا الحى من بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية ، ثم جمع ثلاثين سهما فربطها بوتر ثم قال: اكسروها ، فلم يستطيعوا ، فقال : فرقوها ، ففرقوها ، فقال: اكسروها سهما سهما ، فكسروها ، فقال : هكذا أنتم فى الاجتماع وفى الفرقة ، ثم قال :

إنما المجد ما بنى والد الصد ... ق وأحيا فعاله المولود
وتمام الفضل الشجاعة والحـ ... لم إذا زانه عفاف وجود
وثلاثون يا بنى إذا ما ... جمعتهم فى النائبات العهود
كثلاثين من قداح إذا ما ... شدها للزمان قدح شديد
لم تكسر وان تفرقت الأسـ ... ـهم اودى بجمعها التبديد
وذوو الحلم والأكابر اولى ... ان يرى منكم لهم تسويد
وعليكم حفظ الأصاغر حتى ... يبلغ الحنث الاصغر المجهود

(١) لما مات قيس بن عاصم وكان محسنا على عبدة بن الطيب رثاه عبدة بقوله :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء ان يترحما
تحية من أوليته منك نعمة ... إذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

(٢) هو معن بن اوس بن نصر بن زياد المزنى ، شاعر فحل مجيد من شعراء الجاهلية والاسلام ، وكان بليغ الكلام حسن الديباجة فخم المعاني ، مدح الكثير من اصحاب رسول الله ووفد إلى عمر ابن الخطاب مستعينا به ومدحه بقصيدة جيدة ، وبقي إلى ايام عبد الملك بن مروان وكف بصره

(٣) القلى : الكراهية ، يتجمل : يداري مابه

(٤) ركاض : لعله ركاض بن الحكم المرى وكان من الفرسان الشعراء

تُرامِى فترمى نحنُ مِنهنَّ فى الشَّوَى وَيَرْمِين لايَعْدِلْنَ عن كَبِدٍ سَهْمًا (١)
إذا مالبِسْنَ الحَلْىَ والوَشْىَ أشرقَتْ وُجُوهٌ وَلَبَّاتٌ يُسَلِّبْنَنا الحِلْما
وَلَيْنَ السُّبُوبَ حُمْرَةً قُرَشِيَّةً زُبَيْرِيَّةً يَعْلَمْنَ فى لَوْنِها عِلْما (٢)

وقال آخر :

أُعَلِّلُ نفْسِى بِمـا لَا يَكُو نُ كما يَفعَلُ المَائِقُ الأَحْمَقُ

وقال آخر :

تَوَلَّتْ بَهْجَةُ الدُّنْيا فَـكُلُّ جَدِيدِها خَلَقُ
وَخَانَ النَّاسُ كُلُّهُمُ فَمَـا أَدْرِى بِمَنْ أَثِقُ
رَأَيْتُ مَعالِمَ الخَيْرَا تِ سُدَّتْ دُونَها الطُّرُقُ
فَلاَ حَسَبٌ وَلاَ أَدَبٌ وَلاَ دِينٌ وَلاَ خُلُقُ

وقال أبو الأسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ : (٣)

لَنا جِيرَةٌ سَدُّوا المجازَةَ بَيْنَنا فإِنْ ذَكَّرُوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أَكْيَسُ
وَمِنْ خَيْرِ مَا أَلْصَقْتَ بالدَّارِ حائِطٌ يَزِلُّ بِهِ صُقْعُ الخَطَاطِيفِ أَمْلَسُ

وقال آخر :

عَقِمَتْ أُمٌّ أَتَتْنَا بِكُمُ لَيْسَ فيكُمْ رَجُلٌ غيرُ دَنِىّ
وَإِذَا مَا النَّاسُ عَدُّوا شَرَفًا كنتُمُ مِنْ ذَاكَ فى بَالٍ رَخِىّ

(١) الشوى : جلدة الرأس
(٢) السبوب : شقق رقيقة تتخذ منها الخمر تغطى بها النساء اوجههن
(٣) كان لأبى الاسود ابن عم يجاوره فى داره وكان شرسا سيء الخلق فاراد ان يسد الباب الذي بينه وبين ابي الاسود فقال له قومه لا تفعل فتضر ابا الاسود وهو شيخ وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولا مؤنة ، فابى إلا سده ثم ندم لانه اضر به هو فكان إذا اراد سلوك الطريق التى كان يسلكها منه بعد عليه فعزم على فتحه فمنعه ابو الاسود وقال فيه ابياتا ومنها هذين البيتين ونرويهما لخلاف فى بعض الفاظهما قال :

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا فان ذكروك السد فالسد اكيس
ومن خير ما الصقت بالجار حائط تزل به سفع الخطاطيف املس

وقال آخر :

قَدْ بَلَوْنَاكَ بِحَمْدِ اللهِ إِنْ أَغْنَى الْبَلاَء
فَإِذَا كُلُّ مَوَاعِيدِكَ وَالْجَحْدُ سَوَاء

وقال آخر :

وَلَقَدْ هَزَزْتُكَ لِلْمَدِيحِ فَكُنْتَ ذَا نَفْسٍ لَكِيعَهْ
أَنْتَ الرَّقِيعُ ابْنُ الرَّقِيعِ ابْنِ الرَّقِيعِ ابْنِ الرَّقِيعَهْ

وقال آخر :

لِكُلِّ أُنَاسٍ سُلَّمٌ يُرْتَقَى بِهِ ... وَلَيْسَ إِلَيْنَا فِي السَّلاَلِيمِ مَطْلَعُ
وَغَايَتُنَا الْقُصْوَى حِجَازٌ لِمَنْ بِهِ ... وَكُلُّ حِجَازٍ إِنْ هَبَطْنَاهُ بَلْقَعُ
وَيَنْفِرُ مِنَّا كُلُّ وَحْشٍ وَيَنْتَمِي ... إِلَى وَحْشِنَا وَحْشُ الْبِلاَدِ فَيَرْتَعُ

وقال آخر :(١)

لَوْ جَرَتْ خَيْلٌ نُكُوصًا ... لَجَرَتْ خَيْلُ دِفَافَه(٢)
هِيَ لاَ خَيْلُ رَجَاء ... لاَ وَلاَ خَيْلُ مَخَافَهْ

وقال الخُرَيْمِيُّ :

إِخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْ أَبِي دُلَفٍ ... وَاهْرُبْ مِنَ الْفَجْفَاجَةِ الصَّلِفِ(٣)
لاَ يُعْجِبَنَّكَ مِنْ أَبِي دُلَفٍ ... وَجْهٌ يُغَطِّيهِ كُدْرَةَ الصَّدَفِ
إِنِّي رَأَيْتُ أَخِي أَبَا دُلَفٍ ... عِنْدَ الْفِعَالِ مُوَلَّدَ الشَّرَفِ

وأنشد ابنُ الأعْرَابِيِّ :

أَهْلَكَتْنِي بِفُلاَنٍ ثِقَتِي ... وَظُنُونٌ بِفُلاَنٍ حَسَنَهْ
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ ... نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَهْ

(١) هو مكنف المزني من ولد زهير بن ابي سلمى . شاعر اسلامي
(٢) هو دفافة بن عبد العزيز العبسي من رجال الدولة العباسية
(٣) الفجفاجة : الكثير الكلام القليل الفعال

كُنْتُ كالهَادِي مِنَ الطَّيْرِ رأى طَمعاً أدْخَلَهُ فى سجنه
زَادَنى قُرْبُ صَدِيقِى فاقة أوْرَثَتْ مِنْ بَعْدِ فقرٍ مَسْكَنَه

وأنشدنا :

إذا المَرْءُ أوْلاكَ الهَوانَ فأوْلِهِ هَوَاناً وإنْ كانَتْ قَرِيباً أوَاصِرُهْ
فإنْ أنتَ لم تقدِرْ عَلَى أنْ تُهِينَهُ فَذَرْهُ إلى اليَوْمِ الّذِى أنتَ قادِرُهْ
وَقارِبْ إذا مالمْ تكُنْ لكَ قُدْرَةٌ وَصَمِّمْ إذا أيْقَنْتَ أنَّكَ عاقِرُهْ

وقال بعض ظُرفاءِ الأعراب :

وَإذا خَشِيتَ مِنَ الفُؤَادِ لجَاجَةً فاضْرِبْ عَلَيْهِ بجُرْعَةٍ مِنْ رَائِبِ

وهذ من شكل قوله :

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً فاضْطَدْتُ ضَبّاً وكُنْتُ إذا ذكَرْتُكِ لا أخِيبُ

وقال بعض المحدثين :

مَا أشْبَهَ الإمْرَةَ بالوَصْلِ وَأشْبَهَ الهِجْرَانِ بالعَزْلِ

وقالت الخنساء :

لمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الجَارُ
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَدْنَسْ عِمَامَتُهُ كأنّهُ تَحْتَ طَيِّ البُرْدِ أسْوَارُ(١)

وقال آخر : (٢)

نَادَيْتُ هَيذَانَ وَالأبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَمِثْلُ هَيذَانَ سَنَّى فَتْحَةَ البَابِ
كالهِنْدُوَانِي لَمْ تَفْلُلْ مَضَارِبُهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غيرُ وَجَّابُ

وقال آخر :

أرَى كلَّ رِيحٍ سَوْفَ تَسْكُنُ مَرَّةً وَكلَّ سَمَاءٍ ذَاتِ دَرٍّ سَتُقْلِعُ(٣)

(١) الأسوار : قائد الجيش من الفرس والفارس منهم
(٢) انظر ص ٤٩ من الجزء الأول
(٣) الدر : المطر ، ستقلع : ستكف عن الأمطار

وَلَسْتُ بِقَوَّالٍ إِذَا قَامَ حَالِبًا ... لَكَ الوَيْلُ لَا تَجْهَدْ لَعَلَّكَ تُرْضَعُ (١)
وَلٰكِنْ إِذَا جَادَتْ بِمَا دُونَ حَلْبِهَا ... جَهِدْنَا وَلَمْ نَمْذُقْ بِمَا نَتَوَسَّعُ (٢)

وقال آخر :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَغَايَتِي ... إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبِ
وَمَا رَغْبَتِي فِي آخِرِ الدَّهْرِ بَعْدَ مَا ... لَبِسْتُ شَبَابِي كُلَّهُ وَمَشِيبِي
وَأَصْبَحْتُ فِي قَوْمٍ كَأَنْ لَسْتُ مِنْهُمُ ... وَبَادَ قُرُونِي مِنْهُمُ وَضُرُوبِي (٣)

وقال :

رَأَيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِي ... وَأَكْثَرْتُ الغَرَامَةَ وَدَّعُونِي
فَلَمَّا أَنْ غَنِيتُ وَثَابَ وَفْرِي ... إِذَا هُمْ لَا أَبَا لَكَ رَاجِعُونِي (٤)

وقال آخر :

وَكُنَّا نَسْتَطِبُّ إِذَا مَرِضْنَا ... فَصَارَ سَقَامُنَا بِيَدِ الطَّبِيبِ
فَكَيْفَ نُجِيزُ غُصَّتَنَا بِشَيْءٍ ... وَنَحْنُ نَغَصُّ بِالمَاءِ الشَّرِيبِ (٥)

وقال عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : (٦)

---

(١) لا تجهد الناقة فى الحلب لعلها ترضع لك قلاصا

(٢) نمذق : نخلط اللبن بالماء

(٣) قروني وضروبي : لداتي ونظرائي

(٤) وثاب وفري : عاد إلى مالى

(٥) الغصص : الشرق

(٦) لما غضب النعمان بن المنذر على عدي بن زيد العبادى وحبسه أرسل إليه من محبسه عدة قصائد ومنها هذه القصيدة التى منها البيت الذي رواه الجاحظ وهى :

أبلغ النعمان عنى مالكا ... أنه قد طال حبسى وانتظاري
لو بغير الماء حلقى شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصارى
وعداتى شمتت أعجبهم ... انى غيبت عنهم فى إسارى
فلئن دهر تولى خيره ... وجرت بالنحس لى منه الجواري
لي بنا منه قضينا حاجة ... وحياة المرء كالشيء المعار
لتق الريش تدلى غدوة ... من أعالى صعبة المرقي طمار
ليت شعرى من دخيل يفترى ... حيثما ادرك ليلى ونهاري
لامرئ لم يبل منى سقطة ... إن اصابته ملمات العثار
قاعدا يكرب نفسى بثها ... وحرام كان سجنى واحتصارى

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي

وقال التُّوتُ اليمانى — ويروى التوب بالباء ، والتوت هو الصواب — وهو المعروف بتُوَيْت ، فكبره هنا :

عَلَى أَيِّ بَابٍ أَطْلُبُ الإِذْنَ بَعْدَ مَا ... حُجِبْتُ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا حَاجِبُهْ

وقال آخر :

لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا تَدْخُلْكَ مَعْجَزَةٌ ... فَالنُّجْحُ يَهْلِكُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجَرِ

وقال مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ (١)

إِنَّ الأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَتَجَا

لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وقال بعض الأعراب :

وَإِنَّ طَعَامًا ضَمَّ كَفِّي وَكَفَّهَا ... لَعَمْرُكَ عِنْدِي فِي الْحَيَاةِ مُبَارَكُ

فَمِنْ أَجْلِهَا أَسْتَوْعِبُ الزَّادَ كُلَّهُ ... وَمِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي يَدِي وَتُدَارِكُ (٢)

نحن كنا قد علمتم قبلكم ... عمد البيت واوتاد الاصار

وأبوك المرء لم يشنأ به ... يوم سيم الخسف منا ذو الخسار

أجل نعمى ربها أولكم ... ودنوى كان منكم واصطهاري

أجل أن الله قد فضلكم ... فوق من أحكأ صلبا بازار

(١) هو محمد بن يسير الرياشى ، مضت ترجمته فى ص ٦٩ من الجزء الأول . واول هذه الابيات :

ماذا يكلفك الروحات والدلجا ... البر طورا وطورا تركب اللججا

كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته ... ألفيته بسهام الرزق قد فلجا

وبعدها الابيات الثلاثة ويليها قوله :

فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها ... فمن علا زلقا عن غرة زلجا

ولا يغرنك صفو انت شاربه ... فربما كان بالتكدير ممتزجا

لا يتنتج الناس إلا من لقاحهم ... يبدو لقاح الفتى يوما إذا نتجا

(٢) تدارك : لاحق الأكل بسرعة

وقال آخر :

كأنى لمَّا مسَّنِى السَّوْطُ مُقْرَمٌ ... مِنَ العُجْمِ صَعْبٌ أنْ يُقادَ نَفُورُ(١)

فكمْ قدْ رَأينا مِنْ لئيمٍ مُوطَّأٍ ... صَبُورٌ عَلَى مَسِّ السِّيَاطِ وَقُورُ

وَذِى كَرَمٍ فى القَوْمِ نَهْدٍ مُشَيَّعٍ ... جَزُوعٌ عَلَى مَسِّ السِّيَاطِ ضَجُورُ(٢)

وقال أُحَيْحَةُ بْنُ الجُلاحِ : (٣)

إسْتَغْنِ عَنْ كلِّ ذِى قُرْبَى وَذِى رَحِمٍ ... إنَّ الغَنِىَّ مَنِ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ

وَالْبَسْ عَدُوَّكَ فى رِفْقٍ وَفى دَعَةٍ ... لِبَاسَ ذِى إرْبَةٍ لِلدَّهْرِ لَبَّاسِ(٤)

وَلاَ يَغُرَّنْكَ أضْغَانٌ مُزَمَّلَةٌ ... قَدْ يُضْرَبُ الدَّبِرُ الدَّامِى بأحْلاَسِ(٥)

وقال أُحَيْحَة أيضاً : (٦)

إسْتَغْنِ أوْمُتْ وَلاَيَغْرُرْكَ ذُو نَشَبٍ ... مِنِ ابْنِ عَمٍّ وَلاَ عَمٍّ وَلاَ خَالِ

إنى أُكِبُّ عَلَى الزَّوْرَاءِ أعْمُرُهَا ... إنَّ الكَرِيمَ عَلَى الأقْوَامِ ذُو المالِ

يَلْوُونَ مَاعِنْدَهُمْ عَنْ حَقِّ أقْرَبِهِمْ ... وَعَنْ عَشِيرَتِهِمْ وَالمالُ بالْوَالِى

وقال آخر :

سَأُنْبِيكَ مَالاً بِالمَدِينَةِ إنَّنِى ... أرَى عَازِبَ الأمْوَالِ قَلَّتْ فَوَاضِلُهْ(٧)

---

(١) المقرم : الجمل الصعب القياد

(٢) نهد : كريم . والمشيع : الشجاع الجرىء

(٣) مضت ترجمته فى ص ١٨ من الجزء الاول

(٤) ذو إربة : عاقل مجرب

(٥) مزملة : مغطاة . الدبر : الذى أصابه الدبر من الابل والخيل . الاحلاس : الاغطية وهى الجلال التى توضع على ظهور الخيل بينها وبين السروج

(٦) هذه الابيات من قطعة تروى هكذا :

إني اقيم على الزوراء اعمرها ... إن الكريم على الاخوان ذوالمال

لها ثلاث بئار فى جوانبها ... فى كلها عقب يسقى باقبال

إستغن او مت ولا يغررك ذونشب ... من ابن عم ولا عم ولا خال

يلوون مالهم عن حق اقربهم ... وعن عشيرتهم والحق للوالى

(٧) العاذب : البعيد

وقال آخر :

وَلا خَيْرَ فى فَضْلٍ إذا لم يكُنْ لهُ   عَلَى طُولِ مَرِّ الحَادِثاتِ بَقَاء

وقال العبَّاسُ بْنُ الأحْنفِ : (١)

لم يَصْفُ حُبٌّ لِمَعْشُوقَيْنِ لم يَذُقَا   وَصْلاً يَمُرُّ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ العَسَلُ

وقال بعض سفهاء الأعْراب :

لا خَيْرَ فى الحُبِّ أبَا السَّنَوَّرِ   أوْ يَلْتَقِى أشْعَرُهَا وأشْعَرِى

وأطْبِقُ الخُصْيَةَ فَوْقَ المِنْغَرِ

وقال آخر

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فى كلِّ عَامٍ   مُوَافَقَةً عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

سَلامًا خَالِيًا مِنْ كلِّ شَىْءٍ   يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ

وقال عُطَارِدٌ :

وَلا يَلْبَثُ الحَبْلُ الضَّعِيفُ إذَا التَوَى   وَجَاذَبَهُ الأعْدَاءُ أنْ يَتَخَذَّمَا

وَمَا يَسْتَوِى السَّيْفَانِ سَيْفٌ مُؤَنَّثٌ   وَسَيْفٌ إذَا مَا عَضَّ بِالعَظْمِ صَمَّمَا

وقال طُرَيْحُ بْنُ إسمْعيل (٢) فى الوليدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ : (٣)

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا صَنَعْتَ بى   فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإنى لَشَاكِرُ (٤)

(١) هو العباس بن الاحنف بن الاسود الحنفي . كان شاعرا شريفا مطبوعا من شعراء الدولة العباسية جيد الغزل حسن المذهب جيل الديباجة ، لشعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف ، لم يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، وكان من الظرفاء ظاهر النعمة ملوكي المذهب ، وقد شغل بالنسيب دون غيره مع حلاوة وقبول وغزارة فكر وسعة فى القول وكثرة تصرف في الغزل والنسيب . وهو خال ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب المشهور . مات ببغداد سنة ١٩٢ هـ

(٢) هو طريح بن إسماعيل الثقفي اليمامي . شاعر مجيد من شعراء الدولة الاموية . وكان خاصا بالوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان الوليد مكرما له يدنى مجلسه ويعلى مكانته ويجعله اول داخل وآخر خارج ، وكان موضع سره ونجواه . وأدرك الدولة العباسية ومات فى أيام المهدى

(٣) ويروي أن هذه الابيات قالها طريح فى خالد بن عبد الله القسرى

(٤) يروى : طلبت ابتغاء الشكر

لِأَنَّكَ تُعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدَاهَــةً ... وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ (١)
فَأَرْجِعُ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعُ بِالَّتِي ... لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرُ (٢)
وَقَدْ قُلْتُ شِعْرًا فِيكَ لَكِنْ تَقُولُهُ ... مَكَارِمُ فِيمَا تَبْتَنِي وَمَفَاخِرُ
قَوَاصِرُ عَنْهَا لَمْ تُحِطْ بِصِفَاتِهَا ... يُرَادُ بِهَا ضَرْبٌ مِنَ الشِّعْرِ آخَرُ

وقال آخر :

فَكَمْ مِنْ مُلِيمٍ لَمْ يُصَبْ بِمَلَامَةٍ ... وَمُتَّبَعٍ بِالذَّنْبِ لَيْسَ لَهُ ذَنْبُ
وَكَمْ مِنْ مُحِبٍّ صَدَّ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي وَصْلِ خُلَّتِهِ عَتْبُ

وقال آخر :

لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ ... وَكَمْ لَائِمٍ قَدْ لَامَ وَهْوَ مُلِيمُ

كما قال الأحنف :(٣) رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ . وقال ابنُ المقفَّع :

فَلَا تَلُمِ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ ... فَرُبَّ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ

وقال سعيد بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ بن حسان بْنِ ثَابِتٍ الأنصارى :(٤)

وَإِنَّ امْرَأً يُمْسِي وَيُصْبِحُ سَالِمًا ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

---

(١) يروي : وقد كنت تعطيني
(٢) كان بالاصول : وارجع بالتى . وهو خطأ ، والصواب ما اثبتناه
(٣) هو الاحنف بن قيس مضت ترجمته فى ص ٦١ من الجزء الاول
(٤) ليس هذا البيت لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان وانما هو لحسان نفسه . فقد روى الثقات ان حسان بن ثابت سمع فى جوف الليل وهو يقول : انا حسان بن ثابت انا ابن الفريعة انا الحسام ، فلما سئل فى ذلك قال : قد طلبت بيتا من الشعر فلما احكمته نوهت بأسمائى ، وهو قولي :

وان امرأ يمسى ويصبح سالما ... من الناس إلا ماجنى لسعيد

فلما مات حسان اوقد عبد الرحمن بن حسان نارا حتى إذا اجتمع إليه الحى قال :انا عبد الرحمن بن حسان ، قلت بيتا لخفت ان يسقط بحدث يحدث على فجمعتكم لتسمعوه فانشدهم :

وإن امرا نال الغنى ثم لم ينل ... صديقا ولا ذا حاجة لزهيد

فلما مات عبد الرحمن صنع ابنه سعيد صنيعه وانشدهم :

وان امرأ لاحى الرجال على الغنى ... ولم يسال الله الغنى لحسود

فانت ترى ان البيت لحسان ، وهذا هو الاصح

« انتهى الجزء الثاني ويتلوه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى »

فهرس الجزء الثانى

من كتاب البيان والتبيين وشرحه

وقعت بعض أغلاط مطبعية لا تخفى على فطنة القارىء لم نر ضرورة لبيانها لعدم أهميتها

البيان والتبيين

حققه وشرحه

حسن السندوبي

البيان والتبيين

لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الجاحظ

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا

ابن العميد

حققه وشرحه

حسن السندوبى

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

وهى تمتاز عن سابقها بدقة التحقيق والضبط والتهذيب وزيادة الشرح

القاهرة فى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر

شارع الخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب العصا

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله تعالى على محمد خاصة ، وعلى أنبيائه عامة .

هذا أبقاك الله تعالى الجزء الثالث من القول فى « البيان والتبيين » ، وما شابه ذلك مِن غُرَر الأحاديث وشاكله من عُيون الخطب ، ومِنَ الفِقَرِ المُستحسنة والنُّتَفِ المُتَخَيَّرَةِ والمقطعات المستخرجة ، وبعض ما يجوز فى ذلك من أشعار المذاكرة والجوابات المنتخبة .

ونبدأُ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشُّعوبيَّةِ (١) ومن يتحلَّى باسم التسوية (٢)

(١) أجملنا القول فى الشعوبية فى حاشية الصفحة ٤ من الجزء الثانى وهنا نرى أنه لابد من التفصيل والبيان . فنقول : الشعوبية فرقة من الناس يذهبون إلى تحقير شأن العرب والحط من قدرهم وتصغير أمرهم ويرون أن لافضل لهم على غيرهم ، ومنهم من يسوى العرب بسواهم من الأمم والشعوب ، ومنهم من يفضل بعض أنواع العجم على العرب ، ومنشأ ذلك كله بعض الموالى وأبناء الاماء . ويقال إن زياد بن ابيه لما استلحقه معاوية بأبي سفيان علم أن العرب لن تقر له بذلك مع علمهم بحقيقة حاله وبعلة ذلك الاستلحاق ، فعمل كتاب « المثالب » وألصق فيه بالعرب كل نقيصة ، وزعموا ان هشام ابن عبد الملك امر النضر بن شميل وخالد بن سلمة المخزومى فوضعا كتابا فى مثالب العرب ومناقبها ، وليس لقريش فى هذا الكتاب ذكر ، ثم وضع الهيثم بن عدى ، وكان دعيا ، كتابا حاول فيه ان يعر اهل الشرف من العرب تشفيا منهم ، ووضع ابو عبيدة معمر بن المثنى كتابا فى المثالب بالغ فيه واستقصى لأن اباه كان يهودياً وكان ربما عير بذلك ، مع علمه وفضله وسعة إحاطته . ثم نشأ علان ابن الحسن الشعوبي الوراق وكان متزندقا فعمل لطاهر بن الحسين كتابا فى مثالب العرب بدأ فيه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ، وبهتهم فيه بكل نقيصة ورماهم بكل قبيحة ، وقد خرج فى هذا الكتاب عن آداب الاسلام ، واجازه طاهر عليه بثلاثين الف درهم ، ثم وضع ابن غرسية رسالة بليغة فى تفضيل العجم على العرب ، وكل هذه الكتب قد باد ولم يبق منها إلا بعض حكايات منثورة فى كتب الأدب ودواوين التاريخ

(٢) التسوية : يعنى بين العرب والعجم

وبعطائهم على خُطباء العرب بأخذ المِخْصَرَة (١) عند مُناقَلَةِ الكلام ومُساجلة الخصوم بالموزُون والمُقفَّى والمنثور الذى لم يُقفَّ ، وبالأرجاز عند المَتْحِ (٢) وعند مُجاثاةِ الخصم (٣) وساعة المُشاولة (٤) وفى نفس المجادلة والمجاولة (٥) وكذلك الأسجاع عند المُنافرة والمفاخرة (٦) واستعمال المنثور فى خُطب الحَمالَةِ (٧) وفى مقامات الصُّلح وسلّ السَّخيمة (٨) والقول عند المُعاقَدَة والمعاهدة (٩) وترك اللفظ يجرى على سجيته وعلى سلامته حتى يخرج على غير صنعة ولا اختلاف تأليف ولا التماس قافية ولا تكلفٍ لوزن ، مع الذى عابوا من الإشارة بالعِصِىّ والاتكاء على أطراف القِسِىّ وخَدّ وجهِ الأرض بها (١٠) واعتمادها عليها إذا استحنفرت فى كلامها (١١) وافتَنَّتْ يوم الحفل فى مذاهبها (١٢) ولزومها العمائم فى أيام الجموع وأخذها المخاصر فى كل حال (١٣) وجلوسها فى خطب النكاح ، وقيامها فى خطب الصلح وكل ما دخل فى باب الحَمالة وأكّد شأن المُحالفة وحقق حُرْمَة المجاورة ، وخطبهم

(١) المخصرة : العصا

(٢) المتح : السقى من البئر بالدلاء

(٣) المجاثاة : هي ان يجثو الخصمان على الركب امام بعضهما ثم يأخذان فى صنوف الجدل

(٤) المشاولة : تفرق الكلمة وان يتعرض كل خصم لخصمه بالسب وكل يشول بلسانه على خصمه كما تشول العقرب بذنبها

(٥) فى بعض النسخ : المجادلة والمحاورة . وفى بعضها : المجادلة والمحاولة . وكلاهما غير حسن والجيد ما اثبتناه .

(٦) المنافرة : هى ان يقول الخصم لخصمه : انا اعز منك نفرا واكثر عددا واقوى عضدا . والمفاخرة تكون بالأحساب والأنساب والأفعال والأقوال

(٧) الحمالة : الدية يحملها اهل القاتل إلى اهل المقتول

(٨) سل السخيمة : نزع الضغينة

(٩) كان بالاصول : المعاقرة والمعاهدة . وليس هنا مقام المعاقرة . والصواب ما اثبتناه والمراد عقد الصلح والعهد عليه

(١٠) الخد : الشق

(١١) كان بالاصول : استحفزت . ولست مرادة فى هذا المقام ، والصواب ما اثبتناه . واستحنفر : مضى مسرعا فى قوله

(١٢) افتنت : اخذت فى فنون من القول . يوم الحفل : يوم اجتماع القوم لشأن هام

(١٣) كان بالاصول : ولزومهم العمائم . واخذ المخاصر . والصواب ما اثبتناه كما هو مقتضى السياق

على رواحلهم فى المواسم العظام والمجامع الكبار ، والتماسح بالأكف والتحالف على النار والتعاقد على المِلْح وأخذ العهد المؤكد واليمين الغموس ، مثل قولهم : ماسَرَى نَجْمٌ ، وهبّتْ رِيحٌ ، وبَلّ بَحْرٌ صُوفَةً ، وخالفتْ جِرّةٌ دِرّةً .(١) ولذلك قال الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيُّ :(٢)

وَاذْكُرُوا حِلْفَ ذِي المَجَازِ وَمَاقُدِّمَ فِيهِ العُهُودُ وَالكُفَلاءُ

حَذَرَ الخَوْنِ وَالتَّعَدِّي وَهَلْ تَنْقُضُ مَا فِي المَهَارِقِ الأَهْوَاءُ(٣)

وقال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ :(٤)

إذا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ المُهَوِّلِ حَالِفُ(٥)

وقال الكُمَيْتُ :

كَهَوْلَةَ مَا أَوْقَدَ المُحْلِفُونَ لَدَى الحَالِفِينَ وَمَا هَوَّلُوا(٦)

وقال الأول :

حَلَفْتُ بِالمِلْحِ وَالرَّمَادِ وَبِالنَّارِ وَبِاللهِ نُسْلِمُ الحَلَقَةْ

حَتَّى يَظَلَّ الجَوَادُ مُنْعَقِرًا وَتَخْضِبَ النَّبْلُ غُرَّةَ الوَرَقَةْ

---

(١) الجرة : مايدفعه البعير من جوفه إلى فيه فيعيد مضغه . والدرة : اللبن

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣١ من الجزء الثانى . وهذان البيتان من قصيدته المشهورة التى اولها :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

(٣) قال الجاحظ : الخون الخيانة . ويروى : الجور .

(٤) قال أبو عمرو بن العلاء : كان اوس فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه . وقال الاصمعى : كان اوس اشعر من زهير . وكان زهير راوية اوس . مات سنة ٦٢٠ م . وراجع ص ١٥٩ من الجزء الأول

(٥) المهول : المتصدر لاحلاف الناس . والبيت فى وصف ثور وحشي . وهذا البيت من قصيدة اولها :

تنكر بعدى من أميمة صائف فبرك فأعلى تولب فالمخالف

وفيها يقول :

ولو كنت من رغان تحرس بابه اراجيل احبوش واغضف آلف

إذاً لاتتنى حيث كنت منيتى يخب بها هاد لاثرى قائف

(٦) كان العرب فى الجاهلية إذا أرادوا ان يستحلفوا إنسانا ذهبوا به إلى المحلف وهو المهول فيوقد نارا ويلق أتباعه فيها الملح فيفقع ويصير له ازيز فيهول المحلف على الحالف أي يخوفه . وهذا البيت من أبيات للكميت بن زيد الاسدى يقول فيها :

وقال الأول:

حلفتُ لهمْ بالملحِ والجمعُ شُهَّدٌ　　وبالنارِ واللاتِ التي هي أعظمُ

وقال الحُطَيئةُ في إضجاع القِسِيّ:

أم من لخصمٍ مُضجعينَ قِسيَّهمْ　　صُعْرٍ خدودُهمُ عِظامِ المَفْخرِ (١)

وقال لَبيدُ بنُ رَبيعةَ في خدّ وجه الأرض بالقِسيّ والعِصيّ:

نَشينَ صِحاحَ البِيدِ كُلَّ عَشيَّةٍ　　بعُوجِ السَّراءِ عندَ بابٍ مُحجَّبِ

ومثله:

إذا اقتسمَ الناسُ فضلَ الفخارِ　　أطَلْنا على الأرضِ مَيلَ العصا

ومثله:

حكمتْ لنا في الأرضِ يومَ مُحرِّقٍ　　أيّامُنا في الناسِ حُكماً فيصلا

وقال لَبيدُ بنُ رَبيعةَ في ذكر القِسيّ:

ما إنْ أهابُ إذا السُّرادِقُ غمَّهُ　　قَرْعُ القِسيِّ وأرْعشَ الرِّعْديدُ

وقال كُثَيِّر، في الاسلام:

إذا قرعوا المنابرَ ثمّ خطُّوا　　بأطرافِ المخاصرِ كالغِضابِ

إلي آل بيت أبي مالك　　مناخ هو الارحب الاسهل
تمت بأرحامنا الداخلا　　ت من حيث لاينكر المدخل
وجدنا قريشا قريش البط　　اح على مابنى الاول الأول
بهم صلح الناس بعد الفسا　　د وحيص من الفتق مارعبلوا

وقد كرر معنى التهويل في قوله:

وما ضرب الامثال في الجور قبلنا　　لاجور من حكامنا المتمثل
هم خوفونا بالعمي هوة الردى　　كما شب نار الحالفين المهول

(١) هذا البيت من كلمة للحطيئة في علقمة بن هودة نرويها لما فيها من الخلاف قال:

يا جفنة ترك ابن هوذة خلفه　　ملئى لصحبته كحوض المقتري
كعريضة الشيزى بكل فوقها　　شحم السنام غداة ريح صرصر
أم من لراسية كأن وراءها　　نقع تعاوره بنات الاخدر
ام من لخصم مضجعين قسيهم　　ميل خدودهم عظام المفخر
ان الرزية لا أبالك هالك　　بين الدماخ وبين هالة خنزر
تلك الرزية لا رزية مثلها　　فاتقى حياءك لا ابالك واصبرى

وقال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخا من بقايا العرب : أى العرب رأيته أضخم شأنا ؟ قال : حِصْن بنُ حُذيفة : رأيته متوكئا على قوسه يقسم فى الحليفين أسَدٍ وغَطفان .

وقال لَبِيدُ بن رُبيعة (١) فى الإشارة :

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بِالدُّخُولِ كَأَنَّهَا ... جِنُّ البَدِىِّ رَوَاسِياً أَقْدَامُهَا

وقال مَعْنُ بنُ أَوْسٍ المُزَنِىُّ (٢) :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى رَسُولاً ... عُبَيْدَ اللهِ إِذْ عَجِلَ الرِّسَالَا

تَعَاقَلَ دُونَنَا أَبْنَاءُ ثَوْرٍ ... وَنَحْنُ الأَكْثَرُونَ حَصًى وَمَالَا (٣)

إِذَا اجْتَمَعَ القَبَائِلُ جِئْتَ رِدْفاً ... أَمَامَ المَاسِحِينَ لَكَ السِّبَالَا (٤)

فَلَا تُعْطَى عَصَا الخُطَبَاءِ فِيهِمْ ... وَقَدْ تُكْفَى المَقَادَةَ وَالمَقَالَا

فذكر عصا الخطباء كما ترى ، وقال الآخر فى حمل القناة :

إِنِّى امْرُؤٌ لَا تَخَطَّاهُ الرِّفَاقُ وَلَا ... جَدْبُ الخُوَانِ إِذَا مَا اسْتُشْنِىَ المَرَقُ

صُلْبُ الحَيَازِيمِ لَا هَذْرُ الكَلَامِ إِذَا ... هَزَّ القَنَاةَ وَلَا مُسْتَعْجِلٌ زَهِقُ

وقال جَرِيرُ بنُ الخَطَفَى فى حمل القناة :

مَنْ لِلْقَنَاةِ إِذَا مَا عَىَّ قَائِلُهَا ... وَلِلْأَعِنَّةِ يَا عَمْرَو بْنَ عَمَّارِ

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٠٣ من الجزء الاول . وهذا البيت من قصيدته المعلقة التى اولها :

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٨٠ من الجزء الثانى

(٣) التعاقل : اخذ الدية . يريد بالحصى العدد الكثير .

(٤) ويروى :

إذا اجتمعوا حضرت فجئت ردفا ... وراء الماسحين لك السبالا

فلا تعطى عصا الخطباء فيهم ... وقد تكفى المقادة والمقالا

وبعده :

فانكم وترك بنى ابيكم ... واسرتكم تجرون الحبالا

وودكم العدى ممن سواكم ... لكالحيران يتبع الظلالا

فانا بالشروج وجانبيها ... نشك خلالها حلقا حلالا

نخف المترعات إذا شتونا ... إذا النكباء عاقبت الشمالا

ندر الحرب مادرت عصوبا ... ونحلبها ونمريها علالا

قالوا: وهذا مثل قول أبى المُجِيبِ الرَّبَعِىّ [١] حيث يقول : لاتزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة ، فعند ذلك يفضحك أو يمدحك . يقول : إذا قام يخطب فقد قام المقام الذي لابد من أن يخرج منه مذموماً أو محموداً . وقال عبدُ اللهِ بن رُؤْبَة : سألَ رجل رُؤْبةَ عن أخطب بنى تميم فقال : خِدَاشُ بنُ بِشْر بن لَبِيدِ ابنِ خالدٍ ، يعنى البَعِيثَ الشاعر ،[٢] وإنما قيل له البَعِيث لقوله :

تَبَعَّثَ مِنِّى مَا تَبَعَّثَ بَعْدَ مَا ... أُمِرَّتْ حِبَالِى كلَّ مِرَّتِهَا شَزْرَا

وقال أبو اليَقْظانَ : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البَعِيث إذا أخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الأرض ثم رفعها . قال يونس : لعمرى لئن كان مُغَلَّباً فى الشعر لقد كان غلَب فى الخطب . وإذا قالوا : غلَبَ فهو الغالب ، وإذا قالوا : مُغَلَّباً فهو المغلوب .

وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه جاء البَقِيعَ ومعه مِخْصَرَةٌ فجلس فنكت بها الأرض ثم رفع رأسه فقال : « مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ أوِ النَّارِ » وهو من حديث أبى عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِى . ومما يدلك على استحسانهم شأن المِخْصَرَةِ حديث عبدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ [٣] ذى المخصرة وهو صاحب ليلة الْجُهَنِىِّ وكان النبى صلى الله عليه وسلم أعطاه مخصرة فقال : « تَلْقَانِى بِهَا فى الْجَنَّةِ » وهو مهاجر عَقَبى أنصارى ، وهو ذو المخصرة فى الجنة

(١) مضت ترجمته فى ص ١٢٦ من الجزء الثانى

(٢) مضت ترجمته فى ص ٥٤ من الجزء الاول . وقال ابن سلام : كان البعيث شاعرا فاخر الكلام حر اللفظ وقد غلبه جرير وأخمله . وقال ابن قتيبة : كانت أم البعيث اصبهانية يقال لها ، مردة ، وسمى البعيث بقوله :

تبعث منى ما تبعث بعد ما ... استمر فؤادى واستمر عزيمى

(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن انيس الانصارى . من افاضل الصحابة . لم يكن جهنيا وإنما كان من قضاعة ومن قضاعة جهينة . شهد العقبة واحدا ، وكان منزله بأعراف على بريد من المدينة ، واعطاه النبى عصا وقال هى آية بينى وبينك يوم القيامة إن اقل الناس المتخصرون يومئذ . وهو الذى يقال فيه « ليلة الاعرابى » و « ليلة الجهنى » وذلك ان رسول الله امره أن ينزل من بادبته إلى مسجده فيصلى فيه ليلة ثلاث وعشرين . فكان يدخل المسجد مساء هذه الليلة من كل شهر فيصلى العصر ثم لا يخرج عنه إلا لحاجة حتى يصلى الصبح ثم يخرج إلى اهله وهو الذى روى ان ليلة القدر فى هذه الليلة . مات بالمدينة فى زمن معاوية

مطاعن الشعوبية على العرب بشأن العصا

وقالت الشُّعُوبِيَّةُ ومن يتعصب للعجمية : ألقضيب للايقاع والقناة للقار ، والعصا للقتال والقَوْسُ للرمى ، وليس بين الكلام و بين العصا سبب ولا بينه و بين القوس نسب ، وهما إلى أن يشغلا العقل و يصرفا الخواطر و يعترضا الذهن أشبه ، وليس فى حملها ما يشحذ الذهن ولا فى الاشارة بهما ما يجلب اللفظ ، وقد زعم أصحاب الغناء أن المغنى إذا ضرب على غنائه قصّر عن المغنى الذى لا يضرب على غنائه ، وحمل العصا بأخلاق الفدّادين [١] أشبه وهو بجفاة الأعراب وعُنْجُهِيَّةِ أهل البدو ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل و به أشبه.

قالوا : والخطابة شىء فى جميع الأمم ، و بكل الأجيال إليه أعظم الحاجة ، حتى أن الزنج — مع الغثارَةِ [٢] ومع فرط الغباوة ومع كلال الحد وغلظ الحس وفساد المزاج — لَتطيل الخطب وتفوق فى ذلك جميع العجم ، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ وألفاظها أخطأ وأجهل ، وقدعلمنا أن أخطب الناس الفُرْسُ، وأخطبَ الفرس أهلُ فارس ، وأعذبهم كلاماً وأسهلهم مخرجا وأحسنهم ولاء وأشدهم فيه تحنُّكا أهلُ مَرْوٍ، وأفصحهم بالفارسية الدرية و باللغة الفهْلوِيَّةِ أهلُ قصبة الأَهْوَاز ، فأما نغمةُ الهِرْبذِ ونغمةُ المُوبَذَانِ فلصاحب تفسير الزَّمْزَمَةِ [٣]

قالوا : ومن أحب أن يبلغ فى صناعة البلاغة و يعرف الغريب و يتبحر فى اللغة فليقرأ « كتاب كاروند » ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعِبَر والمُثُلات والألفاظ الكريمة والمعانى الشريفة فلينظر إلى سير الملوك .

(١) الفدادون : الرعاة والأكرة والفلاحون لأنهم أصحاب اصوات منكرة

(٢) الغثارة : الغباوة

(٣) الهربذ : رئيس سدنة بيت النار عند المجوس وقد يكون من حكامهم . والموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس . والزمزمة : صوت يديره المجوس فى حلوقهم وخياشيمهم حينما يأكلون او يقرؤن كتاب الزند وحينما يغتسلون . وهو عبارة عن صوت منغم لا يمر منهم على شفة أو لسان لكنهم يتفاهمونه فيما بينهم

فهذه الفُرْسُ ورسائلها وخطبُها وألفاظها ومعانيها ، وهذه يُونان ورسائلُها وخطبُها وعللُها وحِكمُها ، وهذه كتبها فى المنطق التى قد جعلتها الحكماء بها تَعْرِف السَّقَمَ من الصحة والخطأ من الصواب ، وهذه كتب الهند فى حِكمها وأسرارها وسيرها وعللها ، فمن قرأ هذه الكتب عرف غَوْرَ تلك العقول وغرائب تلك الحكم ، وعرف أين البيان والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة ، فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعانى وتخيُّر الألفاظ وتمييز الأمور أن يشيروا بالقنا والعُصِىِّ والقُضبان والقسىِّ ! ؟ كلا ، ولكنكم كنتم رُعاةً بين الإبل والغنم فحملتم القنا فى الحَضَرِ بفضل عادتكم لحملها فى السَّفر ، وحملتموها فى المدَرِ بفضل عادتكم لحملها فى الوَبَرِ ، وحملتموها فى السِّلم بفضل عادتكم لحملها فى الحرب ولطول اعتيادكم لمخاطبة الابل جفا كلامكم وغَلُظَت مخارج أصواتكم حتى كأنكم إنما تخاطبون الصُّمَّان (١) إذا كلمتم الجلساء ، وإنما كان جل قتالكم بالعصى ، ولذلك فخر الأعشى على سائر العرب فقال :

لَسْنَا نُقَاتِلُ بِالْعِصِىِّ ... وَلَا نُرَامِى بِالْحِجَارَهْ
إلَّا عُلَالَةَ أَوْ بُدَا ... هَةَ قَارِحٍ نَهْدِ الْجُزَارَهْ (٢)

وقال الآخر :

فإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السِّلَاحَ فَعِنْدَنَا ... سِلَاحٌ لَنَا لَا يُشْتَرَى بِالدَّرَاهِمِ
جَنَادِلُ أَمْلَاءُ الْأَكُفِّ كَأَنَّهَا ... رُؤُسُ رِجَالٍ حُلِّقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

وقال جَنْدَلُ الطهوىُّ :

حَتَّى إِذَا دَارَتْ رَحًى لَا تَجْرِى ... صَاحَتْ عِصِىٌّ مِنْ قَنًا وَسِدْرِ

وقال آخر : (٣)

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبِيَاعِ فَجِئْتُهُ ... إلى بَيْعَةٍ قَلْبِى لَهَا غَيْرُ آلِفِ

(١) الصمان : جمع الاصم .
(٢) العلالة : بقية جري الفرس ههنا . والبداهة : اول جرى الفرس . والقارح : الفرس الذى بلغ أقصي اسنانه وذلك إذا تم له خمس سنين . والنهد الجزارة : المرتفع الراس واليدين والرجلين
(٣) هو فضالة بن شريك الاسدي وسبب ذلك ان عبد الله بن الزبير كان ولى عبد الله بن مطيع

فناولني خشناء لما لمستها   بكفي ليست من أكف الخلائف
من الشثنات الكزم أنكرت مسها   وليست من البيض الرقاق اللطائف (١)
معاودة حمل الهراوى لقومها   فروراً إذا ما كان يوم التسايف

وقال آخر:

ما للفرزدق من عز يلوذ به   إلا بنى العم فى أيديهم الخشب

مطاعن الشعوب على العرب بشأن آلات الحرب

قالوا: وإنما كانت رماحكم من مرّان (٢) وأسنتكم من قرون البقر، وكنتم تركبون الخيل فى الحرب أعراء، فإن كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من أدم (٣) ولم يكن ذا ركاب، والرّكاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه، وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما، وكان فارسكم يطعن بالقناة الصمّاء وقد علمنا أن الجوفاء أخف محملا وأشد طعنة، وتفخرون بطول القناة ولا تعرفون الطعن بالمطارد (٤) وإنما القنا الطوال للرجالة والقصار للفرسان والمطارد لصيد الوحش، وتفخرون بطول الرمح وقصر السيف، فلو كان المفتخر بقصر السيف الراجلُ دون

العدوى الكوفة فكان يأخذ البيعة على الناس لابن الزبير فلما قام المختار بن ابى عبيد الثقفى للأخذ بثأر الحسين والدعوة لنفسه طرد ابن مطيع عن الكوفة، فقال فضالة بن شريك يهجو ابن مطيع بهذه الابيات نرويها لما فيها من الخلاف عما بالاصل:

دعا ابن مطيع للبياع فجئته   إلى بيعة قلبي لها غير عارف
فقرب لى خشناء لما لمستها   بكفي لم تشبه اكف الخلائق
معودة حمل المراوى لقومها   فرورا إذا ما كان يوم التسايف
من الشثنات الكزم انكرت لمسها   وليست من البيض السباط اللطائف
ولم يسم إذ بايعته من خليفتى   ولم يشترط إلا اشتراط المجازف
متى تلق اهل الشام فى الخيل تلقنى   على مقرب لا يردها بالمجاذف
بمر كبنيان العبادى مخطف   من الضاريات بالدماء الخواطف

(١) الشثنات: الخشنات. الكزم: القصار
(٢) المران: شجر تتخذ من فروعه رماح فيها صلابة ولدونة
(٣) الأدم: الجلد
(٤) المطارد جمع مطرد «بكسر الميم وسكون الطاء وفتح الراء ودال مهملة» الرمح القصير.

الفارس لكن الفارس يفخر بطول السيف ، و إن كان الطول في الرمح إنما صار صوابا لأنه ينال به البعيد ولا يفوته العدو ولأن ذلك يدل على شدة أسْر الفارس وقوة أيدهِ ، فكذلك السيف العريضُ الطويل . وكنتم تتخذون للقناة زُجًّا(١) وسِنانًا حين لم يقبض الفارس منكم على أصل قناته ويعتمد عند طعنته بفخذه ويستعين بحمية فرسه ، وكان أحدكم يقبض على وسط القناة و يخلف منها على مثل ما قدَّم ، فانما طعنكم الدَّرْهُ والنَّهْزَةُ والخلسُ والزَّجُّ(٢) وكنتم تتساندون في الحرب وقد عُلم أن الشركة ردية في ثلاثة أشياء : في الملك والحرب والزوجة ، وكنتم لا تقاتلون بالليل ولا تعرفون البَيَات(٣) ولا الكمين ولا الميمنة ولا الميسرة ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطَّليعة ولا النفيضة(٤) ولا الدراجة(٥) ولا تعرفون من آلة الحرب : الرَّتيلة(٦) ولا العرَّادة(٧) ولا المجانيق ولا الدباب(٨) ولا الخنادق ولا الحسك(٩) ولا تعرفون : الأقْبية(١٠) ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود(١١) ولا التجافيف(١٢) ولا الجواشن(١٣) ولا الخوذ(١٤) ولا

(١) الزج : حديدة مدببة تركب في أسفل الرمح

(٢) الدره : الرمي والقذف . والنهز : الدفع . والخلس : المخالسة في الطعن . والزج : القذف بالرمح القصير

(٣) البيات : الايقاع بالعدو ليلا

(٤) كان بالاصول النفاضة ، وهو خطأ والصواب : النفيضة وهي الجماعة يبعثون في الارض لينظروا هل فيها عدو لم لا

(٥) الدراجة : آلة كالدبابة تعمل لحصار المدن تدخل تحتها الرجال المقاتلة

(٦) الرتيلة : لعلها آلة تقذف الحصيات على العدو فتصيب الوجوه والعيون

(٧) العرادة : آلة حربية تشبه المنجنيق وهي دونه

(٨) الدباب : الدبابة وهي آلة تتخذ للدفع في أصول الحصون وفي جوفها الرجال ينقبون الجدران

(٩) الحسك : خناجر تصنع من الحديد الصلب لها شعب تغرز أنصبتها في الارض حول العسكر حتى إذا دب إليه العدو انشبت في ارجل الخيل والرجالة فتمنعهم من الدنو . وقد رأينا صورها في المجلات أيام الحرب الأوربية التي وقعت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨

(١٠) الاقبية : ضرب من الثياب أخذتها العرب عن الفرس

(١١) البنود جمع بند : العلم الكبير

(١٢) التجافيف جمع التجفاف (بكسر التاء) آلة يغطى بها الفارس والفرس في الحرب للوقاية

(١٣) الجواشن : صدور الدروع ، وقد تطلق على الدرع بأكمله

(١٤) الخوذ : المغافر وهي الزرد يلبس تحت القلنسوة ويتصل بالدرع من الخلف وقد يتقنع بأطرافه المتسلح

السواعد ولا الأجراس ولا الوهق (١) ولا الرمى بالبنجكان ولا الزَّرْقَ بالنَّفط ولا النيران، وليس لكم فى الحرب صاحب عَلَم يرجع إليه المُنْحَازُ ويتذكره المنهزم، وقتالكم إما سَلَّةٌ وإما مزاحفة، والمزاحفة على مواعد متقدمة، والسَّلَّة مسارقة وفى طريق الاستلاب والخلسة. قالوا: والدليل على أنكم لم تكونوا تقاتلون بالليل قول العامرى (٢):

يا شدَّةً ما شددنا غيرَ كاذبةٍ ... على سخينة لولا الليلُ والحرمُ

ويدل على ذلك أيضا قول الحارث بن ضرار:

وعمرو إذ أتانا مستميتاً ... كسونا رأسه عضباً صقيلاَ
فلولا الليلُ ما آبوا بشخصٍ ... يُخبّرُ أهلهم عنهم فتيلاَ

وقال أميةُ بن الأسكر (٣):

ألم تر أنَّ ثعلبةَ بن سعدٍ ... غضابٌ حبذا غضبُ الموالى
تركتُ مُصرّفاً لما التقينا ... صريعاً تحت أطراف العوالى
ولولا الليلُ لم يَغلِبْ ضِرارٌ ... ولا رأسُ الحمارِ أبو جُفالِ

الرد على الشعوبية

قلنا: ليس لكم فيما ذكرتم فى هذه الأشعار دليل على أن العرب لا تقاتل بالليل، وقد يقاتل بالليل والنهار من تحولُ دون ماله المدن وهولُ الليل، وربما

(١) الوهق: حبل فيه أنشوطة يرمى به الفارس فيأخذه بفرسه

(٢) هو خداش بن زهير بن ربيعة العامرى. كان من الشعراء المجيدين فى الجاهلية، وكان فارساً مغوارا جيد الرأى. وهذا البيت من كلمة قالها خداش بوم نخلة من ايام الفجار وقد لجأت فيه قريش إلى الحرم معتصمة به. وسخينة لقب تبذ به قريش. وبعده:

إذ يتقينا هشام بالوليد ولو ... انا ثقفنا هشاما شالت الجذم
بين الأراك وبين المرج تبطحهم ... زرق الأسنة فى اطرافها السهم
فان سمعتم بجيش سالك سرفا ... وبطن مر فأخفوا الجرس واكتتموا

(٣) هو امية بن حرثان بن الاسكر الليثى الكنانى. كان فارساً شاعراً سيدا ادرك الجاهلية والاسلام ووفد الى النبى وأسلم. وعمر عمرا طويلا ومات فى خلافة عمر بن الخطاب

تحاجز الفريقان وإن كان كل واحد منهما يرى البيَاتَ ويرى أن يقاتل إذا بيّتوه وهذا كثير ، والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعْدِ بن مالكٍ فى قتل كعْبِ بنِ مُزَيقيا الملك الغسّانى :

وَلَيلةِ تُبَّعٍ وَخَمِيسِ سَعْدٍ   أتونا بعْدَ ما نمْنا دَبِيبا
فَلَمْ نَهْدَأْ لِبأْسِهِمُ وَلكِنْ   رَكِبْنا حَدَّ كوكَبِهِمْ رُكُوبًا
بِضَرْبٍ تَفْلِقُ الهاماتُ مِنْهُ   وَطَعْنٍ يَفْصِلُ الحَلَقَ الصَّلِيبا

وقال بِشْرُ بن أبى خازمٍ : (١)

فأَمّا تَمِيمُ تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ   فأَلْفاهُمُ القَوْمُ رَوْبَى نِياما

يقول : شربوا اللبن الرائب فسكروا منه ، وهو اللبن الذى قد أخرجت زُبدته . وقال عياضٌ السّدى :

وَنحنُ نَجَلْنا لابْنِ مَيْلاءَ نَحْرَهُ   بِنَجْلاءَ مِنْ بَيْنِ الجوانحِ تَشْهَقُ (٢)
وَيومَ بَنِى الدّيّانِ نالَ أخاهُمُ   بأرْماحِنا بالسّىِّ مَوْتٌ مُحَدِّقُ
وَمِنّا حُماةُ الجيشِ لَيْلةَ أقبلَتْ   إيادٌ يُزَجّيها الهُمامُ مُحَرِّقُ (٣)

وقال آخر :

وَعَلَى شُتَيْرٍ راحَ مِنّا رائحٌ   بأبى قَبِيصَةَ كالفَنِيقِ المُقْرَمِ (٤)
يَرْدِى بِشرْحافِ المَغادِرِ بعْدَما   نَشَرَ النّهارُ سَوادَ لَيْلٍ مُظلِمِ (٥)

وقال عياضٌ السدى :

لِحِمامِ بِسْطامِ بْنِ قَيْسٍ بَعْدَما   جَنَحَ الظّلامُ بِمِثْلِ لَوْنِ العِظْلِمِ (٦)

---

(١) مضت ترجمته فى ص ١٠ من الجزء الثانى . وهذا البيت من قصيدة له انظرها بالمفضليات مشروحة بقلمنا

(٢) نجلنا : طعناه طعنة نجلاء ، والنجلاء التى يتدفق منها الدم بغزارة لسعتها

(٣) المحرق : هو عمرو بن هند الملك

(٤) الفنيق المقرم : الجمل الضخم المتخذ للضراب

(٥) شرحاف المغادر : يريد بحوافر عراض تغادر الحصى يتناثر خلفها

(٦) هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني البكري كان من فرسان العرب المشهورين وابطالهم

وقال أوسُ بنُ حجر : (١)

بَاتُوا يُصِيبُ القومُ ضَيفاً لهمُ   حَتَّى إذا ما لَيلُهمْ أظلَمَا
فَرَدَّهمْ شَهبَاءُ مَلمُومَةٌ   مِثلُ حَرِيقِ النَّارِ أو أضرَمَا (٢)
وَاللهِ لَوْلاَ قُرْزُلٌ مَا نجَا   وَكانَ مَثْوَى خَدِّكَ الأخرَمَا (٣)
نجَّاكَ جَيَّاشٌ هَزِيمٌ لَهُ   أخميتَ وَسطَ الوَبَرِ المِيسَمَا

وبعد ، فهل قتل ذُؤابُ الأسديُّ (٤) عُتَيبةَ بنَ الحارثِ بنِ شِهابٍ (٥) إلاّ وسط الليل الأعظم حين تبعوهم فلحقوهم ! وكانوا إذا اجتمعوا للحرب دخَّنوا بالنهار وأوقدوا بالليل ، قال عمرُو بنُ كلثومٍ ، وذكر واقعة لهم : (٦)

وَنحنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فِي خَزَازَى   رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا

وقال خَمخَامُ السَّدُوسيُّ : (٧)

وَإنَّا بِالصُّلَيْبِ بِبَطنِ فَخٍّ   جَمِيعاً وَاضِعِينَ بِهِ لَظَانَا
نُدَخِّنُ بِالنَّهَارِ لِيُبْصِرُونَا   وَلاَ نَخْفَى عَلَى أحَدٍ أتَانَا

وأما قولهم : لايعرفون الكمينَ فقد قال أبوقَيسِ بنِ الأسلتِ : (٨)

المعدودين وكان من اشرف بيوت ربيعة واجلها نسبا واضخمها حسبا . قتل في الجاهلية . والعظلم : عصارة شجر تكون سوداء

(١) مضت ترجمته في ص ١٥٩ من الجزء الاول وص ٦ من هذا الجزء

(٢) الشهباء الملمومة : الكتيبة من الجيش

(٣) قرزل : رس عامر بن الطفيل

(٤) هو ذؤاب بن ربيعة بن عبيد الأسدي . كان فارسا مغوارا وبطلا كرارا

(٥) مضت ترجمته في ص ١٨٥ من الجزء الثاني

(٦) هذا البيت من قصيدته المشهورة التي اولها :

الا هبي بصحنك فاصبحينا   ولا تبقي خمورا لا تدرينا

وهي من جيد الشعر وكانت بنو تغلب شغوفة بها ، فقال احد الشعراء فيهم :

الهى بنى تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان اولهم   يا للرجال لشعر غير مسئوم

(٧) خمخام بن حملة السدوسي . قال ابن دريد : كان فارسا شاعرا ظالما ، وإنما سمي الخمخام لأنه كان يتخمخم على الناس في كلامه كأنه يخرج نفسه . وكان يقول : انا جار كل من طلعت عليه الشمس .

(٨) هو صيفي بن عامر الوائلي الاوسي . كان من شعراء الجاهلية وفرسانها وساداتها . وكانت الاوس اسندت إليه قيادتها في حروبها مع الخزرج فنهض باعبائها واحسن التدبير فيها

وَأَحْرَزْنا المَغَانِمَ وَاستَبَحْنَا ... حِمَى الأَعْدَاءِ وَاللهُ المُعِينُ
بِغَيْرِ خَلَابَةٍ وَبِغَيْرِ مَكْرٍ ... مُجَاهَرَةً وَلَمْ يُخْبَأْ كَمِينُ

وأما ذكرهم للرُّكُبِ فقد أجمعوا على أن الرُّكُبَ كانت قديمة، إلا أن رُكُبَ الحديد لم تكن فى العرب إلا أيام الأزارقة (١) وكانت العرب لا تُعَوِّد أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها فى الرُّكُب، وإنما كانت تَنْزُو نَزْواً، وقال عُمَرُ بنُ الخطّابِ رضى الله تعالى عنه: لا تَخُورُ قُوًى ما كان صاحبها يَنْزُو ويَنْزِعُ. يقول: أى لا تنتكث قوته ما دام ينزع فى القوس وينزو فى السرج من غير أن يستعين بركاب. وقال عمر: الراحة عُقلة، وإياكم والسِّمنة فإنها عُقلة. ولهذه العلة قُتل خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاص (٢) حين غشيه العدو وأراد الركوب ولم يجد من يحمله. ولذلك قال عمرُ حين رأى المهاجرين والأنصار لما أخصبوا وهمّ كثير منهم بمقاربة عيش العجم: تَمَعْدَدُوا (٣) واخْشَوْشِنُوا واقطَعُوا الرُّكُبَ وانْزُوا على الخيل نَزْواً. وقال: إحْفُوا وانتعلوا فإنكم لا تدرون متى تكون الجَفْلَةُ.

وكانت العرب لا تدع اتخاذ الرُّكاب للرحل فكيف تدع الركاب للسرج! ولكنهم كانوا إن اتخذوا الرُّكُبَ فإنهم لا يستعملونها إلا عند ما لابد منه كراهية أن يتكلوا على بعض ما يورثهم الإسترخاء والتفنخ ويضاهُوُن أصحابَ التَّرَفه والنعمة. قال الأصْمَعىُّ: قال العُمَرىُّ: كان عمرُ بنُ الخطاب رضى الله تعالى عنه

(١) الازارقة: من الخوارج وذلك حينما كان يحاربهم المهلب واولاده وهو الذى امر باتخاذ ركب الحديد

(٢) هو خالد بن سعيد بن العاص بن امية. اسلم قبل إسلام ابى بكر وولاه النبى صدقات بنى زبيد فحاز سيف عمرو بن معديكرب المسمى بالصمصامة. ولم يزل عند بنيه حتى اشتراه منهم المهدى العباسى. وقتل خالد يوم اليرموك

(٣) تمعددو: تزيوا بزي العرب من معد بن عدنان، وكانوا اهل قشف وغلظ فى معاشهم، ودعوا التنعم والتزيي بزى العجم

يأخذ بيده اليمنى أُذُن فرسه اليُسْرَى ثم يجمع جَراميزَه (١) ويثبُ فكأنما خُلق على ظهر فرسه ، وفعل مثل ذلك الوليدُ بنُ يزيدَ وهو يومئذ ولى عهد هشام ، ثم أقبل على مَسلمةَ بن هِشام فقال له : أبوك يُحسن مثل هذا ! فقال مسلمة : لأبى مائة عبد يُحسنون مثل هذا ! فقال الناس : لم يُنصفه فى الجواب .

وزعم رجال من مشيختنا أنه لم يقم أحد من ولد العباس بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسية .

وأما ماذكروا فى شأن رماح العرب فليس الأمر فى ذلك على مايتوهمون ، وللرماح طبقات فمنها « النيْزَكُ » ومنها « المَرْبوعُ » ومنها « المخموسُ » ومنها « التامُّ » ومنها « الخَطِلُ » وهو الذى يضطرب فى يد صاحبه لإفراط طوله ، فإذا أراد الرجل أن يُخبر عن شدة أسر صاحبه ذكره كما ذكر مُتمِّم بنُ نُوَيْرَةَ أخاه مالِكا فقال : كان يخرج فى الليلة الصِّنَّبْرة (٢) عليه الشملة الفلوتُ (٣) بين المزادتين النَّضوحتين (٤) على الجمل الثَّفَالِ (٥) معتقلَ الرمح الخَطِلَ . قالوا له : وأبيك إن هذا لهو الجلدُ (٦) . ولا يحمل الرمح الخطل منهم إلا الشديدُ الأيِّدِ (٧) والمدلُّ بفضل قوته عليه الذى إذا رآه الفارس فى تلك الهيئة هابه وحاد عنه ، فإن شد عليه كان أشد لاستخدامه له ، والحال الأخرى أن يخرجوا فى الطلب بعقب الفارَّة (٨) فربما شد على الفارس المولى فيفوته بأن يكون رمحه مَربوعاً أو مخموساً وعند ذلك يستعملون النّيازك ، والنيزك أقصر الرماح ، وإذا كان الفارس الهارب يفوت الفارس الطالب زَجَّه بالنيزك ، وربما هاب مخالطته فيستعمل الزَّجَّ دون

(١) جراميزه : مجموع بدنه
(٢) الصنبرة : الباردة
(٣) الشملة الفلوت : هى التى لاينضم طرفاها لصغرها
(٤) المزادتان النضوحتان : القربتان اللتان ترشحان بالماء
(٥) الجمل الثفال : البطىء المشى
(٦) الجلد : القوى الشديد
(٧) الأيد : القوة
(٨) الفارة جمع الفار : الهاربون

الطعن ، صنيع ذُؤابِ الأسدِىِّ بعتيبةَ بن الحارثِ بن شهاب . وقال الشاعر :

وَأَسْمَرَ خَطِّيًّا كَأَنَّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قَدْ أَرْمَى ذِرَاعًا عَلَى العَشْرِ (١)

وقال آخر :

هَاتِيكَ تَحْمِلُنِى وَأَبْيَضَ صَارِمًا وَمُحَرَّبًا فى مَارِنٍ مَخْمُوسِ

وقال آخر :

تَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ بَوَادِرُ مَرْبُوعَاتُها وَطِوَالُها

وهم قومٌ الغارات فيهم كثيرة ، و بقدر كثرة الغارات كثر فيهم الطلب ، والفارس ربما زاد فى طول رمحه ليخبر عن فضل قوته ، ويخبر عن قصر سيفه ليخبر عن فضل نجدته ، قال كعبُ بن مالك : (٢)

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا قُدُمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقِ

وقال آخر :

إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمُ حَدُّ الظُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

وقال رجل من بنى تميم بن نُمَيْر :

وَصَلْنَا الرِّقَاقَ الْمُرْهَفَاتِ بِخَطْوِنَا عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى أَمْكَنَتْنَا المَضَارِبُ

وقال حُميدُ بنُ ثَور الهلالىُّ :

وَوَصْلُ الْخُطَى بِالسَّيْفِ وَالسَّيْفِ بِالْخُطَى إِذَا ظَنَّ أَنَّ السَّيْفَ ذُو السَّيْفِ قَاصِرُ

وقال آخر :

الطَّاعِنُونَ فِى النُّحُورِ وَالْكُلَى شَزْرًا وَوُصَّالُ السُّيُوفِ بِالْخُطَى

---

(١) القسب : التمر اليابس . أرمى : زاد وأربى

(٢) هو كعب بن مالك الخزرجى الانصارى . كان من اصحاب رسول الله ومن أفاضل الشعراء الذين نافحوا عن الاسلام بسيوفهم وألسنتهم وقوة عارضتهم . وقد روى الأحاديث وحملت عنه . وكان عثمانى الهوى وكان يحرض الانصار على الاخذ بثأر عثمان من قاتليه . ومات فى عهد معاوية . وهذا البيت من قصيدة بارعة قالها يوم الخندق أولها :

من سره ضرب يمعمع بعضه بعضا كمعمعة الاباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها بين المذاد وبين جذع الخندق

وأما ما ذكروا من اتخاذ الزُّج لسافلة الرُّمح والسنان لِعاليَتهِ ، فقد ذكروا أن رجلا قتل أخوين فى نقَابٍ [١] أحدهما بعالية الرمح والآخر بسافلته . وقدم فى ذلك راكبٌ من قِبَلِ بنى مرْوان على قتَادَةَ [٢] يستثبت الخبر فأثبته له من قِبَله . وقال الآخر :

إنَّ لِقيْسٍ عَادَةً تعْتَادُهَا ... سَلَّ السُّيُوفِ وَخُطَى تَزْدَادُهَا

وقد وصفوا السيوف أيضاً بالطول فقال عُمارةُ بنُ عَقيلٍ [٣] :

بِكُلِّ طَوِيلِ السَّيْفِ ذِى خَيْزُرَانَةٍ ... جَرِيءٍ عَلَى الأَعْدَاءِ مُعْتَمِدِ الشَّطْبِ

وجملة القول أنا لانعرف الخطب إلا للعرب والفرس ، وأما الهند فإنما لهم معان مدونة وكتب مجلدة لا تُضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف وإنما هى كتب مُتَوارَثَةٌ ، وآداب على وجه الدهر سائرةٌ مذكورةٌ .

ولليونانيين فلسفةٌ وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق نفسه بكِيَّ اللسان [٤] غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه ، وهم يزعمون أن جالينُوس كان أنطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة .

وفى الفرس خطباء ، إلا أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة وعن مشاورة ومعاونة وعن طول التفكر ودراسة الكتب وحكاية الثانى علم الأول وزيادة الثالث فى علم الثانى حتى اجتمعت ثِمَارُ تلك الفكر عند آخرهم .

وكل شيء للعرب فإنما هو بديهةٌ وارتجال وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة

(١) قال الجاحظ : تقول العرب : لقيته سقابا ونقابا أي مواجهة

(٢) هو قتادة بن دعامة السدوسى . ومضت ترجمته فى ص ٩٩ من الجزء الاول

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي . شاعر مقدم فصيح من شعراء الدولة العباسية وكان مداحاً لخلفائها زوارا لأمرائها ، وكان يسكن بادية البصرة ، وكان رواة البصرة ونحاتها يأخذون عنه ويعتمدون قوله . وكانوا يقولون إن شعره أشد استواء من شعر جده جرير . وكان هجاء خبيث اللسان . مات في عهد المتوكل

(٤) بكِيُّ اللسان : قليل الكلام لحبسة فى لسانه

ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرِفَ وَهْمَهُ إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام أو حين أن يَمْتَحَ (١) على رأس بئر أو يحدو ببعير أو عند المقارعة والمناقلة أو عند صراع أو فى حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذى إليه يقصد فتأتيه المعانى أرسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحد من ولده . وكانوا أُميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر وأقهر ، وكل واحد فى نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم أوجز والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ أو يحتاجوا إلى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب ، وإن شيئاً الذى فى أيدينا جزء منه لَبالمِقدار الذى لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب وعددَ التراب وهو الله الذى يحيط بما كان والعالم بما سيكون .

ونحن أبقاك الله إذا ادّعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج ، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق ، من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى البيان أن يقول فى مثل ذلك إلا فى اليسير والنبذ القليل .

ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التى فى أيدى الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة إذا كان مثل ابن المُقَفَّع وسهلِ بنِ هرون (٢) وأبى عبدِ اللهِ (٣) وعبدِ الحميدِ (٤) وغَيْلَانَ (٥) وفلان وفلان لا يستطيعون أن

(١) يمتح : يستق

(٢) مضت ترجمة أولهما فى ص ١٠٨ من الجزء الاول وترجمة ثانيهما فى ص ٥٩ من الجزء الاول

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد الكاتب ، كان من اكابر البلغاء وافاضل الشعراء ، وكان من وزراء المامون ، وذكر ابن النديم ان له كتاب رسائل وديوان شعر ، وذكر ان له ولدا يسمى عبد الله بن محمد بن يزداد [وكان احد الكتاب البلغاء ايضا . وقد ورد ذكر ابى عبد الله فى ص ٢١٠ وفى ص ٢٢٨ من الجزء الاول باسم ابى عبيد الله ، وهو كما ترى خطا

(٤) مضت ترجمته فى ص ١٧٩ من الجزء الاول

(٥) مضت ترجمته فى ص ٢٣٩ من الجزء الاول

يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير !

وأخرى ، إنك متى أخذت بيد الشعوبىّ فأدخلته بلاد الأعراب الخُلَّص ومعدنِ الفصاحة التامة ووقفته على شاعر مفلق أو خطيب مِصقَع علم أن الذى قلت هو الحق وأبصر الشاهد عيانا ، فهذا فرق ما بيننا وبينهم .

فتفهَّم عنى — فهمك الله — ما أنا قائل فى هذا واعلم أنك لم تر قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ولا أشد استهلاكا لعرضه ولا أطول نَصبا ولا أقل غُنْماً من أهل هذه النِّحْلةِ ، وقد شفَى الصدورَ منهم طولُ جثوم الحسد على أكبادهم وتوقد نار الشَّنَآن فى قلوبهم وغليانُ تلك المراجل الفائرة وتسعُّر تلك النيران المضطرمة ، ولو عرفوا أخلاق كل ملة وزى كل لغة وعللهم فى اختلاف إشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهيآتهم وما علة كل شىء من ذلك لم اختلقوه ولم تكلفوه لأراحوا أنفسهم وخفت مؤنتهم على من خالطهم .

والدليل على أن أخذ العصا مأخوذٌ من أصل كريم ومن معدن شريف ومن المواضع التى لا يَعيبها إلا جاهل ولا يعترض عليها إلا معاند ، إتخاذ سليمان بن داود عليه السلام العصا لخطبته وموعظته ولمقاماته وطول صلاته ولطول التلاوة والانتصاب ، فجعلها لتلك الخصال جامعة ، قال الله عز وجل وقوله الحق : « فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلَّا دابَّةُ الأَرْضِ تأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَالَبِثُوا فى الْعَذَابِ الْمُهِينِ » والمِنْسَأَةُ هى العصا . وقال أبو طالبٍ حين قام بدم الرجل الذى ضرب زميله بالعصا فقتله حين تخاصما فى حبل وتجاذبا :

أَمِنْ أَجْلِ حَبْلٍ لَا أَبَاكَ عَلَوْتَهُ ... بِمِنْسَأَةٍ قَدْ جَاءَ حَبْلٌ وَأَحْبُلُ

وقال آخر :

إِذَا دَبَبْتَ عَلَى الْمِنْسَاةِ مِنْ كِبَرٍ ... فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ وَالْغَزَلُ

قال أبو عثمان . وإنما بدأنا بذكر سليمان عليه السلام لأنه من أنبياء العجم

والشمو بنة إليهم أميل وعلى فضائلهم أحرص ، ولما أعطاهم الله أكثر وصفاً وذكراً وقد جمع الله لموسى بن عمرانَ فى عصاه من البُرهانات العظام والعلامات الجسام ما عسى أن يفى (١) ذلك بعلامات عدّة من المرسلين وجماعة من النبيين ، قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر فى عصاه « إنَّ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أنْ يُخرِجاكم مِنْ أرضِكم بسِحْرِهِما » إلى قوله « ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حيثُ أتى »

فلذلك قال الحسنُ بنُ هانىء فى شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه : (٢)

فإنْ تكُ مِنْ فِرْعونَ فِيكُمْ بَقِيَّةٌ فإنَّ عصا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

ألم ترَ أن السَّحرةَ لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصا ، ولا عارضهم موسى إلا بعصاه !

وقال الله عز وجل « وقالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى ألاَّ أقُولَ عَلَى اللهِ إلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فأرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إسْرَائِيلَ قَالَ إنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَألْقَى مُوسَى عَصَاهُ فإذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ » وقال الله عز وجل « قالُوا يَا مُوسَى إمَّا أنْ تُلْقِىَ وَإمَّا أنْ نَكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ قالَ ألْقُوا فلمَّا ألْقَوْا سَحَرُوا أعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأوْحَيْنَا إلَى مُوسَى أنْ ألْقِ عَصَاكَ فإذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

---

(١) كان بالاصول : يفى ، وهو خطأ والصواب ما اثبتناه

(٢) هذا البيت من ابيات لابي نواس نرويها لخلاف فيها :

منحتكم يا اهل مصر نصيحتى الا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا على حد حامي الظهر غير ركوب
فان يك باق إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب
رماكم امير المؤمنين بحية اكول لحيات البلاد شروب

ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعِصِىِّ والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة فى إعطاء البرهان ما جعل للعصا ! وقدرة الله على تصريف الحبال فى الوجوه كقدرته على تصريف العصا .

وقال الله تبارك وتعالى : « فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ » فبارك الله كما ترى على تلك الشجرة وبارك فى تلك العصا ، وإنما العصا جزء من الشجرة ، وقال الله عز وجل « وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا »

وقالت الحكماء : إنما تُبنَى المدائن على الماء والكلأ والمحتطب .

فجمع بقوله « أخرج منها ماءها ومرعاها » النَّجم والشجر والمِلح واليقْطين(١) والبقل والعُشب ، فذكر ما يقوم على ساق وما يتفنن وما يتسطح وكل ذلك مرعى ثم قال على النَّسق « متاعاً لكم ولأنعامكم » فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله ، لأن الملح لا يكون إلا بالماء ولا تكون النار إلا من الشجر ، وقال تبارك وتعالى « الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ » وقال « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ »

والمَرْخُ(٢) والعفارُ(٣) والسُّواسُ(٤) والعَرَاجينُ وجميع عيدان النار وكل عود يقدح على طول الاحتكاك فهو غنى بنفسه بالغ للمقوى(٥) وغير المقوى ،

---

(١) اليقطين : كل مالا ساق له من النبات كالقرع ونحوه
(٢) المرخ : شجر سريع الورى اى الاحتراق
(٣) العفار : شجر يتخذ منه الزناد
(٤) السواس : شجر يتخذ منه الزناد وهو خير ما اتخذ منه
(٥) المقوى : الشديد الجوع

وحجر المرْوِ يحتاج إلى قرّاعةِ الحديد ، وهما يحتاجان إلى العُطْبَةِ [١] ثم إلى الحطب ، والعيدان هى الفادحة وهى المورية [٢] وهى الحطب . قال الله عز وجل « الذين هُمْ يُراؤون ويَمْنعونَ المَاعُون » والماعون : الماء والنار والـكلأ .

وقال الأسدى :

وَكأن أرْحُلَنَا بِأرْضٍ مُحَصَّبٍ ... بِلِوَى عُنَيْزَةَ مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ [٣]

فى حَيْثُ خَالَطَتِ الخُزَامَى عَرْفَجاً ... يَأتِيكَ قَابِسُ أهْلِهَا لَمْ يَقْبِسِ

وإنما وصف خِصب الوادى ولدونة عِيدانه ورطوبة الورق ، وهذا خلاف قوله :

فإنَّ السِّنَانَ يَرْكَبُ المَرْءُ حَدَّهُ ... مِنَ العَارِ أوْ يَعْدُو عَلَى الأسَدِ الوَرْدِ

وَإنَّ الذِى يَنْهَاكُمْ فِى طِلابِهَا ... يُنَاغِى نِسَاءَ الحَىِّ فِى طُرَّةِ البُرْدِ [٤]

يَمَلُّ وَالأيَّامُ تَنْقُصُ عُمْرَهُ ... كَمَا تَنْقُصُ النِّيرَانُ مِنْ طَرَفِ الزَّنْدِ

وذكر الله عز وجل النخلة فجعلها شجرة فقال : « أصلها ثابتٌ وفَرْعُها فى السَّماء » وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حُرْمَةَ الحَرَم فقال « لا يُخْتَلَى خلاها ولا يُعضَدُ شجَرُها » وقال الله عز وجل « وأنْبَتْنا عليهِ شجرةً مِنْ يَقْطِين » ، وتقول العرب : ليس شىء أدفأ من شجره ، ولم يكلم اللهُ موسى إلا من شجرة وجعل الله أكثر آياته فى عصاه وهى من الشجرة ، ولم يمتحن الله عز وجل صبر آدم وحوّاء — إذ هما أصل هذا الخلق وأوله — إلا بشجرة ، ولذلك قال « ولا تقربا هذه الشجرةَ فتكونا مِنَ الظالمينَ » وجعل بيْعَةَ الرِّضوان تحت شجرة ، وقال : « وشجرةً تخْرُجُ من طُورِ سَيْناء تَنبتُ بالدُّهْنِ وصبغٍ للآكلينَ » وسِدْرَةُ المُنتهَى التى عندها جنة المأوى شجرة ، وشجرة سر تحتها سبعون نبياً لا تعبل ولا تسرف ، وحين اجتهد إبليس فى الاحتيال لآدم وحواء عليهما السلام

---

(١) العطبة : القطعة من القطن

(٢) المورية : يعني المظهرة للنار

(٣) المحصب ولوى عنيزة : اسما مكانين

(٤) يناغي نساء الحى : يغازلهن ويحادثهن ، طرة البرد : جانب الثوب

لم يصرف الحيلة إلا إلى الشجرة ، وقال : « هَلْ أَدُلُّكَ على شجرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلى »

وفيما ضُرب من الأمثال بالعصا قالوا : قال جَمِيلُ بنُ يَصْبُهْرى [١] حين شكا اليه الدهاقين [٢] شر الحَجَّاج : أخبرونى أين مولده ، قالوا : الحجاز ، قال : ضعيف مُعجب ، قال : فمنشؤه ، قالوا : الشام ، قال : ذاك شر ، ثم قال : ما أحسن حالكم إن لم تُبتلوا معه بكاتب منكم — يعنى من أهل بابل — فابتلوا بزاذان فرُّوخ الأعور ، [٣] ثم ضرب لهم مثلا فقال : إنَّ فأساً ليس فيه عُود أُلقى بين الشجر فقال بعض الشجر لبعض : ما أُلقى هذا هاهنا لخير ! فقالت شجرة عادية : إن لم يدخل فى است هذا منكن عُود فلا تخفنَهْ . وقال يَزِيدُ بنُ مُفَرِّغ :

أَلْعَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا   وَالحُرُّ تَكْفِيهِ المَلَامَهْ

قالوا : أخذه من الفَلَتَانِ الفَهْمِىِّ حيث قال :

الْعَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا   وَالحُرُّ تَكْفِيهِ الْإِشَارَهْ

وقال مَالِكُ بنُ الرَّيْبِ :

أَلْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا   وَالْحُرُّ يَكْفِيهِ الْوَعِيدُ

وقال بشَّارٌ :

أَلْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلعَبْدِ   وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

---

(١) قلنا فى حاشية الصفحة ٢٠٦ من الجزء الثانى انه جميل بن بصرة الغفارى الصحابى ، والظاهر أن ذلك لم يكن بصواب وان جميل بن بصهرى غير جميل بن بصرة ، إذ ان هذا يتحدث عن الحجاج ولا شأن للصحابى به فلينظر .

(٢) الدهاقين واحدها دهقان وهو رئيس القرية (العمدة) ومقدم اهل الزراعة

(٣) قلنا فى حاشية الصفحة ٢٦٦ من الجزء الاول ان زاذان فروخ الاعور هو الذى نقل الدواوين فى العراق من الفارسية إلى العربية ، املينا ذلك من حافظتنا دون الرجوع إلى مصدر معين . ثم رايت اباهلال العسكرى يقول : إن زيادا استكتب زاذان فروخ فاستكتب صالح بن عبد الرحمن وكان من سبى سجستان فلما ولى الحجاج العراق قال صالح لزاذان فروخ : إن الامير سيقدمنى عليك ولا أحب ذلك ، فقال : إن الامير لايجد من يقوم بحساب ديوانه غيرى ، فقال صالح : إن أمرنى بنقل الديوان إلى العربية فعلت ! فقال له : فانقل بين يدى شيئاً منه ، ففعل ، فقال زاذان فروخ لكتابه الفرس : إلتمسوا مكسبا فقد ذهب مكسبكم . ثم نقل صالح الدواوين إلى العربية فكان كتاب العراقين غلمانه وتلاميذه . وعلى كل حال رحم الله من أسدى ذلك المعروف .

وقال آخر:

حَاوَلْتُ حِينَ صَرَمْتَنِي ... وَالمَرْءُ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَهْ
وَالدَّهْرُ يَلْعَبُ بِالفَتَى ... وَالدَّهْرُ أَرْوَغُ مِنْ ثُعَالَهْ(١)
وَالمَرْءُ يَكْسِبُ مَالَهُ ... بِالشُّحِّ يُورِثُهُ الْكَلاَلَهْ
وَالعَبْدُ يُقْرَعُ بِالعَصَا ... وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ المَقَالَهْ

ومما يدخل فى باب الإنتفاع بالعصا أن عَامِرَ بْنَ الظَّرِبِ الْعَدْوَانِى حكم العرب فى الجاهلية لما أسن واعتراه النسيان أمر بنته أن تقرع بالعصا إذا هو فَهَّ عن الحكم وجار عن القصد، وكانت من حكيمات بنات العرب حتى جاوزت فى ذلك مقدار صُحْرٍ بنت لُقمان وهند بنت الخُس وخُمَعَة بنت حَابِسِ بْنِ مَليل الإيادِيِّين، وكان يقال لِعَامِر: ذو الحلم، ولذلك قال الْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ(٢):

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لاَ حُلُومَ لَنَا ... إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِى الحِلْمِ

وقال الْمُتَلَمِّسُ(٣):

لِذِى الحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ الْعَصَا ... وَمَا عُلِّمَ الْإِنْسَانُ إِلاَّ لِيَعْلَمَا

وقال الفَرَزْدَقُ بن غالب:

فَإِنْ كُنْتُ أَنْسَانِى حُلُومُ مُجَاشِعٍ ... فَإِنَّ الْعَصَا كَانَتْ لِذِى الحِلْمِ تُقْرَعُ

ومن ذلك حديث سعد بنِ مَالك(٤) بن ضُبَيْعَةَ بن قيس بن ثعْلَبَةَ،

(١) الثعالة: أنثى الثعلب

(٢) هو الحارث بن وعلة الجرمى. كان من فرسان قضاعة وأنجادها وأعلامها وفحول شعرائها. وكان أبوه وعلة بن عبد الله بن الحارث كذلك. ولكل منهما شعر جيد فى مشاهد جليلة فى الجاهلية. والحارث من شعراء المفضليات

(٣) هو جرير بن عبد المسيح الضبعى. شاعر جاهلى من شعراء البحرين مات سنة ٥٨٠ م وهذا البيت من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند ملك الحيرة أولها:

يعيرنى أمى رجال ولا أرى ... أخا كرم إلا بأن يتكرما
ومن كان ذا عرض كريم فلم يصن ... له حسبا كان اللئيم المذمما

(٤) كان بالاصول: سعيد بن مالك. والصواب ماأثبتناه. وهو جد طرفة بن العبد البكري. كان من سراة بنى بكر وفرسانها الأبطال وشعرائها المعدودين. إلا انه يعد من المقلين، وكان له شأن عظيم فى حروب البسوس. مات حوالى سنة ٥٣٠ م

واعتزم الملك على قتل أخيه إن هو لم يصب ضميره ، فقال له سعد : أبيت اللعن، أتَدَعْنِي حتى أقرع بهذه العصا أختها ؟ فقال له الملك : وما عِلمه بما تقول العصا ! فقرع بها وأشار بها مرة ثم رفعها ثم وضعها ففهم المعنى فأخبره ونجا من القتل .

وذِكر العصا يجرى عندهم فى معان كثيرة ، تقول العرب : ألعصا من العُصية والأفعى بنت حية . تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير . ويقال: طارت عصا فلان شققاً . وقال الأسدى :

عِصِيُّ الشَّمْلِ مِنْ أَسَدٍ أَرَاهَا ... قَدِ انْصَدَعَتْ كَمَا انْصَدَعَ الزُّجَاجُ

يقال : فلان شق عصا المسلمين ، ولا يقال : شق ثوباً ولا غير ذلك مما يقع عليه إسم الشق . وقال العَتَّابى فى مديح بعض الخلفاء :(١)

إِمَامٌ لَهُ كَفٌّ تَضُمُّ بَنَانُهَا ... عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعٌ مِنَ البَرْىِ عُودُهَا

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرْفُهَا ... سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا

وقال المُضَرِّسُ الأسدى :(٢)

وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى ... كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

وقال المضَرِّسُ أيضاً :

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخَيَّمَتْ ... بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ بِيضٌ مَحَافِرُهْ

يقال لبنى أسد : عبيد العصا ، يعنى أنهم ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء . قال بِشْرُ بْنُ أبى خازم :(٣)

عَبِيدُ الْعَصَا لَمْ يَتَّقُوكَ بِذِمَّةٍ ... سِوَى سَيْبِ سَعْدٍ إِنَّ سَيْبَكَ وَاسِعُ

وتسمى العربُ كلَّ صغير الرأس « ألعصا » وكان عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ(٤) صغير

(١) هو هرون الرشيد

(٢) هو المضرس بن ربعى الاسدى . شاعر من فحول الشعراء ومحسنيهم

(٣) مضت ترجمته فى ص ١٠ من الجزء الثانى

(٤) مضت ترجمته فى ص ٩٦ من الجزء الاول

الرأس . قال سُوَيْدُ [بن كراع العكلى] (١)

فمَنْ مُبْلِغٌ رَأْسَ العَصَا أَنَّ بَيْنَنَا ضَغَائِنَ لَا تُنْسَى وَإِنْ قَدُمَ الدَّهْرُ

وقال آخر :

فمَنْ مُبْلِغٌ رَأْسَ العَصَا أَنَّ بَيْنَنَا ضَغَائِنَ لَا تُحْصَى وَإِنْ قِيلَ سُلَّتِ

رَضِيتَ لِقَيْسٍ بِالقَلِيلِ وَلَمْ تَكُنْ أَخَا رَاضِياً لَوْ أَنَّ نَعْلَكَ زَلَّتِ

وكان وَالِبَةُ (٢) صغير الرأس ، فقال أَبُو العَتَاهِيَةَ (٣) فى رأس وَالِبَةَ ورؤس قومه :

رُؤُسُ عِصِيٍّ كُنَّ مِنْ عُودِ أَثْلَةٍ لَهَا قَادِحٌ يَفْرِي وَآخَرُ مُجْرِبُ

والدليل على أنهم كانوا يتخذون المخاصر فى مجالسهم كما يتخذون القَنَا والقِسِى فى المحافل قول الشاعر فى بعض الخلفاء : (٤)

فى كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

---

(١) مضت ترجمته فى ص ١٠ من الجزء الثاني

(٢) هو والبة بن الحباب الاسدي . كان شاعرا ماجدا من شعراء الدولة العباسية وكان أديبا ظريفاً من المجان العابثين وصافا للشراب ، وهو أحد من أخذ عنهم أبو نواس . وكان هجا أبا العتاهية وبشارا فغلباه ففر منهما إلى الكوفة . ومما قاله في أبي العتاهية :

كان فينا يكنى أبا إسحق وبها الركب سار فى الآفاق

فتكنى معتوهنا بعتاه يالها كنية أتت باتفاق

خلق الله لحية لك لا تنـ فك معقودة بداء الحلاق

(٣) هو ابو اسحق اسماعيل بن القاسم بن سويد العنزى بالولاء . كان فى اول امره يبيع الفخار بالكوفة ثم قال الشعر فبرع فيه حتى ألحقه العارفون بطبقة بشار والسيد الحميرى . وكان غزير البحر لطيف المعاني سهل الألفاظ كثير الافتنان قليل التكلف . وشهر بالقول فى الزهد والأمثال وقد مدح المهدي والهادي والرشيد والمأمون . وكان يتعشق عتبة جارية المهدى وغيرها وله فى ذلك شعر حسن . مات سنة ٢١٣ هـ

(٤) قائل هذا الشعر هو الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك . انظر تحقيق ذلك فى ص ٢٨٥ و ٢٨٦ من الجزء الاول

وقال الآخر :

مَجالِسُهم خَفْضُ الحَديثِ وَقولُهم ... إذا ماقضَوْا في الأمْرِ وَحْيُ المَخاصِرِ

وقال الأنصاري :(١)

يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ في كلِّ خُطْبَةٍ ... إذا وَصَلُوا أَيْمانَهُمْ بِالمَخاصِرِ

علامة الانصراف عند بعض الملوك

وحدثني بعض أصحابنا قال : كنا منقطعين إلى رجل من كبار أهل العسكر وكان لُبْثُنا عنده يطول فقال بعضنا : إن رأيت أن تجعل لنا أمارة إذا ظهرت لنا حفظنا ولم نتعبك بالقعود فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية مثل الذي قلنا لك ، فقال : أمارة ذلك أن أقول : إذا شئتم ! وقيل ليزيد (٢) مثل ذلك فقال : إذا قلت : على بركة الله ! وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال : إذا ألقيت الخيزرانة من يدي ! قالوا : فأي شيء تجعل لنا أصلحك الله؟ قال : إذا قلت : ياغلام الغداء ! ؟

وفي الحديث أن رجلا ألح على النبي صلى الله عليه وسلم في طلب بعض المغنم وبيده مخصرة فدفعه بها فقال يا رسول الله ، أقصني ! فلما كشف النبي صلى الله عليه وسلم له عن بطنه احتضنه وقبل بطنه .

وفي تثبيت شأن العصى وتعظيم أمرها والطعن على [من] ذم حاملها قالوا : كانت لعبد الله بن مسعود عشر خصال، أولها : السواد ، وهو سرار النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم « إذنك عليَّ أن يُرفع الحجاب وتسمع سِوَادي » وكان معه مسواك النبي صلى الله عليه وسلم وكانت معه عصاه .

ودخل عمرُ بنُ سعد (٣) على عمر بن الخطاب حين رجع اليه من عمل

---

(١) هو صفوان الانصاري . راجع ص ٣٧ من الجزء الاول

(٢) هو يزيد بن معاوية

(٣) هو عمر بن سعد بن ابي وقاص

حمص وليس معه إلا جراب و إداوة وقصعة وعصاة — فقال له عمر : ما الذى أرى بك ! من سوء الحال أم تسنع ! قال وما الذى ترانى ! أولست ترانى صحيح البدن معى الدنيا بحذافيرها ! قال : وما معك من الدنيا ؟ قال: معى جرابى أحمل فيه زادى ومعى قصعتى أغسل فيها ثوبى ، ومعى أداوتى أحمل فيها مائى لشرابى ، ومعى عصاى إن لقيت عدواً قاتلته و إن لقيت حية قتلتها ، وما بقى من الدنيا تبع لما معى . وقال الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيّ عن الشَّرْقِيّ بْن القَطامِيّ (١) ، وسأله سائل عن قول الشاعر :

لَا يَعْدِلَنَّ أَتَاوِيُّونَ تَضْرِبُهُمْ　　نَكْبَاءُ صِرٌّ بِأَصْحَابِ الْمُحِلَّاتِ

قال : أليس الْمُحِلَّاتُ الدَّلْوُ وَالْمِقْدَحَة والقِرْبة والْفأسُ ! قال : فأين أنت عن العصا ، والصُّفن خير من الدلو أجمع ! وقال النَّمِرُ بْنُ تَوْلَب :

أَفْرَغْتُ فى حَوْضِها صُفْنِي لِتَشْرَبَهُ　　فى دَائِرٍ خَلَقِ الْأَعْضَاءِ أَهْدَامِ

وأما العصا فلو شئت أن أشغل مجلسى كله بخصالها لفعلت .

وتقول العرب فى مديح الرجل الْجَلْدِ الذى لا يُفتات عليه بالرأى : ذلك الفحل لا يُقرع أنفه . وهذا كلام يقال للخطاب إذا كان على هذه الصفة ، لأن الفحل اللئيم إذا أراد الضِّرَاب ضُرِب أنفه بالعصا ، وقد قال ذلك أَبو سُفْيان بن حَرْب ابن أُمَيَّةَ عند ما بلغه من تزويج النبى صلى الله عليه وسلم بِأُم حبيبة وقيل له : مثلك تنكح نساؤه بغير إذنه ! فقال : ذلك الفحل لا يُقرع أنفه . والحمار الفاره يفسده السوط وتصلحه المقرعة ، وأنشد لِسَلَامَةَ بن جَنْدَلٍ (٢) :

(١) هو الوليد بن الحصين الكلبى . كان راوية علامة عارفا بالانساب والاخبار واسع الادب جم المعارف . وهو من اهل الكوفة ، وكان حسن السمر شيق الحديث اقدمه ابو جعفر المنصور وجعله فى مؤدبى ولده المهدى .

(٢) هو سلامة بن جندل بن عبد عمرو التميمى . شاعر جاهلى من الشعراء المعدودين وفارس من فرسان تميم المذكورين . وهذا البيت من قصيدة جيدة اختارها له المفضل الضبى تراها بالمفضليات مشروحة بقلمنا . واولها هناك :

اودى الشباب حيدا ذو التعاجيب　　اودى وذلك شاو غير مطلوب

وفى بعض نسخ المفضليات المطبوعة فى ليبسك ان مطلع هذه القصيدة ستة ابيات قبل هذا المطلع وهى :

يادار اسماء بالعلياء من إضم　　بين الدكادك من قو فمعصوب

إنَّا إذَا مَا أتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ　　كانَ الصُّرَاخُ لهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ[١]

وقال الحَجَّاجُ : والله لأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل[٢] . وذلك لأن الأشجار تُعصب أغصانها ثم تُخبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان ، ودخل أبو مِجلَز[٣] على قُتَيْبَةَ[٤] بخراسان وهو يضرب رجالا بالعصى فقال : أيها الامير ، إن الله قد جعل لكل شيء قدراً ووقت فيه وقتاً ، فالعصى للأنعام والبهائم ، والسيوط للحدود والتعزير ، والدِّرة للأدب ، والسيف لقتال العدو والقود .

حكاية الفتى التغلبي وعصاه

ثم قال الشرقيُّ : دعنا من هذا خرجت من الموصل وأنا أريد الرَّقة مستخفيا وأنا شاب خفيف الحال فصحبني من أهل الجزيرة فتى ما رأيت بعده مثله ، فذكر أنه تغلبيٌّ من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مزود وركوة وعصا ، فرأيته لا يفارقها وطالت ملازمته لها فكدت من الغيظ عليه أرمي بها في بعض الأودية ، فكنا نمشي فاذا أصبنا دوابَّ ركبناها ، واذا لم نصب الدواب مشينا ، فقلت له في شأن عصاه ، فقال لي : إن موسى بن عمرانَ عليه السلام حين آنس من جانب الطور نارا وأراد الاقتباس لأهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة إلا ومعه عصاه ، فلما صار بالوادي المقدس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك واخلع نعليك ! فرمى نعلية راغبا عنهما حين نزه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الذكي

كانت لنا مرة دارا فغيرها　　مر الرياح بساقي الترب مجاوب
هل في سؤالك عن أسماء من حوب　　وفي السلام وإهداء المناسيب
ليست من الزل أرداقا إذا انصرفت　　ولا القصار ولا السود العناكيب
إني رأيت ابنة السعدي حين رأت　　شيبي وما حل من جسمي وتحنيبي
تقول حين رأت راسي ولمته　　شمطاء بعد بهيم اللون غريب

(١) الظنابيب جمع ظنبوب وهو مقدم عظم الساق . يعني إنه إذا جاءه مستغيث كانت اغاثته الجد في نصرته

(٢) راجع ص ٣٠١ من الجزء الاول و ٢٤٦ من الجزء الثاني

(٣) مضت ترجمته في ص ٣٢ من الجزء الثاني

(٤) مضت ترجمته في ص ٢٩٦ من الجزء الاول

وجعل الله جِمَاع أمره من أعاجيبه و برهاناته فى عصاه ثم كلمه من جَوف شجرة ، ولم يكلمه من جوف إنسان ولا جان .

قال الشرقى : إنه ليكثر من ذلك وإنى لأضحك متهاوناً بما يقول ، فلما برزنا على حمارينا تخلف المُكارى ، فكان حماره يمشى فاذا تلكأ أكرهه بالعصا ، وكان حمارى لا ينساق وعلم أنه ليس فى يدى شىء يُكرهه ، فسبقنى الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح ، ولم أقدر على البراح حتى وافانى المكارى ، فقلت : هذه واحدة ، فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شىء نركبه فكنا نمشى فإذا أعيا توكأ على العصا وربما أحضر (١) ووضع العصا على وجه الأرض فاعتمد عليها ومرّ كأنه سهم وألح حتى انتهينا إلى المنزل وقد تفسخت من الكلال وإذا فيه فضل كبير ، (٢) فقلت : هذه ثانية ، فلما كان فى اليوم الثالث ، ونحن نمشى فى أرض ذات أخاقيق (٣) وصُدوع ، إذ هجمنا على حية مُنكرة فساورتنا (٤) فلم تكن عندى حيلة إلا خِذْلانه وإسلامه إليها والهرب منها ، فضربها بالعصا فثقلت ، فلما بهِشَتْ له (٥) ورفعت صدرها ضربها حتى وَقَذَها (٦) ثم ضربها حتى قتلها ، قلت : هذه ثالثة ، وهى أعظمهن ، فلما خرجنا فى اليوم الرابع قَرِمْتُ والله إلى اللحم (٧) وأنا هارب معدم ، إذ أرنب قد اعترضت فحذفها فما شعرت والله إلا وهى معلقة ، وأدركنا ذَكاتَها (٨) فقلت : هذه رابعة ، وأقبلت عليه فقلت له : لو أن عندنا ناراً لما أخرت أكلها إلى المنزل ! قال: فان عندك ناراً ، فأخرج عويداً (٩)

(١) فى الاصول : احفر ، والصواب احضر ، والاحضار ضرب من السير السريع

(٢) يعنى من الراحة والجمام

(٣) الاخاقيق : الشقوق فى الارض والصدوع

(٤) فساورتنا : اعترضتنا وواثبتنا

(٥) بهشت له : قصدته لتنهشه

(٦) وقذها : اعجزها عن الحركة

(٧) قرمت إلى اللحم : اشتد اشتهائى لأكل اللحم

(٨) ادركنا ذكاتها : اى ادركناها حية فذبحناها

(٩) عويدا تصغير عود

من مزوده ثم حكه بالعصا فأورت إيراء ألمرخُ والعفارُ (١) عنده لاشيء ، ثم جمع ماقدر عليه من الغُثاء (٢) والحشيش وأوقد ناره وألقى الأرنب فى جوفهافأخرجناها وقد لزق بها من الرماد والتراب ما نغصها إلى ، فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جنوبها وأعراضهاضربا رفيقاً حتى انتثر كل شيء عليها فأكلناهاوسكن القَرَمُ وطابت النفس ، فقلت : هذه خامسة ، ثم إنا نزلنا ببعض الخانات وإذا البيوت ملآى رَوثا وترابا ونزلنا بعقب جند وخراب متقدم فلم نجد موضعا نظل فيه ، فنظر إلى حديدة مِسحاة مطروحة فى الدار فأخذها فجعل العصا نصابا لها ثم قام فجرف (٣) جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض بها جردا حتى ظهر بياضها وطابت ريحها ، فقلت : هذه سادسة ، وعلى أى حال لم تطب نفسى أن أضع طعامى وثيابى على تلك الأرض فنزع والله العصا من حديدة المِسحاة (٤) فوتدها فى الحائط وعلق ثيابى عليها ، فقلت : هذه سابعة ، فلما صرت إلى مفرق الطرق وأردت مفارقته قال لى : لو عدلت معى فبت عندى كنتَ قد قضيت حق الصحبة والمنزل قريب ! فعدلت معه ، فأدخلنى فى منزل يتصل ببيعة ، قال : فما زال يحدثنى و يُطرفنى و يُلطفنى (٥) الليل كله ، فلما كان السَّحَر أخذ خشبة ثم أخرج تلك العصا بعينها فقرعها بها فاذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله ، و إذا هو أحذق الناس بضربه فقلت له : و يلك ، أما أنت مسلم ! وأنت رجل من العرب من ولد عمرِو بنِ كلثوم! قال : بلى ! قلت : فلم تضرب بالناقوس ! ؟ قال : جعلتُ فِداكَ ، إن أبى نصرانى وهو صاحب البيعة وهو شيخ ضعيف ، فاذا شهدتُهُ برَرْتُه بالكفاية . و إذا هو شيطان مارد ، و إذا أظرف الناس كلهم وأكثرهم أدبا وطلبا . فخبرته بالذى

---

(١) المرخ والعفار : سبق انهما شجر سريع الورى

(٢) الغثاء : ماتناثر من ورق الشجر وخالطه المطر ثم ضربته الشمس

(٣) فى الاصول : فجرب . والصواب ماأثبتناه

(٤) المسحاة : الفأس

(٥) يطرفنى ويلطفنى : يهدى إلى من طرائفه والطافه مايشرح به نفسى

أحصيته من خصال العصا بعد أن كنت هممت أن أرمي بها ، فقال: والله لوحدثتك عن مناقب نفع العصا إلى الصبح لما استنفدتها .

حكاية تفاريق العصا

ومن جمل القول فى العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق ، تفسير شعرغَنِيَّة الأعرابية فى شأن ابنها ، وذلك أنها كان لها ابن شديد العَرَامَة (١) كثير التلفت إلى الناس مع ضعف أسر ودقة عظم ، فواثب مرة فتى من الأعراب ، فقطع الفتى أنفه ، وأخذت غنية دِيَةَ أنفه فحسنت حالها بعد فقر مُدْقِع ، ثم واثب آخر ، فقطع أذنه فأخذت الديَّة فزادت دية أذنه فى المال وحسن الحال ، ثم واثب بعد ذلك آخر ، فقطع شفته ، فلما رأت ما قد صار عندها من الابل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها (٢) حسن رأيها فيه فذكرته فى أرجوزة لها تقول فيها .

أَحْلِفُ بِالمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّفَا أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفارِيقِ العَصَا (٣)

فقيل لابن الأعرابي: ماتفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطع ساجوراً وتقطع عصا الساجور فتصير أوتاداً ، ويُفرق الوَتِدُ فتصير كل قطعة شِظاظاً ، فان كان رأس الشِّظاظ (٤) كالفلكة صار للبُختى مِهاراً ، وهو العود الذي يدخل فى أنف البُختى (٥) وإذا فُرق المِهار جاءت منه تَوَادٌ (٦) . والسواجير تكون للكلاب والأسرى من الناس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يؤتى بناس مِنْ هاهُنا يقادون إلى حظوظهم بالسواجِير » . وإذا كانت قناةٌ لكل شقة منها قوس بندق، قال : فان فرقت الشقة صارت سِهاماً ، فان فُرقت السِّهام صارت حِظاء ، وهي سهام صغار ، قال الطرِمَّاح « كَحِظاءِ الغلام » والواحدة حَظوةٌ وسِرْوَةٌ ، فان فُرقت الحظاء صارت مغازل ، فان فُرقت المغزل (٧) شَعَبَ به الشَّعاب أقداحه

(١) العرامة : الشراسة وسوء الخلق

(٢) رواية الميداني : وذلك من كسب جوارح ابنها

(٣) وضعنا فى البيت « حقا » بدل « يوما » التى كانت بالاصول ، وذلك عن الميداني لانها احق بالمقام

(٤) رواية الميداني : فان جعل لرأس الشظاظ

(٥) البختى : الجمل الخراساني

(٦) تواد ، قال الميداني : وهى الخشبة التى تشد على خلف الناقة إذا صرت ، هذا إذا كانت عصا .

(٧) رواية الميداني : فان فرقت المغازل

المصدوعة [وقصاعه] (١) المشقوقة ، على أنه لا يجد لها أصلح منها (٢) وقال الشاعر:

نَوافِذَ أطْرافِ القَنا قَدْ شَكَكْتُهُ كَشَكِّكَ بِالشَّعْبِ الإناءَ المُثَلَّما

فاذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها من المنافع الكبار والمرافق الأوساط والصغار مالا يحصيه أحد ، وإذا فرقت ففيها مثل الذى ذكرنا وأكثر . فأى شيء يبلغ فى المرفق والرد مبلغ العصا ! وفى قول موسى عليه السلام « وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى » دليل على كثرة المرافق فيها ، لأنه لم يقل ولى فيها مأربة أخرى، والمآرب كثيرة ، فالذى ذكرنا قبل هذا داخل فى تلك المآرب .

ولا نعرف شعراً يُشبه معنى شعر غَنِيَّة بعينه لايغادر منه شيئاً ، ولكن زعم أصحابنا أن أعرابيين ظريفين من شياطين الأعراب حَطَمَتْهُما السنة فانحدرا إلى العراق واسم أحدهما « حَيْدَانُ » فبينما هما يتماشيان فى السوق فاذا فارس قد أوطأ دابته رجل « حَيْدَان » فقطع إصبعا من أصابعه ، فتعلقا به حتى أخذا منه أرْشَ الإصبع (٣) — وكانا جائعين مقرورين — فحين صار المال فى أيديهما قصدا لبعض الكَرَابج (٤) فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلما أكل صاحب حَيْدَانَ فشبع أنشأ يقول :

فَلا غَرَثٌ مَا كانَ فِي النَّاسِ كُرْبَجٌ وَمَا بَقِيَتْ فِي رِجْلِ حَيْدَانَ إصْبَعُ

وهذا الشعر وشعر غَنِيَّةَ من الظرف الناصع الذى سمعت به ، وظرف الأعراب لايقوم له شىء . (٥)

وناس كثير لايستعملون فى القتال إلا العصا ، منهم الزَّنْجُ قُنبلة والنجوبة والنمل والكلاب (٦) وتكفوا وثبتوا على ذلك يعتمدون فى حروبهم ، ومنهم

---

(١) الزيادة عن الميداني

(٢) زاد الميداني : واليق بها . ولا شك انه لخص روايته عن كتاب البيان والتبيين

(٣) الأرش : دية الجراحات

(٤) الكرابج : محال البقالة ، واحدها كربج

(٥) يعني لانظير له فى الامتاع

(٦) كان بالاصول : قيلة كنجوبة . وهو خطأ ، والصواب ماأثبتناه . قال الجاحظ فى رسالته ، فخر

النَّبَطُ ولهم بها ثقافة وشدة وغلبة ، وأثقفُ ماتكون الأكراد إذاقاتلت بالعِصِيّ ، وقتال المخارجات كلها بالعصى ، ولهم هناك ثقافة ومنظر حسن ، ولقتالهم منزلة بين السلامة والعطب .

والناس يضربون المثل بقتال البَقّار بقناته ، ويقال فى المثل : « ماهو إلاّ ابنة عصا » و« عُقدة رِشا » ويقال للراعى : « إنه لضعيف العصا » إذا كان قليل الضرب بها للإبل شديد الإشفاق عليها، قال الراعى :(١)

ضَعِيفُ العَصَا بَادِي العُرُوقِ تَرَى لَهُ عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعَا

وإذا كان الراعى جَلْدا قويا عليها قالوا : « صُلْبُ العصا » . ولذلك قال الراجز :

صُلْبُ العَصَا بَاقٍ عَلَى أَذَاتِهَا

وقال الآخر فى معنى الراعى : لاتَضرِبَاهَا وَاشْهِرَا العِصِيَّا

ويقولون : قد أقبل فلان ولانت عصاه ، إذا أصابه السُّوافُ(٢) فرجع وليس معه إلا عصاه ، لأنه لايفارقها كانت له إبل أم لا . ويقولون : كما قرعت عصا بعصا ، وعصا على عصا ، وعصا عصا — قالوا — أخذوا فلانا بذلك . وقال حُمَيدُ بنُ ثورٍ :(٣)

اليَوْمَ تُنْتَزَعُ العَصَا مِنْ رَبِّهَا وَيَلُوكُ ثِنْيَ لِسَانِهِ المِنْطِيقُ

ويكتب مع قوله :

تَخْشَى العَصَا وَالزَّجْرَ إِنْ قِيلَ حَلِ يُرْسِلُهَا التَّغْمِيضُ إِنْ لَمْ تُرْسَلِ(٤)

السودان على البيضان ، زنج ضربان : قبلة ولنجوية ، كما أن العرب ضربان : قحطان وعدنان . والنمل والكلاب صنفان من الزنج

(١) مضت ترجمته فى ص ١٠٣ من الجزء الأول . وهذا البيت من قصيدة يقول فيها :

بنى وابش إنا هوينا جواركم وما جمعتنا نية قبلها معا
خليطين من حيين شتى تجاورا جميعا وكانا بالتفرق أضيعا
أرى أهل ليلى لا يبالى أسيرهم على حالة المحزون أن يتصدعا

(٢) السواف : داء يصيب الابل فتهلك به

(٣) مضت ترجمته فى ص ١٩ من الجزء الاول

(٤) حل : كلمة تزجر بها الابل فيقال لها : حل حل

وقال آخر :

هَـذَا وَوِرْدٌ بُزَّلٍ وَسُدُسِ   يُغْـلى بِهَا كُلُّ مُسِيمٍ مُرْغِسِ (١)

رُدَّتْ مِنَ الغَوْرِ وَأَكْنَافِ الرَّسِي   مِنْ عُشُبٍ أَحْوَى وَحَمْضٍ مُورِسِ (٢)

وَذَائِدٍ جَلْدِ العَصَا وَكَهْمَسِ   إِنْ قِيلَ قُمْ قَامَ وَإِنْ قِيلَ اجْلِسِ (٣)

دَاسَتْ سِمَاطَىْ عَفَرٍ مُدَعَّسِ (٤)

ويدل على شدة قتالهم بالعصا قول بَشَامَةَ بن حَزْنٍ النَّهْشَلِيّ (٥) :

فِدًى لِرِعَاءٍ بِالْبُحَيْرَةِ دَبَّبُوا   بِأَعْصِيِّهِمْ وَالماءُ بَرْدُ المَشَارِبِ (٦)

وَآلَى نُعَيْمٌ لَا تَجُوزُ بِحَوْضِهِ   فَقُلْتُ تَحَلَّلْ يَا نُعَيْمَ بْنَ قَارِبِ

فَإِنَّ زِيَادًا لَمْ يَكُنْ لِيَرُدَّهَا   وَسَبْرَةَ عَنْ مَاءِ النَّضِيحِ المُقَارِبِ

أَغَرَّكَ أَنْ جَاءَتْ ظِمَاءً وَبَاشَرَتْ   بِأَعْنَاقِهَا بَرْدَ النِّصَابِ الصُّبَاصِبِ (٧)

تَنَاوَلْنَ مَا فِى الحَوْضِ ثُمَّ امْتَدَيْنَهُ   بِجِذْعٍ وَأَعْنَاقٍ طِوَالِ الذَّوَائِبِ (٨)

ويقولون : فلان « ضعيف العصا » إذا كان لا يستعمل عصاه . ولذلك قال البَعِيثُ :

(١) السدس جمع سدس (بفتح السين والدال) البعير قبل أن يبزل . والبزل جمع بازل وهو البعير فى تاسع سنيه ، وليس بعده سن تسمى . يغلى : يبتاع بالثمن الغالى . والمسيم : المبتاع . والمرغس : الناعم الرافه

(٢) الغور : المنخفض من الأرض ، ويطلق على ارض تهامة . اكناف الرسى : جوانب العمود القائم فى وسط الخباء ، والمراد به الخباء نفسه . الاحوى : الذي لونه بين الاخضر والاسود والاصفر . الحمض : نبات تتفكه به الابل . مورس : مصفر اللون كأنه الورس

(٣) الذائد : الدافع السائق . كهمس : قبيح الخلق . وإن قيل إجلس ؟ جلس

(٤) التاء فى داست عائدة إلى الابل . سماطا عفر : جانبا طريق . مدعس : متداخل كثير الآثار

(٥) ليست له ترجمة معروفة ويغلب انه شاعر إسلامى . وقد روى ابو تمام فى الحماسة قصيدة قال إنها لبعض بنى قيس بن ثعلبة . والصحيح انها لبشامة بن حزن اولها :

إنا محيوك يا سلمى فحيينا   وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة   يوما سراة كرام الناس فادعينا

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب   عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

(٦) دببوا : منعوا وردوا

(٧) النصاب : اصل الحوض . الصباصب : مابقي فيه من ماء

(٨) إمتدينه : تركن ماءه يسيل من صنبوره

وَأَنْتَ بِذَاتِ السِّدْرِ مِنْ أُمِّ سَالِمٍ ضَعِيفُ الْعَصَا مُسْتَضْعَفٌ مُتَهَضَّمُ

وقال الاخر :

وَمَا صَادِيَاتٌ حُمْنَ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى الْمَاءِ يَخْشَيْنَ الْعِصِيَّ حَوَانِي
لَوَائِبُ لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ بِوِجْهَةٍ وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِي (١)
يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ فَهُنَّ لِأَصْوَاتِ السُّقَاةِ رَوَانِي
بِأَوْجَعَ مِنِّي جُهْدَ شَوْقٍ وَغُلَّةٍ إِلَيْكِ وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عَدَانِي

وقال الاخر :

فَمَا وَجْدُ مِلْوَاحٍ مِنَ الْهِيمِ حُلِّئَتْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى جَوْفُهَا يَتَصَلْصَلُ (٢)
تَحُومُ وَتَغْشَاهَا الْعِصِيُّ وَحَوْلَهَا أَقَاطِعُ أَنْعَامٍ تَعُلُّ وَتَنْهَلُ
بِأَعْظَمَ مِنِّي غُلَّةً وَتَعَطُّفًا إِلَى الْوِرْدِ إِلَّا أَنَّنِي أَتَجَمَّلُ

ويقال : « ضُرب فلان ضرب غرائب الابل » : وهي تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب ، وقال الحارث بنُ صَخْر :

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكِنَاتِهِ كَمَا ذِيدَ عَنْ مَاءِ الْحِيَاضِ الْغَرَائِبُ

وقال الآخر :

لِلْهَامِ ضَرَّابُونَ بِالْمَنَاصِلِ ضَرْبَ الْمُذِيدِ غُرُبَ النَّوَاهِلِ (٣)

وقال ابن أحمر :

رَوْدُ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا غُصْنٌ بِحَرَامِ مَكَّةَ نَاعِمٌ نَضْرُ

وقال الاخر :

إِمَّا تَرَيْنِي قَائِمًا فِي جُلِّ جَمَّ الْفُتُوقِ خَلَقٍ هَمَلْ
مُحَاذِرًا أَنْغَضَ عَنْ تَعَتُّلِ عِنْدَ اعْتِلَالِ دَهْرِكِ الْمُعْتَلِّ

---

(١) لوائب : عطاش يحمن حول الماء ولا يصلن إليه

(٢) الملواح : الشديد الظمأ . الهيم : النوق العطاش . حلئت : منعت من الورود . يتصلصل : يعني انه لجفافه من الماء كان له صلصال وهو صوت الطين الجاف

(٣) المذيد : الدافع المانع . غرب النواهل : النوق التي ليست لأصحاب المياه

فَقَدْ أُرَى فى الْيَلْمَقِ الرَّفَلِّ أَصْوَنَ لِلْأُنْسِ جَمِيلَ الدَّلِّ (١)

لِدْناً كَخُوطِ الْبَانَةِ الْمُبْتَلِّ

وتكون العصا محراثا، وتكون مخصرة، وتكون المخصرة قضيب حبرة وعود ساجور. ثم يكون تُودية. ويقال للرجل إذا كانت فيه أُبنة: فلان يخبأ العصا، وقال الشاعر:

زَوْجُكِ زَوْجٌ صَالِحٌ لَكِنَّهُ يَخْبأُ الْعَصَا

وفى الأمثال: تحذفه بالقول كما تحذف الأرنب بالعصا. وقال إياسُ بنُ قتادَةَ العبْشَميُّ:

سَأَنْحَرُ أُولَاهَا وَأَحْذِفُ بِالْعَصَا عَلَى إِثْرِهَا إِنِّى لِمَا قُلْتُ عَازِمُ

قال ابن كُنَاسَةَ (٢) — فى شرط الراعى على صاحب الابل —: ليس لك

---

(١) اليلمق الرفل: القباء الواسع

(٢) هو ابو يحيى محمد بن كناسة الاسدى. كان شاعرا من شعراء الدولة العباسية. ولد ونشأ بالكوفة. وكان مستقيم الطريقة صالح المذهب لم يتصد لمدح ولا لهجو. وعنه حمل الحديث. وكان ابراهيم بن أدهم الزاهد خاله. وكانت له جارية شاعرة أديبة تسمى دنانير وكان اهل الادب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر. وله حكاية ظريفة يحسن ايرادها هنا قال: كنت فى طريق الكوفة فاذا بجويرية تلعب بالكعاب كأنها قضيب بان فقلت لها: انت ايضا لو ضعت لقالوا ضاعت جارية، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا اصدق! فقالت: ويلى عليك ياشيخ، وانت ايضا تتكلم بهذا الكلام؟ فكسفت واله إلى بالى، ثم تراجعت فقلت:

وإنى لحلو مخبرى إن خبرتنى ولكن تعطينى ولا ريب بى شيخ

فقالت لى وهى تلعب وتبسمت: فما اصنع بك انا إذاً؟ فقلت: لاشىء! وانصرفت. وهو القائل:

فى انقباض وحشمة فاذا صادفت اهل الوفاء والكرم

ارسلت نفسي على سجيتها وقلت ماقلت غير محتشم

ومن افضل شعره مارثى به إبراهيم بن ادهم وذلك حيث يقول:

رأيتك ما يكفيك مادونه الغنى وقد كان يكفى دون ذاك ابن ادهما

وكان يرى الدنيا قليلا كثيرها فكان لأمر الله فيها معظما

امات الهوى حتى تجنبه الهوى كما جتنب الجانى الدم الطالب الدما

وللحلم سلطان على الجهل عنده فما يستطيع الجهل ان يترمرما

واكثر ماتلقاه فى القوم صامتا وإن قال بذ القائلين واحكما

يرى مستكينا خاضعا متواضعا وليثا إذا لاقى الكتيبة ضيغما

على الجدث الغربى من آل وائل سلام وبر ما ابر واكرما

أن تذكر أمى بخير ولا شر ، ولك حذفى بالعصا عند غضبك أصبتَ أم أخطأت، ولى مقعدى من النار وموضع يدى من الحار والقار . كان العُتْبى [١] يحدث فى هذا بحديثين أحدهما قوله عن الأعرابى : وكان إذا خرَسَت الألسن عن الرأى حذَف بالصواب كما تُحذف الأرنب بالعصا ، وأما الحديث الآخر فذكر أن قوماً أضلوا الطريق فاستأجروا أعرابياً يدلهم على الطريق فقال : إنى والله لا أخرج معكم حتى أشرط لكم وأشرط عليكم ! قالوا له : فهاتْ مالك ؟ قال : يدى مع أيديكم فى الحار والقار ، ولى موضعى من النار موسع علىَّ مافيه ، وذِكر والدى عليكم محرَّم . قالوا : فهذا لك ، فما لنا عليك إن أذنبت ؟ قال: إعراضةٌ لاتؤدى الى تعب وعتب وهجرة لا تَمنع من مجامعة السفرة ! قالوا : فان لم تُعتبْ ؟ قال : فحذفة بالعصا أخطأت أم أصابت . وهذان الحديثان لم أسمعهما من عالم وانما قرأتهما فى بعض الكتب من المستحدثين .

ولأهل المدينة عصى فى رؤسها عجر لا تكاد أكفهم تفارقها اذا خرجوا الى ضياعهم ومنتزهاتهم ، ولهم فيها أحاديث حسنة وأخبار طيبة .

وكان الأفشين [٢] يقول : اذا ظفرتُ بالعرب شدخت رؤس عظمائهم

(١) مضت ترجمته في ص ١٤٧ من الجزء الثانى

(٢) هو الافشين خيذر بن كاوس . كان من اكابر القواد فى جيش المعتصم وفحول شجعانه ومن ذوي التدبير والدهاء فى إدارة رحى الحروب . قيل أن اصله من سلالة بعض ملوك فرس . ولاه المعتصم المشرق ووجهه لحرب بابك الخرمى لما استفحل امره واشتدت شوكته واستشرى شره وصار خطرا يتهدد الدولة ، وكان بابك قبل ذلك هزم جيوش الدولة العباسية مرارا وقتل من القواد جماعة لاستهان بشأنهم . فلما انتدب له الافشين نهد إليه فى جيش كثيف وصمد له يغاديه القتال ويراوحه ويضيق عليه المسالك حتى الجأه إلى الانهزام بين يديه بالرغم من كثرة جيوشه التى لاعد لها ولاحصر . وما زال به حتى حصره فى مدينة البذ . وقد كانت بين اذربيجان واران . فلما رأى بابك انه قد حصر بها إحتال حتى خرج منها بأهله هاربا إلى بلاد الروم فى زى التجار فعرفه بعض البطارقة فأسره وبعث به إلى الافشين فحمله الافشين إلى المعتصم فقطعه وصلبه وانتهى امره ، وبهذا عظم شأن الافشين وكبر خطره واتسع سلطانه وقدمه المعتصم على سائر قواده . ثم إن الافشين طغى وتمرد واخذ يبيت الامر للدولة ويعمل على الخروج عليها فعلم المعتصم بأمره وبأنه يكاتب المازيار يحسن له الخلاف والعصيان ، وبعد ان تحرى امره وكشف خبيئته قبض عليه وقتله ثم صلبه على خشبة بابك . ولما كشف عليه وجد مايزال بقلفته لم يختتن ووجدت فى بيته اصنام احرقوه بها . وكان ذلك فى سنة ٢٢٦ هـ

بالدبوس . والدبوس شبيه بهذه العصا التى فى رأسها عجرة . وقال جحشويه :[١]

يَا رَجُلاً هَامَ بِلَيَّادِ ... مُعْتَدِلٍ كَالْغُصْنِ مَيَّادِ
هَامَ بِهِ غَسَّانُ لَمَّا رَأَى ... أَيْرَالَهُ مِثْلَ عَصَا الْحَادِي
وَلَمْ يَزَلْ يَهْوَى أَبُومَالِكٍ ... كُلَّ فَتَى كَالْغُصْنِ مُنْآدِ
يُعْجِبُهُ كُلُّ مَتِينِ الْقُوَى ... لِلطَّعْنِ فِي الْأَدْبَارِ مُعْتَادِ

وقالوا : تغمض الناقة عينها كى تركب العصا الى الحوض . وهو معنى قول أبى النجم :

تَخْشَى الْعَصَا وَالزَّجْرَ إِنْ قِيلَ حَلِ ... يُرْسِلُهَا التَّغْمِيضُ إِنْ لَمْ تُرْسَلِ

وهذا مثل قول الهذلى :

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ ... شَدُّوا الْمَنَاطِقَ فَوْقَهَا الْحَلَقُ[٢]
حَدُّ السُّيُوفِ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ ... وَعَلَى الْأَكُفِّ وَدُونَهَا الدَّرَقُ[٣]
كَغَمَاغِمِ الثِّيرَانِ بَيْنَهُمُ ... ضَرْبٌ تُغَمِّضُ دُونَهُ الْحَدَقُ[٤]

وقال حميد بن ثور الهلالىّ :

الْيَوْمَ تُنْتَزَعُ الْعَصَا مِنْ رَبِّهَا ... وَيَلُوكُ ثِنْيَ لِسَانِهِ الْمِنْطِيقُ

يقال : رجل كالقناة ، وفرس كالقناة . وقال الشاعر :

مَتَى مَا يَجِئْ يَوْماً إِلَى الْمَالِ وَارِثِى ... يَجِدْ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلْأَى وَلَا صِفْرِ[٥]
يَجِدْ فَرَساً مِثْلَ الْقَنَاةِ وَصَارِماً ... حُسَاماً إِذَا مَا هُزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ[٦]

وجاء فى الحديث : أجدبت الارض على عهد عمر رضى الله تعالى عنه ، حتى

(١) قرأت للجاحظ فى بعض كتبه وفى معرض التنديد على الرواة الذين لا يتحرجون من صنع الكلام وحمله على الناس : يقول : وقد صنعوا اشعارا في الحلاق على لسان جحشويه فلو انهم كانوا يتحرجون من شىء لتحرجوا من ذلك .

(٢) اسامة : الاسد . الحلق : الدروع

(٣) الدرق : الترس

(٤) الغمغمة : صوت يتردد فى الحلق

(٥) ولا صفر : غير خالية

(٦) الهبر : تبضيع اللحم

ألقت الرِّعاء العصى وعطلت النعم وكسر العظم ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين إن بنى اسرائيل كانوا إذا أصابتهم السنة استسقوا بعصبة الأنبياء . فكان ذلك سبب استسقائه بالعباس بن عبد المطلب . وساورت حية أعرابيا فضربها بعصاه وسلم منها فقال:

لَوْلاَ الْهِرَاوَةُ وَالْكَفَّانِ أَنْهَلَى ... حَوْضَ الْمَنِيَّةِ قَتَّالٌ لِمَنْ وَرَدَا

وقال الآخر : (١)

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبِيَاعِ فَجِئْتُهُ ... إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آلِفِ
فَنَاوَلَنِى خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا ... بِكَفِّى لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الْخَلاَئِفِ
مِنَ الشَّثِنَاتِ الْكُزْمِ أَنْكَرْتُ لَمْسَهَا ... وَلَيْسَتْ مِنَ الْبِيضِ الرِّقَاقِ اللَّطَائِفِ (٢)
مُعَاوِدَةً حَمْلَ الْهِرَاوَى لِقَوْمِهَا ... فَرُورًا إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ التَّسَايُفِ (٣)

وقال الحجاجُ بنُ يوسف لأنس بن مالك : والله لأقلعنَّكَ قلع الصمغة ، ولأعصبنَّك عصب السَّلَمة ، ولأجرِّدنَّك تجريد الضب . وقال عمرُ رضى الله تعالى عنه لأبى مريم الحنفى : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح . لأن الأرض لاتقبل الدم ، فاذا جف الدم تقلع جلباً . وقد أسرف المتلمِّس حيث يقول :

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تُسَاطُ دِمَاؤُنَا ... تَزَايَلْنَ حَتَّى لاَ يَمَسَّ دَمٌ دَمَا (٤)

وأشد سرفاً منه قول أبى بكر الشيبانى قال : كنت أسيرا مع بنى عم لى من بنى شيبان — وفينا من موالينا جماعة — فى أيدى التغالبة (٥) فضربوا أعناق بنى عمى وأعناق الموالى على وَهْدة من الأرض ، فكنت والذى لا إله إلا هو أرى دم

(١) راجع ص ٩٢ من الجزء الاول وص ١٢ من هذا الجزء
(٢) الشثنات : الخشن الغلاظ . الكزم : القصار الاصابع
(٣) كان بالاصول : يوم التنائف ، وهو خطأ والصواب ماأثبتناه . والتسايف : التضارب بالسيوف
(٤) تزايلن : افترقن
(٥) التغالبة : بنو تغلب

العربى يماز من دم المولى حتى أرى بياض الأرض بينهما ، فاذا كان هجينا (١) قام فوقه ولم يعتزل . وأنشد الأصمعى :

يُذَدْنَ وَقَدْ أُلْقِيتَ فِى قَعْرِ حُفْرَةٍ كَمَا ذِيدَ عَنْ حَوْضِ العِرَاكِ غَرَائِبُهْ (٢)

وقال العباسُ بنُ مِرْداس (٣) :

نُقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِنَا بِرِمَاحِنَا فَنَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ المُذِيدِ الخَوَامِسَا (٤)

وقال الفرزدقُ بنُ غالب :

ذَكَرْتُ وَقَدْ كَادَتْ عَصَا البَيْنِ تَنْشَظِى خَيَالَكِ مِنْ سَلْمَى وَذَا اللُّبِّ ذَاكِرُ

وقال الأسدى :

إِذَا المَرْءُ أَوْلَاكَ الهَوَانَ فَأَوْلِهِ هَوَانًا وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَاصِرُهْ

وَلَا تَظْلِمِ المَوْلَى وَلَا تَضَعِ العَصَا عَلَى الجَهْلِ إِنْ طَارَتْ إِلَيْكَ بَوَادِرُهْ

وقال جريرُ بنُ عطيةَ .

أَلَارُبَّ مَصْلُوبٍ حَمَلْتُ عَلَى العَصَا وَبَابُ اسْتِهِ عَنْ مِنْبَرِ المُلْكِ زَائِلُ

وقالوا فى مديح العصا نفسها مع الأغصان وكرم جوهر العِصِى والقِسِىّ :

---

(١) الهجين هو الذى يولد بين عربي وامة

(٢) الذياد : الدفع والضرب والطرد

(٣) هو العباس بن مرداس السلمي احد الصحابة . اسلم قبيل فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه . وكان شاعرا فارسا له وقائع وغزوات فى الجاهلية والاسلام . وزعم بعض الرواة ان امه الخنساء وهو خطأ بين والصواب ان امه سوداء زنجية . ودليل ذلك ان جريرا لما هجا الاخطل بقصيدته التى يقول فيها :

لاتطلبن خؤلة فى تغلب فالزنج أكرم منهم اخوالا

غضب سنيح بن رباح شار الزنجى ورد عليه بقصيدة مطلعها :

مابال كلب بنى كليب سبنا ان لم نوازن حاجبا وعقالا

يقول فيها :

والزنج لو لاقيتهم فى صفهم لاقيت ثم جحا جحا ابطالا

فسل ابن عمرو حين رام رماحهم ارأى رماح الزنج ثم طوالا

وسل ابن جيفر حين رام بلادنا فرأى بغزوتهم عليه خبالا

هذا ابن خازم بن عجلى منهم غلب القبائل نجدة ونوالا

وسليك الليث المزبر إذا عدا والقرم عباس علوك فعالا

(٤) المزيد الخوامس : الضارب النوق الواردة على الماء بعد ثلاث

إذا قامتْ لِسُبْحتِها تَثَنَّتْ كأنَّ عِظامَها مِنْ خَيْزُرانِ

وقال المؤمّل بن أميل : (١)

وَالقومُ كالعِيدانِ يفضُلُ بعضُهمْ بعضاً كذاكَ يفوقُ عُودٌ عُودَا
لَوْ تستطيعُ عَنِ القضاءِ حِيادَةً وعَنِ المنيّةِ أنْ تُصيبَ مَجيدَا
كانتْ تُقيّدُ حينَ تنزِلُ منزِلاً فالآنَ صارَ لها الكَلالُ قيُودَا

وقال آخر :

وأسلمها الباكُونَ إلاّ حمامةً مُطوَّقةٌ ورْقاءُ بانَ قرِينُها
تُجاوِبُها أخرى على خيزُرانةٍ يكادُ يُدَنّيها مِنَ الأرْضِ لِينُها

وقال الآخر :

ألا أيُّها الرَّكبُ المُخبُّونَ هلْ لَكُمْ بأُختِ بني هِندٍ عُتيبةَ مِنْ عهدِ
أألقتْ عصاها واستقرّتْ بها النّوى بأرضِ بني قابُوسَ أمْ ظعنتْ بعدِي

وقال الآخر :

ألا هتفتْ ورْقاءُ في رَوْنقِ الضُّحى على غُصُنٍ غضِّ النّباتِ مِنَ الرَّنْدِ

وقال آخر في امرأة رآها في شارة وبِزّة فظن بها جمالاً، فلما سفرت فاذا هي غول ، فقال :

وأظهرَها ربّي بمَنٍّ وقُدْرةٍ عليَّ ولوْلا ذاكَ مِتُّ مِنَ الكَرْبِ
فلمّا بدتْ سبّحتُ مِنْ قُبْحِ وَجْهِها وقُلْتُ لها السّاجُورُ خَيْرٌ مِنَ الكَلْبِ (٢)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يؤتى بقوم من هاهنا يُقادونَ إلى حظوظهم في السّواجير » والساجور يسمى « الزمّارة » قالوا : وفي الحديث : فأتى الحجاجُ بسعيد بن جُبير وفي عنقه زمّارة . وقال بعض المُسجَّنين :

ولِي مِسمَعانِ وزمّارةٌ وظلٌّ مَديدٌ وحِصْنٌ أمقْ

(١) هو المؤمل بن اميل المحاربي . كان من اهل الكوفة ومن الجند للمرتزقة . قال الشعر فأحسنه وادرك الدولة الاموية واتسعت شهرته في الدولة العباسية ، وكف بصره في آخر عمره
(٢) الساجور هنا يريد به الطوق الذي في عنق الكلب

وَكَمْ عَائِدٍ لِي وَكَمْ زَائِرٍ ... لَوْ ابصرنى زائرًا قد شهق

المسمعان: القيدان. وسمى الغل الذى فى عنقه زمارة، وأما قول الوليد [بن يزيد]

إسْقِنِي يا زُبَيْرُ بِالْقَرْقَارَهْ ... قَدْ ظَمِينَا وَحَنَّتِ الزَّمَّارَهْ

إسْقِنِي إسْقِنِي فإنَّ ذُنُوبِي ... قَدْ أَحَاطَتْ فَمَا لَهَا كَفَّارَهْ

فالزَّمارة هاهنا المزمار، وقال صاحب الزمارة فى صفة السجن:

فَبِتُّ بِأَخْصَنِهَا مَنْزِلاً ... ثَقِيلاً عَلَى عُنُقِ السَّالِكِ

وَلَسْتُ بِضَيْفٍ وَلاَ فِي كِرَا ... وَلاَ مُسْتَعِيرٍ وَلاَ مَالِكِ

وَلِي مِسْمَعَانِ فَأَدْنَاهُمَا ... يُغَنِّي وَيُمْسِكُ فِي الحَالِكِ

وَلَيْسَ بِعَصَبٍ وَلاَ كَالزُّهُونِ ... وَلاَ يُشْبِهُ الْوَقْفَ عَنْ هَالِكِ

وَأَقْصَاهُمَا نَاظِرٌ فِي السَّمَاءِ ... عَمْدًا وَأَرْسَخُ مِنْ عَارِكِ

المسمعان ها هنا أحدهما قيده والآخر صاحب الجرس.

قال: أخبرنى الكلابى قال: قاتلت بنو عم لى بعضهم بعضا فجعل بعضهم ينضم إلى بعض لواذا منى، وليس لى فى ذلك هِجِّيرٌ إلا قولى:

قَدْ جَعَلَتْ تَأْوِي إِلَى جُثْمَانِهَا ... وَكِرْسِهَا الْعَادِيِّ مِنْ أَعْطَانِهَا[1]

فلما طلبوا القصاص قلت: دونكم يابنى عمى حقكم، فنحن اللحم وأنتم الشَّفْرَة، إن وهبتم شكرت، وإن اعتقلتم عقلت، وإن اقتصصتم صبرت.

قال: سألت يونس عن قوله «نَسْيًا مَنْسِيًّا» قال: تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه: أنظروا الى أنسائكم، وهى العصا والقدح والشظاظ والحبل، قال: فقلت: انى ظننت أن هذه الأشياء لاينساها أربابها الا لأنها أهون المتاع عليهم! قال: ليس ذلك كذلك! والمتاع الجافى يذكر بنفسه وصغار المتاع تذهب عنها العيون، وإنما تذهب نفوس العامة الى حفظ كل شىء

(١) الكرس: مجتمع بيوت الناس

ثمين وان صغر جسمه ، ولا يقفون على أقدار فوت الماعون عند الحاجة وفقد الحلات فى الأسفار . وقال يونس : المنسى ماتقادم العهد به ونسى حيناً لهوانه ، ولم تكن مريم (١) لتضرب المثل فى هذا الموضع بالأشياء النفيسة التى الحاجة اليها أعظم من الحاجة الى الشىء الثمين فى الأسواق . وقال الأشهب بن رميلة أو نهشل ابن حرى:

قالَ الأقاربُ لاتغرُرْكَ كثرتُنا ... وَأغْنِ نفسَكَ عنّا أيُّها الرَّجُلُ
عَلّ بَنِيَّ يَشُدُّ اللهُ أعظُمَهُمْ ... وَالنَّبعُ يَنبُتُ قُضْباناً فيكتَهِلُ

وكان فرس الأخنس بن شهاب يسمى «العصا» والأخنس « فارس العصا » وكان لجذيمة الأبرش فرس يقال لها « العصا » ولبنى جعفر بن كلاب « شحمة » و « الغدير » و « العصا » فشحمة فرس جزء بن خالد ، والعصا فرس عوف بن الأحوص ، والغدير فرس شريح بن الأحوص ، « والعصا » أيضا فرس شبيب ابن كريب الطائى (٢) وقال بعضهم أو بعض خطبائهم :

وَلَيْسَ عَصاهُ مِنْ عَراجينِ نَخْلَةٍ ... وَلا ذاتَ سَيْرٍ مِنْ عِصِيِّ المُسافِرِ
وَلٰكِنَّها إمّا سَألْتَ فَنَبْعَةٌ ... وَميراثُ شَيْخٍ مِنْ جِيادِ المَخاصِرِ

والرجل يتمنى إذا لم تكن له قوة وهو يجد مس العجز فيقول: لو كان فى العصا سير ! ولذلك قال حبيب بن أوس :

مَا لَكَ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزْمٍ ... لَوْ أنَّهُ فِى عَصاكَ سَيْرُ
رُبَّ قَليلٍ حَدا كَثيراً ... كَمْ مَطَرٍ بَدْؤُهُ مُطَيْرُ
صَبْراً عَلَى النّائِباتِ صَبْراً ... مَا فَعَلَ اللهُ فَهْوَ خَيْرُ

واذا لم يجعل المسافر فى عصاه سيرا سقطت من يده اذا نعس .

وسئل عن قوله « وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ؟ » قال : لست أحيط بجميع مآرب موسى عليه السلام ؛ ولكنى سأنبئكم جملا تدخل فى باب الحاجة الى العصا :

(١) هى مريم ام المسيح والتى جاء فى القرآن على لسانها « ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا »
(٢) كان بالاصول : ابن كعب . وهو خطأ . والصواب ما اثبتناه

من ذلك أنها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ولعير العانة في زمن هيج الفحول ، وكذلك لفحول الحجور[١] في المروج ؛ ويتوكأ عليها الكبير الدالف والسقيم المدنف والأقطع الرجل والأعرج ، فانها تقوم مقام رجل أخرى، وقال أعرابي مقطوع الرجل:

اللهُ يعلمُ أنى مِنْ رجالِهِمُ ... وإنْ تخدّدَ عن متنىَّ أطمارى

وإنْ رُزِئتُ يدًا كانتْ تُجمِّلُنى ... وإنْ مشيْتُ على زُجٍّ ومِسمارِ

والعصا تنوب للأعمى عن قائده ، وهى للقصّار والفاشكار والدباغ ، ومنها المِفْأدُ للمَلَةِ[٢] ومِحْراك للتنور ، قال الشاعر :

إذا كانَ ضربُ الخبزِ مَسْحًا بخِرْقةٍ ... وأُخمِدَ دونَ الطّارقِ التّنّورِ

كأنه يكره أن ينفض عنها الرماد بعصا فيستدل على أنه قد أنضج خبزته ، يصفه بالبخل . وهى لدق الجص والجبسين[٣] والسمسم ، قال الشماخ بن ضرار :

وجَرّ شُواءٍ بالعُصاغيرِ مُنْضَجِ[٤]

ولخبط الشجر ، وللفيج[٥] وللمكارى فانهما يتخذان المخاصر ، فاذا طال الشوط و بعدت الغاية استعانا فى حضرها وهرولتهما فى أضعاف ذلك[٦] بالاعتماد على وجه الأرض ، وهى تعدل من ميل المفلوج ، وتُقيم من ارتعاش المُبَرْسَمِ[٧] ويتخذها الراعى لغنمه، وكل راكب لمركبه ، ويدخل عصاه فى عروة المزود ويمسك بيده الطرف الآخر وربما كان أحد طرفيها بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه وعليها حمل ثقيل وتكون ان شئت وتدا فى حائط ، وان شئت ركزتها فى الفضاء

---

(١) كان بالاصول : الجحور وهو خطأ والصواب ماأثبتناه والحجور جمع حجر : انثى الخيل

(٢) المفأد للملة : الخشبة يحرك بها الرماد الحار

(٣) كان بالاصول : والجبين . وهو خطأ . والصواب ماأثبتناه

(٤) هذا شطر بيت من قصيدة للشماخ تراها فى المفضليات مشروحة بقلمنا

(٥) الفيج : حارس السجن

(٦) فى الاصول : أصناف . وهو خطا والصواب ماأثبتناه . والمراد باضعاف ههنا فى خلال ذلك

(٧) المبرسم : المصاب بمرض البرسام

وجعلتها قبلة ، وإن شئت جعلتها مِظَلَة ، وإن جعلت فيها زُجا كانت عَنَزَةً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت عكازاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مِطْرَداً ، وإن زدت فيها شيئا كانت رمحا ، والعصا تكون سوطا وسلاحا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالقضيب ، وكفى بذلك دليلا على عظم غنائها وشرف حالها ، وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء .

وقد كان مَرْوانُ بْنُ محمد ــ حين أحيط به ــ دفع البُرد والقضيب إلى خادم وأمره أن يدفنهما فى بعض تلك الرمال ، ودفع إليه بنتا له وأمره أن يضرب عنقها فلما أُخذ الخادم فى الأسرى قال : إن قتلتمونى ضاع ميراث النبى صلى الله عليه وسلم ! فأمنوه على أن يسلم ذلك لهم . وقال [الشاعر] فى صفة قناة :

وَأَسْمَرُ عَاتِقٌ فِيهِ سِنَانٌ ... شُرَاعِيٌّ كَسَاطِعَةِ الشُّعَاعِ

وقال آخر :

هَوْنَةٌ فِى الْعِنَانِ تَهْتَزُّ فِيهِ ... كَاهْتِزَازِ الْقَنَاةِ تَحْتَ الْعُقَابِ (١)

ومما يجوز فى العصا قول الشاعر :

لِلْهَامِ ضَرَّابُونَ بِالْمَنَاصِلِ ... ضَرْبَ الْمُذِيدِ غُرُبَ النَّوَاهِلِ

وقال عبَّاسُ بنُ مِرْداسٍ :

نُطَاعِنُ عن أَحْسَابِنَا بِرِمَاحِنَا ... وَنَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ الْمُذِيدِ الْخَوَامِسَا

وقال آخر :

دَافَعَ عَنْهَا جَبَلِيٌّ وَحْشِى ... فَهْوَ كَعُودِ النَّبْعَةِ الْأَجَشِّ (٢)

وقال نُصَيْبٌ الأسود :

وَمَنْ يُبْقِ مَالاً عُدَّةً وَصِيَانَةً ... فَلَا الدَّهْرُ مُبْقِيهِ وَلَا الشُّحُّ وَافِرُهْ

وَمَنْ يَكُ ذَا عُودٍ صَلِيبٍ يُعِدُّهُ ... لِيَكْسِرَ عُودَ الدَّهْرِ فَالدَّهْرُ كَاسِرُهْ

(١) العقاب : الراية

(٢) الأجش : الصوت الغليظ

وقال آخر :

تَخيَّرْتُ مِنْ نعمانَ عُودَ أراكَةٍ ... لِهندٍ ولكنْ مَنْ يُبلّغُهُ هِندَا (١)

خَليليَّ عُوجا بارَكَ اللهُ فيكُما ... وإنْ لَمْ تَكُنْ هِندٌ لأرْضِكُما قَصْدَا

وقُولا لها لَيسَ الضَّلالُ أجارَنا ... ولكِنَّنا جُرْنا لِنَلْقا كُم عَمْدَا (٢)

وقال الآخر :

وَتِلْكَ ثِيابي لَمْ تُدَنَّسْ بِغدْرَةٍ ... وَوَرْىُ زِنادِي في ذُرَى المَجْدِ ثاقِبُ

وَلَوْ صادَفَتْ عُودًا سِوَى عُودِ نَبْعَةٍ ... وَهَيْهاتَ أَفْنَتْهُ الخُطُوبُ النَّوائِبُ

وقال الاخر :

عَصا شَرْيانَةٍ دُهِنَتْ بِزُبْدٍ ... تَدُقُّ عِظامَهُ عَظْمًا فَعَظْمَا (٣)

وليس هذا مثل قول لَقيطِ بنِ زُرارَةَ :

إذا دَهَنُوا رِماحَهُمْ بِزَيْتٍ ... فَإنَّ رِماحَ تَيْمٍ لا تَضِيرُ

وقال صالحُ بنُ عبدِ القُدُّوسِ :

لا تَدْخُلَنْ بِنَميمَةٍ ... بَيْنَ العَصا ولِحائِها

وقال شِبْلُ بنُ مَعْبَدٍ البَجَلِيُّ :

بَرَتْني صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... كَما يَنْبَرِي دُونَ اللِّحاءِ عَسِيبُ

وقال أوْسُ بنُ حَجَرٍ :

لَحَوْنَهُمُ لَحْوَ العَصا فَطَرَدْتَهُمْ ... إلَى سَنَةٍ جُرْذانُها لَمْ تُحَلَّمِ

وقال الرَّقاشِيُّ في صفة القناة التي تبرى منها القسي :

مِنْ شَقَقٍ خُضْرٍ بَرَوضِيّاتِ ... صُفْرِ اللِّحاءِ وَحَلُوفِيّاتِ

جُدِلْنَ حَتَّى إضْنَ كالحَيّاتِ ... وَشائِقًا غَيرَ مُؤَنَّباتِ (٤)

---

(١) نعمان الأراك : واد بين مكة والطائف

(٢) اجارنا : عدل بنا إليك

(٣) الشريان : شجر تتخذ منه القسي

(٤) إضن : عدن وصرن . والوشائق : شرائح للحم

آنفهن متمطرات عمرو بن عصفور على استنبات (١)

وقال محمد بن يسير : (٢)

ومشمرين عن السواعد حسر عنها بكل دقيقة التوتير
ليس الذي تشوى يداه رمية فيهم بمعتذر ولا معذور
عطف السيات موانع في عطفها تعزى إذا نسبت إلى عصفور

ذهب إلى قوله : في كفه معطية منوع

وهذا مثل قوله : خرقاء إلا أنها صناع

وهذا مثل قوله : غادر داء ونجا صحيحا

ومثل قوله : حتى نجا من جوفه وما نجا

وإذا طال قيام الخطيب صار فيه انحناء وجناء ، وقال الأسدى :

أنا ابن الخالدين إذا تلاقى من الأيام يوم ذو ضجاج
كأن العب والخطباء فيه قسى مثقف ذات اعوجاج

وعلى هذا قال الشماخ بن ضرار :

فأضحت تفالى بالستار كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز

وقال العماني :

عات يرى ضرب الرجال مغنما إذا رأى مصدقا تجهما (٣)
وهز في الكف وأبدى معصما هراوة بنبعة أو سلما
تترك ما رام رفاتا رمما

وقال أمية بن الأسكر :

هلا سألت بنا إن كنت جاهلة ففي السؤال من الأعياء شافيها

---

(١) آنفهن : اجادهن .
(٢) يصف القسى والرمي عنها بالسهام
(٣) المصدق : جابي الصدقات

تُخْبِرْكَ عَنَّا مَعَدٌّ إنْ هُمْ صدَقُوا ... وَمِنْ قبائلِ نَجْرانٍ يمانيها
وَبِالجِيادِ نَجُرُّ الخَيْلَ عابِسَةً ... كأنَّ مَذْرُورَ مِلْحٍ فى هَوادِيها
قَوْمٌ إذا فزعُ الأقوامِ طافَ بِهِمْ ... أَلْقَى العَصَى عصى الجَهْلِ بَارِيها

قال : والرجل إذا لم يكن معه عصا فهو « باهل » و « ناقة باهل وباهلة » إذا كانت بغير صرار . وقال الراجز :

أَنْهَلَهَا ذَايِدَهَا وَسَبَّحَا ... وَدَقَّتِ المَرْكُوَ حَتَّى ابْلَنْدَحَا[١]

***

إحتجنا أن نذكر ارتفاق بعض الشعراء من العرجان بالعصى عند ذكر العصا وتصرفها فى المنافع ، والذى نحن ذاكروه من ذلك فى هذا الموضع قليل من كثير مما ذكرناه فى « كتاب العرجان » فان أردتموه فهو هناك موجود إن شاء الله تعالى .

قالوا : ولما شاع هجاء الحَكَمِ بنِ عَبْدَلِ الأسدِيِّ[٢] لمحمد بن حسان بن سعد[٣] وغيره من الولاة والوجوه ، هابه أهل الكوفة واتقى لسانه الصغير والكبير ، وكان الحكم أعرج لا تفارقه عصاه ، فترك الوقوف بأبوابهم وصار يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يُحبس له رسول ولا يؤخر لقراءة الكتاب ثم تأتيه الحاجة على أكثر ما قدر وأوفر ما أمل ، فقال يَحْيَى بنُ نَوْفَلٍ :

عَصَا حَكَمٍ فِى الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ ... وَنَحْنُ عَلَى الأَبْوَابِ نُقْصَى وَنُحْجَبُ[٤]

(١) للركو : الحوض الكبير . وابلندح : تهدم

(٢) هو الحكم بن عبدل بن جبلة الاسدي . شاعر مجيد من شعراء الدولة الاموية هجاء خبيث اللسان اعرج احدب كوفى المنشأ والاقامة . وكانت عصاه لاتفارقه . ولما فعل فى عصاه ما فعل وقال فيه يحي بن نوفل ما قال شاعت ابيات يحي بالكوفه وضحك الناس منها فلقى ابن عبدل يحي فقال له : يابن الزانية ما اردت من عصاى حتى صيرتها ضحكة ! ؟ ثم اجتنب ان يكتب عليها كما كان يفعل وكاتب الناس بحوائجه فى الرقاع

(٣) هو محمد بن حسان بن سعد التميمي كان يلى خراج الكوفة .

(٤) وبعد هذا البيت يقول :

وكانت عصا موسى لفرعون آية ... وهذى لعمر الله ادهى واعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ... ويرغب في المرضاة منها وترهب

وأما قول بشر بن أبي خازم :

لله دَرُّ بني حَدّاء من نفرٍ · وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلِبُ

إذا غدوا وعصيُّ الطلح أرجلُهم · كما تنصَّبُ وسْطَ البيعةِ الصُّلُبُ

وإنما يعني أنهم كانوا عُرجاً فأرجلهم كعصيّ الطلح ، وعصي الطلح معوجّة .

وكذلك قال مَعدانُ الأعمى في قصيدته الطويلة التي وصف فيها الغالية والرافضة والتميمية والزيدية :

والذي طفّفَ الجدارَ من الذُّعْـــرِ وقد باتَ قاسمَ الأنفالِ

فغدا خامعاً بوجهٍ هشيمٍ · وبساقٍ كعودِ طَلْحٍ بالِ

وقال بعض العُرجان ممن جعل العصا رجلا :

ما للكواعبِ يا دهماءُ قد جعلتْ · تَزْوَرُّ عنّي وتُلْقَى دوني الخُمُرُ (١)

لا أسمعُ الصوتَ حتى أستديرَ له · ليلاً طويلاً يُناغيني له القمرُ

وقال رجل من بني عجل :

وشى بيَ واشٍ عندَ ليلى سفاهةً · فقالتْ له ليلى مقالةَ ذي عقلِ

وخبّرها أني عرجتُ فلم تكنْ · كورهاءَ تجترُّ الملامةَ للبعلِ

وما بيَ من عيبِ الفتى غيرَ أنني · جعلتُ العصا رجلاً أقيمُ بها رجلي

وقال أبو ضبة في رجله :

وقد جعلتُ إذا ما نمتُ أوجعني · ظهري وقمتُ قيامَ الشارفِ الظَّهِرِ (٢)

وكنتُ أمشي على رجلين معتدلاً · فصرتُ أمشي على رجلٍ من الشجرِ

وقال أعرابي من بني تميم :

وما بيَ من عيبِ الفتى غيرَ أنني · ألفتُ قناتي حين أوجعني ظهري

---

(١) تزور : تميل وتتراجع . الخمر جمع خمار : ما تغطى به المرأة رأسها

(٢) الشارف الظهر . البعير المسن الذى شد رحله على ظهره استعدادا لحاجة إن عرضت

قال : ودخل الحَكَمُ بنُ عَبْدَلٍ الأسَدِيُّ وهو أعرج على عبدِ الحَمِيدِ ابنِ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ زيدِ بنِ الخَطَّابِ وهو أعرج ، وكان صاحب شرطه أعرج ، فقال ابن عبدل :

أَلْقِ العصَا وَدعِ التَّخَادُعَ وَالْتَمِسْ عَمَلاً فَهَذِى دَوْلَةُ الْعُرْجَانِ (١)
لِأَمِيرِنَا وَأَمِيرِ شُرْطَتِنَا مَعًا لِكِلَيْهِمَا يَاقَوْمَنَا رِجْلَانِ
فَإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنَا وَوَزِيرُنَا وَأَنَا فَإِنَّ الرَّابِعَ الشَّيْطَانُ

ومما يدلك على أن للعصا موقعاً منهم وأنها تدور مع أكثر أمورهم قول مُزَرِّدِ ابنِ ضِرَارٍ :

فَجَاءَ عَلَى بَكْرٍ ثِقَالٍ يَكُدُّهُ عَصَاإِسْتِهِ وَحْىَ الْعُجَابَةِ بِالْفِهْرِ (٢)

ويقولون : إعتصى بالسيف . إذا جعل السيف عصا ، وإنما اشتقوا للسيف اسما من العصا لأن عامة المواضع التى تصلح فيها السيوف تصلح فيها العصى ، وليس كل موضع تصلح فيه العصا يصلح فيه السيف . وقال الآخر :

وَنَحْنُ صَدَعْنَا هَامَةَ ابْنِ مُحَرِّقٍ كَذَلِكَ نَقْضِى بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

وقال عَمْرُو بنُ الإِطْنَابَةِ :

وَفَتًى يَضْرِبُ الْكَتِيبَةَ بِالسَّيْفِ إِذَا كَانَتِ السُّيُوفُ عِصِيًّا

وقال عَمْرُو بنُ مُحْرِزٍ :

نَزَلُوا إِلَيْهِمْ وَالسُّيُوفُ عِصِيُّهُمْ وَتَذَكَّرُوا دِمَنًا لَهُمْ وَذُحُولاً (٣)

وقال الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة : (٤)

إِنَّ ابْنَ يُوسُفَ مَحْمُودٌ خَلَائِقُهُ سِيَّانِ مَعْرُوفُهُ فِى النَّاسِ وَالْمَطَرُ
هُوَ الشِّهَابُ الَّذِى يُرْمَى الْعَدُوُّ بِهِ وَالْمَشْرَفِىُّ الَّذِى تُعْصَى بِهِ مُضَرُ

---

(١) ويروى : الق العصا ودع التخامع . وهو الأصح

(٢) الثقال : البطىء السير . الوحى : الاشارة . الفهر : الحجر ملء الكف

(٣) الدمن : الاحقاد القديمة . والذحول : العداوات واضمار الثار فيها

(٤) ثان فى الاصول . الفرزدق بن غالب بن همام . وهو خطا والصواب ما اثبتناه

يقال : عصى بالسيف ، واعتصى به . قال العُرْيَانُ بنُ الأسْوَدِ في ابن له مات :

وَلَقَدْ تَحْمِلُ المُشَاةُ كَرِيماً لَيِّنَ العُودِ مَاجِدَ الأعْرَاقِ
ذَاكَ قَوْلِي وَلاَ كَقَوْلِ نِسَاءٍ مُعْوِلَاتٍ يَبْكِينَ لِلأَوْرَاقِ

وكتب عَمْرُو بنُ العَاصِ إلى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله تعالى عنه : إن البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير ، كأنهم دود على عود . وقال واثلة السدوسي :(١)

رَأَيْتُكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي يُصِيبُ سَرَاةَ الأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ
سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ المَزُونَ عُيُوبُ
لَقَدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أَعْوَادُ مِنْبَرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رَسَاتِيقُ فَارِسٍ وَفِي المِصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ

وأنشد الأصمعي :

أَعْدَدْتُ لِلضِّيفَانِ كَلْباً ضَارِياً وَهِرَاوَةً مَجْلُوزَةً مِنْ أَرْزَنِ(٢)
وَمَعَاذِراً كَذِباً وَوَجْهاً بَاسِراً وَتَشَاكِياً عَضَّ الزَّمَانِ الأَلْزَنِ(٣)
وَشَذَاةَ مَرْهُوبِ الأَذَى قَاذُورَةٍ خَشِنٍ جَوَانِبُهُ دَلُوظٍ ضَيْزَنِ(٤)
وَبِكَفِّ مَحْبُوكِ اليَدَيْنِ عَنِ العُلاَ وَالبَاعِ مُسْوَدِّ الذِّرَاعِ مُقَحْزَنِ(٥)
وَتَجَنِّياً لَهُمُ الذُّنُوبَ وَأَتَّقِي بِغَلِيظِ جِلْدِ الوَجْنَتَيْنِ عَشَوْزَنِ(٦)

وقال جرير :

تَصِفُ السُّيُوفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصَى بِهَا يَا ابْنَ القُيُونِ وَذَاكَ فِعْلُ الصَّيْقَلِ(٧)

(١) راجع ص ٢٣٧ من الجزء الاول و ص ٢٥٠ من الجزء الثاني
(٢) هراوة مجلوزة : عصا شد في طرفها سير فهي كالسوط . والارزن : شجر صلب تتخذ من فروعه عصى جيدة
(٣) المعاذر : العلل . ألوجه الباسر : المتقبض المتكره . الزمان الالزن : الشديد المجدب
(٤) القاذورة : سوء الخلق في خشن . دلوظ ضيزن : دفوع في الصدر مزاحم
(٥) محبوك اليدين : مقبوضهما . مقحزن : مضروب بالعصا ، والقحزنة هي العصا
(٦) تجني الذنوب : اختلاقها ; والعشوزن : الغليظ الوقاح
(٧) يعصى بها : يضرب بها

وقال الراعى :

تبيتُ ورجلاها أذانان لاستِها ... عَصا إستِها حتى يَكِلَّ قعودُها

وقال أعرابى لِلحُطَيئةِ : ما عندك ياراعى الغنم ؟ قال : عجراء من سَلَمْ ! قال : إنى ضيف : قال : للضيفان أعددتها . وقال الشَّماخ بن ضرار :

إلى بَقَرٍ فيهنَّ للعينِ منظَرٌ ... ومَلْهًى لمن يلهو بهنَّ أنيقُ

رَعَينَ النَّدَى حتى إذا وَقَدَ الحصَى ... ولم يبقَ مِنْ نَوْءِ السِّماكِ بُرُوقُ (١)

وقال امرؤ القيس :

قُولا لِدُودانَ عَبيدِ العَصا ... ما غرَّكم بالأَسَدِ الباسلِ

وقال على بن الغدير [الغنوى] :

وإذا رَأيْتَ المرْءَ يَشْعَبُ أمْرَهُ ... شَعْبَ العصا وَيلِجُّ في العِصْيان (٢)

فاعْمِدْ لِما تعلو فما لكَ بالذي ... لا تستطيعُ مِنَ الأُمورِ يدانِ

وقال الآخر :

وَهَجهاجةٍ لا يملأُ الليلُ صدرَهُ ... إذا النِّكسُ أغفَى طرْفَهُ غيرَ أروَعِ (٣)

صحيحٍ برِيءِ العودِ مِنْ كلِّ أُبْنَةٍ ... وجمّاعِ نَهْبِ الخيرِ من كلِّ مَجمعِ (٤)

وقال مسكين الدارمى :

تَسْمو بأعْناقٍ وتحْبِسُها ... عَنها عِصِيُّ الذّادَةِ العُجْرُ (٥)

عن جرير بن قيس قال : قدمت المدائن بعد ما ضُرب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لى : ماالخبر ؟ فقلت :

(١) وقد الحصى : ضربته الشمس لحمى

(٢) يشعب : يتفرق

(٣) الهجهاجة : القليل العقل السيء الرأى . النكس : الدنيء الذى لاخير عنده . الاروع : الشهم الهمام الذكى الفؤاد

(٤) الابنة : العقدة فى العود .

(٥) العجر جمع عجراء : وهى العصا غير المستقيمة المليئة بالعقد

ضُرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها ! قال : لو جئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه !

وقال الله تبارك وتعالى « وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ . الآية » وقال الشاعر :

رَأَيْتُ الغانياتِ نَفَرْنَ مِنّى ... نُفورَ الوَحْشِ مِنْ رَامٍ مُفيقِ (١)
وَأَيْنَ تَغَيُّرِى وَأَرَدْنَ لَدْنًا ... كَغُصْنِ البانِ ذِى الفَنَنِ الوَرِيقِ

وقال أبو العتاهية :

عَرِيتُ مِنَ الشَّبابِ وكانَ غضًّا ... كما يَعْرَى مِنَ الوَرَقِ القَضِيبُ
أَلا لَيْتَ الشَّبابَ يَعودُ يومًا ... فأُخبِرَهُ بما صنعَ المَشيبُ

وقال الآخر :

فَلَئِنْ عَمِرْتُ لقدْ عَمِرتُ كأنَّنى ... غُصْنٌ تُشَذِّبُهُ الرِّياحُ رَطِيبُ (٢)
وَكَذاكَ حقًّا مَنْ يُعَمَّرْ يُبْلِهِ ... كَرُّ الزَّمانِ عليهِ والتَّقْلِيبُ
حَتَّى يَعُودَ مِنَ البِلَى وَكَأَنَّهُ ... فِى الكَفِّ أَفْوَقُ ناصِلٌ مَعْصُوبُ (٣)
مَرِطُ القِذاذِ فلَيْسَ فِيهِ مَصْنَعٌ ... لا الرِّيشُ يَنْفَعُهُ وَلا التَّعْقِيبُ (٤)

وقال عُرْوَةُ بنُ الوَرْدِ :

أَلَيْسَ وَرائى أَنْ أَدِبَّ عَلَى العَصَا ... فَيَأْمَنَ أَعْدائى وَيَسْأَمَنى أَهْلى ؟ (٥)

وأنشد :

عَصَوْا بِسُيوفِ الهِنْدِ وَاعْتَرَكَتْ بِهِمْ ... بَرَاكاءُ مَوْتٍ لا يَطِيرُ غُرابُها (٦)

---

(١) المفيق : الذي يضع فوق السهم فى الوتر للرمي ، يعنى الرامي الماهر
(٢) عمرت : إمتد بي العمر
(٣) الأفوق : السهم المكسور الفوق
(٤) المرط القذاذ : السهم الذى ذهب ريشه لكثرة الاستعمال
(٥) ورائى : أمامي
(٦) كان بالاصول : عصو السيوف . وما أثبتناه هو الصواب . البراكاء : الحرب يجثى فيها على الركب لتكون مجالدة بالسيوف . لا يطير غرابها : كناية عن كثرة القتلى

وقال لبيد :

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ الْعَصَا تُحْنَى عَلَيْهَا الأَصَابِعُ(١)

وقال آخر :

نُقِيمُ الْعَصَا مَا كَانَ فِيهَا لَدُونَةٌ وَتَأْبَى الْعَصَا فِي يُبْسِهَا أَنْ تُقَوَّمَا

وقال الآخر :

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمْتَهَا الْخُشُبُ

وقال جَرِيرٌ :

مَا لِلْفَرَزْدَقِ مِنْ عِزٍّ يَلُوذُ بِهِ إِلَّا بَنُو الْعَمِّ فِي أَيْدِيهِمُ الْخَشَبُ(٢)

سِيرُوا بَنِي الْعَمِّ فَالأَهْوَازُ مَنْزِلُكُمْ وَنَهْرُ تِيرَى فَمَا تَدْرِيكُمُ الْعَرَبُ(٣)

وقال جَرِيرٌ في هجائه بني حنيفة :

أَبْنَاءُ نَخْلٍ وَحِيطَانٍ وَمَزْرَعَةٍ سُيُوفُهُمْ خَشَبٌ فِيهَا مَسَاحِيهَا

قَطْعُ الدَّيَارِ وَسَقْيُ النَّخْلِ عَادَتُهُمْ قِدْمًا وَمَا جَاوَزَتْ هَذَا مَسَاعِيهَا

لَوْ قِيلَ أَيْنَ هَوَادِي الْخَيْلِ مَا عَلِمُوا قَالُوا لِأَعْجَازِهَا هَذِي هَوَادِيهَا

أَوْ قِيلَ إِنَّ حِمَامَ الْمَوْتِ آخِذُكُمْ أَوْ تُلْجِمُوا فَرَسًا قَامَتْ بَوَاكِيهَا

لَمَّا رَأَتْ خَالِدًا بِالْعَرْضِ أَهْلَكَهَا قَتْلًا وَأَسْلَمَهَا مَا قَالَ طَاغِيهَا(٤)

دَانَتْ وَأَعْطَتْ يَدَ السِّلْمِ طَائِعَةً مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللهِ يُفْنِيهَا(٥)

وقال سَلامَةُ بنُ جَنْدَلٍ(٦) :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبُ

---

(١) ورائي: أمامي

(٢) بنو العم : هم بنو مالك بن حنظلة وكان يقال له العم

(٣) يرميهم بأنهم دخلاء في العرب

(٤) هو خالد بن الوليد . والشاعر يشير إلى قتل خالد لهم بالعرض بعني باليمامة ايام حروب الردة، ويريد بطاغيها مسيلمة الكذاب

(٥) سيف الله : لقب خالد بن الوليد

(٦) مضت ترجمته في ص ٣١ من هذا الجزء

ويقال للخطَّاب إذا كان مرغوباً فيه كريماً : ذاكَ الفحلُ الذى لا يُقرع أنفه . لأن الفحل اللئيم إذا هب على الناقة الـكريمة ضربوا وجهه بالعصا . وقال آخر :

كأنَّها إذْ رُفِعَتْ عَصاها نَعامَةٌ أَوْحَدَهَا رَأْلاَهَا(١)

وممن أضافوه إلى عصاه داود ملـكين اليشكرى وقد كان ولى شرطة البصرة . وجاء فى الحديث أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه أفاض من جَمْعٍ وهو يُحَرِّشُ بعيره بمحجنه . وقال الأصمعى : المحجن العصا المعوجة . وفى الحديث المرفوع « أنه طاف بالبيت يستلم الأركان بمحجنه ثم يجذبه إليه » يريد بذلك تحريكه . وقال الراعى :

فَأَلْقَى عَصاً طَلْحٍ وَنَعْلاً كأَنَّها جَنَاحُ السُّمَانَى رَأْسُهَا قد تَصَوَّعَا(٢)

والعصا أيضاً فرس شَبِيبِ بْنِ كُرَيْبٍ الطائى . وكان شبيب بن كريب الطائى يصيب الطريق فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فبعث إليه أحمر بن شَمِيط العجلى وأخاه فى فوارس ، فهرب شبيب وقال :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ابْنَىْ شَمِيطٍ بِسِكَّةِ طَيِّءٍ وَالْبَابُ دُونِى

تَجَلَّلْتُ الْعَصا وَعَلِمْتُ أَنِّى رَهِينُ مُخَيَّسٍ إنْ يَثْقَفُونِى(٣)

وَلَوْ أَنْظَرْتُهُمْ شيئاً قليلا لَسَاقُونِى إلَى شَيْخٍ بَطِينِ(٤)

شَدِيدِ مَجَازِ الْـكَفَّيْنِ صُلْبٍ عَلَى الْحَدَثَانِ مُجْتَمِعِ الشُّؤُونِ(٥)

وقال النجاشى(٦) لأم كثير ابنة الصلت :

وَلَسْتِ بِهِنْدِيٍّ وَلَـكِنَّ ضَيْعَةً عَلَى رَجُلٍ لَوْ تَعْلَمِينَ مُزِيرِ

---

(١) أوحدها رألاها : تركها ولداها

(٢) السمانى : طائر قاطع يرد على شواطىء مصر من شمال أوربة وتسميه العامة : سمان

(٣) تجللت العصا : ركبت الفرس . المخيس : السجن . يثقفون : يجدونى

(٤) الشيخ البطين : على بن ابي طالب وكان يوصف بكبر البطن

(٥) المجاز : الطى واللى والمد والنزع . والمعنى أنه قوى اليدين معتمل الكفين

(٦) مضت ترجمته فى ص ٢٠٢ من الجزء الأول

وأعْجَبْتِنِي لِلسَّوْطِ والنَّوْطِ والعَصَا ... وَلَمْ تُعْجِبِينِي خُلَّة لِأَمِيرِ (١)

وقال أعشى بنى ربيعة : (٢)

وَكَانَ الْخَلَائِفُ بَعْدَ الرَّسُو ... لِ كُلُّهُمْ أُسْوَةً خَاشِعَا

شَهِيدَيْنِ مِنْ بَعْدِ صِدِّيقِهِمْ ... وَكَانَ ابْنُ صَخْرٍ هُوَ الرَّابِعَا (٣)

وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ خَامِسًا ... مُطِيعًا لِمَنْ قَبْلَهُ سَامِعًا (٤)

ومَرْوَانُ سَادِسَ مَنْ قَدْ مَضَى ... وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ سَابِعًا (٥)

وَبِشْرٌ يُدَافِعُ عَبْدَ الْعَزِيزِ ... مَضَى ثَامِنًا ذَا وَذَا تَاسِعًا (٦)

وَأَيُّهُمُ مَا يَكُنْ سَائِسًا ... لَهَا لَمْ يَكُنْ أَمْرُهَا ضَائِعَا

فَإِمَّا تَرَيْنِي حَلِيفَ الْعَصَا ... فَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَثْبَةٍ خَامِعَا (٧)

فَسَاوَمَنِي الدَّهْرُ حَتَّى اشْتَرَى ... شَبَابِي وَكُنْتُ لَهُ مَانِعَا

وقال عوف بن الخرع :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي جُرَيْجَةَ آيَةً ... فَهَلْ أَنْتَ عَنْ ظُلْمِ الْعَشِيرَةِ مُقْصِرُ

وَإِنْ طَعَنَ الْحَيُّ الْجَمِيعُ لِطِيَّةٍ ... فَأَمْرُكَ مَعْصِيٌّ وَشِرْبُكَ مُغْوِرُ (٨)

أَفِي صِرْمَةٍ عِشْرِينَ أَوْ هِيَ دُونَهَا ... قَشَرْتُمْ عَصَاكُمْ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَقْشِرُ (٩)

---

(١) خليلة : زوجة

(٢) كان بالاصول : اعشى بن ربيعة . والصواب ما اثبتناه . وهو صالح بن خارجة

(٣) الشهيدان : هما عمر وعثمان . والصديق : ابو بكر . وابن صخر : معاوية بن ابي سفيان . يقول الاعشى ذلك لانه كان اموى الهوى متعصبا ضد علي وولده . وجعل معاوية رابع الخلفاء، ثم مضى فى قصيدته على هذا النحو من الحساب الفاسد

(٤) الخامس فى راي هذا الاعشي يزيد بن معاوية

(٥) وجعل مروان بن الحكم سادسا واسقط معاوية بن يزيد . وكل هذا من إملاء السياسة التى لا تعرف حقا ولا تتجه نحو الصواب فى اى عصر من العصور . وجعل السابع عبد الملك بن مروان

(٦) بشر وعبد العزيز هما ابنا مروان بن الحكم . ومع انهما لم يليا الملك فان الشاعر قد دفعه النفاق إلى حسبانهما فى الخلفاء

(٧) الخامع : الذى فى مشيته خمع أى عرج أو شبه العرج

(٨) الطية : النية المتواة . مغور : لاماء فيه

(٩) الصرمة : القطعة من الابل

زَعَمْتُمْ مِنَ الْهُجْرِ الْمُضَلِّلِ أَنَّكُمْ   سَتَنْصُرُكُمْ عَمْرٌو عَلَيْنَا وَمَنْقِرُ[1]
فَيَا شَجَرَ الْوَادِي أَلَا تَنْصُرُونَهُمْ   وَقَدْ كَانَ بِالْمَرُّوتِ رِمْثٌ وَسَخْبَرُ[2]
أَلَمْ تَجْعَلُوا تَيْماً عَلَى شُعْبَتَيْ عَصاً   فَمَا يَنْطِقُ الْمَعْرُوفَ إِلَّا مُعَذَّرُ؟

وقال رجل من محارب يرثى ابنه:

أَلَمْ يَكُ رَطْباً يَعْصِرُ الْقَوْمُ مَاءَهُ   وَمَا عُودُهُ لِلْكَاسِرِينَ بِيَابِسِ

وقال حاجب [بن] زرارة[3]: والله ما القعقاع[4] برطب فيعصر ولا بيابس فيكسر.

وقال حماد عجرد:

وَجَرَوْا عَلَى مَا عُوِّدُوا   وَلِكُلِّ عِيدَانٍ عُصَارَهْ

وقال أيضا:

فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ   وَأَنْضَرُ النَّاسِ عِنْدَ النَّاسِ أَغْصَانَا
لَوْ مَجَّ عُودٌ عَلَى قَوْمٍ عُصَارَتَهُ   لَمَجَّ عُودُكَ فِينَا الْمِسْكَ وَالْبَانَا

وقال آخر:[5]

وَإِنَّا وَجَدْنَا النَّاسَ عُودَيْنِ طَيِّباً   وَعُوداً خَبِيثاً مَا يَبِضُّ عَلَى الْعَصْرِ
تَزِينُ الْفَتَى أَخْلَاقُهُ وَتَشِينُهُ   وَتُذْكَرُ أَخْلَاقُ الْفَتَى وَهْوَ لَا يَدْرِي

وقال المؤمل بن أميل:[6]

كَانَتْ تُقَيَّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلاً   فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قُيُودَا

---

(١) الهجر. فاحش القول. والمروت: واد لبنى حمان. وفيه يوم من ايامهم
(٢) الرمث: شجر يشبه الغضاه لا يطول ولكن ورقه ينبسط وهو شبيه بالأشنان تتحمض به الابل. والسخبر: شجر إذا طال تدلت رؤسه. وقيل هو من شجر الثمام له قضب مجتمعة وجرثومة وله عيدان كالكراث كثيرة. وهذا البيت اية فى التهكم والاستخفاف
(٣) هو حاجب بن زرارة سيد بنى تميم صاحب القوس التى وضعها عند كسرى رهينة بوفائه بعهده عن قومه
(٤) هو القعقاع بن معبد التميمى انظر ص ٢١٥ من الجزء الثانى
(٥) هو ابو البلاد الطهو. راجع ص ٤٨ من الجزء الثانى
(٦) مضت ترجمته فى ص ٤٥ من هذا الجزء

وَالقَوْمُ كالعِيدانِ يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ بَعضا كذاكَ يَفوقُ عُودٌ عُودَا

وقالت ليلى الأخيلية :

نَحْنُ الأَخايِلُ لاَيَزالُ غُلامُنا حَتَّى يَدِبَّ عَلَى العَصَا مَذْكُورَا

أنظر أبقاك الله فى كم فن تصرف فيه ذكر العصا من أبواب المنافع والمرافق! وفى كم وجه صرّفه الشعراء وضرب به المثل! ونحن لو تركنا الإحتجاج لمخاصر البلغاء وعصىّ الخطباء لم نجد بداً من الإحتجاج لجلة المرسلين وكبار النبيين لأن الشعوبية قد طعنت فى جملة هذا المذهب على قضيب النبى صلى الله عليه وسلم وعَنَزَتِهِ (١) وعلى عصاه ومخصرته، وعلى عصا موسى، لأن موسى عليه السلام قد كان اتخذها من قبل أن يعلم ماعند الله فيها وإلى مايكون صيوُّر أمرها، ألا ترى أنه لما قال الله عز وجل: « وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ؟ » وبعد ذلك قال: « أَلْقِهَا يَامُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى » ومن يستطع أن يدعى الإحاطة بما فيها من مآرب موسى إلا بالتقريب وذكر ما خطر على البال؟ وقد كانت العصا لا تفارق يد سليمان بن داوود عليهما السلام فى مقاماته ولا صلواته ولا فى موته ولا فى أيام حياته حتى جعل الله تسليط الارضة عليها، وسليمان ميت وهو معتمد عليها، من الآيات عند من كان لايعلم أن الجن لم تكن تعلم إلا ماتعلم الانس.

ولو علم القوم أخلاق كل ملة وزى أهل كل لغة وعللهم فى ذلك واحتجاجهم له لقل شغبهم وكفونا مؤنتهم، وهذه الرهبان تتخذ العصى من غير سقم ولا نقصان فى جارحة، ولابد للجاثليق (٢) من قناع ومن مظلة وَبُرْطُلَةٍ (٣) ومن عكازة ومن عصا، من غير أن يكون الداعي إلى ذلك كبراً ولا عجزاً فى الخلقة! وما زال المطيل

(١) العنزة : العصا القصيرة

(٢) الجاثليق : هو رئيس النصارى فى بلاد الاسلام

(٣) البرطلة : شبه قلنسوة ، وهى كلمة نبطية معناها ابن الظل او ابن المظلة

القيام بالموعظة أو القراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام و يتوكأ عليها عند المشى كأن ذلك زائد فى التكهل والزمانة [1] وفى نفى السخف والخفة .

الحلى والسمات

وبالناس حفظك الله أعظم الحاجة إلى أن يكون لكل جنس منهم سيما ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها . قال الفرزدق :

بِهِ نَدَبٌ مِمَّا يَقولُ ابْنُ غالِبٍ　　يَلوحُ كالأَجَتْ وُسُومُ المُصَدِّقِ [2]

وقال الآخر :

أَنارَ حَتَّى صَدَقَتْ سِماتُهُ　　وَظَهَرَتْ مِنْ كَرَمٍ آياتُهُ

وأنشد أبو عبيدة :

سَقاها مِيْسَمٌ مِنْ آلِ عَمْرٍو　　إذا ما كانَ صاحِبُها جَحِيشا [3]

وذكر بعض الأعراب ضروبا من الوسم فقال :

بِهِنَّ فِى خُطَّافِها عَلْطٌ وَسِمْ　　وَحَلَقٌ فى آخِرِ الذِفْرَى نُظِمْ [4]

مَعْها نِظامٌ مِثْلُ خَطٍّ بِالقَلَمْ　　وَقُرْمَةٌ وَلَسْتُ أَدْرِى مَنْ قَرَمْ [5]

عَرْضٌ وَخَبْطٌ لِمَجْلِيها الوَسَمْ [6]

وقال الله تبارك وتعالى : « سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » وكما خالفوا بين الأسماء للتعارف ، وقال عز وجل : « وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ »

---

(١) كان فى الاصول : والزمانة . وهو خطأ والصواب ما اثبتناه . والزمانة : الرزانة

(٢) الندب : آثار الجروح . وسوم المصدق : العلامات التى يضعها جابى الصدقات على إبل الصدقة ولا تكون هذه الوسوم إلا بالكي بالنار

(٣) الجحيش : المنفرد بنفسه

(٤) العلط : اثر الوسم . الذفرى : العظم الناتئ خلف اذن البعير

(٥) القرمة : القطعة من انف البعير

(٦) العرض : السمة فى فخذ البعير . والخبط : السمة فى وجهه

فعند العرب العمة وأخذ المخصرة من السيما ، وقد لايلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء ، والذى لابد منه العمة والمخصرة ، وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين طرفيه ، وربما قام فيهم وعليه عمامته وفى يده مخصرته وربما كان قضيبا وربما كانت العصا وربما كانت قناة ، وفى القنا ماهو أغلظ من الساق وفيها ما هو أدق من الخنصر ، وقد تكون محككة الكعوب متقفة من الإعوجاج قليلة الأبن [١] وربما كان العود نبعاً وربما كان شوحطاً وربما كان من أبنوس ومن غرائب الخشب ومن كرائم العيدان ومن تلك الملس المصفاة وربما كانت لب غصن كريم ، فان للعيدان جوهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت فى خزائن الخلفاء والملوك ، ومنها ما لاتقر به الأرضة ولا تؤثر فيه القوادح ، والعكاز اذا لم يكن فى أسفله زج فهو عصا ، لأن أطول القنا أن يقال : رمح خطل ثم رمح نائر [٢] ثم رمح مخموس ثم رمح مربوع ثم رمح مطارد ثم عكاز ثم عصا . ثم من العصى نُصُبُ المساحى والمرور والقدم والفؤس والمعاول والمناجل والطبرزينات [٣] ثم تكون مع [٤] ذلك نصب السكاكين والسيوف والمشامل [٥] وكل سهام نبعية وغير ذلك من العيدان التى امتدحها أوس بن حجر أو الشماخ بن ضرار أو أحد من الشعراء ، فانما هى من كل عصا ، وكل قوس بندق فانما جيء بقناتها من بروض ومدح ببريها وصنعتها عصفور القواس . وقال الرقاشى : [٦]

أَنْعَتُ قَوْساً نَعْتَ ذِى انْتِفَاءِ   جَاءَ بِهَا جَالِبُ بَرْوَضَاءِ

(١) الابن : العقد فى العصا

(٢) لعله النيزك

(٣) الطبرزينات ، جمع طبرزين ، كلمة فارسية معناها الفأس . وعندى انها البلطة التى تستعمل فى الهجوم عند القتال

(٤) فى الاصول : ثم تكون فى ذلك . وقد اخترت مع بدل من ليستقيم السياق

(٥) المشامل : سيوف قصيرة تحمل تحت الثياب

(٦) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، كان شاعرا مطبوعا نقى الكلام سهل النظام من شعراء البرامكة ومن المختصين بهم المستظلين بظلهم . وقد حفظ لهم فضلهم فرثاهم بعد نكبتهم وعرض نفسه بوفائه لهم لمخاطر جسام . وكان بينه وبين ابى نواس منافرات ومناقضات .

عِندَ اعتيامٍ منهُ وَانتِصاءِ   كافيةَ الطولِ عَلَى انتهاءِ
مَجلوزَةَ الأكعُبِ فى استواءِ   سالمةً مِنْ أُبَنِ السِّيساءِ (١)
فَلَمْ تَزَلْ مَساحِلُ البَرّاءِ   تأخُذُ مِنْ طوائفِ اللّحاءِ (٢)
حتّى بدَتْ كالحيّةِ الصَّفراءِ   تَرْنُو إلى الطّائرِ فى السّماءِ (٣)
بمقلةٍ سَريعةِ الإقذاءِ   لَيْسَتْ بِكَحلاءَ وَلا زَرقاءَ (٤)

وقال آخر:

قَدِ أغتدِى مَلْثَ الظّلامِ بِفتيةٍ   للرَّمْى قَدْ حَسَرُوا لَهُ عَنْ أذرُعِ (٥)
مُتنكِّبين خَرائِطاً لِبَنادِقٍ   مِنْ بَيْنِ مَضفُورٍ وَبَيْنِ مُرَسَّعِ (٦)
بأكفّهِمْ قُضبانُ بَرْوَضَ قَدْ عَدَوْا   لِلطَّيْرِ قَبْلَ نُهُوضِهَا لِلمَرْتَعِ (٧)
تُقْذِى مَنيّاتُ الطّيُورِ عيُونَهَا   يَوْمًا إذَا رَمِدَتْ بأيْدِى النُّزَّعِ (٨)
صُفْرُ البُطُونِ كأنَّ لِيطَ بُطُونهَا   سَرَقُ الحَرِيرِ نَوَاضِرٌ لَمْ تُشْبَعِ (٩)

وكانت العَنَزَةُ (١٠) التى تحمل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وربما جعلوها قبلة — أشهر وأذكر من أن يحتاج فى تثبيتها إلى ذكر الاسناد، وكانت سيماء (١١) أهل الحرم إذا خرجوا من الحرم إلى الحل فى غير الأشهر الحرم أن

(١) مجلوزة الاكعب : محكمة العقد . ابن السيساء : عقد الفقرات
(٢) مساحل البراء : مبارد بارى السهام . اللحاء : قشر العود
(٣) ترنو : تنظر . وهذا من باب التخيل
(٤) الاقذاء : سريعة فتح العين وتغميضها
(٥) ملث الظلام : عند اختلاطه بالنور وقت السحر
(٦) متنكبين خرائطا : حاملين على عواتقهم اوعية البندق وهي من ادم منها ما هو مضفور ومنها ماهو متداخل
(٧) القضبان : القسى
(٨) النزع : الرماة
(٩) صفر البطون : خالياتها من الطعام . ليط متونها : قشر ظهورها . سرق الحرير : شققه
(١٠) العنزة : العصا القصيرة
(١١) السيماء : العلامة

يتقلدوا القلائد ويعلقوا عليهم العلائق ، وإذا أَوْذَمَ (١) أحدهم الحج تزيا بزي الحاج وإذا ساق بُدنة أشعرها (٢) وخالفوا بين سمات الابل والغنم ، وأعلموا البَحيرة (٣) بغير علم السائبة ، وأعلموا الحامى (٤) بغير علم الفحول ، وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة (٥) من الغنم ، وكذلك سائر الأغنام السائمة ، وإذا كانت الابل من حباء ملك غرزوا فى أسمنتها الريش والخِرق ، ولذلك قال الشاعر :

يَهَبُ الهِجَانَ بِرِيشِهَا وَرِعَائِهَا ... كاللّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ المُتَبَلِّجِ

وإذا بلغت الابل ألفا فقئوا عين الفحل ، فان زادت فقئوا العين الأخرى . فذلك « المُفَقّأُ » و « والمعمّى » . وقال شاعرهم :

فَقَأْتُ لَهَا عَيْنَ الفَحِيلِ تَعَيُّفاً ... وَفِيهِنَّ رَعْلاءُ المَسَامِعِ وَالحَامِ

وقال آخر :

وَهَبْ لَنَا وَأَنْتَ ذُو امْتِنَانِ ... تُفْقَأُ فِيهَا أَعْيُنُ البُعْرَانِ

وقال الآخر :

فَكَانَ شُكْرَ القَوْمِ عِنْدَ المِنَنِ ... كَيُّ الصَّحِيحَاتِ وَفَقْءُ الأَعْيُنِ

وإذا كان الفحل من الإبل كريماً قالوا « فَحِيلٌ » وإذا كان الفحل من النخل كريماً قالوا « فُحّالٌ » وقال الراعى :

كَانَتْ نَجَائِبُ مُنْذِرٍ وَمُحَرِّقٍ ... أُمّاتُهُنَّ وَطَرْقُهُنَّ فَحِيلاَ

وكان الكاهن لا يلبس المصبغ ، والعراف لايدع تذيل قميصه وسحب ردائه ، والحكم لا يفارق الوبر ، وكان لحرائر النساء زى ، ولكل مملوك زى ، ولذوات

(١) أوذم الحج : فرضه على نفسه ونواه

(٢) البدنة الذبيحة تنحر بمكة . اشعرها : جعل لها علامة تعرف بها أنها من هدى الحرم

(٣) البحيرة : القلوص التى تنتجها السائبة ، وكانوا يشقون أذنها ويخلونها مع أمها

(٤) الحامى : الجمل إذا أسن ترك دون أن ينتفع منه بشىء

(٥) الفرع : اول نتاج الشاة . والرجبية : الشاة تذبح قربانا للآلهة فى شهر رجب . والوصيلة : الشاة تلد ذكرا ثم انثى . والعتيرة : الشاة تذبح للآلهة

الرايات زى (١) وكان الزِّبْرِقَانُ (٢) يصبغ عمامته بصفرة ، وذكره الشاعر فقال :

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً ... يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقَانِ المُعَصْفَرَا (٣)

وكان أبو أُحَيْحَةَ سَعِيدُ بْنُ العَاصِ (٤) إذا اعتمَّ لم يعتمَّ معه أحد ، هكذا فى الشعر ، ولعل ذلك أن يكون مقصوراً فى بنى عبد شمس ، وقال أُبو قَيْسِ بن الأَسْلَتِ : (٥)

وَكَانَ أَبُو أُحَيْحَةَ قَدْ عَلِمْتُمْ ... بِمَكَّةَ غَيْرَ مُهْتَضَمٍ ذَمِيمِ

إِذَا شَدَّ العِصَابَةَ ذَاتَ يَوْمٍ ... وَقَامَ إِلَى المَجَالِسِ وَالْخُصُومِ

فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْشِى ... بِمَكَّةَ غَيْرَ مُدَّخِلٍ سَقِيمِ

وَكَانَ الْبَخْتَرِىُّ غَدَاةَ جَمْعٍ ... يُدَافِعُهُمْ بِلُقْمَانَ الْحَكِيمِ

بِأَزْهَرَ مِنْ سَرَاةِ بَنِى لُؤَىٍّ ... كَبَدْرِ اللَّيلِ رَاقَ على النُّجُومِ

هُوَ الْبَيْتُ الذِى بُنِيَتْ عليه ... قُرَيْشُ السِّرِّ فى الزَّمَنِ القديمِ

وَسَطْتَ ذَوَائِبَ الفَرْعَيْنِ مِنْهُم ... فأَنْتَ لُبَابُ سِرِّهِم الصَّمِيمِ

وقال غَيْلانُ بن خَرَشَةَ للأحنف : يا أبا بحر ، ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلدوا السيوف وشدّوا العمائم واستجادوا النعال ولم تأخذهم حَمِيَّةُ الأوغاد ! قال : وما حَمِيَّةُ الأوغاد ؟ قال : أن يعدوا التواهب ذلا . (٦) وقال الأحنف : استجيدوا النّعال فإنها خلاخل الرجال . (٦) والعرب تسمى السيوف بحمائلها « أردية » وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قولا أحسن من هذا قال : تمام جمال المرأة فى خفها وتمام جمال الرجل فى لمته (٧) . ومما يؤكد ذلك قول مجنون بنى عامر : (٨)

(١) ذوات الرايات : هن الاماء اللاتى كن يحترفن البغاء
(٢) هو الزبرقان بن بدر ، مضت ترجمته فى ص ٦٠ من الجزء الاول
(٣) الحلول : البيوت النازلة فى مكان . والسب : الشقة من الحرير
(٤) مضت ترجمته فى ص ٢٥٠ من الجزء الاول
(٥) مضت ترجمته فى ص ١٦ من هذا الجزء
(٦) راجع ص ٧٠ من الجزء الثانى . وفيها بعض خلاف
(٧) راجع ص ٧٠ من الجزء الثاني . وهناك بدل في لمته : فى كمه . ولعل ما ههنا اصح
(٨) مضت ترجمته فى ص ٣١ من الجزء الثانى

أأعقرُ مِن جرَّا كريمةَ ناقتى ... ووَصْلى مَفرُوشٌ لِوَصلِ مُنازِلِ
إذا جاء قعقعْنَ الحُلِىَّ ولَمْ أكُنْ ... إذا جئتُ أرضى صوتَ تِلكَ الخلاخِلِ (١)
وَلَمْ تُغنِ سيجانُ العراقين نقرَةً ... وَرقشُ القَلَنْسِ بالرِّجالِ الأطاوِلِ

والعصابة والعمامة سواء ، وإذا قالوا : سيد مُعمم . فإنما يريدون أن كل جناية يجنيها الجانى فى تلك العشيرة فهى معصوبة برأسه ، وقال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ : (٢)

أَبلِغْ نُعيماً وأوفَى إنْ لقيتهما ... إنْ لم يكُنْ كانَ فى سَمْعَيْهما صَمَمُ (٣)
فلا يَزالُ شِهابٌ يُستضاءُ بهِ ... يَهْدِى المَقانِبَ مالم تَهلِكِ الصِّمَمُ (٤)
عارِى الأشاجِعِ مَعصُوبٌ بِلِمَّتِهِ ... أمرُ الزَّعامَةِ فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ

وقال الكنانى:

تَنَخَّبْتُها لِلنَّسْلِ وَهْىَ غَريبَةٌ ... فجاءتْ بِهِ كالبَدرِ خِرْقاً مُعَمَّما (٥)
فلَوْ شاتَمَ الفِتيانَ فى الحَىِّ ظالِماً ... لَما وَجَدُوا غيرَ التَّكذُّبِ مَشْتَما

ولذلك قيل لِسَعِيدِ بنِ العَاص « ذُو العِصابة » وقد قال خَالِدُ بنُ يَزِيدُ : (٦)

كَعابٌ أبُوهَا ذو العِصابةِ وَابنُهُ ... وَعُثمانُ ما أكْفاؤها بِكَثيرِ

---

(١) فى الاصول : إذا جئت ارجو . والتصويب عن الاغانى . وبعد هذا البيت يقول :
إذا ما انتضلنا فى الخلاء نضلته ... وإن يرم رشقا عندها فهو ناضلى
(٢) مضت ترجمته فى ص ١٠١ من الجزء الأول . وهذه الأبيات قالها يوم قتل مجمع بن مزاحم اليربوعى اخاه عبد يغوث بن الصمة وكان نازلا بين اظهر بنى الصارد
(٣) وبعد هذا البيت :
فما أخى بأخى سوء فينقصه ... إذا تقارب بابن الصارد القسم
(٤) المقانب : جماعات الخيل عليها الفرسان : الصمم : الشجعان
(٥) الخرق : الكريم
(٦) هو خالد بن يزيد بن معاوية . كان من سرات بنى امية وعظمائهم ، وكان عالما عاقلا فصيحا سخيا جوادا شاعرا بليغا جليل القدر . وهو اول من اشتغل بنقل الكتب اليونانية إلى العربية وكان ذا شغف بالكيميا . توفى سنة ٨٢ هـ وهذا البيت الذى رواه الجاحظ من ابيات قالها حينما طلق زوجته آمنة بنت سعيد بن العاص وخلفه عليها الوليد بن عبد الملك . وقد روى المبرد منها قوله :
فتاة أبوها ذو العصابة وابنه ... وعثمان ما أكفاؤها بكثير
فإن تفتلتها والخلافة تنقلب ... بأكرم علق منبر وسرير

وقال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضى الله تعالى عنه : ألعمائم تيجان العرب .

وقيل لاعرابى : إنك لتكثر لبس العمامة ! قل : إن شيئاً فيه السمع والبصر لجدير أن يوقى من القرّ .

وذُكرت العمامة عند أبى الأسْوَدِ الدُّؤلى فقال : جُنّةٌ فى الحرب ، ومِكنّةٌ من الحر ، ومَدْفأة من القرّ ، ووقارٌ فى النّدِىّ ، وواقية من الأحداث ، وزيادة فى القامة ، وهى تعد عادة من عادات العرب . وقل عَمْرُو بنُ امْرِءِ القَيْسِ :[1]

يَا مَالِ وَالسَّيِّدُ المُعمَّمُ قَدْ ... يُبْطِرُهُ بعدَ رَأْيِهِ السَّرَفُ
نَحْنُ بما عِنْدَنا وَأَنْتَ بمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرّأىُ مُخْتلِفُ[2]

وكان من عادة فُرسان العرب فى المواسم والجموع وفى أسواق العرب كأيام « عُكاظ » و « ذى المجاز » وما أشبه ذلك التقنّع ، إلا ما كان من أبى سَلِيطٍ طَرِيفِ بنِ تَمِيمٍ أحد بنى عَمْرِو بنِ جُنْدَبٍ فانه كان لا يتقنع ولايبالى أن يُثبت عينَه جميعُ فرسان العرب ، وكانوا يكرهون أن يُعرفوا ، فلا يكون لفرسان عدوّهم غيرهم . ولما أقبل « حَمَصِيصَةُ الشيبانى »[3] يتأمل طريفاً قال طريفٌ :

أَوَ كُلَّما وَرَدَتْ عُكاظُ قبيلةٌ ... بعثُوا إلىَّ عَرِيفَهُمْ يَتوَسَّمُ
فَتَوَسَّمُونى إنّنى أنَا ذَا كُمُ ... شَاكٍ سِلَاحى فى الحَوَادِثِ مُعْلِمُ
تحتى الأغَرُّ وَفَوْقَ جِلْدِى نَثْرَةٌ ... زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيفَ وَهْوَ مُثَلَّمُ[4]
وَلِكلِّ بَكْرِىٍّ إلَىَّ عَدَاوةٌ ... وَأَبُو رَبِيعَةَ شَانِئٌ وَمُحَلَّمُ

---

(١) هو أبو سريح عمرو بن امرىء القيس أحد بنى الحارث بن الخزرج وهو جد عبد الله بن رواحة . كان من حكام العرب وقضاتهم ، وكان شاعرا مخلا . يخاطب بهذا الشعر مالك بن العجلان حين رد قضاءه فى إحدى وقائع الاوس والخزرج فى الجاهلية

(٢) أراد أن يقول : نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض فكف عن خبر الاول إذ كان فى الآخر معناه

(٣) كان بالأصول : حميصة . والصواب ما اثبتناه عن ابن دريد والصاغانى . وهو حمصيصة بن جندل الشيبانى شاعر من فصحاء الشعراء بالجاهلية

(٤) النثرة : الدرع الجيدة النسج

فكان هذا من شأنهم ، وربما مع ذلك أعلم الفارسُ منهم نفسه بِسِيْما ، وكان حَمْزَةُ(١) يوم بدر معلماً بريشة نعامة حمراء ، وكان الزُّبَيْرُ(٢) معلماً بعمامة صفراء ، ولذلك قال دِرْهَمُ بن زيد :(٣)

إنَّكَ لاقٍ غداً غُواةَ بنى المَلْــــكاءِ فانظُرْ ما أنتَ مُزْدَهِفُ(٤)

يَمْشُونَ فى البَيْضِ وَالدُّرُوعِ كما تَمْشِى جِمَالٌ مَصَاعِبٌ قُطُفُ(٥)

فأبْدِ سِيماكَ يَعْرِفُوكَ كما يُبْدُونَ سِيماهُمْ فتعترفُ(٦)

وكان المُقَنَّعُ الكندى الشاعر واسمه «مُحَمَّدُ بن عُمَيْرٍ»(٧) كان الدهر مقنعاً والقناع من سيما الرؤساء ، والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجة القاطعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايكاد يُرى إلا مقنعاً ، وجاء فى الحديث «حتى كأن الموضع الذى يصيب رأسه من ثوبه ثوب دهان» وكان «المُقَنَّعُ»(٨)

---

(١) هو حمزة بن عبد المطلب

(٢) هو الزبير بن العوام

(٣) عند ابى الفرج ان اسمه درهم بن يزيد بن ضبيعة الاوسى . من شعراء الجاهلية

(٤) رواية الاغانى : غواة بنى عمى . مزدهف : مقتحم ومقدم عليه من الشر

(٥) البيض : الخوذ التى تلبس على الرؤس للوقاية فى الحرب . المصاعب : الفحول من الابل لم تمكن احدا من ركوبها وتذليلها . القطف : التى فى مشيها تثاقل وفى خطوها قطف . وبعده ، ويروى لمالك بن العجلان :

كما تمشى الاسود فى رهج المــوت إليه وكلهم لهف

(٦) يقول ذلك لمالك بن العجلان لانه كان إذا شهد الحرب غير لباسه وتنكر لئلا يعرف فيقصد . فالشاعر يعيره بذلك

(٧) هو محمد بن ظفر بن عمير المقنع الكندى . ولقب بالمقنع لانه فيما زعموا كان اجمل الناس وجها وامدهم قامة واكملهم خلقا ، وزعموا انه كان إذا سفر اللثام اصابته العين فيمرض ويلحقه عنت ولذلك لم يكن يمشي إلا مقنعا . وهو شاعر مقل مجيد من شعراء الدولة الاموية ، وكان سريا فى قومه سيدا فى عشيرته

(٨) هو المقنع الخراساني واسمه عطاء من اهل مرو من قرية كره . كان مشوه الخلق اعور قصيرا ، وكان فى اول امره قصارا ، ثم عرف الشعبذة والنيرنجيات فاستغوى العامة وجمع منهم جموعا وخرج على الدولة مدعيا النبوة ثم الالوهية . وكانت له حيل يستهوى بها الناس وان الله حل فيه . فسير المهدى اليه الجيوش فحاصرته فى قلعته . فسقى اهله السم فماتوا عن آخرهم ثم اشعل النار فى القلعة والقى نفسه فيها فمات سنة ١٦٣ھ

الذى خرج بخراسان يدعى الربوبية لا يدع القناع في حال من الحالات ، وجهل ادعاء الربوبية من جهة المناسخة فادعاها من الوجه الذى لا يختلف فيه الأحمر والاسود والمؤمن والكافر أن باطله مكشوف كالنهار لا يعرف فى شىء من الملل والنحل القول بالتناسخ إلا من هذه الفرقة من الغالية ، وهذا « المقنع » كان قصاراً من أهل مرو ، وكان أعور ألكن ، فما أدرى أيهما أعجب . أدعواه بأنه رب ، أو إيمان من آمن به وقاتل دونه ؟ وكان اسمه عطاء . وقال الآخر :

إِذَا المَرْءُ أَثْرَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ ... أَنَا السَّيِّدُ المُفْضَى إِلَيهِ المُعَمَّمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ شيئاً أَبَوْا أَنْ يَسُودَهُمْ ... وَهَانَ عَلَيْهِمْ زَعْمُهُ وَهوَ أَلْوَمُ (١)

وقال آخر :

إِذَا كَشَفَ اليَوْمُ العَمَاسُ مِنَ اسْتِهِ ... فَلَا يَرْتَدِي مِثْلِي وَلَا يَتَعَمَّمُ (٢)

قالوا . وكان «مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ» يتعمم العقداء ، وهو أن يعقد العمامة فى القفاء . وكان « محمدُ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِى وَقَّاصٍ » الذى قتله الحجاج يعتم الميلاء . وقال الفَرَزْدَقُ :

وَلَوْ شَهِدَ الخَيلَ ابنُ سَعْدٍ لَقَنَّعُوا ... عِمَامَتَهُ المَيْلَاءَ عَضْباً مُهَنَّدَا

وقال شَمْعَلَةُ بنُ أَخْضَرَ الضَّبِّى :

جَلَبْنَا الخَيلَ مِنْ أَطْرَافِ فَلْجٍ ... تَرَى فِيهَا مِنَ الغَزْوِ اقْوِرَارَا (٣)
بِكُلِّ طِمِرَّةٍ وَبِكُلِّ طِرْفٍ ... يَزِينُ سَوَادُ مُقْلَتِهِ العِذَارَا (٤)
حَوَالَى عَاصِبٍ بِالتَّاجِ مِنَّا ... جَبِينَ أَغَرَّ يَنْتَابُ الدُّوَارَا
رَئِيسٌ مَا يُنَازِعُهُ رَئِيسٌ ... سِوَى ضَرْبِ القِدَاحِ إِذَا اسْتَشَارَا

وأنشد :

(١) يعنى ان اللوم واقع عليه إذا استهانوا بشأنه
(٢) يوم العماس : يوم الشدة
(٣) اطراف فلج : طريق بين البصرة واليمامة . الاقورار : التغير والضمور
(٤) الطمرة : الفرس الخفيفة العدو والوثب . والطرف : الفرس الكريم

إذا لَبِسُوا عمائِمهُمْ طوَوْها على كَرَمٍ وإن سَفرُوا أناروا

يَبيعُ ويَشْتري لهُمُ سِواهُمْ ولٰكنْ بالطِّعانِ هُمُ تِجارُ

إذا ما كُنتَ جارَ بَني لُؤَيٍّ فأنتَ لأكرَمِ الثَّقلينِ جارُ

وأنشد :

ودَاهِيَةٍ جرَّها جارِمٌ جَعلْتَ رِداءَكَ فِيها خِمارا

ولذكر العمائم مواضع ، قال يزيد بن كثوة العنبرى :(١)

مَنعَتْ مِنَ الْمُهّارِ أطْهارَ أُمِّهِ وَبعضُ الرِّجالِ المُدَّعِينَ زَناءُ

فَجاءَتْ بِهِ عَبْلَ القَوامِ كأنَّما عِمامَتُهُ فوقَ الرِّجالِ لِواءُ

لأن العمامة ربما جعلوها لواء ، ألا ترى أن « الأحْنَفَ بنَ قَيْسٍ » يوم « مَسْعُودِ بنِ عَمْرٍو » حين عقد « لِعَبْسِ بنِ طَلْقٍ » اللواء إنما نزع عمامته من رأسه فعقدها له ؟ وربما شدوا بالعمائم أوساطهم عند المجهدة واذا طالت العقبة ، ولذلك قال شاعرهم :

فَسِيرُوا فقَدْ جَنَّ الظَّلامُ عَلَيْكُمُ فَباسْتِ الَّذي يَرْجُو القِرَى عِندَ عاصِمِ

دُفِعْنا إليْهِ وَهْوَ كالذِّيخِ خاطِياً نَشُدُّ عَلى أكْبادِنا بالعَمائِمِ(٢)

وقال الْفَرَزْدَقُ :

بَني عاصِمٍ إنْ تَلْحَبُوها فإنَّكُمْ مَلاجِي لِلسَّوْآتِ دُسْمُ الْعَمائِمِ

وقال آخر :

خَليلَيَّ شُدَّا لِي بِفَضْلِ عِمامَتي عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إلَّا صَميمُها

قولهم فى النعال

ألعرب تلهج بذكر النعال ، والفُرس تلهج بذكر الخفاف ، وفى الحديث المأثور أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينهون نساءهم عن لبس

(١) راجع ص ١٤٦ من الجزء الاول

(٢) الذيخ : ذكر الضباع

الخفاف الحمر والصفر ، ويقولون: هو من زينة نساء آل فرعون . وأما قول شاعرهم :

إِذَا اخْضَرَّتْ نِعَالُ بَنِى غُرَابٍ بَغَوْا وَوَجَدْتَهُمْ أَشْرَى لِئَامَا

لم يرد صفة النعل وإنما أراد بأنهم إذا اخضرت الأرض وأخصبوا طغوا وبغوا ، كما قال الآخر :

وَأَطْوَلُ فِى دَارِ الْحِفَاظِ إِقَامَةً وَأَوْزَنُ أَحْلَامًا إِذَا النَّعْلُ أَخْضَلَا(١)

ومثل قوله :

يَا بْنَ هِشَامٍ أَهْلَكَ النَّاسَ اللَّبَنْ فَكُلُّهُمْ يَسْعَى بِسَيْفٍ وَقَرَنْ

وأما قول الآخر :

وَكَيْفَ أُرَجِّى أَنْ أَسُودَ عَشِيرَتِى وَأُمِّى مِنْ سَلْمَى أَبُوهَا وَخَالُهَا

رَأَيْتُكُمُ سُودًا جِعَادًا وَمَالِكٌ مُخَصَّرَةٌ بِيضٌ سِبَاطٌ نِعَالُهَا

فلم يذهب إلى مدح النعال فى أنفسها وإنما ذهب إلى سباطة أرجلهم وأقدامهم ونفى الجعودة والقصر عنهم ، وقال النابغة [الذبيانى](٢)

رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ يُحَيَّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ

يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ الأَرْدَانِ خُضْرِ الْمَنَاكِبِ

قال : وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط حماراً قط ولم تلبس نعلا قط إذا نقبت ، وقد قال قائلهم :

وَنُلْقِى النِّعَالَ إِذَا نُقِّبَتْ وَلَا نَسْتَعِينُ بِأَخْلَاقِهَا

وَنَحْنُ الذُّؤَابَةُ مِنْ وَائِلٍ إِلَيْنَا تَمُدُّ بِأَعْنَاقِهَا

وهم رهط «خَالِدِ بْنِ مُعَمَّرٍ» يقول فيه شاعرهم :

مُعَاوِىَ أَمِّرْ خَالِدَ بْنَ مُعَمَّرٍ فَإِنَّكَ لَوْلَا خَالِدٌ لَمْ تُؤَمَّرِ

---

(١) دار الحفاظ : يريد بها دار الحرب

(٢) راجع ص ٢٧٥ من الجزء الثانى

وقائلهم يقول :

أَغَاضِبَةٌ عَمْرُو بْنُ شَيْبَانَ أَنْ رَأَتْ ... عَدِيدَيْنِ مِنْ جُرْثُومَةٍ وَدَخِيس (١)

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَبِيكُمُ ... طَوِيلاً كَأَيْرِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوس

وكان عمر رضى الله تعالى عنه جعل رياسة بكر لمجزأة بن ثور فلما استشهد مجزأة جعلها أبو موسى لخالد بن المُعَمَّر ، ثم ردها عثمان على شقيق بن مَجزأة بن ثور ، فلما خرج أهل البصرة إلى صِفِّينَ تنازع شقيق وخالد الرياسة فصيرها عند ذلك عليٌّ إلى حُضَيْنِ بن المُنْذِرِ فرضى كل واحد منهما ، وكان يخاف أن يصيرها إلى خصمه ، فسكنت بكر وعرف الناس صحة تدبير على رضى الله تعالى عنه فى ذلك.

وأما قول الآخر :

يَالَيْتَ لِى نَعْلَيْنِ مِنْ جِلْدِ الضَّبُعْ ... وَشُرُكاً مِنِ اسْتِهَا لَا تَنْقَطِعْ

كُلَّ الْحِذَاءِ يَحْتَذِى الْحَافِى الْوَقِعْ

فهذا كلام محتاج ، والمحتاج يتجوز ، أما قول « النجاشى » (٢) لهند بن عاصم :

إِذَا اللهُ حَيَّا صَالِحًا مِنْ عِبَادِهِ ... كَرِيمًا فَحَيَّا اللهُ هِنْدَ بْنَ عَاصِمِ

وَكُلُّ سَلُولِىٍّ إِذَا مَا لَقِيتَهُ ... سَرِيعٌ إِلَى دَاعِى النَّدَى وَالْمَكَارِمِ

وَلَا يَأْكُلُ الْكَلْبُ السَّرُوقُ نِعَالَهُمْ ... وَلَا تَنْتَقِى الْمُخَّ الَّذِى فِى الْجَمَاجِمِ

فقال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة ولا ينتعلون إلا بالسبت . وقال كثير :

إِذَا نُبِذَتْ لَمْ تَطَّبِ الْكَلْبَ رِيحُهَا ... وَإِنْ وُضِعَتْ فِى مَجْلِسِ الْقَوْمِ شُمَّتِ

وقال عُيَيْنَةُ بن مرداس (٣) وهو ابن فَسْوَةَ :

---

(١) الجرثومة : الاصل . الدخيس : العدد الكثير

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٠٢ من الجزء الاول

(٣) فى بعض الاصول : قتيبة بن الحرث . وفى بعضها : عتيبة بن الحارث ، وكله خطأ . والصواب ما اثبتناه . وهو عيينة بن مرداس السلمى . وكان من الشعراء المقلين قال الشعر فى الجاهلية وادرك الاسلام وطال عمره . وكان هجاء خبيث اللسان يخشى معرة القول . وهذا البيت من قصيدة يهجو بها عبد الله بن عباس وكان يلى البصرة لعلى بن ابى طالب ويمدح بها الحسن بن على وعبد الله بن جعفر وفيها يقول :

إلى مَعْشرٍ لا يَخْصِفون نِعالَهُمْ   ولا يَلْبَسُونَ السِّبْتَ مالمْ يُخَصَّرِ

وإذا مدح الشاعر النعال بالجودة فقد بدأ يمدح لابسها قبل أن يمدحها .
قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام « إخلعْ نعليكَ إنك بالوادِ المقدَّسِ طُوَى » وقال بعض المفسرين : كان من جلد غير ذكى . وقال الزبيرى : ليس كما قال بل أعلمه حق المقام الشريف والمدخل الكريم ، ألا ترى أن الناس إذا دخلوا إلى الملوك ينزعون نعالهم خارجاً ! قال : وحدثنا سَلَّامُ بنُ مِسْكِينٍ قال : ما رأيت الحسن [1] إلا وفى رجليه النعل ، رأيته على فراشه وهى فى رجليه، وفى مسجده وهو يصلى وهى فى رجليه . وكان بَكْرُ بنُ عَبدِ الله تكون [2] نعله بين يديه فاذا نهض إلى الصلاة لبسها ، وروى ذلك عن عَمْرو بن عُبيد وهَاشِمٍ الأوقصِ وحوشب وكُلاب ، وعن جماعة من أصحاب الحسن. وكان الحسن يقول : ماأعجب قوماً يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى نعليه فلما انفتل من الصلاة علم أنه قد كان وطئ على كذا وكذا ، وأشباهاً لهذا الحديث ، ثم لا نرى أحداً منهم يصلى منتعلا ! وأما قوله :

قَامَ بَنَاتِى بِالنِّعَالِ حَوَاسِراً   وَأَلْصَقْنَ وَقْعَ السِّبْتِ تَحْتَ الْقَلَائِدِ

فان النساء دوات المصائب إذا قعدن فى المناحات كن يضربن صدورهن بالنعال .
وقال محمد بن يسير : [3]

كَمْ أَرَى مِنْ مُسْتَعْجِبٍ مِنْ نِعَالٍ   وَرِضَانِى مِنْهَا بِلُبْسِ الْبَوَالِى
كُلُّ جَرْدَاءَ قَدْ تَحَيَّفَهَا الْخَصْفُ   بِأَقْطَارِهَا بِسَرْوِ النِّعَالِ
لَا تُدَانِى وَلَيْسَ تُشْبِهُ فِى الْخِلْقَةِ   إِنْ أُبْرِزَتْ نِعَالَ الْمَوَالِى

فليت قلوص عريت اورحلتها   إلى حسن في داره وابن جعفر
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى   وللدين يدعو والكتاب المطهر

إلى معشر ، البيت

(١) هو الحسن البصرى
(٢) مضت ترجمته فى ص ٩٧ من الجزء الاول
(٣) مضت ترجمته فى ص ٦٩ من الجزء الاول

لَا وَلاَ عَنْ تقادُمِ العَهدِ مِنهَا ... بَلِيَتْ لَا وَلَا لِكَرِّ اللَّيالِى
وَلقدْ قُلْتُ حِينَ أُوثِرُ ذا الودِ ... دِ عَلَيْهَا بِثَرْوَتى وَبِمَالِى
مَنْ يُغالِى مِنَ الرِّجَالِ بِنعْلٍ ... فَسِوَائِى إذَا بِهِنَّ يُغَالِى
أَوْ يَغَاهُنَّ لِلجَمَالِ فإنِّى ... فِى سِوَاهُنَّ زِينَتِى وَجَمَالِى
فِى إخَائِى وَفِى وَفَائِى وَرَأْيِى ... وَعَفَافِى وَمَنْطِقِى وَفِعَالِى
مَا وَقَانِى الحفَا وَبَلَّغَنِى الحا ... جَةَ مِنْهَا فَإنَّنِى لاَ أُبَالِى

وقال خلف الاحمر : (١)

سَقَى حُجَّاجَنا نَوْءُ الثُّرَيَّا ... عَلَى مَا كانَ مِنْ مَطْلٍ وَبُخْلِ
هُمُ جَمَعُوا النِّعَالَ فأَحْرَزُوهَا ... وَسَدُّوا دُونهَا بَابًا بِقُفْلِ
إذَا أَهْدَيْتُ فَاكِهَةً وَشَاةً ... وَعَشْرَ دَجَايِجٍ بَعَثُوا بِنعْلِ
وَمِسْوَاكَيْنِ طُولُهُمَا ذِرَاعٌ ... وَعَشْرٍ مِنْ رَدِىِّ المُقْلِ خَشْلِ (٢)
فَإنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لِتَحْمِلُونِى ... عَلَى نَعْلٍ فَدَقَّ اللهُ رِجْلِى

وقال كثير : (٣)

كأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَبْدُو فَتَنْجَلِى ... سُجُوفُ الخِبَاءِ عَنْ مَهِيبٍ مُشَمَّتِ
مُقَارِبُ خَطْوٍ لَا يُغَيِّرُ نَعْلَهُ ... رَهِيفُ الشِّرَاكِ سَهْلَةُ المُتَسَمَّتِ
إذَا اطُّرِحَتْ لَمْ تَطَّبِ الكَلْبَ رِيحُهَا ... وَإنْ وُضِعَتْ فِى مَجْلِسِ القَوْمِ شُمَّتِ

وقال بشار : (٤)

إذَا وُضِعَتْ فِى مَجْلِسِ القَوْمِ نَعْلُهَا ... تَضَوَّعَ مِسْكًا مَا أَصَابَتْ وَعَنْبَرَا

ولما قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صُوحان فى المنذر بن الجارود ما قال ، قال صعصعة : يا أمير المؤمنين ، لئن قلت ذاك إنه لنظار فى عطفيه

(١) مضت ترجمته فى ص ١٢٠ من الجزء الاول
(٢) المقل: ثمر الدوم . الخشل : اليابس منه
(٣) مضت ترجمته فى ص ١٥٦ من الجزء الثانى
(٤) مضت ترجمته فى ص ١٨ من الجزء الاول

تفال فى شراكيه ، تعجبه حمرة برديه . وذم رجل ابن التوام فقال : رأيته مشحم النعل درن الجورب مغضن الخف ، دقيق الجُربّان . وقال الهيثم : يمين لا يحلف بها الاعرابى أبداً ، أن يقول : لا أورد الله لك صادراً ولا أصدر لك وارداً ، ولا حططت رحلك ولا خلعت نعلك . وقال آخر :

عَلِقَ الْفُؤَادُ بِرَيِّقِ الْجَهْلِ ... وَأَبَرَّ وَاسْتَعْصَى عَلَى الأَهْلِ (١)
وَصَبَا وَقَدْ شَابَتْ مَفَارِقُهُ ... سَفَهاً وَكَيْفَ صَبَابَةُ الْكَهْلِ
أَدْرَكْتُ مُعْتَصِرِي وَأَدْرَكَنِي ... حِلْمِي وَيَسَّرَ قَائِدِي نَعْلِي (٢)

ثم رجع الكلام الى القول فى العصا

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تعظيم شأن عصا موسى عليه السلام : الدابة ينشق عنها الصفا معها عصا موسى وخاتم سليمان ، تمسح المؤمن بالعصا وتختم الكافر بالخاتم . (٣) وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آداب النبى صلى الله عليه وسلم فى السواك وحض عليه صلى الله عليه وسلم . والمسواك لا يكون إلا عصا . وقال أبو الوجيه : قضبان المساويك : البشام والضرو والعتم والأراك والعرجون والجريد والإسحِل .

تخالف الناس فى صنوف اللباس

وقد يلبس الناس الخفاف والقلانس فى الصيف كما يلبسونها فى الشتاء إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الامراء وعلى السادة والعظماء ، لأن ذلك أشبه بالاحتفال وبالتعظيم والاجلال ، وأبعد من التبذل والاسترسال ، وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم فى منازلهم ومواضع انقباضهم .

(١) ريق الجهل : اول الشباب وعدم استحكام العقل . وابر : زاد
(٢) المعتصر : الشيخوخة والهرم
(٣) يريد بالدابة تلك التى وردت فى الاساطير بأنها تخرج عند اقتراب الساعة اى عند انتهاء الحياة الدنيا

والخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، وللاعراب عمة ، وللصوص عمة ، وللابناء عمة ، وللروم والنصارى عمة ، ولأصحاب التشاجى عمة [١] . ولكل قوم زى : فللقضاة زى ، ولأصحاب القضاة زى ، وللشرط زى ، وللكتاب زى ، ولكتاب الجند زى ، ومن زيهم أن يركبوا الحمير وإن كانت الهماليج [٢] لهم معرضة. وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطنة، ومنهم من يلبس الدُّراعة ، ومنهم من يلبس القَباء ، ومنهم من يلبس الباز بكند ويعلق الخنجر ويأخذ الجرز و يتخذ الجمة .

وزى مجالس الخلفاء فى الصيف القطن وفى الشتاء فُرُش الصوف وترى أن ذلك أجزل وأكمل وأفخم وأقبل ، ولذلك وضعت ملوك العجم على رؤسها التيجان وجلست على الأسرة وظاهرت بين الفرش ، وهل يملأ عيون الأعداء ويرعب قلوب المخالفين ويحشو صدور العوام إفراط التعظيم وتعظيم شأن السلطان والزيادة فى الأقدار إلا الآلات ؟ وهل دواؤهم إلا فى التهويل عليهم ؟ وهل يصلحهم إلا إخافتك إياهم ؟ وهل ينقادون لما فيه الحظ لهم ويسلمون بالطاعة التى فيها صلاح أمورهم إلا بتدبير يجمع المحبة والمهابة ؟

وكانت الشعراء تلبس الوشى والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مُشهَّر ، وقد كان عندنا منذ نحو من خمسين سنة شاعر يتزيا بزى الماضين ، وكان له بُرد أسود يلبسه فى الصيف والشتاء فهجاه بعض الطياب من الشعراء فقال فى قصيدة له :

بِعْ بُرْدَكَ الأسْوَدَ قَبلَ البَرْدِ ... فِى قِرَّةٍ تأْتِيكَ صَمَّا صَرْدِ [٣]

وكان لجرُبَّانِ قميص بشار الأعمى وجبته لِبنَتَانِ [٤] فكان إذا أراد نزع شىء منهما أطلق الأزرار فسقطت الثياب على الأرض ولم ينزع قميصه من جهة رأسه قط

(١) المراد بكلمة « عمة » فى كل هذا هيئة الاعتمام
(٢) الهماليج : البراذين
(٣) القره : البرد . صماصرد : شديدة البرودة
(٤) اللبنة : بنيقة القميص

« وقدويه العدوى الشحّاجى » لم يلبس قميصاً قط وهو اليوم حى وهو شيخهم ، وسعيد بن العاص الجواد الخطيب لم ينزع قميصه قط . فقدويه الشحاجى ضدسعيد ابن العاص الأموى . وقال الحطيئة :

سَعيدٌ فلا تَغرُرْكَ قِلّةُ لَحْمِهِ ... تَخدّدَ عنهُ اللَّحْمُ وَهُوَ صَلِيبُ(١)

وكان شديد السواد نحيفا :

ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم ، فاذا أشاروا بالعصا فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيدياً أخر ، و يدلك على ذلك قول الأنصارى (٢) حيث يقول :

وَسَارَتْ لَنا سَيّارَةٌ ذَاتُ سُؤْدُدٍ ... بِكُومِ المَطَايَا وَالخُيُولِ الجَمَاهِرِ

يَؤُمُّونَ مَلْكَ الشَّامِ حَتّى تَمَكَّنُوا ... مُلوكاً بأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ المَنَابِرِ

يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ فى كلِّ خُطْبَةٍ ... إذا وَصَلُوا أَيمَانَهُمْ بالمَخَاصِرِ

وقال الكميت بن زيد : (٣)

ونَزُورُ مَسْلَمَةَ المُهَذَّ ... بَ بالمُؤَبَّدَةِ السَّوَائِرْ

بالمُذْهَبَاتِ المُعْجِبا ... تِ لِمُفْحَمٍ مِنّا وَشَاعِرْ

أَهْلِ التَّجاوُبِ فى المَحا ... فِلِ وَالمقاوِلِ بالمخاصِرِ

وأيضا إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للاطناب والاطالة وذلك شيء خاص فى خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب إليهم حتى إنهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر فى أيديهم اتقاء وتوقعاً لبعض ما يوجب حملها والاشارة بها . وعلى ذلك المعنى أشار النساء بالمآلى (٤) وهن قيام فى المناحات ، وعلى ذلك المثال ضربن الصدور بالنعال . وإنما يكون العجز والذلة فى دخول

(١) تخدد : ضمر وهزل ، وفي نسخة : تخدر ، وهو خطأ

(٢) راجع ص ٣٦ و ص ٢٨٦ من الجزء الاول

(٣) راجع ص ٢٨٦ من الجزء الاول

(٤) المآلى : الخرق

الخلل والنقص على الجوارح ، فأما الزيادة فيها فالصواب فيه ، وهل ذلك إلا كتعظيم كور العمامة واتخاذ القضاة القلانس العظام فى حمارّة القيظ واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ! فان كانت القلانس مكشوفة زادوا فى طولها وحدة رؤسها حتى تكون فوق قلانس جميع الامة ، وكذلك القناع لأنه أهيب .

وعلى ذلك المعنى كان يتقنع « العباسُ بنُ محمد » و « عبدُ الملك بن صالح » و « العباسُ بنُ موسى » وأشباههم و « سليمان بن أبى جعفر » و « عيسى بن أبى جعفر » و « إسحق بن عيسى » و « محمد بن سليمان » ثم « الفضل بن الربيع » و « السندي بن شاهك » وأشباههما من الموالى ، لأن ذلك أهيب فى الصدور وأجل فى العيون ، والمتقنع أروع من الحاسر لأنه إذا لم يفارقه الحجاب وإن كان ظاهراً فى الطرق وكان أشبه بملاينة العوام وسياسة الرعية ، وطرح القناع ملابسة وابتذال ومؤانسة ومقاربة .

والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ومن صنائعهم ورجال دعوتهم وأنهم قد علموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم وأن ذلك هو صلاح شأنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس قناعا .

والدليل على أن ذلك كان فى الأسلاف المتبوعين أنا نجد رؤساء جميع أهل الملل وأرباب النحل على ذلك ، ولذلك اتخذوا فى الحروب الرايات والأعلام ، وإنما ذلك كله خِرَقٌ سودٌ وحمرٌ وصفرٌ وبيضٌ ، وجعلوا اللواء علامة للعقد والعلَم فى الحروب مرجعا لصاحب الجولة ، وقد علموا أنها وإن كانت خرقاً على عصىّ أن ذلك أهيب فى القلوب وأهول فى الصدور وأعظم فى العيون ، ولذلك أجمعت الأمم رجالها ونساؤها على إطالة الشعور ، لأن ذا الجُمة أضخم هامة وأطول قامة والكاسى أفخم من العارى ، ولولا أن حلق الرأس طاعة وعبادة وتواضع وخضوع وكذلك السعى ورمى الجمار لما فعلوا ذلك ، وفى الحديث : إنه لا يفتح عَمُّورِيَةَ إلا رجال ثيابهم ثياب الرهبان وشعورهم شعور النساء . وكل

ما زادوه فى الابدان ووصلوه فى الجوارح فهو زيادة فى تعظيم تلك الابدان . والعصى والمخاصر ، مع الذى عددناه ومع الذى ذكرناه ونريد ذكره من خصال منافعها ، كله باب واحد فى المعنى .

والمغنى قد يوقِّع بالقضيب على أوزان الاغانى ، والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه ، ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعانى ، ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه.

وقال عبد الملك بنُ مَرْوَانَ : لو ألقيت الخيزرانة من يدى لذهب شطر كلامى. وأراد معاويةُ سحبانَ وائل على الكلام ، وقد كان اقتضبه اقتضاباً ، فلم ينطق حتى أتوه بِمِخْصَرَةٍ فَرَطَلَهَا[1] بيده فلم تعجبه، حتى اتوه بمخصرته من بيته . والمثل المضروب بعصا الأعرج يقولون : أقرب من عصا الأعرج ، ويضربون المثل بعصا النَّهْدِىِّ ، وقال : عَلْقَمَةُ[1] فى صفة فرس أنثى :

سُلَاءَةٌ كَعَصَا النَّهْدِىِّ غُلَّ لَهَا ... مُنَظَّمٌ من نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ[2]

ويضربون المثل بِرُمَيْحِ أبى سَعْدٍ ، وكان أبو سعد أعرج وفد فى وفد عَدْوَانَ. قال ذُو الإصبع العَدوانى :

إنْ تكُنْ شِكَّتى رُمَيْحَ أبى سعْـدٍ فَقَدْ أَحْمِلُ السِّلاحَ مَعَاً

وقال عباس بن مرداس :

جَزَى اللهُ خَيْرًا خَيْرَنَا لِصَدِيقِهِ ... وَزَوَّدَهُ زَادًا كَزَادِ أبى سَعْدِ
وَزَوَّدَهُ صِدْقًا وَبِرًّا وَنَائِلًا ... وَمَا كَانَ فى تِلْكَ الوِفَادَةِ مِنْ حَمْدِ

وقال آخر :

فَآبَ بِجَدْوَى زَامِلٍ وَابْنُ زَامِلٍ ... عَدُوُّكَ أوْجَدْوَى كُلَيْبِ بْنِ وائِلِ

ويقولون : لو كان فى العصا سير ؟ ويقولون : ما هو إلا أُبنة عصا ، وعقدة رشا

(١) رطلها : وزنها
(٢) هو علقمة بن عبدة الفحل
(٣) فى الديوان : غل لها ذو فيئة

ويقولون : أخرج عوده كعصا البقار . وأخرج عوده كعصا الحادى .

وكان أبو العتَاهيَة أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون عصا نبع وعصا شريان وعصا أبنوس وعِصِيَّ أخرى كريمة العيدان شريفة الأغصان وأردية قطرية ورِكاء يمانية ونعالا سِبتية ، فقبل من ذلك عصا واحدة وردّ الباقى ، وبعث إليه مرة أخرى بنعل وكتب اليه :

نَعلٌ بَعثتُ بها لِتلبَسَها ... تسعَى بها قدمٌ إلى المجدِ
لَوْ كُنتُ أقدِرُ أنْ أُشرّكها ... خدّى جعلتُ شِراكها خدّى

فقبلها .

عن ابن عباس أن الشجرة التى نودى منها موسى عليه السلام هى عوسج ، وأنه نودى من جوف العوسج ، وأن عصاه كانت من آس الجنة ، وأنها كانت من العود الذى فى وسط الورقة ، فكان طولها طول موسى عليه السلام . وقالوا: من العليق . وقال آخر :

صَفْراء مِنْ نبعٍ كلَوْنِ الوَرْسِ ... أبْدأُها بالدّهْنِ قبْلَ نَفْسِى

وأنشد الأصمعى عن بعض الاعراب :

ألا قالتِ الخنساء يومَ لقيتُها ... كَبِرْتَ ولم تجزعْ مِنَ الشّيْبِ مَجْزَعا
رأتْ ذا عصاً يمشى عليها وشَيْبة ... تقنّعَ منها رأسُهُ ما تقنعا
فقلتُ لها لا تهزئى بى فقلّما ... يَسُودُ الفتى حتى يشيبَ ويَصْلَعا
وللقارحُ اليَعْبُوبُ خيرٌ علالة ... مِنَ الجذَعِ المُجْرى وأبعدُ منزَعا(١)

وقال إسحق بن سويد :

فى رِداءِ النبىّ أقوَى دليلٍ ... ثمّ فى العقبِ والعصا والقضيبِ

(١) القارح اليعبوب : الكبير القوي . الجذع المجري : الفتى المزيل

وقال أبو الشَّيص الأعمى (١) فى هرون الرشيد :

يا بَنى هاشمٍ أفيقُوا فإنَّ الـــمُلْكَ مِنكم حَيثُ العصا وَالرِّداء
ماالهرُونَ فى قُرَيْش كِفَاء وَقُرَيْشٌ ليْسَتْ لهُمْ أكفاء

وقال الآخر:

على خَشَباتِ المُلكِ مِنهُ مَهابةٌ وفى الحرْبِ عَبلُ السَّاعدَيْنِ قَرُوعُ
يَشقُّ الوغى عَنْ رأسِهِ فَضْلُ نَجْدَةٍ وأَبيَضُ مِنْ ماءِ الحَدِيدِ وقِيعُ

ومما يجوز أيضا فى العصا قول أبى الشيص :

أَنْعَى فَتَى الجُودِ إلى الجُودِ ما مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ
أَنْعَى فَتَى مَصَّ الثَّرَى بَعْدَهُ بَقِيَّةَ الماءِ مِنَ العُودِ

ومن هذا الباب قول عبدِ الله بن جُدْعان : (٢)

فلَمْ أرَ مِثْلَهُمْ حَيَّيْنِ أبْقَى عَلَى الحدَثانِ إنْ طَرَقَتْ طَرُوقا
وَأصبرَ عِندَ ضَنْكِ الأمْرِ مِنْهُمْ وَأَسْلَكَهُمْ لأحزَنِهِ طَرِيقا (٣)
شَرَيْتُ صَلاحَهُمْ بتِلادِ مَالِى فَعَادَ الغُصْنُ مُعْتَدِلاً وَرِيقا

ويقولون للرجـل إذا أفاد وأثرى وكثرت نعمته : ضع عصاك ، وقد وضع عصاه . وقال أبو الأعور سَعيدُ بنُ زَيْدِ بن عمْرِو بنِ نُفَيلٍ : (٤)

(١) هو محمد بن رزين بن سليمان أبو الشيص الخزاعي ، وهو عم دعبل بن علي الشاعر المشهور . كان شاعرا مجيدا يعد من طبقة مسلم بن الوليد وأشجع السلمى وأبي نواس ، وكان منقطعا إلى عقبة ابن جعفر الخزاعي أمير الرقة . أغناه عقبة عن الناس فصرف أكثر شعره إلى مدحه . قال أبو خالد العامري : من أخبرك انه كان فى الدنيا اشعر من ابي الشيص فكذبه ، والله لكان الشعر اهون عليه من شرب الماء على العطشان . قلت : وانا لا تعجبنى هذه الاحكام ولا اعنى بمن يصدرها لما فيها من المجازفة وعدم الاتزان والتقدير وخلوها من البرهان الذى يشد ازرها ويقيم اودها . قيل إن ابا الشيص كف بصره فى اواخر عمره ومات مقتولا بيد غلام سنة ١٩٦ هـ

(٢) مضت ترجمته فى ص ٣١ من الجزء الأول

(٣) ضنك الامر : شدته . واحزنه : صعوبته

(٤) كان سعيد من السابقين الاولين فى الاسلام . وكان إسلام عمر فى بيته لأنه كان زوج اخته فاطمة . وكان شاعرا بليغا . توفى عن ٧٣ سنة فى سنة ٥١ هـ وهو احد العشرة الكرام

وتَجُرَّا الأذْيالَ فى نِعْمَةِ زَوْ ... لٍ تقولان: ضَعْ عصاكَ لِدَهْرِ (١)

ويقولون للمستوطن فى البلد والمستطيب للمكان: قد ألقى عصاه. وقال زُهير ابن أبى سُلمى: (٢)

فلمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ ... وضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ (٣)

---

(١) هذا البيت من ابيات اوردها الجاحظ فى ص ١٩٩ من الجزء الاول. وهنا اقول: إن صاحب الاغانى قد نسب هذه الابيات إلى منبه بن الحجاج السهمى وكان من شعراء قريش وقتل يوم بدر، وقد نسبها الزمخشرى عن ابن الاعرابى إلى ابيه زيد بن عمرو بن نفيل. ويجب ان يصحح البيت الرابع هناك هكذا:

وترى اعبد لنا وإماء ... ومناصيف من خوادم عشر

(٢) مضت ترجمته فى ص ١٠٤ من الجزء الاول

(٣) زرقا جمامه: صاف ماؤه على كثرته لم يكدره وارد قبلهن وهذا البيت من معلقته المشهورة

كتاب الزهد

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ باسم الله وعونه بشيء من كلام النساك فى الزهد ، وبشيء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم .

الحسن [١] قال : لاتزول قدما ابن آدم حتى يُسأل عن ثلاث : شبابه فيم أبلاه وعمره فيم أفناه ، وماله من أين كسبه وفيم أنفقه . وقال يونس بن عُبيد : سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن ، قول حسان بن أبى سنان : ما شيء أهون من ورع ، إذا رابك أمر فدعه ، وقول ابن سِيرين : ماحسدت أحداً على شيء قط ، وقول مُوَرِّق العجلى [٢] لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها ولا يئست منها ! فقيل لمورق : ما هى ؟ قال : ترك ما لا يعنينى . وقال أبو حازم الأعرج [٢] إن عُوفينا من شر ما أُعطينا لم يُضرنا فقد ما زوى عنا . وقال أبو عبد الحميد : لم أسمع أعجب من قول عُمَر : لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت . وقال ابن ضُبارة : إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة [الله] أهون من الصبر على عذاب الله . وقال زِيادٌ [٤] عبد عَياش بن أبى ربيعة : أنا من أن أُمنع الدعاء أخوف منى من أن أُمنع الإجابة . وقال له عمر بن عبد العزيز رحمه الله : يازياد ، إنى أخاف الله مما دخلت فيه . قال : لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك أن لا تخاف . وقال بعض النساك : كفى موعظة أنك لا تموت إلا بحياة ولا تحيا إلا بموت ، وهو الذى قال : إصحب من ينسى معروفه عندك ،

(١) هو الحسن البصرى

(٢) مضت ترجمتهما فى ص ٢٨٢ من الجزء الاول

(٣) فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم : زياد مولى ابن عياش

وهو الذى قال : لا تجعل بينك و بين الله مُنعما و عُدّ النعم عنه عليك مَغرماً .

ودخل سالمُ بنُ عبدِ الله (١) مع هِشام بن عبد الملك البيتَ فقال له هشام : سلنى حاجتك ؟ قال : أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله . وقيل لِرابعة القيسية (٢) لو كلمنا رجال عشيرتك فاشتروا لك خادماً تكفيك مؤنة بيتك ! فقالت : والله إني لأستحى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألها من لايملكها ؟ . وقال بعض النساك : ديارُكم أمامكم وحياتكم بعد موتكم . وقال السموأل بن عاديا، اليهودى :

مَيْتاً خُلِقتُ ولم أكُنْ منْ قبلها شيئاً يموتُ فمتُّ حِينَ حَيِيتُ

وقال أبو الدرداء : كان الناس ورقاً لاشوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه . الحسن بن دينار ، قال : رأى الحسن رجلا يَكِيدُ (٣) بنفسه فقال : إنّ أمراً هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله ، و إن أمراً هذا أوله لجدير أن يُخاف آخره . وقال أبو حازم : الدنيا غرّت أقواماً فعملوا فيها بغير الحق ففاجأهم الموت فخلفوا مالهم لمن لايحمدهم وصاروا إلى من لايعذرهم ، وقد خُلفنا بعدهم فينبغى لنا أن ننظر إلى الذى كرهناه منهم فنجتنبه و إلى الذى غبطناهم به فنستعمله . موسى بن داود رفع الحديث قال : النظر إلى خمسة عبادة : النظر إلى الوالدين والنظر إلى البحر والنظر إلى المصحف والنظر إلى الصخرة والنظر إلى البيت . عبد الله بن شداد (٤) قال : أربع من كُنّ فيه برىء من الكبر : من اعتقل البعير وركب الحمار ولبس الصوف وأجاب دعوة الرجل الدون .

وذُكر عند أنسٍ الصوم فقال : ثلاث من أطاقهن فقد ضبط أمره : من تسحّرَ ، ومن قال (٥) ومن أكل قبل أن يشرب وشرب ثم لم يأكل ، فقد ضبط نفسه . وقال الجماز (٦) ليس يقوى على الصوم إلا من كثر لقمُهُ وطاب أدمُه

(١) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

(٢) مضت ترجمتها فى ص ٢٨٣ من الجزء الاول

(٣) يكيد بنفسه : يحتضر بالموت

(٤) مضت ترجمته فى ص ٢٠٦ من الجزء الثانى

(٥) قال : من القيلولة : النوم فى الظهيرة

(٦) راجع ترجمته فى كتابنا « ادب الجاحظ »

مجالد بن سعيد عن الشعبي قال : حدثني مُرّة الهمداني ـ قال مجالد : وقد رأيته ـ وحدثنا اسماعيل بن أبي خالد أنه لم ير مثل مُرّة قط ، كان يصلي في اليوم والليلة خمسمائة ركعة ! وكان مرة يقول لما قُتل عثمان رضي الله تعالى عنه : حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من قتله ، فصليت مائة ركعة ، فلما وقع الجمل وصِفين حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من تلك الحروب ، وزدت مائتي ركعة ، فلما كانت وقعة النهروان حمدت الله إذ لم أشهدها ، وزدت مائة ركعة ، فلما كانت فتنة ابن الزُّبير حمدت الله إذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة .

وأنا أسأل الله أن يغفر لمرة ، على أنا لا نعرف لبعض ما قال وجها ، لأنك لا تعرف فقيها من أهل الجماعة لايستحل قتال الخوارج كما أنا لا نعرف أحداً منهم لا يستحل قتال اللصوص ؛ وهذا ابن عمر وهو رئيس الحِلسية [1] وزعيمهم قد لبس السلاح لقتال نجدة [2] وقيل لشريح : الحمد لله الذي سلمك من القتال في شيء من هذه الفتن ؛ قال : فكيف أصنع بقلبي وهواى ! وقال الحسن : قتل الناقة رجل واحد [3] ولكن الله عم القوم بالعذاب لأنهم عموه بالرضا . وسئل عمر بن عبد العزيز عن قتلة عثمان وخاذليه وناصريه فقال : تلك دماء كف الله يدى عنها فانا أحب ألا أغمس لساني فيها . ودخل أبو الدرداء على رجل يعوده فقال : كيف تجدك ؟ قال : أفرق من الموت ! قال : فممن أصبت الخير كله ؟ قال : من الله . قال : فلم تفرق ممن لم تصب الخير كله إلا منه ؟ ! ولما قذف ابراهيم عليه السلام في النار قال له جبريل عليه السلام : ألك حاجة يا خليل الله ؟ قال : أما إليك فلا .

ورأى بعض النساك صديقاً له من النساك مهموماً فسأله عن ذلك فقال : كان عندي يتيم أحتسب فيه الأجر فمات ! قال : فاطلب يتيما غيره فان ذلك لايعدمك

(١) إبن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب . رئيس الحلسية : يريد انه رئيس كل من كان حلسا لمسجده او بيته ، وليس هناك فرقة ولاجماعة تسمى الحلسية ، ولكنه جعله راس كل من جعل الاعتكاف عن الناس وعدم الدخول في شؤونهم مذهبا له

(٢) هو نجدة بن عامر الحنفي رأس الاباضية من الخوارج

(٣) هي ناقة صالح النبي التي قتلها قدار احمر ثمود

إن شاء الله تعالى ؟ قال أخاف ألا أصيب يتيما فى سوء خلقه ! قال: أما إنى لو كنت مكانك لم أذكر سوء خلقه . ودخل بعض النساك على صاحب له وهو يكيد بنفسه فقال : طب نفساً فانك تلقى ربا رحيما ! قال : أما ذنوبى فانى أرجو أن يغفرها الله لى ، وليس اغتمامى إلا لمن أدع من بناتى ! قال له صاحبه : الذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه يحفظ بناتك ! ؟ وكان مالك بن دينار يقول : لو كانت الصحف من عندنا لاقللنا الكلام . وقال يونس بن عبيد : لو أمرنا بالجزع لصبرنا ! وكان يقول : كسبت فى هذه السوق ثمانين ألف درهم ما فيها درهم إلا وأنا أخاف أن أسئل عنه . سمع عمرو بن عبيد عبد الرحمن بن حذيفة يقول : قال الحطيئة: إنما أنا حسب موضوع ! فقال عمرو : كذب ترحه الله، ذلك التقوى ! وقال أبو الدرداء : نعم صومعة المؤمن منزل يكف فيه نفسه و بصره وفرجه ، و إياكم والجلوس فى هذه الأسواق فانها تلغى وتلهى .

من مواعظ الحسن البصرى

وقال الحسن : يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً . يا ابن آدم ، إذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه وإذا رأيتهم فى الشر فلا تغبطهم فيه ، الثواء هٰهنا قليل والبقاء هناك طويل ، أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم وقد أسرع بخياركم فماذا تنظرون ؟ ألمعاينة ! ؟ فكأن قد ! هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحال بالها و بقيت الأعمال قلائد فى أعناق بنى آدم فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ! أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبى بعد نبيكم ولا كتاب بعد كتابكم ، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وإنما يُنتظر بأولكم أن يلحقه آخركم . من رأى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا ، لم يضع لَبِنَةً على لَبِنَةٍ[1] ولا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشمر إليه ،

---

(١) يعنى لم يبن له بيتا

فالوحاء الوحاء ، والنجاء النجاء ! علام تعرجون ! أتيتم ورب الكعبة ، قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون فماذا تنتظرون ! إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على علم منه إختاره لنفسه و بعثه برسالته وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض ، وآتاه منها قوتا و بلغة ، ثم قال « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » فرغب أقوام عن عيشه وسخطوا ما رضى له ربه فأبعدهم الله وسحقهم ، يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فانها عن قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، رحم الله رجلا نظر فتفكر وتفكر فاعتبر وأبصر فصبر ، فقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا ، يا ابن ادم ، اذكر قوله « وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً » عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك ! خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها فليس الصفو ما عاد كدراً ولا الكدر ما عاد صفواً ، دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم ، ظهر الجفاء ، وقلت العلماء ، وعفت السنة وشاعت البدعة ، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلا قرة العين وجلاء الصدور ولقد رأيت أقواما كانوا لحسناتهم أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها مالى أسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ! ذهب الناس و بقى النسناس ، لو تكاشفتم ماتدافنتم تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح . قال ابن الخطاب : رحم الله أمرأً أهدى إلينا مساوينا . أعدوا الجواب فانكم مسئولون ، المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكنه أخذه من قبل ربه ، إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم و بين شهواتهم وما يصبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته ، فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه ، يا ابن آدم ، ألا إيمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكنه ماوقر فى القلب وصدقه العمل .

وكان إذا قرأ « أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ » قال : عم الهاكم ! عن دار الخلود وجنة لاتبيد ، هذا ، والله فضح القوم وهتك الستر وأبدى العوار ، تنفق مثل دينك فى شهواتك سرفا وتمنع فى حق الله درهما ! ستعلم يالكع ، ألناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق . فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف وقومه ذكر العرض ، وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف فأذعن بالجزية وسمح بالضريبة ، وأما المنافق ففى الحجرات والطرقات ، يسرون غير ما يعلنون ويضمرون غير ما يظهرون ، فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة . ويلك ، قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته ! ؟

وكان يقول : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه فان وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله ، وإن خالفه أعتب وأناب وراجع من قريب ، رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال : ياأهلى ، صلاتكم صلاتكم زكاتكم زكاتكم جيرانكم جيرانكم إخوانكم إخوانكم مساكينكم مساكينكم ، لعل الله يرحمكم ، فان الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال « وكان يأمُرُ أهلَهُ بالصلاةِ والزكاة وكانَ عندَ ربِّهِ مرْضِيًّا » يا ابن آدم ، كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك ! وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس ! ؟

وكان يقول : لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر باصلاح عيوبهم حتى يبدأ باصلاح ذلك من نفسه ، فانه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبا إلا وجد فى نفسه عيبا آخر ينبغى له أن يصلحه ، فاذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره ، وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره فلا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر فانك إذا رأيته سرك مكانه ، ولا تحقرن شيئا من الشر وإن صغر فانك إذا رأيته ساءك مكانه .

وكان يقول : رحم الله عبداً كسب طيبا وأنفق قصداً وقدم فضلا ، وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله ، وضعوها حيث أمر الله ، فان من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل . ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذو لب فرحا ، فاياكم وهذه السبل المتفرقة التى

جاءها الضلالة وميعادها النار ؟ أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنَّهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون خدودهم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم ، إذا عملوا الحسنة سرتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم . يا ابن آدم ، إن كان لايغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يغنيك ، وإن كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك . يا ابن آدم ، لا تعمل شيئاً من الحق رياء ، ولا تتركه حياء .

وكان يقول : إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها ، وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة فى علمهم فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة فى دنياهم ، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم وزهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم .

وكان يقول : لا أذهب إلى من يوارى عنى غناه ويبدى لى فقره ويغلق دونى بابه ويمنعنى ما عنده ، وأدع من يفتح لى بابه ويبدى لى غناه ويدعونى إلى ما عنده .

وكان يقول : يا ابن آدم ، لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر ، مؤمن مهتم ، وعلج أغتم ، وأعرابى لافقه له ، ومنافق مكذب ، ودنياوى مترف ! نعق بهم ناعق فاتبعوه ، فَراش نار ، وذِبان طمع ، والذى نفس الحسن بيده ما أصبح فى هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموماً رزيناً ، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله . الناس ما داموا فى عافية مستورون ، فاذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم : فصار المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه . أى قوم ، إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم ، فسارعوا إلى ربكم فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ، ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه .

وقال الحسن فى يوم فطرٍ — وقد رأى الناس وهيآتهم — : إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق أقوام

ففازوا وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون ! أما والله لو أن كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيء باساءته عن ترجيل شعر أو تجديد ثوب .

كلمات لعمر بن الخطاب

وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : الناس طالبان : طالب يطلب الدنيا فارفضوها فى نحره فإنه ربما أدرك الذى طلب منها فهلك بما أصاب منها وربما فاته الذى طلب منها فهلك بما فاته منها ، وطالب يطلب الآخرة فاذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه . وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : أيها الناس : إنه أتي عليّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن أنه إنما يريد به الله وما عنده ، ألا وقد خيل إليّ أن أقواما يقرؤن القرآن يريدون به ما عند الناس ! ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم فإنا كنا نعرفكم إذ الوحى ينزل وإذ النبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقد رُفع الوحى وذهب النبى صلى الله عليه وسلم فانما أعرفكم بما أقول لكم ، ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه . إقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طُلعةٌ ، فانكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية ، إن هذا الحق ثقيل مريء ، وإن الباطل خفيف وبيء ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورُب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

* * *

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل . وقال أبو حازم الأعرج : وجدت الدنيا شيئين : شيئاً هو لى لن أعجله دون أجله ولو طلبته بقوة السموات والارض ، وشيئاً هو لغيرى لم أنله فيما مضى ولا

أناله فيما بقى ، يمنع الذى لى كما يمنع الذى لغيرى منى ، ففى أى هذين أفنى عمرى وأهلك نفسى ؟

ودخل على بعض ملوك بنى مروان فقال: يا أبا حازم ، ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ماعندك فلا تضعه إلا فى حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين ! قال : ما مالك ؟ قال: مالان ! قال: ماهما ؟ قال الثقة بما عند الله واليأس مما فى أيدى الناس، قال . إرفع حوائجك إلينا ؟ قال: هيهات ، رفعتها إلى من لا تختزل الحوائج دونه ، فان أعطانى منها شيئا قبلت وإن زوى عنى شيئا رضيت .

وقال الفضيل بن عياض : يا ابن آدم ، إنما يفضلك الغنى بيومين ، أمس قد خلا وغد لم يأت ، فان صبرت يومك أحمدت أمرك وقويت على غدك ، وإن جزعت يومك أذممت أمرك وضعفت عن غدك ، وإن الصبر يورث البرء وإن الجزع يورث السقم ، وبالسقم يكون الموت و بالبرء تكون الحياة .

وقال الحسن : أبا فلان ، أترضى هذه الحال التى أنت عليها للموت إذا نزل بك ؟ قال : لا . قال : أفتحدث نفسك بالإنتقال عنها إلى حال ترضاها للموت إذا نزل بك ؟ قال: حديثا بغير حقيقة ! قال : أفبعد الموت دار فيها مستعتب ؟ قال : لا . قال: فهل رأيت عاقلا رضى لنفسه بمثل الذى رضيت به لنفسك ! ؟

كلام منسوب لسيدنا عيسى

قال عيسى بن مريم عليه السلام : ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأماتوا فيها ماخشوا أن يميت قلوبهم ، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم . ورأوه يخرج من بيت مومسة فقيل له : ياروح الله

ماتصنع عند هذه ؟ قال : إنما يأتى الطبيب المرضى . وقال حين مر ببعض الخلق فشتموه ثم مر بآخرين فشتموه فكلما قالوا شراً قال خيراً فقال له رجل من الحواريين: أكلما زادوك شراً زدتهم خيراً حتى كأنك إنما تغريهم بنفسك وتحثهم على شتمك! قال : كل إنسان يعطى مما عنده . وقال : ويلكم ياعبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم أصولكم وعقولكم أهواؤكم ! قولكم شفاء يبرىء الداء وعملكم داء لايقبل الدواء ، ولستم كالكرمة التى حبر ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها ، بل أنتم كالثمرة التى قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها ، ويلكم ياعبيد الدنيا ، جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رؤسكم لايستطاع تناولها ، لاعبيد أتقياء ولا أحرار كرام ، ويلكم أجراء السوء ، ألأجر تأخذون والعمل تفسدون ! سوف تلقون ما تحذرون ، يوشك رب العمل أن ينظر فى عمله الذى أفسدتم وفى أجره الذى أخذتم ! ويلكم غرماء السوء تبدؤن قبل قضاء الدين بالنوافل ، تطوعون وما أمرتم به لاتؤدون ! إن رب الدين لايقبل الهدية حتى يقضى دينه .

قولهم فى الغضب

وكان أبو الدرداء يقول : أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب ، واحذر أن تظلم من لاناصر له إلا الله . وقال وزر العبد :

لَعَمْرُ أبى المَمْلُوكُ مَاعَاشَ إنَّهُ ... وَإنْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ لَذَلِيلُ
تَرَى النَّاسَ أَنْصَارًا عليهِ وَمَالَهُ ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ نَاصِرُونَ قَلِيلُ

وقال شيخ من أهل المدينة : ألمعرض بالناس اتقى صاحبه ولم يتق ربه . وكان بكر بن عبد الله يقول : أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم . وقال : من كان له من نفسه واعظ عارضه ساعة الغفلة وحين الحمية . وقال على رضى الله تعالى عنه للأشتر حين جرى بينه و بين الأشعث بن قيس ماجرى : أنظر فى وجهى !

وكانت العجم تقول : إذا غضب الرجل فليستلق ، وإذا أعيا فليرفع رجليه .

وقال أبو الحسن : كان لرجل من النساك شاة وكان معجباً بها فجاء يوماً فوجدها

على ثلاث قوائم فقال : من صنع هذا بالشاة ؟ قال غلامه : أنا ! قال : ولم ؟ قال : أردت أن أغمك ! قال : لاجرم لأغمن الذى أمرك بغمى : إذهب فأنت حر .

محمد بن عمرو بن علقمة قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه من ذلك الصبر إلا كان ماعاضه الله أفضل مما انتزعه منه . ثم قرأ « إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب »

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد عن اصحابه قال : حضرت عَمْرو بنَ عُبيد الوفاة فقال لعديله : نزل بى الموت ولم أتأهب له ، اللهم إنك تعلم أنه لم يسنح لى أمران لك فى أحدهما رضى ولى فى الآخر هوى إلا آثرت رضاك على هواى ، فاغفرلى . ولما خبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين قال : فأين رحمة الله ؟ قال ابو حازم : « قريب من المحسنين » قالوا : وخرج عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من داره فرأى فى دهليزه أعرابيا فى بَتٍّ ، أشغى غائر العينين مشرف الحاجبين فقال : يا اعرابى ، أين ربك ؟ قال : بالمرصاد . وكان الاعرابى عامر بن عبد قيس ، وكان ابن عامر سيره اليه .

قال : وغدا أعرابى من طيء مع امرأة له فاحتلبا لبناً ثم قعدا يتمجعان فقالت له امرأته : أنحن أنعم عيشاً أم بنى مروان ! قال : هم أطيب طعاما منا ونحن أردأ كسوة منهم وهم أنعم منا نهارا ونحن أظهر منهم ليلا .

قال : وعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال : لا يلهك الناس عن نفسك فان الأمر يصير إليك دونهم ، ولا تقطع النهار سادراً فانه محفوظ عليك ما عملت ، واذا أسأت فأحسن ، فانى لم أر شيئاً أشد طلبا ولا أسرع دركا من حسنة حديثة لذنب قديم . قال : وكان بلال بن مسعود يقول : زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر .

قال عامر بن عبد قيس : ألدنيا والدة الموت ناقضة للمبرم مرتجعة للعطية ، وكل من فيها يجرى إلى مالا يدرى ، وكل مستقر فيها غير راض بها ، وذلك

شهيد بأنها ليست بدار قرار . قال الحسن : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

وقال أسماء بن خارجة : اذا قدمت المودة سمج الثناء . وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القُرَظى : عظنى ؟ قال : لا أرضى نفسى لك ، إنى لأُصلى بين الغنى والفقير فأميل على الفقير وأوسع على الغنى . وقال الحسن : ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل . قال : وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا قيل له : مات فلان . قال : لا إله إلا الله ، وكان عثمان يقول : فلا إله إلا الله ، وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيراً ما ينشد :

لاتزَالُ تنعَى ميتاً حتى تكُونَهْ   وقد يَرْجُو الفتى الرَّجا فيموتُ دُونَهُ

وركب سليمان بن عبد الملك يوما فى زى عجيب فنظرت اليه جارية فقالت: إنك لمعنى بيتى الشاعر ! قال: وما هما ؟ فأنشدته :

أنْتَ نِعْمَ المتاعُ لَوْ كُنْتَ تبقَى   غَيْرَ أنْ لاَ بَقاءَ لِلإنْسَانِ
ليْسَ فِيماَ بَدَا لنَا مِنْكَ عَيبٌ   كانَ فى النَّاس غيرَ أنَّكَ فانِ

قال : ويلك ، نعيت الى نفسى !

قال : وصام رجل سبعين سنة ثم دعا الله فى حاجة لم يستجب له فرجع إلى نفسه فقال: منك أتيت ! فكان اعترافه أفضل من صومه ، وقال: من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته فى ظلم عباده .

وقال الحسن : إذا سرك أن تنظر إلى الدنيا بعدك فانظر إليها بعد غيرك . وكان الحسن يقول : ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقه العمل .

ومات ذر بن أبى ذر الهمدانى من بنى مرهبة — وهو ذر بن عمر بن ذر — فوقف أبوه على قبره فقال: ياذر ، شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك ! ثم قال: أللهم إنك وعدتنى بالصبر ، على ذر صلواتك ورحمتك أللهم وقد وهبتُ ما جعلت لى من أجر على ذر لذر فلا تعرفه قبيحا من عمله ، أللهم وقد وهبت له إساءته الى

فهب لى إساءته إلى نفسه فانك أجود وأكرم . فلما انصرف عنه التفت إلى قبره فقال: ياذر ، قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك .

سحيم بن حفص قال : قال هانىء بنُ قَبِيصَةَ لحرَقةَ ابنة النعمان — ورآها تبكى — : مالك تبكين ؟ قالت : رأيت لأهلك غضارة ولم تمتلىء دار قط فرحا إلا امتلأت حزنا . ونظرت امرأة أعرابية إلى امرأة حولها عشرة من بنيها كأنهم الصقور فقالت : لقد وَلَدَتْ أمكم حزنا طويلا .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأزواجه « أسْرَعُكُنَّ لِحَاقاً بى أطْوَلُكُنَّ يداً » فكانت عائشة تقول : أنا تلك أطولكن يداً ! فكانت زينب بنت جحش وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صَنَاعاً تصنع بيدها وتبيعه وتَصَدَّقُ به . قال الشاعر :

فما إنْ كانَ أكثرَهُمْ سوَاماً ولكِنْ كانَ أطْولَهُمْ ذِرَاعَا

وكان الحسن يقول : ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه فيها تبعة ، إلا ما كان من نعمته لسليمان عليه السلام فان الله عز وجل قال : « هَـذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

وباع عبدُ الله بنُ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُود أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له : لو اتخذت لولدك من هذا المال ذُخراً ؟ قال : أنا أجعل هذا المال ذُخراً لى عند الله وأجعل الله ذخراً لولدى ! وقسم المال . وقال رجل : صحبت الرَّبيعَ بْنَ خُثَيْمٍ سنتين فما كلمنى إلا كلمتين ، قال لى مرة : أمك حية ؟ وقال لى مرة أخرى : كم فى بنى تيم من مسجد ؟ وقال أبو فَرْوَةَ : كان طارقُ صاحب شُرط خالدِ بنِ عبدِ الله القَسْرِيِّ مرَّ بابن شُبْرُمَةَ — وطارق فى موكبه — فقال ابن شُبْرُمَةَ :

أراهَا وَإنْ كانَتْ تُحَبُّ فإنَّها سَحَابَةُ صَيفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ

اللهم لى دينى ولهم دنياهم ! فاستُعمل ابنُ شُبرمة على القضاء بعد ذلك فقال ابنه :

أتذكر قولك يوم مرّ طارق فى موكبه؟ فقال : يابني إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد أبوك مثلهم ، يا بنى إن أباك أكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم .

قال الحسن : من خاف الله أخاف منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء . وقال الحسن : ما أعطى رجل من الدنيا شيئا إلا قيل له : خذه ومثله من الحرص .

قال : ومرَّ مَرْوَانُ بْنُ الحَكَمِ فى العام الذى بويع فيه بِزُرَارَةَ بن جُزَى الكلابى — وهم على مالهم — فقال : كيف أنتم آل جزى ؟ قالوا : بخير ، زرعنا الله فأحسن زرعنا ، وحصدَنا فأحسن حَصادنا .

وقال الحسن : ابنَ آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك .

وقال الحسن : ابن آدم ، إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك وإن كان لا يغنيك منها ما يكفيك فليس فيها شيءٌ يغنيك . قال : نزل الموت بفتى كان فيه رمق فرفع رأسه فإذا أبواه يبكيان عند رأسه ، فقال : مالكما تبكيان ؟ قالوا : تخوفا عليك من الذى كان منك من إسرافك على نفسك ! فقال : لا تبكيا فوالله ما يسرنى أن الذى بيد الله بأيديكما . قال قَتَادَةُ : يعطى الله العبد على نية الآخرة ما شاء من الدنيا ، ولا يعطى على نية الدنيا إلا الدنيا .

قال الحسن : قدم علينا بشْرُ بْنُ مَرْوَانَ أخو الخليفة وأمير المِصْرَيْنِ وأشبّ الناس ، فأقام عندنا أربعين يوما ثم طُعن فى قدمه فمات فأخرجناه إلى قبره فلما صرنا به إلى الجبانة فإذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحبا لهم إلى قبره ، فوضعنا السرير فصلينا عليه ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه ، ثم حملنا بشراً الى قبره وحملوا صاحبهم إلى قبره ، ودفنا بشرا ودفنوا صاحبهم ، ثم انصرفوا وانصرفنا ، ثم التفتُّ التفاتة فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشى ! فلم أر شيئا قط كان أعجب منه . وقال عبدُالله ابنُ الزِّبَعْرَى :

وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا   وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُثْرٍ وَمُقِلِ

وتقول الحكماء : ثلاثة أشياء يستوى فيها الملوك والسوقة والعِلْيَةُ والسَّفلةُ : الموت والطلق والنزع .

وقال الهيثمُ بنُ عَدِيّ عن رجاله : بينا حُذَيفَةُ بنُ اليَمَانِ وَسلْمَانُ الفَارِسىُّ يتذاكران أعاجيب الزمان وتغير الأيام — وهما فى عَرْصَةِ إيوان كسرى — وكان أعرابى من غامِدَ يرعى شُويهات له نهاراً فإذا كان الليل صَيَّرَهن إلى داخل العرصة ، وفى العرصة سرير رخام كان كسرى ربما جلس عليه — فصعدت غنيمات الغامدى على سرير كسرى ، فقال سلمان : ومن أعجب ماتذا كرنا صعودغُنيمات الغامدى على سرير كسرى !

قال : لما انصرف على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه من صِفِّينَ مر بمقابر فقال : السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم ، الحمد لله الذى جعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً ، والحمد لله الذى منها خلقكم وعليها يحشركم ومنها يبعثكم ، طوبى لمن ذكر المعاد وأعد للحساب وقنع بالكفاف . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : إستفرزوا العيون بالتذكر . وقال الشاعر :

سَمِعْنَ بِهيْجَا أُوْجِفَتْ فذكرْنَهُ ... وَلا يبعثُ الأحْزانَ مِثْلُ التذكُّرِ

وقال أعرابى :

لاتُشْرِفَنَّ يفاعاً إنَّهُ طَربٌ ... وَلاتُعَنَّ إذامَا كُنْتَ مُشتَاقَا

قال ابن الأعرابى : سمعت شيخاً أعرابيا يقول : إنى لأُسر بالموت ولا دين ولا بنات .

على بن الحسن قال : قال صَالِحُ المُرِّىّ : دخلت دار المُورِيَانى فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله استخرجتها حين ذكرت الحال فيها قوله « فَتِلكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إلاَّ قَلِيلاً » وقوله : « وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ » وقوله « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » قال : فخرج إلى أسود من ناحية الدار فقال : ياأبا بِشْرٍ هذا سُخط المخلوق فكيف سُخط الخالق ؟

قال : وأصاب ناسا مطر شديد وريح وظلمة ورعد و برق فقال رجل من النساك : اللهم إنك قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك .

قال عبدُ الله بن عُمر : فاز عُمر بن أبي ربيعة بالدنيا والآخرة ، غزا البحر فأحرقوا سفينته فاحترق.

قال : وطلق أبو الخندق امرأته أم الخندق فقالت : أتطلقني بعد طول الصحبة! فقال : مادهاك عندي غيره . وكان أبو إسحٰق يقول : ما ألأمها من كلمة !

قال : مرّ عمر بن الخطاب بقوم يتمنون فلما رأوه سكتوا قال : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا نتمنى ! قال : فتمنوا وأنا أتمنى معكم ؟ قالوا : فتمن . قال : أتمنى رجالا ملء هذا البيت مثل أبي عُبَيْدَةَ بنِ الْجَرَّاحِ وسَالِمٍ مولى أبي حُذَيفة [1] إن سالما كان شديد الحب لله لو لم يخف الله ماعصاه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ »

عمر بن مرة قال : قدم وفد من أهل اليمن على أبي بكر رضى الله تعالى عنه فقرأ عليهم القرآن فبكوا ، فقال أبو بكر : هكذا كنا حتى قست القلوب . وقال أبو بكر : طوبى لمن مات فى نأناة الاسلام [2] .

وقال سعد بن مالك أو معاذ : مادخلت فى صلاة فعرفت مَن عن يميني ولا من عن شمالى ، ولاشيّعت جنازة قطّ إلا حدثت نفسي بما يقال له ومايقول . وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيئاً قط إلا علمت أنه كما قال .

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث : أضحكني مؤمّل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل لايُغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط ربه

(١) هوسالم مولى ابي حذيفة بن عتبة ، كان من كبار الصحابة أصله من أهل أصطخر اخي النبي بينه وبين أبي بكر ، شهد المشاهد وقتل يوم اليمامة فى حرب مسيلمة الكذاب سنة ١١ هـ ٦٣٢ م

(٢) وروى عكرمة ان أبا بكر قال : طوبى لمن مات فى النأنأة . يعنى اول الاسلام قبل ان يقوى ويكثر أهله والداخلون فيه فهو عند الناس ضعيف

أم راض ، وأبكاني هول المطلع ، وانقطاع العمل ، وموقفي بين يدى الله ولا يُدرَى أيُؤمر بى إلى الجنة أم إلى النار .

سُحيم بن حفص قال : رأى إياس بن قتادة العبشمى شيبة لحيته فقال : أرى الموت يطلبنى وأرانى لا أفوته ، أعوذ [بالله] من فجآت الأمور و بغتات الحوادث ، يابنى سعد ، إني قد وهبت لكم شبابي فهبوا لى شيبتى ، ولزم بيته فقال له أهله : إنك تموت هزلا ! فقال : لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلىّ من أن أموت منافقاً سميناً . وذكر قوم إبليس فلعنوه وتغيظوا عليه ، وقال أبو حازم الأعرج : وما إبليس ! لقد عُصى فما ضرّ وأُطيع فما نفع .! وقال بكر بن عبد الله المزني : ألدنيا ما مضى منها فحلم وما بقى منها فأمانى . ودخل أبو حازم مسجد دمشق فوسوس إليه الشيطان : إنك قد أحدثت بعد وضوئك ، فقال له : أو قد بلغ هذا من نصحك ! وقال بعض الطيّاب :

عَجِبْتُ مِنْ إبْلِيسَ فِى كِبْرِهِ ... وَخُبْثِ مَا أَظْهَرَ مِنْ نِيَّتِهِ
تَاهَ على آدَمَ فى سَجْدَةٍ ... وصارَ قوّاداً لِذُرِّيَّتِهِ

فأنشدتها مِسمَعَ بن عاصم فقال : وأبيك لقد ذهب مذهب الفضل بن مسلم . وقال مُطَرِّفُ بنُ عبد الله الشِّخِّير : لا تنظروا إلى خفض عيشهم ولين ثيابهم ، ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . قال أبو ذرّ : لقد أصبحت وإن الفقر أحب إلىّ من الغنى والسقمَ أحب إلى من الصحة والموتُ أحب إلىّ من الحياة ! قال هُشيمٌ : لكنى لا أقول ذلك . وقال داود النبى : ألّلهم لا صحة تطغينى ولا مرض يضنينى ، ولكن بين ذلك . وقال الحسن : إن قوماً جعلوا تواضعهم فى ثيابهم وكبرهم فى صدورهم حتى لَصاحب المدرعة بمدرعته أشد فرحاً من صاحب المُطرف بمُطرفه .

وقال داود النبى : إن لله سطوات ونقمات ، فاذا رأيتموها فداووا قرحكم بالدعاء ، فان الله تبارك وتعالى يقول : لولا رجالٌ خشّع وصبيان رضع وبهائم رتع

لصببت عليكم العذاب صباً . قال : اشترى محرز بن صفوان بُدنة بتسعة دنانير فقيل له : أتشترى بدنة بتسعة دنانير وليس عندك غيرها ؟ قال : سمعت الله تبارك وتعالى يقول : « لَكُمْ فيها خَيْرٌ » ، وقيل لمحمد بن سوقة : أتحج وعليك دين ؟ قال : هو أقضى للدين . وقال : ولقى ناسك ناسكا ومعه خف فقال : ماتصنع بهذا ؟ قال : أعده للشتاء ! وكانوا يستحيون من هذا . قال أبو ذر : تخضمون ونقضم والموعد الله . . . ! قال الزبير : يكفينا من خضمكم القضم ، ومن نصكم العنق[1] وقال أيمن ابن خُريم :

رجَوْا بالشقاقِ الأكلَ خَضْماً فقد رضوْا أخيراً من أكلِ الخضمِ أنْ يأكلوا القضما

وقال عمرو لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال : من كان رأيه رادا لهواه . وتواصفوا حال الزهد بحضرة الزهرى ، فقال الزهرى : ألزاهد من لم يغلب الحرام صبره والحلال شكره . وذُكر عند أعرابى رجل بشدة الإجتهاد وكثرة الصوم وطول الصلاة فقال : هذا رجل سوء ! وما يظن هذا أن الله يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب ! ؟

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : ماظنك بخالق الكرامة لمن يريد كرامته وهو عليه قادر ؟ وما ظنك بخالق الهوان لمن يريد هوانه وهو عليه قادر ؟

وزعم أبو عمرو الزعفرانى قال : كان عَمْرُو بن عُبَيْدٍ عند حَفْصِ بنِ سالِمٍ لم يسأله أحد من أهله وحشمه حاجة إلا قال : لا . فقال عمرو : أقلَّ من قول : لا ، فإنه ليس فى الجنة : لا . قال : وقال عمرو : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل مايجد أعطى وإذا سئل مالا يجد قال : يصنع الله . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أكثروا لهن من قول : لا ، فإن : نعم ، يُضريهن على المسألة . وإنما يخص عمر بذلك النساء . قال الحسن : أدركت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق من أن تردعليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها . قال أبو الدرداء : من يشترى مني عادا وأموالها بدرهم !

(١) النص : ضرب من السير سريع . والعنق : ضرب من السير بطيء .

ودخل على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه المقابر فقال : أما المنازل فقد سُكنت وأما الأموال فقد قُسمت وأما الأزواج فقد نُكحت ، فهذا خبر ماعندنا فما خبر ماعندكم ؟ ثم قال : والذى نفسى بيده لو أذن لهم فى الكلام لأخبروا أن خير الزاد التقوى .

قال أبو سعيد الزاهد : عيرت اليهود عيسى بن مريم عليه السلام بالفقر فقال : من الغنى أُتيتم . وقال آخر : لو لم يعرف من شرف الفقر إلا أنك لاترى أحداً يعصى الله ليفتقر . وهذا الكلام بعينه مدخول .

قال : سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محُمد بنِ يُوسف : كيف تركته ؟ فقال : تركته عظيما سميناً ! قال : ليس عن هذا أسألك ! قال : تركته ظلوماً غشوماً ! قال : أو ماعلمت أنه أخى ؟ قال : أتراه بك أعزّ منى بالله ؟

وقال بعضهم : نجد فى زبور داود : من بلغ السبعين اشتكى من غير علة . جعفر بن سليمان قال : قال محمد بن حسان النبطى : لاتسأل نفسك العام ماأعطتك فى العام الماضى . وقيل لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : ماأقرب شىء ؟ قال : الأجل . قيل : فما أبعد شىء ؟ قال : الأمل . قيل : فما أوحش شىء ؟ قال : الميت . قيل : فما آنس شىء ؟ قال : الصاحب المواتى . وقال آخر : آنس شىء الموت . وقال الآخر : نسى عَامِرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ عطاءه فى المسجد فقيل له : قد أُخذ! فقال : سبحان الله ، وهل يأخذ أحد ماليس له ! ؟ عبدة الثقفى قال : لايشهد علىّ الليل بنوم أبداً ولا يشهد علىّ النهار بأكل أبداً ! فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فعزم عليه فكان يفطر في العيدين وأيام التشريق . وقال الحسن ابن أبي الحسن : يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً ، ويكون عابداً ولا يكون عاقلا ، وكان مُسْلِمُ بنُ بَدْرٍ عالماً عابداً عاقلا . وقال عُبادة بن الصامت : من الناس من أوتى علما ولم يؤت حلما ، وشدّادُ بنُ أوْسٍ أُوتى علما وحلما . قال ابراهيم [النظام] كان عَمْرُو بنُ عُبيد عالما عاقلا عابداً ، وكان ذا بيان وحلم وصاحب

قرآن . قال أبو الدرداء : لايحرز المؤمنَ من شرار الناس إلا قبرُه . وقال عيسى ابن مريم : الدنيا لابليس مزرعة وأهلها له حراثون . قَبيصة بن جابر قال : ما الدنيا فى الآخرة إلا كنفجَة الأرنب .

قال عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لولا أن أسير فى سبيل الله ، وأضع جبهتى لله ، وأجالس أقواماً ينتقون لى أحسن الحديث كما ينتقى أطايب التمر لم أبال أن أكون قدِمتُ . قال عامرُ بنُ عَبدِ قَيْسٍ : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ظمأ الهواجر وتجاوب المؤذنين وإخوان لى منهم الأسود بن كلثوم . وقال المؤرق العجلى : ضاحك معترف بذنبه خير من باك مُدِلّ على ربه . وقال : خير من العجب بطاعة أن لا تأتى بطاعة . قالوا : كان الرَّبيع بن خَيثم يقول : لا تطعم إلا صحيحاً ولا تكس إلا جديداً ولا تعتق إلا سويا .

وقال بعض الملوك لبعض العلماء : أذمم لى الدنيا ، فقال : أيها الملك ، الآخذة لما تعطى ، المورثة بعد ذلك الندم ، السالبة ما تكسو ، المعقبة بعد ذلك الفُضوح ، تسد بالأراذل مكان الأفاضل ، وبالعجزة مكان الحَزَمَة ، تجِدُ فى كل من كل خلفا وترضى بكل من كل بدلا ، تُسكن دار كل قرن قرنا وتطعم سؤر كل قوم قوما .

وكان سَعيد بنُ أبى العَرُوبَة يطعم المساكين السكر ويتأول قوله تعالى « ويُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ » وكان محمد بن على إذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة وكان لا يُسمع من داره للسائل : بورك فيك ولا ياسائل خذ هذا . وكان يقول : سموهم بأحسن أسمائهم . قال : وتمنى قوم عند يَزِيد الرَّقاشى فقال يزيد : سأتمنى كما تمنيتم ، قالوا تمنى ؟ قال : ليتنا لم نُخلق وليتنا إذ خلقنا لم نمت وليتنا إذ متنا لم نبعث وليتنا إذ بُعثنا لم نحاسب وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب وليتنا إذ عذبنا لم نُخَلَّد .

وقال رجل لأم الدَّرْداء : إنى لأجد فى قلبى داء لا أجد له دواء وأجد قسوة شديدة وأملا بعيداً ! قالت : إطلع فى القبور وأشهد الموتى . أبو عون [1] قال : قلت

(١) مضت ترجمته فى ص ١٥٨ من الجزء الثانى

للشعبي : أين كان عَلقمة (١) من الأسوَدِ (٢) قال : كان الأسود قواما صواماً ، وعلقمة مع البطىء وهو يسبق السريع .

قال : وقيل لغالب بن عبد الله الجهضمي : إنا نخاف على عينيك العمى من طول البكاء ! قال : هو لهما شهادة . محمد بن جحادة قال : لما قتل الحسين رضى الله تعالى عنه أتى قوم الرّبيع بن خيثم فقالوا : لنستخرجن اليوم منه كلاماً ، فقالوا : قتل الحسين: قال «اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ فيما كانوا فيهِ يَخْتَلِفُون» وأتته بنية له فقالت : ياأبت أذهب ألعب ؟ فقال : إذهبي فقولى خيراً وافعلى خيراً!

وقال أبو عبيدة : استقبل عَامرَ بنَ عَبْدِ قَيْسٍ رجل فى يوم حلبة قال فقال: من سبق ياشيخ ؟ قال : المقربون .

عَلى بن سَليم قال : قيل للرّبيع بن خيثم : لو أرحت نفسك ! قال : أراحتها ريد أن عُمر كان كيسا . وقال أبو حازم : ليتق الله أحدكم على دينه كما يتقى على نعله . جعفرَ بن سليمان الضبعى قال : أتى مُطرف بنُ عَبد الله بنُ الشخير أبى مجلس مجلس مَالكِ بن دينار وقد قام فقال أصحابه : لو تكلمت ؟ قال : هذا ظاهر حسن «إنْ تكُونوا صَالِحينَ فإنَّهُ كانَ لِلأوَّابِينَ غفورًا » وقال رجل لآخر — وباع منه ضيعة له : أما والله لقد أخذتها ثقيلة المؤنة قليلة المعونة ! فقال الآخر : أنت لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق . واشترى رجل من رجل دارا فقال لصاحبه: لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير ! فقال : وأنت لو صبرت لبعتك الذراع بدرهم .

ورأى ناسكٌ ناسكا فى المنام فقال له : كيف وجدت الأمر يا أخى ؟ قال: وجدنا ما قدمنا وربحنا ما أنفقنا وخسرنا ما خلفنا . وقال بَكر بنُ عبد الله المزنى : اجتهدوا فى العمل فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصى . وقال أعرابى . أنه ليقتل الحبارى جوعا ظلمُ الناس بعضهم لبعض .

(١) هو علقمة بن قيس النخعى ، يكنى أبا شبل . تقى صالح . مات سنه ٦٢ هـ

(٢) هو الاسود بن يزيد بن قيس النخعى ، يكنى ابا عبد الرحمن ، صالح خير . مات سنة ٧٤ هـ

وقيل لمحمد بن على : من أشد الناس زهداً ؟ قال : من لا يبالى الدنيا فى يد من كانت . وقيل له : من أخسر الناس صفقة ؟ قال : من باع الباقى بالفانى . وقيل له : من أعظم الناس قدراً ؟ قال : من لا يرى الدنيا لنفسه قدرا .

هانىء بن قبيصة أتى حرقة بنت النعمان وهى باكية فقال لها : لعل أحداً آذاك ؟ قالت : لا ، ولكن رأيت غضارة فى أهلكم وقل ما امتلأت دار سروراً إلا امتلأت حزناً . وقالوا : يهرم ابن آدم وتشب له خلتان : الحرص والأمل .

الأصمعى قال : قال مُحَمَّد بنُ وَاسِعٍ : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : بلغة من عيش ليس لأحد علىّ فيها منة ولا لله علىّ فيها تبعه ، وصلاة فى جمع أكفى سهوها ويُدخر لى أجرها ، وأخ إذا ما اعوججت قومنى . وقال آخر : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ليل الحريق ، ورطب الشكر ، وحديث ابن أبى بكر . وقال آخر : إذا ماسمعت حديث أبى نضرة وكلام ابن أبى بكرة ، ، فكأنك مع لسانِ الحُمَّرَةِ (١)

(١) هو ورقاء بن الاشعر البكرى كان من افصح الناس وانسبهم واعظمهم بصرا بالخطاب ، وكان حاضر البديهة سريع الجواب حسن الحديث . خرج المغيرة بن شعبة وهو امير على الكوفة فى غب مطر يسير بظهر الكوفة فلقى لسان الحمرة فقال له : من اين اقبلت يا اعرابى ؟ قال من السماوة : قال : كيف تركت الارض خلفك ؟ قال : عريضة اريضة ! قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عفى الاثر وملأ الحفر . قال : ممن انت ؟ قال : من بكر بن وائل . قال : كيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتهم لم اعرف غيرهم . قال : فما تقول فى بنى شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا . قال : فماذا تقول فى بني ذهل ؟ قال : سادة نوكى . قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاء البقر وعراقيب الكلاب . قال : فما تقول فى بنى يشكر ؟ قال : صريح تحسبه مولى — لان فى الوانهم حمرة — قال : فعجل ؟ قال : احلاس الخيل . قال : فحنيفة ؟ قال : يطعمون الطعام ويضربون الهام . قال : فعنزة ؟ قال : لا تلتقى بهم الشفتان لؤما . قال فضبيعة اضجم ؟ قال جدعاء وعقراء . قال : فأخبرنى عن النساء ؟ قال : النساء اربع ، ربيع مربع وجميع يجمع وشيطان سمعمع وغل لا يخلع . قال : فسر ؟ قال : اما الربيع المربع فالتى إذا نظرت إليها سرتك وإذا اقسمت عليها برتك ، واما التى هى جميع يجمع فالمراة تتزوجها ولها نشب فتجمع نشبك إلى نشبها ، واما الشيطان السمعمع فالكالحة فى وجهك إذا دخلت والمولولة فى اثرك إذا خرجت ، واما الغل الذى لا يخلع فبنت عمك السوداء القصيرة الورهاء الدميمة التى قد نثرت لك بطنها إن طلقتها ضاع ولدك وان امسكتها فعلى جدع انفك . ثم قال : ما تقول فى اميرك المغيرة ابن شعبة ؟ قال : اعور زناء ؟ فاخذه المغيرة إلى منزله وعنده يومئذ اربع نسوة وما تزيد على السبعين جارية وقال له : ويحك ! هل يزنى الحر وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم امر له بمال فاخذه وانصرف

وقال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ الأعور: تلقاني مع طلوع الشمس سعيد بن وهب[١] فقلت: أين تريد؟ قال: أدور على المجالس فلعلي أسمع حديثاً حسناً، ثم لم أتجاوز بعيداً حتى تلقاني أنس بن أبي شيخ فقلت له: أين تريد؟ قال: عندي حديث حسن فأنا أطلب له إنساناً حسن الفهم حسن الاستماع! قلت: حدثني فأنا كذلك؟ قال: أنت حسن الفهم رديء الاستماع، وما أرى لهذا الحديث إلا اسماعيل ابن غَزْوَان.

قال: ولد للحسن بن أبي الحسن غلام فقال له بعض جلسائه. بارك الله لك في هبته وزادك في أحسن نعمته. فقال الحسن: الحمد لله على كل حسنة، وأسأل الله الزيادة في كل نعمة ولا مرحباً بمن إن كنت عائلا أنصبني وإن كنت غنياً أذهلني لا أرضى بسعيي له سعيا ولا بكدي له في الحياة كداً حتى أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وأنا بحال لايصل إليّ من همه حزن ولا من فرحه سرور. وقال الحسن للمغيرة بن مخارش التميمي: إن مَن خوفك حتى تلقى الأمن خيرلك ممن آمنك حتى تلقى الخوف.

وقال عَوْنُ بنُ عبدالله بنِ عُتْبَةَ بنِ مسعود[٢] ما أحسن الحسنة في أثر الحسنة وما أقبح السيئة في أثر السيئة؟

الحسن قال: ما رأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لايقين فيه من أمر نحن فيه. وكان الحسن إذا ذكر الحجاج قال: كان يتلو كتاب الله على لَخْمٍ وجُذام

---

(١) هو سعيد بن وهب. نشا بالبصرة وعن علمائها اخذ وبهم تخرج ثم اقام ببغداد في كنف الفضل ابن يحيى البرمكي حظيا عنده. وكان في اول امره فاسقا فاتكا ثم تاب وتنسك ومات على مذهب مرضي في عهد المامون. وكان كاتبا بليغاوشاعرا مطبوعا ونديما ظريفا بذل جل شعره في الغزل والنسيب

(٢) كان في اول امره يقول بالارجاء ثم رجع عن ذلك إلي العلم والزهد والتقوى والصلاح وقال:

واول مانفارق غير شك ... نفارق ما يقول المرجئونا

وقالوا مؤمن دمه حلال ... وقد حرمت دماء المؤمنينا

وقالوا مؤمن من اهل جور ... وليس المؤمنون بجائرينا

وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، وله كلام بليغ في غاية الجودة

ويعظ عظة الأزارقة ، ويبطش بطش الجبارين . وكان يقول : إتقوا الله فان عند الله حجاً جين كثيراً . وكان سِنانُ بنُ سَلمةَ بنِ قيس يقول : اتقوا الله فان عندالله أياماً مثل شوال . قال خالد بن صفوان : بت ليلتى أتمنى كلها فكسيت البحر الأخضر بالذهب الأحمر فاذا الذى يكفينى من ذلك رغيفان وكوزان وطِمران . وكان الحسن يقول : إنكم لاتنالون ماتحبون إلا بترك ماتشتهون، ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون . ودخل قوم على عوف بن أبي جميلة فى مرضه فأقبلوا يثنون عليه فقال : دعونا من الثناء، وأمدونا بالدعاء. وقال أبو حازم : نحن لانريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن لانتوب حتى نموت: وكان الحسن يقول : يا بن آدم ، نهارك ضيفك فأحسن إليه فانك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك ، وكذلك ليلك .

وقيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالا ؟ قالَ : عبدالله بنُ عبد الأعلى الشيبانى القائل عند موته : دخلتها جاهلا وأقمت فيها حائراً وأُخرجت منها كارهاً. يعنى الدنيا . وقيل لآخر : من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من قويت شهوته و بعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته . وقيل لآخر : من شر الناس ؟ قال من لايبالى أن يراه الناس مسيئاً . وقيل لآخر : من شر الناس؟ قال : القاسى ! فقيل له أيما شرّ ، ألوقاح أم الجاهل أم القاسى ؟ قال : ألقاسى .

وذكر أبو صفوان عن البطال أبي العلاء من بنو عمرو بن تميم قال : قيل له قبل موته : كيف تجدك يا أبا العلاء ؟ قال : أجدنى مغفوراً لى ! قالوا : قل إن شاء الله ! قال : قد شاء الله ، ثم قال :

أُوصيكم بالجِلّةِ التِلادِ فإنما حَولَكُمُ الأَعادى

قال ابن الأعرابى : كان العباسُ بنُ زُفر لايكلم أحداً حتى تنبسط الشمس فاذا انفتل عن مصلاه ضرب الأعناق وقطع الأيدى والأرجل. وكان جرير ابن الخطفى لا يتكلم حتى تطلع الشمس، فاذا طلعت قذف المحصنات . قال : ومرت

به جنازة فبكى وقال : أحرقتنى هذه الجنازة . قيل : فلم تقذف المحصنات ؟ قال : يبدو لى ولا أصبر . وكان يقول : أنا لا أبتدى ولكن أعتدى .

الحسن بن الربيع الكندى باسناد له قال: قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : دلنى على عمل إذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ؟ قال : إزهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس .

قال : وبلغنى عن القاسم بن محيمرة الهمدانى انه قال : إنى لا أغلقُ بابى فما يجاوزه همى .

قال أبو الحسن : وجد فى حجر مكتوب : إبن آدم ، لو أنك رأيت يسير ما بقى من أجلك لزهدت فى طول ماترجو من أملك ، ولرغبت فى الزيادة فى عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك غداً ندمك وقد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت إلى أهلك بعائد ولا فى عملك بزائد .

وقال عيسى بن مريم : تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل ! قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدنيا : من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ! وقال : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، ومر عيسى بن مريم بقوم فقال ما بالهم يبكون ؟ فقالوا : على ذنوبهم . قال اتركوها تغفر لكم .

وقال رياد بن أبى زياد مولى عياش بن أبى ربيعة دخلت على عمر بن عبد العزيز فلما رآنى ترجل عن مجلسه فقال إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس .

وقال الحسن : إن أهل الدنيا وإن دقدقت بهم الهماليج ووطىء الناس أعقابهم فان ذل المعصية فى قلوبهم .

قالوا: وكان الحجاج يقول إذا خطب: إنا والله ماخلقنا للفناء وإنما خلقنا للبقاء

وإنما ننقل من دار إلى دار . وهذا من كلام الحسن .

ولما ضرب عبد الله بن على تلك الأعناق قال له قائل : هذا والله جُهد البلاء! فقال عبد الله: ماهذا وشرطة الحجام إلا سواء ، وإنما جهد البلاء فقر مُدْقِع بعد غنى موسع .

وقال آخر: أشد من الخوف الشيء الذي يشتد من أجله الخوف. وقال آخر: أشد من الموت ما يتمنى له الموت ، وخير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة .

وقال أهل النار « يامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّك » قال « إنكم ماكثون » فلما لم يجابوا إلى الموت قالوا « أفيضُوا علينا منَ الماء » وقالوا : ليس فى النار عذاب أشد على أهله من علمهم بأنه ليس لكربهم تنفيس ولا لضيقهم ترفيه ولا لعذابهم غاية ، ولا فى الجنة نعيم أبلغ من علمهم بأن ذلك الملك لا يزول .

قالوا : قارف الزهرى ذنبا فاستوحش من الناس وهام على وجهه ، فقال زيد ابن على : يازهرى ، لَقُنوطُك من رحمة الله التى وسعت كل شىء أشد عليك من ذنبك ! فقال الزهرى : « اللهُ أعلمُ حَيْثُ يجعلُ رِسالتهُ » . ورجع إلى أهله وماله وأصحابه . قال ابن المبارك (١) أفضل الزهد أخفاه .

الأوزاعى (٢) عن مَكحُولٍ (٣) قال : إن كان فى الجماعة الفضيلة فإن فى العزلة السلامة .

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك . العالم الفقيه الزاهد الورع ، تفقه على سفيان الثورى واخذ عن الاوزاعى وروى الموطأ عن مالك بن انس ، كانت له منزلة فى النفوس وجلالة فى القلوب ، قدم الرشيد الرقة وقدمها فى الوقت ابن المبارك فانجفل الناس خلف ابن المبارك وداس بعضهم بعضا وارتفعت الغبرة فاشرفت جارية للرشيد فلما رأت تجمع الناس قالت : ماهذا ؟ قالوا : عالم اهل خراسان قدم الرقة . فقالت : هذا والله الملك لاملك هرون الذى لايجمع الناس إلا بشرط وأعوان ! وكان ابن المبارك مجاهدا غازيا . وله شعر حسن . ولد بمرو سنة ١١٨ هـ وتوفى بهيت سنة ١٨٢ هـ

(٢) هو ابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى الامام الفقيه الحجة الورع ، سمع من الزهرى وعطاء بن رباح ، وابن ابى كثير ، وعنه أخذ الثورى وابن المبارك وخلق كثير . كان مولده ببعلبك سنة ٨٨ هـ وتوفى ببيروت سنة ١٥٧ هـ

(٣) هو مكحول الشامى ، أصله من كابل مولى من موالى العرب ، كان تقيا ورعا مات سنة ١١٢ هـ

عبد الله بن دينار قال: قال صلى الله عليه وسلم إن الله كره لكم اللعب فى الصلاة والرفثَ فى الصيام والضحك فى المقابر .

وقال أزدشير مرة : إحذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع . وقال واصلُ بنُ عطاء : ألمؤمن إذا جاع صبر وإذا شبع شكر . وقيل لِعامرِ بنِ عبدِ قَيْسٍ : ما تقول فى الإنسان ؟ قال : ماعسى أن أقول فيمن إذا جاع ضرعَ وإذا شبع طغى .

ونظر أعرابى فى سفره إلى شيخ قد صحبه فرآه يصلى فسكن اليه، فلما قال : أنا صائم . ارتاب به وأنشأ يقول :

صَلَّى فأعْجَبَنِى وصَامَ فرَابنى عَدِّ القَلُوصَ عَنِ المُصَلِّى الصَّائمِ

وهو الذى يقول:

لَمْ يَخلُقِ اللهُ مَسجُونا تُسائلُهُ مابالُ سِجْنِكَ إلاَّ قال مَظلُومُ

عن يَحيى بنِ جَعْدَةَ، قال: كان يقال: إعمل وأنت مشفق ودع العمل وأنت تحبه . وقيل لرابعةِ القيْسيةِ : هل عملتِ عملا قط ترين أنه يُقبل منكِ ؟ قالت: إن كان شيء فخوفى من أن يُرد علىّ .

قال محمدُ بن كعبِ القُرظى لِعُمَرِ بنِ عبد العزيزِ : يا أمير المؤمنين لا تنظرن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك تريد أن تجوز عنك .

الحسن قال : كان مَن قبلكم أرق قلوباً وأصفق ثياباً، وأنتم أرق منهم ثياباً وأصفق قلوباً .

عبد الله بن المبارك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجَرّاح بن عبدِ الله الحَكَمِىِّ : إن استطعت أن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزاً بينك و بين ما حرم الله عليك فافعل، فانه من استوعب الحلال كله تاقت نفسه إلى الحرام .

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لخالدِ بنِ الوليد حين وجهه : إحرص على الموت توهب لك الحياة . وقال رجل : أنا أحب الشهادة ؟ فقال رجل من النساك : أحبها

إن وقعت عليك ولا تحبها حب من يريد أن يقع عليها . وقال رجل لداوُدِ بن نُصَيْر الطائى العابد : أوصنى ؟ فقال : إجعل الدنيا كيوم صُمْتَهُ واجعل فطرك الموت فكأن قد ، والسلام . قال : زدنى ؟ قل : لا يراك الله عند ما نهاك عنه ، ولا يفقدك عند ما أمرك به . قال : زدنى ؟ قال . إرض باليسير مع سلامة دينك كما رضى قوم باليسير مع هلاك دينهم . قال رجل ليونس بن عُبيد[1] أتعلم أحدا يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله ما أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بمثل عمله ! قال . فصفه لنا ؟ قال : كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه ، و إذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه ، وكان إذا ذكرت النار عنده فكأنها لم تخلق إلا له . وهيب بن الورد قال : بينا أنا أدور فى السوق إذ أخذ آخذٌ بقفائى فقال لى: يا وهيب ، اتق الله فى قدرته عليك واستحى الله فى قربه منك . وقال عَبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ : ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون؟ الهيثم قال : كان شيخ من أعراب طيء كثير الدعاء بالمغفرة له ، فقيل له فى ذلك، فقال : والله إن دعائى بالمغفرة مع قبيح إصراري للؤم ، وإن تركى الدعاء مع قوة طمعى لعجز : قال أبو بشر صالح المرى إن تكن مصيبتك فى أخيك أحدثت لك خشية فنعم المصيبة مصيبتك ، و إن تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزعا فبئس المصيبة مصيبتك . وقال عمرو بن عبيد لرجل يعزيه : كان أبوك أصلك و إبنك فرعك ، فما بقاء شيء ذهب أصله ولم يبق فرعه

وقال الحسن : إن امرأ ليس بينه و بين آدم إلا أب قد مات لمُعْرِقٌ فى الموت . وقالوا : أعظم من الذنب أليأس من الرحمة ، وأشد من الذنب المماطلة بالتوبة . سيار بن عبد الرحمن قال : قال لى بكير بن الأشج : مافعل خالك ؟ قلت لزم بيته قال : أما لئن فعل لقد لزم قوم من أهل بدر بيوتهم بعد مقتل عثمان رضى الله تعالى عنه فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم . وقال الحسن : إن لله ترائكَ فى خلقه لولاذلك لم ينتفع النبيون وأهل الانقطاع إلى الله بشيء من أمور الدنيا ، وهى : الأمل ،

---

(١) اصل يونس بن عبيد بن عبد القيس ، وكان ورعا تقيا صالحا . مات سنة ١٣٨ هـ

والأجل ، والنسيان . وقال مُطرف بن عبد الله لابنه : يابنى لايلهينك الناس عن نفسك ، فان الأمر خالص إليك دونهم ، إنك لم تر شيئاً هو أشد طلباً ولاأسرع دَرَكا من توبة حديثة لذنب قديم .

وفى الحديث أن أبا هريرة مرَّ بمرْوان[1] وهو يبنى داره فقال: يا أبا عبدالقدوس، ابنِ شديداً وأمِّل بعيداً وعش قليلا وكل خضما والموعد الله ! وكان عمْرُو ابن خَوْلَة أبو سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاص ، وأمه خولة من المسامعة ، وكان ناسكا يجتمع إليه القراء والعلماء يوم الخميس ، فقال الشاعر :

وَأَصْبَحَ زَوْرُكَ زَوْرَ الخميس ... إِلَيْكَ كَمَرْعِيَّةٍ وَارِدَه[2]

وقال الآخر [وذكر] ابن سيرين :

فَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذِئْبٌ لَاحَرِيمَ لَهُ ... وَبِالنَّهَارِ عَلَى سَمْتِ ابْنِ سِيرِين

وقال ابن الاعرابي : قال بعض الحكماء : لايغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك.

قال : وصلى محمد بنُ المُنْكَدِرِ[3] على « عمران بقرة » فقيل له فى ذلك فقال : إنى لأستحيى من الله أن أرى أن رحمته تعجز عن عمران بقرة .

باب

وقال محمد بن يسير :[4]

(١) هو مروان بن الحكم . ولا أدرى كيف كناه بابي عبد القدوس وكنيته أبو عبد الملك !

(٢) الزور جمع زائر . المرعية : الماشية التى ترعى . وارده : يعنى على الماء

(٣) هو محمد بن المنكدر بن هدير من بنى تيم رهط أبي بكر الصديق . كان تقياً فاضلا ، مات سنة ١٣١ هـ

(٤) مضت ترجمته فى ص ٦٩ من الجزء الاول . وهذان البيتان اللذان أوردهما له الجاحظ من أبيات رواها المبرد هكذا :

ويل لمن لم يرحم الله ... ومن تكون النار مثواه
ياحسرتى فى كل يوم مضى ... يذكرنى الموت واتاه
من طال فى الدنيا به عمره ... وعاش فالموت قصاراه
كأنه قد قيل فى مجلس ... قد كنت آتيه واغشاه
صار اليسيرى الى ربه ... يرحمنا الله وإياه

كأنَّهُ قدْ قيلَ في مجلسٍ　　قدْ كنتُ آتيهِ وأغشاهُ
محمدٌ صارَ إلى ربِّهِ　　يرحمُنا اللهُ وإيّاهُ

وقال الآخر:(١)

لَقلَّ عاراً إذا ضيفٌ تضيَّفني　　ما كانَ عندي إذا أعطيتُ مجهودي
فضلُ المُقِلِّ إذا أعطاهُ مُصطَبِرٌ　　ومُكثِرٌ في الغِنى سيّانِ في الجودِ
لا يعدَمُ السائلونَ الخيرَ أفعلُهُ　　إمّا نوالٌ وإمّا حُسنُ مردودِ

وكان الرّبيع بن خيثم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا. وقل ابن المقفع: الجود بالمجهود منتهى الجود. قال مطرف بن عبد الله: كان يقال: لم يلتق مؤمنان إلا كان أفضلها أشدهما حباً لصاحبه، وكنت أرى أني أشد حباً لمذعور بن طفيل منه لي، فلما سُيِّرَ لقيني ليلا فحدثني فقلت: ذهب الليل؟ قال: ساعة! قلت: ذهب الليل؟ قال: ساعة! فعلمت أنه كان أشد حباً لي مني له، فلما أصبح سيَّره ابنُ عامر مع عامر(٢)

وقالوا لعيسى بن مريم عليه السلام: من نجالس؟ قال: من تذكركم بالله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله.

إسحق بن ابراهيم قل: دخلنا على كهمس العابد فجاءنا باحدى عشر بُسرة حمراء فقال: هذا الجهد من أخيكم، والله المستعان. السّكن الحرشي قال: إشتريت من أبي المنهال سيار بن سلامة شاة بستين درهماً فقلت: تكون عندك حتى آتيك بالثمن. قل: ألست مسلماً! قلت: بلى! قال: فخذها! فأخذتها ثم انطلقت فأتيته بالستين فأخرج منها خمسة دراهم وقل: إعلفها بهذه.

(١) قد روى هذه الابيات ابو الفرج الاصبهاني لمحمد بن بسير نفسه قال: قال محمد بن سعد: كنا في خلقة التوزي فلما تقوضت انشدنا محمد بن بسير لنفسه:

جهد المقل اذا اعطاه مصطبر　　او مكثر من غنى سيان في الجود
لايعدم السائلون الخير افعله　　إما نوال وإما حسن مردود

(٢) سيره: نفاه إلى المدينة، وابن عامر: هو عبد الله بن عامر وقد مضت ترجمته في ص ٢٥٣ من الجزء الاول، وعامر: هو ابن عبد قيس وقد مضت ترجمته في ص ٨٣ من الجزء الاول

وقال مُساوِرُ الوَرَّاقُ(١) لابنه :

شَمِّرْ قَمِيصَكَ وَاسْتَعِدَّ لِقَائِلٍ ... وَاحْكُكْ جَبِينَكَ لِلقَضَاءِ بِثُومِ

وَاجْعَلْ صِحَابَكَ كلَّ حَبْرٍ نَاسِكٍ ... حَسَنِ التَّعَهُّدِ لِلصَّلاةِ صَؤُومِ

مِنْ ضَرْبِ حَمَّادٍ هُنَاكَ وَمِسْمَعٍ ... وَسِمَاكٍ العَبْسِيِّ وَابْنِ حَكِيمِ

وَعَلَيْكَ بِالغَنَوِيِّ فَاجْلِسْ عِنْدَهُ ... حَتَّى تَنَالَ وَدِيعَةَ ابْنِ لَئِيمِ

قال : بينما سليمان بنُ عبد الملك يتوضأ ليس عنده غير خاله والغلام يصب عليه إذ خر الغلام ميتاً فقال سليمان :

قَرِّبْ وَضُوءَكَ يا حُصَيْنُ فإِنَّمَا ... هَـذِي الْحَيَاةُ تَعِلَّةٌ وَمَتَاعُ

ونظر سليمان فى مرآه فقال : أنا الملك الشاب ! فقالت جارية له :

أَنْتَ نِعْمَ المَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى ... غَيْرَ أَنْ لاَ بَقَاءَ لِلإِنْسَانِ

وقيل لِسَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ : إنَّ محمَّدَ بنَ إِبْرَاهِيمَ بن محمد بن طَلْحَة سقط عليه حائط فقتله ! فقال : إن كان لوصولاً لرحمه ، فكيف يموت ميتةَ سوءٍ ؟

وقال أسماء :

عَيَّرَتْنِي خَلَقًا أَبْلَيْتُ جِدَّتَهُ ... وَهَلْ رَأَيْتَ جَدِيدًا لَمْ يَعُدْ خَلَقَا ؟

---

(١) هو مساور بن سوار بن عبد الحميد . شاعر كوفى ظريف من اصحاب الحديث وروانه ، روى عن صدر من التابعين ، وروي عنه وجوه اصحاب الحديث ، وهذه الأبيات رواها ابو الفرج الاصبهاني بسنده مع زيادة وتغيير قليل هكذا :

شمر ثيابك واستعد لقائل ... واحكك جبينك للعهود بثوم

إن العهود صفت لكل مشمر ... دبر الجبين مصفر موسوم

احسن وصاحب كل قارناسك ... حسن التعهد للصلاة صؤم

من ضرب حماد هناك ومسعر ... وسماك العنكى وابن حكيم

وعليك بالغنوى فاجلس عنده ... حتى تصيب وديعة لتيم

تغنيك عن طلب البيوع نسيئة ... وتكف عنك لسان كل غريم

وإذا دخلت على الربيع مسلما ... فاخصص شبابة منك بالتسليم

وتمثَّلَ عبدُ الملكِ بن مروان فقال :

وَكلُّ جَدِيدٍ يا أُمَيمُ إلَى بِلًى ... وَكلُّ امرِىءٍ يَوْماً يَصِيرُ إلى كانا

وقال آخر :

فَاعْمَلْ عَلى مَهلٍ فإنَّكَ مَيتٌ ... وَاكْدَحْ لِنَفْسِكَ أيُّها الإنْسَانُ

فَكأنَّ مَاقدْ كانَ لم يَكُ إذْ مَضَى ... وَكأنَّ مَاهُو كائنٌ قَدْ كانا

وكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول : إنى لأكره أن يأتى على يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله ، يعنى المصحف . وكان عثمان رضى الله تعالى عنه حافظا وكان حجره لايكاد يفارق المصحف ، فقيل له فى ذلك فقال : إنه مبارك جاء به مبارك . ولما مات الحجاج خرجت عجوز من داره وهى تقول :

الْيَوْمَ يَرْحَمُنَا مَنْ كانَ يَغْبِطُنا ... وَالْيَوْمَ نَتْبعُ مَنْ كانوا لَنا تَبَعا

حدثنى بكر بن المُعْتَمِرِ عن بعض أصحابه قال : قال أبو عثمان النَّهْدِىُّ[1] أتت على ثلاثون ومئة سنة مامنى شىء إلا وقد أنكرته إلا أملى فإنه يزيد .

وقال مِسْوَرُ بنُ مَخْرمة[2] لجلسائه : لقد وارت الأرض أقواماً لو رأونى معكم لاستحييت منهم . وأنشدنى أعرابى :

مَا يَمْنَعُ النَّاسُ شَيئاً جِئْتُ أطْلُبُهُ ... إلاَّ أرَى اللهَ يَكْفِى فَقَدَ مَامَنَعُوا

وجزع بكر بنُ عبد الله على امرأته فوعظه الحسن فجمل يصف فضلها ، فقال الحسن : عند الله خير منها ! فتزوج أختها فلقيه بعد ذلك فقال : يا أبا سعيد ، هى خير منها . وأنشد :

---

(١) هو عبد الرحمن بن مل من قضاعة ، أدرك النبى ولم يره ، شهد فتح القادسية وجلولاء وتستر ونهاوند واليرموك وأذربيجان . وكان يسكن الكوفة فلما قتل الحسين بن على تحول إلى البصرة ، وبها مات سنة ٧٥ هـ

(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن عبد مناف . أمه أخت عبد الرحمن بن عوف . كان يعدل بالصحابة وليس منهم . قال يوماً : إن يزيد بن معاوية يشرب الخمر ! فجلده معاوية الحد فقال :

أيشربها صرفا يفك ختامها ... أبو خالد ويجلد الحد مسور ؟

وكان مع ابن الزبير بمكة فأصابه حجر فمات سنة ٦٤ هـ

يُؤَمِّلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ ... وَأَمْرُ اللهِ يَطْرُقُ كُلَّ لَيْلَهْ

الحسن قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : المسلم على أخيه ست خصال : يسلم عليه إذا لقيه ، وينصح له إذا غاب ، ويعوده إذا مرض ، ويشيع جنازته إذا مات ويجيبه إذا دعا ، ويشمته اذا عطس . وقال أعرابى :

تُبَصِّرُنِى بِالْعَيْشِ عِرْسِى كَأَنَّمَا ... تُبَصِّرُنِى الْأَمْرَ الَّذِى أَنَا جَاهِلُهْ
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْفَقْرِ يَوْمًا وَبِالْغِنَى ... وَكُلًّا كَأَنْ لَمْ يَلْقَ حِينَ يُزَايِلُهْ

وأنشد أبو صالح :

وَمُشَيِّدٍ دَارًا لِيَسْكُنَ دَارَهُ ... سَكَنَ الْقُبُورَ وَدَارُهُ لَمْ تُسْكَنِ

وكان صالح المرى أبو بشر ينشد فى قصصه ، وأنشد غيره :

فَبَاتَ يُرَوِّى أُصُولَ الْفَسِيلِ ... فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلْ (١)

وقال الآخر :

إِذَا أَبْقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ ... فَمَا فَاتَ مِنْ شَىْءٍ فَلَيْسَ بِضَائِرِ
فَلَنْ يَعْدِلَ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ... وَلَا وَزْنَ زِفٍّ مِنْ جَنَاحٍ لِطَائِرِ (٢)
فَمَا رَضِىَ الدُّنْيَا ثَوَابًا لِمُؤْمِنٍ ... وَمَا رَضِىَ الدُّنْيَا عِقَابًا لِكَافِرِ

وقال آخر :

أَبَعْدَ بِشْرٍ أَسِيرًا فِى بُيُوتِهِمُ ... يَرْجُو الْخِفَارَةَ مِنِّى آلُ ظَلَّامِ (٣)
فَلَنْ أُصَالِحَكُمْ مَا دُمْتُ ذَا فَرَسٍ ... وَاشْتَدَّ قَبْضًا عَلَى السِّيلَانِ إِبْهَامِى (٤)
فَإِنَّمَا النَّاسُ يَا لَلَّهِ أُمَّتُهُمْ ... أُكَائِلُ الطَّيْرِ أَوْ جِثْوٌ لِآرَامِ
هُمْ يَهْلِكُونَ وَيَبْقَى بَعْضُ مَا صَنَعُوا ... كَأَنَّ آثَارَهُمْ خُطَّتْ بِأَقْلَامِ

(١) الفسيل : صغار النخل حين تغرس
(٢) الزف : الريش الصغير
(٣) الخفارة : الذمة والأمانة
(٤) السيلان : قائم السيف أو مقبضه

وأنشد لمحمد بن يسير :

عَجَباً لِى وَمِنْ رِضائى بحَالٍ ... أنا مِنها عَلَى شَفا تغْرِيرِ
عَالِماً لاَ أشُكُّ أنى إذَا مِتُّ ... إلى عَدْن أوْ عذَابِ السَّعِيرِ
كُلّما مَرَّ بى عَلى أهْلِ نَادٍ ... كُنْتُ حِيناً بِهِمْ كَثِيرَ المُرُورِ
قِيلَ مَنْ ذَا عَلَى سَرِيرِ المَنَايَا ... قِيلَ هَـذا مُحمَّدُ بْنُ يَسِيرِ

وأنشد :

لِـكلِّ أُناسٍ مُقْبَرٌ لِفَنَائِهِمْ ... فَهُمْ يَنْقصُونَ وَالقُبُورُ تَزِيدُ
هُمُ جِيرَةُ الأحْيَاءِ أمَّا مَحلُّهُمْ ... فَدَانٍ وَلَـكِنَّ اللِّقَاءَ بَعِيدُ

وقال أبو العتاهية :

سُبْحَانَ ذِى المَلَـكُوتِ أيَّةُ لَيْلَةٍ ... مَخَضَتْ بِوَجْهِ صَبَاحِ يَومِ المَوْقِفِ
لَوْ أنَّ عَيْناً وَهَّمَتْهَا نَفسها ... مَافى الفِرَاقِ مُصوِّراً لَمْ تَطْرِفِ

وقال أبو العتاهية :

يَا خَاطِبَ الدُّنيا إلى نَفسِها ... تَنَحَّ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلَمِ
إنَّ التَّى تَخْطُبُ غَرَّارَةٌ ... سَرِيعَةُ العُرْسِ مِنَ المَأتَمِ

وقال الآخر :

نَادَاهُمَا بِفِرَاقِ بَيْنِهِمَا الزَّمَانُ فَأسْرَعَا
وَكَذَاكَ مَازَالَ الزَّمَانُ مُفرِّقاً مَاجَمَّعَا

وقال الآخر :

يَاوَيْحَ هَذِى الأرْضِ مَاتَصْنَعُ ... أكُلَّ حَىٍّ فَوْقَهَا تَصْرَعُ
تَزْرَعُهُمْ حَتَّى إذا مَا أتَوْا ... عَادَتْ لَهُمْ تَحْصُدُ مَا تَزْرَعُ

وقال الآخر :

ذَكَرْتُ أبَا أرْوَى فَبِتُّ كَأنَّنِى ... بِرَدِّ أُمُورِ المَاضِيَاتِ وَكِيلُ

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ ... وَكُلُّ الَّذِي دُونَ المَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنَّ افْتِقَادِي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ ... دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلُ

وقال محمد بن المستنير :[1] إذا أيسر الرجل ابتلى به أربعة : مولاه القديم ينتفى منه ، وامرأته يتسرى عليها ، وداره يهدمها ويبنى غيرها ، ودابته يستبدل بها . وقال الآخر :

يُجَدِّدُ أَحْزَانًا لَنَا كُلُّ هَالِكٍ ... وَنُسْرِعُ نِسْيَانًا وَلَمْ يَأْتِنَا أَمْنُ
وَإِنَّا وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ رَبِّنَا ... لَكَالبُدْنِ لَا تَدْرِي مَتَى يَوْمُهَا الْبُدْنُ

ابنُ مَسعُود قال : ثلاث من كن فيه دخل الجنة : مَن إذا عرف حق الله عليه لم يؤخره ، وكان عمله الصالح فى العلانية على قِوام من السريرة ، وكان قد جمع مع ماقد عمل صلاح ما يؤمله . وقال : كفى موعظة أنك لا تحيى إلا بموت ولا تموت إلا بحياة . وقال أبو نواس :

شَاعَ فِيَّ الْفَنَاءُ عُلْوًا وَسُفْلًا ... وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوَا
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي ... وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللهِ نِضْوَا[2]

وقال الآخر :

وَكَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا ... بِلَذَّةِ سَاعَةٍ أَكَلَاتِ دَهْرِ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يَسْعَى لِشَيْءٍ ... وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي

وقال الآخر :

كُلُّ امْرِىءٍ مُصَبَّحٌ فِى أَهْلِهِ ... وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وقال آخر :

وَاسْتَيْقِنِي فِى ظُلَمِ الْبُيُوتِ ... أَنَّكِ إِنْ لَمْ تُقْتَلِي تَمُوتِي

---

(١) كان بالاصول : محمد بن المنتشر . وهو خطأ والصواب ما اثبتناه . وقد مضت ترجمته فى ص ٩ من الجزء الاول

(٢) النضو المزيل

وقال عنترة :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل ... لا بد أن أسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي ... أني امرؤ سأموت إن لم أقتل (١)
إن المنية لو تصور صورت ... مثلي إذا نزلت بضنك المنزل

وقال أبو العتاهية :

أذن حي تسمعي ... واسمعي ثم عي وعي
عشت تسعين حجة ... ثم وافيت مضجعي
أنا رهن لمصرعي ... فاحذري مثل مصرعي
ليس زادا سوى التقى ... فخذي منه أو دعي

وقال الخليل بن أحمد :

عش ما بدا لك قصرك الموت ... لا مهرب منه ولا فوت (٢)
بينا غنى بيت وبهجته ... آل الغنى وتقوض البيت

وقال أبو العتاهية :

إسمع فقد أسمعك الصوت ... إن لم تبادر فهو الفوت
نل كلما شئت وعش سالما ... آخر هذا كله الموت

وقال الوزيري :

وأعلم أنني سأصير ميتا ... إذا سار النواجع لا أسير
وقال السائلون من المسجى ... فقال المخبرون لهم وزير (٣)

وقال أبو العتاهية

الحق أوسع من مجا ... لجة الهوى ومضيقه

(١) فاقني حياءك : عليك حياءك فاحفظيه ولا تبذليه
(٢) قصرك غايتك
(٣) المسجى : الملتف في أكفانه

لا تعرضنّ لكلّ أمـ ـرٍ أنتَ غيرُ مُطيقِهِ
والعيشُ يصلحُ إن مزجـ ـتَ غليظَهُ برقيقِهِ
لا يخدعنّك زُخرفُ الـ ـدُّنيا بحُسنِ بريقِهِ
وإذا رأيتَ الرأيَ مُضـ ـطرِباً فخُذْ بوثيقِهِ
ولرُبّما غصَّ البخيـ ـلُ إنِ استُميلَ بريقِهِ

وقال أيضاً

مَن أجابَ الهوى إلى كلِّ ما يدعـ ـوهُ مِمّا يُضِلُّ ضلَّ وتاها
ومَن رآى عِبرةً ففكّرَ فيها آذنَتْهُ بالبينِ حينَ يراها
رُبّما استغلقتْ أمورٌ على مَنْ كانَ يأتي الأمورَ مِنْ مأتاها
وسيأوي إلى يدٍ كلُّ ما تأ تي ويأوي إلى يدٍ حُسناها
قد تكونُ النجاةُ تكرهُها النفـ ـسُ وتأتي ما كانَ فيهِ رداها

وقال أيضاً:

لو أنّ عبداً لهُ خزائنُ ما في الـ أرضِ ما عاشَ خوفَ إملاقِ
يا عجباً كلّنا يحيدُ عنِ الـ حَيْنِ وكلٌّ لحينهِ لاقِ
كأنّ حيّاً قد قامَ نادبُهُ والتفّتِ الساقُ منهُ بالساقِ
واستلَّ منهُ حياتَه ملكُ المو تِ خفيّاً وقيلَ مَنْ راقِ

وقال السموألُ بنُ عادياء (١)

تُعيّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ
وما قلَّ مَنْ كانتْ بقاياهُ مثلَنا شبابٌ تسامى للعُلى وكهولُ
وما ضرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليلُ

(١) شهرت هذه القصيدة بانها للسموءل ، مع ان الرواة اختلفوا فى نسبتها ، فقالوا هى لشريح بن السموءل ، او لدكين ، او لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، او للجلاح الحارثى . والظاهر ان لكل من هؤلاء شعرا من هذا البحر والقافية دخل بعضه فى بعض ثم فاز بنسبتها السموءل وحده

فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما فى نِصابِنا ... كَهامٌ ولا فينا يُعدُّ بَخيلُ
وَأسيافُنا فى كلِّ شرْقٍ ومغربٍ ... بِها مِنْ قِراعِ الدّارِعين فُلولُ
مُعوَّدةٌ أنْ لا تُسلَّ نِصالُها ... فتغمَدَ حتى يُسْتباحَ قبيلُ
سَلِى إنْ جهلْتِ الناسَ عنّا وعنهُمُ ... وَليْسَ سَواءٌ عالِمٌ وجهولُ

وقال الربيعُ بنُ أبى الحُقيق :

وَمَنْ يَكُ عاقِلاً لمْ يَلْقَ بُؤْساً ... يَنِخْ يوْماً بِساحَتِهِ القَضاءُ
تعاوَرُهُ بناتُ الدَّهْرِ حتّى ... تُثلِّمَهُ كما ثُلِمَ الإناءُ[1]
وَكلُّ شَديدَةٍ نَزَلَتْ بِحَىٍّ ... سَيأْتى بعْدَ شِدَّتِها رَخاءُ
وَبعْضُ خلائِقِ الأقْوامِ داءٌ ... كَداءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لهُ دَواءُ

وأنشد :

قدْ حالَ مِنْ دونِ ليْلَى معشَرٌ قُدُمٌ ... وَهُمْ على ذاكَ مِنْ دُونِى مَواليها[2]
وَاللهُ يَعْلَمُ أنّى إن أتتْ حِجَجٌ ... وَحيلَ مِنْ دُونِها أنْ لسْتُ ناسيها

وأنشد :

وَلَيلٍ يقُومُ القوْمُ مِنْ ظُلُماتِهِ ... سَواءٌ بَصيراتُ العُيونِ وعُورُها
كأنَّ لنا مِنْهُ بُيوتاً حَصينةً ... مُسُوحاً أعاليها وساجاً كُسورُها[3]

وقالوا : أتى سَعيدُ بنُ عَبْدِ الرّحمٰنِ بن حسّان أبا بَكْرِ بنَ محمد بن عَمْرو ابن حَزْمٍ وهو عامل سُليمان بن عَبْدِ الملك ، فسأله أن يكلم سُليمان فى حاجة له فوعده أن يُقضيها فلم يفعل ، وأتى عُمَر بنَ عَبْدِ العزيز فكلمه فقضى حاجته ؛ فقال سَعيدٌ :

ذُمِمْتَ وَلمْ تُحْمَدْ وَأدْرَكْتُ حاجتى ... تَولّى سِواكُمْ شُكْرَها واصْطِناعَها

(١) تعاوره : تتناوله . بنات الدهر احداثه ومصائبه . تثلمه : تأخذ من جوانبه وتهد اركانه
(٢) قدم : سادة اجواد
(٣) الساج : خشب صلب من شجر عظام لا تكاد الارض تبليه

أبى لك فعل الخير رأى مقصر ونفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هى حثته على الخير مرة عصاها وإن همت بشر أطاعها
سيكفيك ما ضيعت منها وإنما يضيع الأمور سادراً من أضاعها (١)
ولاية من ولاك سوء بلائها وولى سواك أجرها واصطناعها

وأنشد :

إذا ما أطعت النفس مال بك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال

وأنشد :

حسب الفتى من عيشه زاد يبلغه المحلا
خبز وماء بارد والظل حين يريد ظلا

وأنشد :

وما العيش إلا شبعة وتشرق وتمر كأخفاف الرباع وماء (٢)

قالوا : إستبطأ عبد الملك بن مروان ابنه مسلمة (٣) فى مسيره إلى الروم فكتب إليه :

لمن الظعائن سيرهن تزحف سير السفين إذا تقاعس تجذف

فلما قرأ مسلمة الكتاب كتب إليه :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

ومسلمة هو القائل عند ما دلى بعضهم فى قبره (٤) فتمثل بعض من حضر فقال :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

قال مسلمة : لقد تكلمت بكلمة شيطان ، هلا قلت :

إذا مقرم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

(١) السادر : الذى لا يبالى ماصنع
(٢) الرباع : الفصلان تنتج فى الربيع
(٣) مضت ترجمته فى ص ١٧٨ من الجزء الاول
(٤) بعضهم : هو عبد الملك بن مروان

وكان مَسلمة شجاعا خطيبا وبارع اللسان جوادا ، ولم يكن فى ولد عبدِ الملك مثله ومثل هِشام بعده . وقال بعض الأعراب يهجو قوما :

تَصبَّرْ للبلاءِ الجَمّ صبراً ... إذا جاوَزتَ حَيَّ بَنى أبانِ
أقاموا الدَّيذَبانَ على يَفاعٍ ... وقالوا لى اخْتَرِسْ لِلدَّيذَبانِ
فإنْ أبصرْتَ شخصاً مِن بعيدٍ ... فصَفِّقْ بالبَنانِ على البَنانِ
تراهُم خَشيةَ الأضيافِ خُرْساً ... يُقيمونَ الصلاةَ بلا أذانِ

وقال بعض الأعراب يمدح قوماً :

وَسارٍ تعنّاهُ المَبيتُ فلَمْ يَدَعْ ... له حابسُ الظلْماءِ وَالليلِ مَذهبا
رَأى نارَ زَيْدٍ مِنْ بَعيدٍ فَخالَهَا ... وَقدْ كذَّبتْهُ النفْسُ والظنُّ كوكبا
رَفعتُ لهُ بالكَفِّ ناراً تَشبُّها ... شآميةٌ نكباءُ أوْ عارِضٌ صَبا (١)
وَقُلْتُ ارْفعوها بالصَّعيدِ كَفى بِنا ... مُشيراً لِسارى لَيْلةٍ إنْ تأوَّبا
فَلمَّا أتانا وَالسَّماءُ تَبُلُّه ... نقولُ له أهلاً وسهلاً ومرحبا (٢)
وَقُمْتُ إلى البَرْكِ الهَواجِدِ فاتّقَتْ ... بِكَوْماءَ لمْ يَتْرُكْ لهَا النَّىُّ مَهْربا (٣)
فرَحَّبتُ أعْلى الجَنْبِ مِنها بِطعْنَةٍ ... دَعتْ مُسْتَكِنَّ الجَوْفِ حتّى تَصبَّبا

وقال أبو سعيد الزاهد : من عمل بالعافية فيمن دونه أعطى العافية ممن فوقه .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام (٤) فى المال ثلاث خصال ، قالوا : وما هى ياروح الله ؟ قال : يكسبه من غير حِلّه ! قالوا : فإن كسبه من حله ؟ قال : يمنعه من حقه ! قالوا : فإن وضعه فى حقه ؟ قال : يشغله إصلاحه عن عبادة ربه . قيل لرجل مريض : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى لم أرض حياتى لموتى . سعيد بن بشير عن

(١) شآمية نكباء : ريح تهب بين الصبا والشمال
(٢) السماء ههنا : المطر
(٣) البرك الهواجد : الابل البوارك حول البيوت . الكوماء : الناقة العظيمة السنام . النى : الشحم
(٤) كل كلام منسوب هنا لسيدنا عيسى مولد عليه ولا اصل له

أبيه أن عبد الملك قال ، حين ثقل ورأى غسالا يلوى ثوبا بيده : وددت أنى كنت غسالا لا أعيش إلا بما أكتسب يوماً فيوماً ! فذكر ذلك لأبى حازم فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ماهم فيه. قال أبو ذر : فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوتى من الجمعة الى الجمعة مُدٌّ، ولا والله لا أزداد عليه حتى ألقاه . قال : وكان يقول : انما مالك لك أو للجائحة أو للوارث ، فاغنَ ولا تكن أعجز الثلاثة . عن أبى أمامة الباهلى قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه : أدبوا الخيل وتسوكوا واقعدوا فى الشمس ولا تجاورنكم الخنازير ولا يُرفعن فيكم الصليب ولا تأكلوا على مائدة تشرب عليها الخمر واياكم وأخلاق العجم ولا يحل لمؤمن أن يدخل الحمام الا بمئزر ولا لامرأة الا من سُقم ، فان عائشة رضى الله تعالى عنها حدثتنى قالت : حدثنى خليلى على مفرشى هذا قال : «اذا وَضَعَتِ المرْأةُ خِمَارَهَا فى غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِها هَتَكَتْ ما بَيْنَها وبَيْنَ اللهِ فَلم تَنَاهَى دُون العَرْش »

نساك البصرة وزهادها

عامرُ بنُ عبد قَيسٍ وبَجَالَةُ بنُ عَبْدَةَ العنبريان ، وَعُثْمَانُ بنُ أدْهَمْ ، والأسوَدُ بنُ كُلثومٍ ، وَصِلَةُ بنُ أشْيَم ، وَمَذْعورُ بنُ الطَّفيل ؛ ومن بنى منقر : جَعْفرٌ وَحَربُ ابنا جِرْفاس . كان الحسن يقول : انى لا أرى كالجعفرين جعفرا ، يعنى جعفرَ بنَ جرْفاس وجعفرَ بنَ زَيْدٍ العبدِىَّ . ومن النساء مُعاذَةُ العدَوِيَّةُ امرأةُ صلة بن أشيم ورابعةُ القَيسيَّةُ

نساك الكوفة وزهادها

عمرُو بنُ عتبةَ ، وهمَّامُ بنُ الحرث ، والربيعُ بنُ خيثم ، وأويسُ القرني

وقال الراجز :

مَنْ عاشَ دهراً فسيأتيهِ الأجلْ وَالمرءُ توّاقٌ إلى ما لمْ ينَلْ
المَوْتُ يتْلُوهُ وَيُلْهيهِ الأمَلْ

وقال الآخر :

لا يغُرَّنْكَ عِشاءٌ ساكِنٌ قدْ يُوافِي بالمَنيّاتِ السَّحَرْ

وقال الآخر :

كُلُّنا يأْمَلُ مَدّاً في الأجَلْ وَالمَنَايا هِيَ آفاتُ الأمَلْ

وقال الآخر :

أنتَ وَهَبْتَ الفِتْيَةَ السَّلاهِبْ وَهَجْمَةً يَحارُ فِيها الحالِبْ (١)
وَغنَماً مِثْلَ الجَرادِ السَّارِب مَتاعُ أيّامٍ وَكلٌّ ذاهِبْ

وقال المسعودي :

إنَّ الكِرَامَ مُناهِبو كَ المجْدَ كلُّهُمُ فناهِبْ
أخْلِفْ وَأتْلِفْ كلُّ شَيْ ءٍ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ ذاهِبْ

وقال التيمي :

إذا كانَتِ السَّبْعُونَ سِنَّكَ لمْ يَكُنْ لِدائِكَ إلاَّ أنْ تَمُوتَ طَبيبُ
وَإنَّ امْرأً قدْ سارَ سَبْعِينَ حِجَّةً إلى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَرِيبُ
إذا ما مَضَى القَرْنُ الذي أنتَ فِيهِمُ وَخُلِّفْتَ مِنْ قَرْنٍ فأنْتَ غَرِيبُ
إذا ما خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً فلا تقُلْ خَلَوْتُ وَلكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقيبُ

وقال غسانُ خال العدار :

إبْيَضَّ مِنِّي الرَّأْسُ بَعْدَ سَوادِ وَدَعا المَشيبُ حَليلَتي بِبِعادِ

(١) الفتية السلاهب : الخيل الفتية الطوال . والهجمة : القطعة من الابل من ٤٠ إلى ١٠٠

وَاسْتُحْصِدَ القَرْنُ الذي أنا مِنْهُمُ　　وَكَفَى بِذاكَ عَلامَةً لحصادِي

وكان على بنُ مُوسى بن ماهانَ كثيراً ما يقول « رَبنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مُسلمين » وكان كثيراً ما يقول : ويل للظالمين من الله . وقال : ابنُ واسع : ألاتقاء على العمل أشد من العمل . وكان أبو وائل النهشلي يقول فى أول كلامه: ان الدهر لايذوق طعم الفراق ولا يذيقه أهله ، وانما ينغمسون فى ليل ويطفون فى نهار ، فيوشك شاهد الدنيا أن يغيب وغائب الآخرة أن يشهد . وقال : سأل رجل رجلا حاجة فقال له المسؤل : اذهب بسلام ! فقال له السائل : قد أنصفنا من ردنا الى الله . عن كثير بن الصلت أن حكيم بن حزام باع داره من معاوية بستين الف درهم ، فقيل له غبنك والله معاوية ! فقال والله ما أخذتها فى الجاهلية الا بزق من خمر، أشهدكم أنها فى سبيل الله ! فانظروا أينا المغبون ! ؟ قال سُفيانُ الثورى : ليس من ضلالة الا عليها زينة ، فلا تعرضن دينك لمن يبغضه اليك .

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز : من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل . وأتى مسلماً نصرانى يعزيه فقال له : مثلى لا يعزى مثلك ، ولكن أنظر الى ما زهد فيه الجاهل فارغب فيه . وكان الحسنُ بنُ زيد بن على بن الحسين بن على يلقب ذا الدمعة ، فاذا عوتب فى كثرة البكاء قال : وهل تركت النار والسهمان لى مضحكا ؟! يريد قتل زيد بن على أبيه ، ويحيى بن زيد أخيه . وقيل لشيخ من الأعراب : قمت مقاما خفنا عليك منه ! قال : ما الموت أخاف ، شيخ كبير ، ورب غفور ، ولا دين ولا بنات . قال أبو العتاهية :

وَكما تَبْلَى وُجُوهٌ فى الثَّرى　　فَكذا يَبْلَى عليهِنَّ الحزَنْ

وقال بشار :

كَيفَ يُبْكَى لِمُحْبَسٍ فى طُلولٍ　　مَن سَيُفْضِى لِحَبْسِ يَوْمٍ طَويلِ

إنَّ فى البَعْثِ وَالحسابِ لَشُغْلاً　　عَنْ وُقُوفٍ بِكل رَسْمٍ مَحيلِ

وقال محمود الوراق :

أَلَيْسَ عَجِيباً بِأَنَّ الفَتَى   يُصَابُ بِبَعْضِ الذى فى يديه
فَمِنْ بَيْنِ باكٍ له مُوجَعٍ   وَبَيْنَ مُعَزٍّ مُغِذٍ إليه
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شَرْخَ الشَّبابِ   فَلَيْسَ يُعَزِّيهِ خَلْقٌ عليه

وقال أيضاً :

بَكيتُ لِقُرْبِ الأَجَلْ   وَبُعْدِ فَوَاتِ الأَمَلْ
وَوَافِدِ شَيْبٍ طَرَا   بِعَقْبِ شَبابٍ رَحَلْ
شَبابٌ كَأَنْ لم يَكُنْ   وَشَيْبٌ كَأَنْ لم يَزَلْ
طَوَاكَ بَشيرُ البَقَا   وَحَلَّ بَشيرُ الأَجَلْ
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِباً   كَذَاكَ اخْتِلَافُ الدُّوَلْ

وقال محمودٌ أيضاً :

رأيتُ صَلاحَ المَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ   وَيُعْدِيهِمُ داءُ الفَسَادِ إذا فَسَدْ
يُعَظَّمُ فى الدُّنْيا بِفَضْلِ صَلاحِهِ   وَيُحْفَظُ بَعْدَ المَوْتِ فى الأَهْلِ والوَلَدْ

وقال الحسنُ بنُ هانىء :

أَيَّةُ نَارٍ قَدَحَ القَادِحُ   وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ المَازِحُ
للهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ   وَنَاصِحٍ لو حَظِيَ النَّاصِحُ
يَأْبَى الفَتَى إلَّا اتِّبَاعَ الهَوَى   وَمَنْهَجُ الحَقِّ له وَاضِحُ
فَاسْمُ بِعَيْنَيْكَ إلَى نِسْوَةٍ   مُهُورُهُنَّ العَمَلُ الصالِحُ (١)
لَا يَجْتَلِي العَذْرَاءَ مِنْ خِدْرِهَا   إلَّا امْرُؤٌ مِيزَانُهُ رَاجِحُ
مَنِ اتَّقَى اللهَ فَذَاكَ الذى   سِيقَ إلَيْهِ المَتْجَرُ الرَّابِحُ

وقال أيضاً :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ   وَامْضِ عَنْهُ بِسَلامِ

(١) النسوة ههنا يريد بهن الحور العين اللائى وعد الله بهن المؤمنين فى الجنة

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْـ ... جَمَ فَاهُ بِلِجَامِ
رُبَّمَا اسْتَفْتَحْتَ بِالْمَزْ ... حِ مَغَالِيقَ الْحِمَامِ (١)
رُبَّ لَفْظٍ سَاقَ آجَا ... لَ فِئَامٍ لِفِئَامِ (٢)
فَالْزَمِ الصَّمْتَ فَإِنَّ ... الصَّمْتَ أَبْقَى لِلْجَمَامِ (٣)
وَالْمَنَايَا آكِلَاتٌ ... شَارِبَاتٌ لِلْأَنَامِ
شِبْتَ يَاهَذَا وَمَا تَـ ... ـتْرُكُ أَخْلَاقَ الْغُلَامِ ؟

وقال أيضاً :

كُنْ مِنَ اللهِ يَكُنْ لَكْ ... وَاتَّقِ اللهَ لَعَلَّكْ (٤)
لَا تَكُنْ إِلَّا مُعَدًّا ... لِلْمَنَايَا فَكَأَنَّكْ
إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَهْمًا ... وَاقِعًا دُونَكَ أَوْ بِكْ
نَحْنُ نَجْرِي فِي أَفَانِيـ ... ـنَ سُكُونٌ وَتَحَرُّكْ
فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْ ... وَبِتَقْوَاهُ تَمَسَّكْ

وقال أيضاً :

يَا نُوَاسِيُّ تَفَكَّرْ ... وَتَعَزَّ وَتَصَبَّرْ
سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ ... وَلَمَا سَرَّكَ أَكْثَرْ
يَا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ اللهِ ... مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرْ

قال سَعيدُ بنُ رَبيعةَ بنِ مالكِ بن سعدِ بن زَيد مَناة بن تَميم :

أَلَا إِنَّمَا هٰذَا الْمَلَالُ الَّذِي تَرَى ... وَإِدْبَارُ جِسْمِي مِنْ رَدَى الْعَثَرَاتِ

(١) مغاليق الحمام : مفاتيح الموت
(٢) الفئام : الجماعات
(٣) الجمام : الراحة والسكون
(٤) لعلك تنجو

وَكَم مِنْ خَلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدْتُ بَعْدَهُ ... تَقَطَّعُ نَفْسِى بَعْدَهُ حَسَرَاتِ

وهذا من قديم الشعر . وقال الطِّرِماحُ فى هذا المعنى :

وَشَيَّبَنِى أَنْ لَا أَزَالَ مُنَاهِضاً ... بِغَيرِ قُوًى أَنْزُو بِهَا وَأَبُوعُ (١)

وَأَنَّ رِجَالَ المَالِ أَضْحَوْا وَمَالُهُمْ ... لَهُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ المُلُوكِ شَفِيعُ

أَمُخْتَرِمِى رَيْبُ المَنُونِ وَلَمْ أَنَلْ ... مِنَ المَالِ مَا أَعْصَى بِهِ وَأُطِيعُ (٢)

ومن قديم الشعر قول الحارث بن يزيد ، وهو جد الأُحيمر اللص السعدى :

لَا لَا أُعِقُّ وَلَا أُحُوبُ وَلَا أُغِيرُ عَلَى مُضَرْ (٣)

لٰكِنَّمَا أَغْزُو إِذَا ضَجَّ المَطِىُّ مِنَ الدَّبَرْ (٤)

وقال آدمُ بن عبد العزيز : (٥)

وَإِنْ قَالَتْ رِجَالٌ قَدْ تَوَلَّى ... زَمَانُكُمُ وَذَا زَمَنٌ جَدِيد

فَمَا ذَهَبَ الزَّمَانُ لَنَا بِمَجْدٍ ... وَلَا حَسَبٍ إِذَا ذُكِرَ الْجُدُودُ

وَمَا كُنَّا لِنَخْلُدَ إِذْ مَلَكْنَا ... وَأَىُّ النَّاسِ دَامَ لَهُ الْخُلُودُ ؟

وقيل لأخيه بعد أن رأوه حمالا : لقد حطك الزمان وعضك الحدثان ؟ فقال : ما فَقَدْنا مِنْ عيشنا إلا الفضول . وقال عروةُ بنُ أُذينةَ الكنانىُّ : (٦)

نُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا ... وَيُحْزِنُنَا بُكَاءُ الْبَاكِيَاتِ

كَرَوْعَةِ ثُلَّةٍ لِمُغَارِ ذِئْبٍ ... فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ (٧)

(١) مناهضا : مقاوما ومدافعا ، انزو : اثب . ابوع : انساب فى مشى

(٢) امخترمي : هل آخذى وفاتك بي

(٣) أعق : ارمى بسهمي نحو السماء ، وكان ذلك عندهم علامة الصلح بين الحيين المتباغضين . احوب : تاخذنى رأفه او رحمة .

(٤) ضج من الدبر : رغا من القروح . والمطى النوق

(٥) هو آدم بن عبد العزيز الاموى ، وهو احد من من عليهم ابو العباس السفاح من بنى امية . وكان آدم شاعرا ماجنا خليعا منهمكا فى الشراب ، ثم نسك وصلح ومات على طريقة محمودة . وكان المهدى يدنيه ويحبه ويقربه لظرفه وخفة روحه

(٦) كان شاعرا غزلا مقدما من شعراء المدينة . وكان مع هذا من أفاضل الفقهاء والمحدثين . وروى عنه مالك بن انس الحديث

(٧) الثلة : القطيع من الغنم . المغار : الاغارة والسطو

وقالت خنساء بنتُ عمرو : (١)

تَرْتَعُ ما غفلَتْ حتّى إذا ادّكرتْ　　فإنّما هِيَ إقبالٌ وإدْبارُ

وقال أبو النجم :

فلو ترى التّيُوسَ مُضْجَعاتِ　　عرفتَ أنْ لسْنَ بسالماتِ
أقولُ إذ جئْنَ مُذبّحاتِ　　ألمْ تكُنْ مِنْ قبلُ راتعاتِ
ما أقربَ الموْتِ مِنَ الحياةِ !

وقال سليمانُ بنُ الوليد : (٢)

رُبَّ مغرُوسٍ يُعاشُ بهِ　　عدِمتهُ كفُّ مُغْترِسهْ
وكذاك الدّهْرُ مأْتمُهُ　　أقربُ الأشياءِ مِنْ عُرُسِهْ

وقال آخر :

يا راقدَ الليْلِ مسْرُوراً بأوّلِهِ　　إنّ الحوادثَ قدْ يطرُقْنَ أسحارا

وقالت امرأة فى بعض الملوك : (٣)

أبكيكَ لا للنّعيمِ والأنسِ　　بلْ للمعالِي والرُّمْحِ والفرسِ
أبكي علَى فارسٍ فُجِعْتُ بهِ　　أرملَنِى قبلَ ليلةِ العُرُسِ

أخلاط من شعر وأحاديث ونوادر

قال هُبيْرةُ بنُ وهْبٍ المخزوميُّ :

وإنّ مقالَ المرْءِ فى غيرِ كُنْهِهِ　　لَكالنّبْلِ تهْوِى ليْسَ فيها نِصالُها

وقال الرّاجز :

والقوْلُ لا تملِكُهُ إذا نمى　　كالسّهْمِ لا يرْجِعُهُ رامٍ رمى

(١) مضت ترجمتها فى ص ٢٠٩ من الجزء الثاني
(٢) هو اخو مسلم بن الوليد الشاعر
(٣) بعض الملوك : هو الامين بن الرشيد

وإلى هذا ذهب عامرُ الشَّعبيُّ حيث يقول : وإنك على إيقاع مالم توقع أقدر منك على رد ماقد أوقعت . وأنشد :

فَدَاوَيْتُهُ بِالحِلْمِ وَالمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَادَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ

وقال الأنصارى :

وَبعْضُ القَوْلِ لَيْسَ لَهُ خَصَاةٌ كَمَخْضِ المَاءِ لَيْسَ لَهُ إِنَاءُ (١)

وَبعْضُ خَلَائِقِ الأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

وقال الآخر :

وَمَوْلَى كَدَاءِ البَطْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَحِلْمٌ وَأَمَّا غَيْبُهُ فَظُنُونُ

وقال آخر :

تَقَسَّمَ أَوْلَادُ المُلِمَّةِ مَغْنَمِى جِهَاراً وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ (٢)

وقال الثَّلبُ وَهُنَّ شَرٌّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إذا كَتَبَ أحدُكم فليُتَرِّبْ كتابهُ فانَّ التراب مُبارك » وقال : هو أنجح للحاجة . وذكر الله عز وجل آدم الذى هو أصل البشر فقال « إنَّ مثلَ عيسى عِندَ اللهِ كمَثل آدم خَلَقَهُ من تُراب » ولذلك كنى النبى صلى الله عليه وسلم عليا : أبا تراب (٣) . قالوا : وكانت أحب الكنى إليه . وقال الآخر :

وَإِنْ جِئْتَ الأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ الرَّحِيمِ

وَأَمَّا بَعْدَ ذَاكَ فَلِي غَرِيمٌ مِنَ الأَعْرَابِ قُبِّحَ مِنْ غَرِيمِ

لَهُ أَلْفٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أَلْفٍ وَنِصْفُ النِّصْفِ مِنْ صَكٍّ قَدِيمِ

دَرَاهِمُ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِى تَمِيمِ

---

(١) الخصاة : العقل والرأى

(٢) المرأة الملمة : التى يجتمع إليها الرجال . يصفهم بانهم اولاد زنا

(٣) إنما كناه بأبى تراب لانه وجده يوما نائما وعليه تراب فنفضه عنه وقال له قم يا ابا تراب ، وكان هذا من باب المزح والتعطف والتحبب

وقال الكميت :

حَلَفْتُ بِرَبِّ الناسِ يا أُمَّ خالدٍ　　بِأُمِّكِ إذْ أصواتُنا الْهَلُ وَالْهَبُ
ولا خالدٌ يستطعمُ الماءَ قائماً　　بِعَذْبِكِ وَالداعي إلى الموتِ ينعبُ (١)

وقال ابنُ نوفل : (٢)

تقولُ لِما أصابكَ أطعِموني　　شراباً ثمَّ بُلْتَ على السريرِ
لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشيخٍ　　كبيرِ السنِّ ذي بَصَرٍ ضريرِ

وقال ابنُ هرمة :

تراهُ إذا ما أبصرَ الضيفَ كلبُهُ　　يُكلمهُ مِنْ حُبهِ وهوَ أعجمُ

وقال المهلّبُ : عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه ؟

وقال الشاعر :

رُزِقْتُ لُبّاً ولمْ أُرزقْ مروءتَهُ　　وما المروءةُ إلا كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مساماةً تقاعدَني　　عمّا يُنوّهُ باسمي رقّةُ الحالِ (٣)

وقال الاحنف :

فلو مُدَّ سَرْوي بمالٍ كثيرٍ　　لَجُدْتُ وكنتُ لهُ باذلا (٤)
فإنَّ المروءةَ لا تُستطاعُ　　إذا لم يكنْ مالُها فاضلا

وقال جريرُ بنُ يزيد (٥)

خيرٌ مِنَ البخلِ لِلفتى عُدْمُهُ　　ومِنْ بنينَ أعِقّةٍ عُقْمُهُ

---

(١) خالد : هو خالد بن عبد الله القسري

(٢) هو يحيى بن نوفل

(٣) المساماة : الرفعة . رقة الحال : كناية عن الفقر

(٤) السرو : المروءة والشرف والذكر الجميل

(٥) هو جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري . كان سريا نبيلا وكان من عمال ابي جعفر المنصور . وكان خطيبا بينا وربما قال الشعر

قال : ومشى رجال من بنى تميم إلى عتاب بن ورقاء[١] ومحمد بن عمير[٢] فى عَشْرِ ديات ، فقال مُحمد بن عُمير : علىّ دية : فقال عتَّابٌ : على الباقية ! فقال محمد : نعم العون على المروءة المال . وقال آخر :

وَلاخَيْرَ فِى وَصْلٍ إِذالَمْ يَكُنْ لهُ ... عَلَى طُولِ مَرِّ الحَادِثَاتِ بَقاء

وقال الآخر :

شِفَاءُ الحُبِّ تقْبيلٌ وَشَمٌّ ... وَضَمٌّ بِالْبطُونِ عَلَى البطُونِ

وأنشد [لامرأة من بنات العرب]

وَاللهِ لا أَرْضَى بِطُولِ ضَمِّ ... ولا بِتَقْبِيلٍ وَلا بِشَمِّ

إلاَّ بِهَزْهَازٍ يُسَلِّى هَمِّى ... يَسْقُطُ مِنهُ فَتَخِى فى كُمِّى[٣]

لِمِثْلِ هَذا وَلَدَتْنِى أُمِّى

وقال آخر :

لايَنْفَعُ الْجَارِيَةَ الْخِضابُ ... وَلا الْوِشاحانِ وَلا الْجِلْبابُ

مِنْ دُونِ أَنْ تَصْطَفِقَ الْأَرْكابُ ... وَتَلْتَقِى الْأَسْبابُ وَالْأَسْبابُ

وَيَخْرُجَ الزُّبُّ لَهُ لُعابُ

وقال آخر :

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فِى كلِّ عامٍ ... مُوَافَقَةً عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

سَلاماً خالِياً مِنْ كلِّ شَىْءٍ ... يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ على الصَّدِيقِ

وقال الآخر :

وَزَعَمْتَ أَنِّى قَدْ كَذَبْتُكَ مَرَّةً ... بَعْضَ الحَدِيثِ فَماصَدَقْتُكَ أَكْثَرُ

---

(١) مضت ترجمته فى ص ١٨٥ من الجزء الثانى

(٢) مضت ترجمته فى ص ١٧٣ من الجزء الثانى

(٣) الفتخ ، خاتم لا فص له ويكون لنساء العرب

وقال الآخر :

أَهِينوا مَطَايَاكم فإنِّي وجدتُهُ يهونُ على البِرْذونِ موتُ الفتى النَّدْبِ

وقال الآخر :

لا يحفِلُ البِرْذَوْنُ مَنْ يُبْلِي حَوَاشيَهُ ولا تُبالِي على مَنْ رَاحتِ الإبِلُ

وقال الآخر :

ألا لا يُبالِي البِرْذَوْنُ مَنْ جَرَّ فَضْلَهُ كما لا تُبالِي مُهْرَةٌ مَنْ يَقودُها

وقال الآخر :

وإنِّي لأَرْثِي لِلْكَرِيمِ إذا غدَا على حاجةٍ عِنْدَ اللَّئِيمِ يُطَالِبُهْ

وأَرْثِي لهُ مِنْ مَجْلِسٍ عِنْدَ بابِهِ كَمَرْثِيَتِي لِلطِّرْفِ والعِلْجُ رَاكِبُهْ (٢)

وقال الفرزدق :

أترجو رَبيعٌ أنْ يجيءَ صِغارُها بخيرٍ وقدْ أعيا رَبيعاً كِبارُها

وقال الشاعر :

ألمْ ترَ أنَّ سَيْرَ الخيرِ رَيْثٌ وأنَّ الشرَّ رَاكِبُهُ يَطِيرُ

وقال ابن يسير :

تأتِي المكارهُ حينَ تأتي جُمْلَةً وترَى السُّرُورَ يجيءُ في الفلتاتِ

عيوب تمنع من السؤدد

قيل لبلال بن أبي بُرْدة : لم لا توالى أبا العجوز بن أبي شيخ العراق ؟ — وكان بلال مسترضعاً فيهم ، وهو من بلهُجيم — قال : لأني رأيت منه ثلاثا : رأيته يحتجم فى بيوت أخواته ، ورأيت عليه مظلة وهو فى الظل ، ورأيته يبادر بيض البقيلة .

(١) الفتى الندب : الناهض في الحاجات النجيب الظريف

(٢) الطرف : الفرس الكريم . والعلج : الرجل الاعجمى

وكان عندى شيخ عظيم البدن جهير الصوت يستقصى الإعراب وقد ولده رجل من أهل الشورى ، وكان بقربى عبد أسود دقيق العظم دميم الوجه ، وراّنى أكبره ، فقال لى حين نهض ورأى عظما : يا أبا عثمان ، لا والله أن يساوى ذلك العظم البالى ! بصرت عينى به فى الحمام وتناول قطعة من فخار فأعطاها رجلا وقال له : حك بها ظهرى ! أفتظن هذا يا أبا عثمان يفلح أبداً ! ؟

قال أبو الحسن : سأل الحجاج غلاما فقال له : غلام من أنت ؟ قال : غلام سيد قيس . قال : ومن ذاك ؟ قال : زُرارة بن أوفى . قال : كيف يكون سيد قيس وفى داره التى ينزلها سُكان ..؟[1] قال : وقال رجل لابنه : إذا أردت أن تعرف عيبك فخاصم شيخاً من قدماء جيرانك ! قال : يا أبت ، لو كنت إذا خاصمت جارى لم يعرف عيبى غيرى كان ذلك رأيا ، ولكن جارى لا يعرفنى عيبى حتى يعرفه عدوى . ! وقد أخطأ الذى وضع هذا الحديث لأن أباه نهاه ولم يأمره . وقال الآخر :

اِصْطَنِعْنِى وَأَقِلْنِى عَثْرَتى ... إنها قدْ وَقعتْ مِنّى بِقَرْ[2]

وَاعْلَمَنْ أنْ لَيْسَ أَلْفَادِرُهَمٍ ... لِمَدِيحى وَهِجائِى بِخَطَرْ

يذْهَبُ المالُ وَيَبْقَى المَنْطِقُ ... شائِعاً يأْثُرُهُ أَهْلُ الخبَرْ[3]

ثمَّ أَرْمِيكُمْ بِوَجْهٍ بارِزٍ ... لَسْتُ أَمْشِى لِعَدُوِّى بِخَمَرْ[4]

وقال أشهب بن رميله ، يوم صِفِّين: إلى أين يا بنى تميم ؟ قد ذهب الناس ! أتفرون وتعذرون ؟ . قال : ونهض الحارث بن حوْط الليثى إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو على المنبر فقال : أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على ضلال ؟ قال : ياحار ، إنه ملبوس عليك ، إن الحق لايعرف بالرجال ، فاعرف الحق

---

(١) السكان : دفة السفينة ، يريد انه ملاح

(٢) وقعت بقر : اصابت موضعها

(٣) يأثره : ينقله

(٤) بخمر مستترا

الحق تعرف أهله . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لا أدركت أنا وأنت زمانا يتغايرون فيه على العلم كما يتغايرون على الأزواج .

قال : وبعث قَسامة بن زهير العنبري إلى أهله بثلاثين شاة وَنِحى صغير فيه سمن فسرق الرسول شاة وأخذ من رأس النّحى شيأ من السمن ، فقال لهم الرسول: ألكم إليه حاجة أخبره بها ؟ فقالت له امرأته : أخبره أن الشهر محاق وأن جدينا الذى كان يطالعنا وجدناه مرثوما.(١) فاسترجع منه الشاة والسمن .

قال سليمان بن على لرؤبة : ما بقى من باهك يا أبا الجحاف ؟ قال : يمتد ولا يشتد ، وأستعين بيدى ثم لا أورد ، وأطيل الظمأ ثم أقصر ! قال : ذلك الكبرُ ! قال : لا ، ولكنه طول الرُّغات (٢) . قيل لاعرابى : أى الدواب آكل ؟ قال : بِرذَونة رَغُوث . وقيل لغيره : لم صارت اللبؤة أنزق وعلى اللحم أحرص ؟ قال : هى الرغوث . قل : وقال عبدالله بن عمر : إتقوا من تُبغضه قلوبكم . وقال اسماعيل ابن غَزوان : لا تنفق درهما حتى تراه ولا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه ، فالصابر هو الذى يشكر والجازع هو الذى يكفر .

عامر بن يحيى بن أبى كثير قال : لا تشهد لمن لا تعرف ولا تشهد على من لا تعرف ولا تشهد بما لا تعرف .

عن سعيد بن المسيب قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « رَأسُ العقلِ بعدَ الايمانِ باللهِ التودُّد إلى الناسِ » . وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لا سمر إلا لثلاثة : مسافر ومصل وعروس .

فريسه أفصح العرب

وقال معاوية يوماً : من أفصح الناس ؟ فقال قائل . قوم ارتفعوا عن لخلخانية

(١) مرثوما : مكسور الانف ، كناية عن ان النحى اخذ السمن من فيه

(٢) طول الرغات : الاسراف فى النكاح

الفرات[١] وتيامنوا عن كشكشة تميم[٢] وتياسروا عن كسكسة بكر[٣] ليست لهم غمغمة قضاعه[٤] ولا طمطانية حمير[٥] قال: من هم؟ قال: قريش. قال: ممن أنت؟ قال: من جرم. وقال الراجز:

إنَّ تميماً أُعطِيَتْ تمامَا ... وأُعطِيتْ مآثِرًا عِظامَا
وعدداً وحسباً قمقامَا ... وبَاذِخاً مِن عِزِّها قُدامَا[٦]
في الدَّهرِ أعيا النَّاسَ أنْ يُرامَا ... إذا رأيتَ مِنْهُمُ الأجسامَا
والدَّلَّ والشِّيمةَ والكلامَا ... وأذرُعًا وقصرًا وهامَا[٧]
عرفتَ أنْ لم يُخلقوا طغامَا ... ولم يكُنْ أبوهُمُ مِسقامَا[٨]
لم تَرَ فِيمن يأكُلُ الطَّعامَا ... أقلَّ مِنهُمْ سقطًا وذامَا

تقول العرب: لو لم يكن فى الإبل إلا أنها رقوء الدم[٩]. قال جندل بن صخر، وكان عبداً مملوكا:

وما فكَّ رقِّي ذاتُ دلٍّ خَبَرْنَجٍ ... ولا شَانَ مالِي صَدْقَةٌ وعُقولُ[١٠]
ولكنْ نَمَاني كُلُّ أبيضَ خِضْرِمٍ ... فأصبحتُ أدرِي اليومَ كيفَ أقُولُ

---

(١) اللخلخانية: لهجة تعرض فى السنة اعراب الشحر وعمان باليمن، كقولهم: مشا الله، يريدون: ما شاء الله، والظاهر ان قوما منهم نزلوا بشط الفرات بعد الاسلام

(٢) الكشكشة: لهجة كانت تعرض فى السنة بنى تميم، كقولهم فى خطاب المؤنث: ما الذى جاء بش! يريدون: بك

(٣) الكسكسة: لهجة كانت تعرض فى السنة بنى بكر بن وائل، كقولهم: اكرمتكس وبكس، يريدون: اكرمتك وبك

(٤) الغمغمة: الكلام الذى لا يبين.

(٥) الطمطمانية: لهجة تعرض فى السنة حمير، كقولهم: طاب امهواء، يريدون: طاب الهواء

(٦) حسبا قمقاما: ضخما عظيما

(٧) القصر: الاعناق الغلاظ

(٨) الطغام: الاوغاد

(٩) رقوء الدم: يعنى انها تدفع فى دم المقتول فتمنع دم القاتل

(١٠) الخبرنج: المرأة الناعمة

وقال الفقيمي ، وهو قاتل غالب أبي الفرزدق :[١]

وَمَا كُنْتُ نَوَّامًا وَلَكِنَّ ثَائِراً ... أَنَاخَ قَلِيلاً فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلِ
وَقَدْ كُنْتُ مَخْزُونَ اللِّسَانِ وَمُفْحَماً ... (فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ)

وقال المغيرة بن شعبة : من دخل في حاجة رجل فقد ضمنها . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : لكل شيء شرف وشرف المعروف تعجيله . وقال رجل لابراهيم النخعي : أعد الرجل الميعاد ، قال: إلى متى؟ قال : إلى وقت الصلاة . قال : وقال لى بعض القرشيين : من خاف الكذب أقل من المواعيد . وقال : أمران لايسلمان من الكذب : كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . قل إبراهيم النظام : قلت «لخنجير كور» ممرور الزياديين : أقعد ههنا حتى أرجع إليك ! قال : أما حتى ترجع فانى لا أصبر لك ولكن أقعد لك إلى الليل !

رسالة ابن سيابة[٢] الى يحيى بن خالد بن البرمكى

وبلغنى أن عامة أهل بغداد يحفظونها فى تلك الأيام وهى كما ترى ، وأولها : للأصيد الجواد الوارى الزند الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل الأشم البازل

(١) الصحيح ان غالب بن صعصعة ابا الفرزدق مات ولم يقتل وكانت وفاته في اوائل عهد معاوية ودفن بكاظمة .

(٢) هو ابراهيم بن سيابة مولى بنى هاشم ، كان شاعرا من متوسطى شعراء وقته غيرنابه ولاشريف الشعر وإنما اختص بمودته ومدائحه ابراهيم الموصلي وابنه اسحق فكانا يتغنيان بشعره ويشيدان بذكره ويذكرانه للوزراء والخلفاء ويسببان له بذلك النفع والعطاء الجزيل ، وكان مع هذا ماجنا خليعا طيب النادرة . عوتب يوما على مجونه وعبثه فقال : ويلكم لان القى الله تعالى بذل المعاصي فيرحمنى احب إلى من ان القاه اتبختر دلالا بحسناتى فيمقتنى . وكتب يوما إلى صديق له يقترض منه شيئا ، فكتب اليه يعتذر له ويحلف انه ليس عنده ما سأله ، فكتب إليه : إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وإن كنت ملوما فجعلك الله معذورا . واحب جارية سوداء فليم عليها وعوتب فقال :

يكون الخال فى وجه قبيح ... فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام معشوق على من ... يراها كلها فى العين خالا

ومن قوله :

أعياني الشادن الربيب ... أكتب أشكو فلا يجيب
من أين ألقى شفاء ما بى ... وإنما دائى الطبيب
يارب فرج إذاً وعجل ... فانك السامع المجيب

اللباب الحلاحل ، من المستكين المستجير البائس الضرير : فانى أحمد الله ذا العزة القدير إليك وإلى الصغير والكبير ، بالرحمة العامة والبركة التامة ، أما بعد فاغنم واسلم واعلم إن كنت تعلم أنه من يَرحم يُرحم ومن يَحرم يُحرم ومن يُحسن يَغنم ومن يصنع المعروف لا يعدم ، وقد سبق إلى تغضبك على واطراحك لى وغفلتك عنى بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أنتبه ولا أرقد ، فلست بحى صحيح ولا بميت مستريح ، فررت بعد الله منك إليك وتحملت بك عليك ، ولذلك قلت :

أسرَعَتْ بى حَثًّا إليكَ خُطائى فأناخَتْ بمَذْهَبٍ ذِى رجاءِ
رَاغِبٌ رَاهِبٌ إليكَ يُرَجِّى مِنْكَ عفوًا عنهُ وَفضلَ عطاءِ
وَلعمْرِى مَا مَنْ أصَرَّ ومنْ تا بَ مُقرًّا من ذنبِهِ بسواءِ

فان رأيت ، أراك الله ما تحب وأبقاك فى خير ، أن لا تزهد فيما ترى من تضرعى وتخشعى وتذللى وتخضعى [1] فان ذلك ليس منى بنحيزة ولا طبيعة ، ولا على وجه تصنع ولا تخدع ، ولكنه تذلل وتخشع وتضرع من غير ضارع ولا مهين ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك إلا لمن التضرع له عز ورفعة وشرف .

***

محمد بن حرب الهلالى قال : دخل زفر بن الحارث [2] على عبد الملك بعد الصلح فقال : ما بقى من حبك للضحاك [3] ؟ فقال : مالا ينفعنى ولا يضرك . قال : شد ما أحببتموه معاشر قيس ! قال : أحببناه ولم نواسه ولو كنا آسيناه لقد كنا أدركنا ما فاتنا منه ! قال : فما منعك من مواساته يوم المرج [4] ؟ قال : الذى منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار [5] . قال الشاعر :

(١) فى الأصل وتضعق ، وليست بشىء والجيد ما اثبتناه

(٢) هو زفر بن الحارث الكلابى . كان سيد قومه وقائدهم ، وكان شجاعا باسلا وبطلا مغوارا وخطيبا بليغا .

(٣) هو الضحاك بن قيس الفهرى . مضت ترجمته فى ص ٢٩٢ من الجزء الاول

(٤) هو يوم مرج راهط الذى التقى فيه مروان بن الحكم فى جيشه بالضحاك بن قيس فى جموعه وكان النصر فيه لمروان ، ويوم ذاك قام أساس الدولة المروانية على أقوى الدعائم

(٥) هو يوم الدار الذى وثب فيه بعض الناس وتسوروا على عثمان بن عفان داره وقتلوه ، وكان فاتحة ما أصاب الاسلام فى جوائح ونكبات

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنْ الأنَامِ قَوْمِهِ   عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وَكُشَّحُ

قالوا : وقال سليمان بن سعد : لو صحبني رجل فقال اشترط على خصلة واحدة ولا تزد عليها لقلت : لا تكذبني . قال : وكان يقال أربع خصال يسود بها المرء : العلم والأدب والعفة والأمانة . وقال الشاعر :

لَئِنْ طِبْتَ نَفْساً عَنْ ثَنَائِي فَإِنَّنِي   لأَطْيَبُ نَفْساً عَنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
فَلَسْتُ إِلَى جَدْوَاكَ أَعْظَمُ حَاجَةً   عَلَى شِدَّةِ الإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

وقال الآخر :

أَإِنْ سُمْتَنِي ذُلاًّ فَعِفْتُ حِيَاضَهُ   سَخِطْتَ ؟ وَمَنْ يَأْبَ الْمَذَلَّةَ يُعْذَرِ
فَهَلْ أَنَا مُسْتَرْضِيكَ لَا مِنْ جِنَايَةٍ   جَنَيْتُ وَلَكِنْ مِنْ تَجَنِّيكَ فَاغْفِرِ

وقال إياس بن قتادة :

وَإِنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطَعْتَهُ   دَعَاكَ إِلَى نَارٍ يَفُورُ سَعِيرُهَا

وقال الآخر :

عَزَمْتُ عَلَى اقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ   لأَمْرٍ مَّا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

وقال الهذلي :

وَإِنَّ سِيَادَةَ الأَقْوَامِ فَاعْلَمْ   لَهَا صُعَدَاءُ مَطْلَبُهَا طَوِيلُ

وقال حارثة بن بدر : (١)

إِذَا الْهَمُّ أَمْسَى وَهْوَ دَاءٌ فَأَمْضِهِ   وَلَسْتَ بِمُمْضِيهِ وَأَنْتَ تُعَازِلُهْ
وَلَا تُنْزِلَنْ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِامْرِئٍ   إِذَا رَامَ أَمْراً عَوَّقَتْهُ عَوَاذِلُهْ
وَقُلْ لِلْفُؤَادِ انْ نَزَا بِكَ نَزْوَةً   مِنَ الرَّوْعِ أَفْرِخْ أَكْثَرُ الرَّوْعِ بَاطِلُهْ (٢)

وقال الآخر :

وَإِنَّ بِقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لَفَاقَةً   الَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدِ

(١) مضت ترجمته في ص ١٥٢ من الجزء الاول
(٢) الروع : الفزع . افرخ : إهدأ واطمئن

وقال آخر :

وَما سُدْتَ فِيهم أنَّ فَضْلَكَ عَمَّهم وَلَكِنَّ هذا الحظَّ فى الناسِ يُقْسَمُ

وقال حارثة بن بدر :

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِى بِالسُّؤْدُدِ

الفضل بن تميم قال : قال المغيرة : من لم يغضب لم يعرف حلمه . وقال الشاعر :

وَما بالُ ضَبْعٍ ظَلَّ يَطْلُبُ ذَائِبًا فَرِيسَتَهُ بينَ الأُسُودِ الضَّراغِمِ

وقال الآخر :

ذَكَرْتُ بِها عَهْدًا على الهجرِ وَالقِلَى وَلا بُدَّ لِلْمُشْتاقِ ان يتذَكَّرا

وقال الآخر :

اذا ما شَفَيتُ النفسَ أبلغتُ عُذْرَها وَلاَ لَوْمَ فى أمْرٍ اذا بَلَغَ العُذْرُ

وقال الآخر :

لعَمْرُكَ ما الشَّكْوَى بأمْرٍ حَزَامَةٍ وَلابُدَّ مِن شَكْوَى اذا لم يَكُنْ صَبْرُ

وقال الآخر :

لَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ عَيشُ الدَّهْرِ الماءُ والنَّوْمُ وأُمُّ عَمْرِو

لَمَّا خَشِيتُ مِنْ مَضِيقِ الْقَبْرِ

وقال لَقيط بن زُرارة : (١)

شَتَّانَ هذا وَالعِنَاقُ وَالنومْ وَالمَشْرَبُ البارِدُ فى ظِلِّ الدَّوْمْ

وقال والبة [بن الحباب] : (٢)

مَا العيشُ إلاَّ فى المدامِ وَفى اللِّثامِ وَالقُبَلْ (٣)

وَإِرَادَةِ الظَّبْىِ الغَرِيرُ تَسُومُه مَا لا يَحِلْ

وقال شيخ من أهل المدينة : ما كنت أريد أن أجلس إلى قوم إلا وفيهم

(١) مضت ترجمته فى ص ١٣٧ من الجزء الاول

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٩ من هذا الجزء

(٣) كنى باللثام عن المراة

من يحدث عن الحسن وينشد للفرزدق . وقال أبو المجيب [١] : لا ترى امرأة مصبرة العين ولا امرأة عليها طاق يمنة ولا شريفا يهنأ بعيرا . وقال أبو براح : ذهب الفتيان فما ترى فتى في مفرق الشعر بالدهن معلقا نعله ، ولا ديكين في خطار [٢] ولا صديقا له صديق إن قمر ضغا وإن عوقب جزع وإن خلا بصديق فتى خنثه وإن طال حبسه ضجر ولا ترى فتى يحسن أن يمشى في قيده ولا يخاطب أميره . قال أبو الحسن : قال أبو عباية : ترى زقاق براقش وبساتين هزار مرد ما كان يسلكه غلام إلا بخفير ، وهم اليوم يخترقونه ! قلت : هذا من صلاح الفتيان ! قال : لا ، ولكن من فسادهم ! اليقطرى قال : قيل لطفيل العرائس : [٣] كم اثنان في اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة . وقال رجل لرجل : إنتظرتك على الباب بقدر ما يأكل إنسان جردقتين .

عبد الله بن مصعب قال : أرسل على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال : إئت الزبير ولا تأت طلحة ، فان الزبير ألين ، وإنك تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه يركب الصعوبة [٤] ويقول هي أسهل ، فاقرأ عليه السلام وقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فما عدا مما بدا ! ؟ [٥] قال : فأتيت الزبير فقال : مرحبا يا بن لبابة ، أزائرا جئت أم سفيرا ؟ قلت : كل ذلك ! وأبلغته ما قال على فقال الزبير : أبلغه السلام وقل : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأم مبرورة [٦]

---

(١) مضت ترجمته في ص ١٢٦ من الجزء الثاني

(٢) في خطار : في مراهنة

(٣) هو طفيل بن زلال الغطفاني الكوفي . كان يأتي الولائم من غير دعوة فسمى طفيل العرائس وطفيل الاعراس ، وقد نسب إليه كل طفيلي في الدنيا

(٤) عاقصا قرنه : يعني متغطرسا متجبرا . يركب الصعوبة ويقول هي اسهل . والذي في النهج : يركب الصعب ويقول هو الذلول

(٥) كان بالأصول : فما غدا مما بدالك . والتصويب عن النهج ، قال الشريف الرضي : هو اول من سمعت منه هذه الكلمة ، اعني فما عدا مما بدا . والمعنى : ما الذي صرفك عما كان بدا وظهر منك

(٦) عهد خليفة : يعني العهد الذي قطعه عمر على اهل الشورى وإقرار من يقع عليه اختيارهم

ومشاورة العشيرة ونشرُ المصاحف ، فنحل ما أحلت ونحرم ما حرمت . فلما كان من الغد حرش بين الناس بنوغاؤهم فقال الزبير : ما كنت أرى أن مثل ما جئنا يكون فيه قتال . ؟ قال : ومن جيد الشعر قول جرير .

لَئِنْ عُمِّرَتْ تَيْمٌ زَمَاناً بِغِرَّةٍ لَقَدْ حُدِيَتْ تَيْمٌ حُدَاءً عَصَبْصَبا (١)

فَلا يَضْغَمَنَّ اللَّيْثُ تَيْماً بِغِرَّةٍ وَتَيْمٌ يَشُمُّونَ الفَرِيسَ المُنَيَّبا (٢)

وقال الاعرابي . كحلني بالميل الذي تكحل به العيون الداءة . وقال ابن أحمر :

بِمَجْلٍ مِن قَساً ذَفِرِ الخُزامى تَهادَى الجِرْبِياءُ بِهِ الحَنِينا (٣)

بِها تَتَزَخَّرُ القَلَعُ السَّوارِي وَجِنَّ الخازِبازُ بِهِ جُنونا (٤)

تَكادُ الشَّمسُ تَخشَعُ حِينَ تَبْدُوا لَهُنَّ وَمَا نَزَانَ وَمَا عَسِينا (٥)

وقال الحكم الخضْرى .

كوم تظاهرَ نيها وتربعتْ بَقلاً بِعَيْهَمَ والحِمى مجنونا

والمجنون المصروع ، ومجنون بني عامر (٦) ومجنون بني جعدة ، واذا فخر النبات قيل : قد جن . قال الشنفرى : (٧)

في الخلافة . ودم خليفة : هو عثمان بن عفان الذي وقع اختيار اهل الشورى عليه . واجتماع ثلاثة : يريد بهم نفسه وطلحة وعلى . وام مبرورة : يريد بها عائشة ام المؤمنين . وكانوا غرروا بها لخرجت في طلب دم عثمان وكان يوم الجمل

(١) في الديوان : لئن سكنت تيم . الحداء العصبصب : السوق العنيف

(٢) يضغمن : يعضن : الفريس المنيب : المصاب بنيوب الأسد

(٣) المجل : المطمئن من الارض. قسا : مكان بالعالية من نجد . ذفر : شديد الريح . الخزامى : خيري البر . الجربياء : الريح تهب بين الجنوب والصبا

(٤) تتزخر القلع السوارى : تجتمع السحب . الخازباز : الذباب يكون في الرياض

(٥) وما عسينا : يريد وما كدن يزان

(٦) مضت ترجمته في ص ٢١ من الجزء الثاني

(٧) الشنفرى : هو ذلك الرجل الذي يضرب به المثل في العدو فيقال : أعدى من الشنفرى وهو من الازد وكان من شياطين العرب وفتاكهم ومن أصحاب الغارات فيهم ، وكان شاعرا فحلا ، قال أبو بكر بن دريد : إن القصيدة المنسوبة إليه التي أولها :

اقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني إلى قوم سواكم لأميل

هي لخلف الاحمر . قال : وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول . قلت : هذا عجيب

وَجَلَّتْ وَدَقّت وَاسْبَكَرَّتْ وَأُنضرتْ ... فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ (١)

قال: وسمع الحجاج امرأة من خلف حائط تناغى طفلا فقال: مجنونة أو أم صبى!

وقال أبو ثمامة بن عازب: (٢)

وَكلهمْ قَدْ ذَاقَنَا فَكأنَّمَا ... يَرَوْنَ عَلَيْنَا جِلْدَ أَجْرَبَ هَائِلِ

وقال التغلبي.

يَرَى النَّاسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِخٍ ... وَفَرْوَةَ ضِرْغَامٍ مِنَ الأُسْدِ ضَيْغَمِ (٣)

وأنشد الأصمعي.

مُنْهَرِتُ الشِّدْقَيْنِ عَوْدٌ قَدْ كَمَلْ ... كَأَنَّمَا قُمِّصَ مِنْ لَيْطِ جُعَلْ (٤)

وقال نُصَيْبٌ (٥) لعمر بن عبد العزيز. إن لى بُنية ذررت عليها من سوادى!

وقال عبد الملك للوليد: لا تعزل أخاك عبد الله عن مصر، وأنظر عمك محمد بن مروان فأقره على الجزيرة، وأما الحجاج فأنت أحوج إليه منه إليك، وانظر على ابن عبد الله (٦) فاستوص به خيراً. فضرب عليا بالسياط وعزل أخاه وعمه.

وقال أبو نُخيلة.

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ وَتَوَسَّطْتُ الْعَجَمْ ... فَأَنَا فِيمَا شِئْتُ مِنْ خَالٍ وَعَمْ

وأنشد

هُمْ وُسَطٌ يَرْضَى الإِلهُ بِحُكْمِهِمْ ... إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِى بِمُعْظَمِ

من ابن دريد! إذا كان مايقوله حقا فلماذا عرض لشرحها وعنى بها عناية فائقة؟ وهو فى شرحه لها يصمم على أنها للشنفرى؟

(١) هذا البيت من قصيدة جيدة رواها له المفضل الضبى فى مفضلياته وتراها هناك مشروحة بقلمنا. ورواية البيت فيها هكذا:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت ... فلو جن إنسان من الحسن جنت

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢١٧ من الجزء الثانى

(٣) اسود سالخ: نوع من اقتل الحيات. الفروة: جلدة الرأس

(٤) الجعل: ضرب من الخنافس يعرف بأبى جعران

(٥) مضت ترجمته فى ص ١٨٤ من الجزء الأول

(٦) يريد على بن عبدالله بن عباس

يحملون ذلك من قول الله تبارك وتعالى « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » وأنشد :

وَلَا خُلَّةٌ سَبَقَتْ إِلَيْهِ ... وَأَخُو كَانَ مِنْ عَرَقِ الْمُدَامِ (١)

دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلسَّلَامِ (٢)

وقال يَزِيدُ بنُ ضَبَّةَ :

لَا تَبْذُرَنَّ مَقَالَةً مَأْثُورَةً ... لَا تَسْتَطِيعُ إِذَا مَضَتْ إِدْرَاكَهَا

وقال ابنُ مَيَّادَةَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ رُدُّوا الْقَوْلَ وَاسْتَمِعُوا ... وَكُلُّ قَوْلٍ إِذَا مَا قِيلَ يُسْتَمَعُ

وقال جَرِيرٌ :

مَا الْمُدْلِجُ الْغَادِي إِلَيْهِ بِسُخْرَةٍ ... إِلَّا كَآخَرَ قَاعِدٍ لَمْ يَبْرَحِ

وقال الْعَلَاءُ بنُ الْمِنْهَالِ الْغَنَوِي فى شَرِيكِ بن عبد الله :

فَلَيْتَ أَبَا شَرِيكٍ كَانَ حَيًّا ... فَيُقْصِرُ عَنْ مَقَالَتِهِ شَرِيكْ

وَيَتْرُكُ مِنْ تَدَرِّيهِ عَلَيْنَا ... إِذَا قُلْنَا لَهُ : هَذَا أَبُوكْ

وقال طَارِقُ بنُ أُثَالٍ الطائى : (٣)

مَا إِنْ يَزَالُ بِبَغْدَادٍ يُزَاحِمُنَا ... عَلَى الْبَرَاذِينِ أَشْبَاهُ الْبَرَاذِينِ

مَا شِئْتَ مِنْ بَغْلَةٍ سَفْوَاءَ نَاجِيَةٍ ... وَمِنْ إِنَاثٍ وَقَوْلٍ غَيْرِ مَوْزُونِ

أَعْطَاهُمُ اللهُ أَمْوَالًا وَمَنْزِلَةً ... مِنَ الْمُلُوكِ بِلَا عَقْلٍ وَلَا دِينِ

وقال مُنْقِذُ بنُ دِينَارٍ الهلالى :

لَا تَذْكُرَنَّ صَنِيعَةً سَلَفَتْ مِنْـــكَ وَإِنْ كُنْتَ لَسْتَ تُنْكِرُهَا

عِنْدَ امْرِئٍ أَنْ تَقُولَ إِنْ ذُكِرَتْ ... يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَسْتُ أَذْكُرُهَا

---

(١) الخلة : الصداقة . والاخو : الأخوة

(٢) دلفت : ملت . الابيض المشرفى : السيف

(٣) راجع ص ١٩٣ من الجزء الاول

فإنَّ إحياءَها إماتتها وإنَّ منّاً بها يُكدِّرُها

قال بعض الحكماء: صاحب من ينسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه.

وقال مِنْقَرُ بنُ فروة المنقرى:(١)

وإنْ خفتَ مِنْ أمرٍ فواتاً فولّهِ سِواكَ وعنْ دارِ الأذى فتحوّلِ

وما المرءُ إلاّ حيثُ يجعلُ نفسهُ ففى صالحِ الأعمالِ نفسكَ فاجعلِ

ونظر أبو الحرث جُمَّيْن إلى برذون يُستقى عليه الماء فقال: وما المرء إلاّ حيث يجعلُ نفسهُ، لو هملج هذا البرذون لم يجعل للراوية.(٢) وأنشد:

لاخيرَ فى كلِّ فتى نَوُّمِ لايعتريهِ طارقُ الهمُومِ

وأنشد:

إجعلْ أباحسنٍ كمنْ لاتعرفُ واهجُرْهُ مُقتربًا وإنْ لمْ يخلفِ

آخِ الكرامَ المُنصفينَ وصلهُمُ واقطعْ مودّةَ كلِّ منْ لمْ يُنصفِ

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:(٣)

مازالَ عِصيانُنا للهِ يُسلمُنا حتّى دُفعنا إلى يحيى ودينارِ

إلى عُليجينِ لم يقطعْ ثمارُهُما قدْ طالما سجدا للشّمسِ والنّارِ

وشاتم أعرابى أعرابياً فقال: إنكم لتمتحرون العطاء، وتُعيرون الدساء، وتبيعون الماء. وقال أبو الأسود الدُّؤلى:(٤)

لنا جيرةٌ سدُّوا المجازةَ بيننا فإنْ ذكَّروكَ السدَّ فالسدُّ أكيسُ

ومنْ خيرِ ما ألصقتَ بالدارِ حائطٌ تزلُّ بهِ صُقعُ الخطاطيفِ أملسُ

وأنشد:

إذا لمْ يكنْ للمرءِ بدٌّ منَ الرَّدى فأكرمُ أسبابِ الرَّدى سببُ الحبِّ

---

(١) راجع ص ٨٣ من الجزء الثانى
(٢) راجع ص ٨٣ من الجزء الثانى
(٣) مضت ترجمته فى ص ٢٠ من هذا الجزء
(٤) راجع ص ٢٨١ من الجزء الثانى

وقال الآخر :

وَإِذَا شَنِئْتُ فَتًى شَنِئْتُ حَدِيثَهُ ... وَإِذَا سَمِعْتُ غِنَاءَهُ لَمْ أَطْرَبِ [١]

وأنشد المسروحى لِكَامِلِ بن عِكْرِمَةَ :

لِهَا كُلَّ عَامٍ مَوْعِدٌ غَيْرُ مُنْجَزٍ ... وَوَقْتٌ إِذَا مَا رَأْسُ حَوْلٍ تَجَرَّمَا [٢]

فَإِنْ وَعَدَتْ شَرًّا أَتَى قَبْلَ وَقْتِهِ ... وَإِنْ وَعَدَتْ خَيْرًا أَرَاثَ وَعَتَّمَا [٣]

وقال الآخر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ سَيْرَ الْخَيْرِ رَيْثٌ ... وَأَنَّ الشَّرَّ رَاكِبُهُ يَطِيرُ

وقال مُحمد بن يَسِير :

تَأْتِى الْمَكَارِهُ حِينَ تَأْتِى جُمْلَةً ... وَتَرَى السُّرُورَ يَجِىءُ فى الفَلَتَاتِ

وقال الآخر :

إذا مَا بَرِيدُ الشامِ أَقْبَلَ نَحْوَنَا ... بِبَعْضِ الدَّوَاهِى المُفْظِعَاتِ فَأَسْرَعَا

فإِنْ كانَ شَرًّا سارَ يَوْمًا وَلَيْلَةً ... وَإِنْ كانَ خَيْرًا أَقْصَدَ السَّيْرَ أَرْبَعَا

وقال آخر :

فإذا نَهَضْتُ فَمَا النُّهُوضُ بِدَائِمٍ ... وَإذَا نُكِبْتُ تَوَالَتِ النَّكَبَاتُ

وقال آخر: [٤]

وَتُعْجِبُنَا الرُّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا ... إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيَا

وَإِنْ حَسُنَتْ لَمْ تَأْتِ عَجْلَى وَأَبْطَأَتْ ... وَإِنْ قَبُحَتْ لَمْ تَحْتَبِسْ وَأَتَتْ عَجْلَى

قيل لأعرابى : ما أعددت للشتاء ؟ قال : جِلَّةً رَبُوضًا وصيصة سلوكا وشملة

---

(١) شنئت : أبغضت

(٢) تجرم : تم وكمل

(٣) أراث وعتم : أبطأ واحتبس

(٤) قائل هذا الشعر يحيى بن خالد البرمكى حين سجن فى نكبتهم التى أنزلها بهم الرشيد . وقبل هذين البيتين يقول :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فما نحن في الأحياء فيها ولا الموتى

مكودا وقرمصاً دفيناً وناقة مُجالحة . وقيل لآخر : ما أعددت للشتاء ؟ قال : شدة الرِّعدة . وقيل لآخر : كيف ليلكم ؟ قال : سَحَرٌ كُلّهْ . وقيل لآخر : كيف البرد عندكم ؟ قال : ذلك إلى الريح . وقال مَعْنُ بنُ أَوْسٍ المُزَنِى : (١)

فَلَا وَأَبِى حَبِيب مَا نَفاهُ ... مِنْ أرضِ بنى رَبيعةَ مِنْ هَوانِ
وَكانَ هُوَ الغَنِىُّ إِلَى غِناهُ ... وَكانَ مِنَ العَشِيرَةِ فِى مَكانِ
تَكَنَّفَهُ الوُشاةُ فأَزْعَجوهُ ... وَدَعْسٌ مِنْ قُضاعةَ غيرُ وَانِ
فلولا أنّ أُمَّ أبيهِ أُمّى ... وأنْ مَنْ قدْ هَجاهُ فقدْ هَجانى
وَأَنَّ أَبِى أَبُوهُ لذاقَ مِنِّى ... مَرارةَ مِبْرَدِى وَلَكانَ شانى
إِذًا لأَصابَهُ مِنِّى هِجاءٌ ... يمرُّ بِهِ الرَّوِىُّ عَلَى لِسانى (٢)
أُعَلِّمُهُ الرِّمايةَ كلَّ يومٍ ... فلمّا اشتدَّ ساعِدُهُ رَمانى (٣)

وقال بعض اليهود :

وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَى لا أَبا لَكَ بِالَّذِى ... بِهِ العائِلُ الجُثّامُ فِى الخَفْضِ قانِعُ (٤)
إِذًا قَصُرَتْ عِنْدِى الهُمومُ وَأَصْبَحَتْ ... عَلَىَّ وَعِنْدِى لِلرِّجالِ صَنائِعُ

ذكر ما قالوا فى المهالبة وغيرهم

إِنَّ المَهالِبَةَ الكِرامَ تَحَمَّلُوا ... دَفْعَ المَكارِهِ عَنْ ذَوِى المَكْرُوهِ
زانُوا قَدِيمَهُمْ بِحُسْنِ حَدِيثِهِم ... وَكَرِيمَ أَخْلاقٍ بِحُسْنِ وُجُوهِ

(١) مضت ترجمته فى ص ٢٨٠ من الجزء الثانى . وكان معن كثير الابل فأخذ منها ولده حبيب ابن معن وذهب بها إلى الشام مع ابن عمه فضالة فطمن حبيب بها ومات ورجع فضالة فقال معن (كما فى ديوانه المطبوع فى أوربا سنه ١٩٠٣) :

لعمر أبى ربيعة ما نفاه ... من ارض بنى ربيعة من هوان
لكان هوى الغنى إلى غناه ... وكان من العشيرة فى مكان
تكنفه الوشاة فأزعجوه ... ودسى من فضالة غير وان

(٢) فى الديوان : بذل . بدل : يمر . وهو خطأ والصواب : يزل

(٣) فى الديوان : استد ساعده

(٤) العائل : الفقير . الجثام : الذى لا يبرح قاعدا فى بيته غير ساع وراء رزقه

وقال أبو الجهم العدوى فى معاوية بن أبى سفيان :

نقلّبهُ لنخبُرَ حالتيه ... فنخبُرَ منهما كرماً ولينا
نميلُ على جوانبه كأنّا ... نميلُ إذا نميلُ على أبينا

وقال الآخر فى هذا الشكل :

إنْ أجزِ علقمةَ بنَ سيفٍ سعيَهُ ... لا أجزِهِ ببلاءِ يومٍ واحدِ
لأحبّنى حُبَّ الصبىِّ ورمَّنى ... رمَّ الهدىِّ إلى الغنىِّ الواجدِ
ولقدْ شفيتُ غليلتى فنقعتُها ... منْ آلِ مسعودٍ بماءٍ باردِ

وقال بُكيرُ بنُ الأخنسِ :

نزلتُ على آلِ المهلّبِ شاتياً ... فقيراً بعيدَ الدارِ فى سنةٍ محْلِ
فما زالَ بى إلطافهُمْ وافتقادُهُمْ ... وإكرامُهُمْ حتّى حسبتُهُمُ أهلى

وقال فى كلمة له أخرى :

وقدْ كُنتُ شيخاً ذا تجاربَ جمّةً ... فأصبحتُ فيهمْ كالصبىِّ المدلَّلِ

ورأى المهلّبَ وهو غلام فقال :

خُذُونى بهِ إنْ لم يسُدْ سرواتِهمْ ... ويبرعْ حتّى لا يكونَ لهُ مِثلُ

وقال الحزين (١) فى طلحةَ بن عبدِ اللهِ من وُلد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه :

فإنْ تكُ يا طلحُ أعطيتَنى ... جُماليّةً تستحقُّ السفارا
فما كانَ نفعُكَ لى مرّةً ... ولا مرّتينِ ولكنْ مرارا

وقال أبو الطمحان : (٢)

سأمدحُ مالكاً فى كلِّ ركبٍ ... لقيتُهُمُ وأتركُ كلَّ رذلِ

(١) هو الحزين الكنانى ، شاعر مطبوع من شعراء الدولة الاموية نشأ بالحجاز ولم يفارقه . وكان هجاء خبيث اللسان برضيه اليسير . وكان أشعر ذا بطن عظيم الانف . وله أبيات فى عبد الله بن عبد الملك ادخلها الرواة فى قصيدة الفرزدق التى مدح بها على بن الحسين بن على .

(٢) مضت ترجمته فى ص ١٦٤ من الجزء الاول

فما أنا والبكارة من مخاض ... عظام جلة سدس وبزل
وقد عرفت كلابكم ثيابى ... كأنى منكم ونسيت أهلى
نمتكم من بنى شمخ زناد ... لها ماشئت من فرع وأصل

وقال أبو الشغب :

ألا إن خير الناس قد تعلمونه ... أسير ثقيف موثقا فى السلاسل
لعمرى لئن أعمرتم السجن خالدا ... وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان نهاضا بكل ملمة ... ومعطى اللها غمرا كثير النوافل
فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ... ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

ومن هذا الباب قول أعشى همدان فى خالد بن عتاب بن ورقاء :

رأيت ثناء الناس بالغيب طيبا ... عليك وقالوا ماجد وابن ماجد
بنى الحارث السامين للمجد إنكم ... بنيتم بناء ذكره غير بائد
هنيئا لما أعطاكم الله واعلموا ... بأنى سأطرى خالدا فى القصائد
فإن يك عتاب مضى لسبيله ... فما مات من يبقى له مثل خالد

ومن هذا الشكل قول الحسين بن مطير الأسدى :(١)

ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا(٢)
أيا قبر معن كنت أول حفرة ... من الأرض خطت للسماحة موضعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

---

(١) مضت ترجمته فى ص ١٣٩ من الجزء الثانى

(٢) هو معن بن زائدة الشيبانى ، مضت ترجمته فى ص ٩٢ من الجزء الثانى

تعزَّ أبا العبّاسِ عنهُ ولا يكُنْ جزاؤكَ من معنٍ بأن تتضعضعا
فما ماتَ من كُنتَ ابنهُ لا ولا الذي له مثلُ ما أسدى أبوكَ وما سعى
تمنّى أُناسٌ شأوَهُ من ضلالهِمْ فأضحوا على الأذقانِ صرعى وظُلَّما

وهذا مثل قول مسلم بن الوليد (١) فى يزيد بن مزيد (٢):

قبرٌ ببرذعةَ استسرَّ ضريحُهُ خطراً تقاصرُ دونهُ الأخطارُ (٣)
أبقى الزمانُ على معدٍّ بعدَهُ حزناً كعمرِ الدهرِ ليسَ يُعارُ (٤)
نقضتْ بهِ الآمالُ أحلاسَ الغنى واسترجعتْ نزّاعَها الأمصارُ (٥)
فاذهبْ كما ذهبتْ غوادي مزنةٍ أثنى عليها السهلُ والأوعارُ

ذكر حروف من الأدب من حديث بني مروان وغيرهم

قيل: إذا رسخ الرجل فى العلم رفعت عنه الرؤيا الصالحة. مسلمة (٦) قال: كان عند عمر بن عبد العزيز رجلان فجعلا يلحنان فقال الحاجب: قوما فقد أوذيتما أمير المؤمنين! قال عمر: أنت آذى لى منهما. المدائنى قال: قعد قدام زياد رجل ضباعى من قرية باليمن يقال لها ضباع، وزياد يبنى داره. فقال له: أيها الأمير، لو

(١) هو مسلم بن الوليد الانصاري بالولاء يلقب، صريع الغوانى، كان شاعرا مبدعا كثير الافتنان حسن التصرف فى القول، وكان من مقدمي شعراء الدولة العباسية ولد ونشا بالكوفة وكان هو واخوه سليمان الاعمى الشاعر منقطعين إلى يزيد بن مزيد الشيبانى ومحمد بن منصور بن زياد، ثم اختص مسلم بعد ذلك بالفضل بن سهل فولاه ديوان المظالم بجرجان وبها توفى سنة ٢٠٨ ه
(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٧٠ من الجزء الاول
(٣) فى الأصل: ببرذعة، وقد ضبطها ابن خلكان بالدال لجارشاد. الذى فى الامالي: قبر بحلوان استسر ضريحه
(٤) الذى فى وفيات الأعيان وفى مهذب الاغانى: ابقى الزمان على ربيعة.
(٥) الذى بالامالى:

نقضت بك الاحلاس نفض إقامة واستعجلت نزاعها الامصار

والذى فى المهذب: واسترجعت روادها. والذى فى وفيات الاعيان:

نقضت بك الاحلاس آمال الغنى واسترجعت زوارها الأمصار

(٦) هو مسلمة بن عبد الملك

كنت عملت باب مشرقها من قبل مغربها وباب مغربها من قبل مشرقها ! فقال: أنى لك هذه الفصاحة ! قال: إنها ليست من كتاب ولا حساب ولكنها من ذكاوة العقل ! فقال: ويلك ، ألثانى شر . قال عبدالرحمن بن أبى ليلى: لا أمارى أخى فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه . ابن أبى الزناد قال: إذا اجتمعت حرمتان تركت الصغرى للكبرى.

وعن أبى بكر الهذلى ، واسمه سلمى ، قال: إذا جمع الطعام أربعا فقد كمل: إذا كان حلالا وكثرت عليه الأيدى وسُمى الله على أوله وحُمد على آخره .

وقال ابن قَمِيئَةَ :

وَأَهْوَنُ كَفٍّ لاتضيرُكَ ضيرَةً ... يَدٌ بَيْنَ أَيْدٍ فى إناءِ طعامِ
يَدٌ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ غريبٍ بِقفرةٍ ... أَتَتْكَ بِهَا غَبْرَاءُ ذاتُ قَتَامِ

وقال حَمَّادُ عَجْرَدٍ :

حُبَيْشُ أَبُو الصَّلْتِ ذو خِبْرَةٍ ... بِمَا يُصْلِحُ المِعْدَةَ الْفَاسِدَهْ
تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أَصْحَابِهِ ... فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَهْ

وقال سُوَيْدُ المَرَاثِدِ :

إنّ إذا مالأَمْرُ بَيَّنَ شَكَّهُ ... وَبَدَتْ بَصَائِرُهُ لِمَنْ يتأمَّلُ
وَتَبَرَّأَ الضُّعَفَاءُ مِنْ إِخْوَانِهِمْ ... وَأَلَحَّ مِنْ حَرِّ الصَّمِيمِ الْـكَلْـكَلُ
أَدَعُ الَّتِى هِىَ أَرْأَفُ الْخَلاَّتِ بِى ... عِنْدَ الْحَفِيظَةِ لِلَّتِى هِىَ أَجْمَلُ

ومما يكتب فى باب العصا

[قال حسان بن الغدير: [(١)]]

قَالَتْ أُمَامَةُ يومَ بُرْقَةِ وَاسِطٍ ... يا بْنَ الغَدِيرِ لَقَدْ جَعَلْتَ تَغَيَّرُ
أَصْبَحْتَ بَعْدَ زَمَانِكَ الماضى الذى ... ذَهَبَتْ شَبِيبَتُهُ وَغُصْنُكَ أَخْضَرُ

(١) ليس في الأصل إسم الشاعر لا نكرة ولا معرفة ، فثبتناه . وراجع ص ٨٥ من الجزء الثانى

شَيْخاً دِعامَتُكَ العَصَا وَمُشَيِّعاً لا تَبْتَغِي خَبَراً وَلا تُسْتَخْبَرُ

* * *

ويضم البيت الأخير إلى قوله :

وَهُلْكُ الفَتَى أنْ لا يُرَاحَ الى النَّدَى وَأنْ لا يَرَى شَيْئاً عَجيباً فَيَعْجَبا

ومَنْ يَبْتَغِي مِنِّي الظُّلامَةَ يَلْقَنِي اذا ما رَآنِي أصْلَعَ الرَّأْسِ أشْيَبا

وقال بعض الحكما : أعجب من العجب تركُ التعجب من العجب . وقيل لشيخ همٍّ : أيّ شيء تشتهي ؟ قال : أسمع بالأعاجيب . وأنشد :

عَرِيضُ البِطَانِ جَدِيبُ الخِوَانِ قَرِيبُ المُرَاثِ مِنَ المَرْتَعِ

فَنِصْفُ النَّهَارِ لِكِرْيَاسِهِ وَنِصْفٌ لِمَأْكَلِهِ أجْمَعِ

ومما يضم الى العصا قوله :

لَعَمْرِي لَئِنْ حُلِّئْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصِّبا لَقَدْ كُنْتُ وَرَّاداً لِمَشْرَبِهِ العَذْبِ

لَيالِيَ أغْدُو بَيْنَ بُرْدَيْنِ لاهِياً أمِيسُ كَغُصْنِ البانَةِ النّاعِمِ الرَّطْبِ

سَلامٌ عَلَى سَيْرِ القِلاصِ مَعَ الرَّكْبِ وَوَصْلِ الغَوانِي وَالمُدامَةِ وَالشَّرْبِ

سَلامَ امْرِئٍ لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ سِوَى نَظَرِ العَيْنَيْنِ أوْ شَهْوَةِ القَلْبِ

* * *

وقال حاجبُ بن ذبيان لأخيه زرارة :

عَجِلْتُ مَجِيءَ المَوْتِ حِينَ هَجَرْتَنِي وَفِي القَبْرِ هَجْرٌ يا زُرارَ طَوِيلُ

وقال الآخر :(١)

ألَمْ تَعْلَمِي يا عَمْرَكِ اللهُ أنَّنِي كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الكِرامُ قَلِيلُ

وَأنِّي لا أخْزَى إذا قِيلَ مُقْتِرٌ جَوَادٌ وأخْزَى أنْ يُقالَ بَخِيلُ

---

(١) صاحب هذه الابيات يقال له : لشمخي الفزاري

وَإِنْ لا يكُنْ عَظْمِى طَوِيلاً فَإِنَّنى ... لَهُ بالخِصالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
اذا كُنْتُ فى القَوْمِ الطِّوالِ فَضَلْتُهُمْ ... بِعارِفَةٍ حَتَّى يُقالَ طَوِيلُ
وَلا خَيْرَ فى حُسْنِ الْجُسومِ وطُولِهَا ... اذا لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الجُسومِ عُقولُ
وَكَائِنْ رَأَيْنا مِنْ فُرُوعٍ طَوِيلَةٍ ... تَمُوتُ اذا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كالمَعْرُوفِ أَمَّا مَذاقُهُ ... فَحُلْوٌ وأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

وقال زياد بن زيد :

اذا ما انْتَهَى عِلْمِى تَناهَيْتُ عِنْدَهُ ... اطَالَ فأَمْلَى أَمْ تَناهَى فأَقْصَرا
وَيُخْبِرُنِى عَنْ غائِبِ المَرْءِ فِعْلُهُ ... كَفَى الفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ المَرْءُ مُخْبِرا

وقال آخر :

أَرَى فَمَا يَزْدادُ إلاَّ حَماقَةً ... وَنَوْكاً وَإِنْ كانَتْ كَثِيراً مَخارِجُهْ

وقال ابن الرِّقاع :(١)

وَقَصِيدَةٍ قد بِتُّ أَجمعُ بَيْنَها ... حَتى أُقَوِّمَ مَيْلَها وسِنادَها
نَظَرَ المُثَقِّفِ فى كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتى يُقِيمَ ثِقافُهُ مُنْآدَها
وَعَلِمتُ حَتى لَسْتُ أَسألُ عالِماً ... عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لِكَىْ أَزْدادَها

وقال بعض الأعراب :

لولا مَسَرَّةُ أَقْوامٍ تَصَعَّدَنى ... أو الشَّماتَةُ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى إِحَنِ
ما سَرَّنِى أَنَّ إِبْلِى فى مَبارِكِها ... وَأَنَّ أَمْراً قَضاهُ اللهُ لَم يَكُنِ

وقال الآخر :

وَإِنِّى لأَهْوَى ثُمَّ لا أَتْبَعُ الهوَى ... وَأُكْرِمُ خِلاَّنِى وَفِىَّ صُدُودُ
وَفى النفسِ عَنْ بعضِ التَّعَرُّضِ غِلْظَةٌ ... وفى العينِ عن بعضِ البكاءِ جُمُودُ

---

(١) مضت ترجمته فى ص ٢٠٨ من الجزء الثانى

وقال كُثَيِّر :

تَرَى القَوْمَ يُخْفُونَ التَّبَسُّمَ عِنْدَهُ ... ويُنْذِرُهُمْ عُورَ الكَلامِ نَذِيرُها
فلا هَاجِراتُ القَوْلِ يُؤْثَرْنَ عِنْدَهُ ... ولا كَلِماتُ النُّصْحِ مُقْصًى مُشِيرُها

وقال المُقَشْعِرُ :

يَقَرُّ بِعَيْنِي أنْ أرَى قِصَدَ القَنَا ... وَصَرْعَى رِجالٍ في وَغًى أنا حاضِرُهْ

وقال الكُمَيْت :

أحْسَنُ مِنْهَا ذِيادُ خامِسَةٍ ... في الوِرْدِ أوْ فَيْلَقٌ يُجالِدُها

ويضم إلى بيت الكميت و بيت المقشعر قول الحكمى [أبى نواس] :

أحْسَنُ عِنْدِي مِنَ انْكِبابِكَ بِالْـ ... ـفِهْرِ مُلِحًّا بِهِ عَلَى وَتِدِ
وقُوفُ رَيْحانَةٍ عَلَى أُذُنٍ ... وَسَيْرُ كَأْسٍ إلى فَمٍ بِيَدِ

وقال صالح بن مِخراقٍ فى كلام له : لولا أن الله تبارك وتعالى قال « كُتِبَ عليكمُ القتالُ وهو كُرْهٌ لكم » لأنبأتكم أنى لا أكرهه . وقال الآخر :

تَرَكْتُ الرِّكابَ لِأَرْبابِها ... وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّعِقْ
جَعَلْتُ يَدَيَّ وِشاحاً لَهُ ... وَبَعْضُ الفَوارِسِ لا يَعْتَنِقْ

قال: قال عمر بن عبد العزيز يوماً فى مجلسه : مَن أُم النُّعمان بن المنذر؟ فقال روحُ بنُ الوليدِ بن عبدِ الملكِ : سَلمى بنتُ عُقَابٍ . قال . إنه ليقال ذلك ، يا حاجب أحسن إذنه . قالوا : عشر خصال فى عشرة أصناف من الناس أقبح منها فى غيرهم : الضيق فى الملوك والغدر فى الأشراف والكذبُ فى القضاة والخديعة فى العلماء، والغضبُ فى الابرار والحرصُ فى الأغنياء، والسفهُ فى الشيوخ والمرضُ فى الأطباء، والزهوُ فى الفقراء، والفخر فى القراء . وأنشد :

وَلَا تَقْبَلُوا عَقْلاً وَأُمُّوا بِغارَةٍ ... بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بَيْنَ دُومَةَ وَالهَضْبِ
وَهُزُّوا صُدُورَ المَشْرَفِيِّ كَأَنَّما ... يَقَعْنَ بِهامِ القَوْمِ فى حَنْظَلٍ رَطْبِ

وفى باب غير هذا يقول حسّانُ بنُ ثابتٍ :

مَا أُبَالِى أنبَّ بِالحَزْنِ تيسٌ ... أمْ لحانى بِظَهرِ غيبٍ لئيمُ

وأنشدوا :

خُبِّرْتُ أنَّ طُوَيْلِباً يغتابُنَا ... بِعَضِيهةٍ يَتَنحَّلُ الأقوالاَ

مَاضَرَّ سادةَ نهشلٍ أهجاهُمُ ... أمْ قامَ فى عُرْضِ الحَوِىّ فبالاَ

وقال الفرزدق فى هذا المعنى :

مَاضَرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتَهَا ... أمْ بُلْتَ حيثُ تناطحَ البَحْرَانِ

وقال الآخر فى هذا المعنى :

مَا يَضيرِ البَحْرُ أمسَى زاخِراً ... أنْ رَمَى فيهِ غُلامٌ بحجَرْ

ومما يزاد فى باب العصا

قول جرير بن الخطفَى :

وَيُقضَى الأمرُ حِينَ تغيبُ تيمٌ ... وَلا يُستأمَرُونَ وَهُمْ شُهُودُ

وَقَدْ سَلَبَتْ عصاكَ بَنُو تميمٍ ... فمَا تدرِى بأىِّ عصاً تذودُ

وقال الحسَنُ بنُ عرفطةَ بنِ نَضْلَةَ :

لِيَهْنِكَ بُغْضٌ فى الصَّدِيقِ وَضِنَّةٌ ... وَتَحْدِيثُكَ الشَّىْءَ الّذِى أنتَ كاذِبُهْ

وَأنَّكَ مِهْدَاءُ الخَنَا نَطِفُ الثَّنَا ... شديدُ السِّبَابِ رَافعُ الصَّوْتِ غالِبُهْ

وَأنّكَ مَشْنوءٌ إلَى كلِّ صَاحِبٍ ... بلاكَ وَمِثْلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جانبُهْ

وَلَمْ أرَ مِثْلَ الجَهْلِ أدْنَى إلَى الرَّدَى ... وَلاَ مِثْلَ بغضِ النَّاسِ غَمَّضَ صَاحِبَهْ

وقال قتادَةُ بنُ خَرْجَةَ التغلبى :

خَليلَىَّ يومَ السَّلْسَلينِ لَوَ انَّنِى ... بِهَيْرِ اللّوَى أنكرْتُ مَاقُلْتُمَا لِيا

وَلكننى لَمْ آنَسْ مَا قالَ صاحبى ... نَصِيبُكَ مِنْ ذُلٍّ إذَا كُنْتَ نَائِيا

وقال خالدُ بنُ نضلَةَ :

إذا كنتَ فى قومٍ عِدًى لستَ منهمُ فكُلْ ما عُلِفتَ مِنْ خبيثٍ وطيِّبِ

وقال أحمدُ بنُ يُوسف وكان يتعشق يحيى بنَ سعيدِ بن حماد :

إنَّ يحيى بنُ سعيدٍ يشتهى أنْ أشتهيه
فهوَ يلقانى بتوزِ يمٍ وأحيانًا بتيهِ

وقال أبو سعيدٍ دعى بنى مخزوم فى مهاجاة دِعْبَل :

ولولا نِزارٌ لضاقَ الفضاء ولمْ يبقَ حرزٌ ولا معْقِلُ
وأخرجتِ الأرْضُ أثقالَها وأُدخِلَ فى استِ أمِّهِ دِعْبَلُ

وقال :

حدقُ الآجالِ آجالُ والهوى للمرْءِ قتَّالُ
والهوى صعْبٌ مراكبُهُ وركوبُ الصَّعْبِ أهوالُ
ليْسَ مِنْ شكْلى فأشتمُهُ دِعبلٌ والنَّاسُ أشكالُ
هِمَّتى فى التَّاجِ ألبسُهُ ولهُ فى الشعْرِ آمالُ

وقال :

هَذَا اللبانىُّ يحوى جوائزَ الخُلفاءِ
فَفى حِرِ آمّى مَديحى وفى حِرِ امِّى هِجائى
وفى حِرِ آمّى وإنْ كنتُ سيِّدَ الشعَراءِ

وقال محمد بنُ يسير :

فى حِرامِّ النَّاسِ كلِّهمِ أنا فى هذا مِنَ آوَّلِهمْ
لسْتَ تدرى حِينَ تخبرُهُمْ أيْنَ أدناهُمْ مِنَ افضَلِهِمْ

وقال :

إذا ما جاوزَ النُّدماء خمْسًا بِرَبِّ البيْتِ والسَّاقى الأديبِ

فأينَ فى حِرامٍ فتى دَعانا ... وأينَ فى حِرامٍ فتى مُجيب

وقال سَلْم الخاسر :

بهارُونَ قرَّ المُلكُ فى مُستقرِّه ... وأشرقتِ الدُّنيا وأينع نورُها
وليس لأيامِ المكارِمِ غايةٌ ... تتمُّ بها إلاَّ وأنتَ أميرُها

وقال بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ :

مِنْ فتاةٍ صبَّ الجمالُ عليها ... فى حديثٍ كلذةِ النشوانِ
ثمَّ فارقتُ ذاكَ غيرَ ذميمٍ ... كلُّ عيشِ الدُّنيا وإنْ طالَ فانِ

وقال مُزاحِمٌ العُقَيلىُّ :

تَزينُ سَنا الماوىِّ كلَّ عشيَّةٍ ... على غفلاتِ الزَّيْنِ والمُتجملِ (١)
وُجوهًا لوَ انَّ المُدْلجينَ اعتشَوْا بها ... صدعْنَ الدُّجى حتى يُرى الليلُ ينجلى

وقال المَسْعُودِي :

إنَّ الكرامَ مُناهِبوكَ المجدَ كلُّهمُ فناهِبْ
أخلِفْ وأتلِفْ كلُّ شىءٍ زَحزَحتهُ الرِّيحُ ذاهِبْ

قال شيخ من الأطباء : ألحمد لله فلان يزاحمنا فى الطب ولم يختلف إلى البيمارستان تمام خمسين سنة . ! وحدثنى محمد بن عبد الملك صديق لى قال : سمعت رجلا من فُرسان طبَرِستانَ يقول : فلان يدعى الفُروسية ولو كُلف أن يُخلى فروج فرسه منحدراً من جبل لما قدر عليه ! وقال بعض العبيد :

أيبعثُنى فى الشَّاءِ وابنُ مُخَيلدٍ ... على هجمةٍ قدْ لوَّحتها الطَّبائخُ
متى كانَ حُمْرانُ النَّباتىُّ راعياً ... وقدْ راعهُ بالذَّوْدِ أسودُ سالخُ

وقال كُثَيِّر فى عُمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تكلَّمتَ بالحقِّ المُبين وإنما ... تبينُ آياتُ الهُدى بالتَّكلمِ

(١) ويروى : تزين سنا الماوي بالعصر والضحى

أَلاَ إِنَّمَا يَكْفِي القَنَا بَعْدَ زَيْغِهِ ... مِنَ الأَوَدِ البَادِي ثِقَافُ المُقَوِّمِ

الأصمعى قال : قال ابن عُبيد : (١) لايزال الناس بخير ماداموا إذا اختلج فى صدر الرجل شىء وجد من يفرج عنه . قال البَعيثُ فى إبراهيم بن عدى :

تَرَى مِنْبَرَ العَبْدِ اللَّئِيمِ كَأَنَّمَا ... ثَلاَثَةُ غِرْبَانٍ عَلَيْهِ وُقُوعُ

وقال الأعشى :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ اليَوْ ... مِ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْيَالِ

وقالوا : لاوَكْسَ ولا شَطَط . وقال الشاعر :

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ ... لاَمُمْعِنٌ هَرَباً وَلاَ مُسْتَسْلِمِ

وقال زهير :

دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الأَرْضِ قَدْرُهُمَا ... عِنْدَ الذُّنَابَى فَلاَ فَوْتٌ وَلاَ دَرَكُ

وقالوا : خير الأمور أوساطها وشر السير الحقحقة . قال : والمثل السائر والصواب المستعمل : لاتكن حلوا فتُزْدَرَدْ ولا مُرّاً فتُلْفَظْ . وقال عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إن هذا الأمر لايصلحه إلا لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف . وكان الحجاج يجاوز العنف إلى الخرق وكان كما وصف نفسه قال : أنا حديد حقود وذو قسوة حسود . وذكره آخر فقال . كان شرا من صبى . وقال أكْثم بن صيفى : تناءَوا فى الديار وتواصلوا فى المزار . وكان ناسئ الشهور يقول : أللهم باعد بين نسائنا وقارب بين رعائنا واجعل الأموال فى سُمحائنا . وقال آخر :

شَتَّى مَرَاجِلُهُمْ فَوْضَى نِسَاؤُهُمُ ... فَكُلُّهُمْ لِأَبِيهِ ضَيْزَنٌ سَلِفُ

وقال آخر . من أمل أحدا هابهْ ومن قصر عن شىء عابهْ . وقال الآخر :

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا ... وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا

وقال امْرُؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرٍ :

لَقَدْ نَقَّبْتُ فِى الآفَاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ

(١) يريد به يونس بن عبيد

وقيل لابن عباس : أيما أحب إليك ، رجل يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات أو يقل من الحسنات والسيئات ؟ قال : ما أعدل بالسلامة شيئاً .

وقالت أعرابية :

لَا تَحْمَدُونِى فِي الزِّيَارَةِ إِنَّنِى … أَزُورُكُمْ إِنْ لَا أَجِدْ مُتَعَلَّلَا

يعقوب بن داود قال : ذم رجل الأشتر فقال له رجل من النخع : أسكت فان حياته هزمت أهل الشام وموته هزم أهل العراق . أبو الحسن قال : أرسلت الخيل أيام بشر بن مروان فسبق فرس عبد الملك بن بشر ، فقال له إسماعيل بن الأشعث : والله لأرسلن غداً مع فرسك فرساً لا يعرف أن أباك أمير العراق ! فجاء فرس إسماعيل سابقا ، فقال : ألم أعلمك ؟ وقال أبو العتاهية :

أيا مَنْ لِى بِأُنْسِكَ يَا أُخَيَّا … وَمَنْ لِى أَنْ أَبُثَّكَ مَا لَدَيَّا
كَفَى حَزَنًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَنِّى … نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ … كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيَّا
فَلَوْ نَشَرَتْ قُوَاكَ لِى الْمَنَايَا … شَكَوْتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعَتْ إِلَيَّا
بَكَيْتُكَ يَا أُخَىَّ بِدَرِّ عَيْنِى … فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيَّا
وَكَانَتْ فِى حَيَاتِكَ لِى عِظَاتٌ … فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

وقال الآخر :

أَبَعْدَ الَّذِى بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ … رَهِينَةَ رَمْسٍ بَيْنَ تُرْبٍ وَجَنْدَلِ
أُذَكَّرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِى … وَبُقْيَاىَ أَنِّى جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلِ

يقول : وهذا بقياي .

كلام عن حلم معاوية

قال : قيل لشريك بن عبد الله : كان معاوية حليما ! قال : لو كان حليما

ماسفه الحق ولا قاتل عليا ولو كان حليما ما حمل أبناء العبيد على حرمه ولما أنكح إلا الأكفاء. وأصوب من هذا قول الآخر: كان معاوية يتعرض ويحلم إذا أسمع ومن تعرض للسفيه فهو سفيه. وقال الآخر. كان يحب أن يظهر حلمه وقد كان طار اسمه بذلك فكان يحب أن يزداد فى ذلك. وقال الفرزدق:

وَكَانَ يُجِيرُ النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ ... فَأَصْبَحَ يَبْغِى نَفْسَهُ مَنْ يُجِيرُهَا

وَكَانَ كَعَنْزِ السُّوءِ قَامَتْ بِظِلْفِهَا ... إِلَى مُدْيَةٍ تَحْتَ التُّرَابِ تُثِيرُهَا

وقال التوت اليمانى:

عَلَى أَىِّ بَابٍ أَطْلُبُ الْإِذْنَ بَعْدَ مَا ... حُجِبْتُ عَنِ الْبَابِ الَّذِى أَنَا حَاجِبُهْ

وهذا مثل قوله:

وَالسَّبَبُ الْمَانِعُ حَظَّ الْعَاقِلِ ... هُوَ الَّذِى سَبَّبَ رِزْقَ الْجَاهِلِ

ومثله:

وَرُبَّتَ حَزْمٍ كَانَ لِلسُّقْمِ عِلَّةً ... وَعِلَّةُ بُرْءِ الدَّاءِ حَظُّ الْمُغَفَّلِ

وقال اخر:

يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ ... وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهْ

وقال عثمان بن الحويرث لعمرو بن العاص:

لَهُ أَبَوَانِ فَهْوَ يُدْعَى إِلَيْهِمَا ... وَشَرُّ الْعِبَادِ مَنْ لَهُ أَبَوَانِ

وَقَدْ حَكَمَا فِيهِ لِتَصْدِيقِ أُمِّهِ ... وَكَانَ لَهَا عِلْمٌ بِهِ بِبَيَانِ

فَقَالَتْ صَرَاحًا وَهْىَ تَعْلَمُ غَيْرَهُ ... وَلَكِنَّهَا تَهْذِى بِغَيْرِ لِسَانِ

وقال الآخر:

يَطْلُبْنَ بِالْقَوْمِ حَاجَاتٍ تَضَمَّنَهَا ... بَذْرٌ بِكُلِّ لِسَانٍ يَلْبَسُ الْمِدَحَا

كَأَنَّ فَيْضَ يَدَيْهِ قَبْلَ مَسْأَلَةٍ ... بَابُ السَّمَاءِ اذَا مَا بِالْحَيَا انْفَتَحَا

وَكَّلْتَ بِالدَّهْرِ عَيْناً غَيْرَ غَافِلَةٍ ... مِنْ جُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّمَا جَرَحَا

ومثله :

إِذَا افتقَرَ المِنْهالُ لَمْ يُرَ فقرُهُ ... وَإِنْ أَيْسَرَ المِنْهالُ أَيْسَرَ صَاحِبُهْ

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج . وقال يزيد بن المهلب ، وكان فى سجن الحجاج : لهفى على طلبة بمئة ألف وفرج فى جبهة أسد . وأنشد : [1]

رُبَّما تجزعُ النفوسُ مِنَ الأَمْـرِ ... لَهُ فَرْجَةٌ كحَلِّ العِقَالِ

وأنشد :

كَرِهْتُ وكانَ الخيرُ فيمَا كَرِهتُهُ ... وَأَحْبَبْتُ أَمْراً كانَ فيهِ شَبَا القَتْلِ

وهذا مثل قوله تعالى «وعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وهوَ خَيْرٌ لَكُمْ وعَسَى أنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ» وكان يقال : خذ مقتصد العراق ومجتهد الحجاز . وقال الآخر :

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنَ الأَنَامِ قَوْمِهِ ... عَلَى كُلِّ حالٍ حَاسِدُونَ وَكُشَّحُ

وقال جرير :

إِنِّى لآمُلُ مِنكَ خَيْراً عَاجِلاً ... وَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العَاجِل

وقال تبارك وتعالى : « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ » وقال ابنُ هَرْمَةَ :

أَشَمُّ مِنَ الَّذِينَ بِهِمْ قُرَيْشٌ ... تُدَاوِى بَيْنَهَا عَيْنَ القَتِيلِ
كأَنَّ تلأْلُؤَ المَعْرُوفِ فِيهِ ... شُعَاعُ الشَّمْسِ فِى السَّيْفِ الصَّقِيلِ

وقال امرؤ القيس :

أَجَارَتَنَا إِنَّ المَزَارَ قَرِيبُ ... وَإِنِّى مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هٰهُنَا ... وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

(١) من شعر لامية بن ابى الصلت

وقال بشار :

وَإِذَا أَعْرَتْ فَلَا تَكُنْ جَشِعاً   تَسْمُو لِغَثِّ الْكَسْبِ تَكْسِبُهُ

وقال حسان بن ثابت :

أَهْدَى لَهُمْ مِدَحِي قَلْبٌ يُوَازِرُهُ   فِيمَا أُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ

وقال الأصمعى : أنشدنا أبو مَهْدِيَّة :

ضَحُّوا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ   يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا

وقال الخزرجىُّ يرد على أبى قيس بن الأسلت ، واسمه صيفى :

أَتَفْخَرُ صَيْفِيُّ فِيمَا تَقُو   لُ أَنْ نِلْتُمُ غِيلَةً أَرْبَعَهْ

عَرَانِينَ كُلُّهُمُ مَاجِدٌ   كَثِيرُ الدَّسَائِعِ وَالْمَنْفَعَهْ

فَهَلَّا حَضَرْتَ غَدَاةَ الْبَقِيْـ   ـعِ لَمَّا اسْتَمَالَ أَبُو صَعْصَعَهْ

وَلٰكِنْ كَرِهْتُمْ شُهُودَ الْوَغَى   وَكُنْتُمْ كَذَلِكَ فِي الْمَعْمَعَهْ

سِرَاعاً إِلَى الْقَتْلِ فِي خِفْيَةٍ   بِطَاءً عَنِ الْقَتْلِ فِي الْمَجْمَعَهْ

وأنشد الأصمعى :

آتِي النَّدِيَّ فَلَا يُقَرَّبُ مَجْلِسِي   وَأَقُودُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ حِمَارِيَا

وقال حَبِيبُ بنُ أَوْسٍ [أبو تمام الطائى] (١)

كَالْخُوطِ فِي الْقَدِّ وَالْغَزَالَةِ فِي الْبَهْـ   ـجَةِ وَابْنِ الْغَزَالِ فِي غَيَدِهْ

وَمَا حَكَاهُ وَلَا نَعِيمَ لَهُ   فِي جِيدِهِ بَلْ حَكَاهُ فِي جَيَدِهْ

إِلَى الْمُفَدَّى أَبِي يَزِيدَ الَّذِي   يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمَدِهْ

ظِلُّ عُفَاةٍ يُحِبُّ زَائِرَهُ   حُبَّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرَ مِنْ وَلَدِهْ

إِذَا أَنَاخُوا بِبَابِهِ أَخَذُوا   حُكْمَهُمُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهْ

---

(١) هذه الابيات من قصيدة يقولها فى خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى

وقال أيضاً : (١)

لَعَمْرُكَ مَا كَانُوا ثَلَاثَةَ إِخْوَةٍ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَ قَبَائِلِ

ومن خطباء الخوارج

قَطَرِيُّ بنُ الفُجَاءَةِ (٢) أحد بنى كنانة بن حرقوص وكنيته أبو نعامة فى الحرب وفى السلم أبو محمد ، وهو أحد رؤساء الازارقة وكان خطيباً فارساً ، خرج زمن مُصعب بن الزبير (٣) و بقى عشرين سنة ، وكان يدين بالاستعراض والسباء وقتل الأطفال ، وكان آخر من بُعث إليه سُفْيَانُ بنُ الأبردِ الكلبي (٤) وقتله سَوْرَةُ بن الحبرِ الدَّارِمىُّ من بنى أبان بن دارم .

ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم

حَبِيبُ بنُ خُدْرَةَ ، عداده فى بنى شيبان ، وهو مولى لهلال بن عامر . ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم : الضحَّاك بن قيس (٥) أحد بنى عمرو بن محلم بن ذُهل بن شيبان ويكنى أبا سعيد ، ملك العراق وصلى خلفه عبد الله بن عمر (٦) وعبد الواحد بن سليمان (٧) وقال شاعرهم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلْ

ومن علمائهم وخطبائهم : نَصْرُ بنُ مِلْحَان ، وكان الضحاك ولاه الصلاة بالناس والقضاء بينهم .

(١) هذا البيت من قصيدة لابي تمام يرثي بها ابا نصر ومحمد وقحطبة بنى حميد بن قحطبة الطائى

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٧٠ من الجزء الاول

(٣) مضت ترجمته فى ص ٢٥٤ من الجزء الاول

(٤) مضت ترجمته فى ص ٦٧ من الجزء الاول

(٥) مضت ترجمته فى ص ٢٧١ من الجزء الاول

(٦) هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز

(٧) ابن عبد الملك

ومن علمائهم : مُليل وأصفر ابنا عبد الرحمن ، وأبو عُبيدة [ابن] كرزين واسمه مسلم وهو مولى لعروة بن أُذَينة (١) .

ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم وأهل الفقه [منهم] : عمران بن حطان ويكنى أبا شهاب ، أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة .

ومن الخوارج من بنى ضبة ثم أحد بنى صُبيح : ألقاسمُ بن عبد الرحمن بن صِدِّيق ، وكان ناسبا عالما داهيا وكان يشوب ذلك ببعض الظرف .

ومن علمائهم ونسابهم وأهل اللسن منهم : ألجون بن كلاب ، وهو من أصحاب الضحاك . ومن رجالهم وأهل البيان والنجدة منهم : خُراشة ، وكان ركاضا ولم يكن أعتقد . أخبرنى أبو عبيدة قال : كان مِسمارٌ مستخفياً بالبصرة فتخلصت إليه فأخبرنى أنه الذى طعن مالك بن على فى فيه وذلك أنه فتح فاه يقول : أنا أبو على ، فاتحا فاه ، فطعنه فى جوب فمه . ومن شعرائهم : عُتبانُ بنُ وَصِيْلَةَ الشيبانى ، وهو الذى يقول :

وَلا صلحَ مادامتْ مَنابرُ أرْضِنا يَقُومُ عَلَيْها مِنْ ثقيفَ خَطيبُ

وعن عيسى بن طلحة قال : قلت لابن عباس : أخبرنى عن أبى بكر ؟ قال: كان خيراً كله على الحدة وشدة الغضب ! قال : قلت : أخبرنى عن عمر ؟ قال: كان كالطائر الحذر قد علم أنه قد نصب له فى كل وجه حبالة ، وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السياق . قال : قلت : أخبرنى عن عثمان ؟ قال : كان والله صواماً قواماً لم يخدعه نومه عن يقظته . قال : قلت : فصاحبكم ؟(٢) قال : كان والله مملوءاً حلماً وعلماً غرته سابقته وقرابته وكان يرى أنه لا يطلب شيئاً إلا قدر عليه . قلت : أكنتم ترونه محدوداً ؟ قال : أنتم تقولون ذاك .

كلام فى الأدب

قال معاوية : ما رأيت سَرَفاً قط إلا وإلى جنبه حق مَضيع . وقال عثمان

(١) راجع ص ١٦٦ من الجزء الاول (٢) يعنى الامام على كرم الله وجهه

ابن أبي العاصي : ألناكح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه . وقالت هند ابنة عتبة : ألمرأة غُل ولابد للعنق منه فانظر من تضعه فى عنقك . وقال ابن المقفع : ألدّين رق فانظر عند من تضع نفسك . وقال عمرو بن مَسعدة ، أو ثابت أبو عباد : لاتستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفؤاده عله ومن كانت غايته الاحتيال على مالك و إطرائك فى وجهك فان هذا لا يكون إلا ردىء الغيب سريعاً إلى الذم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا فى صدر هذا الجزء الثالث فى ذكرنا العصا ووجوه تصرفها ، وذكرنا من مقطعات كلام النساك ومن قصار مواعظ الزهاد وغير ذلك مما يجوز فى نوادر المعانى وقصار الخطب ، ونحن ذاكرون على اسم الله وعونه صدراً من دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الأعراب فقد أجمعوا على استحسان ذلك واستجادته ، وبعض دعاء الملهوفين والنساك المتبتلين .

قال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « قُلْ مَا يعبأُ بكُمْ رَبِّى لَولا دُعاؤُكُم » وقال « ادْعُونِى أستَجِبْ لكم » وقال تعالى : « وَيدعُوننا رَغَباً ورهباً » وقال « والمُستغفرين بالأسحار »

قالوا : كان عمرو بنُ مُعاوية العُقيلى يقول : اللهم قنى عثرات الكلام . وقال أعرابى لرجل سأله : جعل الله الخير عليك دليلا ولا جعل حظ السائل منك عُذْرَةً صادقة . وقال بعض كرام الأعراب ممن يَقرض الشعر و يؤثر الشكر :

لَعَلَّ مُفيدَاتِ الزَّمَانِ يُفِدْنِى ... بَنِى صَامِتٍ فِى غيرِ شىءٍ يَضِيرُهَا

وقال شيخ أعرابى : اللهم لاتنزلنى ماءسوء فأكون امرأ سوء . قال : وسمعت عمرَ بن هُبَيرةَ يقول فى دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من صديق مُطْرٍ وجليس مُغْرٍ وعدو مُسر . قال : كتب ابنُ سَيابةَ إلى صديق له ، إما مستقرضا وإما مستفرضا ، فذكر صديقه خلة شديدة وكثرة عيال وتعذر الأمور ، فكتب إليه ابن

سيابة : إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وإن كنت مُليما فجعلك معذوراً . قال الأصمعى سمعت أعرابيا يقول : أعوذ بك من الفواقر والبواقر ومن جار السوء فى دار المُقامة والظعن ومما ينكس برأس المرء ويغرى به لئام الناس . قال الأصمعى: قيل لخالد بن نضلة : قال عبد يغوث بن وقاص : ما أذم فيها إلا غطينا ليس خالد ابن نضلة ، يعنى مضر ، قال خالد : اللهم إن كان كاذباً فاقتله على يد ألأم حى فى مضر . فقتلته تيم الرباب . قالوا : وقف سائل من الأعراب على الحسن فقال : رحم الله عبداً أعطى من سعة وآسى من كفاف وآثر من قلة . وقال فى الأثر المعروف : حصنوا أموالكم بالزكاة وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء . ومن دعائهم: أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر . قال: ومن دعاء السلف : ألّهم احملنا من الرجلة واغننا من العيلة . وسأل أعرابى فقيل له : بورك فيك ، فتوالى ذلك عليه من غير مكان فقال وَكَلَكُمُ الله إلى دعوة لا يحضرها نية . وقال أعرابى : أعوذ بك من سقم وعدواه وذى رحم ودعواه ومن فاجر وجدواه وعمل لا ترضاه . وسأل أعرابى فقال له صبى من جوف الدار : بورك فيك ، فقال : قبح الله هذا الفم ، لقد تعلم الشر صغيراً . وهذا السائل هو الذى يقول :

رُبَّ عُجُوزٍ عِرْمِسٍ زَبُونِ سَرِيعَةِ الرَّدِ عَلَى الْمِسْكِينِ
تَحسبُ أَنْ بُورِكَهَا يَكْفِينِى إِذَا غَدَوْتُ بَاسِطًا يَمِينِى

وقال آخر : اللهم أعنى على الموت وكربته وعلى القبر وغُمته وعلى الميزان وخفته وعلى الصراط وزلته وعلى يوم القيامة وروعته . وقالت عجوز ، بلغها موت الحجاج: أللهم أنت أمته فأمت سنته . وكان محمد بن على بن الحسين يقول : اللهم أعنى على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى . وقال عمرو بن عبيد : أللهم اغننى بالافتقار اليك ولا تفقرنى بالاستغناء عنك . وقال عمرو . أللهم أعنى على الدنيا بالقناعة وعلى الدين بالعصمة . قال : ومرض عَوْفُ بنُ أبى جَميلة فعاده قوم فجعلوا يثنون عليه فقال : دعونا من الثناء وأمدونا بالدعاء . قال : وسمعت عُمر بن هُبيرة يقول :

اللهم انى أعوذ بك من طول الغفلة و إفراط الفطنة ، اللهم لا تجعل قولى فوق عملى ولا تجعل أسوأ عملى ما قارب من أجلى . وقال أبو مَذحِيجٍ : اللهم اجعل خير عملى ماولى أجلى . ودعت أعرابية لرجل فقالت : كبت الله كل عدو لك الا نفسك . وقال يَزِيدُ بنُ جَبل: إحرس أخاك إلا من نفسه . قال : ودعا أعرابى فقال : اللهم هب لى حقك وأرض عنى خلقك . قال : وكان قوم نساك فى سفينة فى البحر فهاجت الريح بأمر هائل فقال رجل منهم : اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك ورحمتك. قال : وسمع مُطرف رجلا يقول : أستغفر الله وأتوب إليه ، فأخذ بذراعه وقال : لعلك لا تفعل ! من وعد فقد أوجب ! وقال رجل لابن قَثْمٍ : كيف أصبحت ؟ قال : إن كان من رأيك أن تسد خَلَى وتقضى دينى وتكسو عورتى خبرتك ، وإلا فليس المجيب بأعجب من السائل . وقال آخر : اللهم أمتِعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا واجعل الأموال فى سُمحائنا . وقال أعرابى : اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا . وقال أعرابى ، ورأى إبل رجل قد كثرت بعد قلة فقيل : إنه قد تزوج أَمَةً فجاءته بنافجة مال ، فقال : اللهم إنا نعوذ بك من بعض الرزق . أبو مجيب الربعى قال: قال أعرابى : جنبك الله الأمرين وكفاك شر الأجوفين .[1]

وجاء فى الحديث : مَن وُقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله .
وقال أعرابى : مَنحكم الله منحة ليست بجداء ولا نكداء ولا ذات داء . قال : قيل لابراهيم النخعى: أى رجل أنت لولا حدة فيك ؟ قال : أستغفر الله مما أملك وأستصلحه مالا أملك . وقال أعرابي ، ومات ابن له : اللهم إنى قد وهبت له ماقصر فيه من برى فهب لى ماقصر فيه من طاعتك . قال: لما صافَّ قُتَيْبَةُ ابنُ مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن وَاسع وقال : إنظروا مايصنع ؟ فقيل : هاهو ذاك فى أقصى الميمنة جانحا على سِيَةِ قوسه ينضنض بأصبعه نحو السماء ! قال

(١) قال الجاحظ : الاجوفان : البطن والفرج ، والامران : الجوع والعرى .

قتيبة : تلك الإصبع الفاردة أحب إلىّ من مئة ألف سيف شهير وسنان طرير . أبو الدّرداء قال : إن أبغض الناس إلى أن أظلمه من لم يستعن على إلا بالله . وقال خالدُ بنُ صفوان : إحذروا مجانيق الضعفاء . يعنى الدعاء . وقال : لايستجاب إلا لمخلص أو مظلوم . قال : وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول : ألهم إن ذنوبى لاتضرك وإن رحمتك إياى لاتنقصك فاغفر لى مالا يضرك وأعطنى مالا ينقصك . وقال أعرابى : ألهم إنك حبست عنا قطر السماء فذاب الشحم وذهب اللحم ودق العظم ، فارحم أنين الآنة وحنين الحانة ، ألهم ارحم تحيرها فى مراتعها وأنينها فى مرابضها . قال : وحجت أعرابية فلما صارت بالموقف قالت : أسألك الصحبة يا كريم الصحبة وأسألك سترك الذى لاتزيله الرياح ولا تخرقه الرماح . وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : كم بين السماء إلى الأرض ؟ قال : دعوةٌ مستجابة . فقالوا : كم بين المشرق إلى المغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس ومن قال غير هذا فقد كذب . قال : وحج أعرابى فقال : ألهم إن كان رزقى فى السماء فأنزله وإن كان فى الأرض فأخرجه وإن كان نائياً فقربه وإن كان قريباً فيسره .

أبو عثمان اليَقْطُرى ، عن عبد الله بن سلم الفِهْرِى قال : لما ولى مسروق السلسلة إنبرى له شاب فقال له : وقاك الله خشية الفقر وطول الامل فلا تكونن دريئة للسفهاء ولا شيناً للفقهاء . وقال أعرابى فى دعائه : ألهم لاتخيبنى وأنا أرجوك ولا تعذبنى وأنا أدعوك ، ألهم فقد دعوتك كما أمرتنى فأجبنى كما وعدتنى . وقال عبدالله ابن المبارك : قالت عائشة : يا بنى : لاتطلبوا ماعند الله من عند غير الله بما يسخط الله. قال : وقال رجل من النساك : إن ابتُليت أن تدخل مع ناس إلى السلطان فاذا أخذوا فى الثناء فعليك بالدعاء . وقال الكذاب الحِرْمازى :

لَاهُمَّ إنْ كانَتْ بَنُو عُمَيْرَهْ ... رَهْطُ التَّلِبِّ دَعوةً مَسْتُورَهْ

قَدْ أجْمَعُوا لِحَلْقَةٍ مَقْصُورَهْ ... وَاجْتَمَعُوا كَأنَّهُمْ قَارُورَهْ

فِي غَنَمٍ وَإِبِلٍ كَثِيرَهْ فَابْعَثْ عَلَيهِم سَنَةً قاشُورَهْ
تَحْتَلِقُ الْمَالَ احْتِلاقَ النُّورَهْ

وقال أعرابي :

لاَهُمَّ أَنْتَ الرَّبُّ نُسْتَغاثُ لَكَ الحياةَ وَلكَ المِيرَاثُ
وَقدْ دَعاكَ النَّاسُ فاستغاثُوا غِياثَهُمْ وَعِنْدكَ الغِيَاثُ
لَمْ يَبْقَ إلاَّ عِكْرِشٌ أَنْكاثُ وَشِيحٌ أصولها مِثاثُ
وَطَاحَتِ الأَلْبَانُ وَالأَزْمَاثُ

وكان سَعْدُ بْنُ أبي وقّاص يسمى المستجاب الدعوة ، وقال لعمرحين شاطره ماله : لقد هممتُ! فقال له عمر : أن تدعو الله على ؟ قال: نعم . قال : إذاً لاتجدنى بدعاء ربى شقيا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كَمْ مِنْ ذي طِمْرَيْن لا يُؤْبهُ له لو أقسم على الله لأبرّهُ ، مِنهم البراءُ بنُ مالك » وجمع الناس اليه وقد دهمهم العدو فأقسم فمنحهم الله أكتافهم . الأصمعى وأبو الحسن قالا : أخبرنا ابراهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه أو عن غيره قال : بلغ سعداً شىء فعله المهلبُ فى العدو والمهلب يومئذ فتى ، فقال سَعْدٌ : ألهم لاتره ذلا . فيرون أن الذى نال المهلَّبُ تلك الدعوة . وقال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما :

ألْمَوْتُ خيرٌ مِنْ رُكُوبِ العَارِ وَالعَارُ خَيرٌ مِنْ دُخُولِ النَّارِ
وَاللهُ مِنْ هذا وَهذَا جَارِي

وقال الآخر ، وكان قد وقع فى الناس وباء جارف وموت ذريع فهرب على حماره ، فلما كان فى بعض الطريق ضرب وجه حماره راجعاً الى حيه وقال :

لَنْ يُسْبَقِ اللهُ عَلَى حِمَارِ وَلاَ عَلَى ذِي مَيعَةٍ خَطَّارِ
قَدْ يُصْبِحُ اللهُ أمَامَ السَّارِي

وسمع مُجاشعُ الربعى رجلا يقول : ألشحيح أعـذر من الظالم ! فقال : إن شيئين خيرهما الشح لناهيك بهما شراً . قال المغيرة بن شعبة : سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا يقول فى دعائه : أللهم اجعلنى من الأقلين ! فقال له عمر : ما هذا الدعاء ؟ قال : سمعت الله يقول « وقليلٌ ما هم » وسمعته يقول : « وقليل من عباديَ الشكورُ » فقال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرف . وقال ناس من الصحابة لعمر : ما بال الناس كانوا إذا ظلموا فى الجاهلية فدعوا استجيب لهم ونحن لا يستجاب لنا و إن كنا مظلومين ! ؟ قال : كانوا ولا زاجر لهم إلا ذاك فلما أنزل الله تبارك وتعالى الوعد والوعيد والحدود والقصاص والقود ، وَكَلَهُمْ إلى ذلك . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : إن فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا لساعة لا يدعو الله فيها أحد إلا أستجيب له . فقال له قائل : أرأيت إن دعا فيها منافق ؟ قال : فإن المنافق لا يوفق لتلك الساعة . ولما صعد المنبر قابضاً على يد العباس يوم الاستسقاء لم يزد على الدعاء بالاستغفار ، فقيل له : إنك لم تستسق و إنما كنت تستغفر ! قال : قد استسقيت بجاديح السماء . ذهب إلى قوله : « وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً » وكان عمر حمل الهُرْمُزَانَ مع جماعة فى البحر فغرقوا ، قال ابن سيرين : لو كان دعا عليهم بالهلاك لهلكوا . قال محمد بن على لابنه : يابنى إذا أنعم الله عليك نعمة فقل الحمد لله ، و إذا حزبك أمر فقل لا حول ولا قوة إلا بالله ، و إذا أبطأ عنك الرزق فقل أستغفر الله . قالوا : وكان محمد بن على لا يسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء . قال قوم ليزيد بن أسد : أطال الله بقاءك . قال : دعونى أمت وفىَّ بقية تبكون بها على . رأى سالم بن عبد الله سائلا يسأل يوم عرفة فقال : ياعاجز ، أفى هذا اليوم تسأل غير الله ! ؟ . قال : كان رجل من الحكماء يقول فى دعائه : أللهم احفظنى من الصديق ، وكان يقول : أللهم اكفنى بوائق الثقات . حدثنى صديق لى كان ولى ضياع الرى قال : قرأت على باب شيخ منهم : جزى الله من لا نعرفه ولا يعرفنا أحسن الجزاء ، ولا جزى من نعرفه ويعرفنا إلا ما هو أهله ، انه

عدل لا يجور . وكان على رواشم عمر بن مهران التى يرشم بها على الطعام : أللهم احفظه ممن يحفظه .

وقال المُغيرةُ بنُ شُعبةَ فى كلام له : إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم . ؟ أبو الحسن قال : قالت امرأة من الأعراب : أللهم إنى أعوذ بك من شر قريش وثقيف وما جمّعت من اللفيف ، وأعوذ بك من عبد ملك أمره ومن عبد ملأ بطنه . قال : مر عمر بن عبد العزيز برجل يسبح بالحصى فاذا بلغ المئة عزل حصاة فقال له عمر : ألق الحصى وأخلص الدعاء . وكان عبدُ الملك بنُ هلال الهنائى عنده زنبيل ملآن حصى فكان يسبح بواحدة واحدة فإذا مل شيأ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا فإذا مل قبض قبضة وقال سبحان الله بعدد هذا وإذا مل شيأ قبض قبضتين وقال سبحان الله بعدد هذا فاذا ضجر أخذ بعروتى الزنبيل وقلبه وقال : ألحمد لله بعدد هذا وإذا بكر لحاجة لحظ الزنبيل وقال : ألحمد لله عدد ما فيه .

قال غيْلان : إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب . قال سعيدُ بن المسيب : مرّ بى صِلَةُ بن أشْيَمٍ فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت له : يا أبا الصهباء أدع الله لى ؟ فقال : رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين الذى لاتسكن النفس إلا إليه ولا تعول فى الدين إلا عليه . أبو الحسن قال : سمع رجل بمكة رجلا يدعو لأمه فقال له : ما بال أبيك ؟ قال : هو رجل يحتال لنفسه . أبو الحسن عن عروة بن سليمان العبدى قال : كان عندنا رجل من بنى تميم يدعو لأبيه ويدع أمه فقيل له فى ذلك فقال : إنها كابية . ورفع أعرابى يده بمكة قبل الناس فقال : أللهم اغفر لى قبل أن يدهمك الناس .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُلِحِّينَ فِى الدُّعَاءِ »

وقال آخر : دعوتان أرجو أحداهما كما أخاف الأخرى ، دعوة مظلوم أعنْتُهُ ودعوة ضعيف ظلمته . قال : وكان من دعاء أبى الدَّرْداء : أللهم أمتعنا بخيارنا

وأعنا على شرارنا واجعلنا خياراً كلنا و إذا ذهب الصالحون فلا تبقنا . وقال آخر لبعض السلاطين : أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك وهو على عقابك أقدر منك على عقابى إلا نظرت فى أمرى نظر من برئى أحب إليه من سقمى . قالوا : وكان مطرف بن عبدالله بن الشخير يقول : اللهم إنك أمرتنا بما أمرتنا ولا نقوى عليه الا بعونك ، ونهيتنا عما نهيتنا ولا ننتهى عنه الا بعصمتك واقعة علينا حجتك غير معذورين فيما بيننا و بينك ولا مبخوسين فيما عملنا لوجهك .

عبد العزيز بن أبان عن سفيان فى قوله تعالى : « دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ » قال : كان أحدهم إذا أراد أن يدعو قال : سبحانك اللهم . عكرمة قال : فى قوله تعالى : « قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا » . قال كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فجعلهما الله داعيين . قال ولما وقع يونس فى البحر وقد وكل به حوت فلما وقع ابتلعه فهوى به إلى قرار الأرض فسمع تسبيح الحصى فنادى يونس فى الظلمات « أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » قال : ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ، وقال تبارك وتعالى « فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ » وفى الحديث المرفوع أن من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم « أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَبَطْنٍ لَا يَشْبَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ »

على بن سليم أن قَيْسَ بنَ سَعْدٍ قال : اللهم ارزقنى حمداً ومجدا فانه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال . وقال رجل فى مجلس الحسن : ليهنك الفارس ! قال الحسن فلعله خامر ! إذا وهب الله لرجل ولداً فقل : شكرتَ الواهب و بورك لك فى الموهوب و بلغ أشده ورزقت بره .

أحسن ماقيل فى التعازى

أبو سلمة الأنصارى قال : كان عمر بن عبدالعزيز يقول : ماأحسن تعزية أهل اليمن ! وتعزيتهم : لا يُحزنكم الله تعالى ولا يَفتنكم وأثابكم ما أثاب المتقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة . قال : كان أبو بكر رضى الله تعالى عنه إذا عزى رجلاقال : ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة ، الموت أشد ما قبله وأهون ما بعده ، إذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تَهُنْ عندكم مصيبتكم صلى الله على محمد وعظم أجركم . وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إذا عزى قوما قال : إن تجزعوا فأهل ذلك الرحم وإن تصبروا ففى ثواب الله عوض من كل فائت ، وإن أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون محمد صلى الله عليه وسلم،وعظم الله أجركم . وعزى عبدُالله بنُ عباس عُمرَ بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه على بنى له مات فقال : عوضك الله منه ما عوضه منك . وهذا الصبى الذى مات هو الذى كان عمر بن الخطاب قال فيه : ريحانة أشمها وعن قريب ولد بار أو عدو ضار . سفيان قال: كان أبو ذر يقول : أللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا . قال : ودعا أعرابى فقال : أللهم إني أعوذ بك من الفقر المُدقع والذل المُضرع . عزت امرأةٌ المنصورَ على أبى العباس مقدمه من مكة فقالت : أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك .

دعوات مستجارة

قالوا : وقال عُمربن عبدالعزيز ، وقد سمعوا وقع الصواعق ودوى الريح وصوت المطر فقال وقد فزع الناس : هذه رحمته فكيف نقمته ! . وقال أبو اسحق: أللهم إن كان عذابا فاصرفه وإن كان صلاحا فزد فيه وهب لنا الصبر عندالبلاء والشكر عند الرخاء ، أللهم إن كانت منحة فمن علينا بالعصمة وإن كان عقابا فمن علينا

بالمغفرة . وقال أبو ذر : ألحمد لله الذى جعلنا من أمة تُغفر لهم السيئات ولا تُقبل من غيرهم الحسنات .

وكان الفضل بن الربيع يقول : ألمسألة للملوك من تحية النوكى ، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبحت ، فقل : صبحك الله بالخير ، وإذا أردت أن تقول : كيف تجدك ؟ فقل : أنزل الله عليك الشفاء والرحمة . قال أحمد الهُجَيمى أبو عمر أحد أصحاب عَبد الواحدِ زَيد : أللهم يا أجود الأجودين ويا أكرم الأكرمين ويا أعفى العافين ويا أرحم الراحمين ويا أحكم الحاكمين ويا أحسن الخالقين فرج عنى فرجاً عاجلا تامًّا هنيئاً مباركا لى فيه إنك على كل شىء قدير . وكان عبد الله الشقرى — وهو الكعبى أحد أصحاب المضمار من غلمان عبد الواحد بن زيد وكنيته أبو محمد وكنية عبد الواحد أبو عبيدة — يقول : أللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك أللهم هب لى يقيناً وأدم لى العافية وافتح لى باب رزقى فى عافية وأعوذ بك من النار والعار والكذب والسخف والخسف والقذف والحقد والغضب وحببنى إلى خلقك وحببهم الىّ وأسألك فرجاً عاجلا فى عافية إنك على كل شىء قدير .

دعاء الغنوى فى حبسه

أعوذ بك من السجن والدين والسب والضرب ومن الغل والقيد ومن التعذيب والتجسيس ، وأعوذ بك من الحور بعد الكور ومن شر العدو فى النفس والأهل والمال ، وأعوذ بك من الهم والأرق ومن الهرب والطلب ومن الاستخذاء والاستخفاء ومن الاطراد والاغراب ومن الكذب والعضيهة ومن السعاية والنميمة ومن لؤم القدرة ومقام الخزى فى الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير .

ومن دعائه فى الحبس

أسألك طول العمر فى الأمن والعافية والحلم والعلم والحزم والأخلاق الحسنة السنية والأفعال المرضية واليسر والتيسير والنماء والتثمير وطيب الذكر وحسن

الأحدوثة والمحبة فى الخاصة والعامة ، وهب لى ثبات الحجة والتأييد عند المنازعة والمخاصمة وبارك لى فى الموت إنك على كل شىء قدير .

وكان صالح المرى كثيراً ما يردد فى مجلسه : أعوذ بك من الخسف والمسخ والرجفة والزلزلة والصاعقة والريح المهلكة ، وأعوذ بك من جهد البلاء ومن شماتة الأعداء . وكان يقول : أعوذ بك من التعب والتعذر والخيبة وسوء المنقاب ، اللهم من أرادنى بخير فيسر لى خيره ومن أرادنى بشر فاكفنى شره ، اللهم أسألك خصب الرحل وصلاح الأهل . وكان عيسى بن أبى المدور يقول : أعوذ بك من الذلة والقلة ومن الإهانة والمهنة ولإخفاق والوحدة ، وأعوذ بك من الحيرة وقلة الحيلة ، وأعوذ بك من جهد البلاء وشماتة الأعداء .

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة ، قال الله تعالى « إدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ » ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة ، لقوله عز وجل « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » ومن أعطى الاستغفار لم يحرم القبول ، لقوله تعالى « وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم .

وروى محمد بن على عن آبائه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ بِبَاطِنِ الْكَفَّيْنِ وَإِذَا اسْتَعَذْتُمُوهُ فَاسْتَعِيذُوهُ بِظَاهِرِهِمَا »

وقال آخر : اللهم إنى أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : سلوا ربكم حتى الشسْع فانه إن لم ييسره لم يتيسر . طاوس قال : يكفى من الدنيا مايكفى العجين من الملح . وسأل رجل رجلا حاجة فقال المسؤل : إذهب بسلام ! فقال السائل : قد أنصفنا من ردنا إلى الله فى حوائجنا . عن الشعبى قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « اَللّهُمَّ اذْهَبْ بِمُلْكِ غَسَّانَ وَضَعْ مُهُورَ كِنْدَةَ » وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لكل شىء رأس ورأس المعروف تعجيله

اسماعيل بن ابراهيم ونطقه بالعربية دون تلقين

القول فى إنطاق الله تعالى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين وعلى غير التدريب والتدريج وكيف صار عربياً أعجمىُّ الأبوين ، وأول من عليه أن يقر بهذا القحطانى ، فانه لابد من أن يكون له أب كان أول عربى من جميع بنى آدم عليه السلام ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربياً حتى يكون أبوه عربياً وكذلك أبوه وكذلك جده ، كان ذلك موجبا لأن يكون نوح عليه السلام عربيا وكذلك آدم عليه السلام.

قال أبو عبيدة : حدثنا مِسْمَعُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ عن أبى جَعفر مُحمد بن عَلى بنِ الُحسين عن آبائه قال : أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : شهدت الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة وكنت أنبُلُ على عمومتى . يريد أجمع لهم النبل . قال أبو عبيدة : فقال له يونس صدقت يا أبا يسار هكذا حدثنى نصر بن طريف .

وروى قَيْسُ بنُ الرَّبيع عن أشياخه عن ابن عباس أن الله ألهم إسماعيل العربية إلهاما ، وقال الله تبارك وتعالى « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » قال : قد يرسل الله الرسول إلى قومه ، ولو أرسل فى ذلك الوقت إلى قوم آخرين لما كان الثانى ناقضاً للأول ، وإذا كان الأمر كذلك كان قومه أول من يفهم عنه ثم يصيرون حجة على غيرهم ، وإذا كان الله عز وجل قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى العجم فضلا عن العرب فقحطان وإن لم يكونوا من قومه أحق بلزوم الفرض من سائر العجم . وهذا الجواب جواب عوام النزارية ، فأما الخواص الُخلَّص فانهم قالوا : العرب كلهم شىء واحد لأن الدار والجزيرة واحدة والأخلاق والشيم واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابك والإتفاق فى الأخلاق وفى الأعراق من جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء ، فهم فى ذلك شىء واحد فى الطبيعة واللغة والهمة

والشمائل والمرعى والراية والصناعة والشهوة ، فإذا بعث الله عز وجل نبينا من العرب فقد بعثه إلى جميع العرب ، وكلهم قومه ، ولأنهم جميعا يد العجم وعلى من حاربهم من الأمم لأن تناكحهم لا يعدوهم وتصاهرهم مقصور عليهم .

قالوا : والمشاكلة من جهة الاتفاق فى الطبيعة والعادة ربما كانت أبلغ وأوغل من المشاكلة من جهة الرحم ، نعم حتى تراه أغلب عليه من أخيه لأمه وأبيه وربما كانت أشبه به خَلقاً وخُلقاً وأدبا ومذهباً ، فيجوز أن يكون الله تبارك وتعالى حين حول إسماعيل عربياً أن يكون كما حول طبع لسانه إلى لسانهم وباعده من لسان العجم أن يكون أيضاً حول سائر غرائزه وسلخ سائر طبائعه فنقلها كيف أحب وركبها كيف شاء ثم فضله بعد ذلك بما أعطاه من الأخلاق المحمودة واللسان البين بما لم يكن عندهم ، وكما خصه من البيان بما لم يخصهم به فكذلك يخصه من تلك الأخلاق ومن تلك الدلائل بما يفوقهم ويروقهم ، فصار باطلاق اللسان على غير التلقين والترتيب وبما نقل [إليهم] من طبائعه ونقل إليه من طبائعهم وبالزيادة التى أكرمه الله بها أشرف شرفا وأكرم كرما .

وقد علمنا أن الخرس والأطفال إذا دخلوا الجنة وحولوا فى مقادير البالغين وإلى الكمال والتمام لا يدخلونها إلا مع الفصاحة بلسان أهل الجنة ولا يكون ذلك إلا على خلاف الترتيب والتدريج والتعليم والتقويم ، وعلى ذلك المثال كان كلام عيسى بن مريم عليه السلام فى المهد وإنطاق يحيى عليه السلام بالحكمة صبيا ، وكذلك القول فى آدم وحواء عليه السلام .

وقد قلنا فى ذئب أهبان بن أوس ، وغراب نوح ، وهدهد سليمان ، وكلام النملة ، وحمار عُزير ، وكذلك كل شىء أنطقه الله بقدرته وسخره لمعرفته ومشيئته ، وإنما يمتنع البالغ من المعارف من قِبَل أمور تعرض من الحوادث وأمور فى أصل تركيب الغريزة فإذا كفاهم الله تلك الآفات وحصنهم من تلك الموانع ووفر عليهم الذكا. وجلب إليهم جياد الخواطر وصرف أوهامهم الى التعرف وحبب إليهم التبين

وقمت المعرفة وتمت النعمة . والموانع قد تكون من قِبَلِ الأخلاط الأربعة على قدر القلة والكثرة والكثافه والرقة ، ومن ذلك مايكون من جهة سوء العادة وإهمال النفس فعندها يستوحش من الفكرة و يستثقل النظر ، ومن ذلك ما يكون من الشواغل العارضة والقوى المتقسمة ، ومن ذلك ما يكون من خُرق المعلم وقلة رفق المؤدب وسوء صبر المثقف ، فاذا صفّى الله ذهنه ونقحه وهذبه وثقفه وفرّغ باله وكفاه انتظار الخواطر وكان هو المفيد له والقائم عليه والمريد لهدايته لم يلبث أن يعلم ، وهذا صحيح فى الأوهام غير مدفوع فى العقول، وقد جعل الله الخال أبا ، وقالوا: ألناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

وقد رأينا اختلاف صور الحيوان على قدر اختلاف طبائع الأماكن وعلى قدر ذلك شاهدنا اللغات والأخلاق والشهوات ، ولذلك قالوا : فلان ابن بجدتها وفلان بيضة البلد ، يقع ذما ويقع حمداً ، وقال زياد : والله لَلكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم . و يقولون : ما أشبه الليلة بالبارحة ! كأنهم قالوا : ما أشبه زمان يوسف بن عمر بزمان الحجاج . وقال سهيل بن عمرو : أشبه أمراً بعض بزه . وقال الأضبط بن قريع : بكل واد بنو سعد !

ولولا أن الله عز وجل أفرد إسماعيل من العجم وأخرجه بجميع معانيه إلى العرب لكان بنو إسحٰق أولى به ، وإنما ذلك كرجل قد أحاط علمه بأن هذا الطفل من نجل هذا الرجل ولكن لما كان من سفاح لم يجز أن يضيفه إليه و يدعوه أباه ، وقد جعل الله نسب ابن الملاعنة نسب أمه وإن ولد على فراش أبيه ، وقد أرسل الله موسى وهٰرون عليهما السلام إلى فرعون وقومه والى جميع القبط وهما أمتان : كنعانى وقبطى ، وقد جعل الله قوم كل نبى هم المبلغين والحجة ، ألا ترى أنا نزعم أن عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة إعلام العرب العجمَ أنهم كانوا عن ذلك عجزة ! وقال النبى صلى الله عليه وسلم «خُصِصْتُ بِأُمُورٍ مِنهَا أَنِّي بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ

لِيَ الأَرْضُ طَهُوراً » فدل بذلك على أن غيره من الرسل إنما كان يرسل إلى الخاص ، وليس يجوز لمن عرف صدق ذلك الرسول من سائر الأمم أن يكذبه وينكر دعواه ، والذى عليه ترك الإنكار والعمل بشريعة النبي الأول . هذا فرق ما بين من بعث إلى البعض ومن بعث إلى الجميع * انقضى الباب

حديث يوم السقيفة

قال : وقال حُبَابُ بنُ المُنْذِرِ يوم السقيفة : أنا جُذَيلُها المحكك وعُذَيْقُها المُرَجَّب إن شئتم كررناها جذعةً ، منا أمير ومنكم أمير ، فان عمل المهاجرى شيئاً فى الأنصارى رد ذلك عليه الأنصارى وإن عمل الأنصارى شيئاً فى المهاجرى رد عليه المهاجرى . فأراد عمرُ الكلام فقال أبو بكرٍ : على رِسْلِكَ ؟

نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً وأوسطهم داراً وأكرم الناس أحساباً وأحسنهم وجوهاً وأكثر الناس ولادة فى العرب وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا قبلكم وقُدمنا فى القرآن عليكم ، فأنتم إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الفيء وأنصارنا على العدو ، آويتم ونصرتم وآسيتم فجزاكم الله خيرا ، نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، ولا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، أنتم محقوقون أن لا تَنفِسُوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم . قالوا : فانا قد رضينا وسلمنا .

عيسى بن نذير قال : قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : نحن أهل الله وأقرب الناس بيتا من بيت الله وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هذا الأمر إن تطاولت إليه الخزرجُ لم تقصر عنه الأوسُ وإن تطاولت إليه الأوس لم تقصر عنه الخزرج ، وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى ، فان نعق منكم ناعق فقد جلس بين لَحْيَيْ أسدٍ يضغمه المهاجرى ويجرحه الأنصارى .

قال ابنُ دأبٍ : فرماهم والله بالمسكتة .

من حديث ابن أبي سفيان بن حويطب عن أبيه عن جده قال : قدمت من عمرتى فقال لى أهلى : أعلمت أن أبابكر بالموت ! فأتيته فاذا عيناه تذرفان ، فقلت : ياخليفة رسول الله ، أما كنت أول من أسلم وثانى اثنين فى الغار فصدقت هجرتك وحسنت نصرتك ووليت فأحسنت صحبتهم واستعملت خيرهم عليهم ؟ قال : وحسناً ماصنعت ؟ قلت : نعم والله ، قال: والله لله أشكر له وأعلم به ولا يمنعنى ذلك من أن أستغفر الله . فما خرجت حتى مات .

أبو الخطاب الزُّرارى عن حجناء بن جرير قال: قلت : يا أبت إنك لم تهج أحدا إلا وضعته إلا التيم ! قال : إنى لم أجد حسباً فأضعه ولا بناء فأهدمه ! قال : وقيل للفرزدق : أحسن الكميت فى مدائحه فى تلك الهاشميات ؟ قال : وجد آجُرًّا وجصاً فبنى . عامرُ بن الأسودِ قال : دخل رجل من ولد عامر بن الظرب على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال له : خبرنى عن حالك فى جاهليتك وعن حالك فى إسلامك ؟ قال : أما جاهليتى فما ندمت فيها غير لة ولا هممت فيها بأمة ولا خِمت فيها عن بهمة ولا رآنى راء إلا فى ناد أو عشيرة أوحمل جريرة أو خيل مغيرة . عوانة قال : قال عمر : الرجال ثلاثة ، رجل ينظر فى الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ورجل متوكل لا ينظر فاذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبل قولهم ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا . قال : كلم علباءُ بن الهيثم السدوسى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حاجة وكان أعور دميما جيد اللسان حسن البيان فلما تكلم فى حاجته فأحسن صعَّدَ عمر بصره فيه وحدره فلما أن قام قال : لكل أناس فى جميلهم خُبْرٌ .

أخبرنا عيسى بن يزيد [بن دأب] عن أشياخه قال : قدم معاوية : المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان : وا أبتاه و بكت ، فقال معاوية : يا ابنة أخى ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا

لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، وإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ، ولأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين ؟[١] . وقالت عائشة ابنة عثمان فى أبان بن سعيد بن العاص حين خطبها وكان نزل بأيلة وترك المدينة :

نَزَلْتَ بِبَيْتِ الضَّبِّ لاَ أَنْتَ ضَائِرٌ عَـدُوًّا وَلاَ مُسْتَنْفِعًا أَنْتَ نَافِعُ

أبو الحسن قال : قال سلامة بن روح الجذامى لعمرو بن العاص : إنه كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه[٢] فما حملكم على ذلك قال : أردنا أن نخرج الحق من حفير الباطل .قدم ببيعة على إلى الكوفة يزيد بن عاصم المحاربى فبايع أبو موسى فقال عمار لعلى : والله لينقضن عهده وليحلن عقده وليفرن جهده وليسلمن جنده . وقال على فى رواية الشعبى : حملتُ إليكم دِرَّةَ عمر لأضربكم بها لتنتهوا فأبيتم حتى اتخذت الخيزرانة فلم تنتهوا ، وقد أرى الذين يريدون السيف ولا آتى لأصلحكم بفسادى !

مقطعات من نوادر الأعراب وأشعارهم

كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لما ذكرت عجبك بذلك فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب فى ذلك أوفر إن شاء الله تعالى . قال أبو العرف الطهوى :

وَافَى الْوُفُودَ فَوَافَى مِنْ بَنِى جَمَلٍ بِكْرُ الْوِفَادَةِ فَانِى السِّنِّ عُرْزُومُ[٣]

كَزُّ الْمَلاَطَيْنِ فِى السِّرْبَالِ حِينَ مَشَى وَفِى الْمَجَالِسِ لَحَّاظٌ رُزَامِيمُ[٤]

---

(١) من عرض المسلمين : يعنى من عامتهم

(٢) يريد ما صنعوه مع على كرم الله وجهه

(٣) عرزوم : شديد مجتمع

منقبض جانبي السنام

لمّا رأى الباب والمبوّاب أخرجه ... لؤمٌ يخالطه جُبنٌ وتخزيمُ
قد كان لى بكم علمٌ وكان لكم ... ممشى وراء ظهور القوم معلومُ

وقال الحرث بن حلزة ، قال أبو عبيدة : الباقى مصنوع :(١)

يا أيها المزمعُ ثم انثنى ... لا يثنك الحازى ولا الشاحجُ(٢)
ولا قعيدٌ أعضبٌ قرنُه ... هاج له من مرتعٍ هائجُ(٣)
بينا الفتى يسعى ويُسعى له ... تاح له من أمره خالجُ
يترك ما رقّح من عيشه ... يعبثُ فيه همجٌ هامجُ(٤)
قلتُ لعمرٍو حين أرسلته ... وقد حبا من دوننا عالجُ(٥)
لا تكسع الشول بأغبارها ... إنك لا تدرى من الناتجُ(٦)
واصبُب لأضيافك ألبانها ... فإن شرّ اللبن الوالجُ(٧)

وقال زبّان بن سيّار بن عمرو بن جابر [الفزارى]

تخبّر طيرةً فيها زيادٌ ... لتُخبره وما فيها خبيرُ
أقام كأنّ لقمان بن عادٍ ... أشار له بحكمته مشيرُ
تعلّم أنّه لا طير إلّا ... على متطيّرٍ وهو الثّبورُ

---

(١) اما الأبيات الصحيحة فهى هذه قال يوصى ابنه عمرا :

قلت لعمرو حين أرسلته ... وقد حبا من دونها عالج
لاتكسع الشول بأغبارها ... إنك لاتدرى من الناتج
واصبب لأضيافك البانها ... فان شر اللبن الوالج
يترك ما رقح من عيشه ... يعبث فيه همج هامج

(٢) الحازي : الكاهن الذي يزجر الطير ، والشاحج : الغراب
(٣) القعيد الاعضب : الظبي المكسور القرن الذي يأتي من الخلف
(٤) مارقح : ما اصلح . همج هامج : رعاع أوشاب
(٥) حبا : عرض ودنا . عالج : رمل فى مكان معروف يقال له رمل عالج
(٦) لا تكسع الشول : لاتترك فى ضروع النياق بقايا اللبن . الاغبار بقية اللبن
(٧) الوالج : الذى يدخر فى البيت

بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ ... أَحَايِينًا وَبَاطِلُهُ كَثِيرُ
وَمَنْ يُنْزَحْ بِهِ لَابُدَّ يَوْمًا ... يَجِيءُ بِهِ نَعِيٌّ أَوْ بَشِيرُ

وقال بعض الأعراب :

نجيبةُ بطّالٍ لدُنْ شبَّ همُّهُ ... لُعابُ الغوانى والمُدامُ المُشعشعُ
جلا المسكُ والحمّامُ والبيضُ كالدُّمى ... وَطِيبُ الدّهانِ رأسَهُ فهوَ أنزعُ
أُسيلِمُ ذاكمْ لا خفًا بمكانِهِ ... لِعينٍ تدجّى أوْ لِأذْنٍ تسمّعُ
مِنَ النفرِ الشُّمِّ الّذينَ إذا انتدَوْا ... وَهابَ الرِّجالُ حلْقةَ البابِ قعقعُوا
إذا النّفرُ السُّودُ اليمانُونَ نمنمُوا ... لهُ حوكَ بُرْديْهِ أطالُوا وأوْسعُوا

وقال بعض الأعراب :

ألبانُ إبلِ تعِلّةَ بنِ مُسافرٍ ... ما دامَ يملكُها علَيَّ حرامُ
وطعامُ عِمرانَ بنِ أوفى مِثْلُهُ ... ما دامَ يسلكُ فى البُطونِ طعامُ
إنّ الّذينَ يسوغُ فى أحلاقِهِمْ ... زادٌ يُمَنُّ عليهِمُ لَلِئامُ
لعنَ الإلهُ تعِلةَ بنَ مُسافرٍ ... لعنًا يُشَنُّ عليهِ مِنْ قُدّامُ

وقال بعض الأعراب :

نجيبةُ قومٍ شادَها القتُّ والنّوى ... بيثربَ حتّى نيُّها مُتظاهرُ (١)
فقلْتُ لها سيرِى فما بكِ علّةٌ ... سنامُكِ ملْمومٌ ونابُكِ فاطرُ
فمثلُكِ أوْ خيرًا تركْتُ رزيّةً ... تقلّبُ عينيْها إذا مرَّ طائرُ (٢)

وقال بعض الأعراب ، مجهول الاسم ، وهو من جيد محدث أشعارهم :

حفرْنا علَى رغمِ اللّهازمِ حُفرةً ... ببطنِ فلْجٍ والأسنّةُ جُنّحُ

---

(١) القت : نبات جاف ترعاه الابل . والظاهر انه تبن البرسيم . النى : الشحم

(٢) الرزية : كان العرب فى الجاهلية إذا مات سيد منهم تركوا إلى جانب قبره ناقة قد شد عنقها إلى رحلها فلا تزال هكذا حتى تموت او يفترسها سبع . وهذه هى الرزية

وَقَدْ غَضِبُوا حَتَّى إذَا مَلَأُوا الرُّبَى ... رَأَوْا أَنَّ إِقْرَاراً عَلَى الضَّيْمِ أَرْوَحُ (١)

وقال رجل من محارب :

وَقَائِلَةٍ تَطَوَّفُ فِي جِدَادٍ ... وَأَنْتَ إِخَالُ مُعْطًى لَوْ تَقُومُ (٢)

فَقُلْتُ الضَّارِبَاتُ الطَّلْحِ وَهْنًا ... عَلَى يُمْنَايَ إِذْ وَضَحَ النُّجُومُ

قَصَرْنَ عَلَيَّ بَعْدَ اللهِ فَقْرِي ... فَلَا أَسَلُ الصَّدِيقَ وَلَا أَلُومُ

وقال حاتم الطائي :

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي حَيَاءً يَسُرُّنِي ... إِذَا اللُّؤْمُ مِنْ بَعْضِ الرِّجَالِ تَطَلَّعَا

إِذَا كَانَ أَصْحَابُ الْإِنَاءِ ثَلَاثَةً ... حَيِيًّا وَمُسْتَحْيِيًا وَكَلْبًا مُجَشَّمَا

فَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَكِيلِي أَنْ يَرَى ... مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا

أُكِفُّ يَدِي مِنْ أَنْ تَمَسَّ أَكُفَّهُمْ ... إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتُنَا مَعَا

وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وَفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

قال : وأظنها لبعض اليهود :

وَإِنِّي لَأَسْتَبْقِي إِذَا الْعُسْرُ مَسَّنِي ... بَشَاشَةَ وَجْهِي حِينَ تُبْلَى الْمَنَاقِعُ

فَأُعْفِي ثَرَى قَوْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَوَّلُوا ... إِذَا مَا تَشَكَّى الْمُلْحِفُ الْمُتَضَارِعُ

مَخَافَةَ أَنْ أُقْلَى إِذَا جِئْتُ زَائِرًا ... وَتُرْجِعُنِي نَحْوَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

فَأُسْمَعَ مَنًّا أَوْ أُشَرَّفَ مُنْعِمًا ... وَكُلُّ مُصَادِي نِعْمَةٍ مُتَوَاضِعُ

وقال بعض بني أسد [يمدح يحيى بن حيان النخعي] :

أَلَا جَعَلَ اللهُ الْيَمَانِينَ كُلَّهُمْ ... فِدًى لِفَتَى الْفِتْيَانِ يَحْيَى بْنِ حَيَّانِ

وَلَوْلَا عُرَيْقٌ فِيَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ ... لَقُلْتُ وَأَلْفًا مِنْ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانِ

وَلَكِنَّ نَفْسِي لَمْ تَطِبْ بِعَشِيرَتِي ... وَطِبْتُ لَهُ نَفْسًا بِأَبْنَاءِ قَحْطَانِ (٣)

---

(١) يعني أنهم بالرغم من تجمعهم رأوا ترك القتال أبقى لهم وأروح لأنفسهم ، يرميهم بأنهم أنذال جبناء أذلاء

(٢) في جداد : في وقت قطع الثمر من النخل

(٣) ويروى : وطابت له نفسي

وقال ثروان أو ابن ثروان ، مولى لبنى عُذْرَةَ : (١)

وَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ ... عَلَيَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمَا
وَلَـكِنَّنِي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا ... فَلَسْتُ أُبَالِي أَنْ أَدِينَ وَتَغْرَمَا
أُولَئِكَ قَوْمِي بَارَكَ اللهُ فِيهِمُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
جُفَاةُ المَحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مَفْصِلاً ... وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّمَا

وقال آخر [حاتم الطائى]

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ ... وَيَا ابْنَةَ ذِي البُرْدَيْنِ وَالفَرَسِ الوَرْدِ
إِذَا مَا عَمِلْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكُلُهُ وَحْدِي
كَرِيمًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيبًا فَإِنَّنِي ... أَخَافُ مَذَمَّاتِ الأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَكَيْفَ يُسِيغُ المَرْءُ زَادًا وَجَارُهُ ... خَفِيفُ المِعَى بَادِي الخَصَاصَةِ وَالجَهْدِ
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ ... يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا ... وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ العَبْدِ

وقال ابن عبدَلٍ :

وَلَوْ شَاءَ بِشْرٌ كَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ ... طَمَاطِمُ سُودٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ حُمْرُ
وَلَـكِنَّ بِشْرًا سَهَّلَ البَابَ لِلَّتِي ... يَكُونُ لِبِشْرٍ عِنْدَهَا الحَمْدُ وَالأَجْرُ
بَعِيدُ مُرَادِ العَيْنِ مَا رَدَّ طَرْفَهُ ... حِذَارَ الغَوَاشِي بَابُ دَارٍ وَلَا سِتْرُ

وقال بعض الحجازيين : (٢)

لَوْ كُنْتُ أَحْمِلُ خَمْرًا يَوْمَ زُرْتُـكُمُ ... لَمْ يُنْكِرِ الكَلْبُ أَنِّي صَاحِبُ الدَّارِ
لَـكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحُ المِسْكِ يَفْغَمُنِي ... وَالعَنْبَرُ الوَرْدُ أُذْكِيهِ عَلَى النَّارِ
فَأَنْكَرَ الكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي ... وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزِّقِّ وَالقَارِ

---

(١) الصحيح ان هذه الابيات لشقران مولى بنى سلامان بن سعد هزيم . وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية وكان بينه وبين ابن ميادة هجاء وتساب .

(٢) هذه الأبيات لمالك بن أسماء الفزارى

وقال ابنُ عبدَلٍ :

نِعمَ جارُ الخنزيرةِ المرضِعِ الغرْ ... نَى إذا ما غدا أبو كُلثومِ

طاوياً قدْ أصابَ عِندَ صديقٍ ... مِنْ غداءٍ مُلبَّقٍ مأدومِ

ثمَّ أنحى بجعْرِهِ حاجبَ الشمْـ ... ـسِ فألقى كالمِعْلَفِ المهدومِ

وقال حبيبُ بنُ أوس [أبو تمام الطائى]

وحياةُ القريضِ إحياؤكَ الجُـ ... ـودَ فإنْ ماتَ الجودُ ماتَ القريضُ

يا مُحِبَّ الإحسانِ فى زمنٍ أصْـ ... ـبحَ فيهِ الإحسانُ وهْوَ بغيضُ

وقال :

ثُمَّ اطَّرحتُمْ قراباتِى وآصرَتى ... حتَّى توهَّمتُ أنِّى مِنْ بنى أسَدِ

وطَلعةُ الحمدِ أقلَى فى عيونِهمِ ... وفى صدورِهم مِنْ طلعةِ الأسدِ

وقال :

إيَّاكَ يعْنى القائلونَ بقولِهمْ ... (إنَّ الشقىَّ بكلِّ حبلٍ يُخنقُ)

مِنْ شاعرٍ وقفَ الكلامُ ببابهِ ... واكتنَّ فى كنفَى ذراهُ المنطقُ

سِرْ حيثُ شئتَ مِنَ البلادِ فلى بها ... سُورٌ عليكَ مِنَ الرجالِ وخندقُ

قدْ ثقَّفتْ مِنهُ الشآمُ وسهَّلتْ ... مِنهُ الحجازُ ورقَّقتْهُ المشرقُ

وقال :

بنو عبدِ الكريمِ نجومُ ليلٍ ... تُرَى فى طَىِّءٍ أبداً تلوحُ

إذا كانَ الهجاءُ لهمْ ثواباً ... فخبِّرْنى لمنْ خُلِقَ المديحُ

وقال :

أىُّ شىءٍ يكونُ أحسنَ مِن صـَ ... ـبٍّ أديبٍ مُتيَّمٍ بأديبِ

وقال :

نقِّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ مِنَ الهوى ... ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ

كم مَنزلٍ فى الأرضِ يألفهُ الفتى ... وحنينهُ أبداً لأولِ منزلِ

وقال :

إشرب فإنك سوف تعلمُ أنهُ ... قدحٌ يصيبُ العِرضَ منهُ خُمارُ

عاداك أسوارُ الكلامِ بشرِّدٍ ... عُونِ القريضِ خُتوفها أبكارُ

غرٍّ بتى ما شئتُ كُنَّ شواهدى ... أن لم يكنْ لى والدٌ عطّارُ

وقال سلمة بن الخرشب الأنمارى :(١)

أبلغْ سُبيعاً وأنتَ سيدُنا ... قِدماً وأوفى رجالِنا ذِمما

أنَّ بغيضاً وأنَّ إخوتَها ... ذُبيانَ قد ضرَّموا الذى اضطرما

نُبئتُ أن حكّموكَ بينهُمُ ... فلا يقولنَّ بئسَ ما حكما

إن كنتَ ذا عِرفةٍ بشأنهِمِ ... تعرفُ ذا حقِّهمْ ومنْ ظلما

وتنزلَ الأمرَ فى منازلهِ ... حزماً وعزماً وتحضرُ الفهما

ولا تُبالى منَ المحقُّ ولا المبـ ... ـطِلُ لا إلَّةً ولا ذِمما (٢)

فاحكمْ فأنتَ الحكيمُ بينهُمُ ... لنْ يعدِموا الحُكمَ ثابتاً صتما

واصدعْ أديمَ السواءِ بينهمُ ... على رضا منْ رضى ومنْ رغما

إنْ كانَ مالاً ففضَّ عِدتهُ ... مالاً بمالٍ وإنْ دماً فدما

هذا وإنْ لمْ تطِقْ حكومتهمْ ... فانبِذْ إليهمْ أمورهمْ سلما

وقال آخر :

أبلغْ ضِراراً أبا عمرٍو مُغلغلةً ... أنْ كلَّ قولكَ ظهرَ الغيبِ يأتينا

إرهَنْ قَبيصةَ إنْ صُلحٌ هممتَ بهِ ... إنَّ ضِراراً لكمْ رهنٌ بما فينا

إنْ ضُحَيكاً قتيلٌ منْ سَراتِكمُ ... وإنَّ حطّانَ منّا فاعدِلوا الدِّينا(٣)

(١) كان بالأصول : سلمة بن الحرث . وهو خطأ . والصواب ما اثبتناه . وراجع ص ٢٠١ من الجزء الاول

(٢) الالة هنا بمعنى الحلف او القرابة . والذمة : العهد

(٣) الدين : الجزاء

وَانْهَ عُبَيْدًا فلا يُؤذِى عَشِيرَتَهُ ... نَهْيُكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَهْىِ نَاهِينَا

وقال آخر :

بَنِى عَدِىٍّ أَلَا يُنْهَى سَفِيهُكُمُ ... إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورُ

وقال حضرمىُّ بن عامر الأسدى ، ومات أخوه ، فقال جَزْء : قد فرح بأكل الميراث :

قَدْ قَالَ جَزْءٌ وَلَمْ يَقُلْ جَلَلَا ... أَنِّى تَرَوَّحْتُ نَاعِمًا جَذِلَا

إِنْ كُنْتَ أَزْنَنْتَنِى بِهَا كَذِبًا ... جَزْءُ فَلَاقَيْتَ مِثْلَهَا عَجِلَا

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرَامَ وَأَنْ ... أُورَثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبَلَا ؟

وقال حُرَيث بنُ سلمة بن مرارة :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِىِّ لَمَّا رَأَيْتُهَا ... تَنَكَّرْتَ حَتَّى كِدْتَ مِنْكَ أُهَالُ

فَإِنْ تَعْجَبِى مِنِّى عُمَيْرُ فَقَدْ أَتَتْ ... لَيَالٍ وَأَيَّامٌ عَلَىَّ طِوَالُ

وَإِنِّى لَمِنْ قَوْمٍ تَشِيبُ سَرَاتُهُمْ ... كَذَاكَ وَفِيهِمْ نَائِلٌ وَفَعَالُ

وَلَوْ لَقِيَتْ مَا كُنْتُ أَلْقَى مِنَ الْعِدَى ... إِذًا سَالَ مِنْهَا مَفْرِقٌ وَقَذَالُ

وَلَٰكِنَّهَا فِى كِلَّةٍ كُلَّ شَتْوَةٍ ... وَفِى الصَّيْفِ كِنٌّ بَارِدٌ وَحِجَالُ

تُصَانُ وَتُعْلَ الْمِسْكَ حَتَّى كَأَنَّهَا ... إِذَا وَضَعَتْ عَنْهَا النَّصِيفَ غَزَالُ

وقال بعض الخوارج لامرأته ، وأرادت أن تنفر معه :

إِنَّ الْحَرُورِيَّةَ الْحَرَّا إِذَا رَكِبُوا ... لَا تَسْتَطِيعُ لَهُمْ أَمْثَالُكِ الطَّلَبَا

إِنْ يَرْكَبُوا فَرَسًا لَا تَرْكَبِى فَرَسًا ... وَلَا تُطِيقِى مَعَ الرَّجَّالَةِ الْخَبَبَا

وقال خُزَزُ بنُ لوذان لامرأته فى شبيه بهذا :

لَا تَذْكُرِى مُهْرِى وَمَا أَطْعَمْتُهُ ... فَيَكُونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ

إِنَّ الْغَبُوقَ لَهُ وَأَنْتِ مَسُوءَةٌ ... فَتَأَوَّهِى مَا شِئْتِ ثُمَّ تَحَوَّبِى

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنٍّ بَارِدٍ ... إِنْ كُنْتِ سَائِلَتِى غَبُوقًا فَاذْهَبِى

إِنِّى لَأَخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِى ... هَٰذَا غُبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلَبَّبِ

إنَّ العَدُوَّ لَهُمْ إليكِ وَسِيلةٌ   إنْ يأخذوكِ تكحّلي وتخضّبي
وَيكونُ مَرْكَبُكِ القَعُودَ وَحِدْجَهُ   وَابْنُ النَّعامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
وَأنا امرؤٌ إنْ يأخُذُونِي عَنْوَةً   أُقْرَنْ إلى شَرِّ الرِّكابِ وأُجْنَبِ

وأراد أعرابي أن يسافر فطلبت اليه امرأته أن تكون معه فقال :

إنَّكِ لو سافَرْتِ قَدْ مَذِحْتِ   وَحَكَّكِ الحِنْوانِ فانْفَتَحْتِ (١)
وَقُلْتِ هَذا صَوْتُ دِيكٍ تَخّي

وفى شبيه بهذا المعنى الأول يقول عُمر بنُ عَبد الله بن أبي رَبيعة :

وَأعْجَبَها مِنْ عَيْشِها ظِلُّ غُرْفَةٍ   وَرَيَّانُ مُلْتَفُّ الحَدائقِ أَخْضَرُ
وَوالٍ كَفاها كُلَّ شَيءٍ يَهُمُّها   فَلَيْسَتْ لِشَيءٍ آخِرَ الدَّهْرِ تَسْهَرُ

وقال سلامةُ بنُ جَنْدَلٍ هذه الأبيات وبعث بها الى صَعْصَعَةَ بنِ محمودِ بنِ عَمْرو ابنِ مَرْثَدٍ ، وكان أخوه أحمر بن جندل أسيراً فى يده ، فأطلقه له :

سأجْزِيكَ بالوِدِّ الذى كانَ بيْنَنا   أصَعْصَعَ إنّى سَوْفَ أجْزِيكَ صَعْصَعا (٢)
سأُهْدِي وَإنْ كُنّا بِتَثْلِيثَ مِدْحَةً   إلَيْكَ وَإنْ حَلَّتْ بُيُوتُكَ لَعْلَعا
فَإنْ يَكُ مَحْمودٌ أباكَ فإنَّنا   وَجَدْناكَ مَحْمودَ الخَلائِقِ أرْوَعا (٣)
وإنْ شِئْتَ أهْدَيْنا ثَناءً وَمِدْحَةً   وَإنْ شِئْتَ أهْدَيْنا لَكُمْ مِئَةً مَعا (٤)

قال [صعصعة بن محمود] ألثناء والمدحة أحب الينا . وقال أوس بن حجر ، حين حبس وأقام عند فضالة بن كلدة ، وتولت خدمته حليمة أبنة فضالة شاكراً ذلك :

---

(١) قال الجاحظ : المذح : سحج إحدى الفخذين بالاخرى

(٢) الذى فى ديوان سلامة بن جندل المطبوع فى بيروت :

ساجزيك بالقد الذي قد فككته   ساجزيك ما ابليتنا العام صعصعا

(٣) رواية الديوان هكذا :

فان يك محمود اباك فاننا   وجدناك منسوبا إلى الخير اروعا

(٤) رواية الديوان هكذا:

وإن شئت اهدينا ثناء ومدحة   وإن شئت عدينا لكم مئة معا

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءَ ثَوِىِّ بِهَا ... حَلِيمَةُ إِذْ أَلْقَى مَرَاسِىَ مَقْعَدِ
وَلٰكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانَتِى ... وَحَلَّ بِفَلْجٍ فَالْقَنَافِذِ عُوَّدِى
وَقَدْ غَبَرَتْ شَهْرَىْ رَبِيعٍ كِلَيْهِمَا ... بِحَمْلِ الْبَلَايَا وَالْخِبَاءِ الْمُمَدَّدِ
وَلَمْ تُلْهِهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ أَنَّهَا ... كَمَا شِئْتَ مِنْ أُكْرُومَةٍ وَتَخَرُّدِ
هِىَ ابْنَةُ أَعْرَاقٍ كِرَامٍ نَمَيْنَهَا ... إِلَى خُلُقٍ عَفٍّ بِرَازَتِهِ قَدِ
سَأَجْزِيكِ أَوْ يَجْزِيكِ عَنَّا مُثَوِّبٌ ... وَحَسْبُكِ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكِ وَتُحْمَدِى

وقال الخريمى :

وَلَمْ أَجْزِهِ إِلَّا الْمَوَدَّةَ جَاهِداً ... وَحَسْبُكَ مِنِّى أَنْ أَوَدَّ فَأَجْهَدَا

وقال الأسدى:

وَإِنِّى أُحِبُّ الْخُلْدَ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ ... وَكَالْخُلْدِ عِنْدِى أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أُلَمْ

وقال الحادِرَةُ :

فَأَثْنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَبِيكُمُ ... بِإِحْسَانِنَا إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ

وأنشد الأصمعى لمهلهل :

فَقَتْلاً بِتَقْتِيلٍ وَعَقْراً بِعَقْرِكُمْ ... جَزَاءَ الْعِطَاءِ لَا يَمُوتُ مِنَ اثْآرْ

وضاف أبو الشُّلَيل العنبرى بنى حكم فخذا من عَنزة فقال :

أَرَانِى فِى بَنِى حَكَمٍ قَصِيًّا ... عَلَى قَتَرٍ أَزُورُ وَلَا أُزَارُ
أُنَاسٌ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ دُونِى ... وَتَأْتِينِى الْمَعَاذِرُ وَالْقُتَارُ

وقال الآخر :

إِذَا مَدَّ أَرْبَابُ الْبُيُوتِ بُيُوتَهُمْ ... عَلَى رُجَّحِ الْأَكْفَالِ أَلْوَانُهَا زُهْرُ
فَإِنَّ لَنَا مِنْهَا خِبَاءً يُحِفُّنَا ... إِذَا نَحْنُ أَمْسَيْنَا الْمَجَاعَةُ وَالْفَقْرُ

وقال آخر وهو أبو المهوّس الأسدى :(١)

تَرَاهُ يُطَوِّفُ الآفاقَ حِرْصاً ... لِيأْكلَ رأْسَ لُقْمانَ بْنِ عادِ

وقال أيضا :

وَبَنُو الْفُقَيْمِ قَلِيلَةٌ أَحْلامُهُمْ ... ثُطُّ اللِّحَى مُتَشابِهُوا الأَلْوَانِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ ... بِعُمَانَ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بِعُمَانِ
مُتَأَبِّطِينَ بَنِيهِمُ وَبَنَاتِهِمْ ... صُعْرَ الأُنُوفِ لِرِيحِ كُلِّ دُخَانِ

وقال آخر :

وَجِيرَةٍ لَنْ تَرَى فى النَّاسِ مِثْلَهُمُ ... إِذَا يَكُونُ لَهُمْ عِيدٌ وَإِفْطَارُ
إِنْ يُوقِدُوا يُوسِعُونِى مِنْ دُخَانِهِمُ ... وَلَيْسَ يَبْدُو لَنَا مَا تُنْضِجُ النَّارُ

وقال أبو الطَّرُوق الضَّبي فى خاقان بن عبد الله بن الأهتم :

وَشَكَّ النَّاسُ فى خَاقَانَ لَمَّا ... أَتَى لِوِلادِهِ سَنَةٌ وَشَهْرُ
وَقالَتْ أُخْتُهُ إِنِّى بَرَاهُ ... إِلَى الرَّحْمٰنِ مِنْكَ وَذاكَ نُكْرُ
وَلَمْ يُسْمَعْ بِحَمْلٍ قَبْلَ هٰذا ... أَتَى مِنْ دُونِهِ دَهْرٌ وَدَهْرُ
فَنَافَرَهَا فَأَلْحَقَهُ شَبِيبٌ ... وَأَثْبَتَهُ فَشَابَ عَلَيْهِ وَفْرُ

وقال مكى بن سوادة البرجمى :

تَجَبَّرَ اللُّؤْمُ يَبْغِى مَنْ يُحَالِفُهُ ... حَتَّى تَنَاهَى إِلَى أَبْنَاءِ خَاقَانِ
أَزْرَى بِكُمْ يَا بَنِى خَاقَانَ أَنَّكُمُ ... مِنْ نَسْلِ حَجَّامَةٍ مِنْ قِنِّ هِزَّانِ
سَفَّاكَةٍ لِدِمَاءِ الْقَوْمِ آكِلَةٍ ... قِدْماً لأَمْوَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ سُلْطَانِ
لَوْ تَسْأَلُونَ بِهَا أَيُّوبَ جَاءَكُمُ ... عَلَى الَّذِى قُلْتُ أَيُّوبُ بِبُرْهَانِ
أَيَّامَ تُعْطِيهِ خَرْجاً مِنْ حِجَامَتِهَا ... يَوْماً فَيَوْماً تُوَفِّيهِ بِأَزْبَانِ
فَإِنْ رَدَدْتُمْ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ أَتَى ... عَلَى مَقَالَتِهِ فِيهَا بِتِبْيَانِ

(١) روى المبرد ان هذا البيت من ابيات لأبى مهدش الفقعسى . وروى دعبل انها لابى مهوس الأسدي ورواها ابن برى ليزيد بن عمرو بن الصعق . وراجع بقيتها فى ص ١٦٦ من الجزء الاول

ثم اشتراها أبو خاقان حين عست ... فالتقطت نقطة منه بأقطان (١)

فاستدخلتها ولا يدري بما فعلت ... حتى إذا ركضت جاءت بخاقان

وقال اللعين المنقري في آل الأهتم :

وكيف تسامون الكرام وأنتم ... دوارج جرذيون فدع القوائم (٢)

بنو ملصق من ولد حذلم لم يكن ... ظلوما ولا مستنكرا للمظالم

وقال آخر :

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ... إن الشباب جنون برؤه الكبر

وقال أعرابي وهو أبو حية النميري :

رمتني وستر الله بيني وبينها ... عشية آرام الكناس رميم

ألا رب يوم لو رمتني رميتها ... ولكن عهدي بالنضال قديم

رميم التي قالت لجارات بيتها ... ضمنت لكم أن لا يزال يهيم

وقال أبو يعقوب الأعور :

بقلبي سقام لست أحسن وصفه ... على أنه ما كان فهو شديد

تمر به الأيام تسحب ذيلها ... فتبلى به الأيام وهو جديد

وقال الثقفي :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته ... إن الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه إذا ما قل ناصره ... ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

وقال أشجع السلمي في هرون أمير المؤمنين :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد ... رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته وإذا هدى ... سلت عليه سيوفك الأحلام

(١) عست : كبرت

(٢) فدع : معوجو القوائم

وقال :

إِنْتَجِعِ الفَضْلَ أوتَخَلَّ مِنَ الـــدُّنيا فهاتانِ غايتا الهِمَمِ

وقال :

أَبَتْ طَبرِستانُ إلاَّ الَّذِي يَعُمُّ البَرِيَّةَ مِنْ دائها
ضَمِمْتَ مَناكِبِها ضَمَّةً رَمَتْكَ بِما بَينَ أحْشائِها

وقالوا : لم يدع الأول للآخر معنى شريفا ولا لفظاً بهياً إلا أخذه إلابيت عنترة :

فَتَرى الذُّبابَ بِها يُغَنِّي وَحْدَهُ غَرِداً كَفِعْلِ الشّارِبِ المُتَرَنِّمِ
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ فِعْلَ المُكِبِّ عَلَى الزِّنادِ الأَجْذَمِ

وقال الفقيمى قاتل غالب أبى الفرزدق :

وَما كُنْتُ نَوّامًا وَلٰكِنَّ ثائِراً أَناخَ قليلاً فَوقَ ظَهرِ سَبيلِ
وَقَدْ كُنتُ مَخزونَ اللِّسانِ وَمُفحَماً (فأَصْبَحْتُ أَدْرِي اليَوْمَ كَيفَ أَقُولُ)

وقال أَبو المُثَلَّمِ الهُذَلِيُّ (١)

أَصَخْرَ بْنَ عَبدِ اللهِ إنْ كُنْتَ شاعِرا فإِنَّكَ لا تُهْدِي القَرِيضَ لِمُفْحَمِ

قال الهذلى (٢)

---

(١) هو ابو المثلم الهذلى : احد شعراء هذيل المعدودين ، كان بينه وبين صخر بن عبد الله الخيثمى الهذلى المعروف بصخر الغي تنافس . وكان صخر خليعا ذا باس وشر ، ومن شره انه عمد إلى رجل مزنى كان جاراً لبنى خناعة بن سعد بن هذيل فقتله ، فاخذ ابو المثلم يحرض قومه على مطالبته بدم جارهم المزني فبلغ ذلك صخرا فقال يذكر ابا المثلم وما فعله :

إني بدهماء عز ما أجد عاودني من حبابها زؤد
عاودني حبها وقد شحطت صرف نواها فانى كمد
فلست عبدا للموعدين ولا اقبل ضيما اوتي به احد
جاءت كبير كيما اخفرها والقوم صيد كانهم رمدوا
فى المزني الذي حششت به مال ضريك تلاده نكد
إن امتسكه فبالفداء وإن اقتل بسيفي فانه قود

فرد عليه ابو المثلم بقصيدة منها البيت الذى فى الاصل

(٢) هو أبو العيال الهذلى وقد مضت ترجمته فى ص ١٧ من الجزء الاول

عَلَى عَبْدِ بْنِ زُهْرَةَ طُو   لَ هَذَا الدَّهْرِ أَنْتَحِبُ (١)
أَخٌ لِي دُونَ مَنْ لِي مِنْ   بَنِي عَمِّي وَإِنْ قَرُبُوا
طَوَى مَنْ كَانَ ذَا نَسَبٍ   إِلَيَّ وَزَادَهُ النَّسَبُ
أَبُو الأَضْيَافِ وَالأَيْتَامِ   سَاعَةَ لَا يُعَدُّ أَبُ
أَلَا لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ   فَتَى قَوْمٍ إِذَا رَكِبُوا (٢)
وَقَالُوا مَنْ فَتًى لِلثَّـ   ـغْرِ يَرْقُبُنَا وَيَرْتَقِبُ (٣)
فَكُنْتَ أَخَاهُمُ حَقًّا   إِذَا تُدْعَى لَهَا تَثِبُ (٤)
وَقَدْ ظَهَرَ السَّوَابِغُ فِيـ   ـهِمُ وَالبَيْضُ وَالْيَلَبُ
أَقَامَ لَدَى مَدِينَةِ آ   لِ قُسْطَنْطِينَ وَانْقَلَبُوا
نَجِيبًا حِينَ يُدْعَى إِنَّ   آبَاءَ الْفَتَى نُجُبُ

وَقَالَ أَدْهَمُ بْنُ مُحْرِزٍ الْبَاهِلِيُّ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ شَانَ أَهْلَهُ   تَفَتَّيْتُ وَابْتَعْتُ الشَّبَابَ بِدِرْهَمِ

وَقَالَ آكِلُ الْمُرَارِ الْمَلِكُ (٥)

إِنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ   بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورُ (٦)
حُلْوَةُ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ وَمُرٌّ   كُلُّ شَيْءٍ يُجِنُّ مِنْهَا الضَّمِيرُ

---

(١) رواية الاصبهاني : طول الليل اكتئب

(٢) رواية الاصبهاني : إذا رهبوا

(٣) رواية الاصبهاني : فتى للحرب

(٤) رواية الاصبهاني

فكنت فتاهم فيها   إذا يدعى لها يثب

(٥) هو الحرث بن عمرو الكندى جد امرىء القيس . وكان ابن هبولة الغسانى سبي امرأته فلحقه الحرث فقتله وارتجع المرأة ، وكان قد نال منها فقال لها : هل كان أصابك ؟ قالت : نعم والله ما اشتملت النساء على مثله . فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما حتى قطعاها وقال الابيات

(٦) ويروى : بود

كلُّ أُنثى وَإن بدَت لكَ مِنها ... آيةُ الحُبِّ حُبُّها خيتعورُ (١)

وقال طُفيلُ الغنَوِيُّ (٢)

إنَّ النِّساءَ كأشجارٍ نَبَتْنَ معاً ... مِنها المُرارُ وبعضُ المُرِّ مأكولُ

إنَّ النِّساءَ متى يُنهَينَ عن خُلُقٍ ... فإنَّهُ واجِبٌ لابُدَّ مفعولُ

وقال عَلقمةُ بنُ عَبَدَةَ (٣)

فإنْ تسألوني بالنِّساءِ فإنَّني ... بَصيرٌ بأدْواءِ النِّساءِ طَبيبُ

إذا شابَ رأسُ المرءِ أوْ قلَّ مالُهُ ... فليسَ لهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصيبُ

يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حَيثُ عَلِمْنَهُ ... وَشَرْخُ الشَّبابِ عِندَهُنَّ عَجيبُ

وقال أبو الشَّغْبِ السَّعْدِي :

أبَعْدَ بَني الزَّهْراءِ أرجُو بَشاشَةً ... مِنَ العَيشِ أوْ أرْجُو رَخاءً مِنَ الدَّهْرِ

غَطارِفَةٌ زُهْرٌ مَضَوْا لسَبيلِهِمْ ... ألَهفي عَلى تِلكَ الغَطارِفَةِ الزُّهْرِ

---

(١) ويروى :

كل أنثى وإن بدا لك منها ... آية الود حبها خيتعور

والخيتعور : الكثير التقلب لا يدوم على حال

(٢) هو طفيل بن عوف الغنوى شاعر جاهلي معدود ، كان وصافا للخيل مجيداً . قال قتيبة بن مسلم لاعرابي من غنى قدم عليه خراسان : أى بيت قاله العرب أعف ؟ قال : قول طفيل:

ولا أكون وكاء الزاد أحبسه ... لقد علمت بأن الزاد ماكول

قال : فأى بيت قاله العرب فى الحرب أجود ؟ قال : قول طفيل :

بجيش إذا قيل اركبوا لم يقل لهم ... عواوين يخشون الردى اين نركب

قال : فأى بيت قاله العرب فى الصبر اجود ؟ قال : قول نافع بن خليفة الغنوى :

ومن خير مافينا من الامن اننا ... بقى مانوافى موطن الصبر نصبر

قال قتيبة : فما تركت لاخوانك من باهلة ؟ قال : قول صاحبهم :

وإنا اناس ماتزال سهامنا ... تنور نيران العدو مناسمه

وليس لناحى تضاف إليهم ... ولكن لناعود شديد شكائمة

(٣) هو المعروف بعلقمة الفحل ، شاعر من فحول شعراء الجاهلية ومقدميهم . مات سنة ٦٢٥ م . والابيات التى رواها الجاحظ فى الاصل هى من قصيدة بارعة مطلعها :

طحابك قلب فى الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب

وهي طويلة ، ارجع إليها فى المفضليات مشروحة بقلمنا شرحا وافياً

يُذَكِّرُنيهم كلُّ خيرٍ رأيتهُ ... وشرٍّ فما أنفكُّ منهم على ذِكرِ

وقالَ أبو حُزابةَ (١) فى عبدِ اللهِ بنِ ناشِرَةَ :

ألا لا فتى بعدَ ابنِ ناشِرةَ الفتى ... ولا خيرَ إلاّ قدْ تولّى وأدْبرا

وكانَ حصاداً للمنايا ازدرعنهُ ... فهلاّ تركْنَ النّبتَ ما كانَ أخضرا

لحا اللهُ قوماً أسلموكَ وَرفّعُوا ... عَناجيجَ أعطتْها يمينُكَ ضُمّرا (٢)

أما كانَ فيهم فارسٌ ذُو حفيظةٍ ... يرَى الموتَ فى بعضِ المواطنِ أعذرا (٣)

يَكُرُّ كما كرَّ الكُلَيبيُّ بعدَما ... رأى الموتَ تحدُوهُ الأسنّةُ أحمرا (٤)

فكرَّ عليهِ الوَرْدَ يدْمى لبانهُ ... وما كرَّ إلاّ رَهبةً أنْ يُعيَّرا

وقالَ أعرابى :

رَعاكِ ضَمانُ اللهِ يا أُمَّ مالكٍ ... وَللهُ أن يشفيكِ أرْعَى وأوْسعُ

يُذَكِّرُنيكِ الخيرُ والشرُّ والذى ... أخافُ وأرْجُو والذى أتوقّعُ

وقال دُرَيدُ بنُ الصِّمَّة :

وَقالوا ألاَ تبكى أخاكَ وقدْ أرى ... مكانَ الأسى لكنْ بُنيتُ على الصّبْرِ

فقلْتُ أعبدَ اللهِ أبكى أمِ الذى ... على الجدَثِ الباقى قتيلَ أبى بكرِ

وعبدَ يغوثٍ أو نديمى خالداً ... وعزَّ المُصابُ وضعُ قبرٍ إلى قبرِ

---

(١) هو الوليد بن حنيفة التميمى ، شاعر من شعراء الدولة لاموية ، كان من اهل البادية فتحضر وسكن البصرة ، ثم اكتتب فى بعث سجستان فكان بها مدة ثم عاد إلى البصرة ، وكان شاعراً راجزاً فصيحا خبيث اللسان هجاء ، ثم خرج مع ابن الاشعث وقتل معه سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م . وكان ابن ناشرة معه بسجستان وقتل فى فتنة الزبير

(٢) ويروى : وجردوا ، بدل ورفعوا

(٣) ويروى :

اما كان فيهم ماجد ذو حفيظة ... يرى الموت فى بعض المواطن اجدرا

(٤) خلط صاحب الاغانى هذا البيت بالبيت بعده ورواه هكذا

يكر كما كر الكليبى مهره ... وما كر إلا خشية ان يعيرا

ومن هذه القصيدة قوله :

لعمرى لقد هدت قريش عروشنا ... بابيض نفاح العشيات ازهرا

فلا صلح حتى تزحف الخيل والقنا ... بنا وبكم ان يصدر الامر مصدرا

أَبَى القَتْلُ إلاَّ آلَ صِمَّةَ إنَّهُمْ ... أبَوْا غَيرَهُ وَالقدْرُ يجْرِى إلى القدْرِ
فإمَّا ترَينا مَا تزَالُ دِماؤُنا ... لدَى ثَائِرٍ يَسْعَى بها آخِرَ الدَّهْر
فإنَّا لِلَحْمِ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ ... ونَلْحَمُهُ حِيْناً فليْسَ بذِى نُكرِ
يُغارُ عَلَيْنا وَاتِرِينَ فَيُشْتَفَى ... بِنا إنْ أُصِبنَا أوْ نُغِيرُ عَلَى وَتْرِ
قَسَمْنا بِذاكَ الدَّهْرَ شطرَيْنِ بَيْننا ... فلا يَنقَضِى إلا ونحْنُ عَلَى شَطْرِ

وقال آخر [هو سعد بن كعب الغنوى]

إذا ما تَرَاآهُ الرِّجالُ تَحَفَّظُوا ... فلَمْ تُنْطِقِ العَوْرَاءَ وَهْوَ قرِيبُ
حَبِيبٌ إلى الزُّوَّارِ غِشْيانُ بَيْتِهِ ... جَمِيلُ المُحَيَّا شَبَّ وَهْوَ أدِيبُ
فتًى لايُبالى أنْ يَكونَ بجِسْمِهِ ... إذا نالَ خَلاَّتِ الكِرامِ شُحُوبُ
حَلِيمٌ إذا ما الحِلْمُ زَيَّنَ أهْلَهُ ... مَعَ الحِلْمِ فى عَيْنِ العَدُوِّ نَجِيبُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فيُجِيبُهُ ... قَرِيباً ويَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ
يَبِيتُ النَّدَى يا أُمَّ عَمْرٍو ضَجِيعَهُ ... إذا لم يَكُنْ فى المُنْقِيَاتِ حَلوبُ (١)

وقال آخر :

ألاَ تَرَيْنَ وَقدْ قَطَّعْتِنى عَذَلاَ ... ماذا مِنَ الفَوْتِ بينَ البُخْلِ وَالجودِ
إلاَّ يكُنْ وَرِقٌ يوْماً أجودُ بها ... لِلْمُعْتَفِينَ فإنِّى لَيِّنُ العُودِ

وإلى هذا ذهبَ ابنُ يسير حيث يقول :

لا يَعْدَمُ السائلونَ الخيْرَ أفعَلُهُ ... إمَّا نَوالِى وَإمَّا حُسْنُ مَرْدُودِى

وقال الهذلى (٢)

---

(١) قال الجاحظ : يقول إذا كان الجدب ولم يكن للمال لبن فهو وهوب مطعام فى هذا الزمن ، والمنقيات : المهازيل التى ذهب نقيهن ، والنقى : مخ العظام وشحم العين ، وجمعه انقاء ، وناقة منقية : التى دلت نقى »

(٢) هو ابو المثلم المار ذكره قريبا . وهذا البيت من ابيات يرثى بها صخر الغى ، وقبله برواية ابى الفرج :

لو كان للدهر مال كان قلده ... لكان للدهر صخر مال قنيان
آبى المضيمة ناب بالعظيمة ... متلاف الكريمة لا نكس ولا وان
حامى الحقيقة نسال الوديقة ... معتال الوسيقة جلد غير ثنيان

وَهَّابُ مالا تكادُ النفسُ تُرسِلُه مِنَ التِّلادِ وَصُولٌ غيرُ منَّانِ

وقال أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ المُثَنَّى : ومن الشوارد التى لا أرباب لها قوله :

إنْ يَفخروا أوْ يَغدِروا أوْ يَبْخَلوا لَمْ يَحفِلوا

يَغدُوا عليكَ مُرَجَّلِيـ نَ كأنَّهم لمْ يَفعلوا (١)

كأَبى بَرَاقِشَ كلَّ لَوْ نٍ لونُهُ يَتَخَيَّلُ (٢)

ومثله فى بعض معانيه :

أكُولٌ لأرزاقِ العِبادِ إذا اشتَا صَبُورٌ على سُوءِ الثَّناءِ وَقَاحُ

وقال :

وما نفى عنكَ قوماً أنتَ خائفُهم كَمِثْلِ وَقْمِكَ جُهَّالاً بجُهَّالِ (٣)

[فاقعَسْ إذا حَدَبوا واحْدَبْ إذا قَعَسوا وَوَازِنِ الشرَّ مِثقالاً بمِثقالِ (٤)

وقال الراجز :

وقدْ تعلَّلتُ ذَمِيلَ العَنْسِ بالسَّوْطِ فى دَيْمُومَةٍ كالتُّرْسِ (٥)

إذْ عَرَّجَ اللَّيْلُ بِرُوحِ الشَّمْسِ

وقال الراجز :

قدْ كُنتُ إذْ حَبْلُ صِباكَ مُدْمَشُ وإذْ أهاضيبُ الشَّبابِ تَبْغَشُ (٦)

رباء مرقبة مناع مغلبة ركاب سلهبة قطاع اقران
هباط اودية شهاد اندية حمال الوية سرحان فتيان
يحمى الصحاب إذا جد الضراب ويكـفى القائلين إذا ما كبل العانى
ويترك القرن مصفرا انامله كأن فى ريطتيه نضح ارقان

ورواية ابي الفرج هكذا :

يعطيك مالا تكاد النفس تسلمه من التلاد وهوب غير منان

(١) مرجلين : مسرحى الشعور مزينين

(٢) ابو براقش : طائر صغير اعلى ريشه اغبر واوسطه احمر واسفله اسود فاذا هيج انتفش فظهرت لريشه الوان شتى

(٣) الوقم : القهر والاذلال

(٤) فاقعس : فتاخر . حدبوا : مالوا وعطفوه

(٥) ذميل العنس . سير الناقة الصلبة . الديمومة : الفلاة

(٦) مدمش : شديد الفتل محكمه . البغش : التطاير

وقال الراجز :

طَالَ عَلَيْهِنَّ تَكَالِيفُ السُّرَى وَالنَّصُّ فى حِينِ الهَجِيرِ وَالضُّحَى

حَتَّى عَجَاهُنَّ فَمَا تَحْتَ العَجَى رَوَاعِبُ يَخْضِبْنَ مَبْيَضَّ الحَصَى (١)

سمع ذلك ابن وهيب (٢) فرام مثله فقال :

يَخْضِبُ مَرْوًا دَمًا نَجِيعًا مِنْ فَرْطِ مَا تَنْكُبُ الحَوَامِى

وقال عامرٌ ملاعبُ الأسنة (٣) :

دَفَعْتُكُمُ عَنِّى وَمَا دَفْعُ رَاحَةٍ بِشَىْءٍ إِذَا لَمْ تَسْتَعِنْ بالأَنامِلِ

يُضَعْضِعُنِى حِلْمِى وَكَثْرَةُ جَهْلِكُم عَلَىَّ وَأَنِّى لاَ أَصُولُ بِجَاهِلِ

وقال آخر :

لاَبُدَّ لِلسُّؤْدُدِ مِنْ أَرْمَاحِ وَمِنْ سَفِيهٍ دَائِمِ النُّبَاحِ

وَمِنْ عَدِيدٍ يَتَّقِى بالرَّاحِ

وقال أبو نُخَيْلةَ لبعض سادات بنى سعد :

وَإِنَّ بِقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لَفَاقَةً إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدِ

وتمثل سُفيان بن عُيينة ، وقد جلس على مرقب عال وأصحاب الحديث مدى البصر يكتبون ، بقول الآخر :

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِى بالسُّؤْدُدِ

وقال الأول فى الأحنف :

وَإِنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطَعْتَهُ دَعَاكَ إِلَى نَارٍ يَفُورُ سَعِيرُهَا

---

(١) عجاهن : اخرهن عن رضاع فصلانهن . رواعب : تسيل منهن الدماء على الحصى

(٢) هو محمد بن وهيب الحيرى . شاعر من متوسطى الشعراء فى الدولة العباسية ، وكان اديبا بارعا من ادباء الشيعة . نشا بالبصرة وسكن بغداد وكان مختصا بالحسن بن سهل ، وهو من من مؤدبي الفتح ابن خاقان وزير المتوكل

(٣) هو ابو براء عامر بن مالك ، فارس شاعر سيد من سادات بنى مالك . وكان من الشجعان الأبطال فى الجاهلية وراس قومه فى حرب الفجار . مات فى عهد البعثة النبوية

وقال الآخر :

فأَصْبَحْتَ بَعْدَ الحِلْمِ فى الحىِّ ظالِمًا تخمّطُ فيهم والمسَوَّدُ يظلِمُ

وقال رجل من بنى الحرث بن كعب يقال له سُوَيْدٌ :

إنّى إذا ما الأمرُ بيّنَ شكّهُ وبدَتْ بصائرُهُ لمَنْ يتأمّلُ

وتبرّأَ الضُّعفاء مِنْ إخوانِهِمْ وألحّ مِنْ حرّ الصميمِ الكلْكلُ

أدَعُ التى هِىَ أرفقُ الحالاتِ بى عِندَ الحفيظةِ للّتى هِىَ أجمَلُ

وقال الآخر :

ذَهبَ الذين أُحِبُّهُمْ فرَطًا وبَقيتُ كالمَغْمُورِ فى خَلْفِ

مِنْ كلِّ مَطْوِىٍّ على حَنَقٍ مُتَصنّعٍ يُكْفَى ولا يَكفى

وقال أبو الطمحان القينى :

فكم فيهمُ مِنْ سيّدٍ وابنِ سيّدٍ وَفِىٍّ بعقدِ الجارِ حين يفارقُهْ

يكادُ الغَمامُ الغرُّ يرْغبُ أنْ يرى وُجُوهَ بنى لأْمٍ وينهلَّ بارقُهْ

وقال طُفَيلٌ الغنوىُّ :

وكانَ هُرَيْمٌ مِن سِنانٍ خليفةً وعَمْرٍو ومِنْ أسماءَ لمّا تغيّبوا

نُجُومُ سماءٍ كلّما انقضّ كوكبٌ بدَا وانجلَتْ عنهُ الدُّجُنّةُ كوكبُ

وقال رجل من بنى نهشل :

إنّا لمِنْ معشرٍ أفنَى أوائلَهُمْ قِيلُ الكُماةِ ألا أينَ المحامُونا

لوْ كانَ فى الألفِ مِنّا واحدٌ فدعَوْا مَنْ عاطفٌ خالَهُمْ إيّاهُ يَدْعونا

وليْسَ يَذْهَبُ مِنّا سيّدٌ أبداً إلاّ افتَلَيْنا غُلامًا سيّداً فِينا

وقال بعض الحجازيين :

إذا طمَعٌ يوماً عرانى قريْتُهُ كتائبَ يأسٍ كرَّها وطِرادَها

أكُدُّ ثمادِى والمِياهُ كثيرةٌ أُعالجُ مِنها حفرَها واكتِدادَها

وأرضَى بها مِنْ بَحْرِ آخرَ إنّهُ هُوَ الرِّىُّ إنْ تَرْضَى النفوسُ ثِمادَها

وقال أبو محجن الثقفي (١)

أَلَمْ تَسْأَلْ فَوَارِسَ مِنْ سُلَيْمٍ ... بِنَضْلَةَ وَهْوَ مَوْتُورٌ مُشِيحُ
رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهْوَ خِرْقٌ ... وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ القَبِيحُ
فَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ ... وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ
فَكَرَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَلْتاً ... كَمَا عَضَّ الشَّبَا الفَرَسُ الجَمُوحُ
فَأَطْلَقَ غُلَّ صَاحِبِهِ وَأَرْدَى ... جَرِيحاً مِنْهُمُ وَنَجَا جَرِيحُ

وقال بعض اليهود (٢) :

سَئِمْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الفِرَا ... شِ وَمِنْ حَمْلِ قَوْمٍ وَمِنْ مَغْرَمِ
وَمِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ بَعْدَ النُّهَى ... وَرُمْتُ الرَّشَادَ فَلَمْ يُفْهَمِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الحَلِيمَ ... وَلَمْ تَتَعَدَّ وَلَمْ تَظْلِمِ
وَلٰكِنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا السَّفِيهَ ... حَتَّى تَعَكَّظَ أَهْلُ الدَّمِ
فَأَوْدَى السَّفِيهُ بِرَأْيِ الحَلِيمِ ... فَانْتَشَرَ الأَمْرُ لَمْ يُبْرَمِ

وقال بعض الشعراء :

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ ... وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ
ضَحُوكُ السِّنِّ إِنْ أَمَرُوا بِخَيْرٍ ... وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِزُمَّيْجَةٍ فِي الفِرَاشِ ... وَجَّابَةٍ يَحْتَمِي أَنْ يُجِيبَا
وَلَا ذِي قَلَازِمَ عِنْدَ الحِيَاضِ ... إِذَا مَا الشَّرِيبُ أَرَابَ الشَّرِيبَا

وقال حجلُ بنُ نضلة :

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً رُمْحَهُ ... إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحْ

---

(١) لم اجد هذه الابيات فى ديوان ابى محجن وليس فيها ما يدل على انها له ولعلها لنضله السلمى المذكور فيها باسمه وصفته

(٢) تروى هذه الابيات لعمرو بن معدي كرب الزبيدى

هَلْ أحدثَ الدَّهْرُ لنا نكبةً　　أمْ هلْ رفتْ أمُّ شقيقٍ سِلاحْ؟

وقال :

وَيلُ أمِّ لذّاتِ الشبابِ معيشةً　　معَ الكُثْرِ يُعطاهُ الفتى المُتلفُ النّدِ

وقدْ يَقصُرُ القُلُّ الفتى دُونَ همّهِ　　وقدْ كانَ لولاَ القُلُّ طلاّعَ أنجُدِ

وقال الآخر :

قامتْ تُخاصِرُني بِقُنّتِها　　خَودٌ تأطّرُ غادةٌ بكرُ

كُلٌّ يرى أنّ الشّبابَ لهُ　　في كلِّ مَبلغِ لذّةٍ عُذرُ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة وهو من قديم الشعر وصحيحه :

ألاَ إنّما هذا الضّلالُ الّذي ترى　　وإدبارُ جِسْمِي مِنْ رَدى العَثَراتِ

وكَمْ مِنْ خليلٍ قدْ تجلّدْتُ بعدَهُ　　تقطّعُ نفسي دُونَهُ حسَراتِ

وقال الطِّرِمّاحُ في هذا المعنى :

وشيّبني أنْ لا أزالُ مُناهِضاً　　بغيرِ ثرىً أُثرُو بهِ وأبُوعُ

أُخَتَرَمِي رَيبُ المَنُونِ ولمْ أنَلْ　　مِنَ المالِ ما أعصى بهِ وأُطيعُ

وقال الأضبطُ بنُ قُريعٍ :

لِكُلِّ همٍّ مِنَ الهُمومِ سَعَهْ　　والمُسْيُ والصُّبْحُ لا فلاحَ مَعَهْ

فَصِلْ حِبالَ البَعيدِ إنْ وَصَلَ الـ　　ـحَبْلَ وأقْصِ القَريبَ إنْ قَطَعَهْ

لا تَحْقِرَنَّ الفقيرَ علَّكَ أنْ　　تَركَعَ يوْماً والدّهرُ قدْ رفَعَهْ

قدْ يجمعُ المالَ غيرُ آكِلِهِ　　ويأكُلُ المالَ غيرُ مَنْ جَمَعَهْ

وقال أعرابي ، ونحر ناقة في حُطَمَةٍ أصابتهم :

أكلْنا الشّوى حتّى إذا لمْ نجِدْ شوىً　　أشرْنا إلى خيْراتِها بالأصابعِ

وَلَلسّيفُ أحرى أنْ تُباشِرَ حدَّهُ　　مِنَ الجُوعِ لا تَثنى عليهِ المضاجعُ

لعَمْرُكَ ما سلّيْتُ نفساً شحيحةً　　عنِ المالِ في الدُّنيا بمِثْلِ مجاوعِ

وقدم ناقة له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطب قريباً من المنحر فقال :

وأدْنَيتُهامِنْ رَأْسِ عَشَّاءَ عَشَّةٍ ... مُفصلَّةِ الأفنانِ صُهْبٍ فرُوعُها
وقلْتُ لهـا لمَّا شَدَدْتُ عِقالَهَا ... وَبالْكفِّ مَمْهاةٌ شَدِيدٌ وُقوعُها
لقدْ عُنِيتَ نفْسِي عليكِ شَحِيحةٌ ... وَلكنْ يُسخِّي شحَّةَ النَّفْسِ جُوعُها

وقال أسقفُ نجْرانَ :

مَنعَ البقاءَ تصرُّفُ الشَّمْسِ ... وَطُلوعُها مِنْ حَيْثُ لا تُمْسِي
وَطُلوعُها بيضاءَ صافيَةً ... وغرُوبُها صفرَاءَ كالوَرْسِ
اليَوْمُ نَعْلَمُ ما يَجيءُ بهِ ... ومَضَى بفَضْلِ قضائهِ أمْسِ

وقال آخر :

وهُلْكُ الفتى أنْ لا يُراحَ إلى النَّدَى ... وأنْ لا يرَى شيْئاً عَجيباً فيعْجَبا
ومَنْ يَبْتغِي مِنِّى الطَّلاَمَةَ يَلْقَنِي ... إذا مارَآنِي أصْلَعَ الرَّأْسِ أشْيَبا

أشعار في الخمر

وقال سُحَيْمُ بنُ وَثِيل الرِّياحِيُّ :

تقولُ حَذْرَاءُ ليسَ فيكَ سِوَى الخمْـ ... ـرِ مَعَابٌ يَعِيبُهُ أحَدُ
فقلْتُ أخطأْتِ بَلْ مُعاقرَتِي الخمْـ ... ـرَ وَبَذْلِي فيهـا الَّذِي أجِدُ
هُوَ الثَّنَاءُ الَّذِي سمِعْتِ بهِ ... لاَ سَبَدٌ مُخْلِدِي ولاَ لَبَدُ
وَيْحَكِ لوْلاَ الخُمورُ لمْ أحْفِلِ العيْـ ... ـشَ وَلا أنْ يَضُمَّنِي لَحَدُ
هِيَ الحَيَا وَالحَيَاةُ واللَّهْوُ لاَ ... أنْتِ وَلا ثرْوَةٌ وَلا وَلَدُ

وقال عبد راع : (١)

(١) نسب السيوطي هذه الابيات لذي الرمة ، وروي القالي في اماليه عن الاصمعي قال : اشترى اعرابي خمرا بجزة من صوف فغضبت عليه امرأته فانشا يقول :

غضبت عليّ لأن شربت بجزة ‍ فلئن أبيتِ لأشربن بخروفِ
ولئن نطقتِ لأشربنّ بنعجة ‍ حمراء من آل المذال سحوفِ

وقال :

ناحت رقيّة من شاة شربت بها ‍ ولا تنوح على ما يأكل الذيب

وقال أبو حفص القريعى :

قد تغرّبت للشقاوة حيناً ‍ حين بدّلت للسعادة نوقا
يوم فارقت بلدتى وقرارى ‍ وتبدّلت سوء رأى ومُوقا
ليت عندى بخير معزاى عشراً ‍ طلياناً من الطراز عتيقا
وبخمس منهن أيضاً قميصاً ‍ سابريًّا أميس فيه رقيقا
قد هجرت النبيذ مذهنّ عندى ‍ وتمزّزت رسلهنّ مذيقا
فوجدت المذيق يوجع بطنى ‍ ووجدت النبيذ كان صديقا
يعد النفس بالعشىّ مناها ‍ ويسلّ الهموم سلًّا رفيقا

وكان فتى طيب من وُلد يقطين لا يصحو ، وكان فى أهله روافض يخاصمون فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقال :

رُبّ عقارٍ باذرنجيّة ‍ إصطدتها من بيتِ دهقانِ

غضبت على لان شربت بصوف ‍ ولئن غضبت لاشربن بخروف
ولئن غضبت لاشربن بنعجة ‍ دهساء مالئة الاناء سحوف
ولئن غضبت لاشربن بناقة ‍ كوماء ناوية العظام صفوف
ولئن غضبت لاشربن بسابح ‍ نهد اشم المنكبين منيف
ولئن غضبت لاشربن بواحدي ‍ ولاجعلن الصبر منه حليفي
ولقد شهدت الخيل تعثر بالقنا ‍ واجبت صوت الصارخ الملهوف
ولقد شهدت إذا الخصوم تواكلوا ‍ بخصام لا نزق ولا عافوف

وروى ابو بكر بن الانبارى ان امرانه اجابته فقالت :

ما إن غضبت لان شربت بصوف ‍ او ان تلذ بنعجة وخروف
فاشرب بكل نفيسة او تبنها ‍ وملكتها من تالد وطريف
وارفع بطرفك عن بنى قانه ‍ من دونه شغب وجدع انوف

جندرْتُ أرْواحاً وطيبتها بعدَ انتساخ طالَ في الحان

سكتْنا وسلتنا لم نخضْ في أذى مِنْ قتلِ عثمان بن عفّانِ

وَلا أبي بكرٍ وَلا طلحةٍ وَلا زُبيرٍ يوم عثمانِ

اللهُ يجزيهمْ بأعمالهمْ ليْسَ علينا علمُ ذا الشّانِ

وقال المنخّلُ اليشكُريُّ:

وَلَقد شرِبْتُ مِنَ المُدا مَةِ بالصغيرِ وَبالكبيرِ

وَلقدْ شرِبْتُ الخَمْرَ بالخيـ ـلِ الإناثِ وَبالذُّكورِ

فإذا سَكِرْتُ فإنّني رَبُّ الخورْنقِ وَالسَّديرِ

وإذا صَحوْتُ فإنّني رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالبعيرِ

يارُبَّ يومٍ للمُنخّلِ قدْ لهَا فيهِ قصيرِ

وقالَ أبو عطاءِ السِّنْدِي لزائر له وراهُ يُومئُ إلى امرأته :

كُلْ هنيئاً وَما شَرِبْتَ مَرِيئاً ثُمّ قُمْ صاغراً فغيرَ كريمِ (١)

لاَ أحِبُّ النّديمَ يُومِضُ بالعينِ إذا مَا خَلا بعِرْسِ النّديمِ (٢)

وقال ، وتعرضت له امرأة صاحبه :

رُبَّ بيضاءَ كالقضيبِ تَثنّى قدْ دَعتْنِي لِوَصْلها فأبَيْتُ

لَيْسَ شانِي تحرُّجاً غيرَ أنّي كُنْتُ ندْمانَ زَوْجِها فاستحَيْتُ

وقال آخر:

فلاَ وَاللهِ لاَ أُلْفَى وَشَرْباً أُنازِعُهُمْ شَراباً ما حَيِيتُ

وَلا وَاللهِ مَا أُلْفَى بليْلٍ أُراقِبُ عِرْسَ جارِي مابقِيتُ

(١) رواية الأغاني : ثم قم صاغرا وأنت ذميم . على الأقوياء

(٢) رواية الأغاني :

لا أحب النديم يومض بالطر ف إذا ماخلا لعرس النديم

سأترك ما أخاف على منه ... مقالته وأجمله السكوت
أبى لى ذاك آباء كرام ... وأجداد بمجدهم ربيت

وقال السحيمى :

ومالى وجه فى اللئام ولا يد ... ولكن وجهى فى الكرام عريض
أهش إذا لاقيتهم وكأنني ... إذا أنا لاقيت اللئام مريض

وقال ابن كناسة :

فى انقباض وحشمة فاذا ... لاقيت أهل الوفاء والكرم
خليت نفسى على سجيتها ... وقلت ما قلت غير محتشم

وقال عبد الرحمن بن الحكم (١)

وكأس ترى بين الأنام وبينها ... قذى العين قد نازعت أم أبان
ترى شاربيها حين يعتقبانها ... يميلان أحيانا ويعتدلان
فما ظن ذا الواشى بأبيض ماجد ... وبيضاء خود حين يلتقيان

وقال الرماح بن ميادة ، وكان الأصمعى يقول : ختم الشعر بالرماح ، وأظن النابغة أحد عمومته :

ألا رب خمار طرقت بسدفة ... من الليل مرتادا لندمانى الخمرا
فأنهلته خمرا وأخلف أنها ... طلاء حلال كى يحملنى الوزرا

وقال آخر :

ولقد شربت الخمر حتى خلتنى ... لما خرجت أجر فضل المئزر
قابوس أو عمرو بن هند قاعدا ... يجبى له ما بين دارة قيصر
فى فتية بيض الوجوه خضارم ... عند الندام عشيرهم لم يخسر

(١) هو عبد الرحمن بن الحكم ابن أبى العاص ابن أمية ، يكنى ابا مطرف . شاعر اسلامى من متوسطى شعراء الدولة الاموية

وقال ابنُ ميَّادةَ :

وَمُعتَّقٍ حُرِمَ الوُقودُ كَرامةً ... كَدَمِ الذَّبيحِ تَمُجُّهُ أَوْداجُهُ

ضَمِنَ الكُرُومُ لهُ أَوائِلَ حَمْلِهِ ... وَعلَى الدِّنانِ تَمامُهُ وَنَتاجُهُ

وأنشد اللاحق لبعض الروافض :

إذا المُرْجِئُ سَرَّكَ أَنْ تَراهُ ... يَمُوتُ بدائِهِ مِنْ قَبلِ مَوْتِهْ

فَجَدِّدْ عِنْدَهُ ذِكْرَى عَلِيٍّ ... وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهْ

ما قيل فى البرامكة

وقال بعضهم فى البرامكة :

إذا ذُكِرَ الشِّرْكُ فى مَجْلِسٍ ... أَنارَتْ وُجُوهُ بَنى بَرْمَكِ

وَإِنْ تُلِيَتْ عِنْدَهُمْ آيةٌ ... أَتَوْا بالأَحادِيثِ عَنْ مَزْدَكِ (١)

وقال آخر :

لَعَنَ اللهُ آلَ بَرْمَكَ إِنِّى ... صِرْتُ مِنْ أَجْلِهِمْ أَخا أَسْفارِ

إِنْ يَكُ ذُوالقَرْنَيْنِ قَدْ مَسَحَ الأَرْ ... ضَ فَإِنِّى مُوَكَّلٌ بالعِيارِ

وقال آخر :

إِنَّ الفَراغَ دَعانِى ... إلى ابْتِناءِ المَساجِدْ

وَإِنَّ رَأْيِىَ فيها ... كَرَأْيِ يَحْيَى بنِ خالِدْ

وقال أبو الهول فى جعفر بن يحيى :

أَصْبَحْتُ مُحْتاجاً إلى الضَّرْبِ ... فى طَلَبِ العُرْفِ إلى الكَلْبِ

(١) مزدك ، ويقال مردك ، ظهر هذا الزنديق فى ايام قباذ بن فيروز من ملوك الفرس الساسانية وادعى النبوة وان رسالته تنحصر فى التساوى والتشارك بين الناس في اموالهم ونسائهم ، واجابه قباذ إلى دعوته ، ولقى الناس من ذلك الامرين ، ولما تولى كسرى انو شروان بن قباذ قتل مردك وتتبع المزدكية حتى اتى عليهم تقتيلا وتشريدا ورد الامور إلى نصابها

إذا اشتكى صبٌّ إليهِ الهوى قال له مالى وللصبِّ
أغْيِ فتًى يطْعَنُ فى دينهِ يَشِبُّ معهُ خَشَبَ الصَّلْبِ

وقال رجل من أهل الشام :

أبَعْدَ مرْوَانَ وبعْدَ مسْلَمهْ وبعْدَ إسْحٰقَ الذى كانَ لهْ
صارَ عَلَى الثَّغْرِ فرنجُ الرَّخَمهْ إنَّ لنا بفعلِ يحيى نقمهْ
مُهْلِكَةٌ مُبيرَةٌ مُنْتَقِمهْ أكْلِ بنى بَرْمكَ أكْلِ الحُطَمه
إنَّ لهذا الأكْلِ يومًا تُخَمه أيسرُ شىْءٍ فيه حزُّ الغَلْصَمه

وقال الشاعر :

ما رَعَى الدَّهْرُ آلَ بَرْمَكَ لمَّا أنْ رمَى مُلْكَهُمْ بأمرٍ بديعِ
إنَّ دهرًا لمْ يرْعَ حقًّا ليحْيَى غيرُ راعٍ ذِمامَ آلِ الرَّبيعِ

وقال سهلُ بنُ هٰرون فى يحيى بنِ خالد :

عدوُّ تلادِ المالِ فيما ينوبهُ منوعٌ إذا مامنعهُ كانَ أحزَما
مُذَلِّلُ نفسٍ قدْأبتْغيرَأنْترَى مكارِهَ ما تأبى مِنَ الحقِّ مَغْنَما

وقال حسان بن حسان :

مَنْ مُبْلغٌ يحيى وَدُونَ لقائهِ زبراتُ كُلِّ خُنابسٍ هَمْهام
ياراعِيَ السُّلْطانِ غيرَ مُفرِّطٍ فى لينِ مُختبطٍ وطيبِ شمامِ
يُغْدِى مسارحهُ ويُصْفِى شربهُ ويَبيتُ بالرَّبَواتِ والأعلامِ
حتَّى يُنخِّخ ضارِبًا بجرانهِ ورستْ مراسيهِ بدارِ سلامِ
فى كُلِّ ثغرٍ حارسٌ مِنْ قبلهِ وشُعاعُ طرفٍ لا يُفتَّرُ سامِ

وهذا شبيه بقول العتابى فى هٰرون :

إمامٌ لهُ كفٌّ يَضُمُّ بنانُها عَصاالدِّينِ ممنوعًامِنَ البرْىِ عودُها

وَعَيْنٌ مُحيطٌ بالبَرِيَّةِ طَرْفُها ... سَواءٌ عَلَيْهِ قُرْبُها وبَعيدُها
وَأَصْمعُ يَقْظَانٌ يَبيتُ مُناجياً ... لهُ فى الحَشا مُسْتَوْدَعاتٌ يَكيدُها
سَميعٌ إذَا نَادَاهُ فى قَعْرِ كُرْبَةٍ ... مُنادٍ كَفَتْهُ دَعْوَةٌ لاَ يُعيدُها

وَقالَ كُلْثُوم بنُ عَمْرٍو العَتَّابى :

تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الغِنَى باهِلِيَّةٌ ... طَوَى الدَّهْرُ عَنها كُلَّ طِرْفٍ وتالِدِ
رَأَتْ حَوْلَها النِّسْوانَ يَرْفُلْنَ فى الـكُسا ... مُقَلَّدَةً أجْيـادُها بالقَـلائِدِ
يَسُرُّكِ أنِّى نِلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرٌ ... مِنَ المُلْكِ أوْ مَا نالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ
وَأنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَغَصَّنى ... مَغَصَّهُما بالمُرْهَفَاتِ البَوَارِدِ
ذَرِينى تَجِئْنى مِيتَتى مُطْمَئِنَّةً ... وَلَمْ أتَقَحَّمْ هَوْلَ تِلْكَ المَوَارِدِ
فإنَّ كَرِيمَاتِ المَعَالى مَشُوبَةٌ ... بِمُسْتَوْدَعاتٍ فِى بُطُونِ الأَساوِدِ

وقال الحسنُ بنُ هانئٍ :

عَجِبْتُ لِهرُونَ الإمَامِ وَمَا الّذى ... يُرَوِّى وَيرْجُوفيكَ ياخِلْقةَ السِّلْقِ (١)
قَفَا خَلْفَ وَجْهٍ قَدْ أُطِيلَ كأنَّه ... قَفا مَالِكٍ يَقْضِى الحُقُوقَ عَلَى بَثْقِ
وَأَعظمَ زَهْواً مِنْ ذُبابٍ عَلَى خَرَا ... وَأَبْخَلَ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عِرْقِ
أرَى جَعفَراً يَزْدَادُ بُخْلاً وَدِقَّةً ... إذَا زَادَهُ الرَّحْمٰنُ فى سَعَةِ الرِّزْقِ
وَلوْجَاءَ غيرُ البُخْلِ مِنْ عِندِ جَعفَرٍ ... لَمَا وَضَعُوهُ الناسُ إلاَّ عَلَى الحُمْقِ

ولما أنشد ابنُ [أبى] حَفْصَةَ الفضلَ بنَ يحيى بن خالد :

ضَرَبْتَ فَلاَ شُلَّتْ يَدٌ خالدِيَّةٌ ... رَتَقْتَ بِها الفَتْقَ الذى بَيْنَ هَاشِمِ

قال له الفضلُ : قل فلا شلت يد برمكية فخالد كثير وليس برمك إلا واحداً .

وقال سَلْمٌ فى يحيى ، ويحيى يومئذ شاب :

وَفَتًى خَلا مِنْ مَالِهِ ... وَمِنَ المُرُوءَةِ غَيْرُ خالِ
وَإذا رَأى لَكَ مَوْعِداً ... كانَ الفِعالُ مَعَ المَقالِ

---

(١) السلق : الذئب

لله درُّك من فتى | ما فيك من كرم الخلال
أعطاك قبل سؤاله | فكفاك مكروه السؤال

ومن جيد ما قيل فيهم :

للفضل يومُ الطالقان وقبله | يومٌ أناف به على خاقان
ما مثل يوميه اللذين تواليا | فى غزوتين حواهما يومان
عصمت حكومته جماعة هاشم | من أن يجرّد بينها سيفان
تلك الحكومة لا التى عن لُبْسِها | عظم التنائى وتفرّق الحكمان

وقال الحسن بن هانئ فى جعفر بن يحيى :

ذاك الوزير الذى طالت علاوته | كأنه ناظر فى السيف بالطول [(١)]

ذكروا أن جعفر بن يحيى كان أول من عرض الجربانات لطول عنقه . وقال معدان الأعمى ، وهو أبو السرى الشميطى :

يوم تشفى النفوس من يعصر اللؤ | م ويثنى بسامة الرحّال
وعدى وتيمها وثقيف | وأمى وتغلب وهلال
لا حرور ولا النوائب تنجو | لا ولا صحب واصل الغزّال
غير كفت ومن يلوذ بكفت | فهم رهط الأعور الدجّال
وبنو الشيخ والقتيل بفخّ | بعد يحيى ومؤتم الأشبال
سنّ ظلم الإمام فى القوم بشر | إن ظلم الإمام ذو عقّال

وقال الكميت :

آمت نساء بنى أمية منهم | وبنوهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم | والنجم يسقط والجدود تنام
خلت المنابر والأسرة منهم | فعليهم حتى الممات سلام

(١) العلاوة : العنق

وقال خليفة أبو خلف بن خليفة :

أعفى آلَ هاشمٍ يا أُميّاً جعل اللهُ بيتَ مالكِ فيّاً
أنْ عصى اللهَ آلُ مرْوَانَ والعا صِي لقدْ كانَ للرّسولِ عصيّاً
لوْ تصفّحْتَ أوْلياءَ عليٍّ لمْ تجدْ فِي جميعِهِمْ باهِليّاً

وقال الرّاعي في بني أمية :

بني أميّةَ إنَّ اللهَ مُلحِقُكمْ عمّا قليلٍ بعثْمانِ بنِ عفّانِ

وقال كعبُ الأشْقَرِيُّ (١) لعمر بن عبد العزيز :

إنْ كُنْتَ تحفظُ مَا يليكَ فإنّمَا عُمَّالُ أرضِكَ بالبلادِ ذِئَابُ
لَنْ يسْتجيبُوا لِلّذِي تَدْعُو لهُ حَتّى يُجلد بالسيوفِ رِقَابُ
بأكُفِّ مُنْصلِتِينَ أهْلِ بصَائرٍ فِي وقْعِهِنَّ مزاجرٌ وعِقابُ
هلّا قُرَيْشٌ ذكّرُوا بثُغُورِهَا حزْمٌ وأحْلامٌ هُناكَ رِغَابُ
لوْلاَ قُرَيْشٌ نصرُهَا ودِفاعُها أُلفيتُ مُنقطِعاً بيَ الأسْبابُ

فلما سمع هذا الشعر قال: لمن هذا ؟ قالوا: لرجل من أزد عمان يقال له كعب الأشقرى! قال: ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر . قال [أبو] اليقظان : وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال :

إنَّ الّذِين بعثْتَ فِي أقْطارِهَا نبذُوا كِتابكَ واسْتُحِلَّ المَحْرَمُ
طُلْسُ الثّيابِ علَى منابرِ أرْضِنا كُلٌّ يجورُ وكلّهُمْ يتظلّمُ
وأردْتَ أن يلِيَ الأمانةَ مِنْهُمُ عدْلٌ وهيْهاتَ الأمِينُ المُسْلِمُ

وكان زيد بن على كثيراً ما يتمثّل بقول الشاعر :

شرّدَهُ الخوفُ وأزْرَى بهِ كَذَاكَ منْ يكْرَهُ حرَّ الجِلادْ

(١) هو كعب بن معدان الاشقرى الازدى . كان شاعرا مجيدا وخطيبا بليغا وفارسا شجاعا . ابلى مع المهلب بن ابي صفرة وبنيه في حروب الخوارج بلاء حسنا . قال الفرزدق : شعراء الاسلام اربعة انا وجرير والاخطل وكعب الاشقري . مات مقتولا بيد اخ له من امه بعمان سنة ١٠٢ هـ

مُنْخَرِقُ الخُفَّيْنِ يشكُو الوَجَى　　تنكُبُهُ أطرافُ مَرْوٍ حِدادْ

وقال عبد الله بن كثير السهمى ، وكان يتشيع لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد ابن عبدِ الله القسْرِى يلعنون عليًّا والحسنَ والحسينَ على المنابر :

لعَنَ اللهُ مَن يسُبُّ عليًّا　　وحُسيناً من سُوقةٍ وإمامِ

أيُسبُّ المُطيَّبونَ جُدودًا　　والكِرامُ الأخوالِ والأعمامِ

يأْمنُ الظبْىُ والحمامُ ولا يأْ　　مَنُ آلُ الرَّسُولِ عِندَ المَقامِ

طِبْتَ بيتًا وطابَ أهلُكَ أهلاً　　أهلُ بيْتِ النبيِّ والاسلامِ

رَحمةُ اللهِ والسلامُ عَليهِمْ　　كلّما قامَ قائمٌ بِسلامِ

وقال حين عابوه بذلك الرأى :

إنَّ امرأً أمسَتْ مَعايِبُهُ　　حُبَّ النَّبىِّ لغَيرِ ذِى ذَنْبِ

وَبنى أَبِى حَسَنٍ وَوالِدِهِمْ　　مَنْ طابَ فى الأرْحامِ والصُّلْبِ

أيُعَدُّ ذنباً أنْ أُحِبَّهُمُ　　بَلْ حُبُّهُمْ كفّارةُ الذَّنْبِ

وقال يزيدُ بنُ أبى بكرِ بنِ دأْبٍ اللّيْثىِّ :

اللهُ يعلَمُ فى علىٍّ عِلْمَهُ　　وَكذاكَ عِلْمُ اللهِ فى عُثمانِ

وقال السيِّدُ الحِميَرِىُّ :(١)

إنّى امْرُؤٌ حِميَرِىٌّ غيرُ مُؤْتَشِبٍ　　جَدِّى رُعَيْنٌ وَأخْوالى ذَوُو يَزَنِ

ثُمَّ الوَلاءُ الّذى أرْجُو النَّجاةَ بِهِ　　يَوْمَ القيامةِ لِلهادِى أبِى الحَسَنِ

وقال ابنُ أُذَيْنةَ :(٢)

سَمينُ قُرَيْشٍ مانعٌ مِنكَ لَحْمَهُ　　وَغَثُّ قُرَيْشٍ حَيْثُ كانَ سَمينُ

(١) مضت ترجمته فى ص ١٣٥ من الجزء الثانى

(٢) مضت ترجمته فى ص ١٣٠ من هذا الجزء . وقفت سكينة بنت الحسين على عروة بن اذينة يوما فقالت : يا ابا عامر ، انت الذى تزعم ان لك مروءة وان غزلك من وراء عفة وانك تقى ؟ قال نعم ، قالت : افانت الذى تقول :

وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنى أُمَيَّةَ إلاَّ   أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ الملوكِ ولاَ   تَصْلُحُ إلاَّ عَلَيْهِمُ العَرَبُ

وقال عُرْوَةُ بنُ أُذَيْنَةَ :

إذَا قُرَيْشٌ تَوَلَّى خَيْرُ صالحِهَا   فاسْتَيْقِنَنَّ بأَنْ لاَ خَيْرَ فى أَحَدِ
رَهْطُ النَّبيِّ وأَوْلَى الناسِ مَنزِلَةً   بِكلِّ خَيرٍ وأَثْرَى الناسِ فى العَدَدِ

وقال حسَّانُ بنُ ثابت يرثى أبا بكرٍ الصدّيق رضى الله تعالى عنه :

إذَا تَذَكَّرْتَ شَجْواً مِنْ أَخى ثِقَةٍ   فاذْكُرْ أَخَاكَ أَبا بكرٍ بما فَعَلاَ
أَلتَّالِىَ الثَّانِىَ المَحْمودُ مَشْهَدُهُ   وَأَوَّلَ الناسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلاَ
وَثَانِىَ اثْنَيْنِ فى الغَارِ المُنِيفِ وَقَدْ   طَافَ العَدُوُّ بِهِ إذْ صَعَّدَ الجَبلا
وَكانَ حِبُّ رَسُولِ اللهِ قَدْ عَلِمُوا   خَيْرَ البَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلا

وقال بعض بنى أسد :

لمَّا تَخَيَّرَ رَبِّى فارْتَضَى رَجُلاً   مِنْ خَلْقِهِ كانَ مِنَّا ذَلِكَ الرجلُ
لَنا المساجِدَ نَبْنِيها وَنَعْمُرُهَا   وَفى المَنَابِرِ قُعْدَانُ لَنا ذُلُلُ

وقال يزيدُ بنُ الحكم بنِ أبى العاص فى شأن السقيفة :

قدِ اخْتَصَمَ الأَقْوامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ   فَسائلْ قُرَيْشاً حِينَ جَدَّ اخْتِصامُهَا
أَلَمْ تَكُ مِنْ دُونِ الخليقَةِ أُمَّةٌ   بِكَفِّ امْرِىءٍ مِنْ آلِ تَيْمٍ زِمَامُهَا
هَدَى اللهُ بالصِّدِّيقِ ضُلاَّلَ أُمَّةٍ   إلَى الحَقِّ لَمَّا ارْفَضَّ عنها نِظَامُهَا

وقالت صفيةُ فى ذلك اليوم :

قالت وابنتها وجدي فبحت به   قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها   غطى هواك وما ألقي على بصرى
قال لها : بلى . فقالت : جوارى حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أنباءٌ وَهَنْبَثَةٌ   لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكثُرِ الخُطَبُ
إنا فَقَدْناكَ فَقْدَ الأرْضِ وَابِلَها   وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فاشْهَدْهُمْ فقدْ شَغِبوا

وقال الفَرَزْدَقُ:

صَلَّى صُهَيْبٌ ثَلاثاً ثُمَّ أَسْلَمَها   إلى ابْنِ عَفَّانَ مُلْكاً غَيْرَ مَقْصُورِ
وِلايَةً مِنْ أَبي حَفْصٍ لِثالِثِهِمْ   كانُوا أَخِلاَّءَ مَهْدِيٍّ وَمَحْبُورِ

وقال مزرّدُ بنُ ضِرارٍ (١) يرثي عمرَ بنَ الخطَّاب رضي الله تعالى عنه:

عَلَيْكَ السَّلامُ مِنْ إمامٍ وَبارَكَتْ   يَدُ اللهِ في ذاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ
قَضَيْتَ أُموراً ثُمَّ غادَرْتَ بَعْدَها   بَوائِقَ في أَكْمامِها لَمْ تُفَتَّقِ
وَما كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفاتُهُ   بِكَفَّيْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ

قال وسمعوا في تلك الليلة هاتفاً يقول:

لِيَبْكِ عَلَى الإسْلامِ مَنْ كانَ باكِياً   فَقَدْ أَوْشَكُوا هُلْكاً وَما قَدُمَ العَهْدُ
وَأَدْبَرَتِ الدُّنْيا وَأَدْبَرَ خَيْرُها   وَقَدْ مَلَّها مَنْ كانَ يُوقِنُ بِالوَعْدِ

وعن أبي الجحاف عن مسلم البطين:

إنَّا نُعاقِبُ لا أَبالَكَ عُصْبَةً   عَلِقُوا الفِرَى وَبَرَوْا مِنَ الصِّدِّيقِ
وَبَرَوْا سَفاهاً مِنْ وَزِيرِ نَبِيِّهِمْ   تَبّاً لِمَنْ يَبْرا مِنَ الفارُوقِ
إنّي عَلَى رَغْمِ العُداةِ لَقائِلٌ   دِيناً بِدِينِ الصّادِقِ المَصْدُوقِ

(١) هذه الابيات تروى للشماخ بن ضرار هكذا:

جزى الله خيرا من امير وباركت   يد الله في ذاك الاديم الممزق
فمن يسع او يركب جناحي نعامة   ليدرك ما قدمت بالامس يسبق
قضيت امورا ثم غادرت بعدها   بوائج في اكمامها لم تفتق
ابعد قتيل بالمدينة اظلمت   له الارض تهتز العضاه باسوق
تظل الحصان البكر يلقى جنينها   نثا خبر فوق المطى معلق
وما كنت اخشى ان تكون وفاته   بكفي سبنتى ازرق العين مطرق

وقال الكميت :

فَقُلْ لِبَنِى أُمَيَّةَ حَيثُ حَلوا ‏ وَإِنْ خِفْتَ المُهَنَّدَ والقَطِيعا
أَجَاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ ‏ وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَورِكُمُ أُجِيعَا
بِمَرْضِيِّ السِّيَاسَةِ هَاشِمِيٍّ ‏ يَكونُ حَياً لِأُمَّتِهِ رَبِيعَا

وقال حرْبُ بن المُنْذِر بن الجارود :

فحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا كَفَافٌ يُقِيمُنِي ‏ وَأَثْوَابُ كِتَّانٍ أَزُورُ بِهَا قَبْرِي
وَحُبِّ ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ‏ فَمَا سُؤْلُنَا إِلَّا المَوَدَّةَ مِنْ أَجْرِ

من كلام خلفاء بنى العباس وأمرائهم

وجه التدبير فى الكتاب إذا طال أن يداوى مؤلفه نشاط القارىء له ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له ، فمن ذلك أن يخرجه من شىء إلى شىء ومن باب إلى باب بعد أن لا يخرجه من جملة ذلك الفن ومن جمهور ذلك العلم . وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى إلينا من كلام خلفائنا من وُلد العباس ولو أن دولتهم أعجمية خُراسانية ودولة بنى مَرْوَانَ عربية أعرابية وفى أجناد شامية ، والعرب أوعى لما تسمع وأحفظ لما تأتى ولها الأشعار التى تقيد عليها مآثرها وتخلد لها محاسنها وجرت من ذلك فى إسلامها على مثل عادتها فى جاهليتها فبنت بذلك لِبنى مَرْوَانَ شرفا كثيراً ومجداً كبيراً وتدبيراً لا يحصى . ولو أن أهل خُراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم فى أهل الشام وتدبير ملوكهم وسياسة كبرائهم وما جرى فى ذلك من فرائد الكلام وشريف المعانى كان فيما قال المَنْصُور وما فعل فى أيامه وأسس لمن بعده مابنى بجماعة ملوك بنى مروان . ولقد تتبع أبو عُبَيْدَةَ النحوى وأبو الحسن المدائنى وهِشامٌ الكلبىُّ والهيثمُ بنُ عَدى أخباراً اختلفت وأحاديث تقطعت فلم يدركوا إلا قليلا من كثير ، وممزوجا من خالص . وعلى كل حال فانا إذا صرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن موسى وإسحٰق بن

عيسى وإسحق بن سليمان وأيوب بن جعفر ، وما رواه إبراهيم بن السندى عن السندى وعن صالح صاحب المصلى عن مشيخة بنى هاشم ومواليهم ، عرفت بتلك البقية كثرة مافات وبذلك الصحيح أين موضع الفساد مما صنعه الهيثمُ بنُ عدى وتكلفه هِشامُ بن الكلبى .

شىء من سياسة بنى العباس وأمرائهم

وسنذكر جملا مما انتهى إلينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرهما وإن كنا قد ذكرنا من ذلك طرفا ، ونقصد من ذلك إلى التخفيف والتقليل فإنه يأتى من وراء الحاجة ويعرف بجملته مراد البقية .

قال : وكان المنصورُ داهياً أريباً مصيباً فى رأيه سديداً وكان مقدما فى علم الكلام ومكثراً من كتاب الآثار ولكلامه كتاب يدور فى أيدى الوراقين معروف عندهم . ولما هم بقتل أبى مُسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه فأرق فى ذلك ليلته فلما أصبح دعا باسحٰق بن مُسلم العُقيلى فقال له : حدثنى حديث الملك الذى أخبرتنى عنه بحرّان ؟ قال : أخبرنى أبى عن الحصين بن المنذر أن ملكا من ملوك فارس يقال له سَابورُ الأكبر كان له وزير ناصح قد اقتبس أدبًا من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم فى الدين فوجهه سابور داعيةً إلى خُراسان وكانوا قوما عجما يعظمون الدنيا جهالة بالدين ويخلون بالدين استكانة لقوت الدنيا وذلا لجبابرتها ، فجمعهم على دعوة من الهوى يكيد به مطالب الدنيا واغتر بقتل ملوكهم وتخوله إياهم ، وكان يقال : لكل ضعيف صولة ولكل ذليل دولة ، فلما تلاحمت أعضاء الأمور التى لقح استحالت حربًا عوانا شالت أسافلها بأعاليها فانتقل العز إلى أرذلهم والنباهة إلى أخملهم فأشربوا له حبًا مع خفض من الدنيا افتتح بدعوة من الدين ، فلما استوثقت له البلاد بلغ سابور أمرهم وما أحال عليه من طاعتهم ، ولم يأمن زوال القلوب وغدرات الوزراء ، فاحتال فى قطع رجائه عن قلوبهم وكان يقال :

وَمَا قُطِعَ الرَّجَاءُ بِمِثْلِ يَأْسٍ   تُبَادِهُهُ القُلُوبُ عَلَى اغْتِرَارِ

فصمم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم فقتله فبغتهم بحدث فلم يرعهم إلا ورأسه بين أيديهم ، فوقف بهم بين الغربة ونأى الرجعة وتخطف الأعداء وتفرق الجماعة واليأس من صاحبهم ، فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور ويتعوضوه من الفرقة فأذعنوا له بالملك والطاعة وتبادروه بمواضع النصيحة فملكهم حتى مات حتف أنفه .

فأطرق المنصور مليا ثم رفع رأسه وهو يقول :

لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ مَا تُقْرَعُ العَصَا   وَمَا عُلِّمَ الإِنْسَانُ إِلاَّ لِيَعْلَمَا

وأمر إسحٰق بالخروج ودعا بأبي مسلم فلما نظر إليه داخلا قال :

قَدِ اكْتَنَفَتْكَ خَلاَّتٌ ثَلاثٌ   جَلَبْنَ عَلَيْكَ مَحْذُورَ الحِمَامِ
خِلافُكَ وَامْتِنَانُكَ تَرْتَمِينِي   وَقَوْدُكَ لِلْجَمَاهِيرِ العِظَامِ

ثم وثب إليه ووثب معه بعض حشمه بالسيوف فلما رآهم وثب فبدره المنصور فضربه ضربة طوحه منها ثم قال :

إِشْرَبْ بِكَأْسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا   أَمَرَّ فِي الحَلْقِ مِنَ العَلْقَمِ
زَعَمْتَ أَنَّ الدَّيْنَ لاَ يُقْتَضَى   كَذَبْتَ فَاسْتَوْفِ أَبَا مُجْرِمِ

ثم أمر بحز رأسه و بعث به إلى أهل خراسان وهم ببابه فجالوا حوله ساعة ثم رد عن شغبهم إقطاعهم عن بلادهم و إحاطة الأعداء بهم فذلوا وسلموا له ، فكان إسحٰق إذا رأى المنصور قال :

وَمَا ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ إِلاَّ   لِتَحْذُوَ إِنْ حَذَوْتَ عَلَى مِثَالِ

وكان المنصور إذا رآه قال :

وَخَلَّفَهَا سَابُورُ لِلنَّاسِ يُقْتَدَى   بِأَمْثَالِهَا فِي المُعْضِلاَتِ العَظَائِمِ

وكان المهدي يحب القيان وسماع الغناء ، وكان معجباً بجارية يقال لها جوهر ،

وكان اشتراها من مروان الشامى فدخل عليه ذات يوم مروان الشامى وجوهر تغنيه فقال مروان :

أَنْتِ ياجَوْهَرُ عِنْدِي جَوْهَرَهْ   فِى بَيَاضِ الدُّرَّةِ الْمُشْتَهِرَهْ
فَإِذَا غَنَتْ فَنَارٌ ضُرِمَتْ   قَذَفَتْ فِى كلِّ قَلْبٍ شَرَرَهْ

فاتهمه المهدى وأمر به فَدُعَّ فى عنقه إلى أن خرج ، ثم قال لجوهر : أطربينى فأنشأت تقول : (١)

وَأَنتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَاوَعَدْتَنِي   وَأَشْمَتَّ بِي مَنْ كانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَاس ثمَّ تَرَكْتَنِي   لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى وأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلاً يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا   بِجِسْمِيَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُومُ

فقال المهدى :

أَلاَ يا جَوْهَرَ القلبِ لَقَدْ زِدْتِ عَلَى الْجَوْهَرْ
وَقَدْ أَكْمَلَكِ اللهُ بِحُسْنِ الدَّلِّ وَالْمَنْظَرْ
إِذَا مَا صُلْتِ مَا أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ بِالْمَزْهَرْ
وَغَنَّيْتِ فَفَاحَ الْبيتُ مِنْ رِيقِكِ بِالْعَنْبَرْ
فَلاَ وَاللهِ مَا الْمَهْدِىُّ أَوْلَى مِنْكِ بِالْمِنْبَرْ
فَإِنْ شِئْتِ فَفِى كَفِّكِ خَلْعُ ابْنِ أَبِى جَعْفَرْ

قال الهيثم : أنشدت هرون وهو ولى عهد أيام موسى بيتين لحمزة بن بيض فى سليمان بن عبد الملك :

---

(١) قال ابن الدمينة لمحبوبته امامة وهو يحاورها :

وانت التى كلفتنى دلج السرى   وجون القطا بالجلهتين جثوم
وانت التى قطعت قلبى حزازة   وقرفت قرح القلب فهو كليم
وانت التى احفظت قومي فكلهم   بعيد الرضا دانى الصدود كظيم

فاجابته امامة بالابيات التى تمثلت بها جوهر للمهدى

حازَ الخِلافةَ وَالداكَ كِلاَهُما مِنْ بَيْنِ سَخْطَةِ ساخِطٍ أَوْ طائِعِ
أَبَوَاكَ ثمَّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثالِثاً وَعَلَى جَبِينِكَ نُورُ مُلْكٍ ساطِعِ

قال: يا يحيي أكتب لى هذين البيتين.

ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له بألفى درهم فاستقلها و بلغ ذلك أبا جعفر فقال: أما يرضى أنى حقنت دمه وقد استوجب إراقته ووفرت ماله وقد استحق تلفه وأقررته وقد استأهل الطرد وقربته وقد استحق البعد؟ أليس هو القائل فى بنى أمية:

إذا قيلَ مَنْ عِنْدَ رَيْبِ الزَّما نِ لِمُعْتَرِّ فِهْرٍ وَمُحْتاجِها
وَمَنْ يَعْجِلُ الخيلَ يَوْمَ الوَغَى بِإلْجامِها قَبْلَ إسْراجِها
أشارَتْ نساءُ بَنِى مالِكٍ إلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَزْوَاجِها

قال ابن هرمة: فإنى قد قلت فيك أحسن من هذا! قال: هاته! قال: قلت:

إذَا قُلْتُ أيُّ فَتًى تَعْلَمُونَ أَهَشُّ إلى الطَّعْنِ بالذَّابِلِ
وَأَضْرَبُ لِلقِرْنِ يَوْمَ الوَغَى وَأَطْعَمُ فِي الزَّمَنِ المَاحِلِ
أشارَتْ إلَيْكَ أَكُفُّ الوَرَى إشارَةَ غَرْقَى إلَى سَاحِلِ

قال المنصور: أما هذا الشعر فسترق وأما نحن فلا نكافىء إلا بالتى هى أحسن.

سياسة المنصور فى العفو عن المسىء

ولما احتال أبو الأزهر المهلب [بن عُبيثر المهرى] لعبد الحميد بن ربعى بن خالد بن مغداق، وأسلمه [إلى] حميد [بن قحطبة وأسلمه حميد] إلى المنصور قال: لا عذر فأعتذر وقد أحاط بى الذنب وأنت أولى بما ترى، قال: لست أقتل أحداً من آل قحطبة بل أهب مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم! قال: إن لم يكن فى مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق

ابن عم ! قال : اسكت مقبوحا مشقوحا أخرج فانك أنوك جاهل ، أنت عتيقهم وطليقهم ما حييت .

ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن إبراهيم بن عبد الله وصار إلى المنصور أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤس اليمانية فى المقصورة يوم الجمعة ثم قال : قل لهم يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه وحسن بلائى عنده وقديم نعمتى عليه والذى حاول من الفتنة ورام من البغى وأراد من شق العصا ومعاونة الأعداء و إراقة الدماء وأنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه وَرَبّ نعمائه السابقة عنده لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ومايؤمله من الخير العاجل والآجل عند العفو عمن ظلم والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم .

وصف المأمون لصنوف العلم وحثه على التخصص

وقال سهل بن هرون يوما وهو عند المأمون : من أصناف العلم مالا ينبغى للمسلمين أن يرغبوا فيه ، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال.! قال المأمون : قد يسمى بعض الناس الشىء علما وليس بعلم فان كنت أردت هذا فوجهه الذى ذكرنا، ولو قلت : إن العلم لايدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا يستقصى أصنافه ولا يضبط آخره فالأمر على ما قلت ، فاذا كان الأمر كذلك فابدأوا بالأهم فالأهم وابدأوا بالفرض قبل النفل ، فاذا فعلتم ذلك كان عدلا وقولا صدقا ، وقد قال بعض العلماء : إقتصد من أصناف العلم ما هو أشهى إلى نفسك وأخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك [له] وسهولته عليك ، وقال أيضا بعض العلماء : لست أطلب العلم طمعا فى بلوغ غايته والوقوف على نهايته ولكن التماس ما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل إغفاله ، وقال آخرون : علم الملوك النسب

والخبر وجمل الفقه ، وعلم التجار الحساب والكتاب ، وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازى وكتب السير ، فأما أن تسمى الشيء علما وتنهى عنه من غير أن يكون يشغل عما هو أنفع منه بل تنهى نهيا جزما و أمر أمراً حتما ! والعلم بصر وخلافه عمى والاستبانة للشر ناهية عنه والاستبانة للخير آمرة به ! ؟

وصف المأمون لكتب الامامة

ولما قرأ المأمون كتبي فى الامامة فوجدها على ما أمر به ، وصرت اليه ، وقد كان أمر اليزيدى بالنظر فيها ليخبره عنها. قال لى : قد كان بعض من نرتضى عقله ونصدق خبره خبرنا عن هذه الكتب باحكام الصنعة وكثرة الفائدة ، فقلنا : قد تُربى الصفة على العيان ، فلما رأيتها رأيت العيان قد أربى على الصفة ، فلما فليتها أربى الفلى على العيان كما أربى العيان على الصفة ، وهذا كتاب لا يحتاج إلى حضور صاحبه ولا يفتقر إلى المحتجين عنه ، قد جمع استقصاء المعانى واستيفاء جميع الحقوق مع اللفظ الجزل والمخرج السهل ، فهو سوقى ملوكى وعامى خاصى.

مجادلة المأمون للخراسانى المرتد

ولما دخل عليه المرتد الخراسانى وقد كان حمله معه من خراسان حتى وافى به العراق ، قال له المأمون :

لأن أستحييك بحق أحب إلىّ من أن أقتلك بحق ، ولأن أقبلك بالبراءة أحب إلى من أن أدفعك بتهمة ، قد كنت مسلماً بعد أن كنت نصرانياً وكنت فيها أتيحَ وأيامك أطول فاستوحشت مما كنت به آنساً ثم لم تلبث أن رجعت عنا نافراً، فخبرنا عن الشيء الذى أوحشك من الشيء الذى صار آنس لك من إلفكَ القديم وأنسك الأول ؟ فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به ، والمريض من الأطباء يحتاج إلى المشاورة ، و إن أخطأك الشفاء ونبا عن دائك الدواء كنت قد

أعذرت ولم ترجع على نفسك بلائمة ، فان قتلناك قتلناك بحكم الشريعة ، أو ترجع أنت فى نفسك إلى الإستبصار والثقة وتعلم أنك لم تقصر في اجتهاد ولم تفرط فى الدخول فى باب الحزم ! ؟

قال المرتد : أوحشنى كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم !

قال المأمون : لنا اختلافان أحدهما كالاختلاف فى الأذان وتكبير الجنائز والاختلاف فى التشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القرآت واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك ، وليس هذا باختلاف إنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنة ، فمن أذَّن مَثنى وأقام مثنى لم يؤثم ومن أذن مثنى وأقام فرادى لم يُحَوَّبْ ، لايتعايرون ولا يتعايبون ، أنت ترى ذلك عيانا وتشهد عليه تبيانا ! والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا فى تأويل الآيه من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا مع إجماعنا على أُصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر ، فان كان الذى أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب فقد ينبغى أن يكون اللفظ بجميع التوراة والأنجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف فى شيء من التأويلات ، وينبغى لك أن لاترجع إلا إلى لغة لا اختلاف فى تأويل ألفاظها ، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل ، ولكنا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله الدنيا ؟

قال المرتد : أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد وأن المسيح عبده وأن محمداً صادق وأنك أمير المؤمنين حقا .

فأقبل المأمون على أصحابه فقال : فِرُوا عليه عرضه ولا تبروه فى يومه ريثما يعتق إسلامه كيلا يقول عدوه إنه أسلم رغبة ، ولا تنسوا بعدُ نصيبكم من بره وتأنيسه ونصرته والعائدة عليه .

دفاع المأمون عن إيقاع الملوك بخاصتهم

حدثنا أحمد بن أبي دواد قال : قال لى المأمون : لا يستطيع الناس أن يُنصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحماتهم وكفاتهم وبين صنائعهم و بطانتهم ، وذلك أنهم يرون ظاهر حرمة وخدمة واجتهاد ونصيحة ويرون إيقاع الملوك بهم ظاهراً حتى لا يزال الرجل يقول : ما أوقع به إلا رغبة فى ماله أو رغبة فى بعض ما لا تجود النفوس به ، ولعل الحسد والملال وشهوة الاستبدال اشتركت فى ذلك ، وهناك خيانات فى صلب الملك أو فى بعض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة فى الملك ولا أن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما فى ذلك من الفساد ، على علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عند أكثر الخاصة .

من آداب الملوك

ونزل رجل من أهل العسكر فعدا بين يدى المأمون وشكا إليه مظلمته فأشار بيده : أن حسبك ! فقال له بعض من كان يقرب من المأمون : يقول لك أمير المؤمنين : إركب ؟ قال المأمون : لا يقال لمثل هذا : إركب إنما يقال له : انصرف .

وحدثنى إبراهيم بن السندى قال : بينا الحسن اللؤلؤى يحدث المأمون ليلا وهو بالرقة وهو يومئذ ولى عهد وأطال الحسن الحديث حتى نعس المأمون فقال الحسن : نعست أيها الأمير ! ففتح عينيه وقال : سُوقى ورب الكعبة ، يا غلام خذ بيده .

ذكر بقية كلام النوكى والموسوسين والجفاة والأغبياء وما ضارع ذلك وشاكله

وأحببنا أن لا يكون مجموعا فى مكان واحد إبقاء على نشاط القارىء والمستمع . مر ابن أبى علقمة بمجلس بنى ناجية فكبا حماره لوجهه فضحكوا منه

فقال : مايضحككم ؟رأى وجوه قريش فسجد! . أبو الحسن قال: أتى رجل عِباديا صيرفياً يستساف منه مئتى درهم فقال : وما تصنع بها ؟ قال : أشترى بها حماراً فلعلى أربح فيه عشرين درهما ! قال : إذاً أنا وهبتك العشرين فما حاجتك إلى المئتين ؟ قال : ما أريد إلا المئتين ! فقال : أنت لاتريد أن تردها على . قال : وأتى قوم عِبادِياً فقالوا : نحب أن تسلف فلانا ألف درهم وتؤخره سنة ؟ فقال : هاتان حاجتان وسأقضى لكم إحداها و إذا فعلت ذلك فقد أنصفت ، أما الدراهم فلا تسهل علىّ ولكنى أؤخره سنتين !؟ ولعب رجل قدام بعض الملوك بالشطرنج فلما رآه قد استجاد لعبه وفاوضه الكلام قال له : لم لا توليني نهر بوق؟ قال: أوليك نصفه ، أكتبوا له عهده على بوق ! وقال له مرة : ولنى أرمينية ؟ قال : يُبطىء على أمير المؤمنين خبرك !؟ وقدم آخر على صاحب له من فارس فقال له : قد كنت عند أمير المؤمنين فأى شىء ولاك ؟ قال : ولانى قفاه ! قال : ونظر أمير إلى أعرابى فقال [الأعرابى] : لقد هم لى الأمير بخير ؟ قال : ما فعلت ! قال : فبشر ؟ قال : وما فعلت ! قال : إن الأمير لمجنون . قال أبو الحسن : شهد مجنون على امرأة ورجل بالزنا فقال الحاكم : تشهد أنك رأيته يدخله ويخرجه ؟ قال : والله لو كنت جلدة استها لما شهدت بهذا . قال : وكان رجل من أهل الرى يجالسنا فاحتبس عنا فأتيته فجلست معه على بابه وإذا رجل يدخل ويخرج فقلت : من هذا ؟ فسكت ، ثم أعدت فسكت ، فلما أعدت الثالثة قال : هو زوج أخت خالتى . وقال الشاعر :

إِذَا الْمَرْءُ جَازَ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ دُونَ مَا يَأْتِى حَيَاءٌ وَلَا سِتْرُ
فَدَعْهُ وَلَا تَنْفِسْ عَلَيْهِ الَّذِى أَتَى ... وَلَوْ جَرَّ أَرْسَانَ الْحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ

أعرابى خاصمته امرأته إلى السلطان فقيل له : ما صنعت ؟ قال : خيراً كبها الله لوجهها وأمر بى إلى السجن ! قال أبو الحسن : عرض الأسد لأهل قافلة فتبرع عليهم رجل فخرج إليه فلما رآه سقط وركبه الأسد فشدوا عليه بأجمعهم فتنحى عنه الأسد. فقالوا له : ما حالك ؟ قال : لابأس علىّ ولكن الأسد خرى فى سراويلى .

قال أبو عباية السليطى : قد فسد الناس ؟ قلت : وكيف ؟ قال : ترى بساتين هزار مرد هذه ما كان يمر بها غلام إلا بخفير ، قلت : هذا صلاح ! قال : لا بل فساد . أبو الحسن قال : خطب سعيد بن العاص عائشةَ ابنةَ عثمان على أخيه فقالت : لا أزوجه ! قال : ولم ؟ قالت : هو أحمق ! له برذونان أشهبان فيحتمل مؤنة اثنين وهما عند الناس واحد . قال : كان المغيرة بن المهلّب ممروراً وكان عند الحجاج يوماً فهاجت به مِرّتُه فقال له الحجاج : أُدخل المتوضأ ، وأمر من يقيم عنده حتى يتقيأ ويفيق . قال أبو الحسن : قالت خَيرَة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب للمهلب : إذا انصرفت من الجمعة فأحب أن تمر بأهلى ؟ قال لها : إن أخاك أحمق! قالت : فانى أحب أن تفعل ! فجاء وأخوها جالس وعنده جماعة فلم يوسع له فجلس المهلب ناحية ثم أقبل عليه فقال له : ما فعل ابن عمك فلان ؟ قال حاضر ، فقال : إرسل إليه ؟ ففعل ، فلما نظر إليه غير مرفوع المجلس قال : يا ابن اللخناء ، المهلب جالس ناحية وأنت جالس فى صدر المجلس ! ؟ وواثبه . فتركه المهلب وانصرف ، فقالت له خَيرة : أمررت بأهلى ؟ قال : نعم وتركت أخاك الأحمق يُضرب .

قال: وكتب الحجاج إلى الحكَم بن أيوب : أُخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها أَمَة لبعلها؟ فكتب إليه : قد أصبتها لولا عظم ثديها ! فكتب إليه الحجاج : لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها . قال المرّار بن مُنقذ العدوى:(١)

صَلْتَةُ الخَدِّ طَوِيلٌ جِيدُهَا   ضَخْمَةُ الثَّدْيِ ولَمَّا يَنْكَسِرْ

قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : لا ، حتى تدفىء الضجيع وتروى الرضيع . وقال ابن صدّيقة لرجل رأى معه خفاً : ما هذه القَلَنْسُوَة ؟ فاحتكموا إلى عرباض فقال عرباض : هى قلنسوة الرجلين . ؟

قال أبو اسحٰق : قلت لخنجير كوز : وعدتك أن تجىء ارتفاع النهار فجئتنى

(١) راجع القصيدة التى منها هذا البيت بالمفضليات مشروحة بقلمنا

صلاة العصر ! قال : جئتك ارتفاع العشى ! قال : قيل لأعرابى : ما اسم المرق عندكم ؟ قال : ألسخين . قال : فاذا برد ؟ قال : لا ندعه حتى يبرد . باع نخاس من أعرابى غلاماً فأراد أن يتبرأ من عيبه قل : إعلم أنه يبول فى الفراش . قال : إن وجد فراشاً فليبل فيه .

حدثنا صديق لى قال : أتانى أعرابى بدرهم فقلت له : هذا زائف فمن أعطاك هذا ؟ قال : لص مثلك .

وقال يزيد بن كثوة : أتيت بنى كش هؤلاء فاذا عرس ، وَبَلِقَ البابُ فَدْرَنفقَ وادَّمجَ[1] فيه سُرعان من الناس وألصت ولوج الدار فدلظنى الحداد دَلظَةً[2] دهورنى على قمة رأسى وأبصرت شيخان الحى هناك ينتظرون المُرَيَّة[3] فعجت إليهم فوالله أن زلنا نظار نظار حتى عقل الظل فذكرت أخلائى من بنى تبر فقصدتهم وأنا أقول :

تركْنَ بَنِى كَشٍّ وَمَا فِى دِيَارِهِمْ ... عَوَامِدَ واعْصَوْصَيْنَ نَحْوَ بَنِى تِبْرِ
إلَى مَعْشَرٍ شُمِّ الأُنُوفِ قِرَاهُمُ ... إذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ مِنْ قَمَعِ الْجُزْرِ

وانصرفت وأتيت باب كش وإذا الرجال صتيتان وإذا أرمداء كثيرة وطهاة لا تحصى ولحان فى جثمان الا كم . ؟ صالح بن سليمان قال : أحمق الشعراء الذى يقول :

أُهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ ... أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِى

ولا يشبه قول الآخر :

فَلَا تَنْكِحِى إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهِ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

قال : مات لابن مقرن غلام فحفر لهم أعرابى قبره بدرهمين وذلك فى بعض الطواعين فلما أعطوه الدرهمين قل : دعوهما حتى يجتمع لى عندكم ثمن ثوب !

وأدخل أعرابى إلى المربد جنيبا له فنظر إليها بعض الغوغاء فقال : لا إله إلا الله ما أسمن هذه الجزر ، قال له الأعرابى : مالها تكون جزراً جزرك الله!

---

(١) بلق الباب : إنفتح . فادرنفق : فاندفع فيه الناس بسرعة . وادمج : دخل
(٢) دلظنى : دفعنى فى صدرى
(٣) شيخان الحى : شيوخه . المرية : المراة بصيغة التصغير . وكان بالأصول المزية . وهو خطأ

قال أبو الحسن : جاء رجل إلى رجل من الوجوه فقال : أنا جارك وقد مات أخى فلان فمر لى بكفن ؟ قال : لا والله ما عندى اليوم شيء ولكن تعهدنا وتعود بعد أيام فسيكون الذى تحب ! قال : أصاحك الله فنملحه إلى أن يتيسر عندكم شيء . . ! ؟ . قال : كان مولى البكرات يدعى البلاغة فكان يتصفح كلام الناس فيمدح الردىء ويذم الجيد فكتب إلينا رسالة يعتذر فيها من ترك المجيء ، فقال : وقطعنى عن المجيء إليكم أنه طلعت فى إحدى أليتى ابنى بثرة فعظمت حتى صارت كأنها رمانة صغيرة !؟

وقال على الأسوارى : فلما رأيته اصفر وجهى حتى صار كأنه الكشوث . وقال محمد بن الجهم : إلى أين بلغ الماء منك ؟ قال : إلى العانة . قال شعيب بن زُرَارة : لو كان قال : إلى الشعرة كان أجود ! وقال له محمد بن الجهم : هذا الدواء الذى جئت به قدركم آخذ منه ؟ قال : قدر بعرة . وقال علىّ : جاءنى رجل حَزَنْبَلٌ من هٰهنا إلى ثمة .

شيء من سخف قاسم التمار

وقال قاسمُ التمَّار : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض ! وقال قاسم التمار : رأيت إيوان كسرى كأنما رفعت عنه الأيدى أول من أمس ! وأقبل على أصحاب له وهم يشربون النبيذ ، وذلك بعد العصر بساعة ، فقال لبعضهم : قم صَلِّ فاتتك الصلاة ! ثم أمسك عنه ساعة ثم قال لآخر : قم صل ويلك فقد ذهب الوقت ! فلما أكثر عليهم فى ذلك وهو جالس لا يقوم يصلى قال له واحد منهم : فأنت [لم] لم تصل ؟ فأقبل عليه فقال : ليس والله يعرفون أُصلى فى هذا ؟ قلت : وأى شيء أصلك ؟ قال : لا نصلى لأن هذه المغرب قد جاءت ! وقال قاسم : أنا أنفسُ بنفسى على السلطان ! وأتى منزل ابن أبى شهاب وقد تعشى القوم وجلسوا على النبيذ فأتوه بخبز وزيتون وكامخ (١) فقال : أنا لا أشرب النبيذ إلا على

(١) كامخ : موالح تشهى الطعام .

زُهومة.[1] وقال : حين بعت البغل بدأت بالسرج . وقال : ليس فى الدنيا ثلاثة أنكح منى ، أنا أكسل منذ ثلاث ليال فى كل ليلة عشر مرات ! كأن الإكسال عنده هو الانزال . وقال : ذهب والله منى الأطيبين ؟ قلت : وأى شيء الأطيبين قال : قوة اليدين والرجلين . وقال : فالتوى لى عرق حين قعدت منها مقعد الرجل من الغلام . وقال فى غلام له رومى : ما وضعت بينى و بين الأرض أطيب منه . قال : ومحمد بن حسان لا يشكرنى ووالله ما ناك حاذراً قط إلا على يدى .

وقال أبو خشرم : ما أعجب أسباب النيك ؟ فقيل له : ألنيك وحده ، قال : سمعنا الناس يقولون : ما أعجب أسباب الرزق وما أعجب الأسباب !

وكان قاسم التمار عند ابن لأحمد بن عبد الصمد بن على وهناك جماعة فأقبل وهب المحتسب يعرض له بالغلمان فلما طال على قاسم أراد أن يقطعه عن نفسه بأن يعرفه هو أن ذلك القول عليه فقال : إشهدوا جميعا أنى أنيك الغلمان واشهدوا جميعا أنى أعفج الصبيان والتفت التفاتة فرأى الأخوين الهذليين وكانا يعاديانه بسبب الاعتزال فقال : عنيت بقولى : إشهدوا جميعا أنى لوطى أى على دين لوط ! قال القوم بأجمعهم : أنت لم تقل إنى لوطى إنما قلت : إشهدوا أنى أنيك الصبيان . . . !

قال سفيان الثورى :[2] لم يكن فى الأرض أحد قط أعلم بالنجوم ثم بالقرانات من « ما شاء الله » كأن يريد ما شاء الله المنجم[3] وكان يقول : هو أكفر عندى من رام هرمز ! يريد أكفر من هرمز .

---

(١) زهومة : يريد اللحم

(٢) في إحدى النسخ : السدوسي . وفى أخرى : سفيان السدوسى . وكل هذا خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٣) هو ما شاء الله بن أبرى المنجم اليهودى . كان فى بغداد على فضل وحذق بعلم النجوم ، وزعموا أنه كان له حظ فى سهم الغيب والاخبار بأمور الحدثان . إلتقى به سفيان الثورى يوما فقال له : أنت تخاف زحل وأنا أخاف رب زحل وانت ترجو المشترى وانا ارجو رب المشترى وانت تغدو بالاستشارة وانا اغدو بالاستخارة ، فكم بيننا ؟ فقال له ما شاء الله : كثير ما بيننا ! حالك أرجى وامرك انجح واحجى ! وقد شهر فى زمن المنصور وادرك عهد المأمون وتوفى حوالى سنة ٢٠٠ ﻫ

ومن وسوس : غَلْفَاء بنُ الحرْث ملك قيس عيلان ، وسوس حين قتل إخوته ، وكان يتغلف و يغلف أصحابه بالغالية فسمى غلفاء بذلك .

وكان رجل ينيك البغلات فجلس يوما يحدث عن رجل كيف ناك بغلة وكيف انكسرت رجله وكيف كان ينالها قال : كان يضع تحت رجله لَبِنَةً فبينا هو ينحى فيها إذ انكسرت اللّبنة من تحت رجله و إذا أنا على قفاى !

ومن الأحاديث المولدة التى لا تكون وهو مليح فى ذلك قولهم : ناك رجل كلبة فعقدت عليه فلما طال عليه البلاء رفع رأسه فصادف رجلا يطلع عليه من سطح فقال له الرجل : إضرب جنبها ، فلما ضرب جنبها وتخلص قال : قاتله الله أى نياك كلبات هو !

وكان عندنا قاص أعمى ليس يحفظ من الدنيا إلا حديث جرجيس فلما بكى واحد من النظارة قال القاص : أنتم بأى شىء تبكون ! إنما البلاء علينا معاشر العلماء !

قال : و بكى حول أبى شيبان ولده وهو يريد مكة قال : لا تبكوا يا بنى فإنى أريد أن أضحى عندكم ! وقال أخوه : ولدت فى رأس الهلال للنصف من شهر رمضان ! إحسب أنت الآن هذا كيف شئت ! وقال : تزوجت امرأة مخزومية عمها الحجاج بن الزبير الذى هدم الكعبة ! وقال : ذلك لم يكن أباً إنما كان والداً ! وقال أبو دينار : هو و إن كان أخاً فقد ينبغى أن ينصف !

ومن المجانين : على بن إسحق بن يحيى بن معاذ ، وكان أول ما عرف من جنونه أنه قال : أرى الخطأ قد كثر فى الدنيا والدنيا كلها فى جوف الفلك و إنما نؤتى منه وقد تخاخل وتخرم وتزايل فاعتراه مايعترى الهرماء و إنما هو مجنون فكم يصبر وسأحتال فى الصعود إليه فانى إن بخرته ورندجته وسويته انقلب هذا الخطأ كله إلى الصواب ! وجلس مع بعض متعاقلى فتيان العسكر وجاءهم النخاس بجوار فقال : ليس نحن فى تقويم الأبدان إنما نحن فى تقويم الأعضاء ، ثمن أنف هذه خمسة وعشرون ديناراً وثمن أذنيها ثمانية عشر وثمن عينيها ستة وسبعون وثمن رأسها بلا

شيء من حواسها مائة دينار ! فقال صاحبه المتعاقل : ههنا باب هو أدخل في الحكمة من هذا ! كان ينبغي لقدم هذه أن تكون لساق تلك وأصابع تلك أن تكون لقدم هذه ، وكان ينبغي لشفتي تيك أن تكونا لفم تيك وأن تكون حاجباتيك لجبين هذه ! فسمي مقوم الأعضاء .

ومن النوكى : كلاب بن ربيعة ، وهو الذى قتل الخثعمىَّ قاتل أبيه دون أخوته ، وهو القائل :

أَلَمْ تَرَنِى ثَأَرْتُ بِشَيْخِ صِدْقٍ ... وَقَدْ أَخَذَ الإِدَاوَةَ فَاحْتَسَاهَا
ثَأَرْتُ بِشَيْخِهِ شَيْخاً كَرِيماً ... شِفَاءُ النَّفْسِ إِنْ شَيْءٌ شَفَاهَا

ومنهم : نَعَامَةُ وهو بيهس ، وهو الذى قال : مُكْرَهٌ أَخَاكَ لا بَطَلٌ . وإياه يعنى الشاعر :

وَمِنْ حَذَرِ الأَيَّامِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ ... قَصِيرٌ وَلاَقَى المَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ
نَعَامَةُ لَمَّا صَرَّعَ القَوْمُ رَهْطَهُ ... تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ

وقال الحضرمى : أما أنا فأشهد أن تميما أكثر من محارب . وقال حيان البزار : قبح الله الباطل ، ألرطب بالسكر والله طيب .

قال أبو الحسن : سمعت أبا الضمرى الحارثى[1] يقول : كان الحجاج أحمق بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم : لا تدخلوها فلما مات دلفوا إليها من قريب . مسعدة بن المبارك قال : قلت للبكراوى : أبامرأتك حمل ؟ قال : شيء ليس بشيء ! قال : بنى عبيد الله بن زياد البيضاء فكتب رجل على باب البيضاء : شيء ونصف شيء ولا شيء ، ألشيء : مهران الترجمان ، ونصف الشيء : هند ابنة أسماء ، ولا شيء : عبيد الله بن زياد ! فقال عبيد الله : أكتب إلى جنبه : لولا الذى زعمت أنه لا شيء ، لما كان ذلك الشيء شيأ ولا ذلك النصف نصفا .

وقال هشام بن عبد الملك يوما فى مجلسه : يُعرف حمق الرجل بخصال : بطول

(١) كان بالاصول : الضغدى . وقد مضت هذه الحكاية فى ص ٢٢٦ من الجزء الاول

لحيته وشناعة كنيته و بشهوته ونقش خاتمه ! فأقبل رجل طويل الحية فقال: هذه واحدة ، ثم سأله عن كنيته فاذا هى شنعاء ، فقال : هاتان ثنتان . ثم قال : وأى شىء أشهى إليك ؟ قال : رمانة مصاصة ! قال : أمصك الله بظر أمك . وقيل لأبى القمقام لم لا تغزو أو تخرج إلى المَصِيصَة ؟ قال: أمصنى الله إذاً ببظر أمى . وقالوا لأبى الاصبع بن ربعى : أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفونى فكيف صاروا لى أعداء ؟ قال : كان الوليد بن القعقاع عاملا على بعض الشام وكان يستسقى فى كل خطبة وإن كان فى أيام الشعرى ، فقام إليه شيخ من أهل حمص فقال : أصلح الله الأمير ، إذاً تفسد القَطَانِى ! يعنى الحبوب واحدها قُطْنِيَّة .

وأما نفيس غلامى فإنه كان إذا صار إلى فراشه فى كل ليلة فى سائر السنة يقول فى دعائه : ألاهم حوالينا ولا علينا .

قل : وكان بالرقة رجل يحدث الناس عن بنى اسرائيل وكان يكنى أبا عقيل ، فقال له الحجاج بن حنتمة : ما كان اسم بقرة بنى إسرائيل قال : حنتمة ! فقال له رجل من ولد أبى موسى : فى أى الكتب وجدت هذا ؟ قال : فى كتاب عمرو بن العاص ! ؟

ومن اللحانين الاشراف : ابن ضحيان الأزدى ، وكان يقرأ : قل يا أيها الكافرين ، فقيل له فى ذلك ، فقال : قد عرفت القراءة فى ذلك ، ولكنى لا أجل أمر الكفرة . ! وقال حبيب بن أوس :(١)

مَا وَلَدَتْ حَوَّاءُ أَحْمَق لِحيَةً مِنْ سَائِلٍ يَرْجُو الغِنَى مِنْ سَائِلِ (٢)

وقال أيضا : (٣)

---

(١) يهجو موسى بن ابراهيم الرافقى
(٢) فى الديوان : ما خلفت حواء
(٣) يهجو يوسف السراج الشاعر المصرى

أيوسفُ جئتَ بالعَجبِ العجيبِ ... تركتَ النّاسَ في شكٍّ مُريبِ (١)
سَمِعْتُ بكلِّ داهيةٍ نآدٍ ... ولَمْ أسمعْ بسرّاجٍ أديبِ
أما لَوْ أنَّ جهلَكَ عادَ علماً ... إذاً لنفذتَ في علمِ الغُيُوبِ
وما لكَ بالغريبِ يدٌ ولكنْ ... تعاطيكَ الغريبَ مِنَ الغريبِ

وأنشدوا :

أرى زمناً نَوْكاهُ أسعدُ أهلِهِ ... ولكنّما يشقَى بهِ كُلُّ عاقلِ
مشَى فوْقَهُ رِجْلاهُ والرّأسُ تحتَهُ ... فكبَّ الأعالي بارتفاعِ الأسافلِ

وهذه أبيات كتبناها فى غير هذا المكان من هذا الكتاب ، ولكن هذا المكان أولى بها . وقال الشاعر :

وَلِلدّهرِ أيّامٌ فكُنْ في لباسِها ... كَلِبْستِهِ يوماً أجدَّ وأخلقا
وكُنْ أكيسَ الكَيْسَى إذا كُنتَ فيهِمُ ... وإن كُنتَ في الحَمْقَى فكُنْ أنتَ أحمقا

وقال الآخر :

وأنزلَني طولُ النّوى دارَ غُرْبةٍ ... إذا شئتُ لاقيتُ الّذي لا أشاكِلُهْ
فحامقتُهُ حتّى يُقالَ سجيّةٌ ... ولوْ كانَ ذا عقلٍ لكُنتُ أعاقِلُهْ

وقال أبو العتاهِيَة :

مَنْ سابقَ الدّهرَ كبا كَبْوةً ... لم يَستقلْها مِنْ خُطى الدّهرِ
فاخطُ مَعَ الدّهرِ على ما خطَا ... واجْرِ مَعَ الدّهرِ كما يجْري
ليْسَ لِما ليْستْ لهُ حيلةٌ ... موْجُودةٌ خيرٌ مِنَ الصّبْرِ

وقال بِشرُ بنُ المُعتمِر :

حيلةُ ما ليْستْ لهُ حيلةٌ ... حُسْنُ عَزاءِ النفسِ والصّبْرِ

وقالَ صالحُ بْنُ عَبدِ القدُّوسِ :

(١) فى الديوان : تركت الناس فى امر مريب

وَإنَّ عَنَاءً أنْ تُفَهِّمَ جَاهِلاً ... وَيَحْسَبُ جَهْلاً أنَّهُ مِنكَ أفْهَمُ

مَتَى يَبْلُغُ البُنْيَانُ يَوْماً تَمَامَهُ ... إذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَآخَرُ يَهْدِمُ

وقال بِشْرُ بنُ المُعْتَمِرِ :

وإذا الغَبِيُّ رَأيْتَهُ مُسْتَغْنِياً ... أعْيَا الطَّبِيبَ وَحِيلَةَ المُحْتَالِ

ومن المجانين : مهدى بن الملوح الجعدى وهو مجنون بنى جعدة ، وبنو المجنون قبيل من قبائل بنى جعدة ، وهو غير هذا المجنون ، وأما مجنون بنى عامر وبنى عقيل ، فهو : قيس بن معاذ ، وهو الذى يقال له : مجنون بنى عامر ، وهما شاعران ، قيل ذلك لهما لتجننهما بعشيقتين كانتا لهما ، ولهما أشعار معروفة .

رأى فيما كان يروى

وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ، ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب والأرجاز الأعرابية القصار وأشعار اليهود والأشعار المنصفة فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة ، ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الأحاديث والقصائد والفقر والنتف من كل شىء ، ولقد شهدتهم وما هم على شىء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب فصار زهدهم فى نسيب العباس بقدر رغبتهم فى نسيب الأعراب ، ثم رأيتهم منذ سُنيات وما يروي عندهم نسيب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ فى طلب الشعر أو فتيانى متغزل.

وقد جلست إلى أبى عبيدة والأصمعى ويحيى بن نجيم وأبى مالك عمرو بن كِرْكِرَةَ (١) مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحداً منهم قصد إلى

(١) كان ابو مالك عمرو بن كركرة اعرابياً يعلم فى البادية ويورق في البصرة وكان مولى بنى سعد ، وكان ابو البيداء تزوج امه فكان هو راوية ابى البيداء ، وكان بصرى المذهب ، قال الجاحظ : كان احد الطياب يزعم ان الاغنياء عند الله اكرم من الفقراء وان فرعون عند الله اكرم من موسى ...؟!

شعر فى النسيب فأنشده ، وكان خلف يجمع ذلك كله ، ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب ، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج ، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل ، ورأيت عامتهم — فقد طالت مشاهدتى لهم — لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعانى المنتخبة وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وعلى المعانى التى إذا صارت فى الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعانى ، ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام فى رواة الكتاب أعم وعلى ألسنة حذاق الشعراء أظهر ، ولقد رأيت أبا عمرو الشيبانى يكتب أشعاراً من أفواه جلسائه ليدخلها فى باب التحفظ والتذاكر ، وربما خيل إلى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبدا أن يقولوا شعراً جيداً لمكان إغراقهم فى أولئك الآباء ، ولولا أن أكون عياباً ثم للعلماء خاصة لصورت لك فى هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبى عبيدة ومن هو أبعد فى وهمك من أبى عبيدة ؟

قال ابنُ المبارك : كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة ، فقلت له : لم كنوك أبا خارجة ؟ قال : لأنى ولدت يوم دخل سليمان بن على البصرة ! وكان عندنا شيخ حارس من علوج الجبل وكان يكنى أبا خُزيمة فقلت لأصحابنا : هل لكم فى مسألة هذا الحارس عن سبب كنيته فلعل الله يفيد من هذا الشيخ علما وإن كان فى ظاهر الرأى غير مأمول ولا مُطمع ؟ وهذه الكنية كنية زُرارة بن عدس وكنية خازم بن خُزيمة وكنية حمزة بن أدرك وكنية فلان وفلان وكل هؤلاء إما قائد متبوع وإما سيد مطاع ، ومن أين وقع هذا العلج الألكن على هذه الكنية ! فدعوته فقلت له : هذه الكنية كناك بها إنسان أو كنيت بها نفسك ؟ قال : لا ولكنى كنيت بها نفسى ! قلت : فلم اخترتها على غيرها ؟ قال : وما يدرينى ! قلت :

ألك ابن يسمى خزيمة ؟ قال : لا ، قلت : أفكان أبوك أو عمك أو مولى لك يسمى خُزيمة ؟ قال : لا ، قلت : فاترك هذه الكنية وا كتن بأحسن منها وخذ منى ديناراً ! قال : لا والله ولا بجميع الدنيا ..؟ أعطى المحلول إبنه درهما وقال : زِنْهُ ؟ فطرح وزن درهمين وهو يحسبه وزن درهم ، فلما رأى الدرهم قد شال وضع معه وزن درهم ، فلما رفعه وجده شائلا فألقى معه حبتين ، فقال له أبوه : كم فيه ؟ قال : ليس فيه شيء ؟ وهو ينقص حبتين . ! وكان عندنا قاص يقال له أبو موسى كوش فأخذ يوما فى ذكر قصر الدنيا وطول أيام الآخرة وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة فقال : إن الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيأ وعليه فضل سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : خمساً وعشرين سنة ليل هو فيها لا يعقل قليلا ولا كثيراً ، وخمس سنين قائلة ، وعشرين سنة إما أن يكون صبيا وإما أن يكون معه سكر الشباب فهو لا يعقل ، ولابد من صَبْحَةٍ بالغداة ونعسة بين المغرب والعشاء وكالغشى الذى يصيب الإنسان مراراً فى دهره وغير ذلك من الآفات ، فإذا حصلنا ذلك فقد صح أن الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيأ وعليه فضل سنتين . ! وقال بعض الهلاك : دخل فلان على كسرى فقال : أصلحك الله مالأمر فى كذا كذا . ؟ قال رجل من وجوه أهل البصرة : حدثت حادثة أيام الفرس فنادى كسرى : الصلاة جامعة . ! ؟

وقلت لغلامى نفيس : بعثتك إلى السوق فى حوائج فاشتريت مالم آمرك به وتركت كل ما أمرتك به ! قال : يامولاى ، أنا ناقة وليس فى ركبتى دماغ ! وقال نفيس لغلام لى : الناس ويلك أنت حياء كلهم أقل ؟ يريد أنت أقل الناس كلهم حياء . وقلت لقيس بن بريهة : هذا الصبى فى أى شيء أسلموه ؟ قال : فى أصحاب سند نعال . يريد فى أصحاب النعال السندية .

تأويل حديث

روى الأصمعيُّ وابنُ الأعرابى عن رجالهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّا مَعشَرَ الأنبياءِ بِكاءٌ » فقال ناس : ألبكءُ القلة، وأصل ذلك من اللبن ،

فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام ولم يجعله من إيثار الصمت ومن التحصيل وقلة الفضول، قلنا : ليس فى ظاهر هذا الكلام دليل على أن القلة من عجز فى الخلقة، وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعا وقد يكون القليل من اللفظ يأتى على الكثير من المعانى ، والقلة تكون من وجهين أحدهما من جهة التحصيل والإشفاق من التكلف وعلى تصديق ذلك قوله تعالى « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » وعلى البعد من الصنعة ومن شدة المحاسبة وحصر النفس حتى يصير بالتمرين والتوطين إلى عادة تناسب الطبيعة ، وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة وقلة الخواطر وسوء الاهتداء إلى جياد المعانى والجهل بمحاسن الألفاظ، ألا ترى أن الله قد استجاب لموسى عليه السلام حين قال : « وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هٰرُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى »

فلو كانت تلك القلة من عجز كان النبى صلى الله عليه وسلم أحق بمسألة إطلاق تلك العقدة من موسى، لأن العرب أشد فخاراً ببيانها وطول ألسنتها وتصريف كلامها وشدة اقتدارها، وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على كل من قصر عن ذلك التمام ونقص من ذلك الكمال ، وقد شاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم وخطبه الطوال فى المواسم الكبار ولم يُطل التماساً للطول ولا رغبة فى القدرة على الكثير ولكن المعانى إذا كثرت والوجوه إذا افتنت كثر عدد اللفظ وإن حذفت فضوله بغاية الحذف، ولم يكن الله ليعطى موسى لتمام إبلاغه شيأ لا يعطيه محمداً والذين بُعث فيهم أكثر مايعتمدون عليه البيان واللسن ، وإنما قلنا هذا لنحسم جميع وجوه الشغب لا أن أحداً من أعدائه شاهد هناك طرفا من العجز ! ولو كان ذلك مرئيا ومسموعا لاحتجوا به فى الملا ولتناجوا به فى الخلا ولتكلم به خطيبهم ولقال فيه شاعرهم، فقد عرف الناس كثرة خطبائهم وتسرع شعرائهم .

هذا على أننا لاندرى أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لم يقله لأن مثل هذه الأخبار يحتاج فيها إلى الخبر المكشوف والحديث المعروف ولكنا بفضل الثقة وظهور الحجة نجيب بمثل هذا وشبهه .

وقد علمنا أن من يقرض الشعر ويتكلف الأسجاع ويؤلف المزدوج ويتقدم في تحبير المنثور وقد تعمق في المعاني وتكلف إقامة الوزن والذى تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهوا رهوا مع قلة لفظه وعدد هجائه أحمد أمراً وأحسن موقعاً من القلوب وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج ، ولأن التقدم فيه وجمع النفس له وحصر الفكر عليه لايكون إلا ممن يحب السمعة ويهوى الْفَلَجَ والاستطالة ، وليس بين حال المتنافسين وبين حال المتحاسدين إلا حجاب رقيق وحجاز ضعيف ، والانبياء بمندوحة من هذه الصفة وفى ضد هذه الشيمة .

وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان . وتكلم رجل عند الحسن بمواعظ جمة ومعان تدعو إلى الرقة فلم يُر الحسن رق فقال الحسن : إما أن يكون بنا شر أو بك! يذهب إلى أن المستمع يرق على قدر رقة القائل .

والدليل الواضح والشاهد القاطع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » وهو القليل الجامع للكثير ، وقال الله تعالى وقوله الحق « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ » ثم قال « وَمَا يَنْبَغِي لَهُ » ثم قال « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » فعمم ولم يخص وأطلق ولم يقيد ، فمن الخصال التى ذمهم بها تكلف الصنعة والخروج إلى المباهاة والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديق ، ومن كان كذلك كان أشد افتقاراً إلى السامع من السامع إليه لشغفه أن يذكر فى البلغاء وصبابته باللحاق بالشعراء ، ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسة والمغالبة وولد ذلك فى قلبه شدة الحمية وحب المحاربة . ومن سخف هذا السخف وغلب الشيطان عليه هذه الغلبة كانت حالة داعية إلى قول

الزور والفخر بالكذب وصرف الرغبة إلى الناس والإفراط فى مديح من أعطاه وذم من منعه ، فنزه الله رسوله ولم يعلمه الكتاب والحساب ولم يرغبه فى صنعة الكلام والتقيد لطلب الألفاظ والتكلف لاستخراج المعانى فجمع له باله كله فى الدعاء إلى الله والصبر عليه والمجاهدة فيه والانبتات إليه والميل إلى كل ما يقرب منه ، فأعطاه الاخلاص الذى لا يشو به رياء واليقين الذى لا يعتوره شك والعزم المتمكن والقوة الفاضلة ، فاذا رأت مكانه الشعراء وفهمته الخطباء ومن قد تعبد للمعانى وتعود نظمها وتنضيدها وتأليفها وتنسيقها واستخراجها من مدافنها وإثارتها من أماكنها علموا أنهم لا يبلغون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم واستغرق مجهودهم وبكثير ما قد خولوه قليلا مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم فى طلبه واختلاف إلى أهله .

وكانوا مع تلك المقامات والسياسات ومع تلك الكلف والرياضات لا ينفكون فى بعض المقامات من بعض الاستكراه والزلل ومن بعض التعقيد والخطل ومن التفنن والانتشار ومن التشديق والإكثار ، ورأوه مع ذلك يقول : « إياى والتشادق وأبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون » ثم رأوه فى جميع دهره غاية فى التسديد والصواب التام والعصمة الفاضلة والتأييد الكريم وعلموا أن ذلك من ثمرة الحكمة ونتاج التوفيق وأن تلك الحكمة من ثمرة التقوى ونتاج الاخلاص .

وللسلف الطيب حكم وخطب كثيرة صحيحة ومدخولة لا يخفى شأنها على نقاد الألفاظ وجهابذة المعانى متميزة عند الرواة الخاص وما بلغنا عن أحد من جميع الناس أن أحداً ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة واحدة .

فهذا وما قبله حجة فى تأويل ذلك الحديث إن كان حقاً .

وفى كتاب الله المنزل أن الله تبارك وتعالى جعل منيحة داود الحكمة وفصل الخطاب كما أعطاه إلانة الحديد ، وفى الحديث المأثور والخبر المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شعيب خطيب الأنبياء وعلم الله سليمان منطق الطير

وكلام النمل ولغات الجن » فلم يكن عز وجل ليعطيه ذلك ثم يبتليه فى نفسه و بيانه عن جميع شأنه بالقلة وَالْمَعْجَزَةِ ثم لا تكون تلك القلة إلا على الإيثار منه للقلة فى موضعها وعلى البعد من استعمال التكلف ومناسبة أهل الصنعة والمشغوفين بالسمعة ، وهذا لا يجوز على الله عز وجل ، فان كان الذى رويتم من قوله : « إنا معشر الأنبياء بكاء » على ما تأولتم ذلك أن لفظ الحديث عام فى جميع الأنبياء ، فالذى ذكرنا من حال داود وسليمان عليهما السلام وحال شعيب والنبي صلى الله عليه وسلم دليل على بطلان تأويلكم ورد لعموم لفظ الحديث .

وهذه جملة كافية لمن كان يريد الانصاف .

تعليل أمية النبي صلى الله عليه وسلم

وكان شيخ من البصريين يقول : إن الله إنما جعل نبيه أميا لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ولا يقرض الشعر ولا يتكلف الخطابة ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب من قيافة الأثر وعيافة الطير ومن العلم بالأنواء وبالخيل وبالأنساب وبالأخبار وتكلف قول الأشعار ليكون إذا جاء بالقرآن الحكيم وتكلم بالكلام العجيب كان ذلك أدل على أنه من الله ، و زعم أن الله تعالى لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظا من الحاسب والكاتب ومن الخطيب والناسب ولكن ليجعله نبيا وليتولى أمر تعليمه بما هو أزكى وأنمى ، فانما نقصه ليزيده ومنعه ليعطيه وحجبه عن القليل ليجلى له الكثير .

رد هذا التعليل وإيراد تعليل آخر

وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يرد إلا الخير ، وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه ، ولو زعم أن أداة الحساب والكتابة وأداة قرض الشعر وجمع النسب قد كانت فيه

تامة وافرة مجتمعة كاملة ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الإستطاعة إلى ماهو أزكى بالنبوة وأشبه بمرتبة الرسالة، وكان إذا احتاج إلى البلاغة كان أبلغ البلغاء وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء وأنسب من كل ناسب وأقوف من كل قائف، ولو كان فى ظاهره والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب وشاعر ناسب ومتفرس قائف ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة لما كان ذلك مانعاً من وجوب تصديقه ولزوم طاعته والانقياد لأمره على سخطهم ورضاهم ومكروههم ومحبوبهم، ولكنه أراد أن لا يكون للشاعر متعلق عما دعا إليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق، وليكون ذلك أخف فى المؤنة وأسهل فى المحنة، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التى كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها، فلما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته صار لسانه لا ينطق به، والعادة توأم الطبيعه، فأما فى غير ذلك فانه إذا شاء كان أنطق من كل منطيق وأنسب من كل ناسب وأقوف من كل قائف وكانت آلته أوفر وأداته أكمل إلا أنها كانت مصروفة إلى ماهو أرد، وبين أن يضيف إليه العادة الحسنة وامتناع الشىء عليه من طول الهجران له فرق .

ومن العجب أن صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام فى حال معجزة قط، بل لم يره إلا وهو إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب، وما عدم منه إلا الخط وإقامة الشعر، فكيف ذهب ذلك المذهب والظاهر من أمره عليه السلام غير ماتوهم ! ؟

تفضيل الشعر ومداراة البليغ

وسنذكر بعض ماجاء فى تفضيل الشعر والخوف منه ومن اللسان البليغ والمداراة له وما أشبه ذلك .

قال أبو عبيدة : إجتمع ثلاثة من بنى سعد يراجزون بنى جعدة، فقيل لشيخ من بنى سعد : ماعندك ؟ قال أرجز بهم يوما إلى الليل لا أفثج[1]. وقيل للآخر :

(١) لا افثج : لا اعيا ولا اصاب بالبهر

ما عندك ؟ قال : أرجز بهم يوماً إلى الليل لا أنكف . فقيل للثالث : ما عندك ؟ قال : أرجز بهم يوماً إلى الليل لا أنكش ، فلما سمعت بنو جعدة كلامهم انصرفوا وخلوهم . قال و بنو ضرار أحد بنى ثعلبة بن سعد لما مات أبوهم وترك الثلاثة الشعراء صبياناً وهم : شَمَّاخٌ ومُزَرِّدٌ وجَزْءٌ أرادت أمهم وهى أم أوس أن تتزوج رجلا يسمى أوساً ، وكان أوس هذا شاعراً فلما رأوه بنو ضرار بفناء أمهم للخطبة تناول شماخ

حبل الدلو ثم متح وهو يقول : أُمُّ أُوَيْسٍ نَـكَحَتْ أُوَيْسَا

وجاء مزرِّدٌ فتناولَ الحبل فقال : أَعْجَبَها حَذَارَةٌ وَ كَيْسَا

وجاء جزءٌ فتناول الحبل فقال : أَصْدَقَ مِنها لَجْبَةً وَتَيْسَا

فلما سمع أويس رجز الصبيان بها هرب وتركها .

قال أبو عبيده : كان الرجل من بنى نُمير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال . نُميرى ، كما ترى ، فما هو إلا أن قال جَرِيرٌ :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بلَغْتَ وَلَا كِلابَا

فصار الرجل من بنى نمير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى عامر ! قال : فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوماً آخرين :

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجائى كما وَضَعَ الهِجاءُ بَنِي نُمَيْرِ

فلما هجاهم أبو الردينى العكلى فتوعدوه بالقتل قال [أبو] الردينى :

أَتُوعِدُنِى لِتَقْتُلَنِى نُمَـيْرٌ مَتَى قَتَلَتْ نُمَيْرٌ مَنْ هَجاهَا .!؟

فشد عليه رجل منهم فقتله . وما علمت فى العرب قبيلة لقيت من جميع ماهجيت به مالقيت نمير من بيت جرير ، ويزعمون أن امرأه مرت بمجلس من مجالس بنى نمير فتأملها ناس منهم فقالت : يابنى نمير ، لاقول الله سمعتم ولا قول الشاعر أطعتم ! قال الله تعالى « قُلْ لِلمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » وقال الشاعر :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولداً ولقد أحسن من ولده . وفي نمير شرف كثير. وهل أهلك عَنزَةَ وَجَرْماً وعُكْلاً وسلول وَبَاهِلَةَ وَغَنِيًّا إلا الهجاء ؟ وهذه قبائل فيها فضل كثير وبعض النقص ، فمحق ذلك الفضل كله هجاء الشعراء ، وهل فضح الحَبَطاتِ مع شرف حسكة بن عَتَّاب وعبَّاد بن الحصين وولده إلا قول الشاعر :

رَأَيتُ الحُمْرَ مِن شَرِّ المَطَايا ... كَما الحَبَطاتُ شَرُّ بَنِي تَمِيمِ

وهل أهلك ظُلَيْمَ البَرَاجِمِ إلا قول الشاعر :

إنَّ أبانَا فَقْحَةٌ لِدَارِمِ ... كَمَا الظُّلَيْمُ فَقْحَةُ البَرَاجِمِ ؟

وهل أهلك بني العجلان إلا قول الشاعر :

إذَا اللهُ عَادَى أهْلَ لُؤْمٍ وَدِقَّةٍ ... فعَادَى بَنِي العَجْلانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ
قُبَيِّلَةٌ لاَ يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ
وَلا يَرِدُونَ المَاءَ إلَّا عَشِيَّةً ... إذَا صَدَرَ الوُرَّادُ عَن كُلِّ مَنْهَلِ

وأما قول الأخْطَلِ :

وَقَدْ سَرَّنِي مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ أنَّنِي ... رَأَيتُ بَنِي العَجْلانِ سَادُوا بَنِي بَدْرِ

فإن هذا البيت لم ينفع بني العجلان ولم يضر بني بدر .

قال أبو عبيدة : كان الرجل من بني أنف الناقة إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بني قُرَيْعٍ ، فما هو إلا أن قال الحُطَيْئَةُ :

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ وَالأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ ... وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبا

فصار الرجل منهم إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من بني أنف الناقة .

وناس سلموا من الهجاء بالخمول والقلة ، كما سلمت غَسَّانُ وَغَيلَانُ من قبائل عمرو بن تميم ، وابتليت الحَبَطَاتُ لأنها أنبه ، والنباهة التي لا يضر معها الهجاء مثل نباهة بني بدر وبني فزارة ، ومثل نباهة بني عُدس بن زيد وبني عبد الله ابن دارم ، ومثل نباهة الديان بن عبد المدان وبني الحارث بن كعب ، فليس يسلم من

مضرة الهجاء، إلا خامل جداً أو نبيه جدا، وقد هُجيت فزارة بأكل أير الحمار وبكثرة شعر القفا لقول الحارث بن ظالم :

فما قومي بثعلبةَ بن سعدٍ ولا بفزارةَ الشُّعرِ الرقابِ

ثم افتخر مفتخرهم بذلك ومدحهم به الشاعر فقال مُزَرِّدُ بنُ ضِرار :

منيعٌ بينَ ثعلبةَ بن سعدٍ وبينَ فزارةَ الشُّعرِ الرِّقابِ
فأمنْ كانَ بينكما بنِكسٍ لعمرُكَ في الخطوبِ ولا بِكابِ

وأما قصة أير الحمار فإنما اللوم على المطعم لرفيقه ما لا يعرفه، فهل كان على الفزارى فى حق الأنفة أكثر من قتل من أطعمه الجوفان من حيث لا يدرى ؟ فقد هجوا بذلك وشرفهم وافر، وقد هُجيت الحارث بن كعب وكتب الهيثم بن عدى فيهم كتابا فما ضعضع ذلك منهم حتى كأنه قد كتبه لهم .

ولولا الربيع بن خيثم وسفيان الثورى ماعلم الناس أن فى الرّباب حيا يقال لهم بنو ثور . وفى عُكل شعر وفصاحة وخيل معروفة الأنساب وفرسان فى الجاهلية والاسلام، وزعم يونس أن عكلا أحسن العرب وجوها فى غب حرب . وقال بعض فتاك بنى تميم :

خليلي الفتى العُكليُّ لم أرَ مثلَهُ تحلَّبُ كفاهُ ندى شائعِ القدْرُ
كأنَّ سُهيلاً حينَ أوقدَ نارَهُ بعلياءَ لا يخفى على أحدٍ يسْرى

ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهداً على مقدار حظهم فى الشرف ولكن لنضمه الى قول جِرانِ العوْد :

أراقبُ لمحاً من سُهيلٍ كأنَّهُ إذا ما بدا من آخرِ الليلِ يطرف

وربما أتيت القبيلة إذا برزت عليها أخوتها كنحو فُقَيمِ بنِ جريرِ بن دارمٍ وزيد بن عبد الله بن دارم، وكنحو الْحِرْماز ومازن، ولذلك يقال : إن أصلح الأمور لمن تكلف علم الطب أن لا يحسن منه شيئاً أو يكون من الحذاق المتطببين

فإنه إذا أحسن منه شيأ ولم يبلغ فيه المبالغ هلك وأهلك أهله ، وكذلك العلم بصناعة الـكلام وليس كذلك سائر الصناعات ، فليس يضر من أحسن باب الفاعل والمفعول به وباب الاضافة وباب المعرفة والنكرة أن يكون جاهلا بسائر أبواب النحو ، وكذلك من نظر في علم الفرائض ، فليس يضر من أحكم باب الصُّلب أن يجهل باب الجد ، وكذلك الحساب ، وهذا كثير .

وذكروا أن حَزْنَ بنَ الْحٰرِثِ أحد بنى العنبر ولد محجناً ، فولد محجن شعيث ابن سهم ، فأغير على إبله فأتى أوسَ بنَ حجر يستنجده فقال له أوس : أو خير من ذلك ، أحضض لك قيس بن عاصم ؟! وكان يقال أن حزن بن الحارث هو حزن بن منقر ، فقال أوس :

سَائِلْ بها مَوْلَاكَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ　　فمَوْلَاكَ مَوْلَى السُّوءِ إنْ لم تُغَيِّرِ
لَعَمْرُكَ ما أدْرِى أمِنْ حَزْنِ مِحْجَنٍ　　شُعَيْثُ بن سُهْمٍ أمْ لِحَزْنِ بن مِنْقَرِ
فمَا أنْتَ بالمَوْلَى المُضَيِّعِ حقَّهُ　　وَمَا أنتَ بالجارِ الضَّعِيفِ المُسَتَّرِ

فسعى قيس فى إبله حتى ردها عن آخرها . وقال الآخر :

أَلْهَى بَنِى تغلبٍ عَنْ كلِّ مَكْرُمَةٍ　　قَصِيدَةٌ قالَهَا عَمْرُو بنُ كُلْثُومِ

ومما يدل على قدر الشعر عندهم بُكاء سيد بنى مازن مُخارقِ بن شهابٍ حين أتاه محمد بن المُكَعْبَرِ العَنْبَرِيُّ الشاعر فقال : إن بنى يربوع قد أغاروا على إبلى فاسعَ لى فيها ؟ فقال : وكيف وأنت جار وَرْدَانِ بنِ مَخْرَمَةَ ؟ فلما ولى عنه محمد محزوناً بكى مخارق حتى بل لحيته فقالت له ابنته ما يبكيك ؟ فقال : وكيف لا أبكى واستغاثنى شاعر من شعراء العرب فلم أغثه ؟ والله لئن هجانى ليَفضَحَنِّى قوله ولئن كف عنى ليقتلنى شكره ، ثم نهض فصاح في بنى مازن فردت عليه إبله . وذكر وَرْدَانَ الذى كان أخفره فقال :

أقُولُ وَقد بَزَّتْ بتعْشَار بَزَّةٍ　　لِوَرْدَانَ جِدَّ الآنَ فيها أو الْعَبِ
فعَضَّ الذى أبقَى المَوَاسِى مِن آمِّهِ　　خَفيرٌ رَآهَا لم يُشَمِّرْ وَيَغْضَبِ

إذا نَزَلَتْ وَسْطَ الرِّبَابِ وَحَوْلَهَا إذَا حُصِّنَتْ أَلْفَا سِنَانٍ مُجَرَّبُ
حَمَيْتَ خزَاعِياً وَأَبْنَاءَ مَازِنٍ وَوَرْدَانُ يَحْمِي عَنْ عَدِيِّ بْنِ جُنْدَبِ
سَتَعْرِفُهَا وِلْدَانُ ضَبَّةَ كُلُّهَا بِأَعْيَانِهَا مَرْدُودَةً لَمْ تُغَيَّبِ

قال : وفد رجل من بنى مازن على النعمان بن المنذر فقال له النعمان : كيف مخارقُ بنُ شِهابٍ فيكم ؟ قال : سيد كريم ، وحسبك من رجل يمدح نفسه ويهجو ابن عمه ! ذهب إلى قوله :

تَرَى ضَيْفَهَا فيها يَبِيتُ بِغِبْطَةٍ وَجَارُ ابْنِ قَيْسٍ جَائِعٌ يَتحوَّبُ

قال : ومن قدر الشعر وموقعه فى النفع والضر أن لَيلَى بِنْتَ النضْرِ بنِ الحرْثِ ابنِ كَلَدَةَ لما عرضت للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشفت منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته ! والشعر : (1)

يا رَاكِباً إنَّ الأُثَيلَ مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بِهَا مَيْتاً بِأَنَّ قَصِيدَةً مَا إنْ تَزَالُ بِهَا الرَّكَائِبُ تَخْفِقُ (2)
فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إنْ نَادَيْتُهُ إنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ (3)
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ

---

(1) روى أبو الفرج بسنده أن النبى أمر عاصم بن ثابت يوم بدر فضرب عنق عقبة بن ابي معيط صبرا ، ثم اقبل من بدر حتى إذا كان بالصفراء (وهو واد من ناحية المدينة وعلى مرحلة من بدر كثير النخل والزرع) امر عليا فضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة احد بنى عبد الدار . قال عمر بن شبة فى حديثه : بالأثيل . (وهو موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء) فقالت قتيلة بنت الحارث أخته ترثيه .

(2) رواية الأغانى :

ابلغ به ميتا بأن تحية ما إن تزال بها النجائب تخفق
منى إليك وعبرة مسفوحة جادت بدرتها واخرى تخنق

(3) رواية الأغانى :

هل يسمعن النضر إن ناديته إن كان يسمع هالك لا ينطق

قَسْراً يُقَادُ إلى المَنِيَّةِ مُتْعَباً   رَسْفَ المُقَيَّدِ وَهْوَ عانٍ مُوثَقُ (١)
أمُحَمَّدٌ هَا أنتَ ضِنْءُ نَجِيبَةٍ   فى قَوْمِها وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ (٢)
مَا كانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّما   مَنَّ الفَتَى وَهْوَ المَغِيظُ المُحْنَقُ (٣)

قال: ويبلغ من خوفهم من الهجاء، ومن شدة السب عليهم وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك فى الاعقاب ويسب به الأحياء والأموات أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق وربما شدوا لسانه بِنِسْعَةٍ كما صنعوا بِعَبْدِ يَغُوثَ بنِ وقَّاص الحارثى حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب وهو الذى يقول:

أقولُ وقَدْ شَدُّوا لِسانى بِنِسْعَةٍ   أمَعْشَرَ تَيْمٍ أطْلِقُوا مِنْ لِسانيا (٤)
وَتَضْحَكُ مِنِّى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ   كأنْ لَمْ تَرَا قَبْلِى أسِيراً يَمانِيا
كأنِّى لَمْ أرْكَبْ جَواداً وَلَمْ أقُلْ   لِخَيْلِى كُرِّى كَرَّةً عَنْ رِجالِيا (٥)
فيا رَاكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ   نَدامَاىَ مِنْ نَجْرانَ أنْ لا تَلاقِيا (٦)
أبا كَرِبٍ وَالأيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا   وَقَيْساً بأعْلَى حَضْرَمَوتَ اليَمانِيا (٧)

---

(١) رواية الأغانى: صبرا يقاد. ورسف المقيد: مشيه

(٢) رواية الأغاني: أمحمد ولأنت نسل نجيبة. ويروى: أمحمد يا خير ضنء كريمة. والضنء: النسل

(٣) بعده:

او كنت قابل فدية فلنأتين   بأعز ما يغلو لديك وينفق
والنضر اقرب من اخذت بزلة   واحقهم إن كان عتق يعتق

فبلغنا ان النبي قال: «لو سمعت هذا قبل ان اقتله ما قتلته». قلت: وفى نفسى من هذا القول الذى ينسب إلى النبي شيء لا استريح إليه لانى لا اصدق ان النبي كان يقتل او يمن بالهوى! اعيذه من ذلك، وارى ان هذا القول من وضع رواة الاشعار ليجعلوا لها منزلة فوق منزلتها

(٤) النسعة: السير الرقيق من الجلد

(٥) رواية المفضليات: كرى نفسى.

(٦) ويروى: فبلغا

(٧) ابو كرب: هو بشر بن علقمة بن الحارث. والايهمان: هما الاسود بن علقمة بن الحارث، والعاقب وهو عبد المسيح بن الابيض. وقيس: هو ابو الاشعث قيس بن معد يكرب الكندي، وهم جميعا من اقيال اليمن وسادات قومهم

وكان سألهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ففعلوا فكان ينوح بهذه الأبيات، فلما أنشد قومه هذا الشعر قال قَيس: لبيك وإن كنت أخرتنى.

وقيل لِعُبَيدِ الله بن عَبدِ الله بن عُتْبة بن مَسْعُودٍ: كيف تقول الشعر مع الفقه والنسك؟ فقال: لابد للمصدور من أن ينفُثَ. وقال مُعاوية لِصُحَارٍ العبدى: ما هذا الكلام الذى يظهر منك؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا. وقال ابنُ حربٍ: من أحسن شيأ أظهره. وفى المثل: من أحسن شيئاً أكثر ذكره. وقال: خاصم أبو الحُوَيْرِث السُّحَيْمىُّ حمزةَ بن بَيْضٍ إلى المُهاجرِ بن عبدِ الله فى طَوِيٍّ له فقال أبو الحويرث:(١)

أغْمَضْتُ فى حَاجَةٍ كانتْ تؤرِّقُنى ... لولا الَّذِى قُلْتَ فِيها قَلَّ تغْمِيضِى

قال: وما قلت لك؟ قال:

حَلَفْتَ بالله لى أنْ سَوفَ تُنْصِفُنى ... فَسَاغَ فى الحَلْقِ رِيقٌ بَعْدَ تجْرِيضِ

قال: وأنا أحلف بالله لأُنصفنك، قال:

فاسْألْ أُلَى عَنْ أُلَى أنْ مَا خُصُومَتُهُمْ ... أمْ كَيفَ أنْتَ وأصْحَابُ المَعارِيضِ

قال: أوجعهم ضرباً. قال:

فاسأل سُحَيْماً إذا وَافاكَ جَمْعُهُمُ ... هَلْ كانَ بالبئْرِ حَوضٌ قبْلَ تَخْوِيضِى

قال: فتقدمت الشهود فشهدت لأبى الحُويرث(٢) قال: فالتفت إلى ابن بَيْضٍ فقال:

أنتَ ابْنُ بَيْضٍ لعَمرِى لستُ أُنْكِرُهُ ... حَقًّا يَقِيناً وَلكِنْ مَنْ أَبُو بَيْضِ!؟

إنْ كُنْتَ أنْبَضْتَ لِى قَوْساً لِترْمِيَنِى ... فقدْ رَمَيْتُكَ رَمْياً غَيْرَ تَنْبِيضِ

---

(١) روى ابو الفرج بسنده قال اختصم ابو الجون السحيمى وحمزة بن بيض إلى المهاجر بن عبد الله الكلابي وهو على اليمامة فوثب عليه حمزة فانشا يقول: وذكر هذه المراجعة لحمزة.

(٢) رواية الاغانى ان المهاجر قضي لحمزة فانشا السحيمى يقول:

انت ابن بيض لعمرى لست انكره ... حقا يقينا ولكن من ابو بيض

إن كنت انبضت لى قوسا لترمينى ... فقد رميتك رميا غير تنبيض

اوكنت خضخضت لى وطبا لتسقينى ... فقد سقيتك محضا غير ممخوض

ولم يرو البيت الرابع الذى فيه ذكر المهاجر. ورواية الجاحظ اقرب إلى الصواب.

أَوْ كُنْتَ خَضْخَضْتَ لِى وَطْباً لِتَسْقِيَنِى فَقَدْ سَقَيْتُكَ وَطْباً غَيْرَ مَمْخُوضِ
إِنَّ المُهَاجِرَ عَدْلٌ فِى حُكُومَتِهِ وَالعَدْلُ يَعْدِلُ عِنْدِى كُلَّ تَعْرِيضِ

قال : وتزوج شيخ من الأعراب جارية من رهطه وطمع أن تلد له غلاماً فولدت له جارية فهجرها وهجر منزلها وصار يأوى الى غير بيتها فمر بخبائها بعد حول وإذا هى ترقص بُنيتها منه وهى تقول :(١)

مَا لِأَبِى حَمْزَةَ لَا يَأْتِينَا يَظَلُّ فِى البَيْتِ الَّذِى يَلِينَا
غَضْبَانَ أَنْ لَا نَلِدَ البَنِينَا تَاللهِ مَا ذَلِكَ فِى أَيْدِينَا
وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا

فلما سمع الأبيات مر الشيخ نحوهما حضراً حتى ولج عليها الخباء فقبلها وقبل بُنيتها وقال : ظلمتكما ورب الكعبة . وقال مسلم بن الوليد :

فإنى واسْمٰعِيلُ عِنْدَ فِرَاقِنَا لَكَالجَفْنِ يَوْمَ الرَّوْعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ
أَمُنْتَجِعاً مَرْوًا بِأَثْقَالِ هَمِّهِ دعِ الثِّقْلَ وَاحْمِلْ حَاجَةً مَا لَهَا ثِقْلُ
ثَنَاءٌ كَعَرْفِ الطِّيبِ يُهْدَى لِأَهْلِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بَنِى خَالِدٍ أَهْلُ(٢)
فَإِنْ أَغْشَ قَوْماً بَعْدَهُمْ أَوْ أَزُورَهُمْ فَكَالوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الأُنْسِ المَحْلُ

وقال ابن أبى عُيَيْنَة :

هَلْ كُنْتَ إِلَّا كَلَحْمِ مَيْتٍ دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ

وقال الآخر :

لَئِنْ حَبَسَ العَبَّاسُ عَنَّا رَغِيفَهُ لَمَا فَاتَنَا مِنْ نِعْمَةِ اللهِ أَكْثَرُ

وقال أبو كعب :(٣) كان رجل يُجرى على رجل رغيفاً فى كل يوم فكان اذا أتاه

---

(١) راجع ص ١٦٣ من الجزء الاول
(٢) بنو خالد بن برمك
(٣) هو ابو كعب الصوفى . وله ذكر فى كتاب البخلاء للجاحظ وعنه يروى بعض اخبارهم

الرغيف يقول : لعنك الله ولعن من بعثك ولعننى إن تركتك حتى أصيب خيراً منك . وقال بشار :

إذا بلغَ الرأيُ النصيحةَ فاستَعِنْ ... برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ
ولا تحسبِ الشورى عليكَ غضاضةً ... فإنَّ الخوافى عُدَّةٌ للقوادِمِ
وخلِّ الهُوَينا للضعيفِ ولا تكنْ ... نَؤُوماً فإنَّ الحزمَ ليسَ بنائمِ
وأدنِ على القُرْبى المُقرِّبَ نفسَهُ ... ولا تُشهِدِ الشورى امرأً غيرَ كاتمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ
فإنَّكَ لا تستطرِدُ الهمَّ بالمُنى ... ولا تبلغُ العَلْيا بغيرِ المكارمِ

وقال آخر :

تُعَرِّفُنى هُنَيْدَةُ مَنْ بنوها ... وأعرفُها إذا اشتدَّ الغُبارُ
متى ما تلقَ منَّا ذا ثَناءٍ ... يَؤُزُّ كأنَّ رِجْلَيْهِ شِجارُ
فلا تَعْجَلْ عليهِ فإنَّ فيهِ ... منافعَ حينَ يَبْتَلُّ العِذارُ
أنا ابنُ المَضْرَحِيِّ أبى شَليلٍ ... وهَلْ يخفى على الناسِ النَّهارُ
ورَثْناصُنعَهُ ولِكُلِّ فحلٍ ... على أولادِهِ منهُ نِجارُ

وقال أعشى هَمْدانَ فى خالدِ بنِ عتَّابِ بنِ ورْقاء :

تُمَنِّينى إمارتَها تميمٌ ... وما أمرى وأمرُ بنى تميمِ
وكانَ أبو سُليمانَ خليلى ... ولكنَّ الشِّراكَ منَ الأديمِ
أتينا أصبهانَ فهزَّلتنا ... وكنَّا قبلَ ذلكَ فى نعيمِ
أتذكُرُنا ومُرَّةَ إذ غزونا ... وأنتَ على بُغيلِكَ ذى الشُّؤمِ
ويَركَبُ رأسَهُ فى كلِّ وحلٍ ... ويَعثُرُ فى الطريقِ المُستقيمِ
وليسَ عليكَ إلّا طيلسانٌ ... نُصَيْبِىٌّ وإلّا سحقُ نِيمِ (١)

---

(١) سحق نيم : خلق بال

وقال آخر:[١]

فلستُ مُسلماً ما دُمتُ حيّاً … عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الأمِيرِ
أميرٌ يأكُلُ الفالوذَ سِرّاً … وَيُطْعِمُ ضَيفَهُ خُبْزَ الشَّعِيرِ
أتذكُرُ إذ قباؤُكَ جِلْدُ شاةٍ … وإذْ نعلاكَ مِنْ جلدِ البَعِيرِ
فسُبْحانَ الَّذِي أعْطاكَ مُلْكاً … وَعَلَّمَكَ الجلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ

وقال آخر:

دَعْ عنكَ مَرْوانَ لا تطْلُبْ إمارَتَهُ … ففيكَ رَاعٍ لها ما عِشْتَ شُرْشُورُ
ما بالُ بُرْدِكَ لَمْ يَمْسَسْ حَوَاشِيَهُ … مِنْ ثُرْمِداءَ وَلا صَنْعَاءَ تَحْبِيرُ

وقال ابن فِنانٍ المحاربى:

أقُولُ لَمّا جئْتُ مَجْلِسهُمْ … قبحَ الإلهُ عمائمَ الخزِّ
لولا قُتَيْبَةُ ما اعْتَجَرْتَ بها … أبدًا وَلا أقْعَيْتَ فى غَرْزِ
عجباً لِهذا الخزِّ يلْبَسُهُ … مَنْ كانَ مُشْتاقاً إلى الخبْزِ
مَنْ كانَ يَشْتُو فِى عَباءَتِهِ … مُتَقَبِّضاً كَتَقَبُّضِ العَنْزِ

وقال ثابتُ قُطنة فى رجل كان المهلب ولاه بعض خُراسان:

ما زالَ رَأْيُكَ يا مُهَلَّبُ فاضِلاً … حَتَّى بَنَيْتَ سُرادِقاً لِوَكِيعٍ[٢]
وَجَعَلْتَهُ رَبّاً عَلَى أرْبابِهِ … وَرَفَعْتَ عَبْدًا كانَ غيرَ رَفِيعٍ
لَوْ رَأى أبُوهُ سُرادِقاً أخَذْتَهُ … لَبَكَى وَفاضَتْ عَيْنُهُ بِدُمُوعٍ

وقال ابن سيخان مولى المغيرة فى بنى مطيع العدويين:

حَرامٌ كَنَّتِي مِنِّي بِسُوءٍ … وَأذْكُرُ صاحِبِي أبدًا بِذامِ
لقدْ حرُمَتْ وُدُّ بَنِي مُطِيعٍ … حَرامَ الدُّهْنِ لِلرَّجُلِ الحَرامِ

---

(١) يروى ان هذه الابيات قيلت فى هجاء معن بن زائدة
(٢) الظاهر ان المقصود به وكيع بن الدورقية

وَخَزَّهُمُ الَّذِى لَمْ يَشْتَرُوهُ ... وَمَجْلِسهُمْ بِمُعْتَلِجِ الظَّلَامِ
وَإِنْ جَنَفَ الزَّمَانُ مَدَدْتَ حَبْلاً ... مَتِيناً مِنْ حِبَالِ بَنِى هِشَامِ
وَرِيقٌ عُودُهُمْ أَبَداً رَطِيبٌ ... إِذَا مَا اغْبَرَّ عِيدَانُ اللِّئَامِ

وقال آخر :

لِمَنْ جُزُرٌ يُنَحِّرُهَا سُوَيْدٌ ... أَلَا يَا مُرَّ لِلْمَجْدِ الْمُضَاعُ
كَأَنَّكَ قَدْ سَعَيْتَ بِذِمَّتَيْهِمْ ... وَكُنْتَ ثِمَالَ أَيْتَامٍ جِيَاعِ

وقال :

سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَ السَّبْعُ الطِّبَاقُ لَهُ ... حَتَّى لِهِرْثَمَةَ الذُّهْلِيِّ أَبْوَابُ

وأنشدنا الأُحَيْمِر :

بِأَقَبَّ مُنْصَلِتِ اللَّبَانِ كَأَنَّهُ ... سِيدٌ تَنَصَّلَ مِنْ جُحُورِ سَعَالِى

وقال خَلَفٌ : لَمْ أَرَ أجمع من بيت امرئ القيس :

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ ... وَقَادَ وَذَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلْ

ولا أجمع من قوله :

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْىٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

وقال الآخر :

رَمَى الْفَقْرُ بِالْفِتْيَانِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ ... بِأَقْطَارِ آفَاقِ الْبِلَادِ نُجُومُ
وَإِنَّ امْرَأً لَمْ يُفْقِرِ الْعَامَ بَيْتَهُ ... وَلَمْ يَتَخَدَّدْ لَحْمُهُ لَلَئِيمُ

وقال عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ زُرَارَةَ الْكِلَابِيُّ :

وَلَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِ الدَّهْرِ صَالِحَةٍ ... بَاشَرْتُ فِى هَوْلِهَا مَرْأًى وَمُسْتَمَعَا
وَنَكْبَةٍ لَوْ رَمَى الرَّامِى بِهَا حَجَراً ... أَصَمَّ مِنْ جَنْدَلِ الصَّمَّانِ لَانْصَدَعَا
مَرَّتْ عَلَىَّ فَلَمْ أَطْرَحْ لَهَا سَلَبِى ... وَلَا اسْتَكَنْتُ لَهَا وَهْناً وَلَا جَزَعَا
وَمَا أَزَالُ عَلَى أَرْجَاءِ مَهْلَكَةٍ ... يُسَائِلُ الْمَعْشَرُ الْأَعْدَاءُ مَا صَنَعَا

وَلاَ رَمَيْتُ عَلَى خَصْمٍ بِفَاقِرَةٍ … إلاَّ رَمَيْتُ بِخَصْمٍ فَرَّ لِي جَذَعَا
مَاسُدَّ مُطَّلَعٌ يُخْشَى الْهَلاَكُ بِهِ … إلاَّ وَجَدْتُ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُطَّلَعَا
لاَ يَمْلأُ الْهَوْلُ قَلْبِي قَبلَ وَقْعَتِهِ … وَلاَ يَضِيقُ لَهُ صَدْرِي إذَا وَقَعَا

وقال الآخر :

لَقَدْ طَالَ إعْرَاضِي وَصَفْحِي عَنِ الَّتِي … أُبَلَّغُ عَنْكُمْ وَالْقُلُوبُ قُلُوبُ
وَطَالَ انْتِظَارِي عَطْفَةَ الرَّحْمِ مِنكُمُ … لِيَرْجِعَ وُدٌّ أَوْ يُنِيبَ مُنِيبُ
فَلاَ تَأْمَنُوا مِنِّي عَلَيْكُمْ شَبِيهَهَا … فَيَرْضَى بَغِيضٌ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ
وَيَظْهَرَ مِنَّا فِي الْمَقَالِ وَمِنْكُمُ … إذَا مَا ارْتَمَيْنَا فِي النِّضَالِ عُيُوبُ
فَإِنَّ لِسَانَ الْبَاحِثِ الدَّاءِ سَاخِطاً … بَنِي عَمِّنَا أَنَّى الْبَيَانُ كَذُوبُ

وقال الأَشْهَبُ بنُ رُمَيْلَةَ :

وَإِنَّ الأُلَى حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ … هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ
هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الذِي يُتَّقَى بِهِ … وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لاَ تَنُوءُ بِسَاعِدِ
أُسُودُ شَرًى لاَقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ … تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ

قوله : هم ساعد الدهر ، إنما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواة البديع ، وقد قال الراعى :

هُمُ كَاهِلُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ … وَمَنْكِبُهُ إِنْ كَانَ لِلدَّهْرِ مَنْكِبُ

وقد جاء فى الحديث : موسى الله أحدّ وساعد الله أشدّ . والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لُغتُهم كل لغة وأربت على كل لسان ، والرَّاعِى كثير البديع فى شعره وبَشَّار حسن البديع والعَتَّابى يذهب شعره فى البديع . وقال كعب بن عدى :

شَدُّ العِقَابِ على البرِىءِ بِمَنْ جَنَى … حَتَّى يَكُونَ لِغَيْرِهِ تَنْكِيلاَ
وَالْجَهْلُ فِي بَعْضِ الأُمُورِ إذَا اغْتَدَى … مُسْتَخْرِجٌ لِلْجَاهِلِينَ عُقُولاَ

وقال زُفَرُ بنُ الحرث :

لَئِنْ عُدتَ واللهِ الذي فوقَ عرشهِ ... مَنَحْتُكَ مَسْنُونَ الغِرَارَيْنِ أزْرَقَا
فإنَّ دواءَ الجهلِ أنْ تُضرَبَ الطُّلَى ... وأنْ يُغمَسَ العِرِّيضُ حتّى يُغرَّقا

وقال مبذول العذرى :

وَمَوْلًى كضِرْسِ السُّوءِ يُؤْذِيكَ مَسُّهُ ... ولا بُدَّ إنْ آذاكَ أنَّكَ فاقِرُهْ
دَوِي الجَوفِ إنْ يُنزَعْ يَسُؤْكَ مَكانُهُ ... وإنْ يَبْقَ يُصْبِحْ كلَّ يومٍ تُحاذِرُهْ
يُسِرُّ لكَ البَغْضاءَ وهْوَ مُجامِلٌ ... وما كلُّ مَنْ يَجْنِي عليكَ تُساوِرُهْ
وما كلُّ مَنْ مَدَّدْتَ ثَوْبَكَ دُونَهُ ... لِتَسْتُرَ مِمَّا قدْ أتَى أنتَ ساتِرُهْ

وقال الآخر :

أطالَ اللهُ كَيْسَ بَنِي رَزِينٍ ... وحُمْقِي إنْ شَرِبْتُ لَهُمْ بِدَيْنِي
أأَكْتُبُ إبْلَهُمْ شاءً وفيها ... بِرَيْعِ فِصالِها بِنْتا لَبُونِ
فما خُلِقُوا بِكَيْسِهِمِ دُهاةً ... ولا مُلْجاءَ بَعْدُ فيُعْجِبُونِي

وقال آخر :

عَفارِيتاً عَلَيَّ وأكْلِ مالِي ... وعَجْزاً عنْ أُناسٍ آخَرِينا
فهلاَّ غيرَ عَمِّكُمْ ظَلَمْتُمْ ... إذا ما كُنْتُمُ مُتَظَلِّمِينا
فلو كُنْتُمْ لِكَيِّسَةٍ أكاسَتْ ... وكَيْسُ الأُمِّ أكْيَسُ لِلْبَنِينا

وقالت رُقَيَّةُ بنت عبد المطلب فى النبى صلى الله عليه وسلم :

أُبَيَّ إنِّي رأيْتُ حَجَرٌ ... يَغْدُو بِكَفِّكَ حَيْثُما يَغْدُ
وأخافُ أنْ تَلْقَى غُوَيَّهُمُ ... أوْ أنْ يُصِيبَكَ بَعْدُ مَنْ يَعْدُو

ولما دخل مكة لقيه جواريها يقلن :

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَداعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنا ... ما دَعا لِلَّهِ داعْ

يضاف الى باب الخطب والى القول فى تخليص المعانى والخروج من الأمر المشبه بغيره، قول حسان بن ثابت :(١)

إنَّ خالى خطيبُ جابيةِ الجو　　لَانِ عندَ النُّعْمانِ حينَ يقومُ
وَهُوَ الصقرُ عندَ بابِ ابنِ سلمى　　يومَ نُعمانُ فى الكبولِ مُقيمُ
وَسطتْ نِسبتى الذوائبَ منهمْ　　كلُّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيمُ
وأبى فى سُميحةَ القائلُ الفا　　صلَ يومَ التفتْ عليهِ الخصومُ
يَفصلُ القولَ بالبيانِ وذو الرأ　　ى مِنَ القومِ ظالِعٌ مكعومُ
تلكَ أفعالهُ وفعلُ الزِّبَعْرَى　　خاملٌ فى صديقهِ مذمومُ
رُبَّ حلمٍ أضاعهُ عدمُ الـ　　ـمالِ وجهلٍ غطَّى عليهِ النعيمُ
ولىَ الناسَ منكمُ إذ أبيتمْ　　أُسرةٌ من بنى قصىٍّ صميمُ
وقريشٌ يحولُ منّا لواذاً　　أنْ يُقيموا وخفَّ منها الحلومُ
لمْ يُطِقْ حملهُ العواتقُ منهمْ　　إنَّما يحملُ اللواءَ النجومُ

ولما دفن سليمان بن عبد الملك أيوب ابنه وقف ينظر إلى القبر ثم قال :

كُنْتَ لنا أُنسًا ففارقتنا　　فالعيشُ من بعدِكَ مُرُّ المذاقِ

وقربت دابته فركب ووقف على قبره وقال :

وُقوفاً على قبرٍ مقيمٍ بقفرةٍ　　متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مفارقِ

ثم قال : وعليك السلام . ثم عطف رأس دابته وقال :

فإنْ صبرتُ فلمْ ألفظكَ منْ شبعٍ　　وإنْ جزعتُ فعلقٌ منفسٌ ذهبا

المدائنى قال : لما مات محمد بن الحجاج جزع عليه فقال : إذا غسلتموه فاعلمونى فلما نظر اليه قال :(٢)

---

(١) راجع ص ٢٠٨ و ٢٠٩ من الجزء الثاني

(٢) روى القالى هذه الرواية بسنده عن أبى عبيدة قال : لما هلك أبان بن الحجاج وأمه أم ابان بنت النعمان بن بشير فلما دفنه قام الحجاج على قبره فتمثل بقول زياد الأعجم :

الآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكْرَمَ مَنْ مَشَى ... وَافْتَرَّ نابُكَ عَنْ شَباةِ القارِحِ
وَتَكامَلَتْ فِيكَ المُرُوءَةُ كُلُّها ... وَأَعَنْتَ ذَلِكَ بِالفَعالِ الصَّالِحِ

ثم أتاه موت أخيه محمد بن يوسف فقال :

حَسْبِي ثَوابُ اللهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ ... وَحَسْبِي بَقاءُ اللهِ مِنْ كُلِّ هالِكِ
إِذا ما لَقِيتُ اللهَ عَنِّي راضِياً ... فَإِنَّ شِفاءَ النَّفْسِ فِيما هُنالِكِ

تمثل مُعاوية في عبد الله بن بُديل :

أَخُو الحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّها ... وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ ساقِها الحَرْبُ شَمَّرا
وَيَدْنُو إِذا ما المَوْتُ لَمْ يَكُ دُونَهُ ... قَدَى الشِّبْرِ يَحْمِي الأَنْفَ أَنْ يَتَأَخَّرا

ورأى معاوية هزاله وهو متعر فقال :

أَرَى اللَّيالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي ... أَخَذْنَ بَعْضِي وَتَرَكْنَ بَعْضِي
حَنَيْنَ طُولِي وَتَرَكْنَ عَرْضِي ... أَقْعَدْنَنِي مِنْ بَعْدِ طُولِ النَّهْضِ

وتمثل عبدُ الملك حين وثب بعمرو بن سعيد الأشدق :

سَكَّنْتُهُ لِيَقِلَّ مِنِّي نَفْرُهُ ... فَأَصُولَ صَوْلَةَ حازِمٍ مُسْتَمْكِنِ
وَحَمِيتُهُ غَضَباً لِنَفْسِي إِنَّهُ ... لَيْسَ المُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالمُحْسِنِ

الآن لما كنت أكمل من مشى ... وافتر نابك عن شباة القارح
وتكاملت فيك المروءة كلها ... وأعنت ذلك بالفعال الصالح

فلما انصرف إلى منزله قال : ارسلوا خلف ثابت بن قيس الانصاري ، فأتاه . فقال : انشدني مرثيتك في ابنك الحسن فأنشده :

قد أكذب الله من نعى حسنا ... ليس لتكذيب موته ثمن
اجول في الدار لا اراك وفي الـ ... ـدار اناس جوارهم غبن
بدلتهم منك ليت انهم ... اضحوا وبيني وبينهم عدن

قلت : والبيتان اللذان رواهما الجاحظ في الاصل هما من قصيدة بالغة حد الاجادة قالها زياد الاعجم يرثي بها المغيرة بن المهلب بن ابي صفرة ، وهي مثبتة بأكملها في ذيل الامالي

وسمع معاويةُ رجلا يقول :

وَمَنْ كَرِيمٌ مَاجِدٌ سَمَيْدَعُ يُؤْتَى فَيُعْطِي مِنْ نَدًى وَيَمْنَعُ

فقال : هذا منا ، هذا والله عبدُ الله بن الزبير .

وصف معاوية لقريش

المدائنى قال: قال معاويةُ : إذا لم يكن الهاشمى جوادا لم يُشبه قومه ، وإذا لم يكن المخزومى تيّاهًا لم يُشبه قومه ، وإذا لم يكن الأموى حليما لم يُشبه قومه . فبلغ قوله الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما فقال : ما أحسن ما نظر لنفسه ! أراد أن تجود بنو هاشم بأموالها فتفتقر إلى ما فى يديه ، وتزهو بنو مخزوم على الناس فتُبغض وتُشنأ ، وتحلم بنو أمية فتحب . وقال بشار :

أَحْسِنْ صِحَابَتَنَا فإنَّكَ مُدْرِكٌ بَعْضَ اللُّبَانَةِ بِاصْطِنَاعِ الصَّاحِبِ

وَإِذَا جَفَوْتَ قَطَعْتَ عَنْكَ لُبَانَتِي وَالدَّرُّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الحَالِبِ

تَأْتِي اللَّئِيمَ وَمَا سَعَى حَاجَاتُهُ عَدَدَ الحَصَى وَيَخِيبُ سَعْيُ الدَّائِبِ

وأنشد :

إِذَا مَا أُمُورُ النَّاسِ رَثَّتْ وَضُيِّعَتْ وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ رَمَمْتُهَا

وقال أعرابى :

نَدِينُ وَيَقْضِي اللهُ عَنَّا وَقَدْ نَرَى مَكَانَ رِجَالٍ لَا يَدِينُونَ ضُيَّعَا

وقال أعرابى :

وَلَيْسَ قَضَاءُ الدَّيْنِ بِالدَّيْنِ رَاحَةً وَلَكِنَّهُ نَقْلٌ مُمِضٌّ إِلَى ثِقْلِ

وأنشد أبو عبيدة لعبيد [بن أيوب] العنبرى وهو أحد اللصوص :

يَارَبِّ عَفْوَكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجِلٍ كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّاسِ مَجْنُونُ

قَدْ كَانَ أَسْلَفَ أَعْمَالًا مُقَارِبَةً أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينُ

وقال أعرابى :

يا رب قد حلف الأقوام واجتهدوا | أيمانهم أننى من ساكنى النار
أيحلفون على عمياء ويلهم | جهلاً بعفو عظيم العفو غفار

وقال أعراب وهو محبوس :

أسجناً وقيداً واغتراباً ووحشة | وذكرى حبيب إن ذا العظيم
وإن امرأ دامت مواثيق عهده | على كل ما لاقيته لكريم

وقال أعرابي :

أبا أم عمرو بيني أنت كلما | ترفع حاد أو دعا كل مسلم
نظرت إليها نظرة ما يسرني | وإن كنت محتاجاً بها ألف درهم

وقال الشاعر :

وما كثرة الشكوى بأمر حزامة | ولابد من شكوى إذا لم يكن صبر

ومثله :

وأبثثت بكراً كل ما في جوانحي | وجرعته من مر ما أتجرع
ولابد من شكوى إلى ذي حفيظة | إذا جعلت أسرار نفسي تطلع

وقال الشاعر : (١)

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه | فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها | حسداً وبغياً إنه لدميم

وقال بزرجمهر : ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد (٢). وقال الأحنف بن قيس: لا راحة لحسود. وقال الشعبي : الحاسد منغص بما فى يد غيره . وقال الله تبارك وتعالى « ومن شر حاسد إذا حسد »

---

(١) هذا الشعر ينسب إلى ابى الاسود الدؤلى

(٢) روى الجاحظ هذه الكلمة فى رسالة الحاسد والمحسود هكذا : قال بعض الاعراب : ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد

وقال بعضهم يمدح أقواماً :

مُحَسَّدُونَ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً ... مَنْ عَاشَ فِى النَّاسِ يَوْماً غَيْرَ مَحْسُودِ

وقال الشاعر :

الرِّزْقُ يَأْتِى قَدَراً عَلَى مَهَلْ ... وَالمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى حُبِّ العَجَلْ

وقالوا : من تمام المعروف تعجيله . ووصف بعض الأعراب أميراً فقال : إذا أوعد أخر واذا وعد عجَّل ، وعيده عفو ووعده إنجاز . وقال تبارك وتعالى « وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً » .

ودخل عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ على المنصور وهو يومئذ خليفة ، وروى هذا الحديث العتبى عن عتبة بن هرون قال: شهدته وقد خرج من عنده فسألته عما جرى بينهما فقال: رأيت عنده فتى لم أعرفه فقال لى : يا أبا عثمان ، أتعرفه ؟ فقلت : لا . فقال: هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين . فقلت له : قد رضيت له أمرا يصير اليه إذا صار وقد شُغلتَ عنه ! فبكى ثم قال: عظنى يا أبا عثمان ؟ فقلت : إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشترِ نفسك منه ببعضها ، فلو أن هذا الأمر الذى صار اليك بقى فى يدى من كان قبلك لم يصل إليك ، وتذكر يوما يتمخض بأهله لا ليلة بعده .

المدائنى قال : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول : رحم الله امرأ لم تمج أذنه كلامى وقدم لنفسه معاذة من سوء مقامى ، فان البلاد مجدبة والحال سيئة ، والعقل زاجر ينهى عن كلامكم والفقر عاذر يحملنى على إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرأ أمر بمير (١) أو دعا بخير . وقال رجل من طىء :

قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ القَوْمِ مِثْلَهُمْ ... كِرَاماً وَلَمْ نَأْخُذْ بِهِمْ حَشَفَ التَّمْرِ

وقال آخر :

قَتَلْنَا بِهِمْ مَا بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْحِدٍ ... وَأَرْبَعَةً مِنْهُم وَآخَرُ خَامِسُ

وقال آخر :

---

(١) المير : العطاء

قَتَلْنا رجالاً مِنْ تَميمٍ أخايراً بقومٍ كِرامٍ مِنْ رجالٍ أخايرِ

وسئل بعض العرب : ما العقل ؟ قال : الإصابة بالظنون ومعرفة مالم يكن بما قد كان . وقال جرير يعاتب المهاجر بن عبد الله :

يا قيسَ عيلانَ إنّي قد نَصبتُ لكُمْ بالمنْجنيقِ ولمَّا أُرسِلُ الحجَرا

فوثب المهاجر فأخذ بحقوه وقال: العتبي يا أبا حزرة ، لا ترسله. وقال سويد بن صامت:

ألا رُبَّ مَن تدْعُو صديقاً ولو ترَى مَقالتَهُ بالغيبِ ساءكَ ما يفْرى (١)

مَقالتُهُ كالشَّحْمِ مَادامَ شاهِداً وَبالغيبِ مأْثورٌ على ثغرَةِ النحْرِ (٢)

تُبينُ لكَ العَيْنانِ مَاهُوَ كاتِمٌ مِنَ الشَّرِّ وَالبغضاءِ بالنظَرِ الشَّزْرِ

يَمُرُّكَ بادِيهِ وَتحتَ أديمِهِ نَميمةُ غِشٍّ تبتَرى عَقِبَ الظَّهْرِ

فرُشْني بِخَيرٍ طَالمَا قدْ بَرَيْتَنى وَخيرُ المَوالِى مَنْ يرِيشُ ولا يَبْرِى

وقال حارثة بن بدر ، لما تخالفت الازد وربيعة :

لا تحْسبَنَّ فُؤادِي طَائراً فزِعاً إذا تخالفَ ضَبُّ البرِّ والنُّون

وأنشد ابن الاعرابى :

فإنْ أكُ قصْداً فى الرِّجال فإنَّنى إذا حلَّ أمْرٌ ساحَتِى لجَليمُ

تُعَيِّرُنى الإعدامَ وَالوجْهُ مُعرِضٌ وسَيفِى بأمْوالِ التِّجارِ زَعِيمُ

وأنشد ابن الاعرابى لعمرو بن شأس : (٣)

متى يَبلغُ البُنْيانُ يَوْماً تمامَهُ إذا كُنتَ تَبْنيهِ وآخَرُ يَهدِمُ

وقال عَبيد بن الأبرص :

سَاعِدْ بأرْضٍ إذا كُنتَ بها وَلا تَقُلْ إنَّنى غَريب

(١) يفرى: يمزق

(٢) مأثور : سيف مسلول

(٣) هو عمرو بن شاس الاسدى . كان شاعرا من شعراء المخضرمين نشا فى الجاهلية وادرك الاسلام وهو شيخ كبير . وهو ابو عرار بن عمرو الذى قال فيه:

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

قد يُوصِلُ النَّازِحُ النَّائى وَقد يَقْطعُ ذُو السُّهْمَةِ القريبُ

وأنشد الاصمعى لكثير :

رَأَيْتُ أَبا الوَليدِ غَداةَ جَمْعٍ بهِ شَيْبٌ وَقدْ فقدَ الشَّبابا
وَلكن تحتَ ذاكَ الشيْبِ حَزْمٌ إذا ما ظَنَّ أَمْرَضَ أَوْ أَصابا

ويمدحون باصابة الظن ويذمون بخطائه . قال أوس بن حجر :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بكَ الظَّنَّ كَأَنْ قدْ رَأَى وَقد سَمِعا

وفى بعض الحكمة : من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه . وقال السموأل بن عاديا :

وإنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى القتلَ سُبَّةً إذا ما رَأَتْهُ عامرٌ وَسَلُولُ
يُقرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجالَنَا لَنَا وَتكْرَهُهُ آجالُهُمْ فتطُولُ
تَسيلُ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ نُفُوسُنا وَليْستْ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسيلُ (١)
وَمَا ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ فى فِرَاشِهِ وَلا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كانَ قَتيلُ (٢)

وقال حسان بن ثابت :

لَمْ تَفُتْها شَمْسُ النَّهارِ بِشَيءٍ غيْرَ أَنَّ الشبابَ ليْسَ يَدُومُ
لوْ يدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ عليْها لَأَنْدَبَتْها الكُلُومُ

وقال بشار بن برد :

مِنْ فَتاةٍ صُبَّ الجمالُ عليها فى حَديثٍ كَلَذَّةِ النَّشْوانِ
ثُمَّ فارَقْتُ ذاكَ غيرَ ذَميمٍ كلُّ عَيشِ الدُّنيا وَإنْ طالَ فانِ

وقال مزاحم العقيلى :

تَزِينُ سَنا الماوِيِّ كلَّ عَشيَّةٍ عَلَى غَفلاتِ الزَّيْنِ وَالمتجَمَّلِ
وُجوهاً لَوَ انَّ المُدْلِجينَ اعْتَشَوْا بها صَدَعَنْ الدُّجَى حَتى تَرَى اللَّيْلَ يَنجَلِى (٣)

وقال المسعودى :

إنَّ الكِرامَ مَنَاهِبُوكَ المَجْدَ كُلُّهُمْ فَنَاهِبْ
أَخْلِفْ وَأَتْلِفْ كلُّ شيْءٍ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبْ

(١) ويروى : تسيل على حد الظباة
(٢) ويروى : وما مات منا سيد حتف أنفه
(٣) المدلجون : السائرون ليلا

خطبة شداد بن أوس

قال : قام شداد بن أوس وقد أمره معاوية أن ينتقص عليا فقال :

الحمد لله الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضى خلقه ، على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم ، أيها الناس ، إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ، و إن الدنيا عرض حاضر يأكل فيها البر والفاجر ، و إن السامع المطيع لله لاحجة عليه ، و إن السامع العاصى لله لاحجة له ، و إن الله إذا أراد بالعباد صلاحا عَمِلَ عليهم صلحاؤهم وقضى بينهم فقهاؤهم وملك المال سمحاؤهم ، وإذا أراد بهم شراً عَمِلَ عليهم سفهاؤهم وقضى بينهم جهلاؤهم وملك المال بخلاؤهم ، و إن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها ، ونصح لك يامعاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل . قال : إجلس رحمك الله قد أمرنا لك بمال ! قال : إن كان من مالك الذى تعهدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالا وأنفقته إفضالا ، فنعم ، و إن كان مما شاركك فيه المسلمون فاحتجنته دونهم فأصبته اقترافا وأنفقته إسرافا فان الله يقول فى كتابه « إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ »

شىء من أدب معاوية وسياسته

وأذن معاوية للأحنف بن قيس ، وقد وافى معاوية محمد بن الأشعث فقدمه عليه فوجد من ذلك محمد بن الأشعث وأذن له فدخل فجلس بين معاوية والأحنف فقال معاوية : إنا والله ما أذنا له قبلك إلا ليجلس إلينا دونك ، وما رأيت أحداً يرفع نفسه فوق قدرها إلا من ذلة يجدها ، وقد فعلت فعل من أحس من نفسه ذلا وضعة ، و إنا كما نملك أموركم نملك تأديبكم ، فأريدوا منا ما نريده منكم فانه أبقى لكم وإلا قصرْناكُمْ كرها فكان أشد عليكم وأعنف بكم .

وقال معاوية لرجل من أهل سبأ : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : بل قومك أجهل ! قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى الحق وأراهم البينات « اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ اوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » ألا قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ! !

قال : ولما سقطت ثنيتا معاوية لف وجهه بعمامة ثم خرج إلى الناس فقال : لئن بتليت لقد ابتلى الصالحون قبلى وإنى لأرجو أن أكون منهم ، ولئن عوقبت لقد عوقب الخاطئون قبلى وما آمن أن أكون منهم ، ولئن سقط عضوان منى لما بقى أكثر ولو أتى على نفسى لما كان لى عليه خيار تبارك وتعالى ، فرحم الله عبداً دعا بالعافية ، فوالله لئن كان عتب على بعض خاصتكم لقد كنت حدباً على عامتكم

ولما بلغت معاوية وفاة الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما دخل عليه ابن عباس فقال له معاوية : آجرك الله أبا العباس فى أبى محمد الحسن بن على — ولم يظهر حزنا — فقال ابن عباس : إنا لله و إنا إليه راجعون ، وغلبه البكاء فرده ثم قال : لا يسد والله مكانه حفرتك ولا يزيد موته فى أجلك ، والله لقد أصبنا بمن هو أعظم منه فقدا فما ضيعنا الله بعده ! فقال له معاوية : كم كانت سنه ؟ قال مولده أشهر من أن تتعرف سنه ! قال : أحسبه ترك أولاداً صغاراً ؟ قال : كلنا كان صغيراً فكبر ، ولئن اختار الله لأبى محمد ما عنده وقبضه إلى رحمته لقد أبقى الله أبا عبدالله (١) وفى مثله الخلف الصالح .

وصية اعرابية لولدها

الأصمعى عن أبان بن ثعلبة قال : مررت بامرأة بأعلى الأرض وبين يديها ابن لها يريد سفراً وهى توصيه فقالت : إجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك ، وقليل إجدائه عليك أنفع من كثير عقلك : إياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن ، ولا تجعل نفسك غرضاً للرماة فإن الهدف إذا رمى لم يلبث أن ينثلم ، ومثل نفسك

(١) ابو عبد الله هو الحسين بن على رضي الله تعالى عنهما

مثالا فما استحسنته من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه ، ومن كانت مودته بشره كان كالريح فى تصرفها . ثم نظرت فى فقالت : كأنك ياعراقى أعجبت بكلام أهل البدو ؟ ثم قالت لابنها : إذا هززت فهز كريما فان الكريم يهتز لهزتك ، وإياك واللئيم فانه صخرة لاينفجر ماؤها ، وإياك والغدر فانه أقبح ماتعومل به ، وعليك بالوفاء ففيه النماء ، وكن بمالك جوادا وبدينك شحيحا ، ومن أُعطى السخاء والحلم فقد استجاد الْحُلَّةَ رَيْطَتَهَاوَسِرْبَالَهَا ! إنهض على اسم الله .

وقال أعرابى لرجل مطله فى حاجة : إن مثل الظفر بالحاجة تعجيل اليأس منها إذا عسر قضاؤها ، وإن الطلب وإن قل أعظم قدرا من الحاجة وإن عظمت ، والمطل من غير عسر آفة الجود .

خطب الفضل الرقاشى إلى قوم من بنى تميم فخطب لنفسه فلما فرغ قام أعرابى منهم فقال : توسلت بحرمة وأدليت بحق واستندت إلى خير ودعوت إلى سنة ، ففرضك مقبول وما سألت مبذول ، وحاجتك مقضية إن شاء الله تعالى . قال الفضل : لو كان الأعرابى حمد الله فى أول كلامه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لفضحنى يومئذ .

وصية الملك المنذر لولى عهده

المدائنى قال : قال الْمُنْذِرُ بنُ الْمُنْذِرِ لما حارب غَسَّانَ بالشام لابنه النُّعْمَانَ يوصيه : إياك واطّراح الاخوان واطراف المعرفة وإياك وملاحاة الملول وممازحة السفيه ، وعليك بطول الخلوة والاكثار من السمر ، والبس من القشر ما يزينك فى نفسك ومروأتك ، واعلم أن جماع الخير كله الحياء ، فعليك به ، وتواضع فى نفسك وانخدع فى مالك ، واعلم أن السكوت عن الأمر الذى يعنيك خير من الكلام فاذا اضطررت إليه فتحر الصدق والايجاز تسلم إن شاء الله تعالى .

كلام في تعزية بعض الملوك

قال : إن الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولا بد مما هو كائن، وقد جاء مالا يرد ولا سبيل إلى رد ماقد فات ، وقد أقام معك ماسيذهب أو ستتركه فما الجزع مما لابد منه وما الطمع فيما لا يرجى وما الحيلة فيما سينقل عنك أو تنقل عنه ؟ وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد ذهاب الأصل ؟ أفضل الأشياء عند المصائب الصبر ، وإنما أهل الدنيا سفر لا يحلون الركائب إلا فى غيرها فما أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغِيَرِ ، فاعتبر بمن رأيت من أهل الجزع فان رأيت الجزع رد أحداً منهم إلى ثقة من درك فما أولاك به . واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، فاتق الله فان المرجع قريب . واعلم أنه إنما ابتلاك المنعم وأخذ منك المعطى وما ترك أكثر ، فان نسيت الصبر فلا تنس الشكر وَكُلاًّ فلا تدع ، واحذر من الغفلة استلاب النعم وطول الندامة فما أصغر المصيبة اليوم مع عظم الغنيمة غداً ، فاستقبل المصيبة بالحسبة تستخلف بها نعما ، فانما نحن فى الدنيا غرض يُنتضل فيه بالمنايا ونهب للمصائب ، مع كل جرعة شَرَقٌ ومع كل أكلة غَصَصٌ ، لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ولا يستقبل مُعَمَّرٌ يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تحدث له زيادة فى أكله إلا بنفاد ماقبله من رزقه ، ولا يحيى له أثر إلا مات له أثر ، ونحن أعوان الحتوف على أنفسنا وأنفسنا تسوقنا إلى الفناء، فمن أين نرجو البقاء ؟ وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا إلا أسرعا الكرة فى هدم مارفعا وتفريق ماجمعا ، فاطلب الخير من أهله ، واعلم أن خيراً من الخير معطيه وشراً من الشر فاعله . وقال أبو نواس :

أَتَتَبَّعُ الظُّرَفَاءَ أَكْتُبُ عَنْهُمُ   كَيْمَا أُحَدِّثَ مَنْ أُحِبُّ فَيَضْحَكَا

وقال آخر :

قَدَرْتَ فَلَمْ أَتْرُكْ صَلَاحَ عَشِيرَتِى   وَمَا الْعَفْوُ إِلاَّ بَعْدَ قُدْرَةِ قَادِرِ

وقال آخر :

أَخُو الجِدِّ إنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَّرُوا ... وَذُو بَاطِلٍ إنْ كَانَ فِي الْقَوْمِ بَاطِلُ

قبيصة بن عمر المهلبي إن رجلا أتى ابن أبي عُيينة فسأله أن يكتب إلى داود ابن يزيد كتاباً ففعل وكتب في أسفله :

إِنَّ امْرأً قَذَفَتْ إِلَيْكَ بِهِ ... فِي الْبَحْرِ بَعْضُ مَرَاكِبِ الْبَحْرِ

تَجْرِي الرِّيَاحُ بِهِ فَتَحْمِلُهُ ... وَتَكُفُّ أَحْيَاناً فَلَا تَجْرِي

وَيَرَى الْمَنِيَّةَ كُلَّمَا عَصَفَتْ ... رِيحٌ بِهِ لِلْهَوْلِ وَالذُّعْرِ

قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ماوجد أحد في نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها في نفسه . ودخل رجل من بني مخزوم ، وكان زُبيريا ، على عبدالملك ابن مروان فقال له عبد الملك : أليس قد ردك الله على عقبيك ؟ قال : أو من رد إليك فقد رُد على عقبيه ؟ فاستحيى وعلم أنه قد أساء . وقال المخبل :

إِذَا أَنْتَ لَاقَيْتَ الرِّجَالَ فَلَاقِهِمْ ... وَعِرْضُكَ مِنْ غَثِّ الْأُمُورِ سَلِيمُ

وقال النَّضْرُ بنُ خَالِدٍ :

كِبْرُهُ يَبْلُغُ الْكَوَاكِبَ إِلَّا ... أَنَّهُ فِي مُرُوءَةِ الْبَقَّالِ

وقال خِدَاشُ بنُ زُهَيْرٍ :

أَلنَّاسُ تَحْتَكَ أَقْدَامٌ وَأَنْتَ لَهُمْ ... رَأْسٌ فَكَيْفَ يُسَوَّى الرَّأْسُ وَالْقَدَمُ

إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّا مَا بَقِيتَ لَنَا ... فِينَا السَّمَاحُ وَفِينَا الْجُودُ وَالْكَرَمُ

وَحَسْبُنَا مِنْ ثَنَاءِ الْمَادِحِينَ إِذَا ... أَثْنَوْا عَلَيْكَ بِأَنْ يُثْنُوا بِمَا عَلِمُوا

وقل ابن عباس رضي الله عنهما : كانت قريش تألف منزل أبي بكر رضي الله تعالى عنه لخصلتين : للعلم والطعام ، فلما أسلم أسلم عامة من كان مجالسه .

بعض كلام الأعراب

قل الأصمعي وقف أعرابي يسأل فقال :

أَلاَ فَتًى أَرْوَعُ ذُو جَمَالِ مِنْ عَرَبِ النَّاسِ أَوِ الْمَوَالِى
يُعِينُنِى الْيَوْمَ عَلَى عِيَالِى قَدْ كَثُرُوا هَمًى وَقَلَّ مَالِى
وَسَاقَهُمْ جَدْبٌ وَسُوءُ حَالِ وَقَدْ مَلِلْتُ كَثْرَةَ السُّؤَالِ

وقال أعرابى :

يَابْنَ الْكِرَامِ وَالِدًا وَوَلَدَا لاَ تَحْرِمَنَّ سَائِلاً تَعَمَّدَا
أَفْقَرَهُ دَهْرٌ عَلَيْهِ قَدْ عَدَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَدِيمًا سَيِّدَا

وقال أعرابى : أللهم أسألك قلباً توابا أوّابا لا كافراً ولا مرتاباً . وهب رجل لأعرابى شيأ فقال : جعل الله للخير عليك دليلا وجعل عندك رفداً جزيلا وأبقاك بقاء طويلا وأبلاك بلاء جميلا . وقف أعرابى على قوم فمنعوه فقال : أللهم اشغلنا بذكرك وأعذنا من سخطك وأولجنا إلى عفوك ، فقد ضن خلقك برزقك فلا تشغلنا بما عندهم عن طلب ما عندك وآتنا من الدنيا القُنْعَانَ ، وان كان كثيرها يسخطك فلا خير فيما يسخطك . الأصمعى قال : سمعت أعرابياً يدعو وهو يقول : اللهم اغفرلى إذا الصحف منشورة والتوبة مقبولة قبل أن لا أقدر على استغفارك حين ينقطع الأمل ويحضر الأجل ويفنى العمل . وقال : سمعت أعرابياً يدعو وهو يقول : أللهم ارزقنى مالا أكبت به الاعداء ، وبنين أصول بهم على الأقوياء .

وكان منادى سعد بن عبادة يقول على أُطُمِهِ من : أراد خبزاً ولحماً فليأت أُطُمَ سعد . وخلفه قيس بن سعد ابنه وكان يفعل كفعله فاذا أكل الناس رفع يده إلى السماء وقال : أللهم إنى لاأصلح على القليل ولايصلح القليل لى ، أللهم هب لى حمداً ومجداً ، لأنه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال .

وقال أعرابى : أللهم إن لك على حقوقا فتصدق بها على ، وللناس على حقوقاً فأدها عنى ، وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك ، فاجعل قراى فى هذه الليلة الجنة . وقف أعرابى على قوم يسألهم فأنشأ يقول :

هَلْ مِنْ فَتًى عِنْدَهُ خُفَّانِ يَحْمِلُنِى عَلَيْهِمَا إِنَّنِى شَيْخٌ عَلَى سَفَرِ

أشكو إلى الله أهوالاً أمارسها ... من الصُّداع وأنى سيِّء البصر
إذا سرى القوم لم أبصر طريقهم ... إن لم يكن عندهم ضوء من القمر

الأخفش قال: خرج أعرابي يطلب الصدقة ومعه ابنتان له فقالت ابنته لما رأت إمساك الناس عنه:

يا أيها الراكب ذو التعريس ... هل فيكم من طارد للبوس
عن ذي هداج بين التقويس ... بفضل سربال له دريس
أو فاضل من زاده خسيس ... أثابه الرحمن بالنفيس

ووقف سائل على الحسن فقال: رحم الله عبداً أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو آثر من قلة.

وقال الطائي [حبيب بن أوس أبو تمام] (١)

فتى كلما فاضت عيون قبيلة ... دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكر
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة ... تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

وقال: (٢)

بكر إذا ابتسمت أراك وميضها ... نور الإقاح برملة ميعاس (٣)
وإذا مشت تركت بصدرك ضعف ما ... بحليها من كثرة الوسواس (٤)

---

(١) هذان البيتان من قصيدة قالها يرثي بها محمد بن حميد الطوسي أولها:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر
وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر
وما كان يدري مجتدي جود كفه ... إذا ما استهلت أنه خلق العسر
ألا في سبيل الله من عطلت له ... فجاج سبيل الله وانثغر الثغر

فتى كلما فاضت .. وبعدي:

فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

(٢) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الأمير أحمد بن المعتصم، أولها:

ما في وقوفك ساعة من بأس ... نقضي ذمام الأربع الأدراس

(٣) الرملة الميعاس: اللينة التي سحها المطر

(٤) الذي في الديوان: تركت بقلبك.

قالَتْ وقدْ حُمَّ الفِراقُ فكأسُهُ ... قدْ خُولِطَ السَّاقِي بها والحاسِي
لا تَنْسَيَنْ تِلكَ العُهُودَ فإنَّما ... سُمِّيتَ إنْساناً لأنَّكَ نَاسِي
هَدَأَتْ على تأميلِ أَحْمَدَ هِمَّتِي ... وأطافَ تقليدِي بها وقِياسِي
نَوْرُ العَرارَةِ نَوْرُهُ ونسيمُهُ ... نَشْرُ الخُزامَى في اخْضِرارِ الآسِ (١)
إقْدامُ عَمْرٍو في سَماحَةِ حاتِمٍ ... في حِلْمِ أَحْنَفَ في ذَكاءِ إياسِ (٢)
لا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ ... مَثَلاً شَرُوداً في النَّدى والبَاسِ
فاللهُ قدْ ضَرَبَ الأقَلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلاً مِنَ المِشْكاةِ والنِّبْراسِ

وقال : (٣)

إحفَظْ رَسائِلَ شِعْرٍ فيكَ ماذَهَبَتْ ... خَواطِرُ البَرْقِ إلاَّ دُونَ ماذَهَبا (٤)
يَغْدُدْنَ مُغْتَرِباتٍ في البِلادِ فما ... يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ في الآفاقِ مُغْتَرِبا (٥)
ولا تُضِعْها فما في الكَوْنِ أَحْسَنُ مِنْ ... نَظْمِ القَوافِي إذا ماصادَفَتْ أَدَبا (٦)

أسر رؤبة في بعض حروب تميم فمنع الكلام فجعل يصرخ : يا صباحاه ،

---

(١) نور العرار : زهر البهار

(٢) عمرو : هو عمرو بن معدي كرب . حاتم : هو حاتم الطائي . احنف : هو الاحنف بن قيس . اياس : هو اياس بن معاوية المزني . ولهذه الابيات حكاية طريفة . كان ابو إسحق الكندي الفيلسوف عند احمد بن المعتصم وقد دخل اليه ابو تمام فأنشده قصيدته هذه فلما بلغ إلى قوله : اقدم عمرو . البيت . قال الكندي : ماصنعت شيئا ! قال : كيف ؟ قال مازدت على ان شبهت ابن امير المؤمنين بصعاليك العرب ، وقد تجاوز شعراء دهرنا بالممدوح من كان قبله ، الا ترى الي قول العكوك في ابي دلف :

رجل ابر على شجاعة عامر ... بأسا وغبر فى محيا حاتم

فاطرق ابو تمام ثم انشد : البيتين : لا تنكروا ضربي . ولم يكونا في القصيدة ، فتعجب منه ، ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل ، فاستصغر عن ذلك فقال الكندي : ولوه فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه . فكان كما قال

(٣) من قصيدة يعاتب فيها اسحق بن ابراهيم المصعبي ، اولها :

قل للامير الذي قد نال ما طلبا ... ورد من سالف المعروف ماذهبا

(٤) في الديوان : احفظ وسائل شعري .

(٥) في الديوان : يغدون

(٦) في الديوان : ماصادفت حسبا

يا بني تميم ، أطلقوا من لساني .[1] وربما قال الشاعر في هجائه قولا لا يعيب به المهجو فيمتنع من فعله المهجو وإن كان لا يلحق فاعله ذم ، وكذلك إذا مدحه بشيء أولع بفعله وإن كان لا يصير إليه بفعله مدح ، فمن ذلك تقدم كلثم بنت سُريع مولى عمرو بن حريث إلى عبد الملك بن عمير وهو على قضاء الكوفة تخاصم أهلها ، فقضى لها عبد الملك على أهلها ، فقال هذيل الأشجعي :

أَتاهُ وَليدٌ بالشُّهودِ يَقودُهُمْ ... عَلى ما ادَّعى مِن صامِتِ المالِ والخَوَلْ
وَجاءَتْ إِلَيهِ كَلثَمٌ وَكَلامُها ... شِفاءٌ مِنَ الداءِ المُخامِرِ وَالخَبَلْ
فَأَدلى وَليدٌ عِندَ ذاكَ بِحَقِّهِ ... وَكانَ وَليدٌ ذا مِراءٍ وَذا جَدَلْ
وَكانَ لَها دَلٌّ وَعَينٌ كَحيلَةٌ ... فَأَدلَتْ بِحُسنِ الدَّلِّ مِنها وَبالكَحَلْ
فَفَتَّنَتِ القِبطِيَّ حَتّى قَضى لَها ... بِغَيرِ قَضاءِ اللهِ في السُّوَرِ الطُّوَلْ
فَلَوْ كانَ مَنْ بالقَصرِ يَعلَمُ عِلمَهُ ... لَما استُعمِلَ القِبطِيُّ فينا عَلى عَمَلْ
لَهُ حينَ يَقضي لِلنِّساءِ تَخاوُصٌ ... وَكانَ وَما فيهِ التَّخاوُصُ وَالحَوَلْ
إِذا ذاتُ دَلٍّ كَلَّمَتهُ بِحاجَةٍ ... فَهَمَّ بِأَنْ يَقضي تَنَحنَحَ أَوْ سَعَلْ
وَبَرَّقَ عَينَيهِ وَلاكَ لِسانَهُ ... يَرى كُلَّ شَيءٍ ما خَلا شَخصَها جَلَلْ

قال : فقال عبد الملك : أخزاه الله [والله] لربما جاءتني السعلة أو النحنحة وأنا في المتوضأ فأذكر قوله فأردها لذلك . وزعم الهيثم بن عدي عن أشياخه أن الشاعر لما قال في شهر بن حوشب :

لَقَدْ باعَ شَهرٌ دِينَهُ بِخَريطَةٍ ... فَمَنْ يَأمَنِ القُرّاءَ بَعدَكَ يا شَهرُ

ما مس خريطة حتى مات . وقال رجل من بني تغلب ، وكان ظريفا : ما لقي أحد من تغلب ما لقيت أنا ! قلت : وكيف ذاك ؟ قال : قال الشاعر[2]

(١) انظر ص ١٨٤ من الجز الاول

(٢) الشاعر هو جرير بن عطية الخطفي يهجو الاخطل ، وهي قصيدة طويلة اولها :

حي الغداة برامة الاطلالا ... رسما تحمل اهله فأحالا

لاتَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً في تَغْلِبٍ فالزِّنجُ أكرَمُ مِنْهُمُ أخْوالَا
لوْأنَّ تَغْلِبَ جَمَّعتْ أحْسابَها يومَ التَّفاخُرِلمْ يَزِنْ مِثْقالَا
تلقاهُمُ حُلَماءَ عنْ أعدائِهِمْ وعَلَى الصَّدِيقِ تَراهُمُ جُهَّالَا
والتَّغلبيُّ إذا تَنَحْنَحَ لِلقِرَى حكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأمْثالَا

والله إنى لأتوهم أن لو نهشت استى الأفاعى ما حككتها .

كلام فى مقامات الشعراء فى الجاهلية والاسلام

وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر، والذين هجو فوضعوا من قدر من هجوه ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوه وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم وسكتوا عمن هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم ، وهم فى الاسلام : جرير والفرزدق والأخطل ، وفى الجاهلية : زهير وطرفه والأعشى والنابغة . هذا قول أبى عبيدة . وزعم أبو عمرو بن العلاء : أن الشعر فتح بامرىء القيس وختم بذى الرمة. ومن الشعراء من يُحكم القريض ولا يُحسن من الرجز شيئا ، ففى الجاهلية منهم : زهير والنابغة والأعشى، وأما من يجمعهما فامرؤ القيس وله شىء من الرجز ، وطرفة وله كمثل ذلك ، ولبيد وقد أكثر ، ومن الاسلاميين من لايقدر على الرجز وهو فى ذلك يجيد القريض : كالفرزدق وجرير ، ومن يجمعهما كأبى النجم وحميد الأرقط والعمانى و بشار بن برد ، وأقل من هؤلاء يحكم القصيد والأرجاز والخطب ، وكان الكميت والبعيث والطرماح شعراء خطباء ، وكان البعيث أخطبهم ، وقال يونس إن كان مغلباً فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب . و إذا قالوا : غلب فهو الغالب . وقال الحسين بن مطير الأسدى : (١)

(١) مضت هذه الابيات فى ص ١٥١ من هذا الجزء

فيا قبر معن كنت أول حفرة ... من الأرض خطت للمكارم مضجعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
تعز أبا العباس عنه ولا يكن ... جزاؤك من معن بأن تتضعضعا
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي ... له مثل ما أسدى أبوك وما سعى
تمنى أناس شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وظلعا

وقال مسلم الأنصاري يرثي يزيد بن مزيد : (١)

قبر ببرذعة استسر ضريحه ... خطرا تقاصر دونه الأخطار
أبقى الزمان على معد بعده ... حزنا كعمر الدهر ليس يعار
نفضت به الآمال أحلاس الغنى ... واسترجعت نزاعها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة ... أثنى عليها السهل والأوعار

وقال همام الرقاشي : (٢)

أبلغ أبا مسمع عني مغلغلة ... وفي العتاب حياة بين أقوام
قدمت قبلي رجالا لم يكن لهم ... في الحق أن يلجوا الأبواب قدامي
لو عد قبر وقبر كنت أكرمهم ... قبرا وأبعدهم من منزل الذام
حتى جعلت إذا ما حاجة عرضت ... بباب قصرك أدلوها بأقوام

وقال الأبيرد الرياحي يرثي أخاه : (٣)

(١) مضت هذه الابيات في ص ١٠٢ من هذا الجزء
(٢) كان بالاصول : هاشم . فاصلحناه على ماجاء في ص ٢٥٢ من الجزء الثاني
(٣) هو ابو المنذر بن قيس اليربوعي الرياحي . شاعر بدوي فصيح مقل من شعراء الاسلام في اول الدولة الاموية ، ولم يمدح احدا من خلفائها ولم يفد على احد من امرائها . وهذه الابيات من قصيدة جيدة يرثي بها اخاه بريدا .

فَتًى إنْ هُوَ اسْتَغْنَى تَخَرَّقَ فِي الْغِنَى ... وَإنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يَؤُدْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ(١)

وَسَامَى جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ فَنَالَها ... عَلَى الْعُسْرِ حَتَّى يُدْرِكَ الْعُسْرَةَ الْيُسْرُ(٢)

تَرَى الْقَوْمَ فِي الْعَزَّاءِ يَنْتَظِرُونَهُ ... إذَا شَكَّ رَأْيُ الْقَوْمِ أَوْ حَزَبَ الْأَمْرُ(٣)

فَلَيْتَكَ كُنْتَ الحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِياً ... وَكُنْتُ أنَا المَيْتَ الَّذِي غَيَّبَ الْقَبْرُ

لَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الْإِلَهَ إذا اشْتَكَى ... مِنَ الْأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سَرَّنِي الْأَجْرُ

وَأَجْزَعُ أَنْ يَنْأَى بِهِ بَيْنُ لَيْلَةٍ ... فَكَيْفَ بِبَيْنٍ صَارَ مِيعَادُهُ الْحَشْرُ

وقال أبو عبيدة: أنشدني رجل من بني عجل:

وَكُنْتُ أُعِيرُ الدَّمْعَ قبلكَ مَنْ بَكَى ... فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهْ

لَقَدْ رَحَلَ الحَيُّ المُقِيمُ وَوَدَّعُوا ... فَتًى لَمْ يَكُنْ بِإِزَائِهِ مَنْ يُنَازِلُهْ

وَلَمْ يَكُ يَخْشَى الْجَارُ مِنْهُ إذا دَنَا ... أَذَاهُ وَلَا يَخْشَى الْحَرِيمَةَ سَائِلُهْ

فَتًى كَانَ لِلْمَعْرُوفِ يَبْسُطُ كَفَّهُ ... إذا قُبِضَتْ كَفُّ الْبَخِيلِ وَنَائِلُهْ

قال: دخل مَعْنُ بنُ زَائِدَةَ على أبي جعفر المنصور فقارب في خطوه فقال المنصور: لقد كبِرت سنك! قال: في طاعتك، قال: وإنك لجَلْدٌ! قال: على أعدائك، قال: وأرى فيك بقية! قال: هي لك.

كتاب عبد الملك الى عمرو بن سعيد الاشدق

قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى عمرو بن سعيد الاشدق حين خرج عليه: أما بعد فان رحمتي لك تصرفني عن الغضب عليك لتمكن الخُدَع منك وخذلان التوفيق إياك، نهضت بأسباب وَهَمَتْكَ أطاعك أن تستفيد بها عزاً كنت جديراً لو اعتدلت أن لاتدفع بها ذلا، ومن رحل عنه حسن النظر واستوطنته الأماني ملك

(١) تخرق: توسع في الكرم والجود حتى كأنه الاخرق الذي لا يحسن شيئا. ويروي: لم يضع
(٢) ويروى: حتى ادرك العسر اليسر
(٣) العزاء: الامر الخطير

الحين تصريفه واستترت عنه عواقب أمره ، وعن قليل يتبين من سلك سبيلك ونهض بمثل أسبابك أنه أسير غفلة وصريع خُدَعٍ ومغيض ندم ، والرحم تحمل على الصفح عنك ما لم تحلل بك عواقب جهلك وتزجر عن الايقاع بك ، وأنت إن ارتدعت كنت فى كنف وستر، والسلام.

رد عمرو بن سعيد على عبد الملك

فكتب إليه عمرو :

أما بعد فان استدراج النعم إياك أفادك البغى ، ورائحة القدرة أورثتك الغفلة ، زجرت عما واقعت مثله وندبت إلى ما تركت سبيله ، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطلاب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز، وعن قليل تتبين مَن أسير الغفلة وصريع الخدع ، والرَّحم تعطف على الابقاء عليك مع دفعك عما غيرُك أقوم به منك ، والسلام .

كتاب عمر بن عبد العزيز الى عمر بن الوليد

قال أبو الحسن : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد بن عبد الملك :

أما بعد فانك كتبت تذكر أن عاملا أخذ مالك بالحَمَّةِ (١) وتزعم أنى من الظالمين! وإن أظلم منى وأترك لعهد الله مَن أمَّرك صبيا سفيها على جيش من جيوش المسلمين لم تكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده ، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله لأنت، فأنت عمر بن الوليد وأمك صناجة (٢) تدخل دور حمص وتطوف فى حوانيتها! رويدك أن لو قد التقت خلقتا البطان لحملتك وأهل بيتك على المحجة البيضاء فطالما ركبتم ثنيات الطريق مع أنى قد هممت أن أبعث اليك من يحلق دلادلك ! فانى أعلم أنها من أعظم المصائب عليك ، والسلام .

شدة مراقبة عبد الملك لولاته

قال أبو الحسن : كان عبد الملك بن مروان شديد اليقظة كثير التعاهد

---

(١) الحمة : اسم مكان

(٢) صناجة : تضرب بالصنج

لولاته ، فبلغه أن عاملا من عماله قبل هدية فأمر باشخاصه اليه ، فلما دخل عليه قال له : أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : ياأمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال ! قال : أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : نعم. قال: لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك للئيم ، ولئن أنلت مهديك لامن مالك أو استكفيته مالم يكن يُستكفاه إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدى إليك من مالك وقبلت ما اتهمك به عند من استكفاك و بسط لسان عائبك وأطمع أهل عملك إنك لجاهل ، وما فيمن أتى أمراً لم يخل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنعٌ . ! نحياه عن عمله .

قال أبو الحسن : عرض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان وهو على مكة فقال : أيها الخليفة ! قال : لستُ به ولم تبعد ، قال: ياأخاه ، قال : أسمعت فقل ، قال : شيخ من بنى عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخؤلة ويشكو إليك كثرة العيال ووطأة الزمان وشدة فقر وترادف ضر ، وعندك ما يسعه ويصرف عنه بؤسه ! قال : أستغفر الله منك وأستعينه عليك ، وقد أمرت لك بغناك ، وليت اسراعى إليك يقوم بابطائى عنك.!وقال أعرابى يعيب قوما : هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم وأكثرهم جُرما إلى أصدقائهم،يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء .

وقال مُجَّاعَةُ بنُ مُرَارٍ لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : إذا كان الرأى عند من لا يُقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله وكان المال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور. الأصمعى قال : نعت أعرابى رجلا فقال : كأن الألسن والقلوب ريضت له فما تنعقد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بثنائه . وقال أعرابى : وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل . أتى أعرابى عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ساقته الحاجة وانتهت به الفاقة ، والله يسألك عن مقامى غدا .! فبكى عمر . قال الشاعر :

وَمَنْ يُبْقِ مالا عُدَّةً وَصِيانَةً فَلاَ البُخْلُ مُبْقِيهِ وَلا الدَّهْرُ وَافِرُهْ
وَمَنْ يَكُ ذا عُودٍ صَلِيبٍ يُعِدُّهُ لِيَكْسِرَ عُودَ الدَّهْرِ فالدَّهْرُ كَاسِرُهْ

وقال أبان بن الوليد لإياس بن معاوية : أنا أغنى منك ! فقال إياس : بل أنا أغنى منك ! قال أبان : وكيف ولى كذا وكذا ! وعدد أموالا ، قال : إن كسبك لايفضل عن مؤنتك ، وكسبي يفضل عن مؤنتي . وكان يقال : حاجب الرجل عامله على عرضه .

وقال أبو الحسن: رأيت امرأة أعرابية غمضت ميتا وترحمت عليه ثم قالت : ما حق من ألبس العافية وأطيلت له النظرة أن لا يعجز عن النظر لنفسه قبل الحلول بساحته والحيالة بينه وبين نفسه ! ؟

وقال ابن الزبير لمعاوية حين أراد أن يبايع لابنه يزيد : أتقدم ابنك على من هو خير منه ؟ قال : كأنك تريد نفسك ؟ إن بيته بمكة فوق بيتك ! قال ابن الزبير : إن الله رفع بالاسلام بيوتا فبيتي مما رفع ! قال معاوية : صدقت ، وبيت حاطب بن أبي بلتعة ! وقال: عاتب أعرابي أباه فقال : إن عظيم حقك عليّ لا يذهب صغير حقي عليك ،والذي تمتّ إليّ به أمت بمثله إليك ، ولست أزعم أنا سواء ، ولكني أقول : لا يحل لك الاعتداء . قال: مدح رجل قوماً فقال: أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به آجالهم ،فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال . وقال بعض الحكماء : ألتواضع مع السخافة والبخل أحب عند العلماء من الكبر مع السخاء والأدب فأعظم بحسنة عفت عن سيئتين ، وأفظع بعيب أفسد من صاحبه حسنتين . وقيل لرجل : مات صديق لك! فقال : رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ العين جمالا والأذن بيانا ، ولقد كان يرجى فلا يخشى و يعطى ولا يُعطى ، قليلا لدى الشر حضوره سليما للصديق ضميره .

وقام أعرابي ليسأل فقال : أين الوجوه الصباح والعقول الصحاح والألسن الفصاح

والأنساب الصُّراح والمكارم الرّباح والصدور الفساح تعيذني من مقامي هذا ..؟!
ومدح بعضهم رجلا فقال : ما كان أفسح صدره وأبعد ذكره وأعظم قدره وأنفذ أمره وأعلى شرفه وأربح صفقة من عرفه ، مع سعة الفَناء، وعظم الإتاء، وكرم الآباء .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان : والله ما علمتك إلا كثير المعونة قليل المؤنة ، فجزاك الله خيراً ، فقال صعصعة : وأنت فجزاك الله أحسن من ذلك ، فانك ما علمتك إلا بالله عليم والله فى عينك عظيم .

وصية عبد الملك بن صالح العباسى لابنه

قال أبو الحسن : أوصى عبد الملك بن صالح إبنا له فقال : أى بنى ، إحلم فان من حلم ساد ومن تفهم ازداد ، والق أهل الخير فان لقاءهم عمارة للقلوب ، ولا تجمح بك مطية اللجاج ، وفيك من أعتبك والصاحب المناسب لك ، والصبر على المكروه يعصم القلب ، ألمزاح يورث الضغائن ، وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الإسراف ، والإقتصاد يثمر القليل والاسراف يُبير الكثير ، ونعم الحظ القناعة ، وشر ما صحب المرء الحسد ، وما كل عورة تصان ، ور بما أبصر العمىُّ رشده وأخطأ البصير قصده ، والياس خير من الطلب إلى الناس ، والعفة مع الحِرفة خير من الغنى مع الفجور ، ارفق فى الطلب واجمل فى المكسب ، فانه رب طلب قد جر إلى حَرَبٍ ، ليس كل طالب بمنجح ولا كل ملح بمحتاج ، والمغبون من غُبن نصيبه من الله . عاتب من رجوت عُتباه وفاكه من أمنت بلواه ، لا تكن مضحا كا من غير عَجب ولا مشاء إلى غير أرب ، ومن نأى عن الحق أضاق مذهبه ، ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله ، لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه إنما سعى فى مضرته ونفعك ، وعود نفسك السماح وتخير لها من كل خلق أحسنه ، فإن الخير عادة والشر لجاجة ، والصدود آية المقت والتعلل آية البخل ، ومن الثقة كتمان السر ولقاح المعرفة دراسة العلم وطول التجارب زيادة فى العقل والقناعة راحة الأبدان

والشرف التقوى ، والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه ، بالعقل تستخرج الحكمة وبالحلم يستخرج غور العقل ، ومن شمر فى الأمور ركب البحور ، شر القول ما نقض بعضه بعضا ، ومن سعى بالنميمة حذره البعيد ومقته القريب ، من أطال النظر بإرادة تامة أدرك الغاية ، ومن توانى فى نفسه ضاع ، من أسرف فى الأمور انتشرت عليه ومن اقتصد اجتمعت له ، واللجاجة تورث الضياع للأمور ، غب الأدب أحمد من ابتدائه ، مبادرة الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يعقب العى ، لا تحدث من لا يقبل بوجهه عليك ولا تنصت لمن لا ينمى بحديثه إليك ، البلادة للرجل هُجنة ، قلّ مالك إلا استأثر ، وقل عاجز إلا تأخر ، الاحجام عن الأمور يورث العجز والإقدام عليها يورث اجتلاب الحظ ، سوء الطُّعمة يفسد العرض ويُخلق الوجه ويمحق الدين ، الهيبة قرين الحرمان والجسارة قرين الظفر ، وفيُّك من أنصفك وأخوك من عاتبك وشريكك من وفى لك وصفيك من آثرك ، أعدى الأعداء العقوق ، إتباع الشهوة يورث الندامة ، وفوت الفرصة يورث الحسرة ، جماع أركان الأدب التأنى للرفق ، إكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فانك لا تجد بما تبذل من دينك ونفسك عوضا ، لا تباعد النساء فيملنك واستبق من نفسك بقية فانهن إن يرين أنك ذو اقتدار خير من أن يطلعن منك على انكسار ، لا تملك المرأة الشفاعة لغيرها فتميل من شفعة لها عليك معها . أى بنى ، إنى قد اخترت لك الوصية ومحضتك النصيحة وأديت الحق إلى الله فى تأديبك فلا تغفلن الأخذ بأحسنها والعمل بها ، والله موفقك .

قال الغنوى : احتضر رجل منا فصاحت ابنته ففتح عينيه وهو يكيد بنفسه فقال :

عَزاءً لا أبَا لَكِ إنَّ شيئاً ... تولَّى لَيْسَ يُرْجِعهُ الحنينُ

وقال بعض الشعراء :

وَما إنْ قتلناهُمْ بأكْثرَ مِنهُمُ ... وَلٰكِن بأوْفَى بِالطِّعَانِ وَأكْرما

المدائني قال : كان يقال : إذا انقطع رجاؤك من صديقك فالحقه بعدوك . وقال عبد الملك بن صالح : لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنما سعى فى مضرته ونفعك. وقال مصعب بن الزبير : التواضع أحد مصائد الشرف .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إياك ومؤاخاة الأحمق فإنه ربما أراد أن ينفعك فضرك .

وكانوا يقولون : عشر فى عشرة هى فيهم أقبح منها فى غيرهم : الضيق فى الملوك ، والغدر فى ذوى الأحساب ، والحاجة فى العلماء ، والكذب فى القضاة ، والغضب فى ذوي الألباب ، والسفاهة فى الكهول ، والمرض فى الأطباء ، والاستهزاء فى أهل البأس ، والفخر فى أهل الفاقة ، والشح فى الأغنياء .

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : قد انتهى ضموره وذبل فريره وظهر حصيره وتفلقت غروره واسترخت شاكلته ، يقبل بزبرة الأسد ويدبر بعجز الذئب

مات ابن لسليمان بن على فجزع عليه جزعا شديداً ، وامتنع من الطعام والشراب ، وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك ، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال : عليكم نزل كتاب الله فأنتم أعلم بفرائضه ، ومنكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أعرف بسنته ، ولست ممن يُعلّم من جهل ولا يقوم من عوج ، ولكنى أعزيك ببيت من شعر ، قال : هاته ، قال :

وَهوَّنَ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ أَنَّنِي　　أُسَاكِنُهُ فى دَارِهِ الْيَوْمَ أَوْغَدَا

قال : أعد ، فأعاد ، فقال : ياغلام الغداء . قال : دعا أعرابى فى طريق مكة فقال : هل من عائد بفضل أو مواس من كفاف ؟ فأمسك عنه فقال : أللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع .

قال أبو الحسن : جاء خلف الأحمر إلى حلقة يونس حيث مات أبو جعفر فقال :　　قَدْ طَرَقَتْ بِبِكْرِهَا بِنْتُ طَبَقْ (١)

(١) بنت طبق : الداهية النكراء

قال له يونس : ماذا ؟ فقال : فذمرُ وهاخبرَ اضخم العنق[1]

قال يونس : وماهذا ؟ فقال : موتُ الإمام فِلقةٌ من الفلقْ

قال أبو الحسن : أراد رجل أن يكذب بلالا[2] فقال له يوماً : يا بلال ، ماسن فرسك ؟ قال : عظم ! قال : فكيف جريه ؟ قال : يحضر ما استطاع ! قال : فأين ينزل ؟ قال : موضعاً أضع فيه رجلي . فقال له الرجل : لا أعنتك أبداً .

قال : ودخل رجل على شريح القاضي يخاصم امرأة له فقال : السلام عليكم ، قال : وعليكم ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق ، قال : و إني قدمت إلى بلدكم هذا ، قال : خير مقدم ، قال : و إني تزوجت امرأة ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : و إنها ولدت غلاما ، قال : ليهنك الفارس ، قال : وقد كنت شرطت لها صداقها ، قال : الشرط أملك ، قال : وقد أردت الخروج بها إلى بلدي ، قال : الرجل أحق بأهله . قال : فاقض بيننا ؟ قال : قد فعلت .

قال : وخرج الحجاج ذات يوم فأصحر وحضر غداؤه فقال : إطلبوا من يتغدى معي ؟ فطلبوا فاذا أعرابي في شملة فأتي به ، فقال : السلام عليكم ، قال : هلم أيها الأعرابي ؟ قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته . قال : ومن هو ؟ قال : دعاني الله ربي إلى الصوم فأنا صائم ! قال : وصوم في مثل هذا اليوم الحار ! قال : صمت ليوم هو أحر منه ، قال : فافطر اليوم وصم غداً ؟ قال : ويضمن لي الأمير أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك اليه ! قال : فكيف يسألني عاجلا بآجل ليس إليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : ماطيبه خبازك ولا طباخك ! قال : فمن طيبه ؟ قال : العافية . قال الحجاج : بالله إن رأيت كاليوم ! أخرجوه .

قال أبو عمرو : خرج صعصعة بن صوحان عائداً إلى مكة فلقيه رجل فقال له : ياعبد الله ، كيف تركت الأرض ؟ قال : عريضة أريضة ، قال : إنما عنيت السماء ؟ قال : فوق البشر ومدى البصر ، قال : سبحان الله ، إنما أردت السحاب ؟ قال : تحت

(١) ذمروها : دفعوها . العنق : ضرب في السير

(٢) بلال بن ابي بردة

الخضراء وفوق الغبراء ، قال : إنما أعنى المطر ، قال : قد عفا الأثر وملأ القتر وبل الوبر ومطرنا أحيي المطر . قال : إنسي أنت أم جني ؟ قال : بل إنسي من أمة رجل مهدى صلى الله عليه وسلم . وقال بشار :

وَحَمْدٍ كَبُرْدِ العَصْبِ نَمَّتْ صَاحِبِي إلى مَلِكٍ لِلصَّالِحِينَ قَرِينُ

وقال أيضاً

وَبِكْرٍ كَنُوَّارِ الرِّيَاضِ حَدِيثُها تَرُوقُ بِوَجْهٍ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

كتاب من الحجاج الى عبد الملك

وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان :

أما بعد فانا نخبر أمير المؤمنين أنه لم يصب أرضنا وابل منذ كتبت أخبره عن سقيا الله إيانا إلا مابل وجه الأرض من الطش والرش والرذاذ (١) حتى دقعت الأرض واقشعرت واغبرت (٢) وثارت فى نواحيها أعاصير تذرو دقاق الأرض من ترابها وأمسك الفلاحون بأيديهم من شدة الأرض واعترازها (٣) وامتناعها ، وأرضنا أرض سريع تغيرها وشيك تنكرها سيء ظن أهلها عند قحوط المطر ، حتى أرسل الله بالقبول (٤) يوم الجمعة فأثارت زبرجا متقطعا متمصرا (٥) ثم أعقبته الشمال (٦) يوم السبت فطحطحت (٧) عنه جهامه وألفت متقطعه وجمعت متمصره حتى انتضد فاستوى وطما وطحا وكان جونا مرثعنا (٨) قريبا رواعده واعتدت

---

(١) الطش والرش والرذاذ : من صفات المطر وهى تختلف لينا وشدة

(٢) دقعت واقشعرت واغبرت : زال منها كل نبات كان عليها

(٣) اعترازها : اشتدادها

(٤) القبول : من اسماء الرياح

(٥) متمصرا : متمزقا

(٦) الشمال : من اسماء الرياح

(٧) طحطحت : فرقت ومزقت

(٨) مرثعنا : جودا دراكا

عوائده بوابل منهمل منسجل [١] يردف بعضه بعضا ، كما أردف شؤبوب [٢] ارتشفته شآبيب لشدة وقعه فى العراض [٣] . وكتبت إلى أمير المؤمنين وهى ترمى بمثل قطع القطن قد ملأ اليباب وسد الشعاب وسقى منها كل ساق . فالحمد لله الذى أنزل غيثه ونشر رحمته من بعد ما قنطوا وهو الولى الحميد ، والسلام .

وهذا أبقاك الله آخر ما ألفناه من كتاب « البيان والتبيين » ونرجو أن نكون غير مقصرين فيما اخترناه من صنعته وأردناه من تأليفه ، فان وقع على الحال التى أردنا و بالمنزلة التى أملنا فذلك بتوفيق الله وحسن تأييده ، وإن وقع بخلافهما فما قصرنا فى الاجتهاد ولكن حرمنا التوفيق ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) منسجل : منصب منهمر

(٢) شؤبوب : دفعة من المطر

(٣) العراض : الأودية

وهذا ما امكننا الآن تعليقه وتقييده من الحواشى والشروح فان كنا اصبنا فالصواب اردنا وإليه قصدنا وإن كان فى صنيعنا بعض الخطأ فالكمال لله وحده والجزاء بيده والمرجع إليه سبحانه

« حسن السندوبى »

(انتهى الجزء الثالث من كتاب البيان والتبيين ، وبه تم الكتاب والحمد لله)

فهرس الجزء الثالث

من كتاب البيان والتبيين وشرحه

« يتلو هذا استدراكات وتصويبات وفهارس عامة للكتاب بأكمله إن شاء الله »

فهارس البيان والتبيين وشرحه

صنعها شارحه

حسن السندوبي

أعـــلام الرجال *

(*) من شاء البحث عن اسم فلينظر فى الصفحة بأكملها أصلا وشرحا فان الاسم كثيرا ما يتكرر فى الصفحة الواحدة

ت

ث

« خ »

«ك»

« ل »

«ى»

أعـــلام النساء

الفـــرق

الأرهاط

الأمم

أسماء الحيوانات

أسماء النبات

الثياب

الأشـــياء